هذه النسخة الالكترونية مصححة
من كافة الاخطاء المطبعية الموجودة
في النسخة الورقية

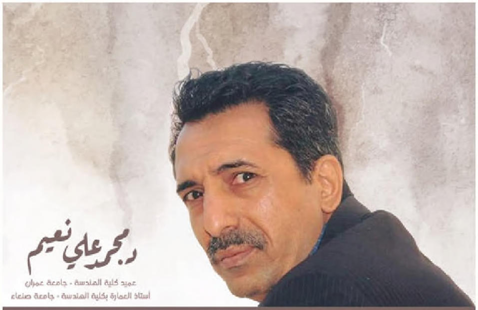


نسخة الكترونية مهداة إلى روح
الشهيد د. محمد نعيم
عضو فريق إعداد الدراسات ورئيس
فريق البحث الميداني والفريق
الفني الذي قام باعداد الدراسة
التحليلية التي تضمنها هذا الكتاب

أسس التصميم المعماري والتخطيط الحضري في العصور الإسلامية المختلفة

دراسة تحليلية على العاصمة صنعاء





ليس من السهل فراق الأحبة ولكن هي الأقدار، فقد غيب الموت في تاريخ 2021/8/4 صديقنا ومعلمنا الدكتور محمد نعيم إثر عملية اغتيال جبانة أراد من يقف ورائها أن يُسكت رجلا استثنائيا في زمن نحن أشد الحاجة إلى أمثاله.

فقد عرفناه مخلصا ومثابرا، ملتزما بواجباته، حاملا لرسالة العلم بكل ما تحمله في طياتها من معاني والتي من شأنها بناء الوطن وبناء الانسان المتسلح بالعلم والمعرفة.

كان فقيدنا معلما محبوبا متوج بالعلم والعطاء ونموذجا يحتذى في البساطة وسمو الأخلاق مما زاده احتراما وتقديرا ومحبة في قلوب اصدقائه وزملائه وطلابه وكل من عرفه والتقى به.

ستبقى في قلوبنا ولن ننساك وستظل بأعمالك ومآثرك وسيرتك نبراسا وقدوة لنا، فأمثالك لا يموتون ،، تغمدك الله بواسع رحمته.

ووفاء ومحبة منا لروحه الطاهرة أعددت هذه النسخة الالكترونية لتكون بإذن الله من العلم الذي يُنتفع به سائلا المولى عز وجل أن يجعل ثواب الانتفاع بها في ميزان أعمال فقيدنا الذي كان موته سببا ودافعا لإعداد ونشر هذه النسخة.

م. عبدالعزيز الزبيري
2023/4/5

نبذة مختصرة من سيرته الذاتية:

د. محمد علي علي مسعود نعيم عميد كلية الهندسة – جامعة عمران وأستاذ العمارة بكلية الهندسة – جامعة صنعاء ورئيس المركز الاستشاري الهندسي – جامعة صنعاء.

من مواليد 1970/11/13 – اليمن، صنعاء. متزوج ولديه أربعة من الاولاد. تخرج من جامعة صنعاء – كلية الهندسة عام 1994م.

حاصل على شهادة دكتوراه فلسفة في الهندسة المعمارية - الجامعة التكنولوجية - بغداد - 2005م. الأول على دفعته بتقدير عام جيد جدا وبتقدير ممتاز لاطروحته (ترويض الشكل وسلطة المعنى: دراسة تطبيقية لممارسة السلطة في العمارة)، وكان قد حصل على شهادة ماجستير علوم في الهندسة المعمارية - الجامعة التكنولوجية - بغداد - 1999م بتقدير عام جيد جدا وبتقدير ممتاز لاطروحته (خصوصية الممارسة المعمارية اليمنية فيما يخص التعامل مع الموروث).

عمل طوال حياته العملية استاذا جامعيا وتقلد خلالها مناصب ادراية جامعية (عميدا ومستشارا ومساعدا)، وتقلد منصب نائب مدير الوحدة التنفيذية لمشروع المتحف الوطني للعلوم، وإلى جوار ذلك عمل كمهندس معماري واستشاريا ومسئولا تنفيذيا للعديد من المشاريع العامة والخاصة لدى مراكز هندسية مختلفة، ورئيسا لمركز نون للاستشارات والدراسات المعمارية.

له العديد من الأبحاث والدراسات المعمارية أهمها:

- باحث رئيسي، ورئيس فريق البحث الميداني، واعمال الرسم والاخراج الفني لاعداد كتاب (اسس التصميم المعماري والتخطيط الحضري لمدينة صنعاء) ضمن برامج منظمة المدن والعواصم الاسلامية، بالتعاون مع امانة العاصمة.
- القيام بدراسة ميدانية ضمن فريق من الباحثين لمدينة زبيد التاريخية، ضمن برنامج ال GTZ للحفاض على المدن التاريخية.
- المشاركة في إعداد الدراسات المعمارية والتخطيطية لجامعة الحديدة.
- التعليم المعماري في اليمن: الفريسة السهلة. ورقة عمل قدمت في ورشة العمل الخاصة بمفردات قسم الهندسة المعمارية بجامعة صنعاء ضمن فعاليات المهرجان الهندسي الاول 2009م، كلية الهندسة - جامعة صنعاء.
- اعداد البرامج الدراسية لقسم الهندسة المعمارية_ جامعة سبأ. (ضمن فريق عمل، باحث ورئيسا للفريق)
- القيام بالعديد من الأبحاث و الدراسات (غير منشورة) حول العمارة التقليدية وعناصرها:
  - التعامل مع الموروث المعماري: تجربة اليمن.
  - اسرار النسبة الذهبية في الكون والعمارة.
  - الترويض كاستراتيجية تصميم معماري.
  - التكنولوجيا و المجتمع "حالة اليمن" (بحث مشترك).
  - ملاقف الهواء و دراسة حول التحرك الهوائي و تأثيره على المباني (بحث مشترك).
  - السلطة: قراءات في العلاقة بين الشعر و العمارة.
  - التأويل كنظام تواصلي.
  - منهجية تركيب الفضاءات: دراسة تطبيقية لمدينة صنعاء القديمة (الربع الجنوبي الشرقي).
  - الشكل الدال: قراءة نقدية للعلاقة بين الشكل والانفعالات الاستاطيقية.

أهم الأعمال المعمارية والهندسية:

- اعداد الدراسة التخطيطية والمعمارية وتصاميم الموقع العام master plan لجامعة عمران. (ضمن فريق معماري، مصمم ومديرا تنفيذيا للمشروع).
- اعداد دراسة الجدوى الاقتصادية والتصميم الخاص بكلية التربية الرياضية_ جامعة صنعاء.
- اعداد المخطط العام والتصميم المعماري للمدينة السكنية لاعضاء هيئة التدريس بجامعة صنعاء _ الكائنة بالرحبة.
- اعداد تصاميم الموقع العام master plan لمدينة الثورة الرياضية - صنعاء. (ضمن فريق معماري).
- اعداد التصميم الخاص باعادة تأهيل عمارة الى كلية طب اسنان _ جامعة سبأ. وكذلك الاشراف على تنفيذ المشروع.
- اعداد المخطط العام وتصميم المباني الخاصة بنادي الفروسية المكون من: (مضمار السباق مع المنصة، حلبة القفز مع المنصة، مبنى الاتحاد، الاسطبلات، المركز الطبي، سكن العمال).
- اعداد التصميم الخاص بواجهات نفق تقاطع الستين مع السبعين – حدة، ونفق الزبيري – عصر.
- تصميم مجمع صالات رياضية مغلقة_مركز اعداد الابطال_مدينة الثورة الرياضية _صنعاء.
- المشاركة في تحكيم عدد من المسابقات المعمارية، وفي لجان تحليل عدد من المناقصات.
- هذا بالاضافة الى تصميم والاشراف على عدد من الفلل والمباني السكنية والتجارية.

أسس التصميم المعماري والتخطيط الحضري في العصور الإسلامية المختلفة

دراسة تحليلية على العاصمة

صنعاء

الجمهورية اليمنية

إعداد وتنفيذ:

مركز الطاهر للاستشارات الهندسية

صنعاء

التنسيق والإخراج الفني
مركز الطاهر للاستشارات الهندسية

١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م

ص.ب ١٣٦٢١ جـدة ٢١٤١٤ - المملكة العربية السعودية
هاتف: ٦٩٨١٩٥٣ ٩٦٦٢ +
فاكس: ٦٩٨١٠٥٣ ٩٦٦٢ +
بريد إلكتروني: webmaster@oicc.org
موقع المنظمة على الإنترنت: www.oicc.org

بسم الله الرحمن الرحيم

منظمة العواصم والمدن الإسلامية

تعريف:

منظمة العواصم والمدن الإسلامية منظمة دولية غير حكومية وغير ربحية، أنشئت عام ١٤٠٠هـ الموافق ١٩٨٠م كمنظمة منتمية لمنظمة المؤتمر الإسلامي، مقرها العاصمة المقدسة "مكة المكرمة" بالمملكة العربية السعودية، والمنظمة ليس لها أي نشاط أو ارتباط سياسي ولا تتدخل في شئون أية دولة وتتركز أنشطتها في تحقيق أهدافها.

تضم المنظمة في عضويتها ١٤٥ عاصمة ومدينة كأعضاء عاملين من ٥٤ دولة عضو في منظمة المؤتمر الإسلامي من أربع قارات هي آسيا وأفريقيا وأوروبا وأمريكا الجنوبية، كما تضم في عضويتها ٨ مدن أعضاء مراقبين من ست دول ليست أعضاء في منظمة المؤتمر الإسلامي و١٤ عضواً مشاركاً من الوزارات والهيئات والمراكز البحثية والاستشارية والجامعات من الأقطار الإسلامية ذات الصلة بأنشطة وأهداف المنظمة، وتعتمد المنظمة استخدام اللغات العربية والإنجليزية والفرنسية في أعمالها.

تتكون الموارد المالية للمنظمة من اشتراكات الأعضاء السنوية وعائدات استثمارات المنظمة وهبات الأعضاء والأفراد والهيئات والبلديات والحكومات.

أهداف المنظمة

١. الحفاظ على هوية وتراث العواصم والمدن الإسلامية.

٢. العمل على إيجاد وتطوير معايير وأنظمة ومخططات حضرية شاملة تخدم نمو وازدهار العواصم والمدن الأعضاء وذلك للارتقاء بواقعها الاقتصادي والاجتماعي والثقافي والبيئي والعمراني.

٣. العمل على الارتقاء بمستويات التنمية والخدمات والمرافق البلدية في العواصم والمدن الأعضاء.

٤. تعزيز وتطوير برامج بناء القدرات للعواصم والمدن الأعضاء.

٥. وتوثيق عرى المودة والإخاء والصداقة بين العواصم والمدن الأعضاء بالمنظمة ودعم وتنسيق نطاق التعاون فيما بينها.

وسائل تحقيق الأهداف:

١. عقد مؤتمرات وندوات علمية وحلقات دراسية ومعارض حول أهم الموضوعات التي تعني بها العواصم والمدن الأعضاء واقتراح الحلول المناسبة لها.

٢. إجراء الدراسات التحليلية على العواصم والمدن الأعضاء بالمنظمة التي تزخر بالتراث المعماري والعمراني الإسلامي بهدف استنباط أسس التصميم المعماري والتخطيط الحضري بالعصور الإسلامية المختلفة.

٣. منح الجوائز في مختلف المجالات البلدية.

٤. إصدار مجلة محكمة نصف سنوية "مجلة العواصم والمدن الإسلامية".

٥. المساهمة من خلال صندوق التعاون في تمويل مشروعات الخدمات البلدية والبيئية والبحوث والتدريب وحماية التراث وبرامج التعاون الفني في بلديات العواصم والمدن الأعضاء.

٦. تفعيل برنامج التعاون الفني والتقني بين العواصم والمدن الأعضاء.

٧. تبادل الزيارات والبحوث والدراسات والخبرات بين العواصم والمدن الأعضاء.

٨. تعزيز العلاقة بين المنظمة والهيئات والمنظمات الإقليمية والدولية في المجالات ذات الاهتمام المشترك.

٩. المشاركة في المؤتمرات والندوات العلمية والمعارض المتخصصة.

١٠. إنشاء قاعدة معلومات لخدمة العواصم والمدن الأعضاء.

عضوية المنظمة

باب العضوية مفتوح بالمنظمة لكل من:

١. عواصم ومدن الدول الأعضاء في منظمة المؤتمر الإسلامي، كأعضاء عاملين.

٢. عواصم ومدن الدول غير الأعضاء في منظمة المؤتمر الإسلامي، كأعضاء مراقبين.

٣. الوزارات والهيئات والمنظمات والجامعات والمعاهد ومراكز البحوث والمراكز الثقافية الإسلامية والأفراد، كأعضاء مشاركين.

١- الأعضاء العاملون:

هم العواصم الإسلامية المؤسسة للمنظمة عام ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م، وكذلك العواصم والمدن الإسلامية من الدول الأعضاء في منظمة المؤتمر الإسلامي والتي يقبل عضويتها المجلس الإداري، وتلتزم بأنظمة ولوائح المنظمة وتقوم بدفع الاشتراك السنوي المقرر ويكون للعضو العامل حق حضور المؤتمرات العامة وحق التصويت وحق الترشيح لعضوية المجالس الإداري، والمشاركة في فعاليات وأنشطة المنظمة والاشتراك في لجانها المختلفة بالإضافة إلى تمتعه بكافة المزايا والمعلومات التي توفرها المنظمة لأعضائها.

٢- الأعضاء المراقبون:

هم العواصم والمدن بالدول غير الأعضاء في منظمة المؤتمر الإسلامي، والتي يقبل عضويتها المجلس الإداري للمنظمة، وتلتزم بأنظمة المنظمة وتدعم أهدافها وتقوم بسداد الاشتراك السنوي المقرر،

ويكون للعضو المراقب حق حضور المؤتمرات العامة بدون حق التصويت ولا يكون له حق الترشيح لعضوية المجلس الإداري وله أن يشارك في فعاليات وأنشطة المنظمة والاشتراك في لجانها المختلفة إذا طلبت منه المنظمة ذلك بالإضافة إلى تمتعه بكافة المزايا والمعلومات التي توفرها المنظمة.

٣- الأعضاء المشاركون:

هم الوزارات والهيئات والمنظمات والجامعات والمعاهد ومراكز البحوث والمراكز الثقافية الإسلامية والأفراد والمؤسسات وشركات القطاع العام والخاص والجمعيات ذات النفع العام وذات الاهتمام والصلة بأهداف المنظمة وأنشطتها والتي يقبل عضويتها المجلس الإداري للمنظمة وتلتزم بأنظمة ولوائح المنظمة وتدعم أهدافها كما تقوم بدفع الاشتراك السنوي المقرر، ويكون للعضو المشارك حق حضور المؤتمرات العامة كما يمكنه الاشتراك في لجانها المختلفة بدون حق التصويت إذا طلبت منه الأمانة العامة للمنظمة ذلك ولا يكون للعضو المشارك حق الترشيح لعضوية المجلس الإداري وله أن يشارك في فعاليات وأنشطة المنظمة بالإضافة إلى تمتعه بكافة المزايا والمعلومات التي توفرها المنظمة.

هيئات المنظمة

تتألف منظمة العواصم والمدن الإسلامية من الهيئات الاربع التالية: المؤتمر العام، المجلس الإداري، الأمانة العامة، صندوق التعاون.

١- المؤتمر العام:

هو الهيئة العليا للمنظمة التي ترسم سياستها العامة بما يتلاءم مع أهدافها واتجاهاتها، ويقوم المؤتمر العام بإقرار النظم واللوائح الأساسية لهيئات المنظمة وأنشطتها وإصدار التوصيات للأعضاء في مجالات الإدارة والتنمية المحلية. ويقوم المؤتمر العام بانتخاب أمين عام المنظمة وأعضاء المجلس الإداري وتعيين مراقب الحسابات كما يقوم بتحديد قيمة الاشتراكات السنوية للأعضاء وإقرار الحساب الختامي ومشروع ميزانية المنظمة للدورة المقبلة.

ويتألف المؤتمر العام من الأعضاء العاملين وهم ممثلو العواصم والمدن الأعضاء وينعقد في دورة عادية مرة واحدة كل ثلاثة أعوام ويرأسه أمين العاصمة أو رئيس بلدية المدينة التي ينعقد فيها المؤتمر أو من يمثله.

٢- المجلس الإداري:

هو الهيئة الادارية للمنظمة ولصندوق التعاون ويجتمع سنوياً في دورة عادية، ويتولى:

١. متابعة تنفيذ توصيات المؤتمر العام.
٢. وضع الخطط والبرامج لتحقيق أهداف المنظمة لاعتمادها من قبل المؤتمر العام.
٣. إقرار اللوائح الداخلية للمنظمة وتوجيه الأمانة العامة لتحقيق أهداف المنظمة ومراجعة الأنظمة الخاصة بهيئات المنظمة وأنشطتها واقتراح أي تعديلات لازمة عليها لإقرارها من المؤتمر العام.
٤. إسقاط عضوية العضو أو تعليقها وفقاً لأحكام النظام الأساسي للمنظمة.

٥. بحث الميزانية العمومية للمنظمة ولصندوق التعاون لإقرارهما من المؤتمر العام.
٦. اتخاذ القرارات اللازمة لتسيير أعمال المنظمة خلال الفترة الواقعة بين فترات انعقاد المؤتمر العام.
٧. القيام بأعمال مجلس إدارة صندوق التعاون.

تشكيل المجلس الإداري

- الحد الأقصى لعدد أعضاء المجلس الإداري للمنظمة ولصندوق التعاون ثمانية وعشرين عضواً كالتالي:
- مكة المكرمة - المدينة المنورة - القدس الشريف - أمين عام المنظمة أعضاء دائمين.
- اثنان وعشرون عضواً عاملاً كحد أقصى ينتخبهم المؤتمر العام لمدة ثلاثة أعوام قابلة للتجديد.
- العاصمة أو المدينة العضو بالمنظمة وليست عضواً منتخباً بالمجلس الإداري إذا تقرر عقد المجلس بها وتكون عضويتها محددة بدورة ذلك المجلس.
- العاصمة أو المدينة العضو بالمنظمة وليست عضواً منتخباً بالمجلس الإداري إذا تقرر عقد المؤتمر العام بها وتكون عضويتها محددة بدورة ذلك المؤتمر.

٣- الأمانة العامة:

هي الهيئة التنفيذية للمنظمة التي تتولى إدارة وتنفيذ الأعمال الفنية والإدارية والمالية ويرأسها أمين عام يتم انتخابه من قبل المؤتمر العام لمدة ثلاث أعوام قابلة للتجديد.

يقوم الأمين العام أو من يمثله بتمثيل المنظمة لدى الهيئات والمنظمات الدولية بالمؤتمرات والندوات العلمية كما يقوم باتخاذ الإجراءات اللازمة لعقد المؤتمرات والندوات والحلقات الدراسية التي تنظمها المنظمة وتوجيه الدعوات للمتخصصين للمشاركة فيها، كما يتولى الأمين العام إعداد أنظمة هيئات المنظمة وأنشطتها واللوائح الداخلية لها وإقرارها من المجلس الإداري، وتقوم الأمانة العامة بإعداد التقارير الخاصة بأنشطة المنظمة والميزانية وتقديمها للمجلس الإداري وللمؤتمر العام للإقرار.

٤- صندوق تعاون العواصم والمدن الإسلامية:

يوفر الصندوق آلية مالية تساهم في تحقيق أهداف المنظمة من خلال تقديم المنح والقروض الحسنة إلى بلديات العواصم والمدن الأعضاء بالمنظمة. وتتركز أهداف الصندوق على دعم:

١. مشاريع التنمية المتواصلة لبلديات الأعضاء التي تستهدف الارتقاء بمستوى الخدمات العامة والمرافق البلدية والحفاظ على البيئة.
٢. أعمال حماية وصيانة المعالم التراثية الإسلامية
٣. البحث العلمي والفني في جميع المجالات المتعلقة بالبلديات وتعزيز وسائله التطبيقية.
٤. برامج ومشاريع إنشاء وتنمية مراكز بناء القدرات المعنية بتطوير المهارات والتقنية اللازمة أنشطة الأعضاء كشئون الإدارات المحلية ونظم إدارة المعلومات والحفاظ على البيئة التراث وشئون النقل الحضري وصيانة الخدمات.

وتتكون الموارد المالية للصندوق من:

١. اشتراك سنوي لعضو المنظمة يوازي نصف اشتراكه في المنظمة.
٢. مساهمات ترد من منظمة المؤتمر الإسلامي أو أحد الأجهزة المرتبطة به.
٣. مساهمات مباشرة من الحكومات والمؤسسات والأفراد.
٤. مبالغ نقدية أو تبرعات عينية توقف لأهداف الصندوق وتستثمر لتحقيق أهدافه.

أنشطة المنظمة

أولا: المؤتمرات الدولية والحلقات الدراسية

تعقد المنظمة سلسلة من المؤتمرات الدولية والحلقات الدراسية بالاشتراك مع هيئات الأمم المتحدة والمنظمات الدولية والإقليمية لطرح الموضوعات العلمية المتخصصة في الشئون البلدية والتي تتناول المشاكل الرئيسية التي تعاني منها المدن الأعضاء من أجل تحديد ووضع الأسس والوسائل الخاصة بتحقيق التنمية المتواصلة بالمستوطنات البشرية بالمدن الإسلامية، ويتم توثيق هذه النشاطات بمختلف وسائل الطباعة والنشر.

ثانيا: الدراسات التحليلية

تجري المنظمة سلسلة من الدراسات التحليلية عن العمارة والعمران والمدن الأعضاء التي تزخر بالتراث المعماري

والعمراني الإسلامي، لاستنباط أسس وأساليب التصميم المعماري والحضري في العصور الإسلامية المتتابعة لكي تكون مرجعاً علمياً يوضع في متناول الجامعات والمعاهد المتخصصة والوزارات والنقابات والبلديات في العالم الإسلامي. وذلك بهدف العمل على إحياء التراث العمراني الإسلامي بالاسترشاد بهذه الأسس والأساليب في أعمال التنمية العمرانية الجارية بالعواصم والمدن الأعضاء.

ثالثا: جوائز المنظمة

تخصص المنظمة جائزة دورية كل ثلاث أعوام تهدف لدعم أهداف المنظمة فيما يتعلق بالحفاظ على هوية وتراث العواصم والمدن الإسلامية ودعم التنمية المتواصلة بها، وتشجيع الخبراء والمتخصصين للتأليف والنشر في المجالات البلدية لأثراء المكتبة الإسلامية ببحوث علمية ومراجع تعتمد الأسلوب العلمي المعاصر وترتبط بالبيئة والتراث الإسلامي، وتشجيع البلديات والملاك والمصممين المعماريين والحضريين وخبراء البيئة والمؤلفين والباحثين والمقاولين وأصحاب الحرف التراثي، للسير في نهج الحفاظ على هوية وتراث العواصم والمدن الإسلامية،، وتوزع تلك الجوائز خلال انعقاد المؤتمرات العامة للمنظمة.

تمنح الجوائز في المجالات التالية:

جوائز التأليف أو التحقيق أو الترجمة في المجالات التالية:

- جائزة العمارة.
- جائزة التخطيط الإقليمي والعمراني.
- جائزة الخدمات البلدية والمرافق والبيئة.
- جائزة الإدارة والأنظمة البلدية وتشريعات البيئة والعمران.

جوائز المشروعات والخدمات البلدية في المجالات التالية:

- جائزة العمارة.
- جائزة التخطيط العمراني و الإقليمي.
- جائزة التحسين والتجميل والتشجير.
- جائزة حماية البيئة والتنمية المتواصلة.

جوائز البحث العلمي في المجالات التالية:

- جائزة العمارة.
- جائزة التخطيط الإقليمي والعمراني
- جائزة الخدمات البلدية والمرافق والبيئة.
- جائزة الإدارة والأنظمة البلدية وتشريعات البيئة والعمران.

رابعا: مجلة العواصم والمدن الإسلامية

تصدر المنظمة مجلتها الرسمية المحكمة نصف السنوية من مكة المكرمة حيث تهتم بشئون التنمية المتواصلة للعواصم والمدن الإسلامية ومنها شئون التخطيط والعمارة والخدمات العامة والإسكان والنقل الحضري والبيئة والصحة والسلامة ونظم الإدارة والصيانة والحفاظ على التراث الإسلامي والتعاون الدولي.

خامسا: إنشاء قاعدة معلومات العواصم والمدن الأعضاء

تجري المنظمة دراسات لوضع أسس تصميم وتنفيذ نظام لقاعدة معلومات متطورة تتضمن معلومات عن العواصم والمدن الأعضاء والمشروعات والموضوعات والأنشطة التي تقوم بها المنظمة.

سادسا: تمويل المشروعات

تساهم المنظمة من خلال صندوق تعاون العواصم والمدن الإسلامية في تمويل بعض المشروعات التنموية التي تستهدف الارتقاء بمستوى الخدمات والمرافق البيئية بالعواصم والمدن الأعضاء بالمنظمة ودعم أعمال حماية وصيانة المعالم التراثية ذات القيمة الحضارية ودعم مشاريع إنشاء وتنمية مراكز التدريب المهني لتطوير المهارات الخاصة بأعمال البلديات.

سابعا: برنامج التعاون الفني والتقني

أنشئ برنامج للتعاون الفني والتقني ضمن إطار صندوق تعاون العواصم والمدن الإسلامية بهدف إتاحة الفرصة لتطوير وتبادل الخبرات والمعلومات والبحوث والدراسات وحشد الطاقات الفنية والإدارية المطلوبة عن طريق تعزيز التعاون الفني والإداري فيما بين البلديات من أجل بناء قدراتها التنموية وتحقيق أهدافها الاقتصادية والاجتماعية وتتضمن أنشطة البرنامج انتداب الخبراء والمتخصصين للقيام بمهام التدريب.

ثامنا: تبادل الزيارات

تقوم المنظمة بإعداد برامج لتبادل الزيارات بين مسئولي البلديات والإدارة المحلية في العواصم والمدن الأعضاء بهدف توسيع المعرفة والاطلاع على خبرات الغير في المجالات البلدية المتعددة ومنها هياكل الإدارة التنظيمية وذلك للاستفادة من التجارب الناجحة في مواجهة ما يعتريها من مشاكل وصعوبات إدارية وتنظيمية وبيئية وتنموية.

تاسعا: إقامة المعارض

تقيم المنظمة معارض تبرز مشروعاتها التي انجزتها بالعواصم والمدن الاعضاء كما تعرض الإنجازات المتميزة للبلديات الأعضاء بالمنظمة والمشاريع الفائزة بجوائز المنظمة وتقام هذه المعارض عادة ضمن فعاليات المجالس الإدارية والمؤتمرات العامة.

العلاقات الدولية والإقليمية

الصفات الاستشارية:

١. الصفة الاستشارية العامة لدى المجلس الاقتصادي الاجتماعي بالأمم المتحدة (UN-ECOSOC).
٢. الصفة الاستشارية لدى صندوق الأمم المتحدة لرعاية الطفولة (UNICEF).
٣. الصفة الاستشارية لدى منظمة الأمم المتحدة للتنمية الصناعية (UNIDO).

العضوية بالمنظمات الدولية:

١. مؤتمر المنظمات غير الحكومية بالأمم المتحدة (CONGO).
٢. المجلس العالمي للمبادرات البيئية المحلية (ICLEI).
٣. المجلس العالمي للآثار والمواقع (ICOMOS).
٤. اللجنة التنفيذية للمجلس العالمي للمبادرات البيئية المحلية (ICLEI).
٥. مركز التعاون الأوروبي العربي (V.E.A).
٦. علاقة مشاركة لدى إدارة المعلومات التابعة للأمم المتحدة (UN-DOI).

العضوية كمراقب:

١. منظمة المؤتمر الإسلامي (OIC).
٢. البنك الإسلامي للتنمية (IDB).
٣. المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (ISESCO).
٤. مركز البحوث الإسلامية للتاريخ والفنون والثقافة (IRCICA).
٥. مركز التدريب والبحوث الإحصائية والاقتصادية والاجتماعية للأقطار الإسلامية (SESRTCIC).
٦. المنظمة العربية للتربية والعلوم والثقافة التابعة لجامعة الدول العربية (ALECSO).
٧. الاتحاد الإسلامي لمالكي البواخر.
٨. الغرفة الإسلامية للتجارة والصناعة.

اتفاقيات الصداقة والتعاون:

عقدت المنظمة اتفاقيات صداقة وتعاون مع المؤسسات والمنظمات ذات الاهتمام المشترك وهي:

١. البنك الإسلامي للتنمية (IDB).
٢. منظمة المدن العربية (ATO).
٣. مركز البيئة والتنمية للإقليم العربي وأوروبا (CEDARE).
٤. كلية التخطيط الإقليمي والعمراني- جامعة القاهرة.
٥. مركز الأمم المتحدة للمستوطنات البشرية (HABITAT).
٦. منظمة المدن المتحدة (UTO).
٧. الاتحاد العالمي للسلطات المحلية (IULA).
٨. الجمعية العالمية للمدن الرئيسية (METROPOLIS).
٩. اتحاد المدن الأفريقية (ATU).
١٠. الجمعية الدولية للتصوير الفوتوجرامتري والاستشعار عن بعد (ISPRS).

تهدف تلك الاتفاقيات إلى:

- تبادل الخبرات بين العواصم والمدن الأعضاء بالمنظمة والمؤسسات والمنظمات السابق ذكرها والتي من شأنها أن تسهم في تحقيق التنمية المتواصلة بالمستوطنات البشرية للمدينة الإسلامية
- توسيع نطاق التعاون وتوثيق العلاقات بين تلك المؤسسات والمنظمات وبين العواصم والمدن الأعضاء بالمنظمة.
- تبادل الزيارات والخبراء والمعلومات وتنظيم الدورات التدريبية والندوات والمؤتمرات العلمية.
- إجراء الدراسات وبلورة وتنفيذ المشاريع التنموية للعواصم والمدن الأعضاء.
- تسهيل وسائل الاتصالات والتعاون بين المؤسسات والمنظمات المعنية بشئون المستوطنات البشرية وبين المنظمة.

وسائل الاتصال:

مقر منظمة العواصم والمدن الإسلامية
ص.ب ٢٩١٩ مكة المكرمة
المملكة العربية السعودية
هاتف ٥٥٠٥١٩٥ ٢ ٩٦٦+
فاكس ٥٥٠٥٠٩٥ ٢ ٩٦٦+

مقر الأمانة العامة لمنظمة العواصم والمدن الإسلامية
ص.ب ١٣٦٢١ جدة ٢١٤١٤
المملكة العربية السعودية
هاتف ٦٩٨١٩٥٣ ٢ ٩٦٦+
فاكس ٦٩٨١٠٥٣ ٢ ٩٦٦+

مكتب اتصال منظمة العواصم والمدن الإسلامية بالقاهرة
١٨ شارع أمين سامي المتفرع من شارع القصر العيني
بريد زين العابدين
الرمز البريدي ١١٤٤١ القاهرة
جمهورية مصر العربية
هاتف وفاكس ٢٠٢٧٩٦٢٩٢٢ +

موقع المنظمة على الانترنت: www.oicc.org

تقديم

الحمد لله رب العالمين ...وأصلي وأسلم على أشرف المرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين

نحمد الله عز وجل أن وفقنا لإنهاء أعمال الدراسة التحليلية الثانية (أسس التصميم المعماري والتخطيط الحضري في العصور الإسلامية المختلفة - دراسة تحليلية على العاصمة صنعاء) لما تتميز به العاصمة صنعاء من تراث معماري وعمراني إسلامي فريد. وتقوم منظمة العواصم والمدن الإسلامية بإصدار هذه الدراسة في إطار سلسلة من الدراسات لاستنباط أسس التصميم المعماري والتخطيط الحضري في العصور الإسلامية المختلفة بالعواصم والمدن الأعضاء بالمنظمة التي تزخر بالتراث المعماري والعمراني الإسلامي المتميز، والتي كانت باكورتها الدراسة التحليلية على العاصمة القاهرة والتي تم صدورها عام ١٩٩٠م بالاشتراك مع محافظة القاهرة بجمهورية مصر العربية.

وتتلخص أهم أهداف الدارسة فيما يلي:

- دعم منظومة العمل على إحياء التراث المعماري والعمراني الإسلامي من خلال توثيق وتحليل الأسس والمعايير المستنبطة في الدراسة في مجالي العمارة والتخطيط لمعرفة أسس التصميم المعماري والحضري والتي يمكن أن تؤثر بصورة مباشرة على التنمية العمرانية بالمدن لاستخدامها في أعمال التنمية العمرانية بالمدن الإسلامية.
- تقديم الأدوات التنفيذية للمخططين والمعماريين والعاملين في مجال البلديات لتوفير بيئة الإبداع والابتكار للمعماري في ضوء من أسس التراث المعماري والعمراني الإسلامي لإفراز خصوصية البيئة المحلية للمدينة الإسلامية.
- سد النقص في المكتبة الإسلامية في مجال توثيق وتحليل التراث المعماري والعمراني الإسلامي بأن تكون هذه الدراسة مرجعاً علمياً في متناول الجامعات ومراكز البحوث والبلديات والمعاهد المتخصصة بالعالم الإسلامي.

وتأتي هذه الدراسة في إطار العمل على تحقيق أهم أهداف منظمة العواصم والمدن الإسلامية وهي الحفاظ على هوية وتراث العواصم والمدن الإسلامية والعمل على إيجاد وتطوير معايير وأنظمة ومخططات حضرية شاملة تخدم نمو وازدهار العواصم والمدن الأعضاء.

ويطيب لي بهذه المناسبة أن أتوجه بالشكر لصاحب المعالي الأخ الكريم الأستاذ/ أحمد محمد الكحلاني، أمين العاصمة صنعاء لدعمه المتواصل لمراحل الدراسة والعمل على تذليل كافة العقبات التي واجهتها في مراحلها المختلفة، كما أخص بالذكر معالي الأخ الكريم العميد/ حسين محمد المسوري، أمين العاصمة صنعاء السابق الذي قام بتوقيع عقد الدراسة التحليلية مع المنظمة عام ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م. ولدعمه الكبير وحماسه المشهود لبدء أعمال الدراسة ودعمها في باكورة مراحلها، كما أتقدم بالشكر لمركز الطاهر للاستشارات الهندسية وعلى رأسه سعادة الأستاذ الدكتور/ عبد الرقيب طاهر، رئيس المركز، الذي أعطى نموذجاً يحتذى به في الالتزام والأداء الجيد والعمل المخلص لإنهاء الدراسة بالمستوى اللائق لعالمنا الإسلامي، ولسعادة الأستاذ الدكتور/ يوسف محمد عبد الله رئيس اللجنة العلمية المكلفة من قبل مركز الطاهر بالإشراف على الدراسة، كما يسرني أن أتقدم بالشكر الجزيل لسعادة الأستاذ الدكتور/ صالح لمعي رئيس مركز إحياء تراث العمارة الإسلامية وبالدعاء الخالص لسعادة الأستاذ الدكتور/ عبد الباقي إبراهيم (رحمه الله) واللذين قاما بالإشراف على مراحل الدراسة كأعضاء باللجنة العلمية المكلفة بالإشراف عليها . ولا يفوتنا في هذه المناسبة أن نذكر بالعرفان والتقدير الدور الحيوي الذي قام به معالي الدكتور عبد القادر كوشك (رحمه الله) الأمين العام السابق للمنظمة في الإعداد لتوقيع عقد الدراسة.

وأرجو من الله عز وجل أن تساهم دراستنا هذه في العمل على تحقيق أهداف المنظمة للانطلاق قدماً نحو تنمية متواصلة للعواصم والمدن الإسلامية نضمن فيها الحفاظ على خصوصيتها وتراثها ونساهم جميعاً فيها بكل إخلاص لتنمية مجتمعاتنا الإسلامية التي تتطلع إلى التقدم والنمو والازدهار، وأسال الله عز وجل العون والتوفيق والسداد،،،

﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون﴾

مهندس/ عمــر عبــد الله قاضي

أمين عام منظمة العواصم والمدن الإسلامية

تقديم

نحمد الله ونشكره أن وفقنا في الانتهاء من أعمال إعداد الدراسة التحليلية ((أسس التصميم المعماري والتخطيط الحضري في العصور الإسلامية المختلفة ـ دراسة تحليلية على العاصمة صنعاء)) وهي حلقة من سلسلة دراسات تقوم بها منظمة العواصم والمدن الإسلامية في إصدارها لاستنباط أسس التصميم المعماري والتخطيط الحضري في العصور الإسلامية المختلفة بالاشتراك مع مسئولي إدارة العواصم والمدن الإسلامية وفقاً للأهداف المرسومة والمقرة. ويأتي إنجاز هذه الدراسة نتاجاً للجهود المشتركة بين منظمة العواصم والمدن الإسلامية وأمانة العاصمة صنعاء وفي إطار برنامج التعاون المتبادل.

كما كان لمركز الطاهر للاستشارات الهندسية الدور الفعال والكبير في إعداد الدراسة وإخراجها بشكلها النهائي وبمستوى عالٍ سواء من حيث نوعية المادة العلمية وجودة الشكل ومضمونه أو من حيث التوافق والتكامل بين موضوعات الدراسة وسلاسة تنسيقها، وما هذا إلا تعبير عما يوليه المركز من اهتمام بدراسة وتوثيق التراث المعماري، والتراث الثقافي الحضري.

ومن خلال تتبعنا المستمر لمراحل عمل الدراسة من منهجية وآليات وعمليات توثيق تحليل واستنباط نخلص إلى القول بأنها إضافة علمية متميزة عملت على تحقيق كل الأهداف المرسومة لها، هذا بالإضافة إلى ما خرجت به من تحقيق وإبراز للكثير من المعلومات والحقائق العلمية المتفردة عن العاصمة صنعاء والتي كان من شأنها الارتقاء النوعي بالمادة العلمية كما ساعدت في إبراز العديد من الخصائص والأسس والقيم المعمارية لطراز معماري إسلامي أسهم وعلى مر العصور الإسلامية في تطور الفنون المعمارية الإسلامية ورفدها بالكثير من تجاربه.

وجدير بالذكر أن صنعاء قد اختيرت من المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم عاصمة للثقافة العربية عام ٢٠٠٤م إبرازاً للقيم الحضارية للمدينة وتثميناً لما تزخر به من تراث وما تتطلع به من دور رئيسي في دعم الإبداع الثقافي والفكري والفني واعترافاً بتميز تراثها الثقافي الحضري ومعمارها الفريد.

كما أن صنعاء قد حظيت منذ أوائل العقد التاسع من القرن العشرين بشرف الانضمام إلى قائمة التراث العالمي ونالت دعماً دولياً مشهوداً. وبهذه المناسبة أتوجه بالشكر لصاحب المعالي المهندس/ عمر عبد الله قاضي أمين عام منظمة العواصم والمدن الإسلامية لما بذله من جهود كبيرة في متابعة مراحل أعمال الدراسة وما قدمه من دعم متواصل وما عمله في تذليل كل العقبات التي واجهتها. ومن خلاله أتوجه بالشكر والتقدير لكل أعضاء اللجنة العلمية المشكلة من قبل المنظمة لجهودهم في عملية متابعة مراحل إنجاز أعمال الدراسة، كما نذكر بالعرفان والتقدير لما قام به معالي الدكتور/ عبد القادر كوشك (رحمه الله) الأمين العام السابق للمنظمة في الإعداد لتوقيع عقد الدراسة.

كما يطيب لي أن أوجه الشكر والتقدير لمركز الطاهر للاستشارات الهندسية، رئيسه ورئيس وأعضاء اللجنة العلمية الإشرافية وفريق العمل العلمي والفني والإداري، لما قدموه من عمل نموذجي ومتميز يعكس ما بذل من جهد والتزام وحرص وإخلاص على إنهاء الدراسة بهذا المستوى. كما يسرني أن أتقدم بالشكر لكل من عمل واسهم في تقديم العون المعنوي وفي تذليل العقبات والعراقيل التي واجهت أعمال الدراسات الميدانية والتوثيقية من أفراد ومؤسسات رسمية وشعبية.

وأتقدم بالشكر والتقدير لمعالي العميد/ حسين محمد المسوري أمين العاصمة صنعاء (سابقاً) لما بذله من جهود وما قدمه من عون في التحضير لتوقيع عقد الدراسة ومتابعته لمراحلها الأولى. وأذكر بالشكر والتقدير أيضاً كل من عمل على متابعة أعمال الدراسة أو من قدم العون والمساعدة في تذليل العراقيل والصعاب أمامها، بمن فيهم قياديو وموظفي وعمال أمانة العاصمة صنعاء.

وأرجو من الله عز وجل أن تسهم هذه الدراسة في تحقيق الأهداف التي رسمت لها.

أحمد محمد الكحلاني
أمين العاصمة صنعاء

كلمة شكر

تصدر هذه الدراسة في إطار سلسلة دراسات تقوم بها منظمة العواصم والمدن الإسلامية تحت اسم (**أسس التصميم المعماري والتخطيط الحضري في العصور الإسلامية المختلفة**).

وبهذه المناسبة نذكر بالشكر والعرفان معالي المهندس/ **عمر عبد الله قاضي** الأمين العام لمنظمة العواصم والمدن الإسلامية لما بذله من جهود في متابعة مراحل عمل الدراسة، ولما أبداه من تفهم ساعد في تذليل الكثير من الصعاب، الأمر الذي كان له أثر واضح على هذا الإنجاز العلمي. وبهذا الخصوص نذكر بالعرفان الدور الهام الذي قام به المرحوم الدكتور/ **عبد القادر كوشك** الأمين العام السابق للمنظمة في بلورة فكرة الدراسة وفي التحضير الأولي لإسناد مشروع الدراسة.

ونذكر بالشكر والعرفان معالي الأستاذ/ **أحمد محمد الكحلاني** أمين العاصمة صنعاء لما بذله من جهد في متابعة أعمال الدراسة وشملها برعايته، وبهذا الخصوص نذكر بالشكر والعرفان معالي العميد/ **حسين محمد المسوري** أمين العاصمة صنعاء السابق والذي كان له دور هام في التحضير الأولي للإسناد ولمتابعة أعمال الدراسة ورعايتها في الثلاث المراحل الأولى للمشروع.

ونذكر بالشكر والتقدير ما قام به الأستاذ الدكتور/ **عبد الباقي إبراهيم** (رحمه الله)، والأستاذ الدكتور/ **صالح لمعي** عضوا لجنة التوجيه والمتابعة من جهود بناءة في مراجعة المادة وإسداء النصح المفيد وتقديم الرأي السديد.

وكما نذكر بالشكر كلاً من: الأستاذ/ محمد العمري، وكيل أمانة العاصمة صنعاء، والمهندس/ **عبد القوي طالب** مدير عام التخطيط بالأمانة وكذلك المهندس/ **أحمد الجرموزي** مدير عام التخطيط السابق في أمانة العاصمة صنعاء، لمتابعتهم أعمال الدراسة، ونشكر أيضاً الأستاذ/ **حمدي السنيدار** أمين العاصمة المساعد سابقاً للدور الذي قام به في مراحل التحضير الأولي لإسناد مشروع الدراسة.

ويتواصل الشكر والتقدير لكل من مدَّ لنا يد العون والمساعدة في الحصول على الوثائق والصور القديمة والخرائط والمعلومات.

وأخيراً لا ننسى أن نشكر فريق العمل من أساتذة ومهندسين وفنيين وإداريين، لما بذلوها من جهود كبيرة في إنجاز هذا العمل حيث عملوا دون كلل أو ملل خلال مدة الدراسة، على الرغم مما واجهوه من المشاق والصعاب والعراقيل أثناء العمل الميداني، ولم يتوانوا عن مواصلة السهر وتحمل قسوة الشتاء، بل ازدادوا ثقة وعزيمة وإخلاصاً، فجزاهم الله خير الجزاء.

رئيس لجنة الإشراف العلمي
أ.د. يوسف محمد عبد الله

رئيس المركز
أ.د. عبد الرقيب طاهر

المحتويات

المقدمة

تشكل هذه الدراسة حلقة في سلسلة من الدراسات التي تقوم بها منظمة العواصم والمدن الإسلامية لعدد من المدن الإسلامية التي تزخر بتراث معماري وحضري بديع. وبهذا العمل الجليل تهدف المنظمة إلى إعداد موسوعة معمارية متكاملة توثق العمارة في الإسلام وتبرز وتوضح أسس التصميم المعماري والتخطيط الحضري للمجتمعات الإسلامية التي قامت عمارة وعمراناً وفق معطيات التراث الإسلامي وفنونه المعمارية بأنماطه وطرقه المتعددة والمتنوعة، وبتنوع واختلاف خصائص المؤثرات البيئية الطبيعية والمؤثرات الإنسانية التاريخية، الثقافية والاجتماعية، في مختلف العصور.

وعلى الرغم من كبر حجم المخزون الثقافي الحضري للتراث المعماري الإسلامي، فإن مستوى الاهتمام بدراسته للاستفادة من تجاربه الغنية بتراكمها المعرفي لم يرق إلى المستوى الذي ينبغي أن يكون عليه، وذلك لكون المعمار الحديث في المجتمعات الإسلامية لم يحصل على القدر الكافي من الدراسة العملية وفق المعارف المعمارية، التخطيطية والتصميمية، كما أن الدعوة إلى إفراز عمارة وتخطيط حديثين ينبعان من البيئة والمجتمع الإسلامي وبما يواكب المعطيات والمتطلبات العصرية ربما تكون دعوة لما لا يطاق، حيث أن فاقد الشيء لا يعطيه. ولهذا فإن أهداف هذه الدراسات المعمقة هو إيجاد أساس مرجعي متكامل ومفصل يخدم هذا الغرض. ولمجمل هذا البيان تبرز أهمية هذه الدراسة، أكان ذلك في الإطار العام لسلسة هذه الدراسات (الموسوعة المتكاملة)، أو في الإطار الخاص لسلسلة الدراسات التي تعنى بعمارة صنعاء والعمارة اليمنية.

ولهذه الدراسة قيمة توثيقية تاريخية ومعمارية، وظيفية وجمالية، لما استخلصته من خصائص وقيم معمارية ولما أفرزته من مبادئ وأسس تخطيطية وتصميمية حضرية ومعمارية لطراز معماري متميز ومتفرد موغل في قدمه، وفي الوقت نفسه مازال الماضي يحيا في الحاضر. نما وتطور بتراكم المعارف وتواترها المنتظم، وانتشر تأثيره في أرجاء واسعة من اليمن، وبشكل نسبي متفاوت، منتجاً أنماطاً مختلفة. ويتسع حجم التباين فيه كلما اتسعت دائرة الانتشار، وبتنامي انتشاره في العقدين الأخيرين من القرن العشرين، قلت الفوارق نسبياً، ولعفوية التعامل مع الموروث حمل هذا التأثير الكثير من السلبيات، وهذا نتاج طبيعي وتحصيل حاصل لاغتراب المعمار عن تراثه الثقافي المعماري.

وعلى الرغم من وجود هذه السلبيات إلا أن تنامي الوعي بأهمية التراث والحفاظ عليه وإحيائه والاستفادة من تجربته شكل ضمانة الزمن بتصحيح المسار، وهي قيمة إضافية أخرى تكتسبها هذه الدراسة. وفي ضوء ما تم إيضاحه فإن هذه الدراسة في إطارها الخاص أو ضمن الإطار العام ينبغي أن تسهم في إثراء مجالات نوعية متعددة أهمها:

- رسم سياسات وبرامج تخطيط التنمية الحضرية.
- تطوير التشريعات والقوانين واللوائح والأنظمة للحفاظ على التراث الثقافي الحضري والمعماري.
- تطوير ووضع المعايير القياسية لعمليات الحفاظ وإحياء التراث الثقافي الحضري والمعماري والتخطيط والتصميم الحضري والمعماري والبناء.
- الارتقاء النوعي والكمي بحجم المعارف المعمارية كمرجعية يستفيد منها طلاب العمارة والآثار والتاريخ والهندسة المدنية والباحثون والأساتذة وكذلك المسئولون والعاملون في المجالات ذات العلاقة.
- إغناء المكتبة المعمارية العامة والمتخصصة في الجامعات والكليات والمعاهد والأقسام ذات العلاقة بشكل عام وأقسام العمارة والآثار والفنون الجميلة بشكل خاص.
- الارتقاء بمستوى الوعي بأهمية التراث الثقافي والعناية به والحفاظ عليه وإحيائه وتأصيله والاستفادة منه.

إن تعدد وتنوع التأثيرات الثقافية الخارجية المختلفة لتعاقب سيطرة عدة أصول مذهبية أو عرقية على المدينة الإسلامية قد أثر في تكوين نسيجها المعماري وفي الأنماط والطرق المعمارية. وتتضح ملامحها وحدودها وموقعها في هذا النسيج بتباين حجم وقوة هذه التأثيرات من مدينة إلى أخرى. وتزداد حدة هذه التأثيرات في المدن الواقعة ضمن الحزام النشط للصراعات السياسية والثقافية بين الحضارات المختلفة أو بين الأصول المذهبية والعرقية في المجتمع الإسلامي. ومن أهم المدن التي تتضح فيها ملامح وحدود الأنماط والطرق المعمارية لعدد من فنون العمارة الإسلامية المختلفة هي القاهرة ودمشق والقدس وحلب وكذلك بغداد والبصرة، فيما يقل حجم هذه التأثيرات في المدن ويتدرج كلما ابتعدت عن مراكز الصراع الرئيسية في هذا الحزام، مثل تونس والقيروان وفاس، ويقل وإلى أدنى حدوده في مراكش وزبيد وصنعاء وشبام حضرموت وغيرها.

إن عمارة مدينة صنعاء لا تعبر في حقيقة الأمر إلا عن نمط عمارة لطراز معماري واحد أست أسسه ورفعت الدعائم الأولى لهيكله قبل الإسلام، وأفاد من الإسلام الحنيف وتعاليم وأحكام تشريعاته في تقويم بنائه وبث الروح فيه. وقد أسهم هذا الطراز ومنذ البدايات الأولى في نشر الدعوة الإسلامية فصاغ جملة من الأسس المعمارية (التخطيطية والتصميمية والتقنية) التي عملت مع بقية فنون العمارة في الأقاليم التي انتشر الإسلام فيها، كالشام ومصر والعراق وفارس وشمال أفريقيا والأندلس وبلاد السند وخراسان وآسيا الوسطى... وذلك في تشكيل نسق عدد كبير من الأنماط والطرز المعمارية المتباينة فيما بينها من حيث تباين عوامل التأثيرات الطبيعية (المتغيرات المكانية) وفروق عوامل التأثير الإنسانية وبخاصة التاريخية منها (المتغيرات الزمانية). وعلى الرغم من هذه التباينات إلا أن وحدة العقيدة كان لها الأثر الكبير في إرساء جملة من الثوابت التي حددت القواعد الأساسية لصياغة أهم الأسس التخطيطية والتصميمية المعمارية والتشكيل الزخرفي في تلك المدن، والتي من خلالها تتضح ملامح الوحدة المشتركة بين مختلف أنماط وطرز فنون العمارة الإسلامية.

على أن التكوين البنائي للنسيج المعماري لمدينة صنعاء القديمة نسق متسق مع مكوناته، فعلى الرغم من الاختلاف النوعي لوظائف المدينة وتباين مساحاتها وأحجامها وتنوع عناصر تشكيلها المعماري والزخرفي إلا أنها تبدو في هذا التكوين منسجمة ومتناغمة، كما أن نقاء وزهاء ألوانها الطبيعية قد أضفت على هذا التكوين المزيد من الحيوية المفعمة بالمرح، بالإضافة إلى الاستمرار المتواتر في سلوك التشكيل المعماري والزخرفي وتعاقب توارث تقنياته، وكذلك غنى التجربة والنهج المتزن في التعامل مع المؤثرات الثقافية الخارجية ودوره في دمجها وصهرها في إطار وحدة التكوين العام للنسيج. ونتيجة لوحدة هذه العلاقات ووثوق روابطها جاء تكوين هذا النسيج وكأنه معمار واحد، لم تؤثر فواصل الزمن وحدوده كثيراً في مكوناته وعناصره.

ولما كانت صنعاء لم تعرف سوى طرازٍ معماري واحد صاغته وعاشته وطورته في العصور المختلفة وفقاً لمعطيات ومتطلبات المتغيرات الزمانية لكل عصر وبتواتر تراكمي، فإن دراسة عمارتها وأسسها التخطيطية والتصميمية في كل عصر لا فضل كبير له في الواقع سوى فضل التوثيق التاريخي، كما أن الاقتصار على دراسة عينات لنماذج مختارة محددة تغييباً للكثير من المعلومات والتي بدونها لا يمكن استنباط الأسس وفق رؤى تحليلية متكاملة وسليمة. وفي ضوء هذا تم اعتماد منهجية تكاملية توافقية بين **الكل** وتمثله المدينة **والجزء** وتمثله النماذج المختارة وفق نموذج الحلقة الدائرية.

تتألف هذه الدراسة من ٢٣ موضوعاً مستقلاً وتتسلسل وفقاً للتكوين البنائي للدراسة ولعلاقات الربط الموضوعية وبشكل توافقي وتكاملي. ومن خلال الدراسة التحليلية أمكن استخلاص الكثير من الخصائص والقيم المعمارية التي تعكس مضامينها الأسس التخطيطية والتصميمية لعمارة صنعاء الإسلامية. وجرى تسلسل مواضيع الدراسة وفق بناء هيكلي أشبه ما يكون بهيكل بناء المدينة أو ببناء هيكل المبنى السكني فيها.

وتنقسم مواضيع الدراسة إلى ما يلي:

الموقع وخصائصه الجغرافية والتاريخية:

تمثل دراسة الموقع وخصائصه التاريخية والسكانية والطبيعية الأساس المعرفي لبقية الدراسات، ففي دراسته تم إيضاح موقع وحجم مدينة صنعاء القديمة المعنية بالدراسة في إطار صنعاء التاريخية والكبرى، كما تبين فيها أهم المؤشرات السكانية والمراحل التاريخية المختلفة التي تعكس صورة وحجم نمو وتطور المدينة. ويتمثل في الدراسة أيضاً البيان الموجز لأهم الخصائص الطبيعية كالتضاريس والجيولوجيا والموارد المائية والغطاء النباتي والمناخ؛ فالتأثير البيئي دليل استناد في تفسير المعالجات المعمارية البيئية للتحكم في تأثير العوامل البيئية الطبيعية، وعمارة صنعاء مثال رائد على ذلك.

الدراسات التحليلية التاريخية:

أفردت الدراسة ثلاثة مواضيع تعنى بتاريخ المدينة وهي:

- **تاريخ المدينة:** وأعتمد **التحليل** الوصفي الموجز لنشأة المدينة والأحداث التاريخية التي مرت بها وبتسلسل يتسق مع العصور والمراحل المتعاقبة.
- وصف مدينة صنعاء: وفيه تم الانتقاء النوعي والكمي لأهم ما سجله المؤرخون والرحالة عن عمران وعمارة مدينة صنعاء منذ (ق ٣هـ/٩م وحتى ١٣٥٩هـ/ ١٩٤٠م).
- **إدارة مدينة صنعاء القديمة:** تمحورت هذه الدراسة وبشكل تفصيلي على قانون صنعاء في العصر الحديث دون سواه والذي يعنى بالتجارة والأمن. إلا أن الدراسة توضح ضمناً وتبرز الكثير من ملامح الصورة لإدارة المدينة منذ بداية العصر الإسلامي.

الدراسات التحليلية التخطيطية:

تمت صياغة مواضيع التخطيط الحضري للمدينة في ضوء ما استخلص من الدراسات التحليلية للموقع وتاريخ المدينة وإدارتها ونشأتها وتطور عمارتها وعمرانها، وبما خرجت به الدراسات الميدانية والتي شملت المدينة كاملة بمكوناتها وعناصرها، وكذلك مما تم استخلاصه من الدراسات الميدانية والتحليلية التفصيلية للحارات التسع المختارة والأسواق والمنشآت والمباني الدينية والسكنية والتجارية والخدمية والإدارية والدفاعية. كل ذلك جرى بترابط موضوعي تكاملي مع المواضيع المعمارية العامة والتفصيلية والتي من خلالها أيضاً تم إيضاح الكثير من خصائص التخطيط الحضري وبتفصيل أكثر. ويتألف هذا الجزء من الدراسة من المواضيع الرئيسية الآتية:

- **نشأة وتطور عمارة مدينة صنعاء القديمة:** وذلك على أساس ما أوضحته المواضيع التاريخية الثلاثة السابقة والمخططات والخرائط القديمة وما خرجت به الدراسات الميدانية. وباعتماد التحليل الوصفي والمقارن، أمكن رسم ملامح هيئة المدينة في العصور والمراحل التاريخية المتعاقبة وإبراز أهم الخصائص المعمارية لكل مرحلة. ولأن كل محاور الدراسة تركزت حول العمارة التاريخية لمدينة إسلامية فريدة أنتجت طرازاً معمارياً واحداً، فقد خصصت ثلاثة مواضيع لتعنى بتاريخ المدينة وإدارتها، بالإضافة إلى موضوع نشأتها وتطورها المعماري، رغم أن التاريخ تخلل جميع مواضيع الدراسة الرئيسية والفرعية؛ فأهميته لا تكمن فقط في تحديد النشأة ورسم الصورة للتطور النوعي والكمي لنسيج المدينة ومكوناته ومادة وتقنية وسلوك التشكيل المعماري والزخرفي لهذه المكونات، بل في إبراز الخصائص والقيم المعمارية (الوظيفية والجمالية) لها أيضاً.
- **عناصر تكوين المدينة:** وفيه تم رسم **خارطة** مكونات نسيج المدينة داخل السور والمكونات ذات العلاقة خارج السور والتي يكتمل بها نسيجها العمراني وظيفياً. وتم في ذلك استعراض المكونات وفق تقسيمها النوعي وبإيجاز غير مخلّ.
- **خصائص التخطيط الحضري:** وفيه تم **استعراض** الإطار العام وبإيجاز مكثف بينا فيه التوسع نسبياً في مكونات المدينة ذات الفضاءات المكشوفة، كالطرق والساحات والمساحات الخضراء والسايلة. أما المكونات ذات الفضاءات المسقوفة والمكشوفة معاً فقد تم تخصيص مواضيع عامة وتفصيلية لمكوناتها كالسوق والجامع (مركز المدينة) والمنشآت والمباني الدفاعية والإدارية ....
- **المنطقة السكنية (الحي، الحارة، الوحدة، المبنى):** وتم فيه استعراض أهم خصائص التكوين، كما تم فيه دراسة تفصيلية لتسع حارات كنماذج تم اختيرت بعناية من حيث التباين في المساحة (صغيرة، متوسطة، كبيرة) وكذلك من حيث النشأة (تاريخ قديم، وسيط، حديث).

الدراسات التحليلية المعمارية

في حين اعتمدت دراسات الموضوعات المتقدمة على إبراز خصائص التكوين الأفقي أكثر من خصائص التكوين الرأسي، وعلى الخصائص المعمارية الوظيفية أكثر من الخصائص الجمالية، وعلى الخصائص أكثر من القيم، وعلى المبادئ أكثر من الأسس، إلا أن موضوعات هذا الجزء اعتمدت في دراستها على الصورة التي يعكسها نهج الدراسة المتبع، وجاء هذا من أجل إبراز أهم الأسس التخطيطية والتصميمية الحضرية والمعمارية والتي تتألف من ١٣موضوعاً رئيسياً منها، ٨ مواضيع عامة و٥ مواضيع تفصيلية، وتمثل في مجملها العمود الفقري للدراسة؛ ففيها تمت دراسة مفصلة لنماذج مختارة وعددها ٤٢ منشأة ومبنىً تم اختيارها وفق معايير وأسس محددة وروعي فيها التنوع من حيث المساحة والحجم والعمر وكذلك روعي فيها الموقع والأهمية وما تمثله من القيم التاريخية والمعمارية والتخطيطية.

وبناءً على ما تم إيضاحه سلفاً نوجز الحديث باستعراض المحاور الرئيسية ونماذجها على النحو التالي:

المنشآت الدفاعية والإدارية

- النماذج المختارة: باب اليمن وبوابة المتوكلية.

المنشآت والمباني التجارية والخدمية

- سوق صنعاء وتخصصاته مثل سوق البز وسوق المعطارة وسوق الملح.
- السماسر مثل سمسرة الجمرك وسمسرة الميزان وسمسرة محمد بن الحسن وسمسرة النحاس وسمسرة المنصورة وسمسرة المزين.
- الحمامات مثل حمام الميدان وحمام ياسر وحمام سبأ وحمام شكر).

المنشآت المائية:

- الآبار (المساني) مثل (البئر المسنى لحمام الميدان).
- الأسبلة مثل سبيل باب اليمن - الذي تم نقله إلى حارة الأبهر.

المباني الدينية مثل:

(الجامع الكبير، قبة البكيرية، مسجد الزمر، مسجد الأبهر، قبة طلحة، مسجد الفليحي، قبة المهدي ومسجد فروة بن مسيك).

المباني السكنية مثل:

(الوحدة السكنية (نموذج بيت فايع) وتتكون من ٥مبان سكنية، بيت العمري ويتكون من ٣ مبانٍ، بيت غمضان مبنيان، دار الذهب (بيت دلال)، الدار الجديد، بيت العنبسة، بيت عسلان، بيت أبو لحوم، بيت سريع، بيت الكبسي، بيت شرهان).

الدراسات التحليلة التفصيلة (النوعية)

في الوقت الذي عبرت فيه الدراسات التفصيلية السابقة عن المعاني الخاصة لوحدة النوع، إلا أن المواضيع التفصيلية في هذا الجزء وتسلسلها المترابط (التوافقي والتكافلي) تعبر عن الوحدة العضوية المتكاملة لتكوين النسيج المعماري للمدينة ولمضامين خصائص وقيم وأسس طرازه المعماري.

وقد يبدو ولأول نظرة أن هذا الجزء عني بدراسة الشكل وجماليته وأن بعض المواضيع حشرت فيه بعفوية، إلا أن ما أعتمد من أسلوب في الدراسة التحليلية للشكل ومعناه وجماليته في التكوين الذاتي والموضوعي، قد أبرز الكثير من الخصائص والقيم والأسس المعمارية (التخطيطية والتصميمية) الأخرى. حتى يكتمل بهذا النهج مضمون وشكل الدراسة. ويحتوي هذا الجزء على المواضيع الرئيسية التالي:

- مواد وتقنيات البناء.
- الطراز المعماري الصنعاني (الخصائص والأسس).
- سلوك التشكيل المعماري (الخصائص).
- الزخرفة.
- القمرية.
- المئذنة.
- الخصائص والقيم المعمارية الجمالية.

كما أنه ومن الجدير ذكره أيضاً وبهذا الخصوص فإن الموضوع الأخير والذي يمثل خاتمة الدراسة هو الآخر انعكاس للمقدمة، وتأتي بعده الملاحق متضمنة الفهارس والمصادر.

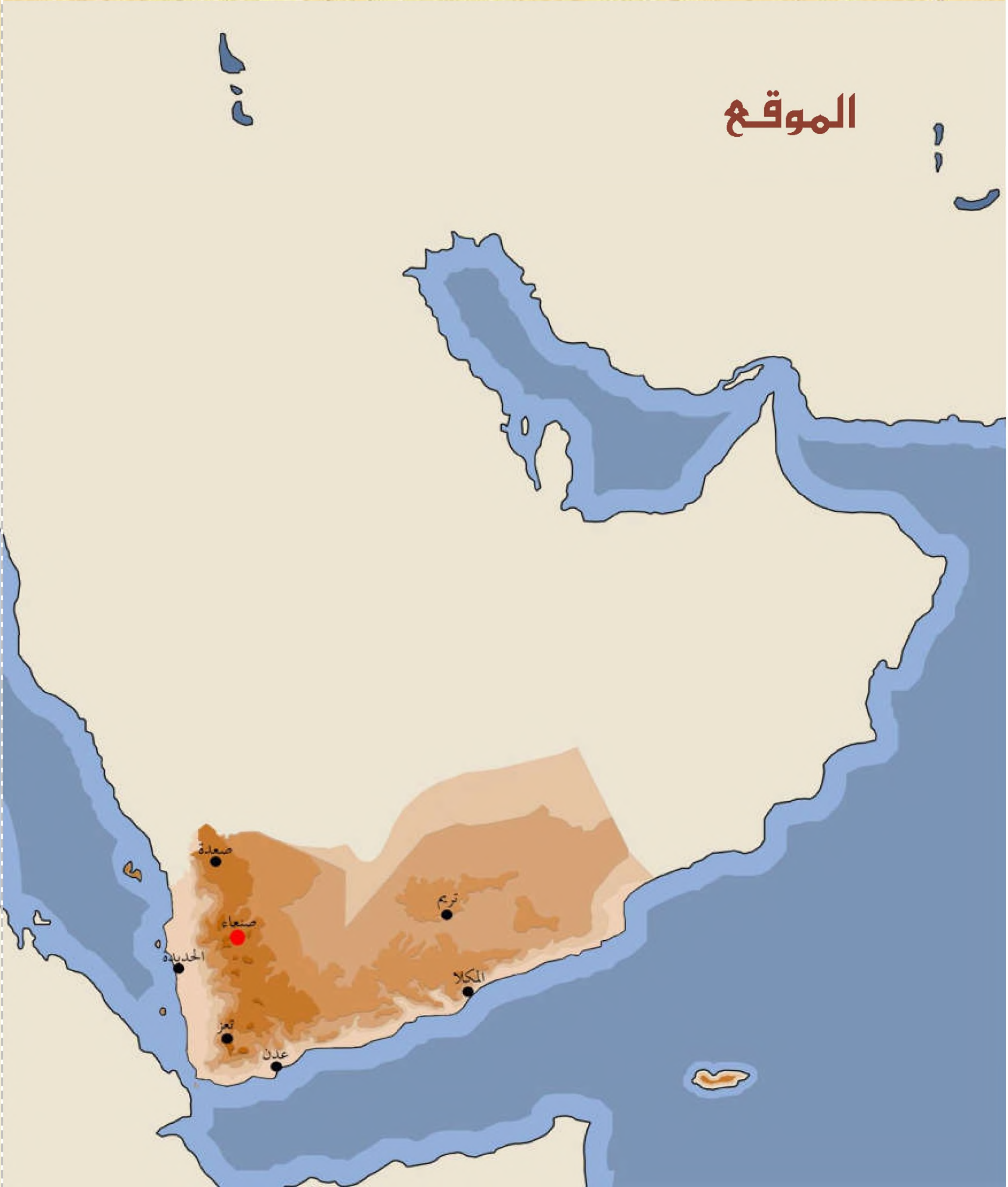
وعلى الرغم من تقسيم الدراسة إلى ست مراحل منفصلة توزعت وفق مجالاتها المحدودة وهي جمع وفرز وتسجيل المصادر والوثائق وعمل الاستمارات العامة والتفصيلية النوعية للدراسات الميدانية، الرفع المعماري والتصوير والدراسات التحليلية والرسم اليدوي وبالحاسوب، الصياغة، تنسيق الدراسة ثم ترتيبها ومراجعتها معالجة الصور والرسومات والإخراج والمونتاج النهائي لها، إلا أن المعطيات والمتطلبات العلمية والعملية حتمت تداخل مجالات المراحل ببعضها وتلازم عملياتها جميعاً وبتفاوت نسبي ومنذ المرحلة الأولى.

كما أن صياغة المواضيع هي الأخرى مرت بعدة عمليات، أتت في البدء منفصلة، وبعد عملية إعادة صياغتها بصورة موحدة اختصرت إلى أدنى الحدود الممكنة وحلَّ الشكل (الرسم، المخطط، الصورة) محل كثير من التفاصيل المسهبة تم ترجمة بعضه إلى علاقات تحليلية نظمت على شكل هيكل بنائي. وتم أيضاً اختزال الشرح الوصفي في تحليل علاقات وخصائص التكوين المعماري للنماذج المختارة، بالإضافة إلى اعتماد الشكل للإيضاح وبعضه تم إيجازه في صياغة بيانية وجداول دالة. وكان ذلك بهدف الابتعاد عن التكرار الممل عند الحديث عن نماذج كل نوع من أنواع المنشآت والمباني.

وقد يجد القارئ أن هناك بعض التكرار الفني للمعلومات، إلا أن عرضها بصياغات متنوعة جعل هذا التكرار مفيداً وغير ممل بهدف إغناء الموضوع واكتمال بنائه. وقد تسلسلت المواضيع وفق بناء منتظم، لكن استقلالية كل موضوع منها تقتضي في أن تتضمن كل ما يتعلق بتكوينها العضوي المترابط ولو بإشارة ضمنية موجزة، وذلك لغرض التسهيل على الباحثين والدارسين في الحصول على المعلومات الكاملة وفي إطار الموضوع الواحد.

ولأن دراسة العمارة تعتمد الشكل أكثر من الكتابة فقد عمدنا إلى زيادة عدد الأشكال (رسومات وصور، خرائط ومخططات، علاقات تحليلية...) وبمقدار يفوق ما نسبته ٦٠٪ من حجم الدراسة، كما أن الأشكال التحليلية للعلاقات هي أيضاً إيجاز لمواضيع محددة، ولهذا جرى الاختصار والإيجاز للنص كلما كان الشكل واضحاً ومرتبطاً مباشرةً بالموضوع الذي يعنيه.

ومجمل القول والبيان أن هذا النهج قد أسعف على تقديم الصور التفصيلية والدقيقة لخصائص عمارة صنعاء وقيمها التاريخية والمعمارية أو قيمها الوظيفية والجمالية حتى تبرز مضامينها بوضوح وكذلك الأسس التخطيطية والتصميمية المعمارية والأسس التقنية للتشكيل المعماري والزخرفي. وللارتباط الوثيق بين المواضيع وللإيجاز تم الفصل بين بعض المكونات التفصيلية للموضوع الواحد ودمجها في إطار الموضوع العام، مجال الدراسات التحليلية التفصيلية النوعية.


الموقع
صعدة
تريم
صنعاء
الحديدة
المكلا
تعز
عدن

الخصائص الجغرافية - التاريخية للموقع

تقع مدينة صنعاء القديمة وسط المرتفعات الجبلية الغربية والعالية لليمن، ووسط سهل فسيح، قاع صنعاء، وعلى امتداد هضبة صغيرة حبيل في سفح جبل نقم، ترتفع قليلاً عن مستوى سطح السهل وبتدرج يزداد شرقاً باتجاه الجبل، على خط عرض (١٥,٢١ شمالاً) وطول (٤٤,١٢° شرقاً) وارتفاع يتراوح بين (٢٢٩٢-٢٢٤٨م) فوق سطح البحر[1]، أدناها عند باب السبحة[2] وأعلاها شرق القلعة (قصر السلاح).

ولقد توسعت المدينة وامتدت أسوارها باتجاه الغرب وكانت حتى (نهاية القرن ٩هـ/منتصف القرن ١٦م) تحتل مساحة قدرها (١٣٨هك/١,٣٨كم٢)[3]، ثم توسعت بعد ذلك وامتدت باتجاه الغرب أيضاً باستحداث حي (بير العزب)، وفي غربه وبميل نحو الجنوب استحدث حي (القاع)، كما استحدث في شرقه وبميل نحو الشمال مجمع (المتوكلية)، وتداخلت أسوارها والتصقت ببعضها واتصلت بالسور الغربي لمدينة صنعاء القديمة. وبلغت مساحتها حينها (٢٤٣ هك/٢,٤٣كم٢). وبعد منتصف القرن العشرين الميلادي توسعت المدينة وامتدت خارج أسوارها وانتشر البناء في كل الاتجاهات. وكان بطيئاً في الربع الثالث من نفس القرن ثم تسارع وبشكل مضطرد في الربع الأخير منه، وعلى امتداد السهل كله وتجاوز الحدود الطبيعية لقاع صنعاء وخاصة في جهته الغربية لتلتصق بل وتتداخل أحياؤها الجديدة بقرى ريفها التاريخي. ولذلك تضاعفت مساحة صنعاء عشرات بل ومئات المرات عما كانت عليه صنعاء القديمة أو صنعاء التاريخية التي تميزت بخاصية التطور والنموّ المساحي الأفقي والسكاني الرأسي المنتظمين في عجلة تسارع النموّ وببطء في تطورها التاريخي وعلى مر العصور مقارنة بالنموّ المضطرد المتسارع بشكل كبير جداً والذي شهدته المدينة في الربع الأخير للقرن العشرين الميلادي، والذي بلغ ذروته بين سنتي (١٩٩٠-٢٠٠١م)، أي بعد إعلان قيام الجمهورية اليمنية بتوحد شطريها الشمالي (الجمهورية العربية اليمنية) والجنوبي (جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية) في (٢٢ مايو ١٩٩٠م). وبعد إعادة التقسيم الإداري لمدينة صنعاء الكبرى في (يناير ٢٠٠١م) إلى تسع مناطق (تمثل صنعاء القديمة المنطقة الأولى وبالاسم ذاته) لتبلغ مساحة صنعاء (أمانة العاصمة) نحو (٤٤٢٣٠ هك/٤٤٢,٣كم٢). وسعياً للفصل بين التكوينات التاريخية بالتسمية لكل منها وبما يسهل استخدامها في الدراسة تقسم صنعاء على النحو الآتي:

مدينة صنعاء القديمة

هي النواة الأولى لنشأة مدينة صنعاء وتطورها، وكانت محددة المعالم والحدود بسورها المتميز عن بقية أسوار الأحياء والمنشآت التي جاءت نتيجة توسعها وتمددها باتجاه الغرب بالدرجة الأولى، وتسميتها بصنعاء القديمة جاءت لكونها النواة الأولى للنشأة والتطور عبر عصور متعاقبة حتى بداية تاريخ اليمن الحديث عامة وتاريخ المدينة الحديثة خاصة. ومدينة صنعاء القديمة هي محور هذه الدراسة.

مدينة صنعاء التاريخية

وهي مدينة صنعاء بعد تمدد وتوسع مساحتها خاصة باتجاه الغرب وتتضح مساحتها وتتحدد معالمها بأسوارها المحيطة بها والمؤطرة لتكويناتها الرئيسية وهي:

- صنعاء القديمة.
- بير العزب وقاع اليهود (قاع العلفي حالياً).

- منشـآت أخرى عسـكرية ومدنية مثل القلعة (قصـر السلاح) ومجمع المتوكلية ومجمع العرضي وحامية باب اليمن والجبانة والمقابر وغيرها.

ولعدة اعتبارات تم الفصـل بين صـنعاء القديمة محور الدراسـة وصـنعاء التاريخية، وذلك لتحديد مجال الدراسـة وحدودها المساحية، بغية التكامل والتوافق الموضوعي والذاتي لأبواب وفصـول وعينات الدارسـة، حتى وان كانت كل المكونات المعمارية لصنعاء التاريخية من حيث الوظيفة والمتانة والشكل تحمل نفس الخصـائص والقيم الوظيفية والجمالية المعمارية والزخرفية لعمارة صنعاء القديمة في هذه الدراسة رغم وجود بعض التباين. إن عمارة صنعاء القديمة في هذه الدراسة تمثل الأساس فضلاً عن كونها النموذج الأمثل والمتكامل. وفي سياق الدراسـة سـيجد القارئ إشـارات مفيدة لتكامل نهج التكوين التخطيطي العام للمدينة وتوضـيحاً لتكامل العلاقات ما بين حدود سور المدينة داخلياً وخارجياً.

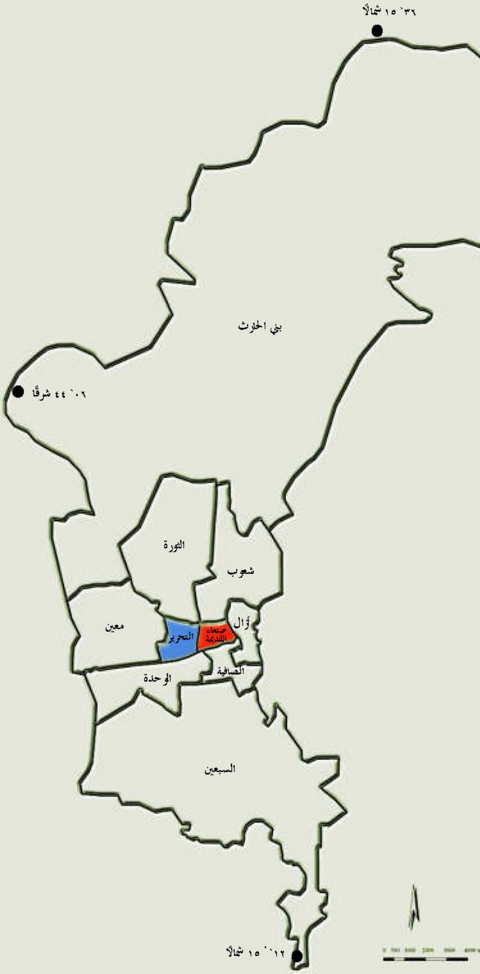
مدينة صنعاء الكبرى

وهي عاصـمة الجمهورية اليمنية وتسـمى إدارياً أمانة العاصـمة. وهي المحافظة رقم (١) من (٢٠) محافظة في التقسـيم الإداري للجمهورية اليمنية. وقد مرت بأربع مراحل في نموّها وتطورها من حيث التوسـع والامتداد في المسـاحة خارج حدود المدينة التاريخية بين سـنتي (١٩٥٠-٢٠٠١م) هي على النحو الآتي:

- **المرحلة الأولى** (١٩٥٠-١٩٦٢م): وفيها كانت صـنعاء أقل كثافة وامتدادا في التوسـع المسـاحي للبناء والذي انتشـر بشكل محدود على أطراف سـور المدينة القديمة الشـمالية والجنوبية وخاصة قرب باب شعوب وباب اليمن.
- **المرحلة الثانية** (١٩٦٢-١٩٧٥م): وفي هذه المرحلة توسـع البناء وبكثافة نسـبياً عما كان عليه على أطراف المدينة الشمالية والجنوبية أكثر منه على أطرافها الغربية والشرقية. وبين سنتي (١٩٦٢-١٩٦٥م) تعرضت الكثير من أسوار مدينة صـنعاء (القديمة والتاريخية) للهدم. كما ظهر البناء الحديث ذو الأسلوب العالمي بمواده وتقنياته وانتشر سريعاً في الأحياء الجديدة كما تداخل مع البناء التاريخي (الموروث).
- **المرحلة الثالثة** (١٩٧٥-١٩٩٠م): توسعت المدينة في هذه المرحلة نحو الغرب ومن ثم إلى الشـمال والجنوب. وبلغت صـنعاء في هذه المرحلة ما بين جبليها (نقم شـرقاً وعيبان غرباً) بل تجاوزت ذلك وبشـكل نسـبي باتجاهي الشـمال والجنوب.
- **المرحلة الرابعة** (١٩٩٠-٢٠٠١م): تضـاعفت في هذه المرحلة مسـاحة المدينة وتجاوزت سـنة (١٩٩٠م) الحدود الافتراضـية لتخطيط المدينة للعام (٢٠٠٠م)[٤]، وتعدت بذلك مسـاحياً الحدود الطبيعية لقاعها وتجاوزته. وهي اليوم تشـمل المدينة الأصـلية وريفها بحدوده الطبيعية وتشكل بذلك كله ما يسمى مدينة صنعاء الكبرى.

وتبلغ مساحة مدينة صنعاء الكبرى، أمانة العاصمة، (٤٤٣٤٧,٧ هك/٤٤٣,٥كم٢)، وهي اليوم تسـاوي نحو (٣٢٠ مرة) مقارنة بمساحة صنعاء القديمة. وبأكثر من (١٩مرة) في عدد سكانها (تعداد ١٩٩٤م).

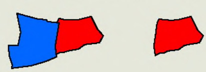




التقسيم الإداري لأمانة العاصمة صنعاء

(صنعاء الكبرى) في سنة (٢٠٠١م)

وتتضح فيه حدود كل من مدينة صنعاء القديمة ومدينة صنعاء التاريخية، وحجم التوسع المساحي لنمو وتطور مدينة صنعاء.



مصدر الخارطة الأساس الجهاز المركزي للإحصاء – صنعاء

السكـــان

أقدم مؤشـــر لعدد ســـكان مدينة صـــنعاء القديمة يمكن استخلاصه من عدد دورها السكنية سنة (٣٨١هـ-٩٩١م)، فقد ذكر الرازي "أن صنعاء عدت في أيام أبي جعفر أحمد بن قيس بن الضـــحـــاك... فكـانـت ألف دار وأربعين داراً"[٥]. وبتحليل افتراضـــي وبالمقارنة مع التركيبة الاجتماعية للأســـرة اليمنية عامة والصنعانية خاصة، وخصائص العمارة السكنية البرجية والنموّ الرأســـي لـلأســـرة الكبيرة (العائلة الممتدة)، ووفق مبدأ تعـاقـب الأجيال الـذي يتخـذ الشـــكـل الهرمي في التركيـب الاجتماعي للأســـرة الكبيرة، فإن معدل عدد أفراد الأســـرة الكبيرة للدار الســـكني هو (١١شـــخصـــاً)، وحيث إن كل المباني الســـكنية تعتمد هذا النظام الســـكني العائلي، فإن عدد ســـكان المدينة آنذاك يكون (١١×١٠٤٠نسـمة)+(٥٪) وهي نسـبة تعطي للعاملين الخدم الذين كانوا يتخذون من دور الإيواء (السماسر) ســـكناً لهم أو كانوا يعملون فيها، وكذلك طلاب العلم ومعلمي وسدنة بعض المساجد والذين كانوا يسكنون فضاءات المسجد ومقصوراته، بالإضـافة إلى (٢٠٪) وهي نسـبة الجنود والحرس من غير الســـاكنين في دور صـــنعاء، ويســـكنون الثكنات النوُّب الكبيرة وفضـــاءات بوابات المدينة وغيرها - يكون عدد ســـكان صـــنعاء آنـذاك وبمعدل افتراضـــي (١١٤٤٠+٥٧٢+٢٢٨٨)= ٤٣٠٠انســـمة. وفي ضـوء هذا المؤشـر يمكن أيضـاً الحصـول على نسبة النوع وهي (٦٠٪ ذكور و٤٠٪ إناث).

وفي ســـنة (١٢٩٩هـــــ/١٨٨٢م) يوضـح الســجل العثماني (الروزنامة) عدد سكان مدينة صنعاء بنحو (٢٤،٠٠٠ نسـمة)، وعدد ســكانها في ســنة (٤-١٣٠٥هــــ/٧-١٨٨٨م) (٢٧،٥٠٠ نســـمة) كما أشـــار أيضـــاً إلى أن عـدد ســـكـانهـا ســـنة (١٣٠٦هــــ/١٨٨٩م) بلغ (٣٣٠٠٠ نسمة)[٦]، ولم يفصل التعداد سكان مدينة صنعاء القديمة عن الأحياء الجديدة.

وفي تعداد ســـنة (١٩٨٦م) بلغ عدد ســـكان مدينة صـــنـعـاء القديمة (٤٠٠٠٠ نسمة).

ووفقاً للتعداد الأخير للسـكان والمسـاكن (ديسـمبر١٩٩٤م) فقد بلغ عدد ســكان مدينة صـــنعاء القديمة (٥٢٦٤٠ نســمة) منهم (٢٨٩٤٧ ذكور) و(٢٣٦٩٣ إناث). وبلغ عدد الأســـر (٨٤٨٥ أسـرة) وعدد المسـاكن (٨٩٦٢ مسـكنا)[٧]. ولغياب الإحصـاءات السكانية التفصيلية لمدينة صنعاء القديمة قبل تعداد (١٩٨٦م) يمكن اســـتقراء المؤشـــرات الســـكانية ضـــمنياً بتتبع الزيادة الســـكانية لمدينة صـــنعاء عامة منذ ســـنة (١٩٦٢م)، علماً بأن الزيادة السـكانية والبنائية للمسـاكن في مدينة صنعاء محدودة حيث خرجت عن حدود ســـورها قبل ذلك بكثير، ولكنه أيضـــاً بعد ســـنة (١٩٦٢م) وحتى ســـنة (١٩٧٥م) تقريباً توســـع البناء داخل حدود سور المدينة وأطرافها الغربية والشمالية والشمالية الشـــرقية على حســـاب البســـاتين والأجزاء المهدمة من الســـور وبشـــكل نســـبي. ويوضـــح الجدول أدناه مؤشـــرات تنامي عدد سكان مدينة صنعاء (الكبرى) بين (١٩٦٢-١٩٩٨م):

م	السنة	عدد السكان	النمو السكاني (الزيادة بين الإحصاءين)	نسبة الزيادة بين الإحصاءين %	نسبة الزيادة السنوية %	مصادر الإحصاء
١	١٩٦٢	٥٥٠٠٠	-	-	-	تقريبي (ج.م. للأحصاء)
٢	١٩٧٠	٧٠٠٠٠	١٥٠٠٠	٢٧.٣	٣.٤	تقريبي (ج.م. للأحصاء)
٣	١٩٧٢	٩١٧٩٥	٢١٧٩٥	٣١.١	١٥.٦	إحصاء مجلس التخطيط
٤	١٩٧٥	١٣٤٦٢٥	٤٢٨٣٠	٤٦.٤	١٥.٦	تعداد ١٩٧٥م (ج.م. للتخطيط)
٥	١٩٧٧	١٦٠٠٠٠	٢٥٣٧٥	١٨.٩	٩.٤	تقييم الإحصاء (ج.م. للتخطيط)
٦	١٩٧٩	١٧٧٣٩٥	٤٢٧٧٠	٣١.٨	٧.٩	تقدير (ج.م. للتخطيط)
٧	١٩٨٠	٢٠٠٠٠٠	٢٢٦٠٥	١٢.٧	١٢.٧	إحصاء مجلس التخطيط
٨	١٩٨٢	٢٥٠٠٠٠	٥٠٠٠٠	٢٥	١٢.٥	تقدير (ج.م. للتخطيط)
٩	١٩٨٦	٤٢٧٥٠٢	١٧٧٥٠٢	٧١	١٧.٨	تعداد ١٩٨٦م (ج.م. للتخطيط)
١٠	١٩٩٤	٩٧٣٥٨٤	٥٤٦٠٨٢	١٢٧,٧	١٦	تعداد ١٩٩٤م (ج.م. للتخطيط)
١١	١٩٩٨	١٢٨٤٠٠٠	٣١٠٤١٦	٣٢	١٦	اسقاطات (ج.م. للأحصاء)



١



٢

١. باب اليمن (١٩٢٧م)، المصدر (م)/ مركز التدريب والدراسات المعمارية (م ت د م) التابع للهيئة العامة للحفاظ على المدن التاريخية.
٢. باب اليمن (٢٠٠٢م)

الخصائص الطبيعية

التضاريس والجيولوجيا

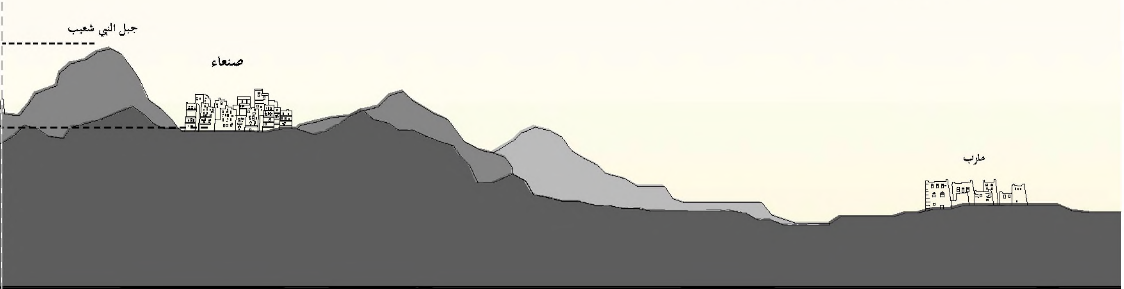
تمتد صنعاء على سهل (قاع /حوض) فسيح تحيط به سلسلة جبلية من معظم الجهات تقريباً ويعرف بقاع صنعاء والذي يرتفع عن سطح البحر (٢١٥٠-٢٢٥٠م)[٨]. وتقع مدينة صنعاء القديمة في سفح جبل نقم الغربي، ويبلغ ارتفاع جبل نقم (٢٨٩٢م) فوق سطح البحر، وجبل عيبان الذي يرتفع (٣١٩٤م) يعتبر أعلى قمة جبلية تطل على قاع صنعاء. ومن الجنوب يرتفع ضبر حدين (جبل النهدين) بنحو (٢٥١٣م)، وفي الشمال الغربي تمتد سلسلة جبلية متعرجة هي سلسلة حَرَّة همدان. ويبلغ متوسط ارتفاع السلسلة الجبلية المحيطة بمدينة صنعاء حوالي (٧٥٠م) عن مستوى سطح قاع صنعاء، بينما يزداد ارتفاع هذه السلسلة الجبلية باتجاه الغرب حتى تصل أعلى قمة فيها حوالي (٣٧٦٠م) وهي قمة جبل النبي شعيب الذي يعتبر أعلى قمة جبلية في الجزيرة العربية.

وبذلك يمثل قاع صنعاء جزءاً قائماً بذاته ضمن المنخفضات الداخلية لهذه السلسلة الجبلية، ويبلغ طوله (٨٠كم) وعرضه (٢٠كم)[٩]. يحده من الجانب الغربي سلسلة جبلية تكاد تكون مستقيمة، نتيجة الانكسارات التي صاحبت النشاط البركاني والتي تكونت منها المدرجات الزراعية. وهذه السلسلة عميقة ومهدمة في الجهة الشرقية، وهو ما ينطبق على الجهة الجنوبية منه أيضاً، حيث تتكون من طبقات متراكمة من الحمم البركانية السوداء التي تكون الطبقة السطحية للجهة الشمالية مع طبقات من الحجر الرملي تحتها. وكلما اتجه المرء شمالاً يلاحظ أن هذه السلسلة غير الوعرة هي التي تشكل حدود قاع صنعاء.

وهي مجموعة من الجبال يتخللها وادي الخارد الذي يصرف مياه سيول قاع صنعاء في جزئه المائل إلى الانحدار من الجنوب باتجاه الشمال الغربي ويتخلل حافة المنحدرات الشرقية حتى يخترقها هناك داخلاً في الصحراء ليروي واحات وأودية الجوف. وفي الجنوب يقع جبل ضخم هو جبل كَنِن الذي يفصل بين المدرجات وقاع صنعاء، سهل أو قاع جهران. وفي الجهة الشمالية الغربية من صنعاء تمتد أيضاً سلسله جبلية بها بقايا فوهات بركانية كانت قد استمرت في قذف الحمم البركانية حتى العصر الجيولوجي الحديث وغطت الجزء الشمالي الغربي من قاع صنعاء الحالي. ويغطي سطح قاع صنعاء رواسب وديانية (Alluvial Deposits) من العصور الجيولوجية القديمة والمتكونة في العصر الرباعي تشبه إلى حد كبير اللويس المميزة بخاصيتها للاحتفاظ بالماء. ولذلك يعتبر حوض قاع صنعاء خزاناً مناسباً للمياه الجوفية، وإلى هذا ترجع خصوبة قاع صنعاء التي تعتمد عليها الحدائق والأراضي الزراعية المحيطة بالقاع طوال العام كله وذلك من خلال حفر الآبار التي تستغل في الري أثناء فترات الجفاف.

وتتمثل جيولوجية قاع صنعاء بوحدات صخرية مختلفة يمكن إيجازها في الآتي:

- الصخور الجيرية الجوراسية (مجموعة عمران) (Jurassic limestone) التي تنتمي لرسوبيات العصر الميزوزوي (الدهر الوسيط) (Mesozoic Sediments) التابعة لصخور العصر الثاني والتي تنتشر في شمال قاع صنعاء وشرقها وغربها.



- صخور الحجر الرملي الطباشيري (Cretaceous Sandstone) التابعة لمجموعة الطويلة، وتتوزع في الجهة الشمالية (ذهبان) والشمالية الغربية (وادي ضهر).
- الصخور البركانية (Volcanic Layers) المتكونة في العصرين الثلاثي والرباعي وتغطي بالتعاقب طبقات الصخور الرسوبية وتتوزع في الجهات الشرقية والجنوبية من قاع صنعاء.
- الغطاء الرسوبي الحديث (Recent Deposits) المتكون من الرواسب في الأودية الطمي (Alluvium) والرياح (Aeolian) في العصر الرباعي، وتنتشر بشكل رئيسي على الطبقة السطحية للمنطقة[١٠].

تلك هي أهم التكوينات الجيولوجية التي تغلب على جيولوجية قاع صنعاء. وهي كما ذكر سلفاً الصخور البركانية المتكونة في العصر الثلاثي والتابعة لبركانيات اليمن والتي تتوزع حول المدينة من الجهات الشرقية والجنوبية والجنوبية الغربية، كما يحيط بها من الجهة الشمالية (ذهبان) والشمالية الغربية (وادي ضهر) صخور الحجر الرملي التابعة لتكوينات الطويلة، بينما تكوينات الطبقة السطحية لقاع صنعاء تتكون من الرواسب الوديانية المتكونة في العصر الرباعي، ونتيجة لهذه التكوينات الجيولوجية يعتبر قاع صنعاء خزاناً مناسباً للمياه الجوفية.

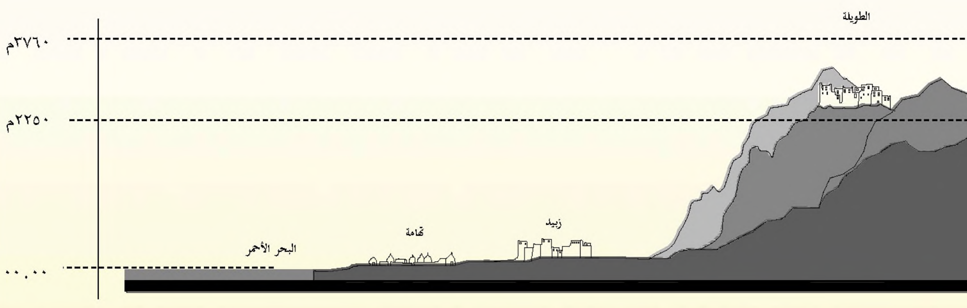
الموارد المائية

المدن اليمنية ذات النشأة القديمة والإسلامية بشكل عام اعتمدت على مياه الأمطار والمياه الجوفية، فالمدن التي نشأت على ضفاف الوديان عملت على استدامة الاستخدام في إنشاء السدود، وأكبرها وأكثرها شهرة هو سد مارب الواقع جنوب مدينة مارب عاصمة السبئيين، أما مدن المرتفعات فاعتمدت على تجميع مياه الأمطار في الصهاريج المتدرجة كصهاريج مدينة عدن، أو البرك الصناعية (المآجل) كمآجل مدينة كوكبان، إلا أن مدينة صنعاء ولنشأتها في وسط قاع فسيح، اعتمدت على مياه الآبار الجوفية والسطحية للشرب والاستخدام، وعلى مياه الغيول للري خاصة والاستخدام والشرب وبشكل محدود، والتي يجر الماء عبرها من منابعها إلى المدينة والحقول بواسطة نظام القنوات تحت الأرض (الكظائم).

الغطاء النباتي

ينتمي الغطاء النباتي لقاع صنعاء من خليط متداخل على المرتفعات الجبلية أو المرتفعات الشاهقة، فعلى المرتفعات تنمو الحشائش الإبرية (Microchloa grassland)، وفي المنحدرات الشرقية والغربية تمتد الأعشاب مثل اللافندولا (Lavendula dwarf- shrub grassland)

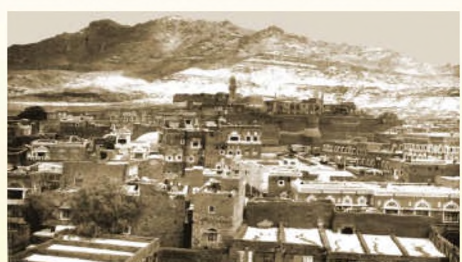
وفي المنحدرات الشمالية والشمالية الشرقية تنمو الحشائش (grassland sparse Chrysopogen) وعلى ارتفاعات أكثر من (٢٨٠٠م) في الجهة الجنوبية الغربية ينمو نبات العرعر. ومن أهم الأشجار في قاع صنعاء الطلح والعلب والخروع والتين والأثل والكورديا، ومن أهم النباتات الدخيلة الكافور والكازورينا والفلفل والتوت والتين المطاطي وغيرها من نباتات الزينة المنتشرة في الحدائق والشوارع.



المناخ

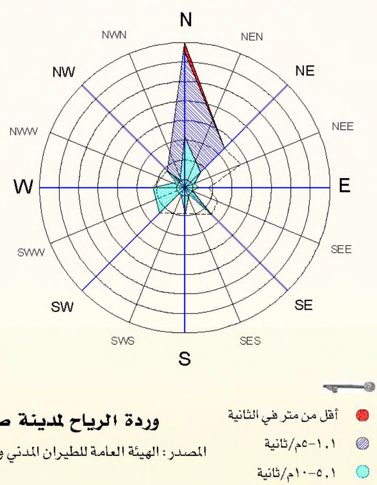
مدينة صنعاء تقع ضمن المنطقة المدارية، عند دائرة عرض (٢١،١٥) شمال خط الاستواء، حيث تتعامد الشمس عند هذه المنطقة مرتين في السنة، مما جعل عدد ساعات السطوع الشمسي كبيرة. ولارتفاع صنعاء (٢٢٠٠-٢٢٥٠م) فوق سطح البحر فإنها تمتاز بمناخ معتدل صيفاً وشتاءاً ومدى حراري صغير لا يتجاوز (٨°) مئوية ومدى حراري كبير بين الليل والنهار، ويعزى السبب في ذلك إلى تأثير هذا الارتفاع والذي يؤثر أيضاً على سقوط المطر. غير أن المدينة تنال كمية أقل من الأمطار المتساقطة على المرتفعات الجبلية المحيطة بها وذلك لوقوعها نسبياً في ظل المطر[١١]. والرطوبة النسبية فيها تبلغ أقصاها في فصل الصيف، وتتعرض لهبوب أنواع متباينة من الرياح التي تختلف في اتجاهاتها وسرعتها من وقت لآخر.

- **الرياح:** يتعرض قاع صنعاء لهبوب أنواع متباينة من الرياح التي تختلف في سرعتها واتجاهها من حين إلى آخر، حيث تسود في أشهر الصيف الرياح الجنوبية الشرقية والجنوبية الغربية، أما في أشهر الشتاء فتسود الرياح الشمالية والشمالية الغربية. ويبلغ المعدل اليومي لسرعة الرياح نحو (٣،٩ عقدة/٢ميل/ثانية) وتبلغ نسبة الرياح الشمالية الشرقية (٥٨،٣٪)، والرياح الشمالية (٩،٧٪)، والرياح الجنوبية الغربية (٨،٣٪)، والرياح الغربية (٤،٢٪)، أما البقية فمتفاوتة[١٢].
- **السطوع الشمسي:** يتراوح معدل ساعات السطوع الشمسي في مدينة صنعاء بين (١٣ساعة) في شهر يونيو وبين (١١ساعة) في شهر يناير، وذلك لوقوعها شمال خط الاستواء حيث تتعامد عندها أشعة الشمس مرتين في السنة مما جعل عدد ساعات السطوع الشمسي كبيراً.



١

- **الرطوبة:** جو صنعاء جاف بوجه عام. ويرتبط معدل الرطوبة فيه بسقوط الأمطار والتي تتركز في مارس وإبريل ويوليو وأغسطس حيث تصل أعلى معدلات لها في هذه الشهور (٥٨٪). وأقصى درجة لها تصل إلى نحو (٨٠٪) في بعض ليالي هذه الشهور، وذلك لتأثرها بالمد الحراري الكبير بين الليل والنهار، حيث تنخفض درجة الرطوبة في النهار لهذه الأشهر إلى ما دون (١٥٪) وخاصة في ساعات السطوع الشمسي ودرجات الحرارة العالية. وأكثر شهور السنة انخفاضاً في الرطوبة النسبية هو شهر يوليو الحار والجاف وشهرا سبتمبر وأكتوبر. وتقل درجاتها في فصلي الخريف والشتاء. ورغم انخفاض درجات الحرارة إلا أن تدني درجات الرطوبة فيهما هو نتاج تدني سقوط المطر وندرته في بعض الأحيان. وتصل الرطوبة إلى أدناها في فصل الخريف (١٨٪). ولقلة الغطاء النباتي في محيط المدينة أثره في انخفاض معدلات الرطوبة، كما أن لارتفاع معدلات التبخر أثره أيضاً في خفض معدلات الرطوبة النسبية في النهار أيام الصيف الحارة[١٣].



وردة الرياح لمدينة صنعاء

المصدر: الهيئة العامة للطيران المدني والإرصاد الجوي

١. سقوط الثلج على مدينة صنعاء (١٩٧٣م)

■ **درجة الحرارة:** أقصى درجة للحرارة العظمى المسجلة في صنعاء هي (+٣٣°م)، ولنحو أكثر من (٥٠) سنة تقريباً ولكنه في السنوات الخمس الأخيرة تجاوزت هذا الرقم وبفارق بسيط، وذلك نتاج للانحباس الحراري داخل حدود المدينة وكنتاج طبيعي للارتفاع الكبير والمضطرد التسارع في النموّ من حيث كثافة البناء وعدد السكان والحركة للإنسان والآليات وعوادمها...، هذا بالإضافة إلى التأثير العام لما تشهده الأرض من انحباس حراري وضعف طبقة الأوزون مما انعكس هو الآخر في إحداث اضطراب مناخي أدى إلى رفع درجات حرارة الأرض أيضاً. وأكثر الشهور حرارة في صنعاء هي يونيو ويوليو وأغسطس، وسجلت أقصى درجة للحرارة في معدلاتها في هذه الأشهر وبالترتيب، كما أن أقصى درجة للحرارة الصغرى سجلت في هذه الأشهر حيث لم تتعد (+١١°م). وأقل درجة حرارة صغرى سجلت (–٨°م) في (يناير ١٩٨٧م). ويقل معدل المدى الحراري بين فصول السنة وخاصة بين فصل الصيف الأكثر حرارة وفصل الشتاء الأقل حرارة. ومعدل المدى الحراري بينهما يتراوح بين (٤°–٨°م)، ولكن في الوقت ذاته يرتفع عالياً معدل المدى الحراري بين الليل والنهار، ويرتفع الفارق في فصل الشتاء عنه في فصل الصيف، وفي حين بلغت أعلى درجة مدى حراري بين الليل والنهار في شهر يناير (١٩٧٧م)، وكانت (٢٥°م).



ونجد أن أقصى درجة مدى حراري بين الليل والنهار في شهر يوليو من نفس السنة لم يتعد (٢٠ °م). وعلى الرغم من ذلك إلا أن معدل المدى الحراري بين الليل والنهار لمدينة صنعاء وعلى مدار السنة يفوق كثيراً وبأضعاف مضاعفة المدى الحراري بين أشهرها وفصولها، وذلك لتدني معدل الرطوبة النسبية (قلة سقوط المطر والغطاء النباتي وزيادة عدد ساعات السطوع الشمسي).

إن درجات الحرارة تقفز في فصل الصيف في النهايات العظمى لها إلى ما فوق (٣٠ °م) في حين تظل نهاياتها الدنيا ما دون (١١ °م) في هذا الفصل أيضاً، كما تصل النهايات العظمى لدرجات الحرارة في فصل الشتاء إلى نحو (٢٥ °م) فيما تتدنى النهايات الصغرى إلى ما دون (-٥ °م). ودرجات الحرارة في مدينة صنعاء تتأثر أيضاً بصفاء الجو. فعلى الرغم من ازدياد عدد ساعات السطوع الشمسي وقلة وجود السحب إلا أن درجة الحرارة تكون أقل من معدلها العام وذلك نتاج لما تحدثه الزوابع المثيرة للغبار العالق والذي يحجب نسبياً الأشعة الشمسية وهذه الزوابع كثيرة الحدوث في الأشهر الأكثر جفافاً.(١٤)

- **الأمطار:** مدينة صنعاء تقع في حدود الإقليم الجاف، لكن ولارتفاعها الكبير عن سطح البحر وعلو الجبال المحيطة بها والتي ترتفع (٢٥١٣-٣٧٦٠م) جعلها تحظى هي وضواحيها، وبفارق متباين وكبير فيما بينها، بكمية معقولة من الأمطار الموسمية والتي تسقط وبغزارة على المرتفعات الغربية والجنوبية الغربية لليمن أكثر من بقية المناطق الأخرى. ولمحاذاة حدود قاع صنعاء للمرتفعات الغربية المحاذية للهضبة الوسطى، فإن مدينة صنعاء تقع في ظل المطر، مما جعل المطر متذبذباً ومتقطع السقوط في المواسم الرئيسية.

ومعدل كمية سقوط المطر وعلى مدى (٥٠سنة) هو (٢٠٠مم). وفي سنة (١٩٦٣م) سجل أعلى رقم لكمية سقوط المطر (٥٣١مم). وفي سنة (١٩٩٠م) سجل أقل رقم لكمية سقوط المطر (٤٧مم). وأكثر الأشهر الممطرة هي (مارس وإبريل ومايو ويوليو وأغسطس وسبتمبر) وأغزرها هما شهرا يوليو وأغسطس. ويقل ويندر المطر في أشهر (أكتوبر ونوفمبر وديسمبر ويناير وفبراير ويونيو). ولكنه قلما يوجد شهر يتعذر فيه سقوط المطر. وفي الوقت ذاته نجد أن الضباب فيما بين الساعات الأولى والأخيرة للنهار والليل في الأيام الممطرة أو الأكثر برودة يغطي المناطق المرتفعة والقريبة من صنعاء (في غربها وجنوبها) سواء كان ذلك في الجبال أو السهول (القيعان).

الهوامش:

١. مصلحة المساحة والسجل العقاري، المخطط العام لمدينة صنعاء.
٢. يقال باب السبح حالياً.
٣. مخطط مدينة صنعاء سنة ١٩٧٨م لويس بيرجر.
٤. وذلك على أساس المخطط السابق.
٥. الرازي، أحمد بن عبد الله الصنعاني: "تاريخ مدينة صنعاء": تحقيق: حسين العمري: دمشق: ط٢: ١٩٨١م: ص (١١٤).
٦. يمن سلنامه سي (سلنامه اليمن): سجل تعداد من الأرشيف العثماني: (٧٨٩٩ - ٧٩٠٦).
٧. ج. ي، وزارة التخطيط والتنمية، الجهاز المركزي للإحصاء: "التعداد العام للمساكن والسكان والمنشآت لعام ١٩٩٤م": النتائج النهائية لأمانة العاصمة.
٨. كوبوفيش، ب ك.: الجبلي ع.أ.: "مشروع حوض صنعاء المائي": وزارة الزراعة والثروة السمكية: صنعاء: ١٩٨٥م: ص (١).
٩. البحيري، صالح حماد سيد: "مدينة صنعاء دراسة في جغرافيا العمران": أطروحة دكتوراه غير منشورة: كلية الآداب: جامعة الإسكندرية: ١٩٨٤م: ص (٣٧،٣١).
١٠. عيسى، مصطفى عبد العال تمام: "محافظة صنعاء دراسة جغرافية": رسالة ماجستير: كلية الآداب: جامعة صنعاء: ١٩٨٥ م: ص (٢٨،٥). والسعدي، عباس فاضل: "مدينة صنعاء": مجلة رسائل جغرافية: العدد ١١٥: الكويت: ١٩٨٨م: ص (١٦،١٥).
١١. إسماعيل، عبد القادر عساج محمد: "مناخ اليمن": دراسة في الجغرافيا المناخية: رسالة ماجستير: كلية التربية: جامعة الأنبار: ١٩٩٦م: ص (٨،٧).
١٢. البحيري، صالح حماد سيد: المصدر السابق: ص (٦٣).
١٣. البحيري، صالح حماد سيد: المصدر نفسه: ص (٦٤).
١٤. قائد، يوسف عبد المجيد: "الأحوال المناخية في منطقة صنعاء": مجلة كلية الآداب: جامعة صنعاء: عدد ٢: ١٩٧٩م: ص (٥٥).



السايلة بعد المطر (١٩٨٩م)، م/ س. الناطور

تاريخ مدينة صنعاء



تاريخ مدينة صنعاء

قبل الإسلام

يتعذر إعادة صياغة قصة نشوء مدينة صنعاء في أعماق التاريخ، إذ لا يمكن للشواهد المادية الباقية من آثارها أن تسعف على معرفة البداية، خاصة والشواهد المكتوبة لا تخبر عنها إلا منذ أن تواتر عمرانها، وأن البحث الأثري على قلته وصعوبته في المدينة قد لا يجدي نفعاً فيما يخص البداية، فالموقع قد استوطن باستمرار وتراكمت طبقاته عبر العصور.

إن المدينة على ما يبدو من أقدم المدن في الشرق القديم، وإذا كانت قصة نشوئها يكتنفها الغموض إجمالاً، ويفضل البعض الضرب صفحاً عن البحث في غسق التاريخ حيث تقل الرؤية ويكثر الرجم بالغيب، على أنه ينبغي أن لا نغفل ما ذكر عنها من قَصَص ملحمي ومعارف إخبارية مما تواتر رواية وكتابة، فهي وإن لم تكن معارف تاريخية يعوّل عليها ويصعب الحكم بصحتها وحسن الاستفادة منها في رسم الصورة التاريخية الممكنة للمدينة، إلا أن تلك الأخبار لم تأت من فراغ فهي تمثل على الأقل صدى للحقيقة التاريخية وتومئ إليها، كما أنها ترمز إلى عراقة المدينة ودورها في فترة المراحل الأولى للاستيطان البشري وإقامة المراكز الحضرية حيث يتعذر الحصول على شواهد أثرية ووثائق مدونة.

ومن أشهر الأخبار القديمة عن نشوء مدينة صنعاء القديمة ما رواه الحسن بن أحمد الهمداني (ت بعد ٣٣٤هـ/٩٤٥م)[١] في كتابه الموسوعي **الإكليل** إذ تروي تلك الأخبار أن "سام بن نوح اجتوى السكنى في أرض الشمال وأقبل طالعاً في الجنوب يرتاد أطيب البلاد حتى صار إلى الإقليم الأول فوجد اليمن أطيبه مسكناً، وأرتاد اليمن فوجد حقل صنعاء أطيب ماءً فوضع مقرانة [وهو الخيط الذي يقدر به البَنَّاءُ ويبني عليه بناءَه إذا مده بموضع الأساس] في ناحية **فج عَضُدان** (عطّان) في غربي حقل صنعاء مما يلي جبل عيبان.. فبنى الضّبر [أي الركن الذي يوضع عليه الأساس] فلما ارتفع [أي الركن] بعث الله طائراً فاختطف المقرانة وطار بها، وتبعه سام لينظر أين يسقطه، فأمَّ الطائر إلى جبوب النعيم [والجبوب ما ارتفع من الأرض ودون الهضبة] في سفح جبل نقم، فوقع بها فلما هفه [أي قرب منه] طار بها وطرحها على حَرَّة **غُمْدان** [والحرة بلهجة أهل اليمن هي الأرض المُدَرَّجَة في المرتفعات] فلما قَرَّت المقرانةُ على حرة غُمْدان، علم سام أنه قد أمر بالبناء هناك، فأس غُمْدان [أي قصر غمدان] واحتفر بئره.. [وبنيت صنعاء بعد ذلك بين الجبلين نقم وعيبان].

وذكر صاحب تاريخ مدينة صنعاء قولاً رواه عن غسان بن أبى عبيد أن لقرية صنعاء منذ بنيت أربعة آلاف سنة، كما يورد أبياتا شعرية منسوبة إلى تُبَّع يصف فيها صنعاء... ويذكر أن قحطان هو بانيها. وفي المصدر نفسه رواية أخرى تفيد أن صنعاء كانت تسمى أزال، باسم أحد أبناء يقطن بن عابر بن شالخ بن ارفخشد بن سام بن نوح.. ومثل هذه الحكاية لا تزال متواترة في صنعاء إلى اليوم. وقد ذكر هذا الاسم في شعر أهل اليمن وما زال معروفاً بصنعاء إلى اليوم.



ومن أوصاف مدينة صنعاء في الأخبار أنها محفوظة في الجاهلية والإسلام، وأنها من جنان الأرض. وفي ذلك أحاديث منها: "خمس قرى محفوظات، مكة والمدينة وبيت المقدس وصنعاء ونجران" ومن الأحاديث المروية في الأخبار أيضاً" ثلاث جنات في الدنيا: مَرْو من خراسان ودمشق من الشام وصنعاءُ من اليمن. وجنةُ هذه الجنان صنعاء ومدينة صنعاء هي أم اليمن وقطبها وقصبتها"(٢).

ومجمل القول أن المصادر الإخبارية تجمع على قدم المدينة وفضلها وعراقة عمارتها وعمرانها وطيب عيشها ونسيمها، وتحدد موقعها إجمالاً بين الجبلين نُقُم وعيبان، وأنها بنيت بعد الطوفان بتأسيس سام بن نوح قصر غُمدان على حرة غمدان بجبوب النعيم من سفح جبل نقم حيث أمر بالبناء هنالك فأس غمدان واحتفر بئره، وأن صنعاء إحدى جنان الأرض عند كافة الناس. ومن الأخبار التي تقترب من الشواهد النقشية ما ذكره الهمداني في الإكليل(٣) وهو أن الذي بنى غمدان، قصر صنعاء، هو (إلي شرح يحضب)، وأن (شَعرم أوتر) هو الذي أوصل بنيان قصور صنعاء وأحاطها بحائط.

فقد جاء في نقش (نامي١٢) الذي دون في عهد الملك السبئي (شعرم أوتر) حوالي أوائل القرن الثالث الميلادي أنه كان ملك القصرين، **سَلْحين** في مارب وغمدان في صنعاء.

كما أن النقوش تذكر صنعاء مراراً في عهد الملك (إلي شَرَح يحضب) وأخيه (يأزل بيّن) في حوالي منتصف القرن نفسه، وكانت لهما بعد مارب بمثابة العاصمة السبئية في النطاق الجبلي.

أما الاسم صنعاء في اللغة اليمنية القديمة فمشتق من الجذر (صنع) بمعنى حَصُن ومَنُع، وهو موافق لمعنى الاسم (أزال)، وهو موجود أيضاً باللغة اليمنية القديمة بمعنى القوة والمنعة (أزل)، ومنه اشتق اسم الملك السبئي (يأزل بيّن) واسم المدينة اليمنية القديمة (وعلان تأزل). وفي نقوش اللغة اليمنية القديمة يقال (تصنّع) بمعنى تحصن، وفي تسميات الأمكنة اليمنية يكثر الاسم **مَصنعة** والجمع مصانع والتصغير مصينعة، وكلها تعطي معنى الحصون والقرى الحصينة في الأماكن المرتفعة.

وذكر نشوان بن سعيد الحميري (ت٥٧٣هـ/ ١١٧٧م) في كتابه شمس العلوم(٤) مدينة صنعاء في مادة صنع بقوله: "صنعاء مدينة باليمن يقال فيها قصبة اليمن وأم اليمن والنسبة إليها صنعاني بنون على غير قياس". قال أبو الفداء (ت٧٣٢هـ/ ١٣٣١م)، في كتابه تقويم البلدان(٥) (صنعاء) بفتح الصاد وسكون النون وعين مهملة وألف ممدودة. وقال القلقشندي (ت٨٢١هـ/١٤١٨م) صاحب كتاب صبح الأعشى(٦) واسمها الأول (اوال) [والصحيح أزال] يعني بضم الهمزة وفتح الواو من الأولية(٧) بلغتهم فلما وافتها الحبشة ونظروا إلى بنائها قالوا: هذه صنعة ومعناها بلغتهم حصينة فسميت صنعاء من يومئذ قال: والنسبة إليها صنعاني على غير قياس ويقال إنها أول مدينة بنيت في اليمن. وقيل سميت صنعاء نسبة إلى جودة الصنعة في ذاتها كقولهم امرأة حسناء. وكان اسمها في الجاهلية أزال حتى دخلها الحبشة فوجدوها مبنية بالحجارة حصينة فقالوا هذه صنعاء ومعناها حصينة، فسميت صنعاء بذلك.

وفي معجم البلدان(٨) "أن اسم صنعاء في القديم هو أزال... فلما وافتها الحبشة... ورأوا مدينتها وجدوها مبنية بالحجارة حصينة فقالوا هذه صنعة ومعناه حصينة فسميت صنعاء بذلك. ويبدو أن الرواة قد قلبوا صيغة الخبر، ففي الحبشية (أزل) بمعنى (صنع)، وفي الحالين يدل المعنى على القوة والمنعة والتحصين، وذلك موافق للمعنى الذي ورد في الخبر. والجذر (صنع) واشتقاقه معروف في اللغة اليمنية القديمة وفي اللهجات اليمنية المعاصرة.. فيقال في النقوش (وتصنعو/ بوصت/ هجرن/ ذمر) أي وتحصنوا داخل مدينة ذمار، ويقال: (وتصنعو/سسلت/مدبن) أي وأقاموا سلسلة حصون ساحل المندب بتهامة. وكذلك الجذر (أزل)، وفي النقوش: (هجرهمو/وعلن /تأزل) أي مدينتهم المسماة وعلان تمنع، صيغة على الدعاء كقولهم (يزيد) علم بصيغة الفعل المضارع المذكر بمعنى فليزد الله من أمثاله أو فليباركه. ومن أسماء الملوك قديما (يأزل بيَن) وهو أخو (شرح إيل يحضب) الذي تنسب إليه الأخبار العربية بناء مدينة صنعاء. ويأزل فعل مضارع من (أزل) بمعنى حَصن وقَويَ وصَنع.

إن أقدم ذكر لصنعاء في النقوش السبئية يعود إلى عهد (هلك أمر بن كرب إيل وتر يهنعم) ملك سبأ وذي ريدان والذي عاش في القرن الأول الميلادي سنة (٧٠ميلادية) ويذكر النقش نفسه مدينة **شعوب**. على أن أسم المدينة صنعاء (صنعو) يتكرر ذكره في نقوش محرم بلقيس منذ النصف الأول للقرن الثاني

الميلادي ابتداء من عهد (سعد شمس أسرع) ملك سبأ وذي ريدان وعهد ابنه (مرثد يهحمد) وحتى نهاية القرن الثالث وبداية القرن الرابع الميلادي بما في ذلك عهدي الملكين الشهيرين (ياسر يُهنعم) وابنه (شَمّر يُهرعش).

واسم مدينة صنعاء في النقوش هو (هجرن/ صَنعو)، وهَجَر بلغة أهل اليمن مدينة، و(صنعو) مثل (قرنو) بالواو بدلا من الألف والهمزة كما تدل النسبة، حيث يقال صنعاوي وفي الصحراء صحراوي. والنسبة الشائعة إلى صنعاء صنعاني لأنهم رأوا النون أخف من الواو.

وتذكر صنعاء بعد ذلك في نقش من أيام الملك السبئى (ذمار علي) حوالي (٩٠ ميلادية)، وفي نقش آخر من أيام الملكين (سعد شمس أسرع ومرثد يهحمد) وأيام حكم الملك (وهب إيل يحوز) وينتمي كل هولآء الحكام إلى أسر سبئية مختلفة يقدر تاريخ حكمها ما بين (١٠٠-١٢٠م).

وبعد ذلك تذكر صنعاء مرارا كما هو متوقع في عهد حكم الملكين (إلي شرح يحضب ويأزل بَيّن) وذلك في منتصف القرن الثالث الميلادي. وفي نهاية القرن الثالث الميلادي يصلنا نقش يتحدث عن رجال قاموا بأداء بعض الواجبات في عهد الملكين المعروفين وهما (ياسر يهنعم وشمر يهرعش) في كل من مدينتي مارب وصنعاء. وليس لدينا نقوش بعد ذلك تتحدث عن صنعاء سوى كسرة اكتشفت حديثاً، وتذكر (الحبشة من صنعاء) مما قد يوحي بأن النقش دوّن بعد سنة (٥٢٥ للميلاد) أي بعد الغزو الحبشي لليمن. وبذلك ينحصر ذكر صنعاء في اليمن القديم من خلال الشواهد النقشية بين (٦٠-١٢٠ للميلاد) ثم النصف الثاني للقرن الثالث وأواخر الربع الثاني من القرن السادس الميلادي. وإذا كانت صنعاء كما يبدو لم تظهر في نقوش القرون الأخرى فإن ذلك لا يعني أن أهميتها قد تناقصت حينها وإنما ذلك لأسباب أخرى منها قلة العثور على النقوش والآثار القديمة في المدينة نفسها وصَمت المصادر العربية عنها في القرن السابع الميلادي.

ولهذا يمكن القول أنّ مدينة صنعاء وباسمها هذا قد عرفت في النقوش من حوالي فترة ميلاد المسيح عليه السلام وإن كان لا أحد يقطع بالحجة، ولا ينكر إيغال تاريخها في القدم. ومن المعتقد أن نشوء مدن القيعان في المرتفعات، قد تم بعد تدهور مدن الوديان في شرقها، وقد يكون من باب الصدف أن لا تذكر صنعاء بوضوح بعد القرن الثالث حتى الغزو الحبشي. ولكن يمكن الإستنتاج أيضاً أن قيام دولة حمير الكبرى واتخاذها مدينة **ظفار** قرب **قاع الحقل** عاصمة لها قد أزاح إلى الظل كل المدن اليمنية الأخرى، بما فيها **مارب وصنعاء**، تماماً كما كانت أهمية مدينة مارب عاصمة سبأ قد طغت على المدن اليمنية الأخرى قروناً طويلة قبل ذلك.

ويبدو أن صنعاء اكتسبت أهمية خاصة بعد الغزو الحبشي لليمن وحلت محل ظفار عاصمة حمير العاصمة الأولى لليمن منذ سقوط مارب. ويؤيد هذا القول النقش السالف الذكر والذي أشار إلى (الحبشة في صنعاء) كما تعكس الأخبار مثل ذلك ... فقالوا كان اسم صنعاء في الجاهلية أزال حتى دخلها الحبشة... وقالوا إنه بعد أن انهزم بنو حمير وألقى ذَي نواس بنفسه في اليم تولى بعده أبرهة المُلك في صنعاء.

كانت صنعاء عاصمة لأبرهة الذي استخدم لقب العرش السبئي أي ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمانة وأعرابهم طوداً وتهامة بعد استقلاله عن نجاشي الحبشة، وكانت أيضاً عاصمة لابنه يكسوم حتى حوالي (٥٧٥-٥٧٧م) عندما استعاد سيف (بن معدي كرب) ذي يزن بدعم فارسي عرش المملكة، وقدمت وفود القبائل العربية إلى صنعاء تهنئه باعتلاء العرش وإخراج الحبشة من اليمن، وكان فيهم عبد المطلب بن هاشم وأبو أمية بن أبى الصلت (وقيل جده) فدخلوا إليه وهو في أعلى قصره بمدينة صنعاء المعروف بغُمدان، وتكلمت الخطباء ونطقت الشعراء وكان في مقدمتهم عبد المطلب الذي لاقت خطبته البليغة استحساناً لدى الملك، واشتهرت قصيدة ابن أبى الصلت التي قال فيها:

ليطلب الوتر أمثال ابن ذي يزن
فــي البحر خيم للأعداء أحوالاً
فاشرب هنيئاً عليك التاخ مرتفعاً
في رأس غمدان داراً منك محلالاً

وكان أبوه ذي يزن من ملوك اليمن، والأرجح أن سيفاً كان حفيد الملك الحميرى سميفع أشوع الذي نصبه الأحباش ملكاً بعد أن هُزم ذي نواس. وسيف وأبوه **مُرة وسميفع** وكذلك ذي نواس هم **يزَنيون**، وكان لهم الملك في حِمير في فترة انحسارها،

و(ذي يزن) هو نسب القبيلة، يقال **ذي** بمعنى الذي لدى النسبة، ولا يجري عليها إعراب الأسماء الخمسة.

وقد واجه الاحتلال الحبشي لليمن (صنعاء) مقاومة شعبية عنيفة بقيادة سيف بن ذي يزن، ثم لجأ بعدها إلى طلب المساندة من الفرس في طرد الأحباش، وأبرمت اتفاقية بين كسرى فارس وسيف بن ذي يزن، حينها قرر الفرس الدخول إلى اليمن في سنة (٥٧٥م).

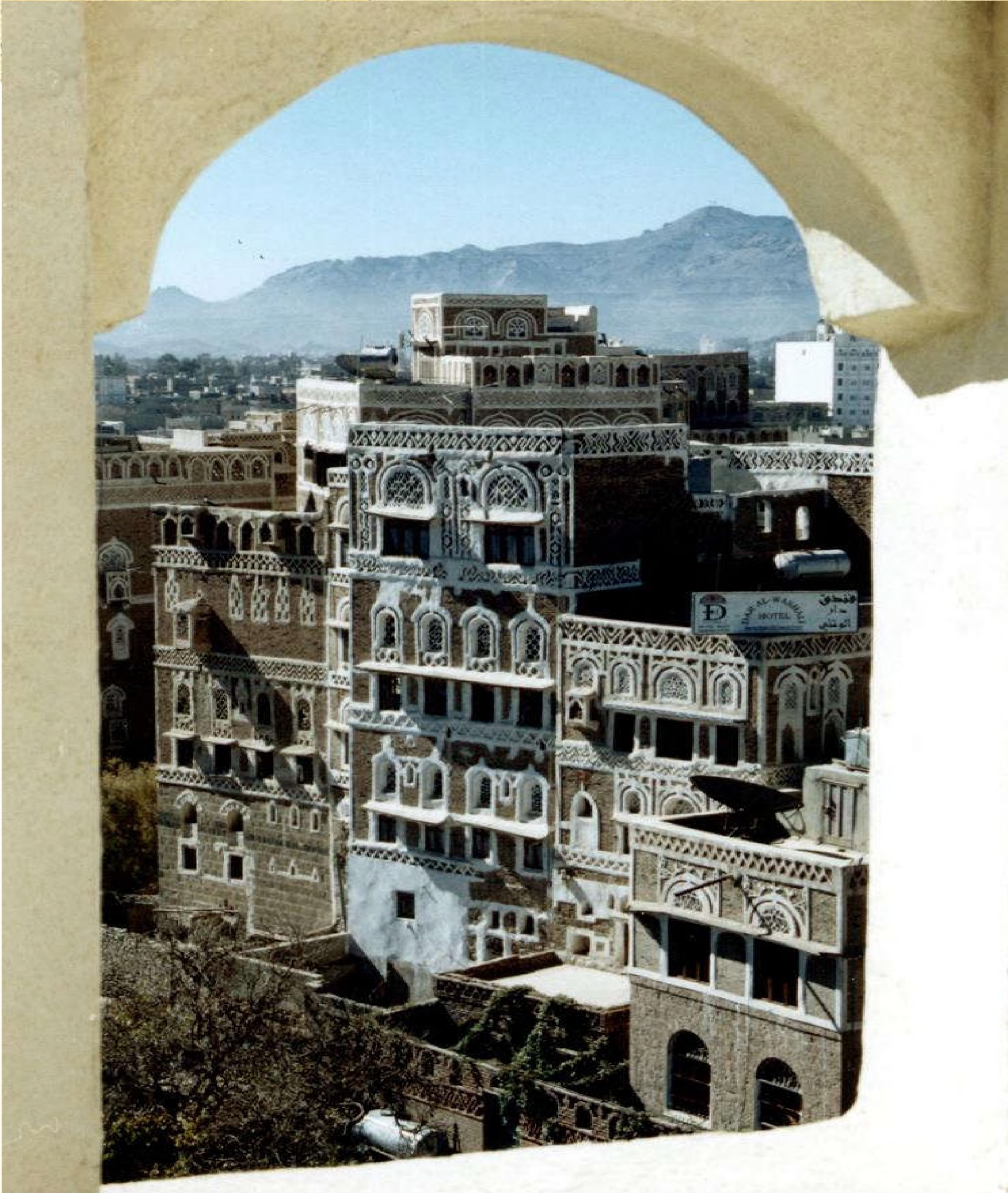
ولم يدم ملك سيف طويلاً وخشي الفرس أن تفلت منهم زمام الأمور فعززوا وجودهم، وأصبحت اليمن ولاية من ولايات الدولة الساسانية. وكان الوالي الساساني يقيم في صنعاء ثم انتهت السيطرة الفارسية على اليمن بدخول أهل اليمن الإسلام، وكان باذان آخر مرازبة الفرس ممن أسلم. واستقر بعد ذلك الكثير من الأساورة والأعيان الفرس في صنعاء وتزاوجوا مع سكانها، وكان منهم فئة الأبناء التي شكلت جزءاً من سكان المدينة بعد الإسلام. على أن النفوذ الفارسي في اليمن في الربع الأول من القرن السابع الميلادي بدأ يضعف، وانحصر في صنعاء وما والاها على إثر الحروب التي أنهكت الفرس والروم، فقلت هيمنتهما وهيبتهما، وبدأ الحكم الفارسي في اليمن يواجه بالتمرد. وكان ممن تمرد عليهم وطمع في السلطة في صنعاء عبهلة الذي اشتهر بلقب الأسود العنسي وكُني بذي الخمار. ويبدو أن حركته التي أفزعت الفرس ونجحت في الاستيلاء على نجران وصنعاء أساءت تقدير الدعوة القادمة من مكة وأهمية الرسالة التي تحملها خلافاً لما فعله الفرس الذين اعتنقوا



الإسلام ونعموا بظل عدالته. أما عبهلة فقد أخفق في حركته وأحبط الله عمله، ولم يمت الرسول ﷺ إلا وقد تلقى خبر مقتل الأسود الكذاب، كما أقر الرسول ﷺ شهرَ بنَ باذان في ولايته على صنعاء بعد موت أبيه. على أن صنعاء لم تكن قبل الإسلام وخلال حكم الأبناء لليمن حاضرة لليمن فحسب وإنما كانت محطةً هامَّةً على طريق التجارة عبر الهضبة اليمنية وجبال السراة وهو الطريق الذي حل محل **طريق اللبّان** في المناطق الصحراوية. ويفترض أن مسلك هذا الطريق هو ما عرف (بدرب أسعد الكامل) الممتد من ظفار عاصمة حمير إلى الطائف أو ما سمي أيضاً (بدرب أصحاب الفيل)، وهو نفسه طريق القوافل الذي كان يربط أسواق العرب الموسمية قبل الإسلام. وكان بصنعاء سوق موسمية تقام في النصف من شهر رمضان كل عام. وذلك ضمن مواسم أسواق العرب التي تبدأ في دومة الجندل بين الشام والحجاز في أول يوم من شهر ربيع الأول ثم سوق المشَقر بهجر (الهفوف حاليا) ثم سوق صحار ودبا على بحر الخليج ثم سوق شِحر مَهْرة على ساحل البحر العربي، ثم سوق عدن ثم سوق صنعاء ثم سوق عكاظ وهي من أعظم أسواق العرب وبقيت صنعاء بعد الإسلام محطةً تجاريةً أيضاً، ووجهة كل تاجر وعالم، وشاع عنها قول العرب:

لا بد من صنعاء وإن طال السفر   وإن تحنى كل عود وانقعر

تفيد المصادر التاريخية أن مدينة صنعاء بدأت تحتل المكانة الأولى بعد انحسار أهمية مدينة ظفار العاصمة الحميرية واندثارها بسقوط دولة حمير في أواخر الربع الأول من القرن السادس الميلادي. ولربما أتخذ يوسف أسأر يثأر المشهور بذي نواس وآخر ملوك حمير من صنعاء منطلقاً لتجميع قواته وغزواته ضد الأحباش كما فعل إلِي شرح يحضب قبل ذلك بقرون. ولما غزا الأحباش اليمن وانهزم ذي نواس[٩] في سواحل تهامة، واصل الأحباش زحفهم حتى وصلوا مقر ذي نواس واتخذوا صنعاء عاصمة لهم. وعندما غلب على أمره واحتل الأحباش اليمن في حوالي (٥٢٥ للميلاد) أقام نجاشي الحبشة أبرهة ملكاً على صنعاء ومخاليفها ووصفت بأنها عاصمة سبأ وظلت صنعاء بعد ذلك عاصمة خلال ما يربو على مائة عام قبل إسلام أهل اليمن.


HOTEL

قصر غُمْدان

قصر شهير في صنعاء، ويتفق البكري وياقوت[١٠] على ضم أوله و إسكان ثانيه (غُمْدان). و ذكر الهمداني في كتاب الإكليل (الجزء الثامن)[١١] أن : "غمدان أول قصور اليمن و أعجبها ذكراً وأبعدها صيتاً". ويروي الإخباريون أن الذي أسس قصر غمدان وابتدأ بناءه وحفر بئره بصنعاء هو سام بن نوح ; غير أن الهمداني يتجاوز تلك الأخبار إلى روايات تاريخية تفيد أن الذي بنى غمدان هو (إلي شَرح يحضب)، وأن الذي وصل بنيان القصور وأحاط على صنعاء بحائط كان (شَعِر اوتَر). وتدلنا النقوش اليمنية القديمة أن هاتين الشخصيتين ارتبطتا فعلاً بقصر غمدان، إذ أن أقدم ذكر لقصر غمدان في النقوش ورد في نقش (نامي ١٢) دوَّنه (شعرم أوتر) حوالي (٢٢٠ للميلاد) ملك سبأ وذي ريدان ابن علّهان نهفان ملك سبأ. وذكر هذا النقش قصرين سبئيين سَلْحين وكان آنذاك مقراً للعائلة السبئية التقليدية التي تحكم مارب إبان الصراع على اللقب الملكي في اليمن وهو لقب ملك سبأ وذي ريدان (أي ملك سبأ وحمير)، وغمدان في صنعاء كان مقراً للملوك السبئيين من قبيلة (ذي جُرَة) التي كان مركزها مدينة نِعِض قرب جبل كَنِن المجاور لقاع صنعاء. ولما كان الملك (شعرم أوتر) قد تلقَّب بملك سبأ وذي ريدان أيضاً فقد وصف بأنه ملك القصرين: سلحين وغمدان. ويتكرر ذكر القصرين غمدان وسلحين معاً في نقش آخر يعود تاريخه إلى منتصف القرن الثالث الميلادي، وذلك من عهد الملك (إلي شرح يحضب) ملك سبأ وذي ريدان[١٢]، وكان يشاركه في الحكم أخوه (يأزل بيّن). ويؤيد ذلك نقشان آخران عثر عليهما في مارب يذكر ان استيلاءهما على قصري غمدان وسلحين[١٣]. والجدير بالذكر أن التسمية غمدان وردت في هذين النقشين غندان (بالنون) وليست (بالميم).

وربما عنى تكرار ذكر غمدان بعد سلحين في النقوش أنه كان يحتل المرتبة الثانية بعد سلحين، وهو ما يقترب من قول الهمداني في الجزء الثامن من الإكليل[١٤]: "إن الملوك كانت تسكن في مارب حيناً وحيناً في صنعاء". ويذكر الهمداني أن القصر كان قد أقيم في جَبُوب[١٥] النعيم بسفح جبل نُقُم على حَرَّة غمدان. وكان (حسب قوله) عشرين سقفاً غرفاً بعضها على بعض. واختلف الناس في الطول والعرض، فقائل يقول:



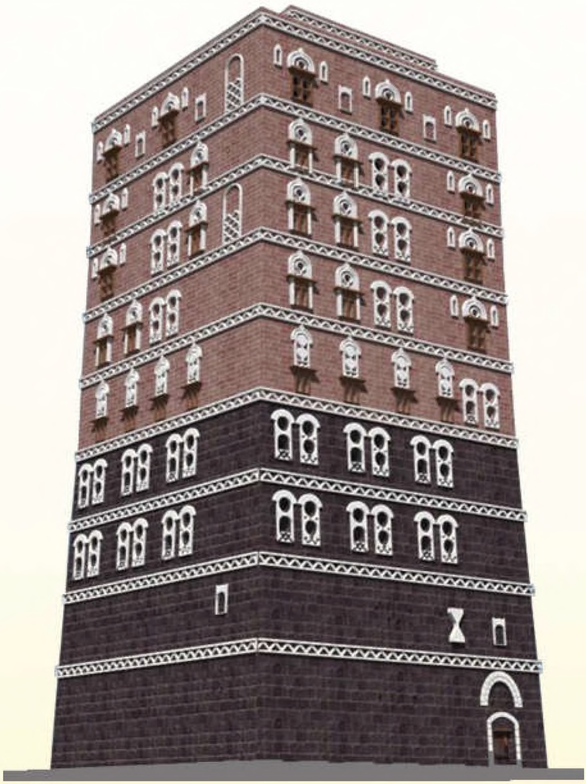
موقع قصر غمدان

كل وجه علوه ألف بألف، وقائل يقول: كان أكثر، وكان فيما بين كل سقفين عشرة أذرع.

ويجوز أن يفترض المرء أن المقصود هو أن يؤلف ما بين كل سقفين طابقاً واحداً، ويلف السقفين حزام حرف (مُعصَّب أو مُنَطَّق أو مُؤَزَّر)، ويكون ارتفاع الطابق عشرة أذرع. فيكون القصر في الواقع عشرة طوابق أو عشرين سقفاً، وكل ذراع تقدر ما بين (٤٠-٥٠ سم)، فيكون ارتفاع كل طابق ما بين (٤٠٠- ٥٠٠ سم) أي أن الحد الأدنى لارتفاع كل طابق حوالي (٤ أمتار)، والحد الأدنى لارتفاع القصر كله حوالي (٤٠ متراً).

ومع ذلك فإن بناء قصر من الحجر بارتفاع (٤٠ متراً) ليس بالأمر اليسير هندسياً، ويمكن أن يفترض المرء أن الطوابق السفلى كانت مبنية من الحجر الصلد القوي، ويبرز كل صف سفلي عما يعلوه بمقدار سنتيمتر واحد ونيف، مما يعطي القاعدة قوة تَحَمُّل كبيرة، يضاف إلى ذلك ما عُلم من الأخبار أنَّ الطوابق العليا قد شيدت من الرخام وهو بلا ريب أخف من الحجر الصلد.

ويستفاد من مجمل وصف القصر في المصادر[١٦] أن أسفله من الجُروب وهي أحجار كبيرة سوداء صلدة مهندمة (مُوَقَّصة)،



منظور تخيلي لقصر غمدان، رسم د. عبد الرقيب طاهر (١٩٩٨م)[٢١]

وأعلاه كان من الرخام المُنهَّم أي المصقول، وأن حجارته كانت متلاحكة بالقطر (مترابطة بالمعدن المذاب)، وأنه كان مُعصَّباً ومُنطَّقاً ومؤزّراً، وهي إشارات كما يبدو إلى (تَشقير) أعلاه (بتجواب)[١٧]، وتزيين ما بين طوابقه بالأحجار شبه الكريمة كالجَزْع وما أشبه ذلك، وأنه قد شيد براس القصر مَنْظر (أي الغرفة العليا) وأطبق سقفها برخامة واحدة شفافة، فيعرف الجالس في الغرفة بها الغراب من الحدأة من تحت الرخامة. وكان على حروف الغرفة أربعة تماثيل لأسود من نحاس مجوفة، فإذا هبت الريح فدخلت أجوافها سمع لها زئير كزئير الأسد. وكان يتصدر مدخل القصر ساعة مائية (ربما يشبه النوع الذي عرف بعد ذلك في المدن الإسلامية المشهورة مثل فاس ومراكش ودمشق وغيرها). وكانت تزين فناء القصر حديقة غناء وقنوات جارية، وفي جانب من فناء القصر نمت نخلة سامقة تسمى الدالفة.

ويبدو أن وصف القصر بهذا الشكل الذي ورد فيما روي من الأشعار والأخبار وفي حدود ما تيسر من قراءة لها، لا يبعد كثيراً عن الممكن. ولا يضير هذه الصورة التاريخية (المعقولة) التي وصلتنا ما علق بها من وَشْي جميل وخيال بديع، مثل مطاولة القصر للسحاب، ومناغاته للنجم، وظله المديد الذي يحجب عين الشمس ما بين جبلي نقم وعيبان، أو أن الشعلة في رأس القصر يراها الناس ليلاً من مسيرة ثلاثة أيام، وغيرها من الأوصاف الخارقة التي وسمت هذا الصرح المعماري العجيب.

ويقول الهمداني[١٨] إنه: "قد بقي [في عصره] من حَدِّ غمدان القديم قطعة ذات جُروب[١٩] متلاحكة تلاحكاً عجيباً، فهي قُبالة الباب الأول والثاني من أبواب الجامع [الكبير] الشرقية. وباقي غمدان تَلٌّ عظيم كالجبل، وكثير مما حوله من منازل الصنعانيين فمنه... وبير [القصر القديم] هي سقاية الجامع [الكبير] وتسمى كرامة". ولما كان قصر غمدان قد بقي رمزاً لأهل اليمن حتى بعد تهدمه، فقد اعتاد حكام صنعاء على بناء قصر في أعلى مكان في مدينة صنعاء من جهة الشرق يسمونه قصر غمدان، وقد يعرف بقصر صنعاء أو بالقصر فقط دون إضافة.

وظل القصر عالقاً في ذاكرة الإخباريين بعد الإسلام واعتبروه من المباني العجيبة، وربما بالغوا في وصفه. قال الهمداني (الإكليل الجزء الثامن) يصف قصر غمدان[٢٠]:

من بعد غمدان المُنيف وأهْله
فَهُوَ الشفَاءُ لقلْب مَنْ يتفكَّرُ
يَسْمُو إلى كَبِدِ السَّمَاء مصَعَّداً
عشْرينَ سَقفاً سَقفهَا لا يَقصُرُ
ومن السَّحاب معصَّبٌ بغَمامة
ومن الرُّخَام مُمَنطقٌ ومُؤزَّرٌ
مُتلاحِكاً بالقطر منه صخرُه
والجزْعُ بين صُرُوحه والمرْمَرُ
وبكُل ركْنٍ رأسُ نسرٍ طائرٍ
أو رأسُ ليْثٍ مِنْ نحُاسٍ يَزْأرُ
مُتضَمّناً في صَدْره قطارةً
لحساب أجْزَاء النَّهار تُقَطِّرُ
والطّيْرُ عاكفةٌ عليْه وفُودُها
ومِياهُهَا قنَواتُها تتهَدَّرُ
يَنبُوعُ عَيْنٍ لا يكدَّرُ شرْبُها
وبرأسه من فَوق ذلكَ مَنْظرُ
برُخَامة مَنهومةٍ فمتى يُردْ
أرْبَابُه مَنْ حوْلَه لَم يُعْسرُوا
جا قَضُّهم بقضيضهم إذا عاينوا
نارَ الرُّخامة في صفاها تزْهَرُ
فهناك كانَ صريخهم لجُموعهم
مِن غَيرِ مُنبَعِثٍ تعَوَّدَ يُخْطِرُ
فأزاله الدَّهرُ الخؤُونُ وأهلَه
فَحوَتْهُمُ بعد التجارُبِ أقبُرُ

ولقد تهدم قصر غمدان كما يبدو بحكم تقادم العهد، وزامن انهياره انهيار معاقل الحضارة اليمنية القديمة وزوال ممالكها العظيمة. والأرجح أنَّ هدمه قد مرَّ بمراحل، منها: ما أصابه من حريق أيام الغزو الحبشي لليمن في حوالي (٥٢٥للميلاد)، كما هدم جزء منه في حياة الرسول ﷺ، ثم تهاوى ما تبقى منه في أيام الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه.



المعمار (الأسطى) (١٩٣٤م)، م/ م ت د م

العصر الإسلامي

عهد الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين:

وصلت أخبار الدعوة الإسلامية إلى اليمن بطرق شتى أهمها أسواق العرب الموسمية ومواسم الحجيج. وكان نصيب اليمن من دورة أسواق العرب خلال العام سوق نجران وسوق صنعاء وسوق الجند وسوق عدن وسوق الرابية بحضرموت وسوق الشحر. وكان أهل اليمن يحضرون مواسم الحج وسوق عكاظ على مقربة من مكة كغيرهم من قبائل العرب، ويرتادون تلك المواسم في شتى أنحاء جزيرة العرب وعلى مدار السنة. وقد كرم الله سبحانه وتعالى رحلة الشتاء والصيف بالذكر في كتابه العزيز، فلا يمر عام إلا كان لقريش قافلة تجارية أو أكثر إلى اليمن، مما يدعو إلى توكيد وفرة السبل لتناقل أخبار تلك الدعوة النبوية التي هزت أحداثها الخطيرة أرجاء الحجاز حينذاك.

وعندما حان تبليغ الدعوة إلى جميع الناس كافة داخل الجزيرة وخارجها، وبعد صلح الحديبية في السنة السادسة للهجرة، وجه الرسول ﷺ دعوات مباشرة لأهل اليمن للدخول في دين الله عن طريق الكتب والرسل، فما منطقة من مناطق اليمن إلا وكتب إليها الرسول ﷺ كتاباً وعقد لها عهداً أو بعث إليها. فبعث إلى قبائل الأزد وكتب إلى أهل نجران وإلى أهل مشارق اليمن وإلى أهل تهامة وإلى صنعاء وما والاها وإلى حمير وملوكها حتى كادت رسائله تعم اليمن كله.

ولقد أسلم أهل اليمن واستجابوا للدعوة بطرق شتى فمنهم من أسلم رغبة في الإسلام بمجرد السماع به، ومنهم من أسلم رهبة بعد أن تيقن من علو شأن الإسلام وغلبته، ومنهم من أسلم استجابة للكتب والرسل والدعاة، ومنهم من أسلم نتيجة وصول السرايا والبعوث الإسلامية المقاتلة.

ويبرز المؤرخون لدى حديثهم عن إسلام أهل اليمن دور الصحابي الجليل معاذ بن جبل الذي بعثه الرسول ﷺ في السنة التاسعة للهجرة إلى اليمن ليدعو الناس إلى الإسلام ويفقههم في الدين. وكان للرسول ﷺ اهتمام خاص بمهمة معاذ، فقد خرج يودعه وأوصاه وصية جامعة، حقق معاذ بفضلها مهمته وقام بها خير قيام. كما أن الرسول ﷺ كرم أهل اليمن واستجابتهم للدعوة بقوله: (**الله أكبر جاء نصر الله، وجاء الفتح، وجاء أهل اليمن نقية قلوبهم لينة طباعهم، الإيمان يمان والفقه يمان والحكمة يمانية**)[٢٣].

وروي أن النبي ﷺ بعث فَرْوة بن مُسَيك المُرادي على مراد ومَذْحِج واليمن كله، وبعث معه خالد بن سعيد بن أمية بن عبد شمس، على الصدقة، فكان في بلاده حتى توفي رسول الله ﷺ.

عن عبد الرزاق قال: حمَّادٌ بن سعيد بن رمانة قال: أخبرني بعض أشياخي أن الرسول ﷺ أمر وَبْرَ بنَ يُحَنِّس الأنصاري حين أرسله إلى صنعاء والياً عليها فقال: **ادعهم إلى الإيمان، فإن أطاعوا لك به فاشرع الصلاة، فإذا أطاعوا لك بها، فمر ببناء المسجد لهم في بستان باذان من الصخرة التي في أصل غمدان واستقبل به الجبل الذي يقال له ضين.**

فأُسِّ المسجد على هذه الصفة في بستان باذان، من الصخرة التي في أصل غمدان واستُقبِلَ به ضِين[٢٤].

قال علي بن الحسن الخزرجي[٢٥]: أجمع العلماء قاطبة أن كافة أهل اليمن اسلموا على عهد رسول الله ﷺ. وقد بعث رُسله إلى النواحي في سنة سبع من الهجرة، فبعث المهاجر بن أمية المخزومي إلى الحارث بن عبد كلال الحميري ملك اليمن يومئذ، بدعوة قومه إلى الإسلام فأسلم وأسلموا. وقيل بعث رسول الله ﷺ إلى اليمن وبر بن يُحنس الخزاعي وقيل الأنصاري بعثه إلى صنعاء وذلك بعد موت باذان، فانزله (دادويه) في كنيسة صنعاء التي عند امرأته أم سعيد البرزخية، فقرأ عليها وبر بن يحنس القرآن فأسلمت وحسن إسلامها، وكانت أول من أسلم من أهل اليمن باليمن، وتعلمت القرآن وَصلَّتْ في منزلها. ثم فشا الإسلام في اليمن، فهاجر فروة بن مسيك المرادي إلى الرسول ﷺ فاستعمله رسول الله ﷺ على مراد ومذحج وزُبيد كلها.

قال البخاري[٢٦] بعث رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب وخالد بن الوليد إلى اليمن قبل حجة الوداع ومع علي بن أبي طالب البراء بن عازب فوصل علي بن أبي طالب إلى صنعاء، ثم عاد بالهدايا، فوافى رسول الله ﷺ في حجة الوداع.

وفي رواية أخرى أن النبي ﷺ بعث خالد بن الوليد إلى أهل اليمن يدعوهم إلى الإسلام فأقام فيهم ستة أشهر يدعوهم إلى الإسلام فلم يجيبوا، ثم انه بعث علي بن أبى طالب رضي الله عنه فلما دنا منهم خرجوا إليه فصلى بمن معه، ثم صفهم صفاً واحداً وتقدم بين أيديهم وقرأ عليهم كتاب رسول الله ﷺ، فأسلمت همدان جميعها. فكتب علي إلى رسول الله ﷺ يخبره

بإسلامهم. فلما قرأ رسول الله ﷺ الكتاب خرّ ساجداً ثم رفع رأسه ﷺ فقال. السلام على همدان[٢٧].

قالوا ولا خلاف أن باني مسجد الجند معاذ بن جبل، واختلفوا في من بنى مسجد صنعاء، فقيل أبان بن سعيد بن العاص وقيل وَبْر بن يحنس الخزاعي، وهو من بعثه رسول الله ﷺ وكتب إليه أن يبني الحائط الذي لباذان مسجدا، ويجعله من الصخرة إلى موضع جداره ويستقبل بقبلته جبل ضين، وهو جبل مؤمل...[٢٨] ولما ظهر الأسود العنسي باليمن وادعى النبوة وتبعه طائفة واستفحل أمره واستطار، فكتب عمال اليمن إلى رسول الله ﷺ بخبره فأمرهم بمحاربته ومحاربة من معه فحاربوه، فأعز الله الإسلام بقتله[٢٩].

وكان بين ظهوره وقتله نحو من أربعة أشهر. هكذا ذكره ابن سمرة[٣٠] في طبقاته، وكان الذي قتله فيروز الديلمي وقيل قيس بن مكشوح المرادي.

تم القضاء على حركة الردة في اليمن نهائياً في أول عهد الخليفة أبي بكر الصديق الذي ما لبث أن وجه دعوته لأهل اليمن للجهاد في كتاب بعثه مع أنس بن مالك، جاء فيه: "من خليفة رسول الله ﷺ إلى من قرئ عليه كتابي هذا من المؤمنين والمسلمين من أهل اليمن. سلام عليكم..." إلى أن يقول: "أما بعد، فإن الله تبارك وتعالى كتب على المسلمين الجهاد وأمرهم أن ينفروا فيه خفافاً وثقالا فقال جل شأنه (وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ) سورة (التوبة) الآية (٤١). فالجهاد فريضة مفروضة، وثوابه عند الله عظيم، وقد استفرنا من قبلنا من المسلمين على جهاد الروم بالشام. وقد سارعوا إلى ذلك وخرجوا وعسكروا وحسنت في ذلك نيتهم وعظمت حسبتهم. فسارعوا عباد الله إلى فريضة ربكم وسنة نبيكم، وإلى إحدى الحسنيين إما الشهادة وإما الفتح والغنيمة". عاد أنس إلى أبي بكر يبشره بقدوم اليمانيين وقد أجابوا الدعوة وتجهزوا بالعدد والعُدة ومعهم الذراري والأموال والنساء والأطفال واستقبلهم المسلمون بالمدينة. ثم أرسلهم أبو بكر مع غيرهم من العرب في جيوش الفتح إلى الشام والعراق. ويذكر أن الأزد اشتركوا في معركة اليرموك وهم ثلث الناس، وحمير هم اعظم الناس، وفيها همدان وخولان ومذحج وخثعم وكندة وحضرموت وزُبيد ومعهم جماعة من كنانة ((وأعظم الناس أهل اليمن)). وفي معركة القادسية شارك من أهل اليمن أكثر ممن شاركوا في معركة اليرموك وذلك من قبائل مذحج والنّخع، وكندة وبَجيلة وغيرها.

ويعكس اهتمام الخليفة أبي بكر الصديق بأهل اليمن تقديره لدورهم الكبير الذي سيلعبونه في الفتوحات بسبب كثرة عددهم وخبرتهم في القتال وحماسهم البالغ في سبيل عزة الدين. وقد صدق حدسه، إذ أصبح أهل اليمن أساس جيش دولة الخلافة والعماد العسكري للفتوحات الإسلامية في الشرق والغرب.

عندما وزعت القبائل المقاتلة والمهاجرين بعد الفتح من تخوم جزيرة العرب في البلاد المفتوحة بغرض الاستقرار في الأوساط الجديدة، كان أن استقر أهل اليمن في كثير من الأمصار، وأسهموا بنصيب وافر في تخطيط المدن، وإقامة المدن العديدة وإقامة مجتمع العرب المدني الجديد في البصرة والكوفة في العراق والفسطاط في مصر وفي حواضر المغرب والأندلس. وكان لهم أثر غير يسير في صياغة حياتها الاجتماعية وفي إضفائهم عليها طابعها العربي الأصيل.

وكان مما نسب إلى أهل اليمن في الأمصار الطراز المعماري الصنعاني وهو (الدور المبنية على النمط العمودي متعددة الطوابق التي يصل ارتفاعها إلى ثمانية وتسعة طوابق، ومواد البناء عادة هي الحجر والطين والطوب المحروق والرخام والخشب والجُص). ويذكر آدم متز[٣١] في كتابه الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري أربعة أنواع من المدن في محيط الحضارة الإسلامية: "مدن على الطراز اليوناني، في صورته الشرقية، والمعروف في حوض البحر الأبيض المتوسط، والمدن التي على طراز جنوب جزيرة العرب [اليمن] مثل مدينة صنعاء، ومن هذا الطراز مكة والفسطاط؛ والمدن التي كانت تشيد على الطراز البابلي؛ والمدن التي كانت على الطراز المعروف في شرق المملكة الإسلامية".

وباستقرار أهل اليمن في الأوطان الجديدة كان أن اندمجوا في مجتمعات أخرى وتحسنت معيشتهم وقوي دورهم في نشر الإسلام والذود عنه وبناء الدولة الإسلامية الجديدة. وظلوا مراكز قوى فعالة في الحياة السياسية والثقافية في حواضر الخلافة وبقي مصطلح اليمانييِّن أمداً طويلاً يعكس عصبية أهل اليمن في فترات الفتن والصراع السياسي، وكان منهم أعلام بارزون في محيط الحضارة العربية الإسلامية.

أما بلاد اليمن نفسها فقد شهدت تغيراً ظاهراً في أوضاعها السياسية والاقتصادية والاجتماعية. إذ أصبحت موحدة في مجملها، وتؤلف ولاية من ولايات الدولة الإسلامية وكتلة اجتماعية كبيرة متوحدة في جسم المجتمع الإسلامي كله. وقضى الإسلام على الخلافات والمنازعات المحلية والقبلية التي كانت قد انتشرت في المجتمع. وتولى الإشراف على أمورها عامل (والٍ) يرجع إليه الناس في شؤونهم المالية والإدارية والقضائية، مثل معاذ بن جبل في عهد الرسول ﷺ ويعلى بن أمية في عهدي الخليفتين، عمر وعثمان، وعبيد الله بن العباس في عهد الخليفة علي بن أبي طالب. وكان هناك أيضاً أمراءُ أو عمال في مخاليف اليمن الرئيسية أو الفرعية يتولون أشياءَ محددةً مثل جمع الصدقات أو نشر تعاليم الدين أو عرفاء على القبائل. وكانت أهم المخاليف[٣٢] في اليمن ثلاثة: مخلاف صنعاء ومخلاف الجند ومخلاف حضرموت. وكان كل مخلاف منها يضم تحته عدداً كبيراً من المخاليف الصغيرة التي قد تبلغ العشرات.

عهود الخلافتين الأموية والعباسية

تغيرت بلاد اليمن في ظل الإسلام من الناحية الاقتصادية حيث كانت إبّان دخول الإسلام ولاية فارسية حاضرتها صنعاء تجبى ضرائبها إلى فارس، ثم أصبحت بفضل الإسلام أرضاً عشرية لا خراجية، وتعامل ضمن الدولة الجديدة معاملة المدينة المنورة سواءً بسواء، فلا يؤخذ منها إلا العشر أو نصف العشر حسب حالة الأرضٍ عامرة أو غير عامرة. وكانت هذه الزكاة تؤخذ من الأغنياء وترد على الفقراء. ولكن اتساع رقعة الدولة الإسلامية وتحول مراكزها من المدينة إلى دمشق ثم بغداد، وهجرة أهل اليمن واستقرارهم في الأمصار ودوام الفتوحات التي ظلت إلى العهد الأموي، كلها عوامل أدت تدريجياً إلى إزاحة بلاد اليمن وعاصمتها صنعاء من بقعة الضوء إلى الظل، لتصبح ولاية شبه معزولة في دولة كبرى مترامية الأطراف، لا تلقى الاهتمام الكافي من مراكز الخلافة سواء في اختيار الولاة أو في توطيد السلطة أو رفع المظالم عن الناس. ولذلك كانت مرتعاً خصباً للثورات وملاذاً آمناً لأصحاب الدعوات والنشاط السياسي المناهض للدولة الإسلامية المركزية. وقد تتفاقم تلك النـزعات بحيث يفلت الزمام من أيدي الولاة في صنعاء، لا سيما وأنهم كانوا في ظل الدولتين الأموية والعباسية من خارج اليمن إلا النادر منهم، ومعظمهم من أقرباء البيت الحاكم وعصبته. وقد اضطر الخليفة كثيراً إلى إعداد جيش كبير وإرساله إلى اليمن لدعم الوالي لاستعادة الخلافة وهيبتها، أو القضاء على الحركات والثورات وملاحقة قادتها وأتباعها والحد من استفحال خطرها. وعلى سبيل المثال، نذكر ثورة عبدا لله بن يحي الكندي (طالب الحق) في خلافة مروان بن محمد (١٢٨-١٣٢هـ/٧٤٥-٧٥٠م) الذي تمكن من السيطرة على معظم بلاد اليمن ودعوة الناس إلى مذهبه، والاستيلاء على صنعاء سنة (١٢٩هـ/٧٤٦م) وإلحاق الهزيمة بوالي الخليفة الأموي فيها. وكانت دعوته قد بدأها في حضرموت ثم ما لبث أن صادفت القبول عند الكثير وفشا أمره واشتد بأسه وكثر جمعه حتى بلغ جيشه مكة والمدينة وسيطر أيضاً عليهما. ولم يستطع الخليفة الأموي القضاء على حركته من خلال والي اليمن أو والي مكة، إلا بعد أن أرسل جيشاً كبيراً بقياد عبد الملك بن عطية السعدي استعاد به مكة والمدينة، ثم التقى بجيش عبد الله بن يحيى نفسه في معركة بنواحي الطائف انتهت بقتل طالب الحق وهزيمة جيشه، ثم لاحق ابن عطية أتباعه في كل مكان حتى قضى على الحركة تماما.

مثال آخر من العهد العباسي أرسل الخليفة هارون الرشيد (١٧٠-١٩٤هـ/٧٨٦-٨٠٩م) واليه حماد البربري إلى صنعاء وهو يحمل أمراً صارماً لإخضاع أهل اليمن بالعنف والجبروت، وكان مما قاله: ((أسمعني أصوات أهل اليمن)). فقدم اليمن سنة (١٨٤هـ/٨٠٠م) وعامل أهلها بالقسوة والعنف وقتل جماعة من رؤسائهم وشرد جمعاً كثيراً منهم، وأثقل كاهل الناس بالضرائب، وامتد ظلمه وجوره حتى شمل الآمنين والطائعين. وشكاه الناس مراراً إلى الخليفة يستغيثون ولا مغيث، كما اشتد في قمع الثورات والتنكيل بأصحابها، ومن أشهرها ثورة الهيصم بن عبد المجيد الهمداني سنة (١٧٩هـ/٧٩٥م) الذي اعتصم بجبل مَسْوَر، وانضم إليه آخرون ممن عملوا على مقاومة الوالي الجائر وتخليص البلاد من ظلمه واشتبكوا معه في حروب مريرة قتل فيها الآلاف واستمرت حوالي عقد من الزمن انتهت بهزيمة الهيصم والقبض عليه وعلى جمع من رجاله... وبذلك هدأت الأحوال ولكن إلى حين.

عندما بدأ خلفاء بني العباس يولون اهتمامهم لليمن، نظراً لما لمسوه من أهميتهم في تثبيت واستقرار دولة الخلافة، ومن خطر الدعوات المناوئة التي اتخذت منه مستقراً لها، حاول خلفاء بني العباس مثل هارون الرشيد والمأمون السيطرة على المراكز الإدارية في اليمن، ولا سيما صنعاء ولكن تلك السياسة

لم تستمر، فقد جاءت متأخرة نسبياً، ولم تحقق الغاية المرجوة. وبقي الحال كما هو عليه إجمالا من ضعف الولاة وسوء إدارتهم وتراخي قبضة دولة الخلافة وتنامي العوامل المهيئة للثورة والممهدة للنزعات الاستقلالية. ولم يكن ذلك في حقيقة الأمر مقصوراً على اليمن، وإنما كان على امتداد رقعة الخلافة العباسية وخاصة من بداية القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي. وكانت نتيجة ذلك كله فقدان مركز الخلافة الهيمنة الفعلية على واحد من أهم أقاليم الخلافة وأعرقها.

اكتسبت صنعاء المركز الإداري الأول في اليمن بعد الإسلام ملامح جديدة، فقد دخلها عدد من أصحاب رسول الله ﷺ، وأُسس فيها واحد من أقدم المساجد الإسلامية هو (الجامع الكبير) الذي تركزت فيه تعاليم الإسلام وازدهرت فيه العلوم. ولم يزل بصنعاء دوماً عالم مجتهد، وفقيه أصولي، وأديب شاعر أصيل. ومنهم الأوائل مثل: وهب بن مُنَبّه، وعبد الرزاق الصنعاني، وبشر بن أبى كُبار البلوي، والحسن بن احمد الهمداني، والشعراء مثل: عَلْقمة ذي جَدَن، ووضّاح اليمن، وعبد الخالق بن أبى الطلح الشهابي وغيرهم.

ويعتبر الجامع الكبير بالنسبة لمدينة صنعاء أشهر معلم ديني ومعماري بعد الإسلام. وقد تعاقبت عليه الإصلاحات والإضافات، منها ما شيده الوالي الأموي أيوب بن يحي الثقفي عام (٨٦هـ/٧٠٥م) بأمر من الوليد بن عبد الملك، ومنها ما قام به الأمير محمد بن يعفر الحوالي بين عامي (٢٦٦-٢٧٠هـ/٨٧٩-٨٨٣م)، ثم توالت التوسعات حتى صار إلى ما هو عليه.

الدول والدويلات اليمنية المستقلة

تأسست أول دويلة مستقلة في اليمن في إطار تلك المحاولات التي قام بها خلفاء الدولة العباسية لإخضاع الثورات العديدة في أنحاء شتى من البلاد، وخاصة إقليم تهامة حيث استقر رأي الخليفة المأمون (١٩٨هـ/٨١٣م) إقامة ولاية فيها مستقلة ليسهل السيطرة عليها وعهد بها إلى محمد بن عبدا لله بن زياد الذي قدم اليمن (٢٠٣هـ/٨١٨م) وتمكن من إقامة دويلة مستقلة فيها، واختار مدينة زبيد في سنة (٢٠٤هـ/٨١٩م) لتكون عاصمة لها، وإن لم يقطع صلته بالخلافة العباسية فأبقى لها الخطبة. وقد عظم أمر ابن زياد وامتدت رقعة دولته فشملت حضرموت وديار كندة والشحر وظفار وأَبْيَنَ ولحج وعدن والتهائم إلى حَلْي وأعمال المعافر والجَنَد.

ولما مات ابن زياد في (٢٤٥هـ/٨٥٩م) قام بالأمر بعده ولده إبراهيم حتى مات في سنة (٢٨٩هـ/٩٠١م)، وتولى بعده ولده زياد بن إبراهيم فلم تطل مدته. فقام بالأمر بعده أخوه أبو الجيش (إسحاق بن إبراهيم)، وكانت مدة حكمه ثمانين سنة (٢٩١-٣٧١هـ/٩٠٣-٩٨١م)، حتى عجز عن الحركة وامتنع عليه أهل الأطراف وانقطعت الخطبة له في الجبال. واستولى سليمان بن طَرَف الحَكَمي على المخلاف السليماني من الشّرجة إلى حَلْي واتخذ من (عَثَّر) عاصمة له... وخرج من ولايته أيضاً لحج وأبين وما عداها إلى البلاد الشرقية، ومات أبو الجيش سنة (٣٧١هـ/٩٨١م) عن طفل صغير (عبدا لله) كفله وولي عنه غالب أموره أحد مواليهم ويدعى رشيد، وخلفه بموته (٣٧٣هـ/٩٨٣م) مولى من موالي بني زياد هو الحسين بن سلامة (٣٧٣-٤٠٣هـ/٩٨٣-١٠١٣م)، وحكم طويلاً بعد موت سيده، وارجع غالب دولة بني زياد واختار مدينة الكدراء على وادي سهام عاصمة له، وأنشأ الجوامع والبُرد (جمع بريد) على الطرقات بين حضرموت ومكة. ولما مات الحسين انتقل الأمر من بعده إلى طفل من آل زياد. وبموته سنة (٤٠٧هـ/١٠١٧م) انقرضت دولة بني زياد، وتلقفها من مواليهم بنو نجاح الذين سيطروا على تهامة لأكثر من مائة سنة.

ويبدو أن معظم المناطق الجبلية لم تخضع لدولة ابن زياد. ويكتفي بعض المؤرخين بالقول إنه خطب لهم بصنعاء وصعدة... ونجران وبيحان. وهي إشارة قد تعني الاعتراف بقوة دولتهم أكثر من الوقوع تحت سيطرة حكمهم. ومما يعزز هذا القول هو وجود أمراء عليهم في الوقت نفسه استمروا في مناوأة الولاة العباسيين في الجبال في صنعاء وغيرها. مما اضطر المأمون لإرسال قوات من بغداد للاحتفاظ بنفوذ الخلافة. وكان من اشهر أولئك الأفراد المحليين في الجبال إبراهيم بن ذي المثلة المناخي صاحب بلد الكلاع ويعفر بن عبد الرحمن الحوالي في جبل ذُخار قرب شبام كوكبان. وقد استطاع هذان الأميران مناوأة سلطة الخلافة العباسية فترة دامت أكثر من عشرين عاماً (٢١٢-٢٣٣هـ/٨٢٧-٨٤٧م)، تمكنا في آخر الأمر من إزاحتها وبسط السلطة كل في مكانه بدلاً عنها.

وإذا كان آخر أمراء بلد الكلاع المناخيين إبراهيم بن ذي المثلة قد حكم ثلاثين عاماً وابنه جعفر بن إبراهيم خمسين عاماً، فإن الأمير يعفر بن عبد الرحمن تمكن من إقامة دولة أمتد نفوذها

من بعده من الجند جنوباً حتى صعدة شمالاً، واستمرت ما يزيد على قرن ونصف القرن (٢٣٣-٣٨٧هـ/٨٤٧-٩٩٧م). أما من الناحية الشكلية فقد حافظت الدولة اليعفرية على صلتها بالدولة العباسية في بغداد، فضربت السكة باسمها في الغالب. وعندما تولى الأمير محمد بن يعفر (٢٥٨-٢٦٥هـ/ ٨٧٢-٨٧٩م) زمام الأمر في صنعاء بعد أبيه أرسل إليه الخليفة العباسي العقد والخلع ليكتسب الصفة الشرعية لحكمه. وفي عهده جُدد الجامع الكبير بصنعاء الذي تهدم جانب منه إثر سيل كبير اجتاح صنعاء عام (٢٦٢هـ/ ٨٧٦م)، وقد قيل إنه هدم حينذاك حوالي ستة آلاف منـزل.

وفي سنة (٢٧٩هـ/٨٩٢م) أرسل الخليفة العباسي المعتمد والياً على صنعاء هو علي بن الحسين المعروف بجفتم بعد أن كثرت الاضطرابات في دولة آل يعفر وعجزهم عن السيطرة على القلاقل في صنعاء، خاصة بعد أن اختلف آل يعفر فيما بينهم وقيام من قام عليهم بسبب ذلك. على أن صنعاء اضطربت من جديد بعد أن رجع جفتم إلى بغداد عام (٢٨٢هـ/٨٩٥م). وبعد ذلك بسنوات قليلة برز عامل جديد في الصراع على صنعاء وهو وصول الإمام الهادي يحي بن الحسين إلى صنعاء في عام (٢٨٨هـ/٩٠١م)، قادماً من صعدة، حيث بدأ ينشر مذهب الزيدية وتأسيس دولة مستقلة أخرى في اليمن خارج سلطة الخلافة العباسية. ودارت الحرب بين الإمام والأمير اليعفري أبي يعفر أسعد بن إبراهيم سجالاً دون نتيجة حاسمة.

وزاد الأمر تعقيداً ظهور علي بن الفضل والحسن بن حوشب، داعيين للمهدي الفاطمي في اليمن فيما بين (٢٩٢-٣٠٢هـ/٩٠٥-٩١٥م)، حيث تمكن الداعي علي بن الفضل من الاستيلاء على صنعاء وإلحاق الهزيمة بأبي يعفر. وكانت بعد ذلك بين أصحاب الدعوة الجديدة والأئمة في صعدة وآل يعفر حروب كثيرة. وفي سنة (٢٩٨هـ/ ٩١١م) توفي الإمام الهادي، وبعده بأربع سنوات توفي كل من الداعيين الفاطميين بعد تضاؤل أمرهما، فدامت صنعاء بيد بنى يعفر ومواليهم مع كثرة اختلافهم إلى سنة (٣٤٤هـ/٩٥٥م)، حيث مات أولاً أميرها القوي أبو يعفر بحصن كحلان (خبان). ثم تلته فترة قصيرة فَقدَ آل يعفر فيها معقلهم الرئيسي صنعاء حتى انتهت دولتهم تماماً بموت آخر أمرائهم عبدالله بن قحطان في سنة (٣٨٧هـ/٩٩٧م).

وكان الإمام يحي بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم الرسي الذي لقب نفسه بالهادي إلى الحق قد سبق له الخروج من الحجاز إلى اليمن سنة (٢٨٠هـ/٨٩٣م)، وعاد أدراجه دون أن يتمكن من إرساء الدعوة أو الدولة. ولكنه عندما خرج إلى اليمن مرة أخرى في سنة (٢٨٤هـ/٨٩٧م) وجد بعض رؤساء القبائل في شخصيته وعلمه ونسبه حلاً لكثرة الخلافات وتعدد الولاءات فيما بينهم كما وجد هو في بلاد اليمن فرصة لتلبية طموحاته ونشر مذهبه الذي يستند في أصوله الفقهية إلى مذهب الإمام زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب.

وقد أفلح الهادي عند وصوله في تأسيس دولة الأئمة الزيدية الأولى واتخاذ مدينة صعدة قاعدة لها ومركزاً للدعوة. وسجلت السنوات الأربع عشرة منذ وصوله حتى وفاته في صعدة سنة (٢٩٨هـ/٩١٠م)، فترة حافلة بالأحداث، تميزت بالصراعات القبلية والسياسية التي خاض الهادي غمارها، حتى أنه استعان في حروبه بأنصار له في المذهب من الطبريين (نسبة إلى طبرستان) من بلاد فارس، خاصة وأن حدود الصراع شملت دولة آل يعفر والدعوة الفاطمية بزعامة علي بن الفضل الذي انتزع صنعاء سنة (٢٩٣هـ/٩٠٦م) من يد الأمير أسعد اليعفري. وقد تحالف الهادي حينذاك مع الأمير أسعد ضد الدعوة الفاطمية، بعد أن كان قد تحارب معه، وتمكن من دخول صنعاء غير مرة. كما دخل الناصر أحمد الابن الثاني للهادي في معارك كثيرة مع الداعية الإسماعيلي الآخر الحسن بن حوشب في مَسْوَر وبلاد الأشمور من (بلاد حجة) وغيرها، وتغلب عليه. ومات الناصر عن عمر جاوز الستين في سنة (٣٢٢هـ/٩٣٢م) تمكن اثر ذلك الأمير اليعفري حسان بن عثمان من دخول صعدة، مما أضعف الدولة الناشئة وأتاح لعوامل أخرى عديدة أن تشكل سلسلة من الصراعات بين أحفاد الهادي وحلفاء دولتهم ورؤساء قبائل خولان وهمدان وآل يعفر. وكانت صعدة وصنعاء في تلك الأحداث من أهم ساحات الصراع.

ومنذ أن أسدل الستار على دولة الهادي ومن خلفه من الأبناء وأحفاده في الحقبة الأولى لم ينهض بالإمامة الزيدية من يعتد به من الأشراف أحفاد القاسم بن إبراهيم الرسي سوى الإمام القاسم العياني (ت٣٩٣هـ/١٠٠٣م) وأبو الفتح الديلمي الذي قتل في ردمان شرقي ذمار على يد الملك علي بن محمد الصليحي سنة (٤٤٤هـ/١٠٥٣م).

على أنه كان لدولة الأئمة الزيدية شأن آخر دام قروناً بعد ذلك، حيث بدأ ينهض الإمام المتوكل على الله أحمد بن سليمان بالإمامة الذي خرج من الجوف سنة (٥٣٢هـ/١١٣٨م)، وهو نفس العام الذي

توفيت فيه الملكة سيدة بنت أحمد آخر ملوك الدولة الصليحية والمشهورة بأروى في الكتابات المتأخرة خطأ.

وقد لاحظ بعض المؤرخين في هذه الفترة أنه ما من إمام منهم إلا وقد عورض أو حورب أو أوذي من قبل أولاد الإمام الذي سبقه. وقد مثل ذلك الصراع السياسي بين الأئمة أنفسهم على امتداد تاريخ دولتهم مأساة حقيقية انعكست آثارها السيئة على مختلف مناحي الحياة الاجتماعية والاقتصادية في البلاد. مع أنه تخللها مناخ فكري خصب تصارعت فيه الأفكار والمذاهب، ونتج في رحاب ذلك تأليف غزير، وعمرت للعلم مدارس وهِجَر[٣٣] كثيرة. ولقد أعاد أحمد بن سليمان للإمامة الزيدية بعض مكانتها بعد أن كانت قد وقعت تحت سيطرة الدولة الصليحية، وبعد أن انقسم أصحاب المذهب إلى فرقتين: (مخترعة ومطرِّفية). وفي سنة (٥٩٣هـ/١١٩٥م)، دعا لنفسه عبد الله بن حمزة من أحفاد الإمام حمزة بن أبي هاشم الرسي الذي استقر أمره نسبياً بعد وفاة طغتكين بن أيوب، واستولى على صنعاء وذمار، وعمر حصن ظفار (ذيبين) شمال صنعاء وأقام فيه. وقد دخل مع فرقة المطرفية في جدال شديد وحرب مديد حتى تمكن من القضاء عليهم.

ولكن حال دولة الأئمة الزيدية عاد إلى الانحسار إذ لم تتجاوز سيطرة أحسنهم ما بين صعدة وذمار طيلة العهدين الرسولي والطاهري على كثرة عددهم. وإذا ما حظي بعضهم بالذكر والشهرة فليس لأهميتهم في ميدان السياسة والحكم وإنما فيما تركوه من آثار فكرية وأدبية كغيرهم من العلماء والأدباء المعاصرين لهم.

لم تدم محاولة الدعوة الفاطمية طويلاً في إقامة دولة مستقلة باليمن، بعد أن كادت حركتها بقيادة الداعيين علي بن الفضل والحسن بن حوشب أن تؤسس سلطتها في مناطق شاسعة جنوباً وغرباً، وتهدد الكيانات السياسية القائمة في تهامة والمرتفعات الشمالية. ولما أيقنت تلك الكيانات بخطر الدعوة الجديدة الداهم تعاونت جميعها في إيقافها ثم في القضاء عليها. ولكن الدعوة لم تتلاشَ وبقيت قائمة سراً حتى نهض بها حوالي (٤٣٩هـ/١٠٤٧م) الداعي علي بن محمد الصليحي في جبال حراز. وانطلق بجيشه نحو أهم حاضرتين في تلك الفترة، وهما صنعاء وزبيد واستولى عليهما، واتخذ من صنعاء عاصمة لدولته الجديدة، عام (٤٥٥هـ/١٠٦٣م). وامتدت دولته بعد ذلك من مكة إلى أقصى حضرموت. ويلفظ المؤرخ عمارة[٣٤] (ت٥٦٩هـ/١١٧٤م) صاحب كتاب المفيد، قال: "ولم تخرج سنة خمس وخمسين وأربعمائة وما بقي عليه من اليمن سهل ولا وعر ولا بر ولا بحر إلا فتحه، وذلك أمر لم يعهد مثله في جاهلية ولا إسلام". وهي عبارة ربما يغلب عليها نَفَس المبالغة إلا أنها تعكس حقيقة هامة في تاريخ اليمن، وهي قيام دولة مستقلة، وحدت في ظلها بلاد اليمن كله. واختفت الكيانات السياسية الأخرى، وأزاحت ما كان فيه بقية منها إلى الظل زمناً. ورغم أن علي بن محمد الصليحي قد دعا بدعوة العُبَيْديين وهي (الإسماعيلية) الذين أقاموا الدولة الفاطمية في المغرب ثم مصر، إلا أن دولته في اليمن لم تكن تحت سيطرة الدولة الفاطمية، وإنما كانت في الغالب على صلة وثيقة بها، ولا سيما مذهبها عن طريق دولة المستنصر بالله الفاطمية بمصر الذي كان الصليحي يدعو له، وكان ينبغي أن يتلقى الولاية منه وقد قتل الملك الصليحي بعد ذلك وهو ذاهب إلى الحج وكان ذلك في سنة (٤٥٩هـ/١٠٦٧م) عندما باغت معسكره في مدينة المهجم سعيد الأحول أحد أمراء بني نجاح. وكان الصليحي قد قضى على ملكهم في تهامة، وهربهم إلى جزيرة دَهْلَك في البحر. وقد تمكن آل الصليحي بعد ذلك من الانتقام لملكهم وقتل سعيد الأحول واستعادوا مدينة زبيد منه. إلا أنها لم تدم لهم طويلاً، فقد نافسهم عليها. بنو نجاح مرة أخرى حتى دالت دولتهم.

على أن تاريخ الدولة الصليحية يرتبط كثيراً بعاصمتها الثانية ذي جبلة بعد صنعاء. كما لا تذكر ذي جبلة دون الملكة سيدة بنت أحمد زوجة الملك المكرم أحمد الذي تولى الملك بعد مقتل والده الملك علي محمد الصليحي. وإذا كان المكرم هو الذي أختار ذي جبلة كمدينة لإقامته حوالي سنة (٤٥٩هـ/١٠٦٧م) فإن سيدة بنت أحمد هي التي اتخذتها عاصمة للدولة بعد ذلك. وكان المكرم قد أصيب بالشلل فتولت هي مسئولية الحكم. واعتمدت في إدارة شؤون الدولة على حسن اختيارها لوزرائها وولاتها، كما أثبتت إجمالا مقدرة عالية، مكنتها من الاستمرار في الحكم طويلاً. وبوفاتها في سنة (٥٣٢هـ/١١٣٨م) أسدل الستار على دولة الصلحيين، وتضاءل شأن الدعوة الفاطمية، وعاد الصراع من جديد بين الكيانات السياسية الصغيرة، حتى جاء الأيوبيون إلى اليمن في سنة (٥٦٩هـ/١١٧٣م).

ويرى بعض الباحثين أن أهم الأسباب التي دعت الأيوبيين للاستيلاء على اليمن هي السيطرة على تجارة البحر الأحمر والبحث عن ملاذ للأسرة الأيوبية إذا ما داهمها الخطر. وأخيراً ربما القضاء على النفوذ الإسماعيلي في اليمن آخر معاقل الدعوة الفاطمية.

وصل توران شاه إلى اليمن قادماً من مصر في (٥٦٩هـ/١١٧٣م). وعاد إلى مصر في (٥٧١هـ/١١٧٦م) بعد أن تقدم بجيشه أولاً عبر تهامة ماراً بزبيد ثم اتجه إلى تعز وعدن، وعاد منها ليمكث قليلاً في الدُّمْلُؤة ثم ذي جبلة. ومنها اتجه شمالاً إلى ذمار حتى وصل إلى أبواب صنعاء. ولكنه لم يدخلها، ودخلها من بعده طغتكين بن أيوب الذي وصل إلى اليمن في سنة (٥٧٩هـ/١١٨٣م)، واستعاد زبيد من بني مهدي، وقد ذكر انهم كانوا أهم أهدافه. ثم أستولى على عدن من بني زريع. أما صنعاء فكانت تحت حكم الهمدانيين، والى الشمال من صنعاء كان أئمة الزيدية هم السلطة السياسية النافذة. وفي هذه السنة نفسها قام بالإمامة في بلاد الجوف عبدا لله بن حمزة بن سليمان والذي كان له شأن مع طغتكين بعد ذلك بحوالي عقد من الزمان.

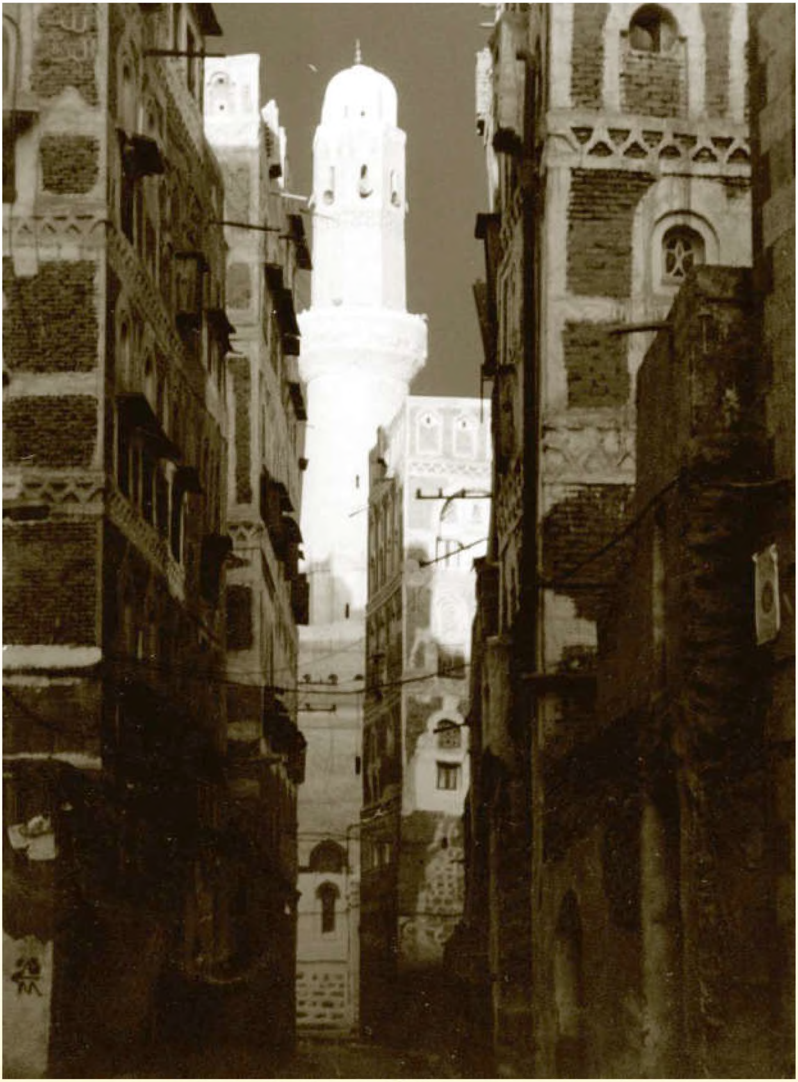
ولم تستقر الأمور بالأيوبيين في اليمن، فقد كان الأمراء الأيوبيون إجمالا لا يفضلون ولاية اليمن حتى أنهم رغبوا عن الولاية بعد أن غادرها آخر أمرائهم السلطان المسعود بن الملك الكامل سنة (٦٢٠هـ/١٢٢٣م) راغباً في ولاية دمشق. فكان أن تزايد نفوذ أمراء المماليك في اليمن وخاصة بدر الدين حسن ومساعده نور الدين عمر بن رسول الذي أتخذه المسعود عند رحيله نائباً له في اليمن حتى يتم تعيين سلطان جديد. ولكن نور الدين أضمر في نفسه الاستقلال بالحكم عن الأيوبيين وشرع يوطد سلطته ويعزز ولاءه للبلد الذي يحكمه.

وخلال (٦٢٦-٦٢٨هـ/١٢٢٩-١٢٣١م) اشتبك نور الدين مع جيش الملك الكامل في مكة وتحقق له النصر عليه. وفي سنة (٦٣٢هـ/١٢٣٥م) ولىّ وجهه شطر الخليفة العباسي المستنصر وأخذ منه النيابة، وكان ذلك بداية حكم بني رسول في اليمن والذي دام حوالي (٢٣٢سنة).

وقد لعب بنو رسول دوراً هاما في تاريخ اليمن، إذ نجحوا في توحيد معظم البلاد تحت حكمهم في الفترة من (٦٢٦-٨٥٨هـ/ ١٢٢٩-١٤٥٤م). فأسهموا مع الأيوبيين من قبلهم وبني طاهر من بعدهم في الحفاظ على كيانها السياسي الواحد بعد أن ظلت طوال القرون الثلاثة السابقة على حكم بني أيوب نهباً للفوضى، بسبب تصارع عدد من القوى السياسية التي تمثلت في عدة إمارات مستقلة نتيجة اختلاف الأهواء السياسية والمذهبية وتنازع المصالح والمطامح. وقد تمكن نور الدين عمر فعلاً أن يضم مكة إلى حوزته سنة (٦٣٧هـ/١٢٣٩م) ومد نفوذه كما قيل من مكة شمالاً إلى أقصى حضرموت، رغم أن حكم الأئمة بقي قائماً في بعض الأجزاء الشمالية. كما استفاد من المؤسسات العسكرية والإدارية التي ورثها عن الأيوبيين، فأقام بذلك دولة راسخة البنيان، اعتمد فيها على المماليك الذين كانوا قد اكتسبوا مهارات عسكرية وإدارية في كل من مصر والشام. ومع ذلك فقد قتله مماليكه في الجند، ربما بتدبير من بعض أفراد الأسرة، بعد أن حكم زهاء واحد وعشرين عاماً. وكان قتله البداية لسلسلة من الخلافات والمنازعات على الحكم بين أفراد الأسرة الرسولية دامت حتى نهاية دولتهم.

وفي عهد ابنه الملك المظفر يوسف ازداد نفوذ الدولة الرسولية وعلا شأنها داخلياً وخارجياً وبلغت الدولة أقصى اتساعها من مكة حتى أطراف ظفار في شرق حضرموت، وقد قام المظفر بالأمر مدة ستة وأربعين عاماً. وقبل وفاته كان قد استخلف ولده الملك الأشرف عمر بن يوسف وكتب له بذلك تقليداً. وتوالى ملوك بني رسول يحكمون بلاد اليمن من العاصمة الجديدة تعز والتي بقيت العاصمة التقليدية في ظلهم سنوات طويلة دامت أكثر من مائتي عام وبلغ عددهم اثني عشر ملكا. ورغم الاستقرار السياسي النسبي والازدهار الفكري والاقتصادي إلا أن الدولة لم تخل من الفتن والحروب طيلة زمنها، سواءً على مستوى الأسرة الحاكمة أو على مستوى المنافسة الدائمة من الأئمة الزيدية أو على مستوى الثورات والانقسامات الداخلية. وقد استمرت الدولة الرسولية في الحكم لأكثر من قرنين وثلث ازدهرت فيها الحياة الفكرية والعمرانية ازدهاراً كبيراً.

وظهرت بعد ذلك في الفترة بين (٨٥٨-٩٢٣هـ/١٤٥٤-١٥١٧م) الدولة الطاهرية التي اتخذ مؤسسها السلطان عامر بن طاهر بن معوضة من (المقرانة) في بلاد رداع عاصمة لدولته. وكان آخر وأشهر حكامها الملك الظافر عامر بن عبد الوهاب الذي اتسع نفوذه فوصل إلى صنعاء حيث قتل في ضواحيها على يد أحد اتباع المماليك الذين بدأ نجمهم يعلو في فترة حكمه وكانت نهاية الدولة الطاهرية بيد الحملة المملوكية المرسلة من مصر حيث قضت على دولتهم وقوضت عاصمتهم، واحتلت بعد ذلك صنعاء سنة (٩٢٣هـ/١٥١٧م) بعد صراع طويل بين آخر سلاطينهم (عامر بن عبد الوهاب) والأئمة للاستيلاء عليها. وفي العام نفسه أعلن القائد المملوكي في اليمن ولاءه للسلطان سليم العثماني بعد دخول الأخير إلى القاهرة في ربيع ذلك العام.



العصر الحديث

لم تحكم اليمن من قبل الباب العالي العثماني حتى سنة (٩٤٣هـ/١٥٣٦م)، عندما تم إرسال قوة بحرية عثمانية استولت على عدن واحتلت زبيد، وعين في اليمن أول والٍ ليستمر حكم الولاة قرابة قرن لم ينعم فيه اليمن بالاستقرار. وبالانسحاب العثماني عام (١٠٤٥هـ/١٦١٩م) بعد ثورة قادها الإمام القاسم بن محمد (ت١٠٢٩هـ/١٦٣٠م) مؤسس حكم (بيت القاسم) نعم اليمن بالاستقلال وباستقرار نسبي استمر لأكثر من قرنين، حيث سيطرت الدولة مركزياً على اليمن كله من الحجاز حتى عمان، خلال حكم المتوكل على الله إسماعيل (١٠٥٤-١٠٨٧هـ/١٦٤٤-١٦٧٦م) الابن الثاني للقاسم بن محمد، وبعض من تلاه من أوائل أئمة (بيت القاسم). غير أن الصراع بين المتنافسين منهم في مرحلة لاحقة سهل للعثمانيين الأتراك الاستيلاء ثانية على اليمن سنة (١٢٦٥هـ/١٨٤٩م)، عندما عمت الفوضى البلاد، وتصارع عدد من الأئمة الصغار على السلطة. كما تمكن الإنجليز بعد طول ترقب وتخطيط من احتلال عدن سنة (١٢٥٤هـ/١٨٣٩م) بعد أن باتت سيطرة صنعاء على أطراف بلاد اليمن وعلى عدن تكاد تكون اسمية، وانحصر الوجود العثماني في الساحل التهامي، كما انحصر الوجود البريطاني في عدن، وذلك لأكثر من قرن وربع من الزمن بعد ذلك. وقد عانت القوات التركية كثيرا في محاولات التوسع شمالا حتى بعدما تمكنت من دخول صنعاء سنة (١٢٨٩هـ/١٨٧٢م)، لتصبح مركز الولاية العثمانية. وقد قسمت الولاية إداريا إلى أربعة اقضية (سناجق) هي: (صنعاء، عسير، الحديدة، تعز). وحدد الفرمان والخريطة العثمانية الصادرة سنة (١٣٢٣هـ/١٩٠٦م) حدود الولاية الشمالية والشمالية الشرقية بولاية (الحجاز) وسنجق (نجد) التابع لولاية البصرة، ويديرها الوالي العثماني من العاصمة صنعاء. ثم تجددت حركة المقاومة ضد الوجود العثماني في السنوات الأخيرة من القرن التاسع عشر، وركب الإمام يحي بن محمد حميد الدين موجة الثورة، بعد أن خلف والده المنصور محمد سنة (١٣٢١هـ/١٩٠٤م). وتمكن بعد حصار صنعاء من دخولها في ربيع العام التالي. وقد اضطر الباب العالي بعد شن حملات عسكرية كبيرة على الأتراك من توقيع اتفاق دعّان مع الإمام يحي سنة (١٣٢٩هـ/١٩١١م). وبهزيمة الدولة العثمانية في الحرب العالمية الأولى، وبموجب الاتفاقات الدولية المعقودة بعد الحرب في رودوس (١٩١٨م) ولوزان (١٩٢٣م) أصبح الإمام يحيى هو الوريث الشرعي لولاية اليمن، وبات حاكماً مطلقاً على (المملكة المتوكلية اليمنية) والذي لم يعترف قط بالوجود البريطاني في جنوب بلاد اليمن.

وفي سنة (١٩٤٨م) قتل الإمام يحيى ورئيس وزرائه عبد الله العمري، على إثر حركة الأحرار الدستورية، وتولى عبد الله بن أحمد الوزير الإمامة خلفاً له، ولم يدم في الحكم إلا أياماً معدودات لا تتجاوز ثلاثة أسابيع، حيث تمكن ولي العهد (أحمد بن يحيى بن حميد الدين) من القضاء على الحركة وتوليه الحكم. وأباح صنعاء للنهب والسلب بعد دخولها. وأبقى مقر حكمه في مدينة تعز والتي كان أميرها قبل ذلك، وعلى الرغم من نقل مقر الحكم الرئيسي إلى تعز إلا أنه أبقى مدينة صنعاء عاصمة سياسية للمملكة المتوكلية.

وبعد موت الإمام أحمد سنة (١٩٦٢م) متأثرا بجراحه، خلفه ابنه البدر ولمدة قصيرة لم تتجاوز أسبوعاً، وذلك بسبب قيام ثورة (٢٦سبتمبر١٩٦٢م). واتسمت المرحلة الثانية للحكم الإمامي (الإمامة المتوكلية) (١٩١٨-١٩٦٢م) بعزل اليمن الكامل عن العالم الخارجي، لينتشر بذلك الجهل والفقر والمرض ليعم البلد قاطبة.

وسجل يوم (٢٦سبتمبر١٩٦٢م) تحولاً كبيراً بالثورة على النظام الملكي وقيام النظام الجمهوري وإعلان الجمهورية العربية اليمنية، وعاصمتها صنعاء، وتشكيل مجلس قيادة الثورة برئاسة عبد الله السلال. وتعاقب بعده في رئاسة الجمهورية العربية اليمنية أربعة رؤساء آخرهم علي عبد الله صالح، والذي في عهده تحققت وحدة اليمن سلمياً بين شطريه (الجمهورية العربية اليمنية وجمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية) في (٢٢مايو ١٩٩٠م) بإعلان الجمهورية اليمنية وعاصمتها صنعاء.

لقد توفرت لصنعاء في العصر الإسلامي الشروط الأساسية لإقامة مجتمع حضري بكل أدواته من جامع ومدرسة وحمام وسوق ومعمار جميل وأدب جيد وظرف حسن وسماع مشهور عرف بعد ذلك بالغناء الصنعاني. وفي الوقت نفسه حافظت على ركانة ماضيها فانتعشت أسواقها التقليدية واشتهرت بتنوع بضاعتها وجودة صنعتها وحرص حكامها على مكانتها السياسية فاتخذت مقرا لهم أو لدولهم. واكتسبت صنعاء في العصر الإسلامي ملامح جديدة حيث تركزت فيها التعاليم الإسلامية، واستجاب ثوبها الجديد لمضمون الدعوة المحمدية. واندثرت الكنيسة (القليس) ليبنى المسجد الجامع، وانهدم قصر غمدان العجيب (ليبنى على أثره دور جديدة). ولا شك أن سوق صنعاء تأثر أيضا بالظروف الروحية والمادية الجديدة، وأصبح كل من الجامع والسوق محاور أساسية لنشاط مدينة إسلامية فريدة حافظت على ديمومة حياتها إلى اليوم.



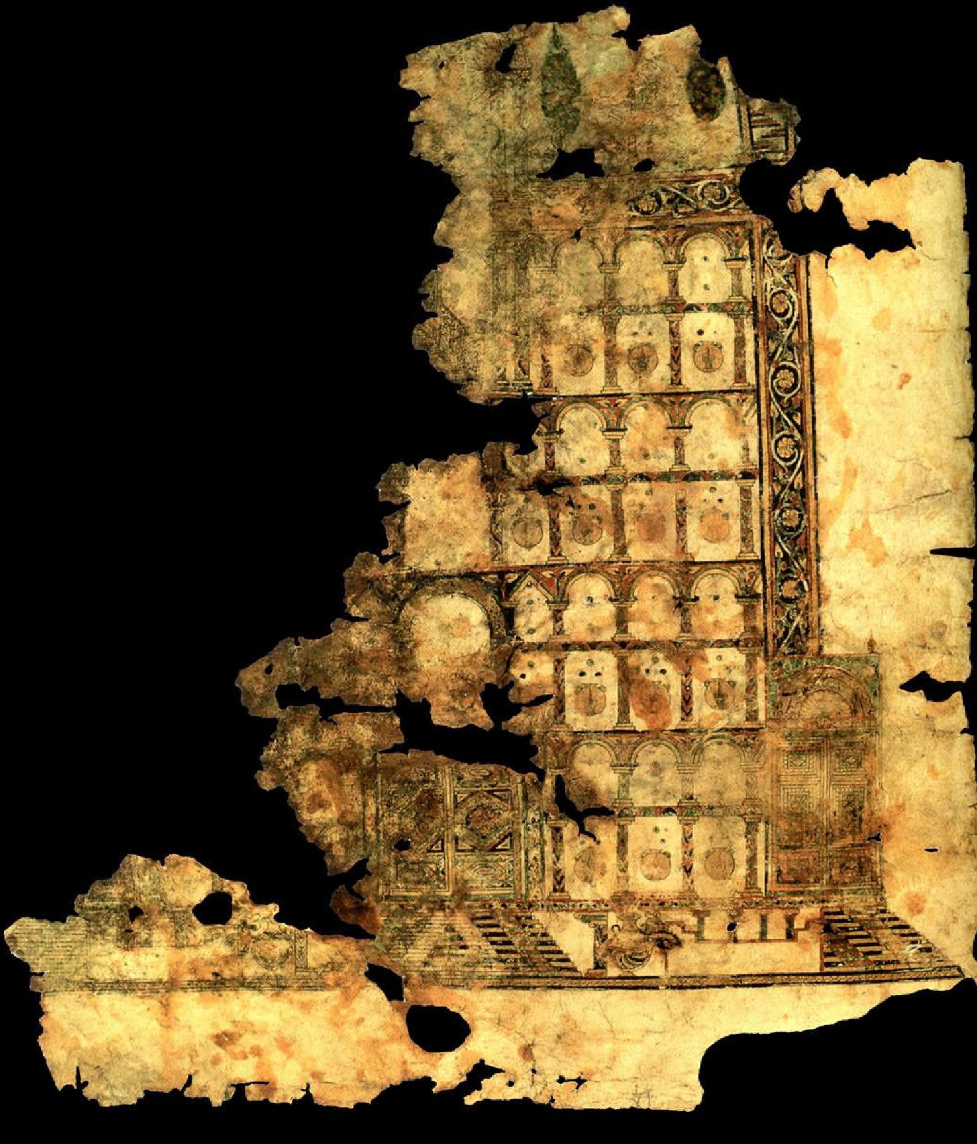
١. الهمداني، الحسن بن احمد: "الإكليل"؛ جـ٨؛ تحقيق: نبيه أمين فارس؛ دار العودة؛ بيروت؛ بدون تاريخ؛ ص(٥،٤).
٢. الرازي، أحمد بن عبد الله الصنعاني؛ "تاريخ مدينة صنعاء"؛ دمشق؛ ط٢؛ ١٩٨١م؛ ص(١٩٢،٤٦).
٣. الهمداني، الحسن بن احمد؛ المصدر السابق؛ ص(١٩).
٤. الحميري، نشوان بن سعيد؛ "شمس العلوم"؛ جـ٢؛ مادة صنع؛ تحقيق: حسين العمري ومطهر الإرياني ويوسف محمد عبد الله؛ دار الفكر؛ دمشق؛ ط١؛ ١٩٩٩م.
٥. أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل بن محمد؛ "تقويم البلدان"؛ دي سلان ورينو؛ باريس؛ ١٨٤٠م؛ ص(٩٥).
٦. القلقشندي، أبو العباس احمد بن علي؛ "صبح الأعشى في صناعة الإنشاء"؛ جـ٥؛ الهيئة المصرية العامة للكتاب – مركز تحقيق التراث؛ مصر؛ ١٩٨٥م؛ ص(٣٩،٤٠).
٧. أوال تصحيف وهو اسم قديم لجزيرة البحرين.
٨. الحموي، ياقوت بن عبد الله؛ "معجم البلدان"؛ جـ٣؛ دار إحياء التراث؛ بيروت؛ ١٩٧٩م؛ ص(٤٢٦).
٩. الأرجح أن يقال ذي بمعنى الذي دائماً.
١٠. البكري، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز الأندلسي "معجم ما استعجم"؛ من أسماء البلاد والمواضع؛ تحقيق مصطفى السقا؛ جـ٣؛ ص(١٠٠٣)؛ عالم الكتب؛ بيروت؛ ط٣؛ ١٩٨٣م. والحموي، ياقوت بن عبد الله؛ "معجم البلدان"؛ المصدر السابق؛ ص(٢٠).
١١. الهمداني، الحسن بن احمد؛ المصدر السابق؛ ص(١٥،٥).
١٢. ذي ريدان: لقب ملكي أي ملك سبأ وحمير...
١٣. سلحين: قصر كان للملوك التبابعة تهدم وبقي مكانه تل عظيم تقوم على أنقاضه مدينة مارب القديمة.
١٤. الهمداني، الحسن بن احمد؛ المصدر السابق؛ ص(١٥،٥).
١٥. جبوب: والجبوب ما أرتفع من الأرض ودون الهضبة.
١٦. الهمداني، الحسن بن احمد؛ المصدر السابق؛ ص(١٢،١٨، ٢٠).
١٧. تجواب:(ج:تجاويب) وهو الجدار الذي يحيط بالشرفة العليا من البيت، ويشكل حاجزاً لحجب الأنظار من الخارج إلى السطح، وتعلوه شرفات الزوايا، ويقع فيه عدد من النوافذ المزينة في المربعات المنسقة.
١٨. الهمداني، الحسن بن احمد؛ المصدر السابق؛ ص(٥ ، ١٢).
١٩. جروب: أحجار وهي كلمة يمنية قديمة.
٢٠. الهمداني، الحسن بن احمد؛ المصدر السابق؛ ص(١٣).
٢١. عبد الله، يوسف محمد؛ وطاهر، عبد الرقيب؛ "قصر غمدان بين الحقيقة والأسطورة"؛ تصور معماري؛ المؤتمر العالمي للآثار اليمنية صنعاء؛ ١٩٩٨م.
٢٢. كوبيشانوف، يوري مخايلوفتش؛ "الشمال الشرقي الأفريقي في العصور الوسيطة المبكرة وعلاقاته بالجزيرة العربية"؛ ترجمة: صلاح الدين هاشم عثمان؛ منشورات الجامعة الأردنية عمان؛ ١٩٨٨م؛ ص(١٢٨).
٢٣. صحيح ابن حبان ١٦/٢٨٧.
٢٤. سنن الترمذي، ٥/٣٦١. والضِّين: بكسر الضاد وسكون الياء، جبل مشهور شمال صنعاء يبعد نحو ثلاثين ك.م.
٢٥. الخزرجي، علي بن الحسن؛ "العسجد المسبوك"؛ مصورة وزارة الإعلام والثقافة صنعاء؛ دار الفكر دمشق؛ ط١؛ ١٩٨١م؛ ص(٦).
٢٦. البخاري، محمد بن إسماعيل؛ "صحيح البخاري"؛ دار ابن كثير؛ بيروت؛ جـ٤؛ ط١؛ ١٩٨٧م؛ ص(١٥٨٢).
٢٧. [من حديث البراء بن عازب في السنن الصغرى للبيهقي، ١/١٥٢.
٢٨. المعجم الأوسط للطبراني؛ من حديث وبر بن يحنس؛ ١/٢٥٣.
٢٩. من حديث فيروز الديلمي في مجمع الزوائد للهيثمي، ٥/٣٣٠.
٣٠. الجعدي، عمر بن علي بن سمرة؛ "طبقات فقهاء اليمن"؛ تحقيق: فؤاد سيد؛ دار الكتب العلمية؛ بيروت؛ ط٢؛ ١٩٨١م؛ ص(٤٥).
٣١. متز، آدم، "الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري أو عصر النهضة في الإسلام"؛ ترجمة: أبو ريده؛ المجلد الثاني؛ دار الكتاب العربي؛ بيروت؛ ١٩٦٧؛ ص(٢٧٣).
٣٢. المخلاف هو الصقع أو الناحية وكان للمخلاف مركز وجهاز إداري يقع على رأسه مسئول يدير شئونه، وعرفت المخاليف في تاريخ اليمن قبل الإسلام، وبعد الإسلام جعلت اليمن ثلاثة مخاليف كبار، ثم صار كل مخلاف فيها يضم عددا من المخاليف ذكرها الهمداني في كتاب صفة جزيرة العرب؛ "الموسوعة اليمنية" جـ٢؛ مؤسسة العفيف الثقافية، صنعاء؛ الطبعة الأولى؛ ١٩٩٢م؛ ص(٨٤٥).
٣٣. جمع هِجَرَة والهجرة قرية محمية فيها مدرسة علمية لتدريس العلم.
٣٤. الحكمي، عمارة بن أبي الحسن علي بن زيدان؛ "تاريخ اليمن المسمى المفيد في أخبار صنعاء وزبيد"؛ تحقيق: الأكوع، محمد بن علي؛ مطبعة العلم؛ دمشق؛ ط٣؛ ١٩٧٩م؛ ص(١١٩).



ذات حلم
هبطتُ على سلم من أساطير
محفورة في ضمير الزمان
رأيت بيوتا من الضوء
أعمدة من نهار بهيج
وأسواق من فضة
وشوارع من ذهب
قيل لي: تلك صنعاء
كل آجرة فيك
كل المآذن، كل الحجارة
تشكره
تشكر الله
أجرى مياه الجمال بآجرها
ومآذنها
ومنازلها

مقطع من ديوان صنعاء للأستاذ الدكتور عبد العزيز المقالح أصدره سنة ٢٠٠٠م، دار الريس، بيروت. وفيه يقف عند كل منعطف أو مركز أو محطة ليتغنى بعمارة صنعاء كاشفاً عن أسرار مضامين قيمتها التاريخية والجمالية، والتغني ليس حنينا لمجد اندثر ولكنه لعاطفة وجدانية وحب ومعايشة لمجد كيان حي يقف في وجه التاريخ مؤكداً ذاته ومقدرته في الاستمرارية بروح متجددة مسايرة لروح المتغيرات الزمانية ومتطلباتها العصرية (الحياتية).

وصف مدينة صنعاء في كتب التراث



جادت الحضارة الإسلامية بالعديد من العلماء والرحالة الذين اتصلت أسفارهم وطالت غربتهم وهم يجوبون الآفاق، لا يبالون بما يواجهون من الصعاب، ولا يعبؤون بآلام الاغتراب، وإنما اهتموا فقط بالسير في الأرض ومعرفة جغرافيتها وتاريخها ومعالمها وطبائع أهلها وعاداتهم. ولم يقتصر دورهم على الأخذ عن سابقيهم بل إنهم أخذوا ونقحوا وصححوا وبحثوا فأضافوا وأبدعوا، وبعض هؤلاء العلماء والرحالة من الشرق والغرب زاروا مدينة صنعاء ووصفوها أو كتبوا عنها وجميعهم يتفقون على حسن موقعها وطيب هوائها ووفرة مائها. وفيما يلي نبذ من أوصافهم للمدينة:

أحمد بن عيسى الرداعي[1] **(ق ٣ هـ/٩ م) في أرجوزة الحج**

صنعاء ذات الدور والآطام والقدم الأقدم ذي القدّام
والعز عن ذي السطوة الغشّام أسّت بعلم لابن نوح سام

والآطام: هي الحصون المرتفعة من الطين، فشبه بها منازل صنعاء لارتفاعها، والقُدّام: هو الملك وذو السطوة.

كما قال أيضاً:

إن رابها من حدث الزمان ريب عدو حَربِ الأضغان
قام فحامى دونها حيان قحطان والأحرار من ساسان

ويفهم من أبيات الأرجوزة للرداعي أن مدينة صنعاء التي زارها في القرن الثالث الهجري كانت منازلها مبنيةً من الطين ومرتفعة، وأن سكانها كانوا يتألفون من العرب أبناء قحطان والأبناء وهم بقية الفرس وما تناسل منهم منذ الوجود الساساني في القرن السادس الميلادي.

أبو علي احمد بن عمر بن رسته[2]
(ت نحو ٣٠٠ هـ/ ٩١٢م)

"هي مدينة اليمن، ليس باليمن ولا بتهامة ولا الحجاز مدينة أعظم منها ولا أكثر أهلاً وخيراً ولا أشرف أصلا ولا أطيب طعاما منها...

وهي مدينة جبلية برية معتدلة الهواء، يعدل طيب هوائها في جميع السنة هواءً ربيعياً في السنة إذا اعتدلت وطابت. ويفرش الفراش الواحد في مكان فلا يُحوَّل من ذلك المكان لحر ولا برد سنين كثيرة. وتدرك عندهم الحنطة دفعتين، والشعير والأرز ثلاث دفعات وأربعاً، ومن ثمارهم وعنبهم ما يدرك في السنة دفعتين أيضاً.

وهي مدينة كثيرة الأهل، طيبة المنازل بعضها فوق بعض، إلا أنها مزوقة أكثرها بالجص والآجر والحجارة المهندمة، فمنها ما أساسها من الجص والآجر وسائرها حجارة مهندمة حسنة، وبعض ارض بنائها الجص والآجر وبعضها بالجص، واكثر سطوحها مفروشة بالحصا لكثرة أمطارها. ولأمطارها أوقات معلومة، عندهم علامات لذلك لا يخطئون، ويمطرون في شهور الصيف شهراً واحداً، ومن الخريف تمام أربعة أشهر، ثم تتقطع الأمطار عندهم فلا يمطرون أصلاً إلا مثل ذلك الوقت من العام الآخر. واكثر ابتداء أمطارهم، في الوقت الذي يمطرون فيه بُعَيْدَ العصر. وربما تكون السماء نقية ولا يرى للمطر علامة.. فينشأ السحاب فيمطرون... فيجرف السيل جميع ما يكون فيها من القذى، ويغسل تلك الكورة بأسرها، ويجري ذلك الماء إلى مزارعهم في مجار قد اتخذوها لهذا الأمر لا يتعطل معه شيء من المياه...

ولم يكن لهم سور في القديم، وأحدث ذلك بعد فتنة ابن يعفر ملكهم. ولمدينتهم شارع يشقها نصفين، ينفذ إلى وادٍ تجري فيه السيول أيام المطر في عُرْض دجلة، أو أقل منها، ويسمى الأسرار (السَّرار) وعلى ضفتيه قصور مبنية من الجص والآجر والحجارة، وعامة هذه القصور للدباغين وإليه أيضا ينفذ فوهة أزقتها وسوقها من ناحية، مما يلي قبلتها وبعض هذا الشارع. ولكل واحد من أزقتها بابان يفضي أحدهما إلى هذا الشارع والآخر إلى سور البلد. ومسجدها جامعها بقرب سورها مبني من حجارة وجص. وهو مسجد كبير ذكر أنه بني بأمر رسول الله ﷺ وسلم وقبالة الجامع بالقرب منه على قدر عشرة أذرع قلعة أساسها من الصخر، وهي تعرف **بغُمْدَان** موضع التبابعة... وسمكها مرتفع جداً، وقد نقض عامة حواليها، واستعمل ما خرج منها من الحجارة، حتى قال بعضهم: إنه اكتفي بما خرج منها من حجارة عن نقل الحجارة إليها من غيرها. وفي هذه القلعة بئر يستقى منه الماء إلى هذه الغاية، ويقولون إنها بئر سام بن نوح. وفيها بئر أخرى وهي البئر التي وجد فيها قتيل من المسلمين في خلافة عمر، اشترك في قتله سبعة نفر فقتلهم عمر جميعاً به، وقال: لو تمالى عليه أهل صنعاء لقتلتهم به، وهذا حديث معروف رواه سعيد بن المسيب وغيره عن عمر. وإذا ارتقى المرقى الباقي من بناء غُمْدَان أشرف على جميع صنعاء. ولمساجدها اثنان وعشرون مؤذناً يؤذنون جميعهم في الإقامة بصوت واحد، وهم يمشون من المنارة إلى الصف، فإذا انتهوا إلى الصف يكونون قد فرغوا من الإقامة...

وفي كل منزل من منازلهم بئر يستقى منها للشرب، ويفضّل ماء الآبار على مياه العيون الجارية عندهم. ووصف فقيه منهم أنه وزن ماءً من آبارهم قليلا مع مثله من ماء دجلة فوجد ماء البئر أخف من ماء دجلة. وبقرب كل مسجد من مساجدهم إلا القليل منها سقاية فيها ماء للسبيل ومغتسل ومتوضأ كله مصهرج، وطعامهم البر النقي وهو شبيه بالحنطة إلا أنه أدق من الحنطة في سنابل لا تشبه سنابل الحنطة عليها قشرتان، إحداهما قشرة السنبلة والأخرى قشرة مقاربة لقشرة الأرز".

الحسن بن احمد الهمداني[٣]
(٢٨٠ - نحو ٣٣٦هـ/٨٩٣ - ٩٤٧م)

"..هي أم اليمن وقطبها لأنها في الوسط منها، ما بينها وبين عدن كما بينها وبين حد اليمن من ارض نجد والحجاز. وكان اسمها في الجاهلية أزال، ويسميها أهل الشام القصبة. وتقول العرب: لابد من صنعاء وان طال السفر...

وصنعاء أقدم مدن الأرض لأن سام بن نوح الذي أسَّها، وقد جمعت أخبارها في القديم في كتاب (الإكليل)"...

ووصف الحسن الهمداني الأحوال الثقافية في صنعاء قائلاً:

"ولم يزل بها عالم وفقيه وحكيم وزاهد، ومن يحب الله عزّ وجلّ المحبة المفرطة، ويخشاه الخشية اليقظى، على نحو ما ذكر بطليموس في طبائع أهل هذا الصقع. وهم مع ذلك أهل تمييز لعارض الأمور وخدمة للسلطان ناهية[٤]، وتملّك وتنعّم في المنازل. ولهم صنائع في الأطعمة التي لا تلحق بها أطعمة بلد، ولهم خط المصاحف الصنعاني المُكَسَّر والتحسين الذي لم يلحق به. ولهم حقائق الشكل، ذكرهم بذلك الخليل، ولهم الشروط[٥] دون غيرهم، ولا يكون لفقيه من أهل الأمصار شرط إلا ولهم أبلغ منه وأعذب لفظاً وأوقع معنى وأقرب اختصارا. ومنهم الخطباء كَمُطرَّف بن مازن، وهو المخترع لمفارع[٦] الغيول، وإبراهيم بن محمد بن يعُفَر... وفيها العلماء كوهب بن منبه وأخويه همام ومعقل، وعبد الرزاق وعبد الرحمن بن داود، وابن الشرود وهشام بن يوسف... ومن الشعراء مثل علقمة ذي جدن ووضاح اليمن... وبكر بن مرداس... وأبو السمط الفيروزي... ومرطل... ومن شعراء صنعاء بل من باديتها عبد الخالق بن أبى الطلح الشهابي... و(منهم) إبراهيم بن الجدوية... ولم يزل فيها من كتبة الديوان بلغاء... مثل بني أبي رجاء وغيرهم. وكان بشر بن أبي كبار البلوي من أبلغ الناس، وكانت بلاغته تتهَادَى في البلاد وكان له فيها مأخذ لم يسبقه إليه أحد، ولم يلحقه فيه، وتعجب بلاغته ونفاستها وأنه فيها أوحد، وأنه لا يشابه بلاغته البلغاء، وأنه منفرد بحسن اختلاس القرآن، أثبتنا منها عشر رسائل ليُستَدَلَّ بها على ما وراءها، وأقل الأثر دليل على قدر المؤثر...".

أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الاصطخري[٧]
(ت٣٤٦هـ/٩٥٦م)

"وليس بجميع اليمن مدينة أكبر ولا أكثر أهلا ومرافق من صنعاء. ويلغني أنها من اعتدال الهواء بحيث لا يتحول الإنسان عن مكان واحد شتاءً وصيفاً عمره. وتتقارب بها ساعات الشتاء والصيف، وبها كانت ديار ملوك اليمن فيما تقدم، وبها بناء عظيم قد خرب فهو تل عظيم يعرف **بغُمْدان** كان قصراً لملوك اليمن وليس باليمن بناءٌ أرفَعَ منه".

شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبى بكر المقدسي[٨] (ت ٣٨٠ هـ/ ٩٩٠م)

"صنعاء: هي قصبة نجد اليمن، وقد كانت أجلَّ من زبيد وأعمر، وكان الاسم لها وأما اليوم فقد اختلت، غير أن بها مشايخ لم أر بجميع اليمن مثلهم هيئةً وعقلاً... بلدٌ رحبٌ كثير الفواكه رخيص الأسعار وأخبار حسنة وتجارات مفيدة أكبر من زبيد. ولا تسأل عن طيب الهواء فانه عجب ومع ذلك رفقٌ مُعْفٍ".



إسحاق بن يحيى بن جرير الطبري الصنعاني(٩) (ت نحو٤٥٠هـ/١٠٥٨م)

"روى موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أنه كان بصنعاء مسجد قديم كان يعرف بقدوم، في الشارع المعروف بالمبيّضين وإنما سمي بالمبيضين لأن إبراهيم بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم لما قدم صنعاء نزل هو وأصحابه في هذا الشارع، وكان قد بعثه محمد بن محمد بن زيد بن علي بن الحسين العلوي إلى صنعاء أميراً عليها وذلك في سنة المائتين في أيام المأمون. وكان أبو الحسين أحمد بن محمد بن يزيد قمران يقعد في هذا المسجد ويفقه فيه ويسمع فيه الحديث، وذلك لما زَمِن ولحقه ضعف في رجليه، وكان تحت هذا المسجد فيما بينه وبين الشارع خلف الدار المعروفة ابن المقفع بيعة للنصارى وقد أدركنا من هذه البيعة بقايا، وقد ادخل من هذه البيعة جانب إلى دار ابن المقفع في ذلك. وقد ذكر أن عيسى بن مريم عليه السلام دخل صنعاء فصلى في هذا الموضع فاتخذت النصارى هذه البيعة على آثاره وآثار مصلاه الذي صلى فيه.

ومسجد قديم بقرب دار لبني إلياس وهم أخواله وزقاق ابن طاهر، فإذا خرج من هذا الشارع خرج إلى دار وهب بن منبه ومسجده وذلك إذا دخلت شارع ابن طاهر والمسجد الذي يعرف به ودار ابن عنبسة التي صارت له ودار ابن إلياس كل ذلك إذا دخلت من ناحية اليمن، إذا دخلت هذا الشارع من ناحية المسجد المعروف بمسجد المجلس من نواحي القطيع وهذا المسجد باقٍ عامر إلى وقتنا هذا وذلك إلى سنة ثلاث وعشرين وأربع مائة، وعلى اليسار الخرابات التي إلى باب دار لبني البصير ودار الكشاور ودور آل سويد ودار لبني السيد ودار لبني إلياس ودار عطاف ودار أخرى لبني إلياس والزقاق الذي يخرج إلى سكة عقيل الرمادي فيما بين هذين الجانبين الأيمن والأيسر".

أحمد بن عبد الله الرازي(١٠) (ت ٤٦٠هـ/١٠٦٧م)

"ذُكر أنه لما توفي نوح عليه السلام اجتوى ابنه سام السكنى في أرض الشمال فأقبل طالعاً في الجنوب يرتاد أطيب البلاد حتى صار إلى الإقليم الأول فوجد اليمن أطيبه مسكناً، وارتاد اليمن فوجد حقل صنعاء أطيبها بعد المدة الطويلة فوضع مقرانة [وهو الخيط الذي يُقدر به البَنّاء إذا مَده بموضع الأساس] في ناحية فج عضدان في غربي الحقل مما يلي جبل عيبان، وبين نُقُم وعيْبان، وهما جبلا صنعاء شرقياً وغربياً، ستة أميال فيما ذكر ابن عبد الوارث، وصنعاء اليوم فيما بينهما، فلمَّا بنى سام في غربي الحقل، وبنى ذلك الظبر، وهو إلى الآن معروف بصنعاء، فلمَّا رفعه بعث الله تعالى طيراً فاختطف المقرانة، يعني الخيط، فطار به، وسام يتبعه لينظر أين يسقطه، فأمَّ الطائر إلى جبوب النعيم من سفح نقم، فوقع بها، فلمَّا رهقه طار بها وطرحها على حَرَّة غُمْدَان، فلمَّا قرت المقرانة على حَرَّة غُمْدَان علم سام أن قد أمر بالبناء هنالك، فأسَّ غُمْدَان، واحتفر بئره، وهي التي تحت غُمْدَان إلى اليوم، يستسقى منها، تسمى كرامة مقابلة لأول باب من أبواب مسجد صنعاء، من ناحية المشرق، ومن أسفل مدينة صنعاء، وماؤها أجاج. قال: فبنيت صنعاء بين الجبلين جبل نُقُم وعيْبَان.

قال ابن يعقوب الهمداني(١١): ((ذكر حُسَّاب اليمن كابراً عن كابرٍ أن الطالع كان ساعتئذ الثور، وفيه الزُّهرة والمرِّيخ وتوجد طباع هذا البرج في ثبات الأشياء وقلة تغيرها، ودوام هذا الأساس أنه أقام في تزايد مع الملوك قرب أربعة آلاف سنة، وبقي من بعض حيطانه الجروب المقابلة لأبواب المسجد الجامع بصنعاء ثم تزايدت صنعاء في الإسلام إلى بضع وتسعين سنة ومائتين من الهجرة، وخربت، ولم تلبث أن عادت، فهي اليوم تكاد أن تقارب ما كانت عليه أو هي تزيد، وعلماء صنعاء يروون أنها تعمر بعد خرابها وتملأ ما بين جبليها، وتصير سوقها في بطن واديها))...

وقد خربت صنعاء وعادت، وهي اليوم خراب، وأرجو أن الله تعالى يعمرها بالصالحين من عباده...

قال إبراهيم بن محمد بن المعمر النحوي: ...عن وهب بن منبه أنه قال: ((أول حجر وضعت على حجر بعد الكعبة حَرَّان الجزيرة، وغُمْدَان بصنعاء اليمن، وابتنى حَرَّان الجزيرة نوح، وابتنى غُمْدَان بصنعاء اليمن سام بن نوح)).

قال أبو محمد: حدثني هَمَّام قال: أخبرني ابن مطاع قال: سمعت مَسْلَمَة بنَ عُقبة يقول: كان غُمْدَان عشرة سقوف إلى أعلى، سقف فوق سقف، بين كل سقفين أربعون درجة، وكان في أعلاه بيت عشر في عشر، سقف جميعه رخامة مطبقة عليه...

قال الحسن بن يعقوب(١٢) ((كان الذي بنى غُمْدَان الي شرح يحضب فلمَّا نظر إلى ظله بالغداة قد بلغ إلى سفح عَيْبَان كف عن البناء. قال: "وحدثني عمرو بن إسحق الحضرمي عن أبيه

عن جده أن **شعران أوتر** هو الذي وصل بنيان القصور وأحاط على صنعاء بحائط. وأن **الي شرح** كان ملك صنعاء، وأنه كان بنى غُمْدَان على سبعة أسقف. كل سقف منها على أربعين ذراعاً، وكان له أربعة أوجه في ترابيعه، وجه منه مبني بحجارة حمرٍ، ووجه بحجارة خضر، ووجه بحجارة سود، ووجه بحجارة بيض. وفي أعلاه غرفة لها لهوج، كل لهج باب رخام في مقيل من الساج والأبنوس، وسقف الغرفة رخامة واحدة صفيحة.

وقال آخرون: كانت الغرفة تحت بيضة رخام من ثمان قطع مؤلفة، وكان له أربعة تماثيل من الصفر، على كل ركن من أركانه تمثال على صورة الأسد، كل تمثال رأسه وصدره خارجان عن القصر ورجلاه في الدار، وكانت الريح إذا هبَّت في أجواف تلك التماثيل سمع لها زئير من مكان بعيد، وكانت إلى جنب القصر نخلة سحوق تسمى الدامغة[١٣]، وكانت تطرح بعسبانها إلى بعض أركان القصر، وكان من يستلقي في أعلا غرفة غُمْدَان على فراشه يرى طيور السماء إذا مرت به من تحت تلك الرخامة المطبقة في أعلى الغرفة وإذا أسرج فيه رأى ذلك من رأس عجيب[١٤].

ويقال: لم يزل غُمْدَان قائماً حتى هدمه فروة بن مُسَيْك المرادي بأمر رسول الله ﷺ، وقد قيل هدم في أيام أبي بكر رضي الله عنه وقيل: هدم في أيام عثمان رضي الله عنه، وقيل: أمر رسول الله ﷺ باذان فهدمه والله أعلم أي ذلك كان. ويقال: إن عامة عمارة قصبة صنعاء فإنما عمِّرت بنقض غُمْدَان.

قال أبو محمد، وحدثني يوسف بن عبد الرحيم قال: سمعت رياح بن سالم قال: سمعت منصور بن سعيد بن النعمان بن بزرج، وكان قد أدرك الجاهلية والإسلام فقال: كان يقال إن مصرع الجزارين الذي بصنعاء بني في زمان سام بن نوح، ومصرع الجزارين هو اليوم الموضع الذي يباع فيه السليط، وموضع الحدادين إذا أردت أن تنزل سوق العراقيين موضع مسجد ابن زيد، وكانت مقبرة غمدان حيث يحدوا الحدادون اليوم بصنعاء.

قال أبو حفص عمر بن محمد بن عمر قال: حفر بئر غُمْدَان وبنى غُمْدَان صنعة بن سام بن نوح وباسمه سميت صنعاء.

أبو عبدا لله محمد بن محمد بن عبدا لله بن إدريس الحموي[١٥] (ت ٥٦٠هـ/ ١١٦٤م)

"ومدينة صنعاء كثيرة الخيرات متصلة العمارات وليس في بلاد اليمن أقدم منها عهدا ولا أكبر قطرا ولا اكثر ناسا، وهي في صدر الإقليم الأول معتدلة الهواء طيبة الثرى والزمان بها أبدا معتدل الحر والبرد وبها كانت ملوك اليمن قاطنة وهي ديار العرب. وكان لملوكها بها بناءٌ كبير عظيم الذكر وهو قصر غُمْدَان فتهدم وصار كالتل العظيم".

عَمارة بن علي اليمني[١٦] (ت ٥٦٩هـ/١١٧٣م)

"إنه ليس لجميع اليمن مدينة أكبر ولا أكثر مرافق وأهلا من صنعاء وهو بلد في خط الاستواء وهو من الاعتدال في الهواء بحيث لا يتحول الإنسان من مكان واحد طول عمره شتاءً ولا صيفاً، وتتقارب بها ساعات الشتاء والصيف وبها بناءٌ عظيم قد خرب فهو تل عظيم عال يعرف بغُمْدَان. ولم تبن ملوك اليمن قصراً مثله ولا أرفع منه...".

نشوان بن سعيد الحميري[١٧] (ت ٥٧٣هـ/ ١١٧٧م)

" صنعاء مدينة باليمن، يقال لها قصبة اليمن وأم اليمن والنسبة إليها صنعاني، بنون على غير قياس".

ياقوت الحموي[١٨] (ت ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م)

وصف صنعاء واكثر الكلام عنها، واعتمد في وصفها على ما ذكره الهمداني في كتاب الإكليل (الجزء الثامن)، وصفة جزيرة العرب فقال: "صنعاء منسوبة إلى جودة الصنعة في ذاتها، كقولهم امرأة حسناء وعجزاء وشهلاء، والنسبة إليها صنعاني على غير قياس كالنسبة إلى بهراء بهراني، وصنعاء موضعان أحدهما باليمن وهي العظمى، وأخرى قرية بالغوطة من دمشق، فأما اليمانية فقال أبو القاسم الزجاجي: كان اسم صنعاء في القديم أزال، قال ذلك الكلبي والشرقي وعبد المنعم، فلما وافتها الحبشة قالوا نعم نعم فسمي الجبل نعم أي انظر، فلما رأوا مدينتها وجدوها مبنية بالحجارة حصينة فقالوا هذه صنعة ومعناه حصينة فسميت صنعاء بذلك، ...وصنعاء قصبة اليمن وأحسن بلادها، تشبه بدمشق لكثرة فواكهها وتدفق مياهها فيما قيل، وقيل: سميت بصنعاء بن أزال بن يقطن بن عابر بن شالخ وهو الذي بناها، وطول صنعاء ثلاثة وستون درجة وثلاثون دقيقة، وعرضها أربع عشرة درجة وثلاثون دقيقة وهي في الإقليم الأول، وقيل: كانت تسمى أزال قال ابن الكلبي: إنما سميت صنعاء لأن وهرز لما دخلها قال: صنعة صنعة، يريد أن الحبشة أحكمت صنعتها، قال: وإنما سميت باسم الذي بناها وهو صنعاء بن أزال بن عبير بن عابر بن شالخ فكانت تعرف بأزال وتارة بصنعاء، وقال مجاهد في قوله تعالى (غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ) سورة (سبأ) الآية (١٢). كان سليمان عليه السلام يستعمل الشياطين بإصطخر ويعرضهم بالري ويعطيهم أجورهم بصنعاء

فشكوا أمرهم إلى إبليس فقال: عظم البلاء وقد حضر الفرج، وقال معمر: وطئتُ أرضين كثيرة شاماً وخراسان وعراقا فما رأيت مدينة أطيب من صنعاء، وقال محمد بن أحمد الهمداني الفقيه: صنعاء طيبة الهواء كثيرة الماء يقال إن أهلها يشتون مرتين ويصيفون مرتين وكذلك أهل قَرَان ومارب وعدن والشحر، وإذا صارت الشمس إلى أول الحمل صار الحر عندهم مفرطاً، فإذا صارت إلى أول السرطان وزالت عن سمت رؤوسهم أربعة وعشرين شتوا ثم تعود الشمس إليهم إذا صارت إلى أول الميزان فَيُصَيِّفُون ثانية ويشتد الحر عليهم، فإذا زالت إلى الجنوب وصارت إلى الجدي شتوا ثانية غير أن شتاءهم قريب من صيفهم...".

زكريا بن محمد القزويني[١٩] **(ت ٦٨٢هـ /١٢٨٣م)**

"صنعاء قصبة بلاد اليمن، احسن مدنها وأصحها هواءً واعذبها ماءً وأطيبها تربة وأقلها أمراضاً، وهي قليلة الآفات والعلل قليلة الذباب والهوام، إذا اعتل إنسان في غيرها ونقل إليها يبرأ، وإذا اعتلت الإبل وأرعيت في مروجها تصح. واللحم يبقى بها أسبوعا لا يفسد.

شهاب الدين احمد بن يحي بن فضل الله العُمري[٢٠] **(٧٠٠- ٧٤٩هـ /١٣٠١- ١٣٤٩م)**

"وهي قاعدة ملك اليمن في قديم الزمن وأوقاتها كلها على مناسبة الاعتدال لذيذة الهواء كثيرة الفواكه تقع بها الأمطار والبَرَد يكاد يجمد الجمر وهي تشبه في اليمن ببعلبك في الشام لتمامها".

عماد الدين إسماعيل بن محمدأبو الفداء[٢١] **(ت ٧٣٢هـ / ١٣٣١م)**

"وهي من أعظم مدن اليمن وبها أسواق ومتاجر كثيرة ولها شبه بدمشق لكثرة مياهها وأشجارها، وهواؤها معتدل وتتقارب فيها ساعات الشتاء والصيف ومن أطول يوم في السنة يكون الشاخص عند الاستواء لا ظل له... تشبه بعلبك في الشام لتمامها الحسن وحسنها التمام وكثرة الفواكه، تقع بها الأمطار والبَرَد. وهي كرسي ملوك اليمن في القديم ويقال إنها كانت دار ملك التبابعة... وبها تل عظيم يعرف بغُمْدَان كان قصرا ينزله ملوكهم وكانت الأمم تحجبه فهدمه عثمان رضي الله عنه فصار تلاً عظيماً.

محمد بن عبد الله الطنجي (ابن بطوطة)[٢٢] **(ت٧٧٩هـ/١٣٧٧م)**

"وانصرفت مسافرا إلى مدينة صنعاء، وهي قاعدة بلاد اليمن الأولى، مدينة كبيرة حسنة العمارة بناؤها بالآجر والجص، كثيرة الأشجار والفواكه والزرع، معتدلة الهواء طيبة الماء. ومن الغريب أن المطر ببلاد الهند واليمن والحبشة إنما ينزل في أيام القيظ، واكثر ما يكون نزوله بعد الظهر من يوم ذلك الأوان فالمسافرون يستعجلون عند الزوال لئلا يصيبهم المطر. أهل المدينة ينصرفون إلى منازلهم لأن أمطارها وابلة متدفقة. والمدينة مفروشة كلها، فإذا نزل المطر غسل جميع أزقتها وأنقاها، وجامع صنعاء من أحسن الجوامع...".

أبو الحسن علي بن الحسن الخزرجي[٢٣] **(ت ٨١٢هـ/١٤٠٩م)**

وصف صنعاء فقال:

"صنعاء وهي إحدى جنان الأرض الأربع وذلك ما روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: **(ثلاث جنات في الدنيا مرو من خراسان ودمشق من الشام وصنعاء من اليمن وجنة هذه الجنان صنعاء)** وعن بعض العلماء قال: جنان الدنيا أربع غوطة دمشق وشعب بوان وصعيد سمرقند وصنعاء اليمن.



ويقال: أول بنيان رفع على وجه الأرض بعد الطوفان صنعاء وقيل أول حجر وضع على حجر بعد الكعبة حران من أرض الجزيرة وكان الذي عمرها نوح عليه السلام ثم بعدها قصر غُمْدَان بصنعاء وكان الذي عمره سام بن نوح عليه السلام واحتفر بيره وهي التي تسمى بير كرامة... واختلفت الأقوال في سمك غُمْدَان بعد أن زاد فيه التبابعة من حمير، وكان من المباني العجيبة فأصح ما قيل فيه أنه عشرون سقفاً بين كل سقفين عشرون ذراعاً وقيل عشرة أذرع، وفي رأسه غرفة من زجاج طولها إثنا عشر ذراعاً وعرضها كذلك، وكان يبسط ظله ثلاثة فراسخ، الفرسخ ثلاثة أميال والميل ثلاثة الآف خطوة الخطوة ذراعان وكان إذا أسرج فيه الشمعة يراه الناظر مثل النجم الزاهر.

أحمد بن علي القلقشندي[٢٤] (ت٨٢١هـ/١٤١٨م)

"قاعدتها مدينة صنعاء قال في تقويم البلدان لأبى الفداء (ت٧٣٢هـ/ ١٣٣١م)، وهي مدينة من نجود اليمن واقعة في أوائل الإقليم الأول من الأقاليم السبعة قال في الأطوال حيث الطول سبع وستون درجة والعرض أربعة عشر درجة وثلاثون دقيقة".

محمد بن عبدا لمنعم الحميري[٢٥] (٩ هـ /١٦م)

"صنعاء مدينة عظيمة باليمن كان اسمها بالقديم أزال.. والذي أسس غمدان وابتدأ بنيانه واحتفر بئره... سام بن نوح لأنه سار يطلب حُرَّ البلاد وموضع اعتدال الحر والبرد فلم يجده إلا في جزيرة العرب... فسار في الإقليم الأول حتى صار إلى حقل صنعاء فوجده أطيب باعتداله وصحة هوائه... وصنعاء مدينة كثيرة الخيرات متصلة العمارات ليس في بلاد اليمن أقدم منها عهداً ولا أكبر قطراً... وكانت ملوك اليمن قاطبة تنزل بها، وكان لملوكها بها بناء كبير عظيم الذكر وهو قصر غمدان فهدم وصار كالتل العظيم.

(بيتر فن بروكه) دفتر حوادث دونه أثناء رحلته إلى الهند الشرقية[٢٦]، (٣٠ مايو١٦١٣م) ربيع الثاني (١٠٢٢هـ - ٢٣ ديسمبر ١٦٢٩م/ ١٠٣٩هـ)

مايو ١٦١٦م/ ١٧ربيع ثاني ١٠٢٦هـ في صباح الرابع من (الشهر) المذكور وقبل انبلاج الفجر رحلنا من جديد. وعند الفجر مررنا ببيت تباع فيه القهوة وكان (هذا البيت) يبعد حوالي ميل عن مدينة (شِنا)[٢٧]. وهنا غيرت ثيابي، وقبل انتهائي من ذلك تماماً أرسل إلي كاتب الباشا فرساً جميلاً وثميناً لأدخل المدينة به. وبعد أن امتطيته توجهت إلى المدينة.



ومـا هــي إلا أن قطعنـا مسـافة طلقـة مـدفع (مـدفع مـن طـراز) الـ(كورتـاو) حتـى قابلنـا قائـد الفرسـان مصـطحباً معـه (٣٠٠جنـدي) مقسـمين إلـى ثـلاث سـرايا وخمسـة ألويـة كلهـم مسلحون (ببنادق من طراز الـ(رور)). وبعد أن أطلقوا النـار ثـلاث مرات بالـ(رورس) تحية لنا تقدمونا كلهم بمشية عسكرية.

وتقع مدينة (شِنا) ببلاد (يمن) أو (آرابيا فيلكس). وبالإمكان السير حولها في مدة ساعتين تقريباً، ويحيطها سور مشيد من نـوع معـين مـن اللـبن رمـادي والصـلب جـداً والثابـت علـى مـر الأزمـان. (ولهـذا السـور) أبـراج صـغيرة مسـتديرة تبعـد طلقـة (بندقيـة مـن طـراز) الــ(موسخت) عـن بعضـها الـبعض لحمايـة المسافات بينها. وأبواب (السور) هذه مبنية من الحجر المنحوت الأزرق. ويوجد في المدينة أيضاً أربعة أبراج عالية تعلو المساجد الرائعة أي المعابد. كما (يوجد هنا) الكثير من البيوت والحدائق والحمامات بالإضافة إلى (أبنية) أخرى كلها جميلة جداً ورائعة.

وأخيـراً فـإن القـوانين والأنظمـة (السـارية هنـا) هـي مثـل مـا (تُطبق) في القسطنطينية.

وتسير معظم النساء متحجبات في الشوارع، وفي طريقهن إلـى الحمـام يصـطحبن إمـاءهن واللـواتي يكـنّ معظـم الأحيـان أجمل وأشدّ بياضاً بشرةً من أولئك النسوة أنفسهن.

ويقيم هنا باشا الـ(اييمن) المسمى (يفر) والمجري الأصل لمدة ثـلاث سـنوات نيابـة عـن قيصـر القسـطنطينية. وذلـك مثـل الـ(فسورايس) الـذي (يقيم) في غوا نيابة عن ملك الاسبانين. ولكن الباشا يحاول أن يجعل نفسه سيداً على البلاد. وكان قد أمر بالقضاء على اثنين من الباشوات اللذين أرسلهما السلطان إلى هناك ليخلفاه.

وهـذه المدينـة مكتظـة بالنـاس مـن جميـع الأنحـاء، وذلـك لأن الجيش يتركز على مسافة لا تبعد عن هنا أكثر من نصف يوم سفر إلى فوق. ويتاجر في المكان البانيانون واليهود والهنود على نطاق واسع. والبرد قارس هنا في هذا الفصل والأمطار غزيرة. وتحـيط المدينــة الكثيــر مــن الحــدائق الجميلــة والعــرائش للانبساط.

ويوجد في داخل المدينة مبنى قديم مربع على مثال معبد أي مسخت (مسجد)، سقفه مسطح وله اكثر من ٣٥٠ عاموداً كلها من الحجر المنحوت الأزرق الذي شُيِّد به (هذا) المبنى.

كرستين نيبور[٢٨] (١١٧٥ - ١١٨١هـ/١٧٦١-١٧٦٧م)

وهنا في صنعاء استرجعت البعثة كل قواها، وفي هذه الضاحية الرائعـة مـن المدينـة كـان نيبـور يأكل العنب، وقـد ذهبت عنه كل ذكريات الماضي المحزن، وبعدت عنه كل وساوس المستقبل. وصف نيبور أحوالهم بقوله:

"لم نعش مثل هـذه الراحـة منـذ زمـن طويل، لقـد كـان للبيت غـرف جميلـة وكـان محاطـاً بحديقـة مليئـة بجميـع أنـواع الفواكـه التـي يبـدو أن تنبـت علـى الطبيعـة دون عنايـة. إنهـا حديقـة علـى الطريقة العربية، بها نافورات وبُرُك حيث يفضل المرء الجلوس في الظل على أن يمشي".

وبعـد يـومين فـي التاسـع عشـر مـن تمـوز (يوليـو) اسـتقبلهم الإمـام فـي مقابلـة رسـمية عامـة، فقـد وصـل إلـيهم قبـل الظهـر كاتـب الفقيـه أحمـد وأخـذهم إلـى القصـر حيـث اتخـذت بعـض الترتيبات المتقنـة لاسـتقبالهم، وازدحـم الميـدان المشـمس بالخيـل والخـدم والمـوظفين، ولـم يسـتطع أعضـاء البعثـة الوصـول إلـى المـدخل إلا بعـد أن أتـى مـدير الاسـطبلات وأفسـح لهـم الطريـق بهراوة ضـخمة فـي يـده. ولأن نيبـور كـان الوحيـد بينهم المتحدث باللغة العربية فقد اصبح رئيسهم، ونـورد فيما يلـي وصفاً للقـاء الذي تم بين الشـاب فـلاح المستنقعات الرطبـة الـذي علـم نفسـه بنفسه وبين صاحب السمو الملكي إمام العربية السعيدة (المهدي عباس)[٢٩] قال نيبور:

"جرت المقابلة الرسمية في قاعة مستطيلة تحت سقف لـه قناطر، وفي الوسط كانت نافورة تقذف ماءَها في الهواء مسافة أربعة عشر قدماً، وخلف بركة النافورة ترتفع منصة، يقع خلفها منصة أخرى، بها مجلس العرش، وقد غطيت كل الأرضية حول النافورة والمنصة المرتفعة بالسجاد العجمي، أما مجلس العرش فلم يكن إلا منصة مربعة مغطاة بالحرير، وعليها ثلاث مخدات كبيـرة أحـدها خلـف الإمـام واثنتـان علـى جانبيـه، وكلهـا مغطـاة بأشياء جميلة، كان الإمام جالساً علـى عرشـه هـذا بـين الوسـائد وقد لف ساقيه تحته على الطريقة الشرقية في الجلوس، وكان مرتدياً قميصاً أخضر خفيفاً لـه أكمـام طويلـة فضفاضـة، وعلـى يمينـه وعـن يسـاره أخوتـه، وأمامـه علـى المنصـة المستطيلة يقـف وزيـره لشـؤون الدولـة الفقيـه أحمـد، وفـي مكـان مـنخفض عـن المنصـة المسـتطيلة أخـذ أعضـاء البعثـة أمـاكنهم وعلـى امتـداد الجدران يقف صفان طويلان من الزعماء العرب".

"بعد هذه المقابلة أذن لهم أن يتجولوا بحرية في العاصمة، وبدأ نيبور في الحال في إعداد خريطة أولية للمدينة، وشاع أمر وصولهم منذ مدة طويلة بين السكان، وتدخل الفضوليون من جمهور المتفرجين في عمل نيبور، حتى أنه اضطر إلى التخلي عن أخذ مقاسات للزوايا بواسطة البوصلة والآلة الفلكية، وبدلاً عن ذلك عاد إلى أسلوبه القديم منذ أن كان في مصر، في حساب المسافات في الشوارع بالخُطى، متظاهراً بعدم المبالاة، وحين انتهى من رسم خريطته حاول أن يكون لديه صورة عن التجارة في المدينة، وهو العمل الذي اعتاد القيام به مع فورسكال، فزار السوق الكبير، ووصف أزقته المتخصصة في بيع الوقود والفحم والحديد والعنب والذرة والزيدة والملح والخبز، الذي تقتصر التجارة فيه على النساء، كما هو غالباً في كل مكان في جزيرة العرب، كما يوجد سوق خاص لإبدال الملابس القديمة بأخرى جديدة، ويوجد فيه أكشاك للبضائع التركية والهندية والإيرانية. ويوجد بالمدينة أعشابٌ وعلاجات وفواكه مجففة وطازجة كالكمثرى والمشمش والخوخ والتين، وتوجد شوارع خاصة للأعمال المهنية المختلفة، للحدادين وللإسكافيين وصانعي السروج والخياطين وصانعي القبعات والبنائين والصاغة ومجلدي الكتب والكتبة، وفي كل مكان توجد الخضراوات الطازجة بكميات كثيرة، واستطاع نيبور أن يحصي أكثر من عشرين نوعاً من العنب.

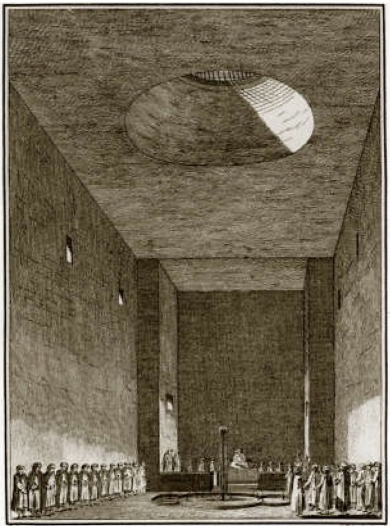
لقد تجاوزت عاصمة اليمن السعيد كل توقعاتهم، فصنعاء كانت حقاً جنة الله على الأرض، وأكثر من ذلك، فقد استقبلهم جميع الزعماء بودٍّ زائد، ولم يحاول أحد سلبهم أموالهم ولم يلق أحد بالحجارة على نوافذهم، والإمام نفسه وضع تحت تصرفهم مسكناً عاشوا فيه أحسن عيشة في رحلتهم كلها، وهو الآن يدعوهم للبقاء في المدينة سنة كاملة ضيوفاً لديه".

جمال الدين على بن عبد الله بن القاسم بن المؤيد بالله الشهاري[٣٠] (ت١١٧٦هـ /١٧٦٢م)

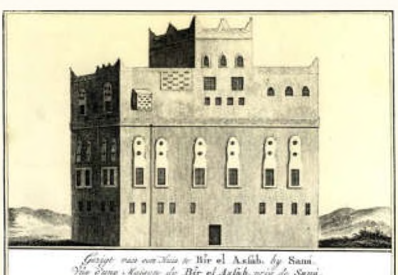
وصف طرفاً من عمارة صنعاء وعمرانها في زمانه وهو من أسمك الأوصاف وأدقها ولهذا نثبت الكثير منه قال:

"وهي في زماننا هذا سنة إحدى وسبعين ومائة وألف سنة من الهجرة النبوية (١٧٥٧م) ... عامرة بأوفر عمارة بحيث إن دورها لا تحصى، ولعلها تزيد على عدد ما كانت عليه وقت عمارتها السابقة أيام الصحابة فالخلفاء فالملوك الأموية فالعباسية، بحيث إن لليهود مدينة مستقلة، ولقد بلغ بعض سوق صنعاء واديها من السائلة فزاد عليه في الجهة الغربية إلى أن اتصل بأسواق اليهود في مدينتهم...

إن الله تعالى تكفل بصنعاء أن يعطيها من الخصب ما أعطى مصر ويكون سوقها في واديها، وأن يملأ ما بين جبليها وأن تباع ظهور منازلها ...



١



٢

لوحتان لكرستين نيبور
١. قصر الإمام (صالة العرش)
٢. بيت في بير العزب
الصورتان من كتاب (YEMEN) لبسكال وماريا ماريشوس

.. وبصنعاء صناع في كل المِهَر[21] التي يحتاج إليها الناس، في البناية والنجارة والحدادة والحياكة والصباغة والجصاصة والفلاحة وغيرها، ما لا يسمع أنه كان فيها مثل ما يوجد بها الآن. فإن أقل أحوال صناعها الماهرين، كل صانع في صناعته بمن يتبعه من أعوانه من المسلمين واليهود والبانيان والرازبوت، عشرة آلاف عامل على التقليل وليس هذا مبالغة بل قَصَّرْتُ وحَقَّرْتُ.

وأما محاريق القص والنورة التي يطبخ فيها فشيءٌ كثير واسع، لعله يزيد على المائة والمائتي المحراق في صنعاء وما يقرب منها.

وعلى الجملة إن لصنعاء ثلاثة أبواب معتمدة قبلي وغربي ويماني من بقي ينظر ساعة من النهار فيما يدخل من هذه الأبواب مما ذكرنا وغيره يرى عجباً. وهذا ما يدخل مدينة صنعاء فضلاً عما يقصد به ما حول صنعاء من مخارفها، التي قد صارت مدناً كباراً جامعة للمساجد الجوامع والأسواق والحمامات، وغير ما يقصد به إلى مدينة اليهود غربي صنعاء..

فإذا عرفت هذا وعرفت ما رزق براري صنعاء من الخصب الذي وعد الله سبحانه وتعالى به، كما في الحديث السابق أن الله وعدها بخصب مصر يصير إليها، فإنه ارتفع بحرها (المياه الجوفية) هذه المدة ارتفاعاً كبيراً حتى كاد أن يبلغ نصف الآبار وظهر الماء في حفر التراب بحيث إنها صارت كالبُرُك مستمرة فيها الماء، وتفجرت الأنهار فصار حولي صنعاء نحو عشرين نهراً [يقصد غيلاً] تسقي مخارفها وبساتينها وأغلب زروعها فأخف عمل ما يسقى بالسواني، حتى أنها لتسقى جميع الأثالات والشجر غير المثمرات بماء الغيول. فلهذه الأسباب عمرت صنعاء هذه العمارة...

وأما مساجد صنعاء، التي هي بيوت الطاعات غير المهجورة فأقل أحوالها أنها خمسون مسجداً جامعاً، مبنية باحكم بنيان بالحجارة المنجورة بأحلاس الدعائم التي عليها العقود والسقوف العظيمة التي لا يوجد مثلها في الأمصار، إلا أن تكون دعائم المرمر التي بمسجد الحرم.

فأما في الرفاعة والارتفاع فهي مثلها وفيها الأبواب واللهوج الكبار، وقد أحاطت الكوات بأعلاها التي فيها ألواح الرخام والزجاج من البلور وغيره. وقد شيدت بالجص وزخرفت المحاريب وغيرها بما يقصر عنه الوصف. وقد فرشت بأنواع الفراشات التي أعلاها المفارش الرُّوم وأدناها البسط وأوسطها الكلمات النعماني وغيرها. وإليها الصروح التي هي رحبة المسجد المفروشة بحجارة الحبش المنجورة، وعندها الآبار المطوية التي عليها الأساور المرتفعة عليها خشب العجيل التي تجر البقر السواني غروب الماء الهائلة عليها حتى تصبها إلى أحواض معدة تسمى المراجو يسير الماء عليها في جداول على بنيانات مرتفعة محكومة (مُحكمة) البناء والقضاضات، حتى تنفذ إلى مطاهير قد أعدت للطهر فيها مبنية بأحكم بنيان قد رصت بالصخور والقطر من تخوم الأرض، ثم جعلت حقوباً على كل حقب منها جدارات كجدران الدكاكين، مع مساتر على أبوابها تحيط بصرحة يجمعها عليها سقف واحد على دعائم قد اعدت كدعائم المساجد قد أحكمت بالقطر والقضاضات. يحيط بها الأحواض التي تسمى المراجو التي تصب غروب السواني إليها، إلى كل مطهار من تلك السواقي منفتح للماء فيه أنبوب حديد يصب الماء إلى كل مطهار منها، فيسمع للماء في مجموعها دوي كدوي السيول الكثيرة. فمن أراد الطهور فقد أُعدَّ له حجران مربوعان تساوي الماء كي يقعد عليها. ومن أحب الإغتسال وضع حوائجه على خشب قد أعدَّت معترضة عنده لا ينالها الماء، فينزل في تلك الحقب إلى أن يبلغ ثدييه والماء حق الأنبوب يصب على رأسه، فإذا انغمس بمجموعه في الماء لم يخش على حوائجه لأنها عنده.

ثم يخرج إلى حوض عريض طويل يسمونه المصفى ملان من الماء، لأن لهذه (المطاهير) فتحات (أخزاق) من أسفلها ليتصل ماء بعضها ببعض إلى هذه المصفى فيغسل الغاسل رجليه. ثم يدخل المسجد من ممر (طارود) مفروش بالحجارة المنجورة إلى المسجد.

وماء مجموع هذه المطاهير يفضي إلى بركة كبيرة قد أعدت لاجتماع الماء فيها. وقد يكون فيها مطاهير خارجية شمسية ثم تفجر المطاهير هذه يومية إليها أو عن ثاني (يوم) عند غسلها، ويجدد الماء فيها ثم تنفجر هذه البركة التي يجتمع فيها الماء إلى بستان كبير قد أعد عند ذلك المسجد، فيه أنواع الشجر المثمرة والبقول المتنوعة، قد وكل به بستنجي متمكن من البقر والحُمُر والأعوان فهو محتاج في كل وقت إلى نزع الماء لإحياء البستان.

ولا طريق للماء إلا من مطاهير الطهور، فالماء الجاري كالنهر، لأن أحقر بئر لهذه المساجد عليها ثلاث أربع سواني مستمرة

الليل والنهار، لا يفسح لها إلاّ عند ساعة من الليل لأن لها دولاً فبعضها يُطْعَمُ وبعضها يعمل في المسنى، فهو في الجملة حكم النهر المستمر بحيث أنه لا يتشكك في الطهارة في هذا الماء أحد من فرق المسلمين. وعلى هذا فكل مسجد من هذه المساجد وهذه المطاهير تسرج فيها القناديل الكثيرة والسُّرُج بالليل.

ثم لا يزال التفقد لها بالكنس ومجامر البخور من اللبان الشحري فما فوقه. ثم في كل مسجد سبيل من كيزان الغضار المعد فيه الماء الباشوي الينعي للشرب. ثم في كل مسجد المصاحف العظيمة والأجزاء الواسعة في المقدمات.

وفي كل مسجد جملة من طلبة المذاكرين في كل فن من فنون العلم من أصول الدِّين وأصول الشرائع والأحكام وأصول الفقه والفقه والنحو والصرف والمعاني والبيان والمنطق وغيرها.

والطلبة والمعلمون من أهل المدينة وأغراب، لأن حولي كل مسجد من هذه المساجد بيوت كالحوانيت وأكبر تسمى (المنازل) معدة للأغراب والمتعلمين.

وعند كل مسجد من هذه المساجد مستراحات لقضاء الحاجة مرتفعة عن الأرض تحتها سردابات لما يجتمع فيها.

وهذه المستراحات قد بنيت بأحسن بناء عليها القباب والجملونات مشدة بالقضاض والجص من جميع نواحيها باطناً وظاهراً، وعليها خدم يتفقدونها بالكنس والغسل ويؤهبون لمن يريد قضاء الحاجة الحجارة الطاهرة في محلات متنزهة.

ثم عند كل مسجد سبيل قبة وحوض للماء يغترف منها الناس وقد تكون قبتين أحداهما للرجال والأخرى للنساء ولا يمنع منها أحد، والأحواض تشرب منها المواشي ويغترف منها أهل البناء والأعمال. وعند كل مسجد من هذه دار للمسجد يسكنه السانى لأجل يكون قراش المسنى قريبة منه. وعلى السواني سقيف يسمى المرانع لأجل يمنعها عن المطر ونحوه.

وصلاح هذا جميعه من بذور أوقاف واسعة وأكريات حوانيت للبيع والشراء المستغلة، فإن في صنعاء أكثر من ثلاثة أربعة آلاف حانوت مستغلات للوقف، وللوقف خانات ولها ضياع كثيرة وأشجار واسعة... وعلى الجملة أنه يقال إذا خربت صنعاء أقامها الوقف وإذا خرب الوقف لم تقمه صنعاء.

فهذا ما قصدنا من وصف مساجد صنعاء ولم نقصد المسجد الجامع وإنما هو ما جعل أمره مثبتاً، على ما ذكرنا في المساجد، لأنه له بئران على كل بئر أربع سواني يكون ثماني سواني بدول كل ثمان سواني، ثمان سواني وقس على ذلك غيره.

فإن سرج مؤخره بين العشاءين (صار) كالنجوم، وقناديله وقناديل الأجنحة كثيرة جداً، وفيه من الفرش ما يقصر عنه الوصف.

هذا واعلم أن لكثير من هذه المساجد منارات قد ارتفعت إلى أعالي الهواء، وفي بعضها من الصناعات والكَتْبِ بالياجور والجص وفيها أنواع من جامات الزجاج، ولم يكن مثلها في الحرمين الشريفين على ما شاهدنا بل ولا غيرها على ما أخْبِرَنا غير واحد.

وفي كل مسجد من هذه المساجد الأئمة للصلاة والمؤذنين والسدنة والخدام ما يكفي كل مسجد، ولم تزل الصلوات في كل مسجد من الثلث الأخير في الليل إلى قريب الثلث الأول منه (في الليلة الثانية).

وعلى الجملة أنها لا تغلق المساجد إلا ساعات من وسط الليل وساعات من وسط النهار.

وقد يتخذ ناس على المساجد مفاتيح خاصة لمن يحب إحياء الليل جميعه ولم تزل الجماعات.

وعلى الجملة أني لم أظن أن في بقاع الدنيا ما لمساجد صنعاء اليمن من الطاعات والعمارات الحقيقية والمجازية.

... هذا وأما دور صنعاء التي هي بيوت الدنيا ومساكن الأحياء فقد بنيت من أساسها إلى رؤوسها بناءً لم يبن مثله قبله، خصوصاً دور ملوك زماننا وأعوانهم الأمناء. فأساسها الذي تحت الأرض أسس بصخور عظيمة لم تنجر حتى ساوت الأرض، ثم بنيت من فوق ذلك بحجارة الحبش السود المنجورة المنقوشة بالحجارة الحمراء وغيرهما حتى بلغ بناؤها السقف الثالث. ثم بنيت بالياجور ونقشت به الخواتم والتعريجات سقفين أو زائد، فيكون كل دار خمسة ستة سقوف بين كل سقفين نحو عشرة أذرع. تبلغ إلى نحو ستين ذراعاً ارتفاعاً مربعات الشكول، واسعة المنازل رحيبة الدرج للطالع والنازل، حتى أنه يمكن الفارسان المتعارضان يطلعان على خيولهما إلى أعلى الدار وينزلان بخيولهما. تحتوي كل دار منها على إيوانات عظيمة وغرف حسينة ومخازين (مخازن) حصينة يكون في كل منزل جملة لهوج واسعة عليها الشيش[٣٢] الهائلة الشارعة في الهواء التي يمكن أن يقعد فيها الجماعة، وقد ثقبت بأثقاب

محكمة على طوالع مثلث من الخواتم والرؤوس وغير ذلك، وقد نضد بعضها إلى بعض بصفائح الحديد وعلقت بالخطائف بحيث إن شاؤوا فتحوها وإن شاؤوا أغلقوها، وقد نجموها بالنجوم المذهبة والمرصصة وجعلت لها المهازر الشبيهة بنور الورد، على تلك اللهوج مصاريع الأبواب العجيبة الصناعة.

وجعل على أعالي الغرف الكوات المدورة والمعقدة والمربعة صفوف بعضها على بعض، قد جعل فيها أنواع جامات البلور الأبيض والأخضر والأحمر والأصفر والأزرق المجلوب من الشامات إلى اليمن وقد نضد بعضها إلى بعض بالجص وأحكمت بالصناعة.

ثم شيدت هذه الدور من داخلها بالقضاض والجص المخرم نقوشه بأنواع الشكول، ومن خارجها، كذلك شيدت بالجص وأزرت بالقضاض وجعل عليها الأبواب والمقاصير الهائلة التي ينفتح من وسط بعضها باب صغير، قد أعتني في عملها على نحو ما ذكر.

وعلى الجملة أنها إذا اتصلت الشمس بهذه الغرف والإيوانات حكى فيها شعاع متلون ألوان (ريش) الطواويس وألوان قوس قزح، ثم على أعالي هذه الدور الشرفات الكبيرة الحسنة الشكول المجصصة، وقد فرشت عريص هذه الدور بالحجارة المنجورة المنسكبة المناكحة حتى صارت كالصرح الممرد، وكذلك درجاتها التي يصعد فيها إلى رأسه، وستر حولي ذلك بالقضاضات المنقوشة والجص مع سقوفها فيبقى البيت كأنه جوف البيضة وكالأحقاق المخروطة، فإذا قرع في بابه بمقرعة سمع للبيت دوي هائل من داخله لتجاوب الصدى.

فهذه صفة دور الملوك وأعوانهم وأتباعهم، ويتبع بها دور الأغنياء والتجار، ويتبع بها دور من يليهم ثم من يليهم ثم دور أهل الصناعات ثم دور الزراع، ثم دور المساكين. إلا أن بعض دور المساكين فمن فوقهم قد يكون بناها بالحجارة غير المنجورة من أسفلها، وأعلاها باللَّبن الذي لم يطبخ وبعضها بالزابور ولكن لهم صناعات في عمل الجميع.

وأما تشييد الجص والقضاض والرخام فيستوي في ذلك دور الجميع لكثرة وجود الجص والنورة والرخام، بحيث إن الرخام الصافي الذي كان يذكره شعراء حِمْيَر قد صار في زماننا حق المتوسطين فمن دونهم، أو من يريد يجعل الكوة كالأبواب الكبار، الذي لا يمكن أن يجعل عليها جامات البلور فقد يستعمله الأكابر وإلا فقد مالوا إلى البلور ونحوه.

هذا وأما البُؤر فالأغلب الدور الكبار والصغار إلا وفيها بئر واحدة أو اثنتين أو ثلاث، ينزع الماء منها إلى داخل مطابخ البيوت ونحوها وأكثر مائها عذب.

فهذه صفات دور صنعاء ودور المخارف التي تحيط بصنعاء إذ يضاهي دور صنعاء كبارها وأوسطها أوسطها وصغارها صغارها بل وأحسن، والأغلب أن كل سنة يشيد أجمعها (بالجص) وعَمَرَة اليد فتبقى صنعاء بأجمعها مشرقة الأنوار ضاحكة الأشفار.

هذا وإن في صنعاء خانات كثيرات نحو الثلاثين الخان كلها محدثات في بيوت الأغراب ومحل الأمانات، بنيانها أبلغ من بنيان دور الملوك تحتوي على جملة غرف ومخازين وفيها الأكشاك والرواشين الشارعة في الهواء المطلة على الأسواق، وفيها المرافق والمطاهير، وفيها وفي أسواقها الخبازين الذين يعملون ألوان المعايش ويطبخون ألوان الطبايخ فيغتبط فيها الغريب الموسر ويرتفق فيها المقل المعسر. وعلى الجملة أنه يجد فيها الغريب من ألوان المعايش والطبايخ الشهية ما لا يجده صاحب الأهلية، بحيث إنه إذا بغت صاحب صنعاء الضيف الذي يستحي منه وهو على غير أهبة ضيافته، أرسل لجميع ما يريد من أنواع الطعام وأنواع المطابخ من الأسواق، فيأتي بسرعة لتقارب الدور من الأسواق فيمد له سفرة فيها كل ما يعتني به مع حسن الآنية من الصحاف المنجورة من حجارة الحرض وغيرها، وكذلك الغرباء يكون هذا حالهم خصوصاً في شهر رمضان، ففيه يؤهب الصناع جميع ما يشتاق إليه الصائم حتى من خوافق الحلبة المخلّلة والخردل ويقول السلطة والبالوزة والشربة وغير ذلك.

وأما أسواقها فإن فيها ما ينيف على خمسين ستين سوقاً، كل سوق تحتوي على جملة دكاكين مخصصة، عليها الأبواب العجيبة المتفتحة المعلقة في الخطاطيف التي تتكسر عن أنصافها بزفافير الحديد والمهازر والنجوم والمغالق عليها والأقفال مع تقاربها لضيق عرصاتها، فإنه قد لا يكون الحانوت مساحته ذراعين في العرض وأربعة في الطول لحظائها.

وإذا كان ليالي شهر رمضان فإنها تسرج جميع أسواق المسلمين... من أهل المدينة والأغراب الذين هم من الهند...

وفيها وفي مخارفها نحو عشرين حماماً مجددة البنيان حسنة المخالع والخزائن مرتفعة القباب مفيئة الجامات كثيرة الماء واسعة المغاطس والأحواض نظيفة العرصات، يتداولها

الرجال أوقاتاً والنساء أوقاتاً فيحتاج إلى ما يوقد فيها، فقد أعدوا لذلك خدماً يطلبون ما يجدونه مما يخرج من فضلات الناس والكلاب ونحوها، وما يجدونه من عظمان (عظام) الميتات وغيرها فلا يبقون من ذلك شيئاً بحيث إن الإنسان لا يجد رائحة خبيثة من قبل ذلك ولا يرى ما يكرهه منها. ومن أسباب النظافة أن الفلاحين الذين يحرثون الأراضي للزرع والغروس يطلبون ما يجدونه في الحُشوش التي في أسفال البيوت التي عليها المستراحات فيدخلون إليها فيأخذون ما يجدونه فيها من الفضلات والرماد ونحو ذلك. ولا تنجب زروعهم إلا بذلك. ثم يجمعونه طول السنة خارج المدينة في محلات يعدونه فيها إلى وقت حاجته.

ومن أسبابها أن المَدَرَ والياجورَ لا يصلح إلا إذا خلط فيه السرجين فيبالغون في شرائه من سواس الخيل وغيرهم، فيبالغون في جمعه ويكنسون ما يجدونه منه في الإصطبلات والأحواش ونحو ذلك حتى أنهم ليبيعوه وبعضه تراب. فهذه الأسباب ونحوها هي التي لاجلها نظفت صنعاء من جميع القذارات.

... وأما صفة المفارج التي هي الغرف التي اتخذت في زماننا تحت عروش العنب وفي بساتين الشجر فيقصر الوصف عن نعتها، فقد عمرت معتدلات الشكول مرتفعات عن الأرض نحو القامة منفتحات الجهات الثلاث من الغرب واليمن (الجنوب) والشرق، وعليها مصاريع الأبواب المعلقة في الخطاطيف.

وفوق هذه الأبواب وغيرها الكوات المنفتحة فيها جامات البلور الصافي الملون، وقد شيدت بكل تشييد وزينت بكل زينة على أبوابها البرك والفسقيات التي قد وضع في أوساطها وأطرافها الشاذروانات التي ينبع منها الماء حتى يرتفع القامة والقامتين، تصل إليها من القصاطير التي يمر فيها الماء الآتي من أعالي أساور الآبار المتخذ فيها مناقص للماء المنتزع من الآبار إلى المراجو، فيكون لتلك المياه لعب عجيب لأنه يجعل عليها جوازات النحاس التي لها أنابيب عليها عجلات محكمة يكون لها لعب دوران، فيكون في هذه المفارج نظارة عجيبة خصوصاً عند أن تكون الشمس فيها فإنها تحكي ألوان البلور والزجاج والشجر ونحو ذلك".

جون ويمان بري[٣٢] (١٣٣٢هـ/١٩١٤م)

"وتحاط صنعاء القديمة بسور ارتفاعه أربعين قدماً من الطين والحجارة، ويرجع تاريخه إلى أيام سيطرة الأئمة قبل الغزو التركي بفترة طويلة، وعلى إمتداد هذا السور تنتشر أبراج قديمة على مسافات متعددة. وقد قام الأتراك ببعض الجهود لتعزيز النواحي الدفاعية لبوابات السور. وهناك أولا باب خاص بأعلى القلعة يؤدي إلى أماكن الدفاع، وهو منفذ متعرج شديد التحصين، ولا يسمح بدخوله إلا في أوقات العمل والدفاع. ويقطع "باب شعوب" السور الشمالي لصنعاء، وهو باب ذو أهمية كبيرة، إذ يتدفق منه كل صباح سيل من بضائع السوق، فهناك الجمال البطيئة التي تحمل البضائع من أماكن بعيدة، وهناك قطعان الحمير الصغيرة ذات الذيول التي تشبه ذيول الفئران، وهي تعدو بسرعة حاملة الأعلاف وحطب الوقود وصفائح (تنك) الكيروسين المملوءة عنباً. وفي الوسط على طول السور الجنوبي، ومقابل "باب شعوب" يوجد "باب اليمن" الذي تتدفق منه القوافل تجاه "ذمار" و "يريم" و "إب". ولا يستخدم هذا الطريق بكثرة الآن منذ أن تجمعت حوله أغلب فرق الجند العثمانية في عام ١٩١٣م.

ومن الناحية الاستراتيجية، يعتبر " باب السَّبح" الثلاثي هو أهم أبواب المدينة كلها، وقد أطلق هذا الاسم على الأبواب الثلاثة المتجاورة، التي يتجه إثنان منها إلى الشمال والجنوب على كل من جهتي العنق الضيق الذي يربط المدينة الرئيسية بحي "بير العزب" الذي يقع خارجها بحوالي خمسمائة ياردة، أما الباب الثالث فهو مركزي كبير يعلوه قوس، ويحيط به دار قوية للحراسة، وأماكن لإقامة الجند والشرطة. ويمر الطريق الذي يربط بين المدينة الوطنية (القديمة) وبين حي العثمانيين في "بير العزب" تحت هذا القوس الذي يشبه النفق غالباً. وهذه الناحية من القوس (ناحية بير العزب) مازالت تحمل علامة طلقة مدفع، وهي تذكر بفترة حرب الشوارع. وقريباً من مدخل المدينة من هذه البوابة المركزية تقع الصيدلية المحلية، التي ربما يمكنك الحصول منها على "روشته" أو (وصفة طبية مكتوبة) قريبة إلى الدقة إلى حد ما، إذا كنت تكتب بالفرنسية، وإذا انتبهت جيداً إلى الصيدلي. وفي نفس الاتجاه ناحية " باب شعوب" أي البوابة الشمالية توجد المستشفى العسكري، وهي بناء جيد وتحت إشراف ونظام سليمين.

وعند المرور من البوابة الوسطى يجد المرء نفسه خارجاً إلى ميدان شرارة الواسع الفسيح حيث تتدرب فرق الجند. ويقع محل

إقامة الوالي إلى اليمن من هذا الميدان، وسط حديقة فسيحة مسورة، وإلى الشمال من الميدان توجد المدرسة الحكومية. وهي مبنى حجري كبير لسكن الطلبة به. والتعليم الحكومي مجاني في كافة أنحاء اليمن حيث يكون متوفراً.

ويوجد مكتب الأركان أو "ديوان أركان حرب" وراء المدرسة، وهو مبنى من طابقين ذو طابع معماري غير محدد، ويقع في وسط أرض مسورة خاصة به، وله حارس عند الباب. وفي هذا المبنى تقام حفلات الاستقبال في المناسبات الخاصة بالدولة، حيث يمكن لغير الرسميين أن يحضروا بزي داكن وطربوش أحمر ليعبروا عن احترامهم وولائهم لأولي الشأن.

وعلى طول الشوارع الرئيسية في هذا الحي (بير العزب) بالرغم من أنها مجرد ممرات متربة – تتجمع قليل من المنازل والمحلات، لكن السمة التي تغلب على مساكن الحي هي طابع مساكن الأتراك، فهي تتوسط حدائق زاهرة، ومحاطة بأسوار عالية من الطين.

وبيوت الأتراك في بير العزب لا تستحق إلا قليلاً من التقدير فهي أيضاً مطلية بالطين، وعاطلة من الزخرفة، فكل منها مبنى رخيص غير متين، وهيا كلها تشبه الصناديق في معظم الأنحاء، ونوافذها غير مثبتة بدقة إلى حد كبير، وتسمح بتسرب الكثير جداً من الضوء والحرارة، وتتدفق منها مياه الأمطار بكثرة عند هبوب العواصف، أما حماماتها ومراحيضها فهي مصممة تصميماً بدائياً، ولها تجويف رأسي اسمنتي في جدار المنزل الخارجي لتصريف المياه، وهي تشبه الطابع العربي لكن تم بناؤها بطريقة أسوأ".

عبد العزيز الثعالبي[٣٤] ١٩ربيع أول (١٣٤٣هـ/١٢ أغسطس / ١٧أكتوبر ١٩٢٤م)

"صنعاء مدينة أزلية من بقايا حمير يراها القادم عليها من ناحية (حزيز) على بعد ١٢ ميلاً وهي ممتدة من الشرق إلى الغرب من جبل نقم في الشرق إلى الجبل الأسود. وأول ما يشاهد منها مناراتها الجميلة الصاعدة في الفضاء، ثم المباني العسكرية مثل قشلة الطبجية وقشلة البيادة ثم قبابها وقصورها العالية المنتشرة على طول المدينة، وهي من أجمل مدن الشرق من حيث ضخامة البناء وتعدد القصور. ولكن ماذا تفيد الأبنية؟ وليس في المدينة مصلحة تنظم ولا إدارة بلدية تتولى ترميم الطرقات وتحسينها حسب الأصول العصرية وغالبها اختلَّ بسبب ما تجرفه منها السيول وتخربت بسببها منازل كثيرة.

والمدينة تنقسم إلى قسمين: القسم القديم وهو نصفها الشرقي قائم على أكمة تنحدر قليلاً إلى أن تصل بالوادي الذي يخترقها وكان نازحاً في هذا الفصل من المياه. ثم يليه القسم الغربي وهو المدينة الحديثة، وأحدثت بها الطرقات الواسعة وشيدت على حافتيها الأبنية المزخرفة والمساكن الجميلة، واسمها بئر العزب، يندر وجود بيت في هذا القسم خال من بستان يرتاض فيه أهل المنزل.

نزلنا من قصر السعادة في الساعة العاشرة ونصف وركبنا العربة فسارت بنا على القسم الشرقي من المدينة وفيه كافة المساجد والمعاهد وأضرحة الأئمة والأسواق. فزرنا أولاً أعلى مكان في المدينة وفيه سراي الحكومة العثمانية والجامع الحنفي المسمى (الجامع الباكري) ومركز جمعية الاتحاد والترقي والنادي العسكري العثماني (سابقاً) وكلاهما خاو على عروشه.

أما سراي الحكومة فقد تحولت إلى مدرسة حربية يتلقى فيها الشباب الفنون العسكرية وتوجد فيها كافة الخرائط العسكرية والأدوات اللازمة لتلك الفنون، وأساتذتها من ضباط الأتراك المتفننين وهي تستحق مزيد العناية من الحضرة الإمامية حتى تكون مدرسة حربية بمعنى الكلمة.

ثم نزلنا من هذا المرتفع على طريق سوق الأجانب، ودكاكينه كلها مقفلة حيث لم يبق منهم أحد بعد إعلان استقلال اليمن. ثم نزلنا من هناك إلى المسجد الجامع، وهو آية من آيات الفن. ورأيت إلى جانب المحراب طاقة عليها باب عليه قطعة مزخرفة من النحاس الأصفر عليه نقوش وتماثيل مخطوطة باللغة الحميرية يقول عنه مؤرخو اليمن أنه باب من أبواب شبابيك قصر غُمْدَان نقل منه وجعل باباً لخزانة المخطوطات النفيسة التي تضمنتها مكتبة المسجد. وقد تعرفت فيه ببعض العلماء وحضرت بعض الدروس. وقد علمت أن عدد المدرسين الراتبين بهذا المسجد يبلغون ستة عشر أستاذاً. أما عدد الطلبة الملازمين للدروس فلا يزيدون عن ٤٠٠".

أمين الريحاني[٣٥] (ت ١٣٥٩هـ/١٩٤٠م)

وصف صنعاء بعد وصوله إليها في نيسان ١٩٢٢م فقال:

"أي صنعاء مَثَّلك لنا التاريخُ فكنت مليكة الزمان، ومَثَّلك لنا العلمُ فكنت يوما ربةَ العرفان، ومَثَّلتك لنا الأساطير فكنت سيدةَ الجن والجان، فكم من ليلة وفي اليد الكتاب وإلى جانب الكتاب نور الشمعة ضئيل، تغلغلنا في سراديبك ووقفنا عند

كنوزك، وطفنا حول قصورك، وسمعنا الشعراء ينشدون الشعر في دورك. واليوم ومطيتنا غير الخيال نشاهد ما يثبت المقال ويحقِّقُ الآمال. هذه بيوتك العالية وقصورك الشاهقة فما كذب التاريخ. وهذا جمالك الطبيعي وبهاؤك العربي فما كذب الشعر، وفي خزائنك الكتب النفيسة والمخطوطات فما كذب العلم، وهذه كنوزك وسحر قصورك وسحر الأسماء فيك فما كذبت الأساطير، كنا نظنها أسماءً ابتدعها الشعراءُ لعرائس الجن والخيال ولكنها في الحقيقة في أعلى مكان...

أجل إن صنعاء في محاسنها لا تخيب للزائر أملاً وكلما دنوت منها، وهو عكس الحقيقة في أكثر المدن، ازداد رونقها وازداد إعجابك بها. هي في مقامها الطبيعي فريدة عجيبة فيها الهواء أعذبُ من الماء والماء أصفى من السماء والسماء أجمل من حُلم الشعراء، وفيها البرد وقد علت تسعة آلاف قدم عن البحر يستحيل لقربها من خط الإستواء دفئاً، وهي قائمة في قاع سنحان، تزينها من جهة الروضة وفيها البساتين والكروم، ومن جهة أخرى **حــدَّة** وفيها السواقي والطواحين. ثم تحيط بها الجبال دون أن تقصر أرجاءها أقربها إليها **عصِر** وهو يظلل المروج في الأصيل، ونقم الذي تجري منها المياه إلى المدنية وتحمل الشمس من فوقه وميض الزجاج [تلغراف المرايا] الذي ينقل أوامر الإمام من قنة إلى أخرى. وهذا عشاء (عشة) وفيه الرخام والمرمر، وذاك **آنس** في الجنوب و**سعوان** دونها شرقاً وفيهما معادن الطلق، وهناك **رِضراض** وفيه معدن الفضة، وهناك **شبام** شمالاً للغرب وفيه من الحجارة الكريمة الجَزْعُ والعقيق".



١. الهمداني، أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب؛ "صفة جزيرة العرب"؛ تحقيق: محمد بن علي الأكوع؛ دار اليمامة؛ الرياض؛ ط١؛ ١٩٧٤م؛ ص(٤٠٧، ٤٠٩).
٢. إبن رستة، أبو علي أحمد بن عمر؛ "الأعلاق النفيسة"؛ نشر دي خويه؛ ليدن؛ ١٨٩٣م؛ ص (١٠٥).
٣. الهمداني، أبو محمد الحسن بن أحمد؛ المصدر السابق؛ ص(٨١، ٨٨).
٤. ناهية؛ وهي كلمة دارجة يمنية بمعنى حسنة؛ ووردت أيضاً بأهبة.
٥. الشروط؛ نصوص عقود المعاملات الشرعية.
٦. مفارع الغيول؛ جمع مفرع وهي توزيع الأدوال وتقسيم المياه بين الملاك والمستفيدين من مياه الغيول في السقي وغيره.
٧. الأصطخري، إبراهيم بن محمد؛ "مسالك الممالك"؛ عن كتاب: "في صفة بلاد اليمن عبر العصور" نصوص اختارها وحققها: حسين العمري ومطهر الارياني ويوسف محمد عبدالله؛ دار الفكر المعاصر؛ بيروت؛ ط١؛ ١٩٩٠م؛ ص(١٤٢).
٨. المقدسي، محمد بن أحمد؛ "أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم"؛ عن كتاب: "في صفة بلاد اليمن عبر العصور" نصوص اختارها وحققها: حسين العمري ومطهر الارياني ويوسف محمد عبد الله؛ دار الفكر المعاصر؛ بيروت؛ ط١؛ ١٩٩٠م؛ ص(١٥٨).
٩. الطبري، إسحاق بن يحيى بن جرير؛ "تاريخ صنعاء"؛ تحقيق: عبد الله الحبشي؛ مكتبة السنحاني؛ صنعاء؛ بدون تاريخ طبع؛ ط١؛ ص(١٧٧، ١٧٨).
١٠. الرازي، أحمد بن عبد الله؛ "تاريخ مدينة صنعاء"؛ تحقيق: حسين العمري؛ دمشق؛ ط٢؛ ١٩٨١م؛ ص(١٦، ٢١ – ٢٦، ٢٧).
١١. يقصد به أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني.
١٢. هو الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني.
١٣. وتسمى الدالفة؛ الهمداني؛ الإكليل؛ جـ٨؛ تحقيق؛ نبيه أمين فارس؛ دار العودة؛ بيروت بدون تاريخ صـ١٥.
١٤. رأس عجيب؛ جبل يطل على قاع البون من جهة الشمال ويبعد عن صنعاء حوالي ٧٠ كيلومتر تقريباً.
١٥. الحموي، محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس؛ "نزهة المشتاق في إختراق الآفاق"؛ ISMEO؛ روما؛ ص(٥٣).
١٦. اليمني، عمارة بن أبي الحسن علي بن زيدان؛ "تاريخ اليمن المسمى المفيد في أخبار صنعاء وزبيد"؛ تحقيق: محمد بن علي الأكوع؛ مطبعة العلم؛ دمشق؛ ط٣؛ ١٩٧٩م؛ ص(٥٨).
١٧. الحميري، نشوان بن سعيد؛ "شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم"؛ جـ٦؛ (كتاب الصاد) مادة صنعاء؛ تحقيق: حسين العمري ومطهر الارياني ويوسف محمد عبد الله؛ دار الفكر؛ دمشق؛ ط١؛ ١٩٩٩م.
١٨. الحموي، ياقوت بن عبد الله؛ "معجم البلدان"؛ جـ٣؛ دار إحياء التراث؛ بيروت؛ ١٩٧٩م؛ ص(٤٢٥، ٤٢٦).
١٩. القزويني، زكريا بن محمد؛ "آثار البلاد وأخبار العباد"؛ دار صادر؛ بيروت؛ ص(٥٠).
٢٠. العُمَري، أحمد ين يحي بن فضل الله؛ "مسالك الأبصار في ممالك الأمصار"؛ (القسم الخاص باليمن)؛ تحقيق: أيمن فؤاد سيد؛ دار الاعتصام؛ القاهرة؛ ط١؛ ١٩٧٤م؛ ص(٦١، ٦٢).
٢١. أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل بن محمد؛ "تقويم البلدان"؛ دي سلان ورينو؛ باريس؛ ١٨٤٠م؛ ص(٩٥).
٢٢. ابن بطوطة، محمد بن عبد الله الطنجي؛ "تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار"؛ جـ١؛ دار الشرق العربي؛ بيروت وحلب؛ ص(١٩٢).
٢٣. الخزرجي، أبو الحسن علي بن الحسن؛ "العسجد المسبوك فيمن ولي اليمن من الملوك"؛ وزارة الإعلام والثقافة؛ صنعاء؛ ط١؛ ١٩٨١م؛ ص(٥).
٢٤. القلقشندي، أبو العباس احمد بن علي؛ "صبح الأعشى في صناعة الإنشاء"؛ جـ٥؛ الهيئة المصرية العامة للكتاب – مركز تحقيق التراث؛ مصر؛ ١٩٨٥م؛ ص(٣٩، ٤٠).
٢٥. الحميري، محمد بن عبد المنعم؛ "الروض المعطار"؛ عن مجلة الإكليل؛ العدد ٢،٣؛ العدد الخاص بصنعاء ١٩٨٣م؛ ص(٩٧).
٢٦. بروكه، بيتر فن دن وآخرون؛ "اليمن في أوائل القرن السابع عشر"؛ تعريب: ك.خ.براور وآ.كبلانيان؛ نشر ده فلويته راروب؛ امستردام؛ ط٢ المنقحة؛ ١٩٨٩م؛ ص(٦٨، ٨١).
٢٧. أي صنعاء.
٢٨. هانسن، توركيل؛ "من كوبنهاجن إلى صنعاء"؛ ترجمة: محمد أحمد الرعدي؛ دار العودة؛ بيروت؛ ١٩٨٣م؛ ص(٣٠٩–٣١٥).
٢٩. المهدي عباس بن المنصور حسين (١١٦١ – ١١٨٩هـ / ١٧٤٨ – ١٧٧٥م).
٣٠. الشهاري، جمال الدين علي بن عبد الله بن القاسم؛ "المنشورات الجلية مما انطوت عليه الوصية المتوكلية"؛ مخطوط.
٣١. المِهَر بكسر الميم وفتح الهاء، الحِرَف التي يحترفها أهل الصناعات والأعمال اليدوية.
٣٢. الشيش جمع شيشة وهي المشربيات.
٣٣. بري، جون ويمان؛ "صنعاء أوائل القرن العشرين"؛ تقديم وترجمة: سيد مصطفى سالم؛ ١٩١٤م.
٣٤. الثعالبي، عبد العزيز؛ "الرحلة اليمنية ١٢ أغسطس–١٧ أكتوبر ١٩٢٤م"؛ تحقيق: حمادي الساحلي؛ دار الغرب الإسلامي؛ بيروت؛ ط١؛ ١٩٩٧م؛ ص(٨٢، ٨٣، ٩٧، ٩٨).
٣٥. الريحاني، أمين؛ "ملوك العرب"؛ المجلد الثاني؛ جـ١؛ المؤسسة العربية للدراسات والنشر؛ بيروت؛ ط٢؛ ١٩٨٦م؛ ص(١١٩، ١٢٠).

نظام إدارة مدينة صنعاء القديمة



مدينة صنعاء حاضرة وسوق يمني وعربي منذ نشأتها الأولى كمدينة. وضمانة لاستدامة نهج التعامل التجاري اعتمدت مدينة صنعاء وسوقها في إدارته بعد مجيء الإسلام على أحكام الشريعة الإسلامية السمحاء، وقد صاغت في هذا عدداً من المفاهيم والمبادئ والتي تفاعلت مع كل ما هو ملائم ومناسب وإيجابي من الأعراف والعادات والتقاليد اليمنية القديمة، لترتقي بهذا التفاعل إلى إيجاد أعراف وعادات وتقاليد يمنية إسلامية وساعد في هذا تطور الفكر الإسلامي لدى عدد كبير من الأئمة العلماء والمفكرين، والذين عملوا وعلى مر العصور في تهذيبها، وبذلك أتت الكثير منها لتحمل الصيغ القانونية المدونة لتُقَوِّمَ الصيغ العرفية غير مدَّونة.

وَمثَّلَ قانون صنعاء في إصداره الأول أهم التحولات في هذا، والذي جاء ليبين وبوضوح تام الكثير من الأحكام الشرعية الإسلامية العامة، وبتفصيل أكثر دقة، ليعمل كقانون وضعي في تنظيم علاقات سوق المدينة خاصة والعلاقات المادية للمدينة عامة، وبمقتضيات المتغيرات الزمانية الآنية، وقد طُوِّر بعد ذلك مرة بعد أخرى. وعند قراءة مضامين هذا القانون، والذي استند، بالإضافة إلى ما بني عليه من أساس على جملة من المعطيات كمفاهيم وقيم ومبادئ وأسس وأحكام وتشريعات إسلامية. والتي عمل بها الولاة وطوروها منذ أن ولى رسول الحق محمد ﷺ أول والٍ على صنعاء، وعلى الرغم من إمكانية الحصر الدقيق لمن حكم اليمن أو جزءاً منه واتخذ صنعاء عاصمة لحكمه أو من تولاها من الولاة، إلا أن الحديث عن إدارتها وتنظيم أهم علاقاتها وبتفصيل لم تتضمنه المصادر التاريخية، ولهذا فإن الحديث عن إدارة صنعاء القديمة وإن استمد الكثير منه من قانون صنعاء إلا أن هذا النظام الإداري سبق القانون تاريخياً، ومن الأرجح أن يعود إلى القرن (١-٢هـ) ولكنه لم يصغ ويدون بصيغة قانونية (وضعية)، إلا حينما برزت الكثير من المعطيات الحياتية للمتغيرات الزمانية، التي استوجب فيها صياغة قانون ينظم إدارة السوق خاصة والمدينة عامة، كمرجعية ذات صيغ مدونة واضحة وأكثر تفصيلاً للحياة المادية للمدينة. ولهذا وإن أتى الحديث عن نظم إدارة صنعاء القديمة بالاستناد إلى قانونها فإن هذا القانون أيضاً يعكس وبشكل تقريبي بل وأقرب إلى الواقع نظمها الإدارية (قبل صدوره)، فالمكان هو المكان وإن تغير الزمان، إلا أن الكثير من خصائصه (الدينية والإجتماعية والإقتصادية) لم تحدث فيها أية تغيرات جذرية.

ويرجع الفضل في تطبيق قانون صنعاء إلى (عاملها)، الموظف الحكومي المسؤول عن صنعاء أيام المهدي عبد الله (١٢٣١-١٢٥١هـ/١٨١٦-١٨٣٥م)، القاضي محمد بن علي الحيمي الذي أمره المهدي في سنة (١٢٣٤هـ/١٨١٨م) بأن يعيد النظر في القانون، ففعل وأضاف إليه زيادات، ثم أصبح بعد ذلك قانوناً يُعمل به. وهذا القانون عبارة عن مجموعة من التنظيمات والقواعد والتعاريف والموازين والأسعار المنظمة للحياة التجارية والتموينية والضرائبية، ومختلف أجور العمال من بنائين وحدادين ونجارين ونحوهم. وهو أيضاً يحدد مسؤوليات سكان المدينة والمنظمات الشعبية فيما يتعلق بالخلافات، وتقسيم الأحياء، وواجب الحراسة الليلية، أو الدفاع عن المدينة في حالة حدوث شغب أو اعتداء خارجي عليها. والقانون بشكل عام بديع بسيط محكم متناسب مع ظروف زمانه، كتب بلغة سهلة معظم مصطلحاتها باللهجة الصنعانية الدارجة وتناولت أدق التفاصيل وغرائب المسميات التي قد لا نجد لبعضها ما يقابله في الفصيح، وهو ما عمد إليه المشرع بغية تيسير فهمه على عامة الناس.

كانت فائدة ذلك القانون بالغة في تيسير أمور الناس وحل مشكلاتهم، ليس في أيام المهدي عبد الله فحسب بل فيما تلا عصره خلال فترة الاضطرابات والفوضى، حيث جاء على صنعاء زمن كانت فيه تحكم بشيخها دونما إمام، إلا في يوم الجمعة ثم يُعزل !!(١).

لقد عرف الحيمي عامل صنعاء المذكور، بالبراعة والحكمة وهو من طبقة الفقهاء القضاة، وقد سجل لنا كتّاب التراجم ومؤرخو السِّير اليمنيون في مواضع كثيرة أن الموظف الحكومي فلان أو علان كان قد أشتغل عاملاً أو حاكماً في صنعاء في مرحلة ما من مراحل سيرة حياته العملية. وكان من بين واجبات العامل التي يقوم بها أيضاً إصدار أوامره إلى جماعة السوق بتزيين أسواقهم احتفاءً بزيارة شخصية أجنبية أو تركية مرموقة للمدينة، على نحو ما كان يحصل في بداية القرن (١٢هـ/١٨م)(٢) (على سبيل المثال).

وفي الفترة المتأخرة من حكم بيت حميد الدين، كان يوجد في صنعاء بالإضافة إلى حاكم أو قاضٍ للمدينة، كان هناك

أيضاً حاكم آخر يدعى حاكم المقام، كان مقره في مقام الإمام يحيى حميد الدين (١٣٢٢-١٣٦٧هـ/ ١٩٠٥-١٩٤٨م)، وقد روى لنا السيد أحمد بن محمد الشامي أن عمل هذا العامل هو التصرف الشرعي عندما يأتي طرفان متنازعان إلى الإمام، فيدعى للفصل بين الخصمين، ومن ناحية ثانية فقد كان بإمكان أي شخصية مرموقة على درجة عالية من العلم بأحكام القضاء، مزاولة الأحكام الشرعية وفض النزاعات بين المتخاصمين. أما القضاة الذين يصدرون أحكاماً شرعية معتمدين في معاشهم على الأجور التي يدفعها لهم متشارعون، فقد اشتهر اسم الواحد منهم باسم (حاكم السبيل) في عرف أهل اليمن، ويعود سبب ذلك إلى عدم تخصيص أي معاش أو راتب ثابت لهم من بيت المال، مع أن بعض هؤلاء من الأشخاص المرموقين.

وكان الإمام يحيى بن حميد الدين معتاداً على سماع القضاء وهو جالس تحت شجرة فلفل (حوايجة) باسقة في ساحة قصره[٣]. وفي الواقع فقد جرت العادة أن يقيم في صنعاء ثلاثة حكام، حاكم همدان ومركزها قرية القابل المجاورة لوادي ضهر، وحاكم سنحان ومركزها الجرداء، وبنو الحارث ومركزهم الروضة، وبما أن هذه المراكز تقع على مقربة من العاصمة فقد سمح لهم بالإقامة في صنعاء.

ظلت مكاتب الحكومة في زمن الإمام يحيى في باب شرارة (ميدان التحرير الآن) حيث أسسها الأتراك العثمانيون هناك أصلاً، وتتطابق وظائف عامل صنعاء مع الوظائف التي كانت منوطة بالإمام الزيدي الأول، الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين (ت٢٩٨هـ/ ٩١٠م) قبل ما يزيد عن ألف سنة مضت، في صعدة، حيث يسلم الجميع بأن ممارسات كثيرة له ظلت أحكاماً يهتدى بها بشكل متواصل منذ ما قبل العصر الإسلامي. تحدث عنه أحد معاصريه قائلاً[٤] "اعتاد الهادي أن يقوم بجولات في الأسواق والأزقة، واعتدنا أن نكون بصحبته. فإذا شاهد جداراً مائلاً إلى أحد الجوانب أمر أصحابه بأن يقوموه، وإذا صادف طريقاً فاسداً أمر قاطنيها بأن ينظفوها، وإذا رأى ظهر بيت مظلماً أمر قاطنيه بأن يضعوا ضوءاً فيه من أجل العابرين، ومن أجل الأشخاص الذين يشقون طريقهم إلى المسجد، وهكذا، وإذا لمح امرأة بلا حجاب كان يأمرها بارتداء حجاب، أما إذا كانت امرأة مسنة فإنه كان يأمرها بأن تغطي نفسها (بالستارة)، وهو بالذات الذي أدخل البرقع إلى اليمن وأمر النساء اليمنيات بالالتزام به".

هناك أدلة كثيرة على تطبيق أحكام الشريعة في قانون صنعاء، ويتجلى أولها في مسألة التسعير، التي يناقشها الحيمي في تمهيده وهناك تحريم حجز السلع التي يستوردها التجار من المدينة إلى السوق، وهناك الرد بالعيب الذي يستره البائع، وهو من الأعراف التي كانت سائدة قبل الإسلام، وهناك أيضاً نظام وجوب تغطية وعاء الماء.

مجلس الاستئناف (المحكمة الاستئنافية العليا)

وكان الأتراك قد أحدثوا تجديداً عندما أسسوا سنة (١٢٨٩هـ/١٨٧٢م) مجلس الاستئناف الشرعي، وقد استمر هذا المجلس بعد انسحابهم سنة (١٣٣٦هـ/١٩١٨م)، وقد حافظ الإمام يحيى وابنه أحمد من بعده على هذا المجلس الذي عرف باسم محكمة الاستئناف، وكان أول رئيس لها هو العلامة القاضي (الحسين بن علي العمري) (ت١٣٦١هـ/١٩٤٢م)، وآخر من ولي رئاسة المحكمة قبل ثورة (٢٦ سبتمبر ١٩٦٢م) هو السيد العالم يحيى بن محمد عباس المتوكل.

وفي وثيقة نادرة[٥] بخط الإمام يحيى يوجه فيها ويحدد مهام الحكام، وكذا محكمة الاستئناف العليا بحيث يحق للمحكوم عليه الاستئناف، لكن (غلّ أيدي الحكام مما يفت في عضد الشريعة). وفي وثيقة أخرى مؤرخة في (٢٧ جمادى الأولى سنة ١٣٣٠هـ/١٣ مايو١٩١٢م) يدعم الإمام تلك المحكمة بالكتبة والموظفين، ورفع رواتبهم على ضوء ما رفع إليه من تقارير أحالها في نهاية الأمر إلى رئيسها القاضي حسين العمري.

وكان من الطبيعي أن يعالج الإمام قضايا الحدود، والقضايا التي ينفذ فيها حكم الإعدام، حيث كانت ترفع إليه الأحكام والوثائق المتعلقة بأمثال هذه القضايا (رئاسة الاستئناف) ويقوم هو بدوره بتدقيقها، وإمعان النظر فيها، ثم المصادقة على القرارات الصادرة بشأنها، وبإمكان الإمام أن يصدر أمراً بالإعدام.

وفي الغالب فقد كان الحكام (القضاة) يعقدون محاكم في منازلهم، على نحو ما كان الحال في منزل القاضي حسين العمري في حي السايلة، حيث كان هناك مدخل خاص من أجل أولئك الذين يبغون التقاضي، فيدخلون منه إلى المحكمة مباشرة، وكان الحاكم لا بد أن يكون قاضياً، في حين أن القاضي (من فئة القضاة) لا يكون بالضرورة حاكماً.

المشايخ والعقال

كان مشايخ صنعاء وعقالها يعالجون القضايا العادية يوماً بعد يوم، ولم تكن المحكمة الشرعية تتدخل في تلك القضايا مالم يجد أي منهما طريقه إلى نطاق المحكمة الشرعية. ذلك لم تكن الشريعة في الواقع معنية بملاحظة مشكلات الأسواق كالتحايل أو مشاجرات وعراكات.

ومن بين الواجبات المنوطة بالعامل التثبت من الأسعار الجارية لأنواع البضائع كما يرفعها إليه مشايخ الأسواق وموظفوها، وفي حالة التلاعب بالأسعار، فإن العقوبة التي يتخذها العامل، لا تقتصر على المذنب (المتلاعب) فحسب، بل تتعداه إلى شيخ ذلك السوق المعين الذي يصفه قانون صنعاء بأنه (ذو الولاية).

العرف: (ترك العادة عداوة)

يبين السياغي في استهلاله لقانون صنعاء أن لكل بلدة يمنية قوانينها التي تنظم العادات الاجتماعية لهذه البلدان، كما تنظم التعاملات الأخرى التي تؤكدها الشريعة، والتي يشار إليها في الكثير من المشكلات الفقهية بعبارة (العرف)، (أوبحسب العرف)، أو (المقدم العرف) شريطة ألا تنطوي على مخالفة للشريعة وطبيعي أن هذا البيان لا ينطبق على صنعاء وحدها، فقوانين زواج المكلا على سبيل المثال لها نظائرها في القانون الصنعاني، في حين أن هناك أعرافاً تتعلق بالزراعة والبحرية وصيد السمك وصيد الحيوانات...

ويذكر القاضي حسين السياغي أن أحدهم سمع من أجداده أنه كانت هناك قوانين تستوفي بعض التجمعات الاجتماعية التي تظهر عند المآتم وحفلات الزفاف...الخ، وهذه القوانين أوضحت بل حددت ما ينبغي تقديمه في الواجبات، على شكل أعطيات (رفد، ج: أرفاد) من قبل الأقرباء والأصدقاء والضيوف المدعوين للعروسين (وقد تكون على شكل مساهمات مالية) وتبادل الدعوات إلى حفلات الزفاف (ضيفة).

كما أنه لدى صنعاء قوانينها الخاصة بها لضبط إنفاق المال على لباس العروس، والحفاظ على المهور في مستوى معتدل (أو محاولة تحقيق ذلك) على نحو ما هو عليه الوضع في حضرموت في هذا القرن. ولدى بعض الأسر، كعائلة الأكوع مهر المثل فيما يتعلق بالزيجات التي تتم ضمن عائلة الأكوع، وهو عرف منتشر على نطاق واسع، ويضاف إلى ذلك أن بعض القوانين عملت على تنظيم مستوى الثياب التي ينبغي أن يرتديها العروسان كل حسب وضعه الاجتماعي، وتتميز أشكالها من مظهرها الخارجي، حيث إن الذين يهملون الالتزام بذلك يفقدون احترامهم، ولكن يبدو أن قانون ضبط الإنفاق هذا غير معروف في هذه الأيام، ولا أثر له في ذاكرة الأحياء، ولا في تقارير لأشخاص متقدمين في السن.

وهناك عرف لا يزال يمارس حتى يومنا هذا، وهو أنه عندما يتوفى شخص يقوم الأقارب بل والجيران بتقديم الطعام الجاهز والبر والسمن لأهله ويسمى (مجابرة) ويبقى العطاء أو المجابرة تلك على شكل قرض أو دين معنوي يلزم رده حين تطرأ فرصة مناسبة أو مشابهة، لكن يبدو أن هذا العرف الجميل الذي له أساس من حديث نبوي(٦) شريف لما جاء نعي جعفر حين قتل، قال النبي ﷺ: **(اصنعوا لآل جعفر طعاماً، فقد أتاهم أمر يشغلهم، أوأتاهم ما يشغلهم)**، وأصبح هذا العرف محصوراً بين القبائل وتلاشى في المدن، بل وللأسف الشديد حل محله عادة دخيلة سيئة متمثلة في قيام أسرة الميت بولائم طعام لعدة أيام تقدم لجمع المعزين، فتزداد تعباً وإرهاقاً.



ضبط الأسواق

كان يهيمن على السوق شيخ المشايخ الذي ينتخبه المشايخ، أو تكون الهيمنة عليه للعقال في مختلف الأسواق – حسبما أوضح أحد ذوي الخبرة– (وربما يشتركان معاً في ذلك)، وقد نص على واجباتهم العامة في القسم (٤٩) من القانون، وتكون بيد شيخ المشايخ القواعد التي يصدرها الحاكم، لكن يبدو أن واجبه الرئيسي مراقبة الأوزان والمقاييس، كوظيفة المحتسب في الإسلام، ويتم انتخاب شيوخ الأسواق، كل على انفراد من بين العقال والأمناء في كل سوق، ويكون شيخ المشايخ مسؤولاً أمام الحاكم، ولم تزل هذه الوظيفة موجودة حتى تاريخه (١٩٧٢م). وكانت قد أنشئت خلال الاحتلال العثماني الأول وظيفة (الصوباشي) على سوق صنعاء(٧).

وكان شيخ السوق يوصف بالرئيس، ويوصف العاقل بالمدير، وهو أدنى درجة من شيخ السوق، وهناك عقال للخياطين وللحمالين ولا يزال للحمالين عقال إلى يومنا هذا، ويذكر أن مهام الشيخ في الأسواق تكون وراثية في عائلته أحياناً، لكن ذلك كان مما اعتاد عليه الناس، ولم يكن قانوناً مسنوناً. وكان شيخ مشايخ صنعاء في سنة (١٩٧٢م) الحاج محمد عبد الله الثور ثم لفترة قصيرة الحاج حسين علي الوتاري وكان يضطلع بوظيفتي شيخ مشايخ الحارات والأسواق.

ضبط الحارات

ولكل حارة عاقل يترأسها، وهؤلاء العقال يتحملون مسؤولياتهم أمام العامل.

كما ذكر القانون أيضاً (شيخ المدينة) مرة لكن شيخاً كهذا يشابه أو يتطابق مع عمل شيخ المشايخ، وقد وُصِف الوتاري بأنه شيخ الحارات والأسواق، فربما كانت هاتان الوظيفتان تدمجان على الدوام، ويتوقع أنه يتزعم العقال من جهة علاقاتهم بالحاكم.

والعاقل مسؤول عن معالجة أي حادث في الحارة، وعن (الفرق)، الذي يقصد به أي مكس أو ضريبة يستحق دفعها على الحارة ككل، إذ مهمة العاقل أن يحدد تقسيمها بين سكان الحارة ليعملوا على دفعها.

ومن واجبات العاقل أن يتعقب أخبار أي غريب يدخل الحارة، ويتأكد ما إذا كان لصاً أو مجرماً، ويضع الترتيبات من أجل مياه الفيضانات وتأثيراتها، وقد تتعداها إلى كوارث طبيعية أخرى.

وعند حدوث حالة طارئة تنطوي على خطورة، يصيح أحدهم ((ياغارتاه ! ياغارتاه)) هذا في حال اكتشاف وجود لص أو اعتداء على شخص، وبإمكان امرأة أن تطلق صيحة كهذه من الخوف في حال إقدام زوجها على ضربها بشكل يتجاوز الحد المعقول، عندئذ يهب الناس لصرف ذلك الرجل عن إجهاد زوجته، أو لوضع حد لعراك، أو للتعامل مع اللصوص، ويعرف منجد المصاب باسم [فارع من شارع] أي وسيط من الشارع، والمثل الذي يقول ((مفارع وملقط حجارة))(٨)، يقصد به زيادة القوة على حجته. وإذا رأت امرأة ولدين يتعاركان في الشارع، تستطيع أن تهيب بعابر أن يفصل بينهما، بقولها(٩) (إليك غير على أخوك، ابنك، صديقك، يعتدى عليه. ومن العيب أن تصيح ياغارتاه دون سبب مقنع، وما من شخص يفعل ذلك إلا ويغرم).

وعند حدوث حريق يصيح رجل (بيتي حرق) وحالما يسمع أهل الحي عبارته، يهرعون لمساعدته، حاملين معهم أدواتهم الخاصة، كالسلالم التي يستخدمونها عادة عندما يجددون (القص) على بيوتهم، ويصبون ماء على النار.

ويكون لدى عاقل الحارة لائحة بالأشخاص الموجودين في البيت، وعند حدوث سيل تفرض غرامة على الناس في الحارة، ويستخدم هذا المال لشق ساقية لسحب الماء إلى السايلة.

وللحارات ترتيباتها الأمنية الخاصة بها (كالأسواق) من حيث تأمين الحراسة الليلية لها، لكن عدد الحراس يكون أقل نظراً لعدم وجود بضاعة تستقطب اللصوص ولا حوانيت سمسرة، وتكون البيوت الحجرية العالية ذات الطابقين والأبواب الثقيلة ونزلائها أقل عرضة للخطر من الحوانيت ذات الطابق الواحد، أو محلات السمسرة التي تكون خالية في الليل. وتقوم ثلاث حارات باختيار شيخ الليل من أجل الإشراف على الحراس والتأكد من أنهم يؤدون واجباتهم على نحو فعال، أما في هذه الأيام فإن شيخ الليل يتلقى مرتباً من الحكومة، ويقدم له الأغنياء هدايا مساعدة، تكون أحياناً على شكل مبالغ مالية أيضاً.

ويقوم شيخ الليل بتعيين الحراس الذين عليهم أداء واجبات الحراسة، من بين سكان الحارة (وبقي ذلك متبعاً إلى وقت غير

بعيد) قائلاً لكل منهم (أنت عندك الليلة) وإذا كان رجل مريضاً أو كان غنياً يتضايق من أداء الحراسة ليلاً، فإنه يستأجر رجلاً ليحمل عنه مسؤولية القيام بهذه المهمة. وفي حالات كهذه يدفع كل سكان الحارة دونما تمييز ما عليهم[١٠]، حيث يكون الأفراد في هذه المسألة ذوي أهمية أقل من أهمية بيوت الحارة.

ويذكر القاضي إسماعيل الاكوع وجيله أن الطبول كانت تقرع في الأيام السابقة عند الساعة الثالثة ليلاً (أي عند الساعة التاسعة بالتقويم الأوربي)، ويبقى الناس بعدها في منازلهم، أما المسافرون الذين يصلون إلى صنعاء بعد هذه الساعة فيضطرون لقضاء الليل في القرى المحيطة بالمدينة، لأن الأبواب أيضاً تغلق عند الساعة التاسعة (بعد صلاة العشاء)، فلا يمكنهم الدخول. وبسبب إغلاق الأبواب أيضاً لا يستطيع المسلمون واليهود دخول حارات بعضهم بعضاً.

وتكون نوبة كل حارس نصف الليل، وهي تعادل ست ساعات، يأتيه بعدها شيخ الليل ويقول له (أضويلك البيت) ويقصد من ذلك عد إلى بيتك، ويتوجب على الحارس أن يطلق صفارته عند حوالي الساعة الرابعة ليلاً بالتوقيت العربي (الساعة العاشرة مساءً) من أجل إعلام الناس ببدء حظر التجوال (وقت اليَسَك)، ويقصد من ذلك أن وقت حظر التجوال قد حان، ويقول الناس (قد ضربَت الوُرِّيصة)، أي أن الصفارة قد انطلقت، وأثناء متابعة الحارس الليلي جولاته تجده يصيح (يا علي، يا محمد!) لكي يجعل رفاقه الحرس يعلمون أنه على مقربة منهم. ويقول نزيه العظم: "إنهم ينادون بعضهم بعضاً، مفتتحاً ذلك حارس مقام الإمام، ويتبعه الحارس الذي في النقطة التالية له. وهكذا تدور إلى أن ترجع إلى المقام. وبعد ذلك ينادي بعبارة أخرى يداريها بالطريقة نفسها".

شيخ الليل وحراس الليل

تلتزم أسواق صنعاء بنظام أكثر دقة تجاه الحرس (الذين يترأسهم شيخ الليل) من نظام الحرس في الحارات، وهذا النظام ليس خاصاً بصنعاء، فإننا وجدنا كذلك شيخ ليل وحرس في تريم، وسواء هنا أو في (رداع) هناك ملتجآت[١١] صغيرة من الآجر (الياجور) لهم، تبنى على سطوح الحوانيت في الأسواق. أما في شبام كوكبان فإنهم يحتفظون بهؤلاء الحراس كمستخدمين، وتدفع الحوانيت ضريبة لهذا الغرض. وهناك ملتجأ (محراس) من الآجر الطيني على سطح القسم الخارجي الذي تطور أخيراً في السوق وكأن جميع مدن اليمن الكبيرة تخضع لهذا النظام، وذلك لأن قانون صنعاء يعطي تعليمات مفصلة حول جمع ضريبة الحراسة وكيفية توزيعها، من أجل الحفاظ على الحراس، أو تعليمات حول كادر الحراسة الذي يتوجب على السوق أن يؤمنه، وقد وصلتنا أول معلومة عن الحراس في الوقت الحاضر من خلال تبرير قيام الإمام بفرض ضرائب لأغراض معينة, وكان الإمام ذو الصلة بهذه الواقعة هو المتوكل إسماعيل قبل سنة (١٠٦٦هـ/١٦٥٥م), وهذا بالطبع لا يعني أنه هو الذي وضع نظام الحراسة الليلية. ويتحدث (الجرموزي)[١٢] عن ضرائب تفرض من أجل الحراس الذين يحرسون ضد الحريق، ومن أجل تشييد جدران الأزقة وبواباتها. وهو يشير إلى العمل الذي قام به النبي ﷺ في المدينة، فعندما انتهى حفر الخندق الدفاعي فرض ﷺ ضريبة على غير المساهمين من أجل دفع أجور العمال، وهناك إشارة في قانون صنعاء بالذات في قسم (٢) إلى وثيقة أصلية (الأم) تعالج واجبات الحراسة، وعن تأمين معاطف مبطنة بجلود الخراف للحراس، وهذه الوثيقة أقدم من الوثيقة (أ) الأساسية التي صدرت في أوائل القرن (١٢هـ/١٨م)، ويحتمل أيضاً أن تكون قانون المتوكل أو وثيقة منفصلة بحد ذاتها.

وفي سنة (١٩٧٢) ذكر لنا القاضي علي الأكوع (إمام الجامع الكبير في حينه) أن شيخ الليل من أسرة بيت قطاع، وأن الحرس أيضاً من هذه المجموعة، وينتخب أهل السوق شيخ الليل من بيت القطاع، وهي وظيفة متوارثة ضمن هذه العائلة.

وذكر السياغي[١٣] أن مهاماً خاصة تسند لشيخ الليل، أولها "ان لديه صلاحية تامة خلال الليل فقط، إذ عليه أن يتفقد الحوانيت ومخازن سماسر التجارة، ويتأكد من (تغليق) إقفال باب كل حانوت، ويتفحص الاقفال التي يجد بعضها غير مقفل أحياناً على سبيل النسيان، فتكون مهمة شيخ الليل حينئذ إقفالها، ولهذا السبب يعطى أجراً خاصاً (أدب) من الناس الذين يرتكبون أخطاء كهذه نتيجة الإهمال، ولا يزال القفل الغثيمي كثير الاستعمال في صنعاء، مثله المزلاج المحلي الصنع والأقفال المعدنية الطويلة من اجل بعض أنواع الأقفال". ويشير السياغي "إن واجبات الحراسة، والتنظيم، وتوزيع الحرس كل في مركزه، وتنفيذ المهام وكذلك المعاشات لا تزال كلها من الناحية الإدارية تتبع سياسة القانون (قانون صنعاء)، ودون أي تدخل للحكومات

به، إلا على سبيل المعونة، ولا تتدخل أيضاً بشؤون شيخ الليل المسؤول عن الحراس"، وبالنتيجة يكون الحراس في ظل نفوذ شيخ الليل، ويكون شيخ الليل في ظل سلطة عامل صنعاء.

الشرطة وتشكيل ضبطية

تكشف بعض المراجع الاتفاقية في التاريخ وجود الشرطة في صنعاء والمدن الأخرى خلال القرن (١٢هـ/١٨م)، إلا أنه لم يتم تسجيل شيء عن نظامها أو مسؤولياتها أو عن علاقتها بحراس الليل، أو جهات أخرى معينة.

وتشكلت ضبطية عربية خلال الوجود العثماني الثاني[١٤] وبقيادة ضباط أترك، وكانوا يطلقون على الشرطي أسم (قانون) بسبب الصفيحة النحاسية التي يثبتها في مقدم عنقه، ومنقوش عليها كلمة (قانون).

ومما سجله نزيه العظم[١٥] (في رحلته) أنهم لدى دخولهم صنعاء "أخذ شرطي الأسلحة من جنودنا، وسجل أسماءنا لأنه لا يسمح بحمل أسلحة في المدينة إلا لجنود صنعاء وحراسها".

أما النساء اللواتي يقبض عليهن بجرم الزنى، وأولئك اللواتي يرتكبن جنحات أخرى، فكن يؤخذن إلى سجن النساء الذي يسمى (بيت الزوقبي) على مقربة من قصر السلاح، وتشرف على هذا السجن إمرأة.

الإعلانات العامة (الظاهرة)

جرت عادة استخدام الإعلانات (الظاهرة) إلى وقت قريب مضى، لكي يسمع بها عامة الناس في صنعاء، وكان يتم ذلك غالباً في سوق البقر (قرب حمام السوق)، لأن معظم القبائل تتواجد حول منطقة سوق البقر عندما يكونون في صنعاء، والظاهرة تبدأ بعبارة ((يا من سمع الظاهرة، صلوا عليه))، أما فيما مضى فكانت الرسائل توجه عن طريق إشعال نيران (تصير، ج: تصاصير) في المقاطعات الجبلية، في المراكز الحكومية، أو يقوم السكان بإشعالها، وكان يجري ذلك بشكل عملي عند الإعلان عن حلول العيد. وكانوا سابقاً ينفخون البوق (البورزان) إذا صادف أن كان الإمام قريباً في الشارع في أوقات عادية، لكن هذه الأبواق لم تضرب من أبراج الحراسة (النوب).

التشهير بالخارجين على القانون

يدعى مثل هذا الإستعراض (الدرداح)[١٦] الذي يجري على الملأ (تشهيراً)، ويقصدون من ذلك ضرب مثال عام عمن ارتكب إثماً، وفي هذا نوع من أنواع التعزير، الذي يعتبر عقوبة أدنى من عقوبة إقامة الحد التي ينص عليها الشرع (القانون). ويكون تقديرها وفقاً لما يرتئيه الحاكم (القاضي). أما استعراض السارق والزاني على الملأ فيعرف أيضاً باسم (حوْمَار، والعمل الناجم عنه حَوْمَرَة)، لكن هذا يختلف اختلافاً كبيراً عن الاستعراض السياسي (درْدَاح سياسي)، وهو النوع الذي قاساه قادة ورجالات حركة (١٩٤٨م)[١٧] بعد فشل حركة الأحرار وقتل الإمام يحيى والقاضي عبد الله العمري (رئيس الوزراء)، فقد لبسوا قيوداً خشبية (مغالق) في ايديهم، وعرضوا لشتائم ودرداح عامة الناس في صنعاء وغيرها من المدن.

إسكان الجند والقبائل في بيوت أهل مدينة صنعاء

كان ذلك أحد التصرفات الجائرة للولاة السابقين قبل الوالي التركي مراد باشا، والذي ألغاها عند استلامه الحكم حينما منع الجنود الاتراك من الإقامة في بيوت صنعاء بالقوة[١٨]، وقد غادر اليمن سنة (٩٨٨هـ/١٥٨٠م) ومع أن قصر صنعاء (قصر السلاح) كان يبدو بالفعل كبيراً بما فيه الكفاية لاستيعاب أعداد كبيرة من الرجال، إلا أن الضرورة استوجبت إنشاء مجمع العرضي وهو سلسلة من الثكنات العسكرية الكبيرة أنشئت إلى الجنوب من سور المدينة خلال الوجود العثماني الثاني ولا تزال هذه الثكنات قائمة ومستخدمة من قبل الجيش مع تطوير وإضافات حتى الآن.

لكن قبيلتي حاشد وبكيل اعتادتا السكنى في بيوت أهل صنعاء التي كانوا يصرفون للإقامة فيها بأمر الإمام، وكان ذلك في الربع الثاني من القرن (١٢هـ/١٨م)، خلال عهدي الإمامين المتوكل قاسم وابنه المنصور حسين، ويقول المؤرخ زبارة: إنه عندما كانت الأجناد تصل، كانت بيوت معنية تخصص لهم كي يقيموا بها، واعتادوا أن يحشروا أهل البيت في مكان واحد، وكانت الجنود في اليمن عناصر طوارئ قبلية يدعوها الإمام أو الحاكم، وهم يقيمون كضيوف في منزل (المزين) في المناطق القبلية، ولذلك لا يستبعد أن ينزل رجال القبائل في بيوت المواطنين في صنعاء.

وقد أثار هذا الوضع احتجاج العلامة الشهير محمد بن إسماعيل الأمير في شهارة، في رسالة كتبها إلى المنصور حسين بن المتوكل قاسم سنة (١١٤٦هـ/ ١٧٣٣م) كجزء من قائمة طويلة من الاعتراضات ضد الممارسات الإدارية والمالية غير المشروعة للعائلة الحاكمة (من بيت القاسم)، وقد أيده في

احتجاجه هذا قيام العلماء في شهارة وحوث، وصعدة بتثبيت توقيعاتهم (علاماتهم) عليها، كما أرسلها إلى علماء صنعاء الذين وافقوا عليها واستحسنوها وقدموها إلى المنصور.

وعندما تسلم المهدي عباس الخلافة سنة (١١٦١هـ/١٧٤٨م) منع إنزال القبائل (صرفهم) في بيوت أهل صنعاء، ولذلك شرع عقال ومشائخ حاشد وبكيل يشترون منازل لأنفسهم في صنعاء وقد خصصت المساجد المهجورة في صنعاء، التي كانت كثيرة العدد للقبائل الأخرى الواصلة إلى صنعاء، وعندما تدعو ضرورة وجود أعداد كبيرة من أبناء القبائل، كانوا ينزلون في مسجد عقيل والمذهب وغيرهما.

الضرائب المحلية على مدينة صنعاء

كان أثرياء صنعاء وتجارها بل وحتى سكانها بشكل عام، عبر تاريخها الطويل مجرد (لحم على وضم) كما يقول الأثر العربي القديم – أمام أي فاتح لها منتصر، أو حاكم محتاج للمال، أو آخر شره لجمع المال وملء جيوبه قبل عزله أو نهاية فترة ولايته أو حكمه، ومن المرجح أن الهدايا المعتادة التي كانت تقدم إليه، تصبح فرضاً مفروضاً وكان واضحاً أن المدينة عصرت المرة تلو الأخرى. وفي الواقع عندما شعر أول إمام زيدي (وهو الهادي يحيى بن الحسين) أنه لم يعد بإمكانه استخلاص أي مزيد من المال للإنفاق على جنوده، لم يجد أمامه من خيار سوى الرحيل عنها.

من حين إلى حين لا يسجل المؤرخون فرض الضرائب الجائرة بل يسجلون إلغاءها، فقد ألغى الإمام صلاح الدين (ت ٧٩٣هـ/ ١٣٩١م) المطالب المفروضة على سكان صنعاء التي كان قد أدخلها (الظلمة) من قبل وفي ظل الوجود العثماني الأول ألغى مراد باشا الذي وصل سنة (٩٨٨هـ/ ١٥٨٠م) الكثير من رسوم الجور التي أحدثها أسلافه في صنعاء[١٩]، وهناك بعض الظن (المقترح) بأن الأتراك قد أحدثوا ضرباً من الإقطاع على صنعاء، لكن هذه المسألة بحاجة لمزيد من التحقيق والبحث.

وفي الفترة التي تلت العهد العثماني (الأول) ألغى المتوكل إسماعيل الكثير من المعارف (الدفعات) المعتادة عن رعاياه[٢٠]، ومن ذلك أنه في سنة (١٠٧٧هـ/١٦٦٦م) رفع ما كان وضعه بالأسواق، ولم يبق من القبالات إلا ما كان من قبل، كما أبطل ابنه محمد سنة (١٠٨٩هـ/ ١٦٧٨م) قبال الأسواق في صنعاء.

وقد خضعت صنعاء في ظل الإحتلال العثماني الثاني (١٢٨٩- ١٣٣٦هـ/١٨٧٢-١٩١٨م) لتغيرات عديدة فقد أنشئت بلدية، في سنة (١٣٠٥هـ/ ١٨٨٧-١٨٨٨م)، على سبيل المثال، أصدر رئيس البلدية القيصرلي أوامر بشأن تنظيف الشوارع، وفرضت واجبات على السوق بنسبة (١٠٪) على كل ما يباع من إنتاج وقرش تركي واحد على كل راس ماعز يذبح، وعشرة قروش تركية على كل عجل.

وقد كتب ويمان بوري[٢١] قبيل الحرب العالمية الأولى "إنه منذ إقامة الأتراك علاقات ودية مع الإمام يحيى في سبتمبر (أيلول ١٩١٣م) توقف الدعم التركي للولاية، وألغيت رسوم دخول السلع وفروض العبور (الترانزيت)، أما نسب البلدية والسوق فكانت لا تزال مفروضة في البلدات التي تخضع للسيطرة التركية. وكان دخول البلدية تخلياً عن الإدارة التقليدية، إلا أنه استمر الاحتفاظ بها في ظل حكم بيت حميد الدين بعد الحرب".

وقد وجد الكاتب المشهور أمين الريحاني الذي كتب في أوائل العشرينيات "أن عبء الضرائب كان ثقيلاً جداً، وأن هناك تذمراً عاماً منه وقد سمعت بنفسي يمنيين يقولون: إننا لم نستطع (خلال الحكم التركي) ملء صندوق بيت المال، وكيف بإمكاننا أن نملأه ؟!"، ويعدد الريحاني الضرائب ويذكر الزكاة أي الأعشار التي تجمع عيناً، كالحبوب، والقهوة (البن) ضمناً، والعشر المجموع من السلع المستهلكة وتشمل القات، وكذا زكاة البقر والغنم والحيوانات الأليفة عيناً أو نقداً، والأعشار على التجارة والصناعة.

ويقول الريحاني "إن هذه الفروض أضيفت إلى الزكاة التي تشملها كلها أصلاً وحتى الزكاة قد ضوعفت، فبالإضافة إلى الـ(٢.٥٪) التي تدفع عن الدخل السنوي، هناك زكاة البدن (الفطرة)، التي تدفع في رمضان، مع زكاة الحلي، وبالإضافة إلى زكاة الجهاد، أنّى نادى المنادي إليها، ويشير إلى أنه هناك إتاوة ضئيلة (لعلها الجزية) يدفعها اليهود، حيث يدفع الأغنياء منهم ثلاثة ريالات سنوياً، ويدفع ذوو الحال المتوسطة ريالين ويدفع الفقراء ريالاً واحداً فقط أو ريالين.

وقد أفادنا السيد محمد الغفاري في حديث معه "أنه خلال أيام الإمامة الأولى كانت المجابي ضرائب محلية على الفواكه والخضراوات، وكانت تنقسم إلى فئتين، حيث تأخذ إحداهما

الدولـة، وتجبيهـا البلديـة، وتصـرف العائـدات علـى المصـالح العامة للبلد، من طرق وحراسة مستخدميها، وأضاف انه كانت تجبى ضرائب باسم الدولة على كل شيء يدخل صنعاء تحت اسم الجمارك".

وكانت الفئة الثانية على التجارة الطرود التجارية، وما كان يسميه (البندلات) و(البندات ج: بناد) وهـي الرزم، هـذا ما كان عليه الحال في أيام الأتراك، وبعد ذلك في أيام كل من الأمامين يحيى وأحمد. وزاد على ذلك الدفع من أجل الميزان وكبار القادة (المقادمة) وشيخ الليل، أربع بقش عن كل بهيمة أو جمل عن طريق البلدية، التي توجهها من أجل حراسة صنعاء والتنظيف.

وينص القانون على وجوب أداء رسوم الحراسة، بالإضافة إلى ضريبة الحراسة، حسب ما تتطلبه المدينة، من قبل سوق الحرير، وسوق الزيت والسمن، وسوق القهوة، وأسواق التبغ والتبغ الأسود، وسوق الحبال (الفتلة) وسوق الحبوب (الحب)، وسوق الحطب، وسوق المواشي والحمير والصياغين واللحامين (الجزارين)، وسوق النحاس، وسوق الصنادل والأحذية (سوق المنقالة) وسوق الخزف والأفران (المخابز)، أما سوق الحلقة فلم يكن يطلب منه دفع ضريبة على نحو الدقة مثلما تدفع الأسواق الاخرى. ويتوجب على الدلالين أن يدفعوا للحراسة فقط، ولم يذكر تكليف على المعاطف (الجُرُم)، ويدفع صهار والشمع أجور الحراسة، أما سوق الزبيب فيدفع لشيخ الحراسة، على نحو ما يفعل سوق المواشي والحمير، إضافة إلى الدفع من أجل المعاطف ولتزويد الرجال من أجل الحراسة.

ولا يتوجب على بعض التجارات والمهن أن تزود برجال ولا بمال من أجل الحراسة، عدا عن المعاطف المبطنة بالصوف (الفراء)، وذلك للسبب الواضح، وهو أنهم يندرجون تحت حماية المجتمع المسلم، وكذلك لا يدفع اليهود ولا البانيان (الهنود).

ويضيف (المرحوم القاضي حسين السياغي)[٢٢] "أن البلدية قدمت مؤخراً عربات تجرها الحمير (قواري) لجرف الأوساخ من الأسواق والشوارع، وهو ترتيب ليس معروفاً بالقانون، ومن أجل الدفع لهذه الخدمة فرضت البلدية ضريبة جديدة، وتعرف الضريبتان المتعلقتان بتعهد كل من القواري والحراسة بعبارة (قواري وجرم) وقد عبر الأستاذ سرجنت عن دهشته حين رأى في سوق صنعاء أغصان القات وأوراقه يجمعها أفراد في السوق على أساس أن هذه لا تعتبر قمامة، بل تؤخذ طعاماً للحيوانات".



سوق صنعاء (١٩٢٧م)، م/ م ت د م

كلمة (وقف) التي جمعها: (أوقاف) مصطلح يشير إلى ممتلكات توهب بشكل دائم لغرض ديني أو على سبيل الصدقة ويعرفها المرتضى بأنها: (التحبيس لله)، ويطلق على الهدف المحدد الذي يوهب الوقف من أجله بـ(المصرف) أو حق الانتفاع من غير إضرار، ولا يمكن أن تخضع ممتلكات الوقف إلى نقل أو بيع أو رهن إلا في حالات نادرة، ولا يمكن تحويل حق الإنتفاع هذا إذا حدده الواهب إلا حين تتطلب المصلحة العامة القيام بذلك، ولا تفرض ضريبة على مال الوقف، لكن تدفع عنه زكاة تقتطع قبل تقسيم الدخل على المستفيدين.

وما يقارب ثلثي صنعاء من ممتلكات الوقف، من نوع أو من آخر، ولا شك أن ما فيها من حمامات وسماسر وكثير من المحال التجارية (الحوانيت) خاضعة للوقف أيضاً، وأنه في حالة (وقف الذرية) تستفيد الذرية من ريع العقار أو دخل الأرض التي ليس بالإمكان تقسيمها أو بيعها، وفي هذه الحالة لا يكون هناك مجال أمام الورثة أن يهدروا ماورثوه. ومن الطبيعي أن الأشخاص الفضلاء والخيرين كانوا يهبون الأوقاف لدوافع دينية، إلا أن هناك سببا إضافيا، وهو أن ذلك الإجراء يحمي الأوقاف من أن تسلب من الذرية.

ويميز الدكتور الطيب زين العابدين بين خمسة أنواع عامة من الوقف[٢٣]:

الوقف الداخلي ووقف الصوافي: كل ما يرد من دخل هذه الأوقاف يخصص لصون المساجد الموجودة، أو بناء مساجد جديدة، وهي تمثل الجزء الأكبر من العائدات المالية لوزارة الأوقاف.

الوقف الخارجي: يقوم أحد أفراد عائلة الواهب بالإشراف على هذا النوع من الوقف من أجل ضمان تلقي المستفيدين حصصهم سليمة. وتستبقي الوزارة (٥٪)، وتوزع الباقي بين أهل الواهب وفقاً للتوزيع الذي نص عليه الشرع بشأن الإرث.

وقف الوصي (الوصايا): لا يعطى منه شيء للأوقاف، لكن الواهب يحدد نشاطاً دينياً معيناً ينم عن تقوى، كصون مسجد، يصرف عليه مما وهب، ويتم توزيع باقي الدخل بين الأهل حسب أحكام الإرث. ويندر أن تتدخل الوزارة بهذا الوقف، إذ يشرف عليه وصي يتمثل في أكبر أفراد العائلة سناً، يذكره الواهب في وصيته باسمه، وتعين الأوقاف مشرفاً يبقي بحوزته تسجيل الأرض ويحسم القضايا الخلافية ويتلقى مقابل ذلك (٢,٥٪) من الدخل وتحاول بعض القبائل من خلال هذا النوع، والنوع السابق من الوقف أن تحرم النساء من الإرث وتحصر الوقفية في الذكور من الورثة لكن الإمام يحيى حميد الدين ووزارة العدل من بعده حكما ببطلان صلاحية إجراء غير شرعي كهذا.

الوقف المثلث: ويشتق اسمه من حقيقة أن ثلاثة أعشار دخله يدفع للحكومة عشر زكاة، وعشران للأوقاف لا ستخدامهما في إحدى الوظائف الدينية كرواتب لسدنة المساجد (السنيدار)، والمؤذنين ونحو ذلك وأراضي هذا الوقف قابلة للانتقال عن طريق البيع إذا قبل المالك الجديد المصادقة على الترتيب السابق، وأنه اقتصر على شراء منفعة الأرض فقط.

مثلث الحرمين: يشابه هذا الوقف في نوعه النوع السابق، سوى أن عُشرين يذهبان إلى مكة والمدينة بدلاً من ذهابهما إلى أوقاف اليمن، وبإمكان الواقف أن يطبق أكثر من طريقة من أجل تثبيت وقفه، وهذا ما دفع علماء اليمن كغيرهم من علماء المسلمين إلى الاجتهاد بقضايا الوقف هذه والوقفية التي لا تتحول للغير، كما في حال عقارات البيوت والمحلات من أجل صالح المستفيدين منها، أو لصالح الأهداف التي من أجلها تأسس مبدأ الوقف، وتندرج النصوص الاشتراطية لصلاحية الوقف في ثلاث فئات: تلك التي تربط بالعين الموقوفة، وتلك التي تتعلق بالمصرف.

ويجمع العلماء على أن الشرائط المتعلقة بواهب الوقف خمسة (أن يكون بالغاً سن التكليف، ومسلماً، متمتعاً بالاختيار، ومالكاً، وأن يطلق التصرف، أما الشرط المتعلق بعين الموقوف، فهو: صحة الانتفاع به مع بقاء عينه).

أما وقف المستملكات (كنقود الذهب والفضة والطعام وغيرها) فهي غير صالحة. وأما ما يتعلق بالشرط الثالث والأخير الذي يخص مصرف دخل الوقف فإن العلماء متفقون على أنه لا يصح إنشاء وقف يتضمن أوامر تتعلق بكيفية صرفه، عدا ما يتعلق بواحد من مثالين أحدهما (أن يكون حق الانتفاع مقيداً بالمستفيدين ومحدداً نصيب كل منهم).

والثاني (الذي ذكر فيه تضمين أمر) يكون صالحاً (وإن لم يدرج فيه تحديد لكن الواقف يذكره) عن طريق تضمين القرابة

وتأكيدها، وبكلمات كهذه (للفقراء من النساء أو المرضى... الخ)، وبالتالي يجتهدون فيما يتعلق بالكثير من التفاصيل المتعلقة بالأقارب وطريقة المصرف التي حددها الواقف وشروط الوقف التي سبق ذكرها تعتبر أساسية، وأن أياً منها عندما يتطلب دليلاً، يتوجب حسمه وإثباته وفقاً لقواعد الفقه وأحكام الشريعة.

أنواع الوقفية في اليمن:

- أوقاف المساجد والجوامع.
- أوقاف للعلماء والمتعلمين والمدارس.
- أوقاف للمرضى، وخاصة للمجذومين والمختلين عقلياً، وقد تطور هذا النوع لينطبق على المشافي والمصحات.
- وقف لذرية الواقف.
- وقف لرعاية الآبار (السبل) وبرك شرب الحيوانات والطرقات وخانات المسافرين وبهائمهم.
- وتكون الحمامات العامة عادة من ممتلكات الوقف التي تخص المساجد.
- وقف للحيوانات المريضة والعاجزة.

وهناك نوع آخر جديد للوقف استحدثه أحد وجهاء التجار في صنعاء، وهو المرحوم الحاج أحمد بن محمد السنيدار وهو عبارة عن أرضية منشأة كبيرة قرب السور الجنوبي للمدينة، حيث كان يمر الغيل الأسود من تحته فقد قام بتسوير وتهيئة مكان مناسب للرجال وآخر للنساء ليغسلن الملابس لأهل صنعاء، ويسحبن الماء لهذا الغرض من الغيل، حيث كان عامة الناس يغسلون ملابسهم عند الغيول، مع العلم أن الغيل الأسود قد جف قبل عدة أعوام.

وعندما يباع وقف تدفع نصف قيمة عين الأرض للوقف ويقسم النصف الثاني بين الورثة المالكين الذين بيدهم أحقية الوقف وبين الشخصية، أي راعي الأرض الذي يدعى (الشريك) مقابل الأعمال التي كان يقوم بها.

ولمصطلح (صافية ج صوافي) تاريخ طويل، لكن الواقع الذي كان يحدث في الماضي هو أن الإمام من خلال سلطته القوية كان يحول أوقاف مسجد أصابه الدمار بسبب سوء تسخير دخل المسجد للعناية به إلى ممتلكاته الخاصة، وهذا ما يمثل الصافية وتندرج إدارة الصوافي الآن مع الوقف الداخلي من الأراضي التي كانت عائدة إلى بيت حميد الدين وصادرتها الحكومة بعد سنة (١٩٦٢م)، أما زبارة الذي كتب عن الاحتلال العثماني الثاني، فيطلق على الصوافي اسم (ضِياع بيت المال)، ويتهم الأتراك بأنهم هم الذين استولوا عليها (من بيت الإمام القاسم)، ويكون في حوزة بيت المال دوماً ممتلكات خاصة به تسمى أملاك الدولة.



الهوامش

١. العمري، حسين: "مئة عام من تاريخ اليمن"؛ دار الفكر؛ دمشق؛ ط٢؛ ١٩٨٤م؛ ص (٢٣٠ ، ٢٣١).
٢. زبارة، محمد بن محمد بن يحي: "نشر العرف لنبلاء اليمن بعد الألف"؛ المطبعة السلفية؛ القاهرة؛ ١٣٧٦هـ؛ جـ٢؛ ص (٩٣٠).
٣. رحلة نزيه مؤيد العظم، ص (١٨٠)، يصف هذا في جملة أمور أخرى، وأنظر أمين الريحاني Arabian peak and Desert,London : 1930 PP.104-1108
٤. ابن عبيد الله، علي بن محمد العباسي: "سيرة الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين"؛ تحقيق: سهيل زكار؛ دار الفكر؛ بيروت؛ ١٩٧٢م؛ ص (٣٨٦).
٥. زبارة، محمد بن محمد بن يحيى: "نزهة النظر في رجال القرن الرابع عشر"؛ ج٢؛ مركز الدراسات والبحوث اليمني؛ صنعاء؛ ١٩٨١م؛ ص (٥٦٠ ، ٥٦١).
٦. أخرجه أحمد من حديث عبد الله بن جعفر. (المسند ١/ ٢٠٥).
٧. " طبق الحلوى حوادث سنة ١٠٧٨هـ/١٦٦٧م"؛ نشره: محمد عبد الرحيم جازم؛ مركز الدراسات والبحوث اليمني؛ ١٩٨٥م؛ ص (٢٣٠).
٨. اليمن Jemenica, 113. no.810
٩. ربما كانت كلمة ((غير)) اسم الفاعل العملي لكلمة ((غائر)) لكنها تنطوي على معنى الإغارة، أنظر المعجم اليمني (حرف الغين) لمطهر الإرياني.
١٠. في هجر العلم في مناطق القبائل خارج صنعاء لا يدفع السادة لقاء الحماية، ولا يشاركون في المساهمات العامة (الغرامات) القبلية لأي غرض كان.
١١. ضاعف الاتراك في صنعاء وبئر العزب عدد المحارس عام (١٣١٢هـ– ١٨٩٤/١٨٩٥م) في الأزقة والشوارع، وأشعلوا الفوانيس كإجراءات وقائية، حسب ما ذكر زبارة في كتابه "أئمة اليمن" ٢/ ١٦٥. ويذكر الرازي في التاريخ إحصاء لعدد البيوت التابعة لكل محراس في صنعاء.
١٢. (السيرة المتوكلية) للجرموزي (خ) ٤٤٦.
١٣. السياغي، حسين أحمد: "قانون صنعاء"؛ ط٢؛ صنعاء؛ ١٩٨٢م؛ ص (٣ ، ٤).
١٤. "أئمة اليمن" مصدر سابق ص (٢٤٦)، قارن مع (رحلات عبر اليمن) ل وهاريس؛ ص (٢٧٧)، الشكل (١٥، ٢)؛ وانظر الموسوعة اليمنية (ضبطية) جـ٢؛ ص (٥٩٠).
١٥. العظم، نزيه مؤيد: "رحلة في بلاد العربية السعيدة من مصر إلى صنعاء"؛ جـ١؛ دار التنوير؛ بيروت؛ ط٢؛ ١٩٨٦م؛ ص (٩٣).
١٦. الإرياني، مطهر: "المعجم اليمني"؛ ص (٢٨٤)؛ و"الموسوعة اليمنية" جـ١؛ ص (٤٤٢).
١٧. مقالة عن الأدب اليمني في سجن حجة– Yemeni lierature in Hajjah prison ,Arabian studies.
١٨. يحي بن الحسين: "غاية الأماني"؛ تحقيق: سعيد عبد الفتاح عاشور؛ جـ٢؛ ص (٥٣٧).
١٩. المصدر نفسه ١٥٦.
٢٠. "السيرة المتوكلية"؛ مصدر سابق؛ ص (٣٢١).
٢١. المكتب العربي في القاهرة، دفتر اليمن؛ القاهرة؛ ١٩١٧؛ ص (٤٢).
٢٢. السياغي، حسين أحمد: "قانون صنعاء"؛ صنعاء؛ ١٩٨٢م؛ ط٢؛ ص (٧ ، ٨).
٢٣. الطيب زين العابدين: "دور الاسلام في الحكم"؛ ص (٢١٨).


نشأة المدينة وتطورها المعماري
(صنعاء القديمة)

(صنعاء القديمة)

اعتماداً على النقوش والمعلومات الأثرية والتاريخية التي ورد فيها ذكر مدينة صنعاء والمدن اليمنية القديمة التي عاصرت نشأتها وازدهارها الحضاري، وفي ضوء أوصاف مدينة صنعاء من المصادر التاريخية الأساسية ومقارنتها بغيرها من الحواضر والمدن القديمة والاسلامية، ووفقاً لما وضحته المخططات القديمة للمدينة، وأقدمها مخطط كرستين نيبور سنة (١١٧٧هـ/ ١٧٦٣م)، والمخطط الذي قام به العثمانيون سنة (١٢٩١هـ/١٨٧٤م)، وكذلك مخطط مانزوني سنة (١٢٩٨هـ/١٨٨٠م)، ومخطط فون فيسمان سنة (١٣٤٨هـ/١٩٢٩م)، وكل مخططات المدينة من (١٣٩٠-١٤٢١هـ/١٩٧٠-٢٠٠٠م)، وكذلك الصور الجوية القديمة، وبالتحليل المقارن والافتراضي، أمكن رسم الخطوط الأولية المبدئية لنشأة المدينة وتطورها التاريخي، لبيان مساحة المدينة وحجمها وتكوينها الأفقي والرأسي وتحديد معالمها ومقارنتها بغيرها من الحواضر والمدن.

إن النشأة الأولى للمدينة تخضع لفرضيتين هما:

- **الفرضية الأولى:** نشأتها الأولى كمستوطنة بشرية صغيرة في بقعة توافرت فيها الشروط الأولية لاستقرار الإنسان، ونمت لتتحول إلى حاضرة بعد أن نشطت حركة التبادل التجاري بينها وبين مراكز الاستيطان الأخرى.
- **الفرضية الثانية:** نشأتها الأولى كمحطة تجارية أولية (سوق) على نقطة تقاطع الطرقات بين المستوطنات البشرية الأولى في فجر الحضارة اليمنية القديمة.

يتضح من كلا الفرضيتين أن المدينة نمت وتطورت وازدهرت كغيرها من المدن اليمنية القديمة التي لعبت دوراً هاماً في تنشيط وتأمين حركة التجارة العالمية القديمة بين الشرق والغرب. فقد مثل الطريق البري الممتد من ميناء قنَّا الواقع على البحر العربي جنوباً إلى ميناء غزةّ على البحر الأبيض المتوسط شمالاً، أهم طرق التجارة العالمية آنذاك الذي عرف بطريق اللبان، إذ كان اللبان والمر من المواد الهامة في تجارة العالم القديم وكانت بلاد اليمن تحتكر تجارته وتؤمن طرقه، ولهذا فقد استفادت صنعاء من موقعها إذ كانت بمثابة محطة تجارية (مركز) انطلقت منها طرق تجارية رئيسية وفرعية هامة في الاتجاهين (الجنوبي- الشمالي) و(الغربي- الشرقي)، وبعد انحسار دور الطريق الرئيسي (الجنوبي- الشمالي) الممتد من قنا إلى غزة تحولت التجارة إلى طريق جديد يأتي ذكره في قوله تعالى: (لإِيلافِ قُرَيْشٍ إِيلافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ) الآية (١، ٢) سورة قريش. ورحلة الشتاء جهتها جنوب مكة (بلاد اليمن) أما رحلة الصيف فقد كانت جهتها شمال مكة ومقصدها (بلاد الشام). ولمدينة صنعاء في هذا مكانة روحية لكونها مثلت محطة هامة على هذا الطريق الذي كان جهة قصد الرسول محمد بن عبدالله ﷺ في حياته العملية الأولى حين اشتغل بالتجارة قبل البعثة النبوية ما يقرب من خمس عشرة سنة.

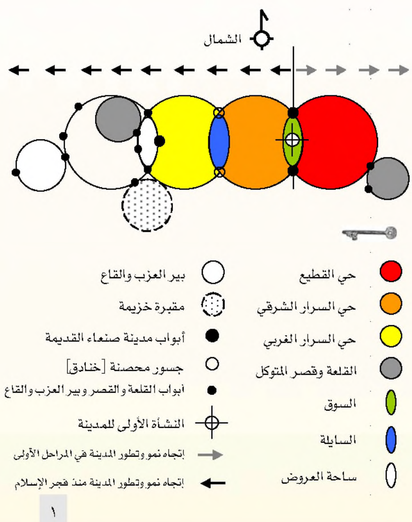
ولهذا فإن أول محدد مادي لنشأة المدينة هو سوقها (سوق صنعاء)، فهو قصبة نشأتها ونموها وتطورها في التاريخ القديم والوسيط والحديث. ويأتي السوق في مقدمة المحددات المادية لرسم خطوط نمو وتطور المدينة تاريخياً. كما أن أول ذكر لوجود سور للمدينة يرجع تاريخياً إلى عهد شَعرأوتر ملك سبأ وذي ريدان إذ تشير النقوش إلى أنه أحاط مدينة صنعاء بسور منيع، غير أن هذا الذكر لا يعني قطعياً بأنه أول من سوَّر المدينة، ويمكن الافتراض أنه أعاد بناء السور، وأن السور قد أعيد بناؤه مرات قبل ذلك ولكن الدليل التاريخي يقتضي أن يكون له الأولوية على الفرضيات واعتماده محدداً تاريخياً فاصلاً عبر فترات تاريخ المدينة.



يرجع أول ذكر لصنعاء كعاصمة أولى في المصادر إلى عهد الدولة الحميّرية وبداية مرحلة السيطرة الحبشية وكانت قبل ذلك العاصمة الثانية للدولة السبئية والحميريّة بعد مأرب وظفار، وقد أهلها لذلك سمات عدة أهمها موقعها، وكبر مساحتها، وبيئتها، ومناخها، إلى جانب أنها مثلت قلعة ممتدة ومحصنة بسور، ومحمية بجبال هي حصون لها أيضا.

ولجملة تلك الخصائص نمت وتطورت مدينة صنعاء في العصور الإسلامية كعاصمة أو كمركز والي الحكم.

ووفقاً لتلك المعطيات يمكن الوصول إلى أهم المؤشرات التي تعطي صورة شبه متكاملة لنشأة وتطور المدينة، وبإيجاز تسلسل تباعاً شروح أهم خصائصها في بيان أهم أحداثها كفواصل حدثية للتحولات في مسار نشأة وتطور المدينة، والتي تنعكس من خلالها المخططات المعمارية التوضيحية لمراحل النشأة والتطور.



١. التكوين الهيكلي العام للمدينة واتجاهات النمو والتطور
٢. الواجهة الرئيسية لبرج قصر غمدان، تصور معماري لـ د. عبد الرقيب طاهر (١٩٩٨م)

نمو وتطور المدينة في العصر القديم

(قبل الإسلام / ق٢- ٧م)

لم يعرف نمو المدينة وتطورها عمرانياً ومعمارياً في هذه المرحلة على وجه الدقة ويعزى السبب في ذلك إلى عدم وضوح معالمها، غير أنها امتازت بخصائص عدة أهمها ازدياد مساحة وسكان المدينة، وإحاطتها بسور دفاعي جعل منها مركزاً تجارياً وسوقاً محلياً وإقليمياً وعالمياً، إلى جانب مركزها الإداري في تلك الفترة.

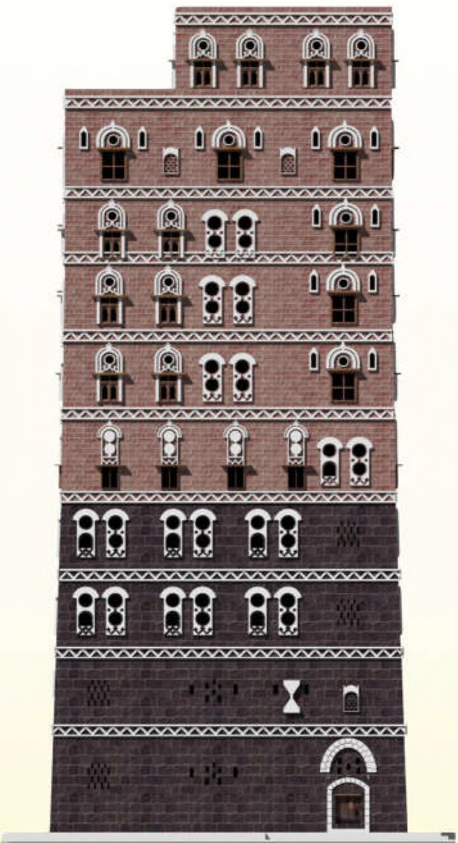
ومن أهم الخصائص المعمارية لهذه المرحلة إبتكار نظام العمارة البرجية ذات الفضاءات الوظيفية المتصاعدة طباقاً، ونموذجها الشهير والأمثل قصر **غمــدان**. ويمكن القول أن عمارة مدينة صنعاء قد مثلت الأساس الأول لنظام العمارة البرجية ذات الفضاءات الخدمية، ولهذا فإن عمارتها منشأ ونمواً وتطوراً تشكل طرازاً معمارياً جديداً بأن يطلق عليه اصطلاحاً طراز العمارة الصنعانية.

ووفقاً للشواهد الأثرية والمعارف التاريخية فإن عمارة المدينة يمكن تصور أهم خصائص ملامحها على النحو الآتي:

- **سور المدينة:** ويلتف حولها وفق المحددات الطبيعية وهي التل المرتفع شرقاً - موقع القصر (القلعة)، ومجرى السيل (السايلة) المنخفض غربا. المحدد العمراني للمدينة، وفي نهاية انحدار الميل الطبيعي للحبيل[1] الذي يحدد مسلك السور الشمالي والجنوبي وأقيم في طرفي هذا المحور باب اليمن جنوباً وباب شعوب شمالاً.
- **سوق المدينة:** مَثّلَ مركزها وعبره يمر محورها الرئيسي والذي قسم المدينة إلى قسمين هما الشرقي وسمي [القطيع] والذي انتشرت فيه المباني السكنية (الحارات) وأقام أبرهة كنيسته المعروفة **بالقليس** في طرفه الجنوبي الشرقي، وتحدد ذلك وفقا للمعيار التخطيطي للمدينة اليمنية القديمة، أما الغربي (السرار) فقد شيد فيه قصر غمدان الذي ارتفع برجه عاليا بنحو (١٠طوابق). وبهذا حُدِّدَت الأبعاد الأولية لأطراف البناء شرقاً وغرباً، ومن المرجح أن يكون الطرفان الأخيران في البناء للمدينة قد تحددا بقبر باذان جنوباً وسوق الجمال موقع مسجد الزمر شمالاً وفُصل البناء عن جدران السور بالبساتين.

اعتمد المعمار اليمني القديم نظام التصميم المغلق واتجه رأسياً في تشكيل فضاءاته الوظيفية، ولتحقيق المتانة اللازمة استخدم الحجارة الصلدة، ولتخفيف الأحمال استبدلها في الطوابق العليا بطوب الطين المحروق (الياجور)، وفتح فيها الكوات (النوافذ) واللهوج (القمريات). ولغرض الصيانة الإنشائية بين الطوابق في الواجهات زينها بأطواق (أحزمة) زخرفية، وميز بينها وبين الطوق الأخير للبناء (التّجواب). واشتهرت مدينة صنعاء قديما بمبانيها البرجية العالية، وجاء برج قصر غمدان في الدرجات الأولى لسلم تطورها التاريخي.

ووفقا للدراسة التحليلية المقارنة فإن عمارة صنعاء في العصر القديم أسهمت في وضع الأسس الأولى لنظام العمارة البرجية الوظيفية، بفضل التراكم المعرفي في العمران والعمارة، والذي جاء نتاجاً للإزدهار الحضاري الذي بلغه الإنسان اليمني قديماً. وهو إزدهار قام في الأساس على التجارة طرقاً وأسواقاً ومحطات ونقاطَ تأمين, مع احتكار سلعتين تجاريتين هامتين إنتاجاً وتصديراً وهما اللبان والبخور، واللتان كانتا في مقدمة السلع الإحتياجية للإنسان في محيط حضارة الشرق القديم لا سيما من الناحية الروحية، ولما حققه العائد المادي الذي وفرته تلك التجارة الرابحة والتأثير الخارجي عمرانياً ومعمارياً على التاجر اليمني وما له من انعكاسات فكرية على حياته المادية وتبلور كل هذا في سلوك تشكيل فضاءاته الروحية للعمارة اليمنية عامة والصنعانية خاصة، حيث تم الاهتمام في الأساس على الوظيفة والتي اعتمدت هي الأخرى على المتانة للاستدامة والشكل الجمالي. وكنتاج موضوعي لتلك المعطيات جميعها استحقت بلاد اليمن أن تنعت قديماً بأنها أرض بناء وعمران، وذلك لأن عمارتها لم تقم على فكرة التخليد عمارة تذكارية وإنما جاءت تلبية لحاجات وظيفية. وما عمارة صنعاء اليوم إلا استمرارية لذلك النهج التاريخي، وما علو مبانيها البرجية، (الآطام)[٢] إلا تكثيف للقيم المعمارية والاستفادة القصوى منها، وتأتي الوظيفية في مقدمتها. كما طور المعمار أسلوب إعادة استخدام مواد البناء والتجهيزات أكثر من مرة وفقاً للمعطيات الاقتصادية والاجتماعية والبيئية بعد التأكد من صلاحيتها ومتانتها في مبانيه الجديدة أوفي إعادة البناء والتجديد للمباني ذاتها كما يدل على ذلك البقايا الأثرية لعناصر معمارية قديمة أعيد استخدامها في مبان أخرى في العصور الإسلامية، وتم نقل بعضها من مسافات بعيدة مع الاحتفاظ بقيمتها المعمارية الإنشائية والجمالية. وهو تقليد متبع وموغل في قدمه تاريخيا، وهذا ما يمليه منطق تصرف أي إنسان ذي حس تجاري نما فيه مبدأ الاستغلال الأمثل لكل ما يمكن استغلاله مادياً، تحقيقاً للربح وحصراً لحدوده الممكنة في مشروعات الإنفاق الإنشائية والبنائية وغيرها.



٢

العصر الإسلامي (سنة ٧ - ٩٦١ هـ/ ٦٢٨ - ١٥٥٣م)

المرحلة الأولى (سنة ٧- ٥٦٩ هـ/٦٢٨ - ١١٧٣م)

مثلت عمارة مسجد صنعاء الجامع (الجامع الكبير) والجبانة ومسجد فروة بن مسيك الإتجاهات الأولى للنهج العمراني والمعماري الإسلامي لصنعاء، في حين عمل المسجد على بلورة الفكر الإسلامي عمرانياً كمفاهيم اعتمدها المعمار اليمني وبها قولب عمارته المتأصلة، والتي كانت قد بلغت ذروتها في طراز العمارة الصنعانية، وأعاد المعمار بهذا صياغة عمارته وشكل فضاءاتها على أسس وقواعد من سلوك التشكيل المتجذر في التجربة المعمارية العريقة وفنونها والفكر الإسلامي العمراني ليكتسب بهذه الخاصية طراز عمارة صنعاء توجهاً معمارياً جديداً وليصبح أحد أهم روافد العمارة الإسلامية وفنونها.

ووفقاً لما جاء في الأوصاف التاريخية لمدينة صنعاء فإنها تشير إلى أن المدينة شهدت نمواً وتوسعاً معمارياً بلغت ذروته من القرن (٢-٤ هـ/ ٨-١٠م). حيث توسعت المدينة من القرن (١-٢هـ/٧-٨م) واتجه البناء نحو الشرق (حي القطيع) وازدادت كثافة البناء وأتجه بعد ذلك نحو الغرب (حي السرار). ومن خلال الأوصاف فمن المرجح أن صنعاء في هذه المرحلة لا تختلف كثيراً عن نمط عمارتها في المرحلة التي سبقتها مع انتشار المساجد في سوقها وأحيائها وحاراتها الجديدة. كما ابتعد المعمار في تشكيلاته المعمارية والفنية والزخرفة عن التجسيد الحرفي لمحاكاته للمخلوقات الإنسانية والحيوانية والنباتية واستعاض لمحاكاته الحرفية بالتجريدية وشغل بها سطوح واجهات عمارته وجدرانها وأسقفها الداخلية وعناصرها المعمارية وأثاثها وفرشها.

وتوسع سوق صنعاء باتجاه المحور الرئيسي للمدينة، باب اليمن جنوباً إلى باب شعوب شمالاً، كما توسع باتجاه المحور العمودي عليه، الميدان شرقاً حتى ساحة الجامع الكبير غرباً، ويذكر الرازي[٣] في تاريخه: دار ابن عنبسة "وكانت [الدار] تقع في شارع العراقيين.. وكان ينزل هذه الدار من قدم من البصرة والعراق من أهل اليسار" وهي اليوم دار كبير أعيد ترميمه ويقع في الوسط بين ساحة الميدان ومركز سوق صنعاء، ونستدل بذكر تجار العراق بزمن الازدهار الحضاري الإسلامي في الخلافة العباسية.

المرحلة الثانية (٥٦٩ -٩٦١ هـ/ ١١٧٣- ١٥٥٣م)

شهدت مدينة صنعاء في هذه المرحلة نمواً وتوسعاً وكثافة بناء اكثر نسبياً من المرحلة الأولى، نستدل على ذلك بالمساجد الكبيرة والتي لا تزال عامرة حتى اليوم وخاصة مساجد الأطراف مثل مسجد صلاح الدين ومسجد خضير ومسجد الفليحي، والتي تشير إلى انتشار البناء حولها. وتذكر المصادر التاريخية توسع المدينة باتجاه غرب السائلة في عهد الأمراء الأيوبيين (٥٦٩-٦٢٠هـ/ ١١٧٣-١٢٢٣م) وامتد بذلك سور المدينة إلى حدوده المعلومة حالياً، وعلى محور المدينة تم إنشاء باب السبحة (بابها الثالث). ولقد قُصِدَ بتوسع المدينة غرب السايلة بناء دور لهم وسط بساتين غناء، وانتشر بعد ذلك البناء على طرفي الطريق المؤدي إلى باب السبحة حيث حارة النهرين وامتد على ضفتي السايلة، ولم ينتشر البناء في هذا الحي الجديد بكثافة إلا بعد منتصف القرن (٢٠م).

وعند تتبع أوصاف معالم المدينة وخصائصها وفضاءاتها وتشكيلاتها المعمارية والزخرفية لهذه المرحلة نجد التشابه الكبير بينها وبين عمارة صنعاء في العصور الحديثة والتي تلتها حتى منتصف القرن (٢٠م).

ومن أهم الخصائص المعمارية الأخرى لهذه المرحلة هي بداية ظهور نمط الزخرفة الصنعانية (الهيكلية) على أجسام مآذن المساجد.

ورغم أن القبة كعنصر تسقيف للفضاءات قد عرفه المعمار اليمني في مراحل تاريخية متقدمة واستخدمها في هذه المرحلة في تسقيف فضاءات المساجد والمدارس الإسلامية وبكثافة في زمن حكم الملوك الرسوليين (٦٢٠-٨٥٨هـ/١٢٢٣-١٤٥٤م)، في المدن والحواضر اليمنية الأخرى، إلا أنه لم يعتمدها في تسقيف الفضاءات الرئيسية للمسجد في مدينة صنعاء، وقد استخدمها في تسقيف الكثير من الفضاءات الوظيفية المعمارية منها السُّبل، والميضاءات (المطاهير)، ومراحيض (المماشي) المساجد والأضرحة الكبيرة والحمامات الساخنة وغيرها. كما تم استخدام الرخام المصقول الشفاف نسبياً في تغطية فتحات الإضاءة وعقود القمريات بكثافة عما قبل ولم يكن الزجاج الملون قد بدأ استخدامه في تعشيق فراغات ألواح (القص) القمرية الحديثة. هذا وقد تم استخدام التدرج في التعقيد الزخرفي الخارجي المفردات والوحدات الزخرفية.

١. مخطط المدينة (١٧٦٣م) لكرستين نيبور.

٢. مدينة صنعاء القديمة وجبل عيبان، صورة من مرتفع مسيك، أثناء الوجود العثماني (١٨٤٩-١٩١٨م)، م/ المركز الوطني للوثائق



١



٢

العصر الحديث (٩٦١ -١٤٢١ هـ/ ١٥٥٣ -٢٠٠٠م)

لقد تطورت عمارة صنعاء في هذا العصر وفقاً للمؤثرات السياسية والاجتماعية والثقافية بما فيها مجمل الأحداث التاريخية (السياسية) وأبرزها:

- دخول العثمانيين الأول لليمن واستيلائهم على صنعاء (٩٦١ هـ/١٥٥٣م).
- قيام الدولة المركزية اليمنية (حكم الأئمة) بعد انتهاء الوجود العثماني الأول في اليمن (١٠٤٥هـ / ١٦٣٥م).
- الوجود العثماني الثاني في اليمن واستيلائهم على صنعاء (١٢٦٦هـ/ ١٨٤٩م) واحتلال بريطانيا عدن (١٢٥٤هـ/ ١٨٣٩م).
- انتهاء الحرب العالمية الأولى وخروج العثمانيين من اليمن وقيام المملكة المتوكلية (١٣٣٧ هـ/١٩١٨ م).
- قيام ثورتي (٢٦ سبتمبر ١٩٦٢ و١٤ أكتوبر ١٩٦٣) وجلاء بريطانيا عن جنوب اليمن عام (١٩٦٧).
- الوحدة اليمنية (٢٢ مايو١٩٩٠).

ومن خلال دراسة تلك المؤثرات والأحداث وكذلك حجم المتغيرات النوعية العمرانية والمعمارية على طراز عمارة صنعاء التاريخية والكبرى عامة وصنعاء القديمة خاصة، يمكن حصر ذلك في إطار مرحلتين رئيسيتين هما:

المرحلة الأولى (٩٦١ - ١٣٧٠هـ / ١٥٥٣- ١٩٥٠م)

لهذه المرحلة خاصية تاريخية هامة فقد شهدت صنعاء تناوب السيطرة عليها بين العثمانيين الأتراك والأئمة الزيديين فجاءت مباني هذه المرحلة من حيث النشأة نتاجا لهذه المتغيرات السياسية.

إن أهم الخصائص العمرانية المعمارية لهذه المرحلة هي بروز نمطين معماريين منسجمين في الكثير من الخصائص وان اختلفا من حيث الشكل إلا أن ملامح الاختلاف غير واضحة ويصعب على غير المعمار أو الآثاري التعرف عليها، وهذان النّمطان هما:

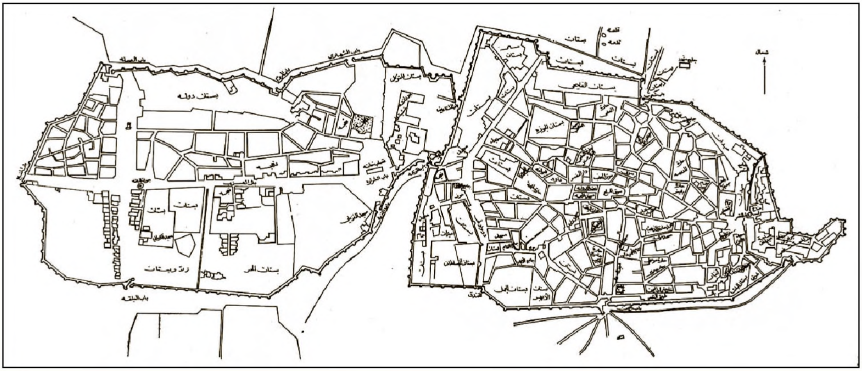
- **النمط الأول:** وتمثل في العمارة اليمنية التقليدية المتوارثة والمستمرة بتواتر استخدامها وبالأساليب المعمارية والإنشائية والتقنية الأولى وبعجلة نمو وتطور متزنة ومتسقة الحركة، وهذا النمط استمر استخدامه حتى عقود متأخرة من القرن العشرين، بل إنه تعايش مع النمط الثاني ذي التأثير المعماري العثماني غير أن كثافة استخدامه في كل المراحل كان أكثر كثافةً من استخدام النمط الثاني.

وعلى الرغم من التأثير الطفيف الذي أحدثه النمط الثاني على العمارة في صنعاء، إلا أن هذا النمط ظل يمثل محور الأساس في بلورة نهج النمط الثاني وظيفةً وشكلاً، وليس ذلك فحسب بل تمكن من احتواء النمط الثاني لماله من تجربة غنية وتميز، كما وجه مسار النمط الثاني وبشكل توافقي وبما ينسجم والنسيج المعماري للحارة خاصة والمدينة عامة.

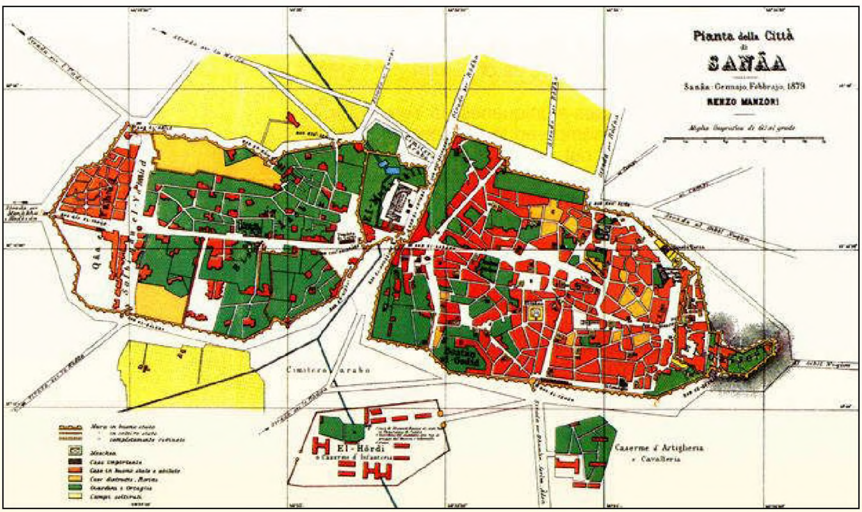
وأهم الخصائص المعمارية التخطيطية والتصميمية لهذا النمط سبقت الإشارة إليها بشكل عام كما نجدها مضمنة في الكثير من المواضيع وبتفصيل أكثر في سياق هذه الدراسة.

- **النمط الثاني:** ويتمثل في العمارة التي تأثرت بالعمارة العثمانية عند دخول العثمانيين اليمن في الفترتين الأولى والثانية إذ كانت مدينة صنعاء في الغالب مركزاً لولاتهم.

وفي حين تأثرت العمارة الإسلامية التركية خاصة والإمبراطورية التركية العثمانية عامة بالعمارة السلجوقية والعمارة البيزنطية، وتمثل ذلك في مساجد اسطنبول الأولى، والتي أبرزت بقوة ملامح الطراز المعماري الإسلامي (العثماني) وأثر هذا النمط المعماري للمساجد (خاصة) وفي عدد من البلدان الإسلامية التي انضوت تحت راية الإمبراطورية العثمانية، وعلى الرغم من سيطرة العثمانيين (الأتراك) على اليمن وفي مرحلتين رئيسيتين (٩٤٥-١٠٤٥هـ/١٥٣٨-١٦٣٥م)، (١٢٦٦-١٣٣٦هـ/١٨٤٩-١٩١٨م) إلا أن تأثير العمارة العثمانية (التركية)وظيفةً وشكلاً على العمارة اليمنية عامة وعمارة صنعاء خاصة انحصر في المنشآت والمباني الدفاعية،العسكرية، وتحصيناتها، وكذلك في المنشآت والمباني ذات الوظائف الحديثة مثل المستشفى والمدارس المتوسطة والثانوية والصنائعية (التقنية)ومن أهم المنشآت والمباني الأخرى في مدينة صنعاء القديمة التي تأثرت كثيراً بالعمارة العثمانية (التركية) هي منشآت القلعة وأبوابها وكذلك المدارس الحديثة والتي أنشئت شرق المدينة في المرحلة الثانية، بما في ذلك حمام الميدان والذي بني في المرحلة الأولى (١٠٠٠هـ/١٥٩١م) تقريباً والذي جاء ليحاكي في عمارته الأولى نمط عمارة الحمام التركي البخاري إلا أنه عدل لينسجم ونمط عمارة الحمام الصنعاني الساخن.



١



٢

١. المخطط العثماني للمدينة (١٨٧٧م)، إعادة رسم من قبل وزارة الأشغال

٢. مخطط المدينة (١٨٧٩م) لمانزوني

والأهم في هذا واستناداً لما تمت الإشارة إليه أن كل المساجد في الأقاليم (البلدان) التي تأثرت مباشرة بالعمارة العثمانية عامة، وبنمط عمارة مساجد اسطنبول خاصة، نجد أن المساجد اليمنية التي تأثرت نسبياً بالعمارة التركية (العثمانية) جاءت مغايرة تماماً لعمارة المسجد العثماني. بل إن تأثير العمارة اليمنية، الطراز الصنعاني، غلب عليها وأذاب التأثير الخارجي وقولبه بما ينسجم ويتسق وينتظم تماماً معه، ولهذا نجد أنه لا يمكن إيجاد أي شبه تام أو جزئي، نسبي، بين أهم المساجد المعروفة بمساجد القبة التي شيدت خلال الوجود العثماني كمسجد (قبة) المرادية داخل القلعة، قصر السلاح، ومسجد (قبة) البكيرية، وتجديد وتوسيع مسجد (قبة) طلحة، في مدينة صنعاء القديمة وبين المساجد العثمانية في اسطنبول وغيرها من المدن التركية أو المدن والحواضر التي تأثرت بعمارة العثمانيين. وأثرت مساجد القبة تلك على عمارة مساجد القبة في اليمن ما بين مرحلتي الوجود العثماني كمسجد قبة المهدي (١١٦٤هـ/١٧٥٠م) والمتوكل (١١٣٩هـ/١٧٢٦م) الذي يقع غرب سور مدينة صنعاء القديمة، والذي جدد وتوسع وعلت بيت الصلاة فيه – بعد التوسع – قبة كبيرة محاطة بقباب متوسطة.

وفي هذه المرحلة استحدث الولاة العثمانيون في القرن (١٠هـ/١٦م) حياً جديداً غرب سور مدينة صنعاء القديمة هو حي بير العزب وأحاطوه بسور دفاعي بنفس مادة وتقنية سور مدينة صنعاء, ولكن سمكه يقل عن سمك سورها ويفصله عن سورها طريق وساحة وسطية أحكمت ببابين: باب **الشقاديف** في الشمال وباب **خزيمة** في الجنوب، وينفذ منها أيضاً بابان باب **السَّبْحَة** على سور المدينة القديمة وباب **شَرَارَة** المؤدي إلى داخل هذا الحي الجديد (بير العزب)، ومن هذه المنطقة كانت تنفذ أبواب أخرى إلى كل من المستشفى ومسجد قبة المتوكل والحمَّام والقصر. وفضلاً عن هذا فقد شيد على سور الحي الجديد، أبواب رئيسية هي باب الروم شمالاً وباب **البَلَقَة** جنوباً وباب **عبْيلَة** في الغرب، وبابان فرعيان هما باب **النُّزَيْلي** في الجنوب الشرقي وكذلك باب **القاع** النافذ إلى حي القاع (قاع اليهود) والذي أحيط هو الآخر بسور وكان له من جهة الغرب باب آخر هو باب **عَصَر**. إن استحداث الحي الجديد (بير العزب) من قبل العثمانيين جاء نتيجةً لعدة عوامل، أهمها العوامل السياسية والثقافية والاجتماعية بالإضافة إلى الكثافة العالية نسبياً للبناء داخل سور المدينة القديمة مما جعل استحداث حي جديد محكم السيطرة، من ناحية وملبياً للرغبات الخاصة من ناحية أخرى، ضرورةً لا بد منها.

كما كان لطبيعة التكوين السياسي والاجتماعي والثقافي لساكني هذا الحي أثر في توزيع الدور السكنية الكبيرة المحاطة بأسوار طينية (زابورية) لتفصلها عن بعضها من ناحية وعن الطرق والممرات والساحات والبساتين والمزارع الكبيرة من ناحية أخرى.

وعند التدقيق في خارطة (١٢٩١هـ/١٨٧٤م) وجد أن حجم الكثافة البنائية الإجمالية لهذا الحي لا تزيد عن نسبة (١٥٪) من مساحته الإجمالية.

ومن أهم ما تميزت به المباني السكنية لهذا الحي هو كبر مساحتها البنائية فهي أشبه بالقصور ولهذا سميت (بالدور)، ومسقطها منتظم على شكل مربع أو مستطيل، أما فضاءاتها الداخلية فكانت واسعةً وعاليةً في الارتفاع، وتتوسط في الغالب مساحة الأرض، كما تحيط بها الحدائق المسورة من جميع الجهات، ولكل منها بئره (المسنى) أو (المنزعة) لأقلها شأناً. وأكثر ما يميز هذه الدور هو وجود المفرج الأرضي والذي تفتح واجهته بالكامل نحو الجهة الجنوبية أو الجنوبية الغربية أو الغربية، المطلة على الحديقة التي تتوسطها بركة بنافورة تقذف الماء عالياً وتسمى (الشذروان)، والذي ورد ذكره ضمن أهم الوظائف التي تميزت بها قصور ملوك بني رسول في منطقة **ثعبات** وهي من أحياء مدينة تعز عاصمة ملكهم آنذاك.

والتكامل الوظيفي للشاذروان (الشذروان) مع المفرج والحديقة ميزة متفردة خصت بها الدور السكنية الكبيرة في حي بير العزب وتأثرت به بعض الدور السكنية الكبيرة داخل صنعاء القديمة، غير أن انتشاره فيها محدود جداً إذ لا يزيد عددها حالياً عن أربعة دور. ومن المرجح أن دوراً أخرى كانت لها هذه الخاصية، غير أن التأثير القوي لتوزيع حصص الإرث وما يصاحبه من ضرورات التغيير القسري للعقار، في التحوير والإضافة والإزالة، ربما تكون هذه الخاصية الوظيفية قد اندثرت في بعض الدور الكبيرة، أو أنها اندثرت باندثار المبنى كاملاً، ومثال لذلك دار الطواشي الذي كان أحد أهم المعالم السكنية بمدينة صنعاء القديمة وظل قائماً حتى منتصف هذا القرن وبقي في ذاكرة التاريخ المعماري للمدينة.



١



٢

١. مخطط مدينة صنعاء (١٩٢٩م)، لكل من (س. راثينز وهـ ف. فيسمان)
٢. صورة من الجو (١٩٢٧م)، م/ م ت د م

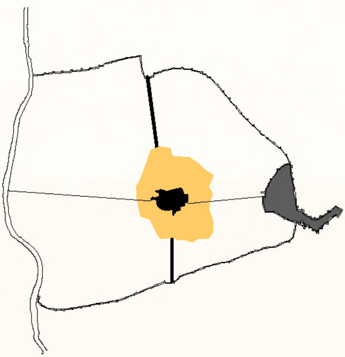
وعمارة صنعاء في المرحلة الأولى للعصر الحديث غلب عليها تأثير نمطها الأول فكان هو المؤثر الرئيسي في تطورها وإن كان النمط الثاني قد ساهم بتأثير نسبي محدود في تطور طراز العمارة الصنعانية. وعلى الرغم من هذا التأثير فإن المعمار اليمني استطاع بتجربته المتأصلة وباقتداره في ترويض نتاجه المعماري مع المؤثرات الخارجية وإذابتها في قوالبه، وذلك بتكييفها وليس بالتكيُّف معها تفاعلياً، ولهذا سيطر على التأثير الخارجي بالمزيد من القدرة في التحكم وعكس فعل الأثر بقوى فعل التأثير العكسي المكتسب بالتجربة والخبرة والمهارة العالية المتوارثة، ولهذا فإن الكثير من مدخلات التأثيرات المعمارية الخارجية على مر العصور بما فيها تأثير العمارة العثمانية على العمارة اليمنية قد انصهر بفعل قوة رد الفعل المرن للموروث المعماري اليمني من ناحية وقدرته على الاستفادة من المتغيرات الزمانية والتقنية في نهج مسار تطور عمارته من ناحية أخرى. ومن أهم الاستخلاصات في هذا هو استخدام البلّور الملون، الزجاج المصري والشامي، في تشكيل عقود القمريات اللهوج التي اعتاد المعمار اليمني تشكيلها بقطعة واحدة من الرخام المصقول الشفاف المحلي (القمرية) وتمكن المعمار اليمني بذلك من مضاعفة مساحة اللهوج القمريات فضلاً عن التشكيل الفراغي لمسطحاتها الجدارية وبالتعشيق المتبادل بين مادتي القص والبلّور، الزجاج الملون لسد فراغاتها، وعمل على تصميم أشكال متنوعة مزج في تشكيلها بين وحدات ومفردات التشكيل الهندسي والنباتي المجرد وقلّما أدخل التشكيل الحيواني المجرد.

ومن الخصائص المعمارية لهذه المرحلة أن المنشآت والمباني، العسكرية، والإدارية، والصحية، والتعليمية الحديثة، لا يتعدى ارتفاعها عن الطابقين وفضاءاتها واسعة وعالية نسبياً ومنتظمة الشكل في مساقطها وتعتمد الحجارة مادة البناء الرئيسية. وتعتمد هذه المباني في الغالب الاستمرارية والإيقاع المستمر أو المتناوب النغم وكذلك الفضاء الداخلي المسقوف والمحاط بأروقة من الجهات الأربع أو من ثلاث جهات فقط.

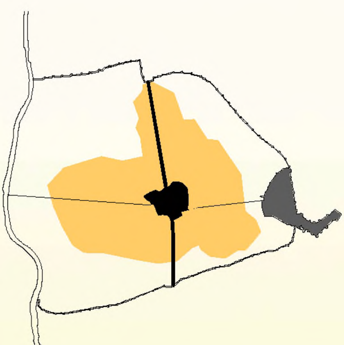
أما المنشآت الكبيرة فقد اعتمدت الفناء الداخلي المفتوح والأروقة المفتوحة إلى الفناء الداخلي، وإلى جانب ذلك أتت الحدائق في الفضاءات الجانبية أو الوسطية وجاء نمط عمارتها، مادة وتشكيلاً، ليحاكي وبانسجام واتساق تام نمط عمارة صنعاء بل وينتظم معه برتب إيقاع التطور المتواتر المنتظم لهذا الطراز المعماري التاريخي. والكثير من هذه المنشآت والمباني شيدت وبنيت خارج أسوار مدينة صنعاء القديمة من جهتي الجنوب والغرب، في الجنوب شيدت المنشآت العسكرية وأكبرها



١

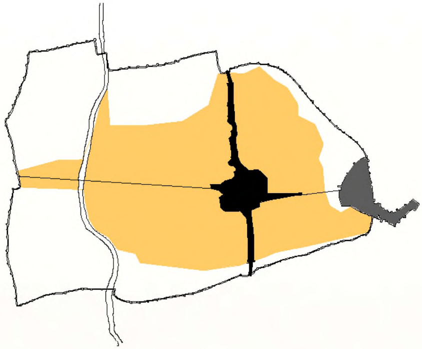


٢

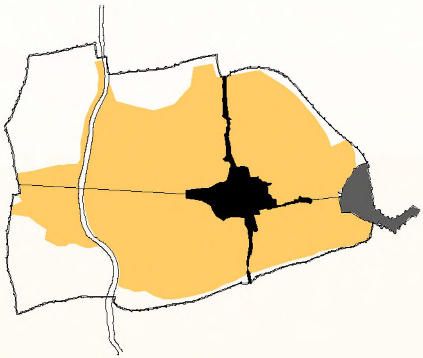


٣

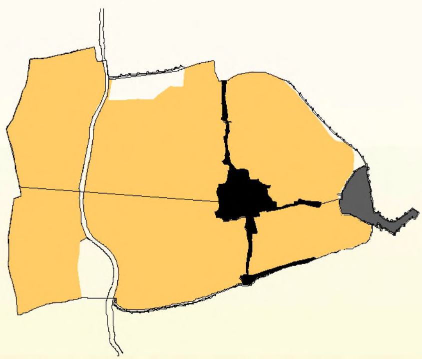




٤



٥



٦

وفق المحددات التاريخية والمعمارية ومخططات المدينة (القرن١٧ - ٢١م) أمكن رسم تصور لنمو وتطور مدينة صنعاء القديمة منذ نشأتها في العصور التاريخية المتعاقبة.

١. النشأة الأولى للمدينة (قبل بناء السور).

٢. المدينة قبل الإسلام (القرن ٢-٧م)

٣. فجر الإسلام (القرن١-٦هـ/٧-١٢م)

٤. صدر الإسلام (القرن٦-١٠هـ/١٢-١٦م)

٥. العصر الحديث (القرن١٠-١٤هـ/ ١٦-٢٠م)

٦. العصر الحديث (١٣٨٢-١٤٢١هـ/ ١٩٦٢-٢٠٠٠م)

مجمع (العرضي) وفي الغرب شيدت المنشآت الخدمية، حيث جاورت المستشفى سور مجمع (المتوكلية) وبعد خروج العثمانيين وفي سنة (١٣٣٧هـ/١٩١٨م) ضمت إلى مجمع المتوكلية وبنى الإمام دار السعادة في وسطها ووجهه بميل باتجاه القبلة (الكعبة) وخصَّصَ الجزء الشمالي المتبقي من المستشفى في هذه المجموعة لوظيفة بيت المال، وهو حالياً يرمم لإلحاقه كجزء من المتحف الوطني، ونقل المستشفى إلى منشأة مستحدثة جنوب غرب حي بير العزب (المستشفى الجمهوري حالياً).

وأقيمت كذلك المدرسة الصنائعية في ميدان التحرير والتي حوَّلها الإمام يحي إلى دار ضيافة وهي المتحف الحربي حالياً.

المرحلة الثانية (١٣٧٠- ١٤٢١هـ/ ١٩٥٠-٢٠٠٠م)

لقد اعتمدت سنة (١٩٥٠م) بداية لهذه المرحلة كونها تمثل بداية استخدام الخرسانة المسلحة في اليمن غير أن سنة (١٩٦٢م) تعد نقطة تحول عمراني ومعماري وبالأخص في مدينة صنعاء، ولخصوصية الدراسة وإطار مجالها المحدد، مدينة صنعاء القديمة، سنستعرض أهم التحولات والمؤثرات العمرانية المعمارية، على المدينة في هذه المرحلة لا سيما بعد إزالة أجزاء كبيرة من سور المدينة وهدم كل الأبواب ماعدا باب اليمن، كما تم هدم سجن الــرادع وبعض المباني والمنشآت الأخرى. وظهرت في هذه المرحلة المباني والمنشآت المشيدة بالخرسانة المسلحة المحاكية في طرازها لأسلوب العمارة الحديثة تقريباً على أطراف الأجزاء المهدمة للسور في باب اليمن، باب شعوب، باب السبحة وشارع علي عبد المغني وميدان التحرير وليس ذلك فحسب بل وشغلت المباني في هذه المرحلة مساحات بعض البساتين كحارة بستان شارب ومعظم حارة الطبري وحارة الحرقان وجزء من حارة نعمان وجزء من بستان السلطان.

وفي حين اعتمدت معظم المباني المستحدثة آنذاك نمط العمارة التقليدية في صنعاء شكلاً إلا أن مساقطها صارت أكثر انتظاماً، صريحة الشكل، على هيئة مربع أو مستطيل في الغالب كما غطيت الفتحات في الطوابق الأرضية (النوافذ) بالبلور والخشب وحصنت بأسياج حديدية.

أما الطوابق العليا فقد اتسعت نوافذها وعقود قمرياتها مع اعتماد الكثير منها على تكرارها المنتظم على مساحات الواجهات، وباستغلال الطابق الأرضي في الكثير منها للسكن والمعيشة ترتب على ذلك إعادة توزيع فضاءات المبنى السكني وتقلصت بعض الفضاءات الوظيفية، كالحوي والكُرس والبئر (المنزعة) والطِّبِّيْق والكُمَّة والعَجَمِي وغيرها.

ولتسارع عمليات البناء والتشييد المستحدثة في هذه المناطق لمدة زمنية قصيرة نسبياً من ناحية. وللإمكانيات المادية المحدودة جداً لملاكها والتي مثل الموظفون والعمال أعلى نسبة بينهم وأغلبهم ممن قدم من الريف، فإن هذه المباني تميزت بصغرها وقصر علو ارتفاعها إذ لم تتعد الثلاثة طوابق.

واتسعت واستقامت الطرقات والأزقة مما أدى إلى اختفاء نمط الساحات المعروفة بـ(الصرحات).

ومن أهم مميزات هذه المرحلة أيضاً الاستخدام المكثف للحجارة في البناء وعلى الرغم من أن مادة الحجارة قد استخدمت سابقاً كمادة بناء وتشكيل للمباني والمنشآت الدينية والعسكرية والعامة إلا أنها في هذه المرحلة استخدمت في المباني السكنية أيضاً وكمادة بناء رئيسية دون الياجور ولا سيما القصور مثل دار الشكر ودار الحمد ودار الوصول، القصر الجمهوري ...

وأنتشر العمران في صنعاء لتلتصق الضواحي القريبة من مدينة صنعاء القديمة بالمدينة مثل شعوب ومسيك وبير العزب والصافية وسفح جبل نقم، وتكثف العمران في بير العزب وامتد باتجاه مجرى السايلة الغربية لحقل صنعاء، الدائري حالياً بين سنتي (١٣٨٢-١٣٩٥هـ/١٩٦٢- ١٩٧٥م). واتسعت وخرجت عن حدودها التاريخية، وفي الربع الأخير للقرن (٢٠م) تسارعت كثافة البناء وتوسعت المدينة لتبلغ ما بين جبليها (نقم وعيبان) وامتدت في كل الاتجاهات لتشمل ضواحيها السابقة، وأهم ما حققته مدينة صنعاء القديمة في هذه المرحلة ضمها إلى قائمة التراث المعماري الإنساني العالمي (١٩٨٠م) وبدء الحملة الدولية لحمايتها والحفاظ على تراثها المعماري وإنشاء مكتب تنفيذي للحفاظ عليها وإحيائها والذي تحول سنة (١٩٩٠م) إلى هيئة عامة للحفاظ على المدن التاريخية. وساعد ذلك في نشر الوعي بأهمية التراث والتراث المعماري لدى المثقفين والعامة على حد سواء وانعكس فيما بعد على العمارة الحديثة لمدينة صنعاء الكبرى. والذي ارتقى نسبياً في العقد الأخير من القرن العشرين (١٩٩٠-٢٠٠٠م).



صور جوية (١٩٧٣م)، م/ مصلحة المساحة



١. مدينة صنعاء القديمة بداية القرن العشرين الميلادي







٢ . مدينة صنعاء القديمة بداية القرن الحادي والعشرين الميلادي

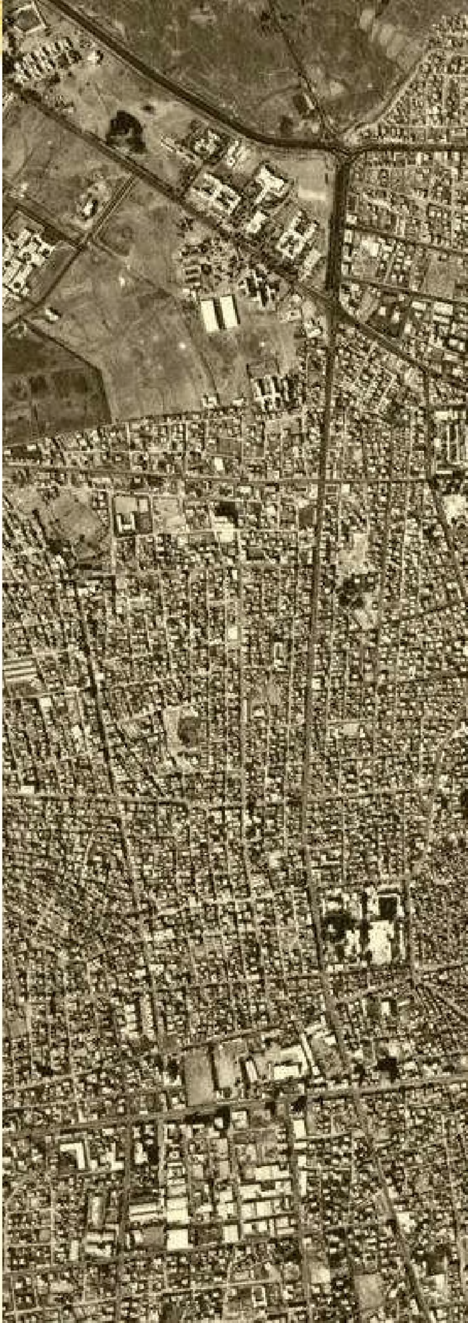


الهوامش

١ . الحبيل: هو الجبوب وهو الأرض المرتفعة الممتدة من سفح الجبل.

٢ . الآطام: المباني العالية (المباني البرجية).

٣ . الرازي، أحمد بن عبد الله الصنعاني؛ "تاريخ مدينة صنعاء"؛ تحقيق: حسين العمري؛ دمشق؛ ط٢؛ ١٩٨١م، ص (١١٢، ١١٣).



صور جوية (١٩٩٤م) المصدر الأساس: مصلحة المساحة

عناصر تكوين النسيج الحضري للمدينة

(المكونات)



عناصر ومفردات المدينة تتألف من منشآت ومبانٍ كبيرة ومتوسطة وصغيرة وفضاءات مغلقة أو مكشوفة، وبارتفاعات متباينة عن مستوى سطح الأرض المتدرج في مستوياته، خطوط الكنتور. وهذه العناصر ومفرداتها هي منظومة عمران المدينة وتخطيطها الحضري تنمو وتتطور بشكل تكاملي تلبيةً لمتطلبات المتغيرات الزمانية المتنامية عصراً بعد عصر. ولهذا ومنذ نشأة المدينة وبناء سورها فإن عناصر ومفردات تشكيل فضاءاتها الوظيفية داخل محيط سورها لا تتكامل إلا بالفضاءات الوظيفية والتي يتوجب إنشاؤها خارج السور ولعدة أسباب موضوعية، بيئية، اجتماعية، دينية، ثقافية، مثل أفران حرق طوب الياجور (المحارق) والمقبرة ومصلى العيدين (الجبانة) وهكذا الحال مع الكثير من الفضاءات الوظيفية من منشآت ومبانٍ أقيمت خارج سور المدينة وبأزمان وعصور متلاحقة.

ولعدة اعتبارات حضرية فهي جزء مكمل لمنظومة التركيب الحضري لنسيج المدينة، وإذا كانت دراستنا قد تحددت في الحيز المساحي لمدينة صنعاء القديمة المعلوم بسورها فإن حصر عناصر ومفردات تكوين المدينة في العلاقات الوظيفية داخل حدود السور يعطي صورة ناقصة ومشوهة لمدينة اتسمت بتكامل علاقتها الوظيفية على مر العصور حتى عصرنا الراهن. ولهذا وان جاء عرض مواضيع هذه الدراسة من الكلي إلى الجزئي للموضوعات العامة إلا أنه عكس في تناول كل موضوع من الكلي إلى الجزئي، وإذا كانت المواضيع ذات استقلالية فإن أجزاءها أيضاً لها نفس هذه الخاصية وتتكامل معاً في علاقات ربط واتصال وفقاً لمضامينها الموضوعية والذاتية.

وعلى الرغم من صعوبة التنقل داخل مدينة أو حي أو السفر بين البلدان دون خارطة تعريفية توضح المعالم بمسمياتها فإنه لا يمكن الانتقال بين موضوعات هذه الدراسة، الرئيسية والجزئية، إلا بمعرفة شمولية تعتمد الاستعراض الموجز التعريفي لأهم عناصر ومفردات التكوين العام لنسيج المدينة الحضري من حيث النوع الوظيفي للعنصر (الفضاء) وبموضوعية أكثر وضوحاً ودلالة للمعنى سيتم ترتيبها وفق المجموعات الوظيفية الحضرية العامة. والزيادة النسبية في شرح بعض العلاقات والعناصر والمفردات تعني المزيد من الاهتمام لمواضيع جزئية فرعية تم تناولها في الدراسة بإيجاز لموضوعات خاصة، ولكنها تداخلت في الكثير من المواضيع ذات العلاقة أو في هيكلية العلاقات التخطيطية والتصميمية للمدينة والحي والحارة والسوق... ولهذا وإن أتت بعض الصيغ بعبارات أو جمل في أكثر من موضوع فإن ذلك له ما يبرره ولاسيما في إيضاح الكثير من معاني هيكلية العلاقات للأشكال البيانية، روابط مباشرة وغير مباشرة قوية وضعيفة، خصائص وقيم.

المنشآت الدفاعية والإدارية - السياسية - الكبيرة

- **القلعة (قصر السلاح):** متصلة بالمدينة من جهة الشرق وهي ذات وظائف عسكرية إدارية واقتصادية.
- **قصر المتوكل (المتوكلية):** غرب سور المدينة وهو ذو وظائف سكنية خاصة وإدارية.
- **حامية باب اليمن:** وهي شرق ساحة باب اليمن الخارجية ووظيفتها في الأساس عسكرية.
- **كلية القيادة والأركان:** والمبنى في الأصل كان مقراً للوالي العثماني ومقر رئيس الاستئناف ثم حوله الإمام يحيى مدرسة للحربية ومن بعد ذلك صار البناء مدرسة صناعية وبجانبها مدرسة للأيتام.
- **السجون:** في صنعاء القديمة ثلاثة سجون أحدها في القلعة ويسمى سجن (القلعة) والثاني سجن (الرادع) في الجهة المقابلة للمتحف الوطني، موقف سيارات حالياً، وكان ملتصقاً بباب الشقاديف، والثالث هو سجن خاص بالنساء (بيت الزوقبي) ويقع شمال غرب القلعة.


١٩٢٧م، م/ م ت د م



١

المنشآت الدينية والتعليمية

- **المسجد الجامع (الجامع الكبير).**
- **المسجد.**
- **المدرسة (الإسلامية):** وكانت تلحق بالمسجد وتستخدم فضاءاته الوظيفية في التعليم الديني والعام أما التخصصي العالي فكان في الجامع الكبير أو البكيرية ولكل من مسجدي (قبتي) المرادية والبكيرية تسمية المدرسة (الصفة المؤنثة) وأنشأها الأتراك خاصة لهذا الغرض.
- **المدرسة (الصنائعية):** أسسها في سنة (١٣١٣هـ/ ١٨٩٥م) الوالي العثماني حسين حقي حلمي لغرض التعليم والتأهيل الفني، وجلب لها الخبراء والمدرسين من إسطنبول، وأقيمت خارج سور المدينة بإتجاه الغرب، ميدان التحرير حاليا، وتغير استخدامها الوظيفي أكثر من مرة ووظيفتها اليوم متحف حربي.
- **المدرسة العلمية:** أنشئت سنة (١٣٤٤هـ/ ١٩٢٥م) للتعليم بمنهجية عصرية، وتقع في ميدان شرارة (ميدان التحرير) غربي باب السبحة في حي بير العزب.
- **مدرسة الأيتام:** تقع شرق حارة صلاح الدين، أعالي حي القطيع.
- **مصلى العيدين (الجبانة):** وهي ساحة محاطة بسور لصلاة العيدين وتقع خارج سور المدينة الشمالي.
- **الضريح:** وتبنى فضاءات الأضرحة الكبيرة داخل حرم المساجد الكبيرة أو على جدار أسوارها ويسقف في العادة بقبة كما يوجد داخل صنعاء القديمة عدد من القبور الخاصة والأضرحة خارج حرم المساجد والمدارس.
- **المقبرة:** المقابر الكبيرة خارج سور المدينة وأكبرها وأهمها مقبرة خزيمة جنوب غربي السور ويوجد عدد قليل جداً من المقابر الصغيرة داخل سور المدينة ولوجود مقبرة في حي السرار ما بين حارات الطبري وسمرة والحرقان فإنه من المرجح أن تكون هذه المقبرة قد أنشئت قبل توسع المدينة باتجاه الغرب وباستحداث حي السرار الغربي، وكذلك الشأن مع المقبرة الواقعة شمال حارة معمر على الطرف الجنوبي لبستان الميري.

كما توجد بعض المقابر الصغيرة في مساحات مجتزأة من البساتين مثل المقبرة التي تقع شمال مسجد الوشلي جنوب مقشامته وملاصقة لسوره وتستخدم حالياً كمقبرة للأطفال (الخدج، الجنين بعد اكتمال أهم مراحل تكوينه التشخيصي، أوحديثي الولادة) وقد امتد البناء داخلها من الجهة الغربية



٢

حتى صارت بعض شواهد قبور المشائخ وأئمة العلوم الدينية المنقوشة على ألواح رخامية ملتصقة به.

المنطقة السكنية

السكن الاجتماعي هو أساسها وهي تتألف في تكويناتها من أحياء وحارات ووحدات سكنية ومبانٍ وعلى النحو الآتي:

- **الحي:** أكبر التجمعات السكنية، ولصنعاء القديمة ثلاثة أحياء هي:
  - القطيع: وهو أقدمها ويقع شرق سوق المدينة.
  - السرار الشرقي: وهو أكبرها مساحة وسكاناً ويأتي غرب القطيع ويمتد حتى ضفة السايلة (السرار).
  - السرار الغربي: وهو أحدثها، وتسميته بالسرار الغربي نصطلحه ولأول مرة للتعريف وذلك لصلته بالسايلة وهو بهذا يكون على غرار السرار الشرقي والذي ميزناه عنه، وهو أصغرها ويمتد من الضفة الغربية للسايلة حتى حدود السور الغربي، شارع علي عبد المغني حالياً بعد هدم السور.
- **الحارة:** وهي الوحدة الحضرية الأساسية لتكوين الحي والمدينة وتشكيل نسيجهما.
- **الوحدة السكنية:** وهي البنية الأساسية المكونة للحارة السكنية وتكوينها المعماري.
- **المبنى السكني:** وهو وحدة التكوين الأساسية للوحدة السكنية والعنصر الأكثر كثافة في المدينة.

المنشآت والمباني الإنتاجية التجارية الصناعية/الحرفية

وتتركز معظمها في سوق صنعاء وهي:

- **الأسواق الإنتاجية والتجارية:** المتخصصة مهنياً، المنجارة والمحدادة والجنابي والعسوب والفضة والمصبغة.
- **معصرة الزيت (السليط):** سمسم (جلجلان)، خردل (ترتر)...
- **فرن طوب الياجور (المحراق):** وهو خارج السور في الضواحي.
- **المدبغة:** وجدت بكثرة في حارة الطواشي وكذلك في الجهة الغربية لباب شعوب ملاصقة للسور.
- **أسواق السلع والبضائع:** ذات المحلات التجارية (الحوانيت).
- **أسواق البضائع والمواد والبهائم:** ذات الساحات المكشوفة والمتخصصة، البقر والجمال والحمير والحطب والجزارين...

السايلة

١. (١٩٧٠م)، م/ م ت د م ٢. (٢٠٠١م)



١



٢

المنشآت والمباني الخدمية

وتتركز معظمها في سوق صنعاء ومن أهمها:

- **المخبازة:** أفران الخبز.
- **المطعم والمقهى (المقهاية الصغيرة):** منتشرة في السوق.
- **سبيل الماء و (المحسنة):** مباني خدمية صغيرة لسبل الماء للمحتاجين.
- **الحمام الساخن:** ويوزع على أحياء وحارات وسوق المدينة وفق أسس ومعايير محددة.
- **المخازن:** وهي نوعان من حيث الشكل:
  - **مخزن وسوق:** مثل سوق الحب.
  - **سمسرة الخزن:** وهي مخزن وسوق محكم السيطرة مثل سمسرة الجمرك وسمسرة الزبيب وسمسرة الميزان.
- **الخان (سمسرة الإيواء):** وهي النزل ووظائفها فندقية (للإيواء والخزن والتسوق) وهي نوعان من حيث الحجم والخدمات:
- الكبيرة: خدماتها أكثر تكاملاً وجودة مثل سمسرة محمد بن الحسن وسمسرة النحاس وسمسرة المنصور.
- الصغيرة: وتسمى بالسمسرة أو بالمقهاية وخدماتها محدودة وأقل جودة وأسعارا مقارنة بالكبيرة.

المنشآت والمباني الصحية

- **المستشفى:** وكان مجاوراً لقصر المتوكل (المتوكلية) ثم انتقل إلى غرب بير العزب.
- **محل (حانوت) الحجامة:** ويعني العلاج بالحجامة (نوع من التطبيب التقليدي) وانتشر في سوق المخراطة.
- **حانوت الحلاقة:** وانتشر في أكثر من سوق (الفضة، القات، الملح والنضارة...) وكان الحلاق (المزين) يقوم بعمليات الختان وقلع الأسنان أيضاً.
- **حانوت العطار:** وهو الصيدلية التقليدية ويبيع العطور والأطياب، وللعطارين سوق خاص بهم.

وينتمي إلى هذا النوع أيضاً الحمام الساخن (تم ذكره مع الخدمات) لوظيفته العلاجية الطبيعية للاستشفاء.

المنشآت المائية

صنعاء مدينة عريقة في تاريخ منشآتها وهي حاضرة تخالف الكثير في فكرة نشوء المدن والحواضر القديمة التي نشأت على ضفاف الأنهر والوديان الجارية والبحيرات العذبة وهي أشبه بمدينة مكة في هذا .

وساعد ذلك تطور الفكر الإنساني لساكنها ليبتكر وسائل وطرق الحصول على الماء ونقله لأنه أساس الحياة ووسيلة التحضر.

مصادر المياه:

المصادر الرئيسية في صنعاء هي المياه الجوفية والسطحية والجداول والعيون في المنحدرات الجبلية المحيطة بقاع صنعاء. ويتم نزع الماء وجره بنظامين هما :

- **البئر (البير):** وهي أيضاً نوعان من حيث نزع الماء:
  - **(المنـــزعة):** وينزع الماء منها يدوياً وهو من الخصائص المميزة لوظائف المبنى السكني الصنعاني.
  - **(المسنى):** وينزع الماء منه بواسطة الحيوان (الدواب) ونظامه أكثر تعقيداً من المنزعة.
- **(الغيـل):** وهو نظام مائي في عمليات نزع وجر الماء. معقد ويجر الماء فيه من مصدره الرئيسي (العين) عبر قنوات تحت الأرض هي الأفلاج ولمسافات طويلة ويستخدم الغيل للري في الأساس ومن ثم الاستخدام اليومي عند الحاجة للشرب والطهي والغسل...

أنظمة المد والتصريف:

- قنوات وبرك مد الماء من الآبار إلى الفضاءات ذات العلاقة الإستخدامية المباشرة للماء (مطاهير، المساجد، الحمامات الساخنة، السبل...).
- قنوات وبرك تصريف وتوزيع المياه المستخدمة النقية لري (البساتين والمقاشم).
- قنوات وحفر (بالوعات) تصريف وجمع مياه الحمامات (العادمة).
- قنوات تصريف مياه الأمطار إلى البساتين والمقاشم والسايلة وخنادق التصريف إلى القنوات المكشوفة خارج السور.
- مجرى السيل (السايلة) ويخترق المدينة من الجنوب إلى الشمال من حيث الإنحدار في جزئها الغربي.

فضاءات الحركة والربط للمدينة

- **الساحة (الصرحة):** وهي ساحات للتجمعات واللقاءات وتفريغ الحركة داخل المدينة.
- **الطريـــق والزقـــاق:** للمدينة شبكة معقدة من الطرق الرئيسية والفرعية المتباينة في طولها واتساعها.

المساحات الخضراء

وهي ثلاثة أنواع من حيث المساحة وخاصية الاستخدام:

- **حدائق المباني والدور السكنية:** تأتي في مقدمة المباني كأحواش صغيرة (حوي) أو في وسط المجموعة السكنية الكبيرة.
- **(المقشـــامة):** وهي مزرعة صغيرة تستفيد من المياه العادمة للوضوء والإستحمام في مطاهير المساجد، ويتجه إنتاجها الزراعي للفجل (القشمي) والسلطات والرياحين وملكيتها وقف.
- **البستان:** أكثر اتساعاً في مساحته عن المقشامة وغالباً ما يكون في أطراف أحياء المدينة وله نفس الخصائص الإنتاجية للمقشامة ويزيد عنها في كثرة وتنوع الأشجار الكبيرة المثمرة وهو في الغالب ملك خاص.

الحقول الزراعية والمنتجعات(المخارف)

وهي الحقول والمزارع التي إنتشرت على إمتداد قاع صنعاء وروافده من الوديان، وفيها انتشرت المنتجعات ومناطق الاستجمام وأماكن التنزه والفسحة، وكثر ذكرها في المصادر التاريخية بتسمية (المخارف) وذلك نسبة إلى موسم نضوج الفاكهة الثمرة (الخريف).

ويخرج أهل صنعاء قاصدين مزارعهم وبساتينهم الخاصة ومن لا يملك يخرج برفقة الجار أو القريب أو الصديق ذي الأملاك أو يقصد الأماكن العامة كتقليد ساد اليمن عموماً حتى وقت قريب جداً وله دلالة أيضاً في هذا المعنى، فالأملاك الزراعية ذات التميز والخاصية السياحية مشاعة للكل في التنزه فيها بما في ذلك تذوق كل أصناف ثمارها وخضارها في الموقع دونما إخراج، ولهذا تكونت علاقات عائلية بروابط قوية تبادلية ساعدتها الأخرى في الترويج وتسهيل التسويق للمنتجات، وأهم هذه المناطق هي (الروضة والجراف) شمالاً و(وادي ضهر وعَصِر) غرباً و(حدَّة) جنوباً وغيرها.

حارة طلحة

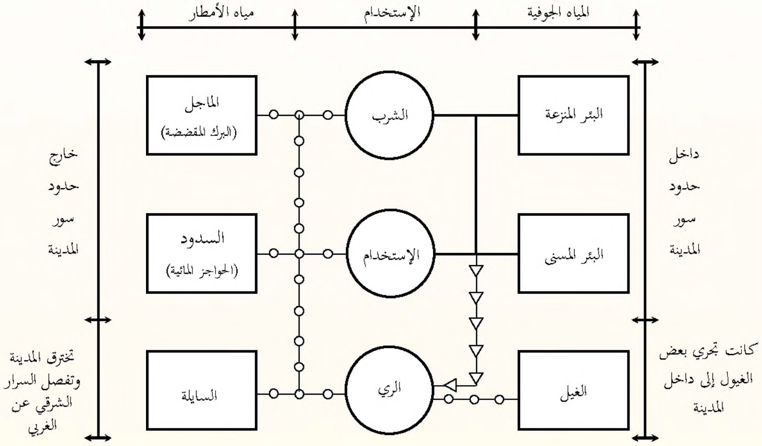
١. (١٩٢٧م)، م/ م ت د م   ٢. (٢٠٠١م)



١

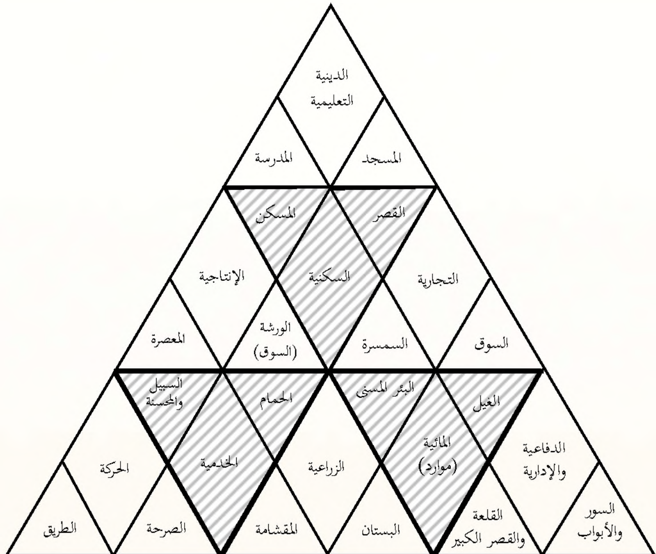


٢



مصادر الماء للمدينة داخل وخارج حدود أسوارها

شرب وإستخدام يومي (علاقة مباشرة قوية) — إستخدام يومي، ري وشرب (علاقة مباشرة ضعيفة) — ري (علاقة غير مباشرة قوية)



الحصن والنوبة	السجن	السايلة والغيل	المزرعة والحقل	أفران (الياجور،النورة والقص)	المستشفى	المدرسة الصنائعية	الجبانة والمقبرة
الدفاعية	الأمنية	المائية	الزراعية	الانتاجية	الصحية	التعليمية	الدينية والروحية

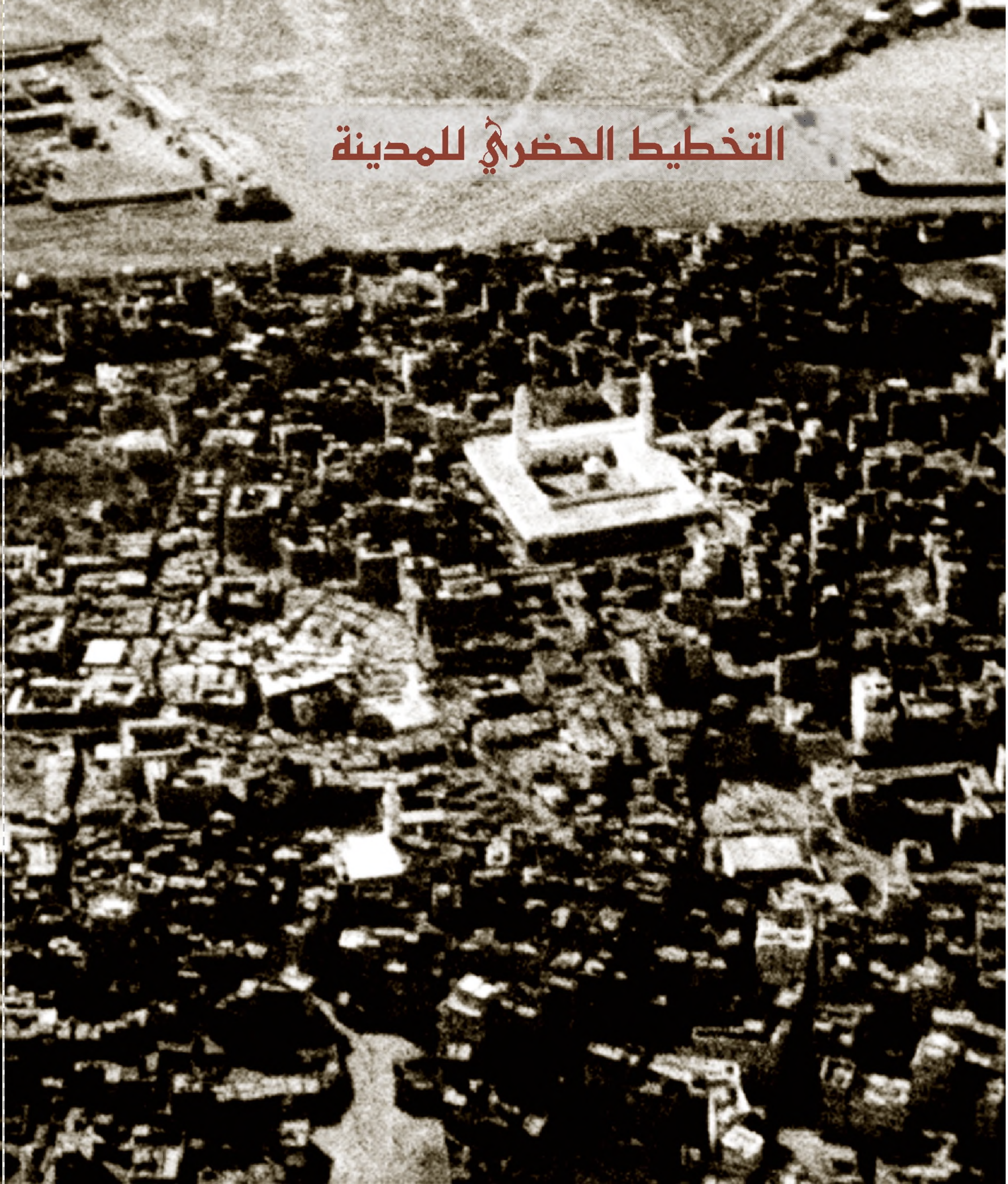
المكونات الأساسية لتشكيل النسيج المعماري لمدينة صنعاء القديمة

يحدد الهرم العلاقات داخل حدود (سور المدينة)، وقاعدته المستطيلة تحدد العلاقات خارج حدود (سور المدينة)

١. الركن الجنوبي الغربي للقلعة (قصر السلاح) والطريق المؤدي إلى الميدان من حارة الباشه (١٩٧١م)، م/ م ت د م.

٢. أفران حرق الياجور في ضواحي المدينة (١٩٢٧م)، م/ م ت د م.

التخطيط الحضري للمدينة



صنعاء القديمة مدينة ذات نسيج متشابك من المباني والشوارع والاستعمالات الأخرى وقد يبدو تخطيطها عشوائياً غير منظم، ولا يتبع أسساً منطقية في التخطيط، ولكن الدراسة المتعمقة لها ولكيفية استعمالات أرضها ولفلسفة تخطيطها العمراني وأسلوب الحياة فيها تظهر أن الحقيقة غير ذلك، إذ تقوم فكرة التخطيط على تقسيم المدينة إلى مناطق متكاملة ومترابطة.

وإذا كان السوق هو قصبة نشأة وتطور المدينة ومركزها الاقتصادي والاجتماعي والثقافي (المركز المادي- الروحي) فإن المسجد الجامع (الجامع الكبير) هو مركز المدينة الديني والثقافي والاجتماعي (المركز الروحي- المادي) ولا يحتل موقع المسجد الجامع تخطيطياً في المدينة اليمنية إسلامية النشأة أو ذات النشأة القديمة، ما قبل الإسلام والمستمرة، المركز المساحي للمدينة، وإن مثل المركز الروحي لها وذلك لاعتبارات أمنية وسياسية واجتماعية. وعلى الرغم من هذا فإنه يتخذ موقعاً يتصل مباشرةً بالسوق أو على محوريته[١]، وقد يأتي في أطراف المدينة بالقرب من سورها وأحد أبوابها، كزبيد وجبلة وشبام كوكبان وغيرها، وجامع صنعاء كغيره يجاور السوق ويأتي على محوره الشرقي الغربي، وكانت تفصله مساحة خضراء هي بستان باذان (الدينباد) عن سور المدينة باتجاه الجنوب، وهو لا يبعد كثيراً عن باب اليمن، أما نشأة الحارات حول الجامع بالاتجاه الشرقي والجنوبي والغربي والتي قامت على أرضية بستان باذان (الدينباد)، وعلى مر الزمن ولا كثر من ١٢٠٠ سنة مضت فإن مباني هذه الحارات وتعرج شوارعها وأزقة الممرات المؤدية للجامع من باب اليمن تجعل الزائر، وإن تعددت زياراته للموقع، يشعر بإحساس المدرك الواعي للمكان ومعانيه فيجزم بأن الجامع الكبير يتوسط المدينة، إن النهج التخطيطي لموقع الجامع الكبير في المدينة اليمنية الإسلامية يأتي أساساً للاعتبارات الاجتماعية والسياسية والأمنية معاً، وللاعتبار السياسي والأمني يكون الفاصل بين الجامع وسور المدينة مفتوحاً وكذلك الطريق، الممر إلى أقرب أبوابها يكون سالكاً وآمناً وتكون الحركة فيه سهلة ومرنة للحاكم (ولي الأمر) من وإلى الجامع الكبير الذي يمثل المقام الروحي والسياسي الأول.

وصنعاء وبقية المدن التي أشرنا إليها أعلاه هي الأخرى كانت عواصم لدول يمنية تناوبت أو تزاحمت على حكم اليمن منذ سنة (٢٠٤هـ/٨١٩م). وبهذا الصدد فإن جملة المبادئ التي حددتها المعايير والأحكام (القرآن والسنة) ودعمتها الاجتهادات الفقهية قد أرست قواعد تخطيطها التجربة المتواترة لعمارة المسجد في المدينة الإسلامية كما استنبطت منها المعايير القياسية التخطيطية والتصميمية وفق المحددات البيئية والعمرانية.

والسوق والجامع الكبير يكونان معاً أساس التكوين العام لنسيج المدينة والمركز الموجه لمحاور نمو وتطور هذا النسيج[٢]، والذي تمثل الحارة فيه الخلية الأساسية في تكوين المدينة وتحتوي على الخدمات الضرورية، كما يوفر تكوين نسيجها الفضائي سبل التعارف والتآلف بين السكان وبمختلف الفئات والشرائح الاجتماعية وبين الغني والفقير ومتوسط الحال[٣]، وقليلاً ما تسكن العائلات ذات العلاقة القبلية الواحدة في حارة واحدة، ولهذا فإن تأثيرها يذوب وينصهر بفعل التأثير العام للتركيبة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية للمدينة.

وكون الحارة وحدة الأساس لتكوين نسيج الحي والمدينة، فإن المبنى السكني هو وحدة الأساس في تكوين نسيج الحارة ويأتي المسجد مركزها (الروحي، المادي) والصرحة مركزها (المادي والروحي). وتكوين النسيج المعماري للمدينة والحي والحارة لم يعتمد في صياغته التخطيطية على المعطيات الإنسانية فحسب بل وعلى المعطيات البيئية الطبيعية أيضاً في منظومة متكاملة من العلاقات البيئية

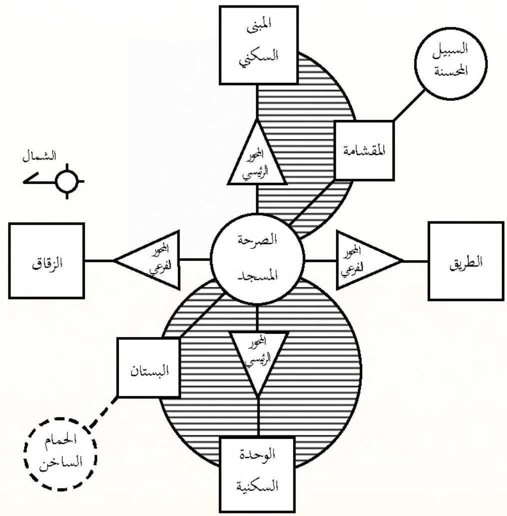


والاجتماعية والاقتصادية والثقافية التي عملت جميعها في نسج التكوين المعماري للمدينة منتجة بذلك طرازاً معمارياً تميز عن غيره تاريخياً باعتماد نظام العمارة البرجية ذي التوجه الراسي (تعدد الطوابق للمبنى السكني) ومن أهم خصائص هذا التوجه المعماري تخطيطاً هو تكامل الحلول والمعالجات الاجتماعية والبيئية. والانفتاح إلى الخارج بدلاً منه إلى الداخل وتوجيه الفضاءات بغية تتبع حركة الشمس والرياح للحصول على الإضاءة والتهوية المطلوبة. ولهذا توجب إيجاد فضاءات خضراء (الحدائق والبساتين والمقاشم) في أطراف الحارات، وفي وسطها أتت الساحات (الصرحات) والطرقات والأزقة والتي أوجبتها الضرورة والحاجة للحركة والربط من ناحية والإضاءة والتهوية من ناحية أخرى، بالإضافة إلى ما تمليه معطيات الأمن والدفاع وغيرها[٤].

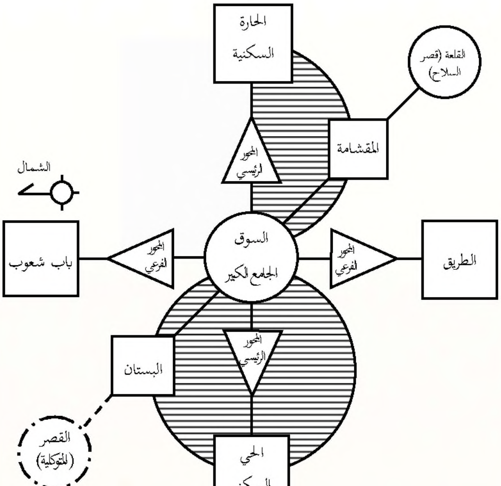
وإذا كانت هذه المعطيات تمثل المرتكزات الأساسية في نهج تخطيط المدينة فإن هناك عدداً من المعطيات التي لا تقل أهمية عما ذكر، ومجمل هذه المعطيات متكاملةً صاغت أهم المبادئ والأسس التخطيطية والتصميمية المعمارية لطراز عمارة صنعاء ونسيجها المعماري، والذي اعتمد في الأساس على التراكم المعرفي المعماري المتواتر والمتزن في حركة نموه وتطوره منذ النشأة الأولى للمدينة، وحتى مجيء الإسلام والذي أحدث تحولاً كبيراً في النهج الفكري والتخطيطي والتصميم له لتعود بعد ذلك عجلة تسارع النمو والتطور للإنتظام مرة أخرى في إعادة صياغة المبادئ والأسس وبتواتر منتظم ولنحو ١٤٢٢ سنة تقريباً.

والحديث عن هذه المبادئ والأسس وعن خصائصها وبتفصيل أكثر وأدق يأتي في سياق مواضيع هذه الدراسة والتي اعتمدت التكامل بالربط الموضوعي بين العلاقات التخطيطية والعلاقات التصميمية.

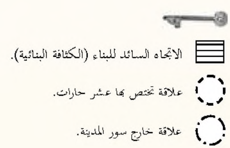




علاقات التكوين الهيكلي الأساسي للحارة



علاقات التكوين الهيكلي الأساسي للمدينة

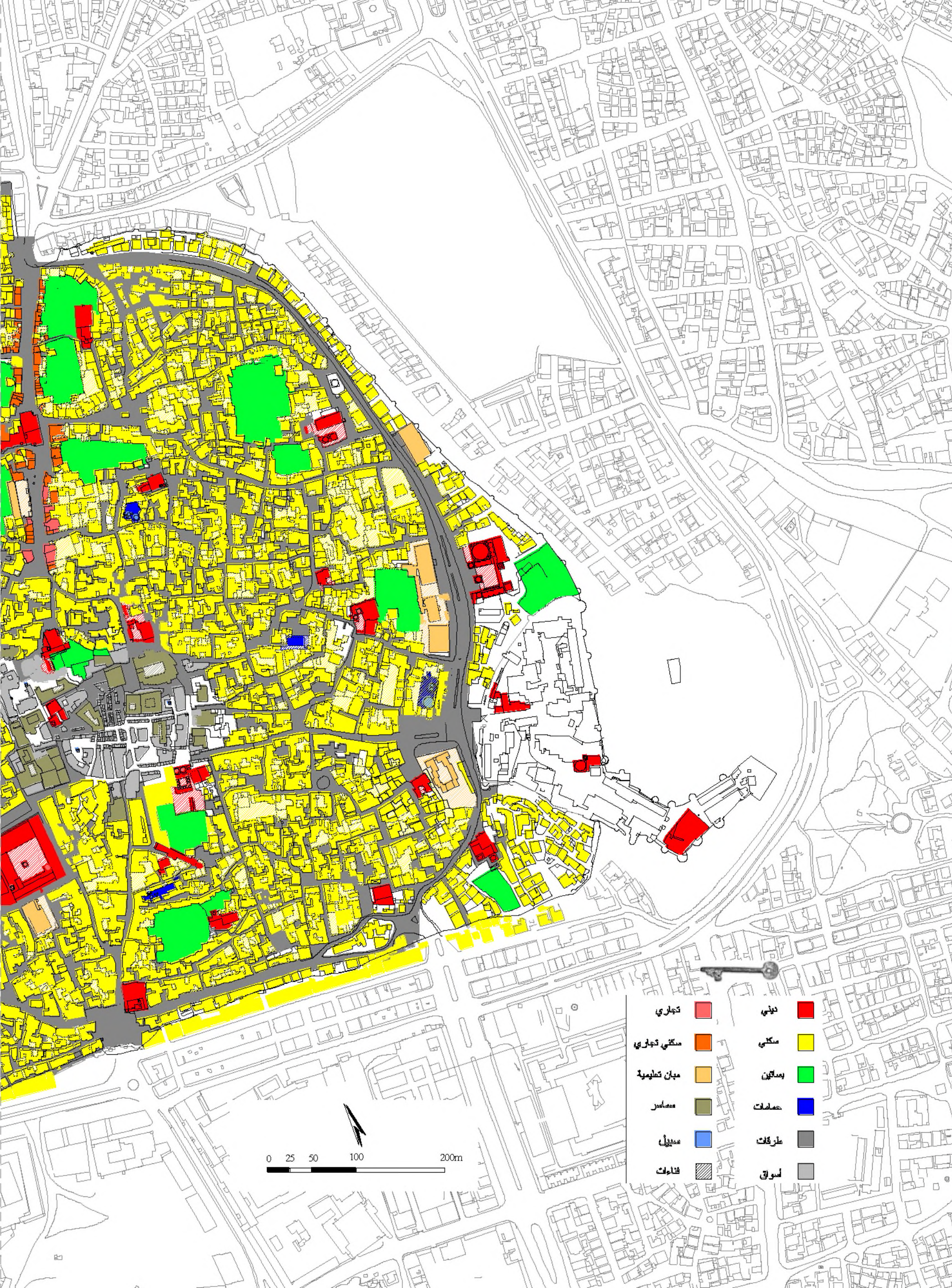


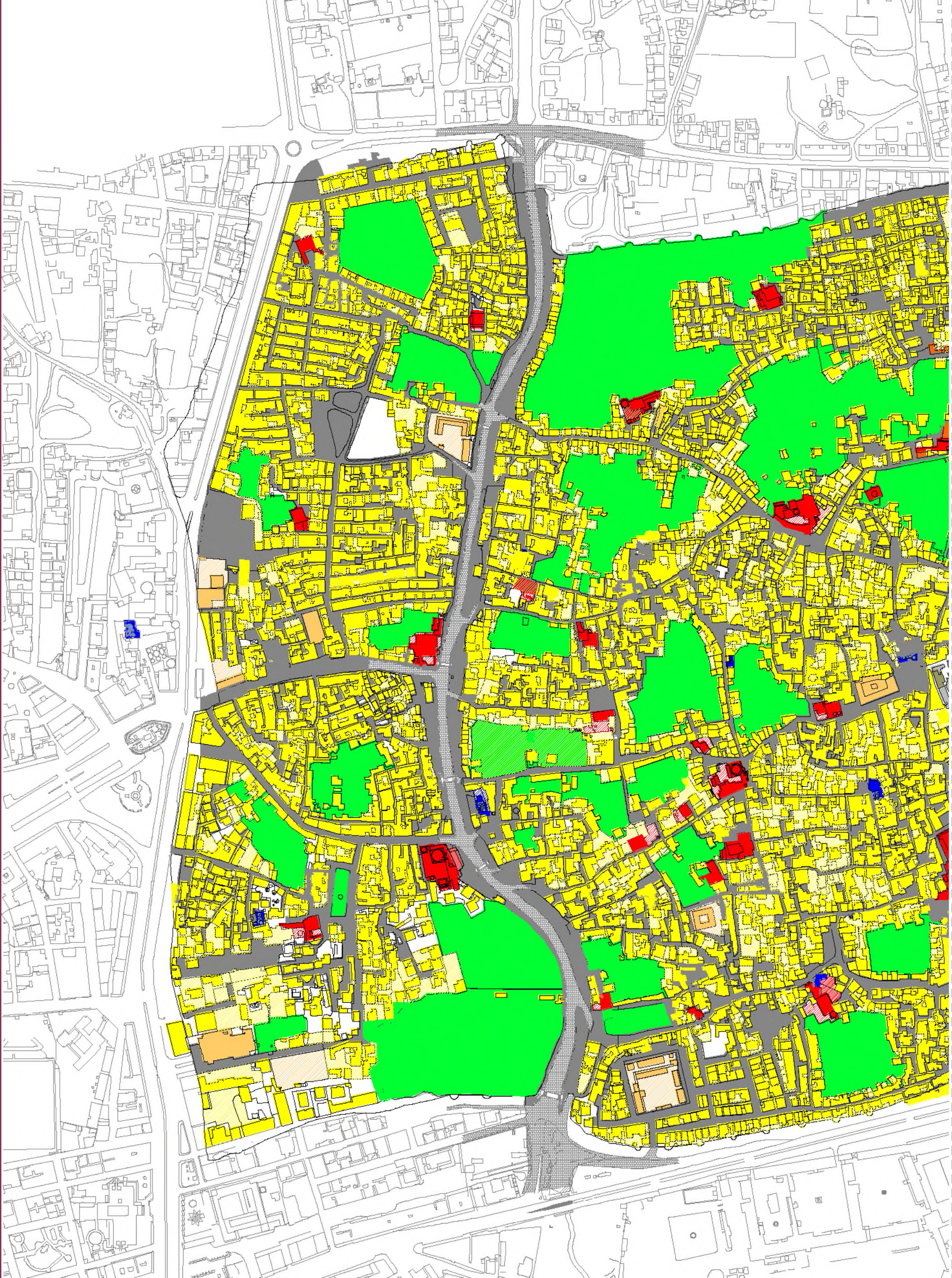
علاقات التكوين الهيكلي الأساسي واتجاهات محاورها الرئيسية والفرعية المحددة لمسارات الحركة والنمو والتطور والكثافة النسبية للبناء والمساحات الخضراء لمدينة صنعاء القديمة والحارة السكنية فيها (الحارة بحدودها القديمة أساس التوجه العام في علاقات هيكل التكوين الأساسي للحارة واتجاهاتها).

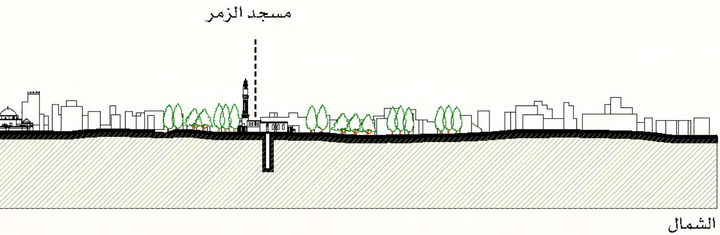
العلاقة / الاتجاه	للحارة	للمدينة
المحور الرئيسي		
المحور الفرعي		
النمو والتطور (التوسع)		
الكثافة النسبية للبناء		
الكثافة النسبية للمساحة الخضراء		
الإدارة والأمن		

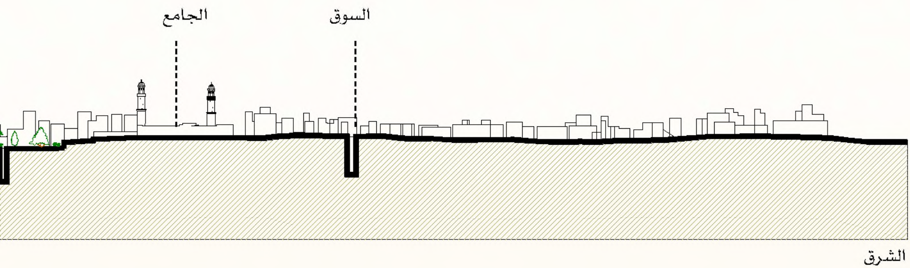


جدول يوضح بالمقارنة الاتجاهات الأساسية لعلاقات التكوين الهيكلي الأساسي لكل من الحارة والمدينة


ديني
سكني
بساتين
حمامات
طرقات
أسواق
تجاري
سكني تجاري
مبان تعليمية
معاصر
سبيل
قناوات
0 25 50 100 200m

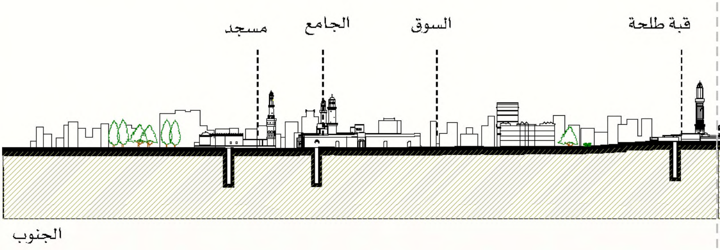



مسجد الزمر
الشمال

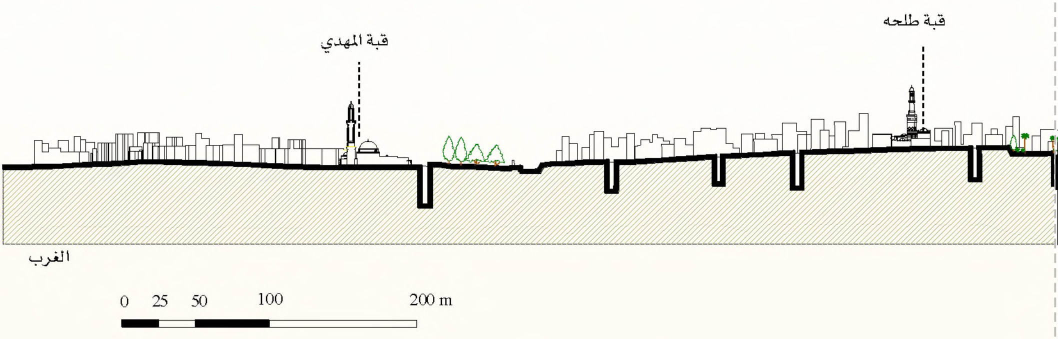

الجامع
السوق
الشرق



١. قطاع المدينة من محورها الرئيسي الجنوبي الشمالي
٢. قطاع المدينة من محورها المتعامد الشرقي الغربي
٣. مدينة صنعاء القديمة من الجهة الجنوبية الغربية



١



٢

٣



الطرقات

تأتي أهمية الطرقات في تخطيط المدينة باعتبارها الشريان الحيوي والرئيسي للحركة في منظومة التكوين للهيكل الأساسي للمدينة والذي يتمثل في تكوينات الفضاءات الوظيفية المعمارية لها، وترتبط هذه الطرق ارتباطا وثيقا وعضويا بمنشآتها ومبانيها المختلفة، وبنوعية وسائط النقل المستخدمة، ومن ثم تبرز العلاقة القوية المتدرجة بين الطرق والأزقة من جهة وبينها وبين الساحات (الصرحات) والمنشآت والمباني من جهة أخرى، وهي علاقة توضح مدى تأثير كل منها على الأخرى.

لقد تدرجت شبكة الطرق في مدينة صنعاء القديمة من الاتساع إلى الضيق وتنوعت فيما بينها. وهناك طرق متسعة نسبيا وطرق أقل اتساعاً وطرق تتسم بالضيق والالتواء، وهذا ناتج لظروف التخطيط، وجاءَ توزيع الطرق والأزقة وفق معطيات الحركة وبما يتلاءم مع الاحتياجات والعوامل البيئية.

أنواع طرق المدينة

تنوع شبكة طرق مدينة صنعاء القديمة جاء نتيجة لتنوع استعمالاتها وأغراضها الاجتماعية، ومن خلال الاستقراء التاريخي لأنماطها ونماذجها وحركة الناس خلالها واستعمالاتهم لها يمكن تصنيفها على النحو الآتي:

الطرق الرئيسية: وهي الفضاءات العامة التي تربط الأحياء بمركز المدينة داخلياً، ومحاور الحركة الرئيسية والبوابات بالطرق الرئيسية الخارجية.

الطرق الثانوية: تمثلها فضاءات شبه عامة تؤدي دوراً وظيفياً هو ربط الساحات (مراكز الحارات) ببعضها البعض من ناحية وبمركز المدينة من ناحية أخرى ضمن النسيج المعماري فيزيائيا واجتماعيا وبصريا.

الأزقة الضيقة: وهي فضاءات شريطية خاصة بسكان كل زقاق. وتتفرع في العادة من الطرق الثانوية وتكون متصلة في نهاياتها مع أزقة أخرى أو تكون مغلقة النهاية وتطل على جانبيها مداخل البيوت. وهي فضاءات اجتماعية مصغرة لسكان الزقاق.

وهذا التدرج الفضائي له أثره في صياغة نمط الحياة ومستوى العلاقات ضمن النسيج المعماري، حيث يقسم الحي والحارة إلى عدة أجزاء صغيرة، خاصة وعامة، لها خصوصيتها المحددة.

ويعكس التتابع التدريجي لفضاءات الأزقة والطرق والساحات سلوكية حركة الفرد وخصوصيته المنعكسة على التكوين الفضائي فكلما ابتعد عن بيته وانتقل إلى الزقاق ثم إلى الساحة العامة وتدرج من فضاء أصغر إلى آخر أوسع كلما كانت حريته في الاحتكاك أكبر إلى أن يصل إلى مركز المدينة.

ويندر أن يوجد زقاق مستقيم، أو يحافظ على عرض واحد، إذ يتعرج بين بدايته ونهايته ويضيق في أماكن ليتسع في أخرى، وتبدو لذلك الطرق عميقة وحضرية في ظاهرها وإن كانت لا تعكس بدقة نمط حياة الناس، ولاسيما أن المساحات الخضراء، البساتين والمقاشم، التي تقع خلف المباني ولا تتصل مباشرة بالأزقة لتغيب لحظياً عن ذاكرة عابريها.

ومن أهم خصائص تخطيط الطرق والساحات هي المعالجات البيئية والتي عمدت إلى تجنب الرياح الضارة، لذا وجهت في الاتجاه المعاكس لاتجاه حركة الرياح الضارة، الشمالية الشرقية، فيما أتت مواتية لاتجاه حركة الرياح الموسمية السائدة، الجنوبية الغربية، ولهذه الخاصية البيئية عمل المعمار على الاستفادة من هذه الخصائص في توجيه البناء، ولذا نجد أن الطرق والساحات قد تم إزاحة مساحتها وبما يحقق أكبر قدر ممكن من أشعة الشمس النافذة إلى داخل فضاءات المباني السكنية وبأعلى إمكانية للحصول عليها وعلى



مدار حركة الشمس بين الشروق والغروب. ولم تتأثر التكوينات المعمارية في المدينة بعامل المناخ فحسب بل تأثرت به أيضا الطرق.

والطريق هو الرابط الذي يصل بين هذه التكوينات، وقد أدى صغر مساحة المدينة إلى التآلف والتقارب بين أهلها، وإلى سهولة الوصول إلى أي نقطة فيها مشيا على الأقدام وحتم ذلك توجيه التكوينات المعمارية كوسيلة طبيعية لتحقيق السيطرة على مختلف الظروف المناخية.

ومما ساعد في هذا هو ترتيب وتوزيع التكوينات المعمارية بصلة الاتصال والالتصاق لمباني الجوار. وسمة علو ارتفاعات المباني وإنتظامها على جوانب الطرقات أثرت في تحقيق نسبة ظل ملائمة تقي المارة في الطرقات والأزقة من أشعة الشمس الحارة، ولمسافات ممتدة توصلهم إلى مآربهم بارتياح نسبي، وأدى ارتفاع المباني من جهتين إلى تحقيق مسطحات ظل تساعد على ترطيب فراغات هذه الطرق والأزقة من خلال تجدد حركة الهواء من أسفل إلى أعلى.

ولهذا نجد نسبة ارتفاع المباني إلى عرض الطرق بين (١:٢) وأحيانا (١:٣) أو (١:٤)، وارتبطت وظيفة شبكة الطرق في المدينة ارتباطا وثيقا بوسيلة النقل المستخدمة قبل الآلة (العربات)، وهي الدواب التي كانت تستخدم في الركوب أو حمل الأثقال، ولهذا ارتبطت مقاييس الطرق باستخدام هذه الوسائل، إذ يعد الجمل من أكبر هذه الدواب، يحمل حملاً يصل إلى ٣٠٠كيلوجرام[٥]، ويحتاج إلى طريق عرضه لا يقل عن (٣م) للمرور فيه في اتجاه واحد مما دفع بالمخططين آنذاك إلى جعل الطرق أكبر عرضاً وذلك للسماح لجملين محملين ومتقابلين للمرور دون حدوث احتكاك بينهما، غير أن بعض الأزقة لا تتسع لمرور الجمل وتأتي جميعها كمسالك لعبور الإنسان أو الدابة الصغيرة (الحمار) وبها وجهت محاور حركة القوافل إلى الطرق الرئيسة والفرعية، وعند الحاجة الضرورية لوصول الأحمال التي تنقل على الجمال إلى المباني التي لا ينفذ إليها إلا عبر الطرق والأزقة الضيقة، فإن ذلك يتطلب إعادة التفريغ والنقل بوسائط أخرى إما على الحمير أو بواسطة الحمالين، وفي هذا عمد المعمار إلى معالجة حركة المرور ومجالات الرؤية في الطرقات والأزقة من خلال شطف أركان المباني وتحويرها وإلى ارتفاع يصل (٣-٥,٣م) بمدادات أو بمقرنص بسيط يساعد على عودة ركن المبنى في الأعلى إلى شكله الأصلي.





وكانت الساحات الموزعة في المدينة تساعد على تسهيل حركة المرور في الطرق والتي لا تتسع لحركة دابتين محملتين باتجاهين متقابلين، إذ تقف إحداهما في الساحة إلى أن تمر الأخرى[٦]. ولهذا جاءت شوارع المدينة ضيقة في العرض وغير منتظمة الشكل، إذ يتغير عرضها من مكان إلى آخر في الطريق الواحد كما تصب فيها دروب ضيقة غير منتظمة. أما الطرق الرئيسية فقد اخترقت المدينة عبر محاورها الرئيسية وتفرعاتها الهامة، وأعطى التغيير في الانتقال من الطريق إلى الساحة أو من الطريق إلى الزقاق... الخ في فضاءات الحارة للمدينة طابعا انسيابيا، وَمَثَّلَ حجوماً فراغية مختلفة ومتغيرة ذات تأثيرات عديدة وقد تتخلل الطريق منحنيات أو منعطفات غير ظاهرة تعمد إلى إغلاق المنظور البصري وتعطي إحساساً بالاحتواء والخصوصية. وأدت عمارة المساجد بقبابها ومآذنها المرتفعة إحساساً آخر لبعض أجزاء الطريق لتجذب انتباه المتحرك بين حارة وأخرى، ولتعطي بهذا عنصر المفاجأة والتشويق والبعد عن الملل. وما يميز الطرق والساحات في المدينة هو التنوع لكثافته وتباين أشكال المساقط واختلاف درجات الميل لعناصر ومفردات تكوينها، وهي بذلك تغاير تنظيم المدينة الحديثة المخططة وفق تخطيط هندسي صارم، وخط مستقيم واضح تتفرع منه الأجزاء الأخرى من شوارع وبيوت. وفي حين تبدو حارات مدينة صنعاء القديمة وكأنها بأزقتها وطرقها وساحاتها فضاءات عفوية التشكيل تنحصر وظيفتها فقط في تمكين الناس من الوصول إلى بيوتهم، إلا أن لها مخططاً للطرق ذا بنية عضوية واضحة ومتدرجة هرمياً. والتي تحددها علاقات الربط والوصل بين العام والخاص، ونجد في هذا أن الساحات الكبيرة (الميادين) توزعت أمام وخلف أبواب المدينة وفي أطراف السوق والجامع الكبير، ومنها تفرعت الطرق الرئيسية والهامة، أما الطرق والأزقة في الحارات فتؤدي في أغلب الأحيان إلى ساحة يطل عليها مسجد الحارة هي (الصرحة) والساحة تمثل انبساط المكان العمراني على مستوى الجماعة، ثم تتفرع إلى طرق وأزقة لكي تؤمن الوصول إلى مختلف مجموعات البيوت المستقلة، أو منها إلى الشوارع التي تربطها بالحارات الأخرى[٧]، أو أنها تنتهي في



١

الطريق

١. (١٩٢٧م)، م/ م ت د م

٢. حارة الفليحي (٢٠٠١م)

حالات عديدة إلى ساحة مسدودة تلتف حولها مجموعة بيوت تنتمي إلى عائلة ذات قرابة أو على الأقل تربط بينها علاقات وثيقة من حسن الجوار والتفاهم.

ويبدو الطريق مكانياً بمثابة فراغ يصل بين البيوت غير أنه من الناحية الاجتماعية يقوم على مفاهيم مبادئ الجوار الإسلامية، وهي أساس العلاقات الإنسانية المنسوجة بين العائلات والبيوت المختلفة في المنظومة الاجتماعية للحارة، كما أن هذه الطرق الصغيرة المتعرجة قد ساعدت على حماية المنازل من الرياح والغبار وشكلت الأزقة شرايين للحركة بمختلف أنماطها داخل الحارة السكنية، وهو نظام يعتمد التدرج في الربط الانتقالي للفضاءات العامة والخاصة والتي تصل الفضاءات المختلفة ضمن نسيج الحارة بعضها ببعض من ناحية ومع الحارات السكنية المجاروة من ناحية أخرى، إن شرايين الحركة تلك لها أهميتها في تحديد مقياس التدرج ضمن النسيج الحضري وهي في نفس الوقت معيار للوظائف الاجتماعية والفيزيائية لنظام الطرق في الحارة تبعا لتدرجها.

وشبكة الطرق في المدينة بمقاييسها وأشكالها واتجاهاتها المتنوعة وعلاقاتها بالتكوينات المعمارية الأساسية والثانوية، ولَّدت جمالية أصيلة يمكن استقراؤها في تحليل العلاقات الوظيفية والجمالية الاستخدامية وقيمها.

ومن حيث النسب والمقاييس نجد أن علاقة الطريق بالمقياس الإنساني في نوعية السيطرة، هي علاقة إنسانية. فالطريق في هذا التكوين ذو أبعاد قياسية إنسانية وتعني جملة من القيم الاستخدامية (الاجتماعية والاقتصادية والأمنية) والتي استمدت معايير قياسية من جسم الإنسان وحركته راجلاً أو محمَّلاً أو راكباً على راحلته المُحَمَّلة وغير المُحملة، بما في ذلك حركته النوعية الفردية أو الثنائية والجماعية، ونَظم سير الجماعات المتتالي أو المتوازي فيه صاغ أهم المعايير والأسس القياسية للحركة في الطرقات والأزقة والساحات. وللموضوعية هذه ارتقى تشكيل شبكة الطرقات إلى مستوى جمالي يتوافق ويمثل القيم الوظيفية[٨]، وقد أتى هذا التشكيل ليشعره بكيانه وقدرته وبذلك نجد أنه وبسهولة يمكن السيطرة عليها سيطرة كاملة عكس ما نجده مثلا في شوارع وطرقات المدينة المعاصرة، والتي تسيطر على الإنسان وحركته وكينونته ليصبح بذلك محكوماً وتابعا لها وليس متحكماً ومسيطراً عليها، كما هي الحال في أزقة وطرق وساحات مدينة صنعاء القديمة.

وتأكيداً لهذا نجد أن السائر في طرق وأزقة مدينة صنعاء لا يشعر بالملل لأنه باستمرار يلاحِظُ التغير بين الطرق والأزقة والساحات، من حيث الاتساع والضيق، كما أن عدم المبالغة في الرؤيا البصَرية المنظورية عند حتمية امتداد الطرق إلى مسافات طويلة، يعمد إلى إنهاء الطرق أو انعطافها بعناصر بصرية توجيهية، ولهذا فإن الإنسان يحدد رؤيته المنظورية داخل إطار إنساني معقول وجذاب بخلاف الرؤيا البصرية المنظورية اللانهائية التي تلاحظ في المدن المعاصرة، وأضفت كتل وعناصر واجهات المباني وزخارفها جمالية على طرق وساحات المدينة، فالواجهات المتناغمة التي اشتملت على صفوف النوافذ وأنواع وأساليب التزيين الزخرفي كالأحزمة والشبابيك المنجورة ونهايات المباني (التجاويب) وغيرها من العناصر الزخرفية والمعمارية المتنوعة التي زادت واجهات المباني جمالاً انعكس بدوره على الطرقات والساحات، وبالإضافة إلى هذا فإن العناية والاهتمام بالمباني الدينية وإبراز مآذنها وقبابها وجعلها مطلة على الطرق والساحات قد أعطاها صبغة جمالية متميزة ومتفردة.



٢



شبكة الطرق

الساحات (الصرحات)

الصرحة: هي مساحة وسط الحارة السكنية تحيط بها المنازل من جميع الجهات، والصرحة فضاء وظيفي رئيسي وهام للحارة، وتعد من أهم الفضاءات المكونة للمدينة، وترقى بذلك إلى مصاف أهم العلاقات المعمارية المميزة للتخطيط الحضري المعماري لمدينة صنعاء القديمة. والصرحة هي قلب الحارة ومركزها المادي والشبيه بالسوق (قلب المدينة ومركزها المادي).

والصرحة مركز للحارة ونقطة مركزية إشعاعية لتوزيع الحركة فيها، وتربط محاورها الرئيسية ذات العلاقة المباشرة أو غير المباشرة بمركز الحي والمدينة.

وتوجد في صنعاء القديمة مجموعة منها مختلفة المساحات وغير منتظمة الشكل، توزعت وفق نظام التكوين العام للمدينة أو الحي وتشكلت هذه الساحات من تقاطع الطرقات أو تلاقيها أو تكون أمام البوابات الرئيسية للمدينة، باب اليمن، باب شعوب، باب القصر... الخ. ولا تستعمل هذه الساحات للتجمعات والاحتفالات فحسب بل وللأغراض التجارية أيضاً، وتوجد خارج السور ساحة واسعة أو ساحتان وذلك لاستعمالها أثناء الأعياد الدينية والاحتفالات الوطنية إذ يتجمع فيها سكان المدينة إلى جانب الجبانة التي تؤدى فيها صلاة العيدين.

والصرحة المحور الرئيسي لعلاقات الجوار وقد توجد أكثر من صرحة في الحارة الواحدة، وبهذا قد تزيد عدد صرحات الحي الواحد عن عدد حاراته، والكثير من الساحات تسمى باسم الحارات التي تقع فيها أو باسم مساجدها وقليلة جداً هي الساحات التي سميت الحارات بأسمائها وهي الساحات الكبيرة مثل ساحة الميدان شرق المدينة، واعتبرت حارة موخراً وخاصة بعد انتشار البناء في أطراف الحارات (حولها وخارج حدودها وباتجاه الساحة) مما دعا إلى نسبتها في الانتماء لهذه الساحة (الميدان)، وكذلك ساحة باب اليمن والتي سميت الساحة وكذلك الحارة باسم الباب.

وتشكل الساحات داخل المدينة متنفسات متفرقة ونقاط ربط واتصال بين الطرق. كما أن هذه الساحات تشكل مع المسجد أماكن ربط اجتماعية إذ يتجمع فيها سكان الحارة أو المجموعة السكنية في أوقات الفراغ أو أوقات الاحتفالات أو الأعراس وتكون فضاءات مناسبة لفعالية الرقص والتجمع، كما أنها توفر المساحات اللازمة للعب الأطفال ومن هنا اكتسبت الساحة (الصرحة) قدسية لدى السكان إذ تحصل فيها



الساحة الخلفية لحارة الأبهر

تفاصيل حياتية متداولة للفرد الذي يلتقي بأهل حارته على نطاق واسع[9]، وفي وقتنا الراهن زاد العبء على هذه الساحات، فقد أصبحت أماكنَ لوقوف السيارات للسكان القاطنين في الحارة أو أماكن لدوران السيارات العابرة، كما استغلت أيضاً لأغراض تجارية للباعة المتجولين فضلاً عن وظيفتها الأصلية.

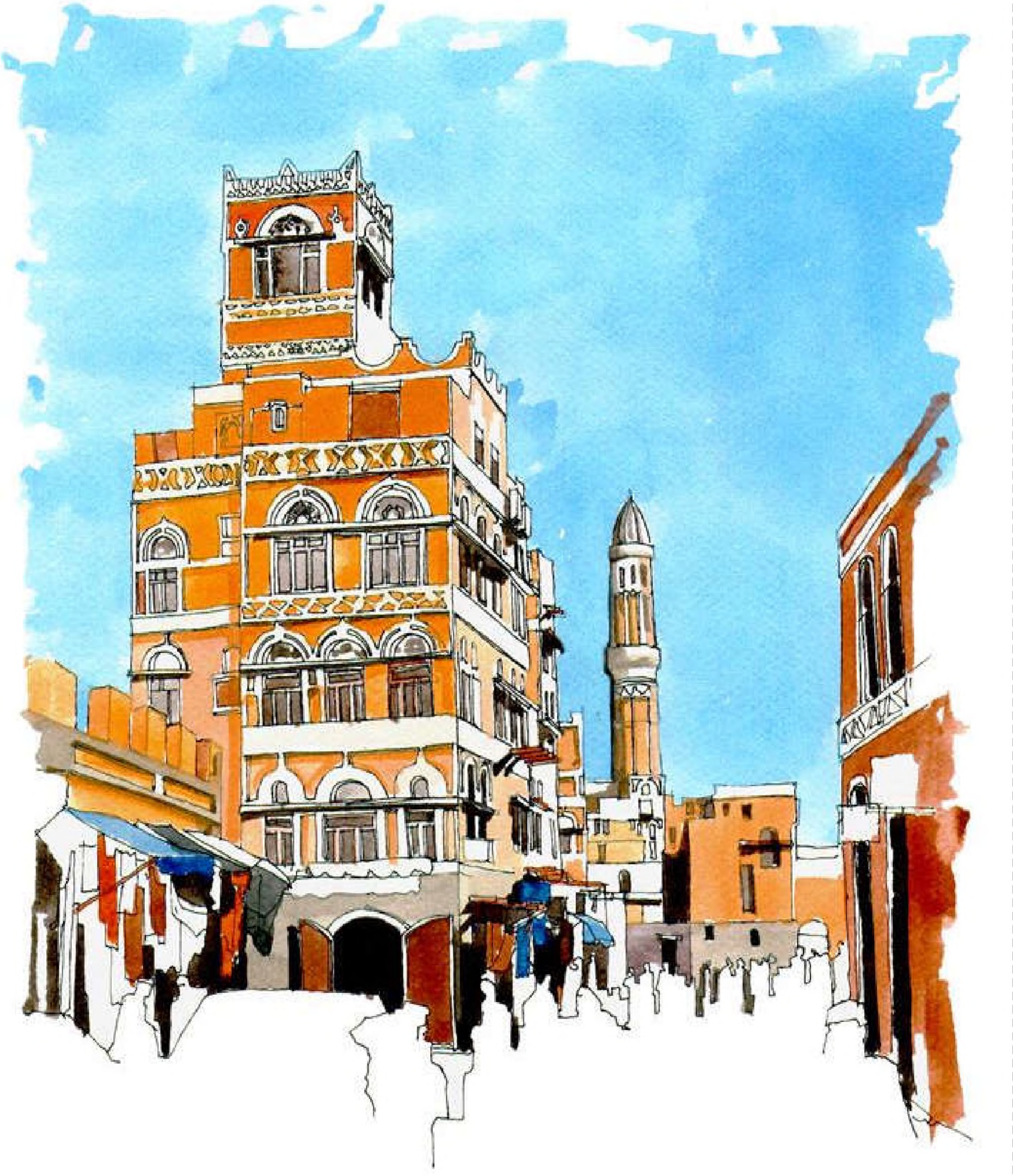
ويذكر الأستاذ أحمد قائد بركات[10] "أن الصرحة خططت كي تستخدم لأغراض وأنشطة عديدة منها:

- ساحة للعب الصبيان والبنات من أبناء الحي والحارات التابعة له، وذلك في مواسم الألعاب المختلفة، وفي رمضان حيث يجتمعون بالفوانيس ويؤدون أغاني ليالي رمضان (يمسون)، وفي العشر السابقة لعيد عرفة (الأضحى) يشعلون النيران في وسطها ويقفزون ويمرحون ويطلقون نداءات خاصة في الموسم.
- مكان لحط الأثقال عن الجمال والحمير من حطب ومواد بناء وحبوب وبضائع ومنتوجات أخرى، ومنها إلى البيوت والمخازن المحيطة بها، وقد تبقى بعض هذه المواد وخصوصاً مواد البناء بضعة أيام حتى يتم استخدامها أو خزنها.
- موقف لزفة العريس عادة من وسط الصرحة إلى وسط بيته.
- موقف لبداية تشييع الجنائز.
- ميدان لتدريب وترويض الخيول الصغيرة (تعريصها).
- مكان لتعفير الحمير.
- مركز لتجمع الماعز التابعة لأهل الحي في الصباح، ليأخذها الراعي إلى المراعي خارج المدينة، وفي المساء عند عودته لتسليمها إلى مالكيها.
- مكان لأي اجتماع للتشاور وحل المشاكل، والفصل في الخصومات فيما بين السكان.

يكون الانتماء إلى الصرحة من قبل الصبيان والأحداث ظاهراً وقوياً. وللصرحة شيخ من بين الأحداث أو الصبيان، وعادة ما يكون الأقوى والأجسر فيهم، ويسمى عندهم شيخ الصرحة. وتقام بين الصرحات منافسات في الألعاب الرياضية، كما يحدث بين مجاميعها صدام وعراك بالعصي بما يشبه معارك السلف في ميادين الحرب والمبارزة، ولذلك يطلق شيخ الصرحة أسماء على أفراد مجموعته غير أسمائهم الحقيقية، وتكون عادة من أسماء الأبطال التاريخيين كشمّر وسيف وعُقبة والمهلب".



الساحة الداخلية لباب اليمن

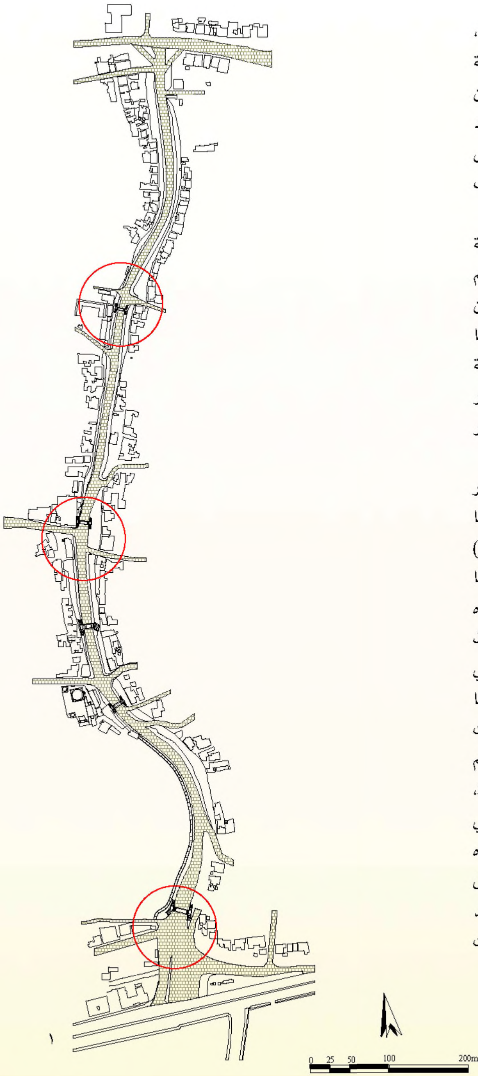


السايلة

تعرف السايلة قديماً بالسرار. والسرار كلمة يمنية قديمة، تعني الوادي المنخفض الذي تجري فيه مياه السيول المتدفقة بعد هطول الأمطار الموسمية. وهو واد قديم أشار إليه ابن رستة في كتابه الأعلاق النفسية أواخر القرن (٣هـ/١١م) "واد يشق صنعاء نصفين على ضفتيه قصور مبنية من الجص والآجر والحجارة وإليه تنفذ فوهات أزقتها"[١١] وهذا الوصف مازال ينطبق على هذا الوادي حتى اليوم.

لم يؤثر هذا الوادي في تكوين النسيج المعماري للمدينة فحسب بل وفي تخطيطها أيضاً، فضلاً عن كونه أحد المعالم الطبيعية والتاريخية، فهو يمتد بميل متدرج وبسيط من الجنوب إلى الشمال، ويخترق مدينة صنعاء القديمة في غربها بنحو (١١٦٠م)، ويقسم المدينة إلى قسمين أحدهما في الجهة الشرقية ويحتوي على الأحياء القديمة وهي القطيع والسرار الشرقي والسوق والقلعة، والآخر في الجهة الغربية حي السرار الغربي.

ويتباين عرض السايلة من منطقة إلى أخرى، إذ يكون أكبر عرض له في المنطقة المحاذية لبستان شارب وبنحو (٢٠م)، بينما أصغر عرض له يكون في المنطقة المحاذية لحارة الطبري (٦م) وتبلغ مساحتها الإجمالية (٩.٣٠٥٧م٢) وتشكل نسبة مقدارها (٢,٢٪) من إجمالي مساحة صنعاء القديمة. ولا تجري فيها المياه إلا حين هطول الأمطار، ومن داخل المدينة أو خارجها. وللربط بين شرق المدينة وغربها شيد جسر في وسطها وجسران في أطرافها علت الخندقين الجنوبي والشمالي وكان غرضهما السيطرة والتحكم، وقد هدما مع السور في بداية سبعينيات القرن العشرين الميلادي. وضمن الحفاظ على صنعاء القديمة تم رصف السايلة وبنيت أطرافها بجدران ساندة من الحجارة، وأضيفت أربعة جسور أخرى لنقل الحركة بين ضفتيها. وفي الوقت الراهن لم تقتصر أهمية السايلة على تصريف مياه الأمطار فحسب بل صارت منفذاً من المنافذ المرورية الهامة للنقل والمواصلات التي تربط جنوب المدينة بشمالها، لاسيما بعد رصفها مؤخراً بالحجارة مما ساعد على تخفيف الاختناقات المرورية في مدينة صنعاء الكبرى بشكل عام.

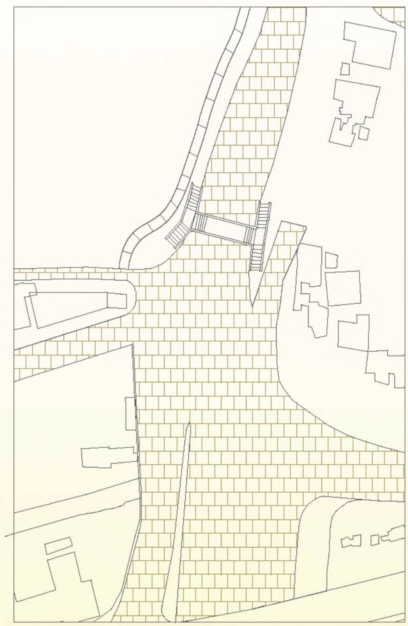


١

١. دراسة معمارية للسائلة
٢- ٤. تفاصيل لمواقع ثلاثة من جسور السايلة
٥. تدفق السيل في السايلة (١٩٩١م)، م/ س. الناطور


٢


٣


٤


٥

المساحات الخضراء

مثلت المساحات الخضراء داخل مدينة صنعاء القديمة فضاءات معمارية تتخلل نسيج تكوين المدينة في أطرافه وبين الحارات ووسطها، وتمثلت في البساتين والمقاشم وكذلك الحدائق الصغيرة في أفنية المباني السكنية. والمساحات الخضراء هي من أهم مكونات المدينة، وترتبط مع المسجد والمبنى السكني بعلاقات قوية تكاملية في تكوين نسيج الحارة فالمدينة، وبالإضافة إلى وظائفها الأساسية أعطت هذا النسيج تميزاً وتفرداً. ونَشأةُ هذه البساتين في الأساس كانت نتاجاً لخطة مدروسة جعلت البناء يلتف حولها ولا ينتشر فيها، وحين الحاجة لتوسع البناء كان التوجه في هذا بأن استحدثت أحياء جديدة خارج أسوار المدينة وباتجاه الغرب خاصة، دون المساس بالمساحات الخضراء داخل المدينة، ومن أهم أسباب بقائها هو أنه بعد تفشي الطاعون الكبير سنة (٩٣٣هـ/١٥٢٧م) بين سكان المدينة إذ تعطلت كثير من الأموال (الأراضي والبيوت) بسبب وفاة أصحابها فأمر الإمام شرف الدين[١٢] باتخاذ بساتين كبيرة لكثير من المساجد، وحفرت الآبار وعمرت المطاهير وبنيت البرك وخصص كثير من الأموال المتروكة للإنفاق عليها وصيانتها، وصارت هذه المساحات (البساتين) أملاكاً موقوفةً للدولة لا يمكن بأي حال من الأحوال بيعها أو البناء فيها لذا حافظت على هيئتها ووظيفتها حتى اليوم.

ويمكن تصنيف المساحات الخضراء وفق نوعية ملكيتها واستخدامها إلى ثلاثة أنواع هي:

- **البستان:** أكبرها مساحة وتنوعاً في زرعه ونباته وشجره (خضار وفواكه ورياحين) وتنتشر في أطرافه الأشجار المثمرة، ويقع في الغالب في أطراف المدينة ويفصل مبانيها عن أسوارها، وملكيته خاصة في الأساس.
- **المقشامة:** أصغر من البستان مساحة، واشتق أسمها من (القُشمي) وهو الفجل، وبالإضافة للفجل يزرع فيها أنواع مختلفة من الخضار، الكَراث (البيعة) والخس والكزبرة والبقدونس وغيرها، وكذلك الرياحين. وملكيتها وقف. ويسمى القائم عليها (القَشام). وترتبط المقشامة ارتباطا وثيقاً بالمسجد الموقوفة عليه، لتستغل مياه الوضوء النقية نسبياً في ري زرعها ونباتها، ولأنها تأتي مع المسجد والمبنى السكني أهم مكونات فضاءات الحارة لذا تخللت وبكثافة نسيج المدينة.



١

- **الحدائق الصغيرة :** وتشغل جزءاً من مساحات الفناء الخارجي للمبنى السكني (الحوي) أو أنها تتشكل من المساحات الخلفية للمباني والوحدات السكنية الملتفة عليها . ويقل الزرع والنبات والشجر فيها مقارنة بالبستان والمقشامة وذلك لصغر مساحتها، هذا بالإضافة إلى استغلال جزء كبير من مساحتها وخاصة في الحوي للحركة والنشاط اليومي، وملكيتها خاصة.

وللسيطرة في التخديم والاستخدام للبساتين والمقاشم تقام أسوار في الجهات التي لا يحيط بها البناء، ومداخلها غير واضحة في العادة، ونادراً ما تفتح أبواب صغيرة من المباني السكنية، ذات العلاقة، وإن وجدت فإن استخدامها يكون نادراً .

وينخفض مستوى أرضية المقاشم عن مستوى الطريق والساحة والبناء كثيراً ليصل الفارق إلى نحو (٤م) وذلك لضمان الاستفادة من تصريف مياه الأمطار ومياه مطاهير المساجد وآبارها إليها . أما أرضية البساتين فإنها أقل انخفاضاً مقارنة بالمقاشم لإحاطتها بأطراف المدينة .

وعلى الرغم من أن المساحات الخضراء تشكل خمس مساحة المدينة إلا أن الزائر الغريب لا يدرك كثافتها النسبية هذه، وذلك لانخفاض أرضياتها عن مستوى الطريق من ناحية والتفاف المباني حولها وارتفاع الأسوار في الجهات التي لا يحيط بها البناء من ناحية أخرى.

وبالإضافة إلى دورها الوظيفي والاقتصادي في تأمين الاحتياجات الأساسية لسكان المدينة فإن لها دوراً تزداد أهميته في كونها تمثل الدورة البيئية (الطبيعية للمدينة) فهي بهذا رئتها التي تتنفس بها، كما تضفي جمالية على نسيجها لتحقق الراحة النفسية والبصرية لساكني المباني المحيطة بها .

ومن الطريف ذكره أن البساتين القريبة من سوق صنعاء استخدمت لاختبار نشاط وقوة تحمل بهائم (أبقار) الحراثة المشتراة من سوق صنعاء قبل نقلها إلى الريف .

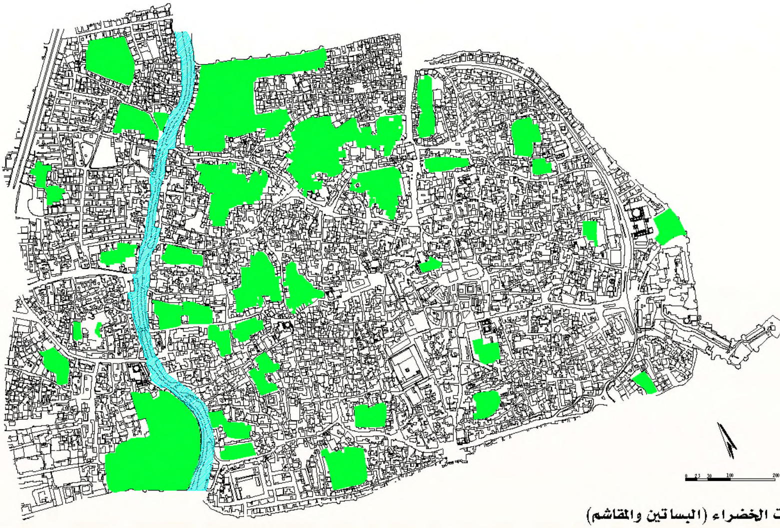
وحتى منتصف القرن العشرين كانت المساحات الخضراء تشكل أكثر من (٣٣٪) من إجمالي مساحة المدينة، وتضاءلت هذه النسبة بالتدريج حين انتشر البناء عليها وبكثافة عالية وخاصة في بعض البساتين مثل، السلطان وشارب والطبري والحرقان وغيرها، ونجد أن بستان شارب شغلت كل مساحته المباني والطرقات، ولعدم وجود مسجد في هذه الحارة انعكس أيضاً في عدم وجود مساحة خضراء (مقشامة).

وتتوزع (٤٣ مقشامةً وبستاناً) في وسط المدينة وأطرافها . تبلغ مساحتها الإجمالية (١٦,٩هكتاراً)، وتشكل نسبة (١٢,٢٪) من إجمالي مساحة المدينة.

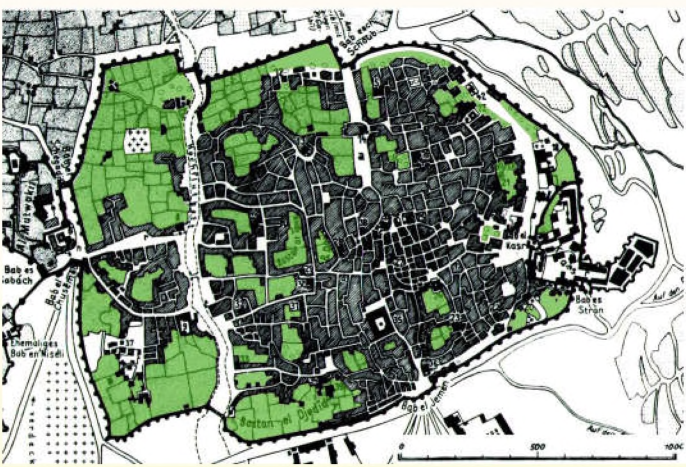


١. بستان السلطان
٢. مقشامة مسجد غزل الباشه

٢

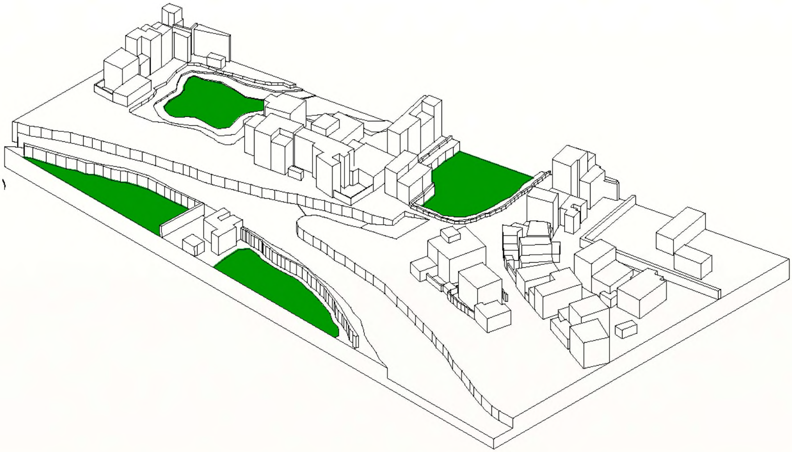


المساحات الخضراء (البساتين والمقاشم)



تحليل مقارن للمساحات الخضراء التي كانت تشغلها من إجمالي مساحة المدينة وفقاً لمخطط فيسمان (١٩٢٩م).

١. منظور لمقشامتي القاسمي وبروم
٢. قطاع منظوري يوضح مستوى منسوب المقشامة عن مستوى الطرقات والمباني في الحارة



١



الهوامش

١. " أسس التصميم المعماري والتخطيط الحضري في العصور الإسلامية المختلفة بالعاصمة القاهرة " : منظمة العواصم والمدن الإسلامية؛ مركز الدراسات التخطيطية والمعمارية ومركز أحياء تراث العمارة الإسلامية؛ مطابع أنترناشيونال برس؛ القاهرة ؛ ١٩٩٠م؛ ص(٦٣٠).

٢. "صنعاء مسار مدينة عربية" : معهد العالم العربي؛ باريس؛ نوفمبر؛ ١٩٨٧م؛ ص(٢٦).

٣. حويش، عقيل نوري؛ "المجلة التقليدية النشوء والتطور ومعايير الحي المعاصر" : الموسوعة الصغيرة؛ ط1 : دار الشئون الثقافية العامة؛ وزارة الاعلام والثقافة؛ بغداد؛ ١٩٨٩م؛ ص(٣١).

٤. المدحجي، محمد أحمد سلام؛ " النماذج النظرية للتطور العمراني لمدينة صنعاء" : رسالة دكتوراه غير منشورة (باللغة البلغارية)؛ كلية العمارة؛ صوفيا؛ ١٩٩٦م؛ ص(٣٩).

٥. محمد عبد الستار، عثمان؛ "المدينة الاسلامية" : سلسلة عالم المعرفة؛ المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب : الكويت؛ ١٩٨٨م؛ ص(١٩٩).

٦. محمد عبد الستار، عثمان؛ المصدر السابق؛ ص(١٩٠).

٧. "صنعاء مسار مدينة عربية" : المصدر السابق؛ ص(٢٦).

٨. محمد عبد الستار، عثمان؛ المصدر السابق؛ ص(١٩١).

٩. الهذلول، صالح بن علي؛ "المدينة العربية الاسلامية : أثر التشريع في تكوين البيئة العمرانية" : الرياض؛ ١٩٩٤م؛ ص(٨٠).

١٠. "الموسوعة اليمنية" : مؤسسة العفيف الثقافية؛ صنعاء؛ ط١ : ١٩٩٢م؛ ص(٥٦٧، ٥٨٨).

١١. ابن رسته، أبو علي أحمد بن عمر؛ "الأعلاق النفيسة" : عن كتاب "تاريخ مدينة صنعاء" : تحقيق؛ حسين العمري؛ دمشق : ط٢ : ١٩٨١م؛ ص(٦٢٩).

١٢. الحجري، القاضي محمد بن أحمد؛ "مساجد صنعاء عامرها وموفيها" : دار إحياء التراث العربي؛ بيروت؛ ط٢ : ١٣٩٨هـ؛ ص(٢، ٣).

المنطقة السكنية



المناطق السكنية في مدينة صنعاء القديمة تتكون من ثلاثة أحياء هي، القطيع والسرار الشرقي والسرار الغربي، وما عدا ذلك مساحة مركز المدينة، السوق والجامع الكبير، وأسوارها، وقلعتها (قصر السلاح)، فإن بقية مساحتها تشغلها المنطقة السكنية بمكوناتها المتدرجة من، الحي والحارة والوحدة السكنية، والمبنى السكني، وفضاءات الحركة، والمساحات الخضراء، البساتين والمقاشم، وبقية الوظائف الخدمية الأخرى المكونة للحي والحارة.

وإذا كان للمدينة مركز، السوق والجامع، فليس للحي مركز، وإذا كان للحارة مركز، الصرحة والمسجد أو الصرحة فقط، فليس للوحدة السكنية مركز، وان مثل الفناء المكشوف مركز الوحدة السكنية الحلقية، وإذا كان الحي عنصر الأساس في تكوين المنطقة السكنية فالحارة فيه عنصر الأساس في تكوينه، وكذلك الحال للوحدة السكنية في تكوين الحارة والمبنى السكني في تكوين الوحدة السكينة ويشذ عن هذا المبنى السكني غير الملتصق بالجوار وبخاصة في المباني السكنية الكبيرة، (الدور/ القصور) مثل دار الذهب (بيت دلال) والدار الجديد.

الحي السكني

الحي السكني هو أكبر الأجزاء المكونة للمدينة مساحة وأكثرها عدداً في الفضاءات الوظيفية كما ونوعاً، ولكل حي شبكة من الطرق والأزقة والساحات (الصرحات) التي تربط بين حاراته، وتربطه بالأحياء الأخرى المكونة للمدينة، ومركزها الرئيسي الذي يتوسطها تقريباً ليخدم جميع أحيائها وليحدد اتجاهات محاورها الرئيسية، لتتفرع منها سلسلة من الطرق والأزقة والساحات، وهي بذلك تمثل في مجمل تكوينها جسماً عضوياً يعكس القيم الدينية والروحية (المعنوية) للمجتمع الإسلامي. ولكل حي في مدينة صنعاء القديمة خصائصه المعمارية التي تميزه عن الحي الآخر أو التي تشترك معه، وأحياء المدينة هي:

حي القطيع

يقع شرق المدينة وهو أقدمها، ولا يعرف اليوم باسم حي القطيع في صنعاء القديمة، وقد ورد ذكره في تاريخ مدينة صنعاء للرازي[1] في أكثر من خمسة مواضع مختلفة ومتباعدة، وبالربط بينها نجد أن حي القطيع كان أساس تكوين المدينة، ولأن هذا الحي كان حي عِليَة القوم آنذاك، ففيه كانت دور الأغنياء وكبار التجار ودار الوالي، كما كان فيه دور بعض الأبناء من ذوي اليسار ومن الأصول الفارسية ومنها دار الإخباري المؤرخ المشهور وهب بن منبه الصنعاني الأبناوي المولود في صنعاء سنة (٣٤هـ/٦٥٤م)، والمتوفى فيها سنة (١١٤هـ/٧٣٢م)، ودار القاضي هشام بن يوسف الصنعاني الأبناوي، قاضي صنعاء، وأحد كبار المحدِّثين المشهورين، ورواة الصحيح، والمتوفى سنة (١٩٧هـ/٨١٢م). ويتكون الحي حالياً من (١٩حارة) ويقع في غربه مركز سوق صنعاء، وفي شرقه وبميلٍ نحو الجنوب تقع قلعة المدينة (قصر السلاح) وحدودها واضحة ومعلومة أما بالأسوار المحيطة بها أو بمحور المدينة الرئيسي والممتد من باب شعوب شمالاً حتى باب اليمن (جنوباً) والذي يفصله عن حي السرار الشرقي وفيه (١٦مسجداً) بما فيها التي تقع في أطراف السوق وهما مسجد المذهب ومسجد جناح، أو التي تقع في وسطه وهما مسجد الشهيدين ومسجد علي، وأكبر هذه المساجد مساحة وحجما هو مسجد قبة البكيرية وأصغرها هو مسجد المفتون.

ومساحة حي القطيع (٤٠٥٤٧٨,١ م٢) تشكل نسبة مقدارها (٢٩,٣٪) من مساحة المدينة، وتتوزع على حاراته (٤ حمامات) أكبرها حمام الميدان وأصغرها حمام ياسر، ويوجد فيه أكبر تجمع للمآذن المزخرفة العالية



1. الرازي، أحمد بن عبد الله الصنعاني؛ "تاريخ مدينة صنعاء"؛ تحقيق د. حسين العمري؛ ط٢؛ ١٩٨١م؛ دمشق؛ ص (٤٣٠،٤١٣،٣١١،١٨١،١١١)

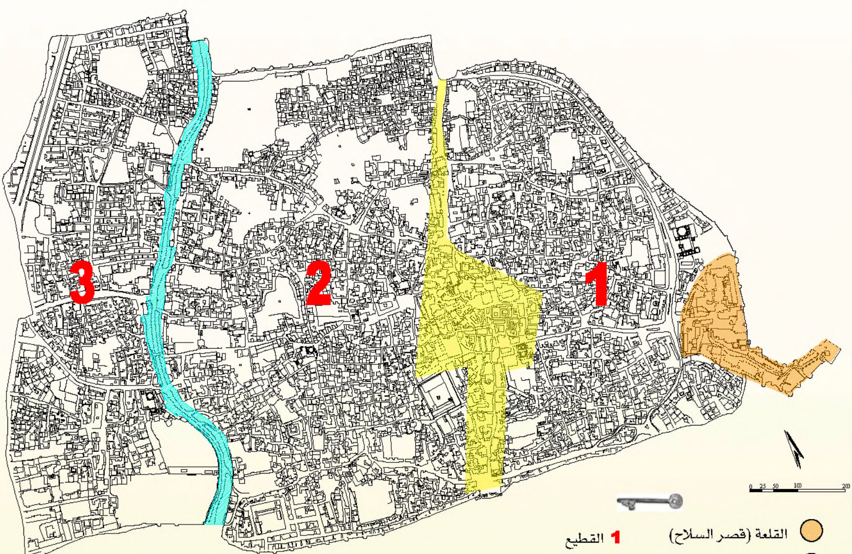
والمتوسطة من هذا النوع في صنعاء القديمة وعددها ثمان من أصل (١٤مئذنة مزخرفة) في صنعاء القديمة. وتميز منذ نشأته الأولى بنفس الخاصية التي يتميز بها حالياً وهي الكثافة البنائية العالية، والتي أثرت نسبياً على المساحات الخضراء فيه. وتقدر المساحات الخضراء فيه بنحو (٢٢٨٩٢,٨م٢) وتشكل نسبة مقدارها (٥,٦٪) من إجمالي مساحته، كما تشكل نسبة مقدارها (١٣,٦٪) من إجمالي المساحات الخضراء للمدينة.

يشترك القطيع مع حي السرار الشرقي في التوزيع الفضائي لبعض مكونات سوق المدينة، وبالمقارنة فإن أسواقه التخصصية تتميز بالكثافة البنائية في حين تميزت الأسواق التخصصية في حي السرار الشرقي بالكثافة المساحية المكشوفة مثل أسواق البهائم والبقر والحمير والجمال والحطب.

حي السرار الشرقي

ويأتي في المرتبة الثانية بعد القطيع من حيث النشأة، وقد أكتمل عمرانه في مرحلتي فجر وصدر الإسلام وتحديداً ما بين القرنين (٢-٤هـ/٨-١٠م) حين انتقل توسع عمران المدينة باتجاه غرب السايلة. ويتوسط حي السرار الشرقي كلاً من حي القطيع وحي السرار الغربي. وهو أكبر أحياء المدينة مساحة وأكثرها كثافة في المساحات الخضراء. ومساحته (٥٨٤٠١٣,٩م٢) وبنسبة (٤٢,٣٪) من أصل مساحة المدينة، وتبلغ المساحات الخضراء فيه (٩١٠٨٣,٩م٢) وتشكل نسبة مقدارها (١٥,٦٪) من مساحة الحي حالياً، كما تشكل نسبة مقدارها (٥٤٪) من إجمالي المساحات الخضراء للمدينة حالياً.

حي السرار الشرقي حدوده واضحة ومعلومة، وضفة السرار (السايلة) الشرقية هي حدوده الغربية، ومحور المدينة الرئيسي، (شمال-جنوب)، هي حدوده الشرقية، ومن الجنوب والشمال يوضح السور معالم حدوده الفاصلة بينه وبين ضواحي المدينة خارج السور. ويتكون هذا الحي من (٣١ حارة). وفيه ٢١ مسجداً، أكبرها المسجد الجامع للمدينة (الجامع الكبير) والذي يمثل أهم معالمها، وأصغرها مسجد الطاؤوس وهو من أقدمها. ومن أهم



مآذن المساجد المزخرفة وأعلاها فيه مئذنة مسجد الزمر وابن الحسين. وفيه من الحمامات (٥حمامات) أكبرها حمام شكر وأصغرها حمام الأبهر. وكان يرتبط بحي السرار الغربي بجسر في الوسط وجسرين يعلوان خندقي السايلة، الشمالي والجنوبي، واللذين هدما مع أجزاء كبيرة من السور في العقد السابع من القرن (٢٠م)، وبعد عمليات الترميم والبناء للسايلة ضمن مشاريع برامج الحفاظ على مدينة صنعاء القديمة والذي أنجز سنة (١٩٩٩م) امتدت جسور أخرى إضافة للجسر الوسطي منها اثنان هما الشمالي والجنوبي واثنان آخران يقعان بينهما وبين الجسر الوسطي.

يشترك حي السرار الشرقي مع حي السرار الغربي في حارة النهرين وبنسبة مساحية محدودة من إجمالي مساحتها، لذا فهي إدارياً ضمن تكوين حي السرار الغربي. وحي السرار الشرقي هو أكثر أحياء مدينة صنعاء القديمة، حالياً، كثافةً في المباني السكنية الكبيرة والعالية. ويقع جنوب الحي مجمع العرضي المحصن تركي النشأة ويجمع بين القلعة والقصر وحامية الجند، وتفصله عنه وعن سور المدينة ساحة هي حالياً جزء من شارع الزبيري.

حي السرار الغربي

ويقع غرب السايلة وحدوده هي إمتداد ضفة السايلة الغربية حتى سور المدينة الغربي، ومعلمه الرئيسي قبة مسجد المهدي وباب السبحة سابقاً. وحي السرار الغربي هو أصغر الأحياء الثلاثة وأحدثها، وكان حتى منتصف القرن (٢٠م) ذا كثافة بنائية متدنية وتنحصر فقط في وسطه، وانعكس ذلك على الكثافة العالية للمساحات الخضراء فيه آنذاك والتي كانت خاصيته وسمة التكوين المعماري فيه.

ومساحته (٣٦١٧٧٥,٢م٢) وتشكل نسبة مقدارها (٢٦,٢٪) من إجمالي مساحة المدينة وتبلغ المساحات الخضراء فيه (٥٤٦٧٣,٧م٢) من إجمالي مساحته وتشكل نسبة مقدارها (١٥,١٪) من إجمالي مساحة الحي. كما تشكل نسبة مقدارها (٣٢,٤٪) من إجمالي المساحات الخضراء للمدينة حالياً ويتكون هذا الحي من (١١حارة) وتغير نسيجه كثيراً في العقود الأربعة الأخيرة للقرن (٢٠م)، ومن حيث التكوين وظيفةً وشكلاً تلاشت معالمه التقليدية مثل سوره الجنوبي والغربي بعد هدمهما مع باب السبحة، وقامت على أنقاضها المباني الحديثة الغريبة الهوية والطراز، وتغلغل هذا النوع وبتداخل نسبي مع البناء التقليدي، وانتشر وبكثافة في وسط وشمال الحي وأطرافه الغربية والجنوبية. وبالرغم من تلاشي جزء من معالمه التقليدية إلا انه لا يزال واضح المعالم بحدوده فمن الشرق السايلة والتي تفصله عن شقيقه السرار الشرقي ومن الشمال بقايا السور ومن الغرب والجنوب شارعا علي عبد المغني والزبيري.

ومن الخصائص المعمارية لمبانيه فإن كتل ومساقط مبانيه السكنية تأتي أكثر انتظاماً وهي اقل ارتفاعاً عند مقارنتها بالمباني السكنية في كل من حيي القطيع والسرار الشرقي.

وفيه مسجد كبير من أصل (٦مساجد) وهو قبة المهدي ذو المئذنة العالية المزخرفة الوحيدة في الحي، وفيه أكبر تجمع للمآذن القصيرة وعددها ٣ مآذن من أصل ٥ مآذن قصيرة في المدينة الموجود منها حالياً ٤مآذن، وحمام واحد هو حمام السلطان، وسمسرة واحدة هي سمسرة معمَّر، وهي السمسرة الوحيدة التي قامت خارج محيط مركز المدينة ومحوره الرئيسي (الشمالي- الجنوبي) إلا أنها أتت على طرف امتداد محور المدينة الآخر المتعامد عليه من جهة الغرب.



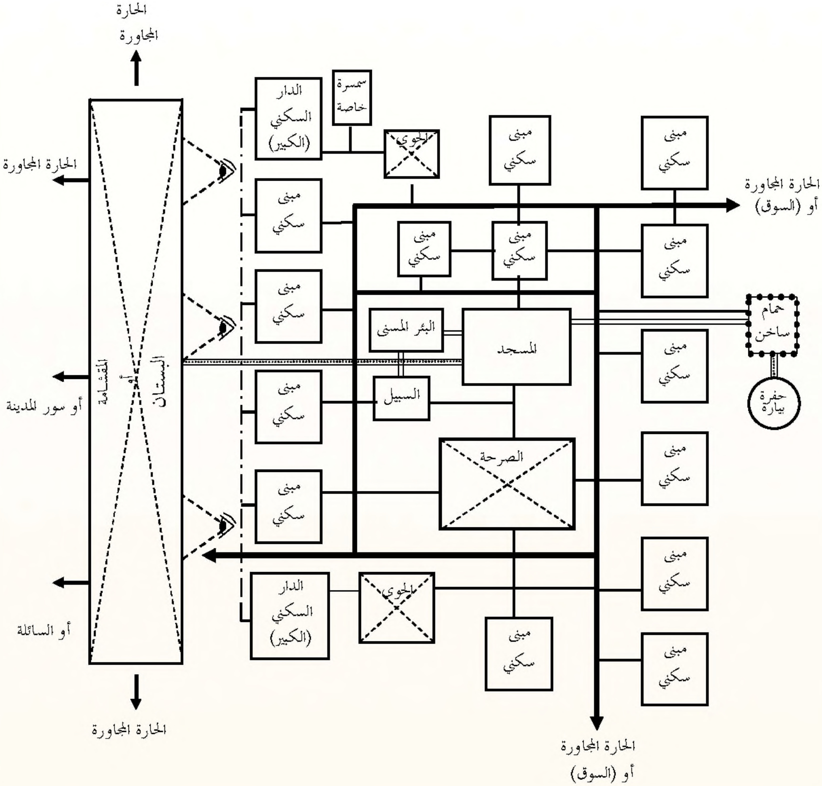
يشترك حي السرار الغربي مع حي القطيع في خاصية أنه حين أتت قلعة المدينة المحصنة (قصر السلاح) شرق حي القطيع وبميل نحو الجنوب، جاء مجمع قصور المتوكل المحصن (المتوكلية) غرب حي السرار الغربي وبميل نحو الشمال، ولصلتهما المباشرة بسور المدينة مثّلا وكأنهما ريشتا مروحة تعبر الحركة في معناها عن الدور الوظيفي السياسي والإداري والثقافي والأمني لهاتين المنشأتين في التكوين العام للمدينة ويشترك معهما في هذه الخاصية حي السرار الشرقي، والذي يجاوره من جهة الجنوب مجمع العرضي، العسكري، وإن فصلتهما ساحة بعرض ٢٥م تقريباً وبهذا ومجازاً تصبح عدد ريشات المروحة ثلاث ريشات بدلاً من اثنتين، لتزيد من قدرة وكفاءة وفاعلية حركة إدارة المدينة وحمايتها، والتي تمثلها في هذا وبتشبيه بليغ حركة المروحة الثلاثية الريَش.

الحارة السكنية:

هي عبارة عن مجموعة من الوحدات والمباني السكنية، والتي تتكامل فيما بينها بمنظومة وظيفية حضرية. وتسمية الحارة في مدينة صنعاء ترتبط أساساً باسم مسجدها الرئيسي، أما إذ كان للحارة أكثر من مسجد فتسمى باسم أهمها وأقدمها، أو باسم الساحة الرئيسية، مثل حارة الميدان، أو باسم القصر (الدار) ومرفقاته مثل حارة السلطان والتي نسبت إلى دار السلطان، (طغتكين) الأيوبي وتنظم الحركة في الحارة شبكة من الطرق والأزقة المفتوحة أو المغلقة، تتفرع من الطريق الرئيسي للحارة أو صرحتها. وعلى الرغم من أن الأبنية في الحارة تبدو للناظر متلاصقة إلا أن الأزقة تخترقها بطريقة منتظمة، كما تحتوي الكثير من الحارات على مسجد يلحق به مقشامة تمول سكان الحارة ومحيطها بما يحتاجونه من خضار ورياحين، ولحارة طلحة مسجدان هما قبة طلحة والطاووس. ويبلغ عدد حارات مدينة صنعاء حالياً (٦١ حارة)، أكبرها حارة بستان السلطان والفليحي والعلمي والمدرسة والطبري، وأصغرها حارة مطير وزبارة والمفتون والحسوسة.

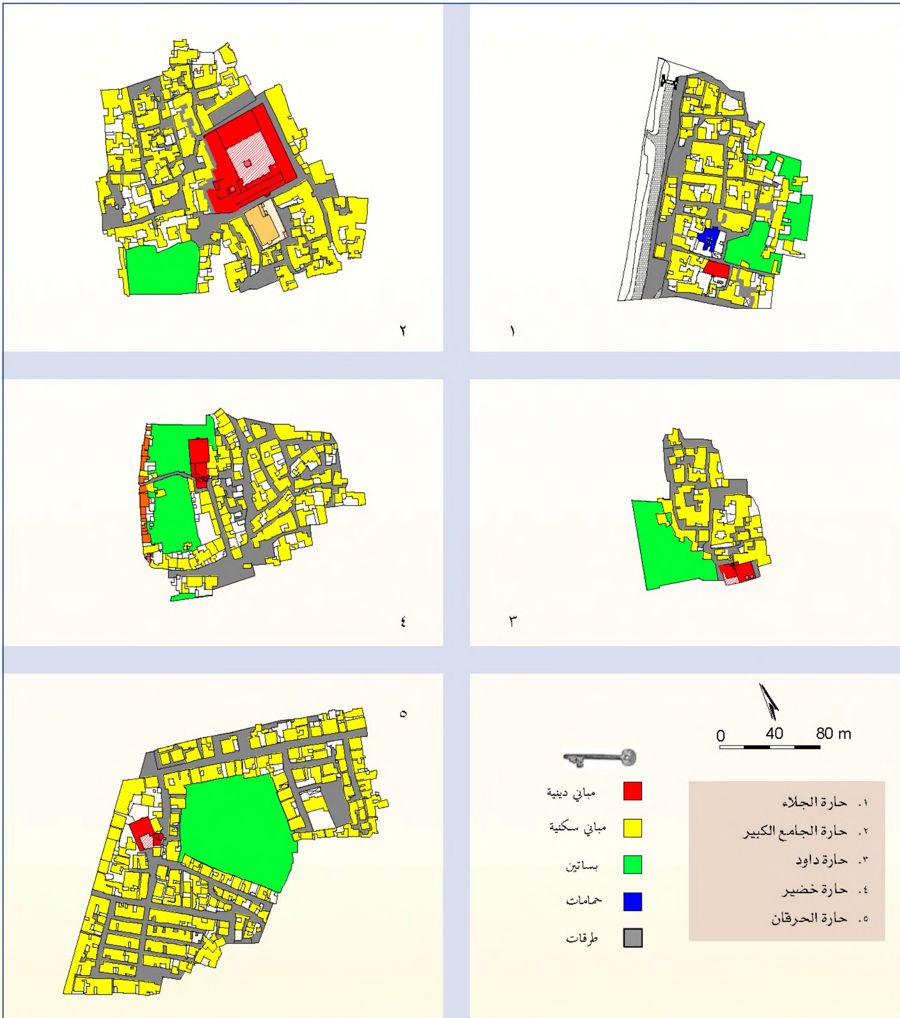


حي القطيع مع امتداد المدينة جهة الغرب (١٩٧٣م)



العلاقات الوظيفية (الأفقية والرأسية) للحارة السكنية

الفضاءات الوظيفية (البناء الرأسى)
الفضاءات الوظيفية المكشوفة (الأفقى)
فضاءات وظيفية محتملة (٣:١) من عدد الحارات قبل سنة ١٩٥٠ و (١:٦) من عدد الحارات حاليا؟
علاقة تصريف العوادم الصلبة
علاقة التزود بالمياه للشرب والاستخد ام
مجال الرؤية (الاطلالة)
مجال الحركة (الطرقات، الممرات، الأزقة) الأفقي
علاقة الربط بين الفضاءات الوظيفية
إتجاه علاقة حركة الجوار للحارة


١
٢
٣
٤
٥
0 40 80 m
مباني دينية
مباني سكنية
بساتين
حمامات
طرقات
١. حارة الجلاء
٢. حارة الجامع الكبير
٣. حارة داود
٤. حارة خضير
٥. حارة الحرقان

الوحدة السكنية:

هي النسيج الأول البسيط والصغير المكون لنسيج الحارة فالحي فالمدينة، وتتألف من مجموعة من المباني السكنية المتصلة والملتصقة ببعضها من جهتين أو جهة واحدة، وتلتصق ببعضها إما على هيئة شريطية أو حلقية لتلتف حول فناء داخلي، وتفتح واجهاتها الرئيسية إلى الصرحة أو الطريق، كما تفتح واجهاتها الخلفية في الغالب نحو المقشامة أو البستان، والوحدات السكنية الصغيرة وبالذات الحلقية منها مثل (بيت فايع) فإنها تشترك بعلاقة الملكية في النشأة الأولى لها. وكذلك الحال في بيت العمري على السايلة وغيرها. وللوحدة السكنية الصغيرة خاصية اجتماعية في علاقة الجوار تتميز بقوة ومتانة الترابط بين مجموعة الأسر والعائلات الكبيرة التي تسكنها. ويقل هذا نسبياً في الوحدات السكنية الكبيرة.

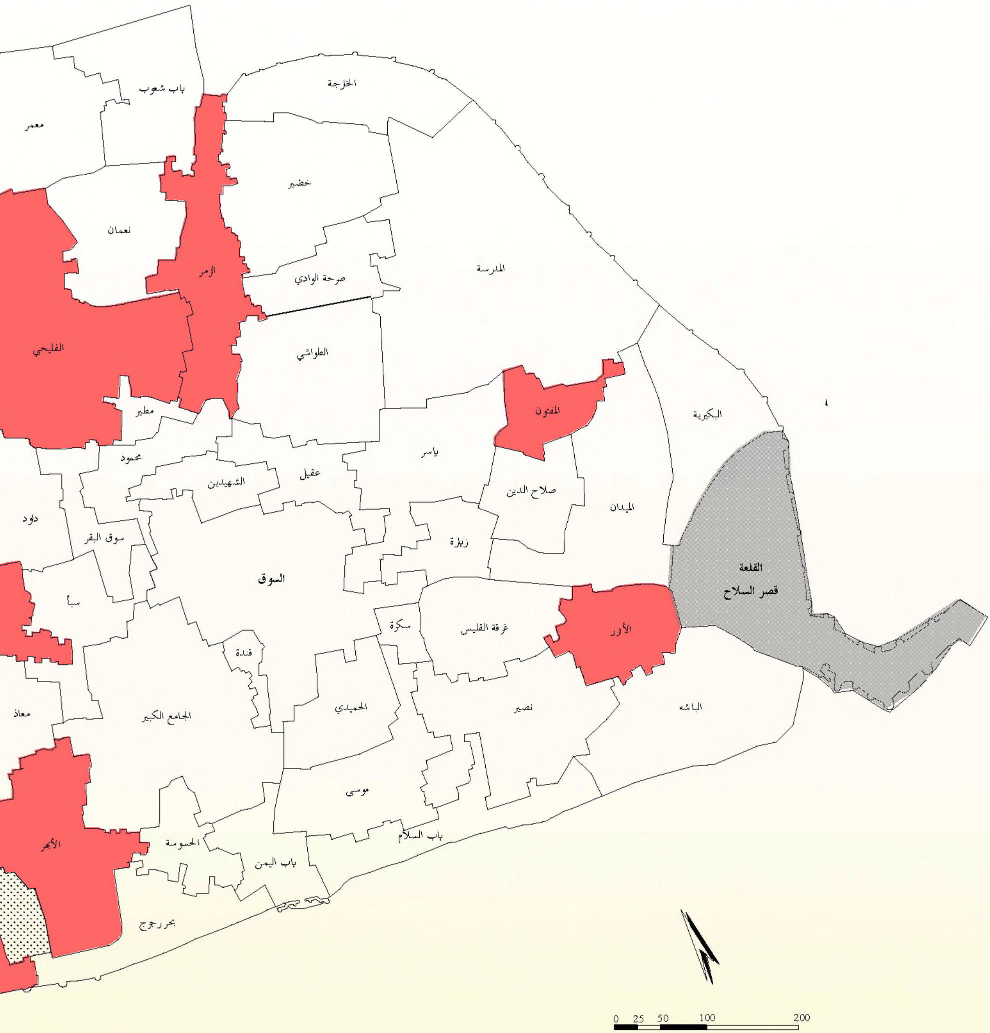
المبنى السكني:

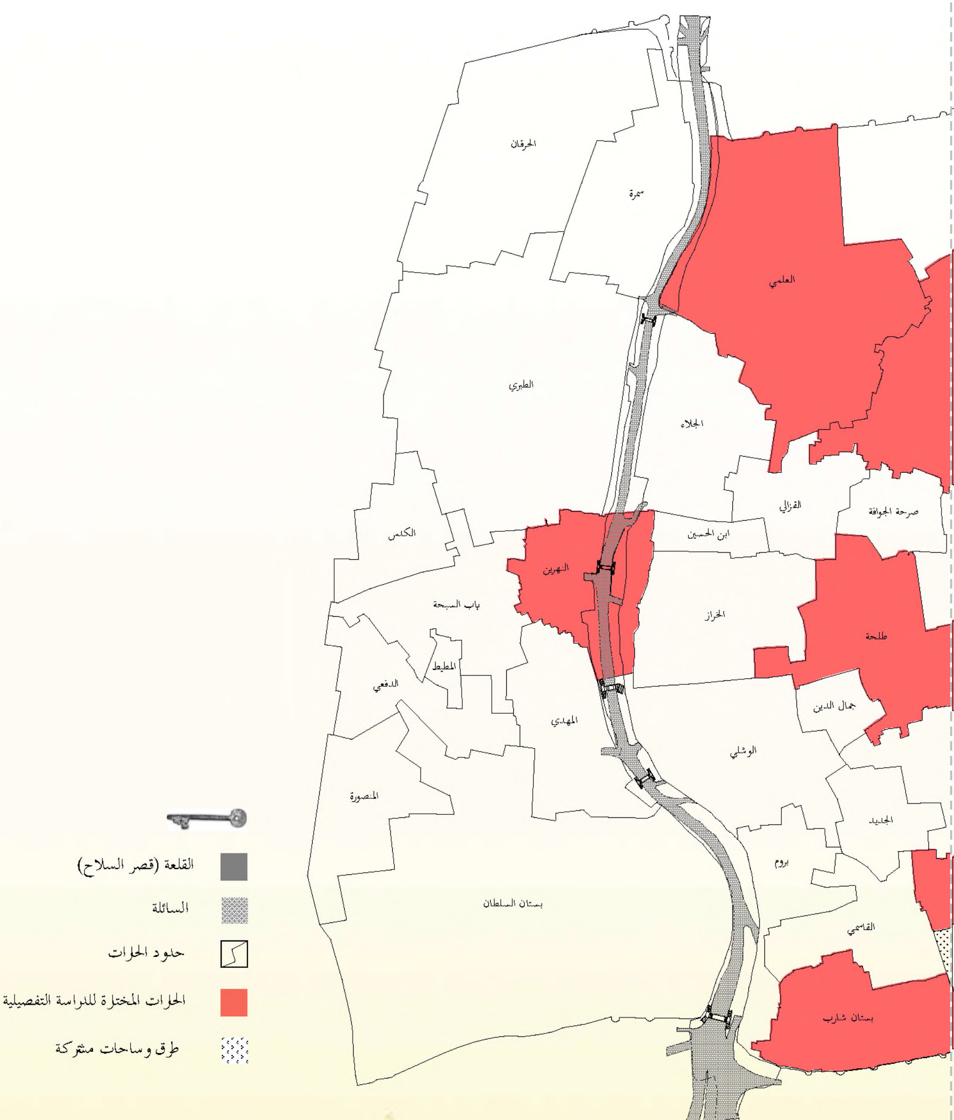
وهو أكثر عناصر المدينة كثافة بنائية ويعد الوحدة الأساسية المكونة لها، ويتميز بصغر المساحة التي يحتلها، وتتوزع وظائفه رأسياً، وتفتح نحو الخارج، وهو ثلاثة أنواع من حيث الحجم والمساحة والإرتفاع وعلى النحو الآتي:

- **المبنى السكني الكبير، الدار/ القصر:** وتسكنه في الغالب أكثر من أسرة صغيرة تتشكل في الأساس من التكوين العام للأسرة الكبيرة الممتدة، لذا يحتوي، في تكوين فضاءاته الوظيفية، على جميع الخدمات التي تلبي احتياجات ساكنيه، ومن أمثلته بيت دلال (دار الذهب) وبيت غمضان والدار الجديد وبيت أبو لحوم وبيت العنبسة وبيت عسلان وفايع (ج).
- **المبنى السكني المتوسط:** وهو أصغر من النوع الأول ومع ذلك فإن فضاءاته الوظيفية وإن انحصرت نسبياً من حيث الكم إلا إنها تلبي جميع الخدمات الضرورية، ومن هذه المباني بيت سريع وبيت فايع (أ) و(ب).
- **المبنى السكني الصغير:** ويشغل مساحة بناء أرضية صغيرة نسبياً بالمقارنة، وتتوزع وظائفه رأسياً لتفي بحاجات ساكنيه، والذين هم في الغالب عبارة عن أسرة متوسطة الحجم. وأكثر هذه المباني صغراً هي المباني السكنية التي تنتشر حالياً في حارة بحر رجرج.



زقاق ومبانٍ سكنية (حارة المدرسة)


باب شعوب
معمر
خضير
نعمان
صرحة الوادي
المدرسة
الفليحي
الطواشي
مطير
المفتون
البكيرية
ياسر
محمود
عقيل
الشهيدين
صلاح الدين
الميدان
داود
سوق البقر
زبارة
السوق
القلعة
قصر السلاح
سبأ
سكرة
غرفة القليس
معاذ
الجامع الكبير
الحميدي
نصير
الباشه
موسى
باب السلام
باب اليمن
0 25 50 100 200

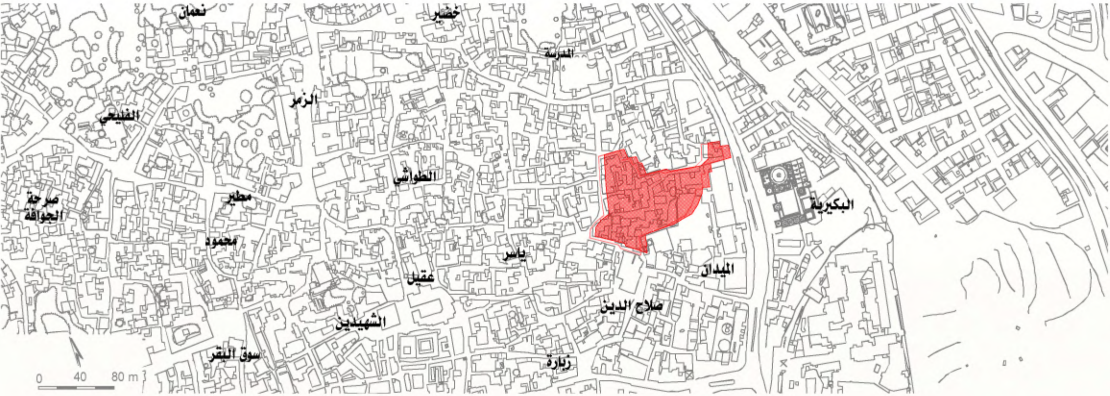

الحرقان
سمرة
العلمي
الطبري
الجلاء
القزالي
صرحة الجوافة
الكنس
ابن الحسين
النهرين
باب السبحة
الخزاز
طلحة
المطيط
الدفعي
جمال الدين
المهدي
الوشلي
المنصورة
الجديد
بروم
بستان السلطان
القاسمي
بستان شارب
القلعة (قصر السلاح)
السائلة
حدود الحارات
الحارات المختارة للدراسة التفصيلية
طرق وساحات مشتركة

الحارات

- المفتــون
- الأبــزر
- الزمــر
- الابهــر
- طلحــة
- الفليحي
- العلمــي
- شــارب
- النهرين



حارة المفتــــون





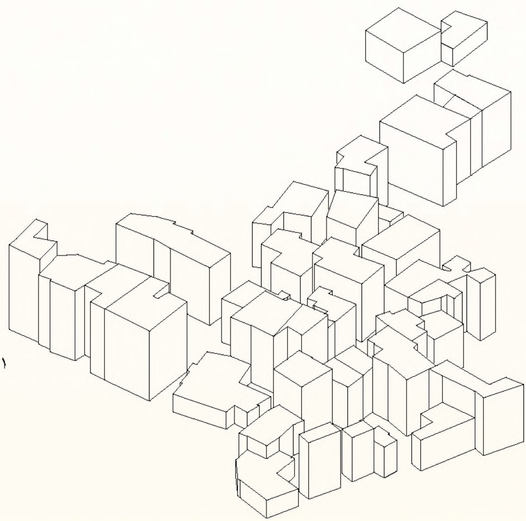
حارة المفتون من الحارات الصغيرة في صنعاء القديمة، سميت باسم مسجدها الصغير الذي كان يجلس فيه علماء الفتوى[1]. وتقع شرق حي القطيع، وتبلغ مساحتها (٧٤٧٥م٢)، (٠,٧٥هك) وتشكل نسبة مقدارها (٠,٥٪)، من مساحة المدينة القديمة، ويبلغ عدد سكانها (٤٤٢ نسمة) وبكثافة (٥٩٠شخص/هك)، ويشكل الاستخدام السكني أعلى نسبة بناء فيها (٦٥,٨٪) منها (٢٩,٧٪) هي مساحة الأفنية الخارجية للمباني السكنية. ومسجدها من مساجد صنعاء الصغيرة ويشكل نسبة مقدارها (٣,٦٪) من مساحة الحارة.

يخترق الحارة طريق رئيسي متعرج متَّسع في وسطه ويضيق في أطرافه ومحوره شرقي غربي يربط بين حارة الميدان وحارة ياسر، وتشكل الطرق والأزقة والساحات الصغيرة شبكة الطرق فيها وتشغل (٢١,٨٪) من مساحة الحارة، وتنعدم فيها الساحات الكبيرة (الصرحات)، وتشترك الحارة من جهة الشرق مع حارة صلاح الدين في المساحة الخضراء لمقشامة مسجديهما بمساحة (٦٢٨,٥م٢) وتشكل (٨,٥٪) من مساحة الحارة وهذه المقشامة أكثر انتماء وقرباً لمسجد صلاح الدين وتتغذى من بئره (المسنى) وتلتصق به وتبعد عن مسجد المفتون بنحو (٤٥م) شرقاً.

وتظهر الدراسة أن ارتفاعات المباني في هذه الحارة تتوعت ما بين (٦-١طوابق رئيسية) يغلب عليها المباني ذات الأربعة طوابق تشكل نسبة (٤٢٪)، والمباني ذات الطابقين والثلاثة طوابق تشكل نسبة مقدارها (٣٦.٨٪)، أما المباني ذات الخمسة والستة طوابق فتشكل ما نسبته (١٠.٧٪) الغالب فيها الخمسة طوابق، وجميع المباني ذات الطابقية المتعددة سكنية الاستخدام حيث نجد أن نسبة المباني ذات الطابق الواحد (١٠.٥٪) يغلب عليها الاستخدام العام أو الاستخدام الخدمي المرفق بالسكن.

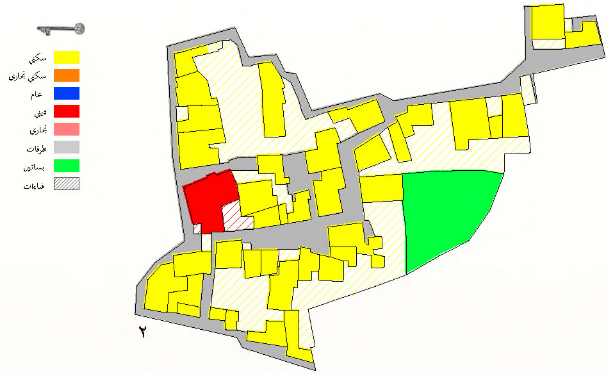
كما تظهر الدراسة أن نسبة كبيرة من مباني الحارة استخدم في بنائها الحجر والياجور معاً ومثلت نسبة عالية مقارنة بغيرها إذ تشكل (٨٤.٢٪)، تلاها الحجر بنسبة (١٣.٢٪)، وقليل جداً هو البناء المختلط من الحجر والياجور واللبن (٢,٦٪). والنظام الإنشائي للبناء هو النظام السائد في المدينة، الجدران الحاملة والتسقيف بالخشب والطين والذي سبقت الإشارة إليه في الكثير من المواضيع.

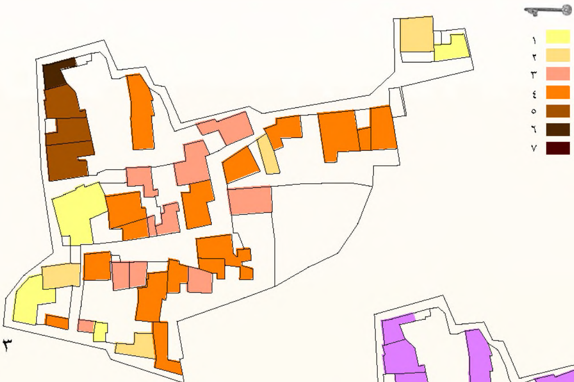
وحالة مباني الحارة جيدة بشكل عام عدا نسبة صغيرة لا تتجاوز (٢,٦٪) تمثل المباني المنهارة أو المهدمة جزئياً.

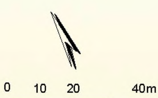


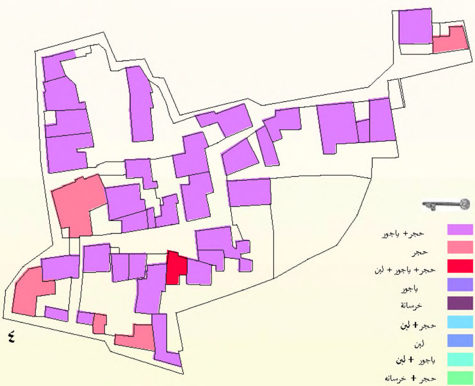
١





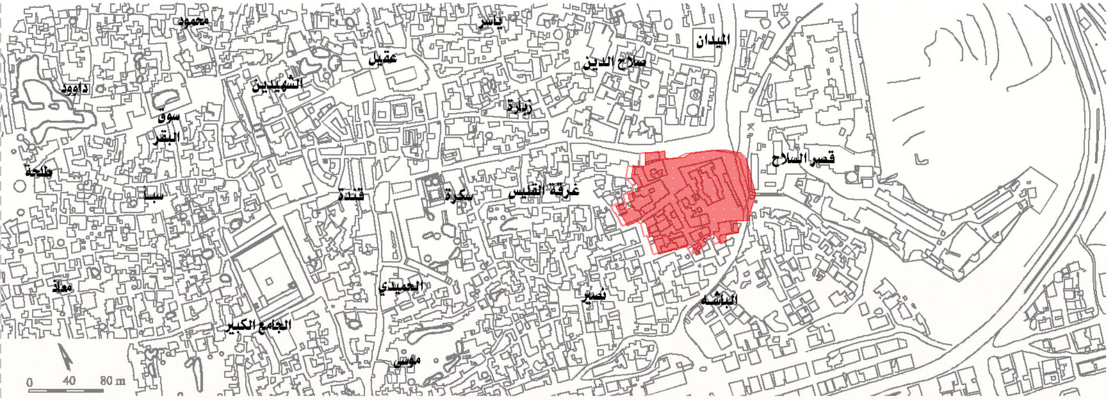






١. التكوين البنائي لحارة المفتون
٢. استخدامات الأراضي
٣. ارتفاعات المباني
٤. مواد البناء

حارة الأبزر (الأبرار)





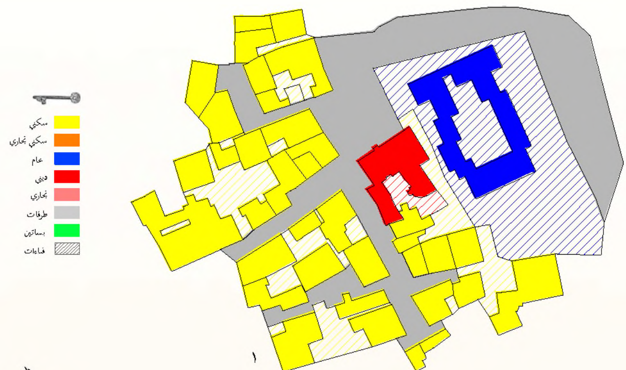
حارة الأبزر[٢] من حارات صنعاء القديمة والصغيرة نسبياً، تقع في شرق حي القطيع، وتبلغ مساحتها (١١٣٥٣م٢)، (١,١٤هك) وتشكل (٠,٨٪) من مساحة المدينة، ويبلغ عدد سكانها (٣٤٣ نسمة) وبكثافة (٣٠١ شخص/هك). ويغلب عليها الطابع السكني كغيرها من حارات صنعاء القديمة، إذ يشغل الاستخدام السكني نسبة (٤٣,٨٪) من مساحة الحارة منها (١١,٣٪) هي مساحة الأفنية الخارجية للسكن (الحوي). ويشغل مسجدها (الأبزر) نسبة قدرها (٣,٨٪) وتشغل مدرسة اللُّقية (النهضة سابقاً) نسبة (٢٣,٦٪) والتي قامت على ساحة الميدان الجنوبية، وبهذا اختلط البناء التقليدي القديم بالحديث. فجاءت طرقها وساحاتها (الصرحات) أكثر انتظاماً واتساعاً، مقارنة بغيرها من حارات صنعاء القديمة، وشغلت شبكة الطرق (٢٨,٨٪).

ولا توجد في هذه الحارة المناطق الخضراء الكبيرة من بساتين ومقاشم، نظراً لصغر مساحتها.

وتظهر الدراسة الميدانية أن ارتفاعات المباني في هذه الحارات تباينت في ارتفاعاتها من (١-٥) طوابق رئيسية، وتشكل المباني ذات الطابقين أعلى نسبة فيها (٣٤,٢٪)، وذلك نظراً لكبر ما تشغله مساحة المدرسة، وتليها المباني ذات الثلاثة طوابق (٢٦,٢٪) وجميعها سكنية، فالمباني ذات الأربعة طوابق (٢١.١٪)، فالطابق الواحد (١٣.٢٪)

واستخدامها كذلك سكني، وأقل نسبة في ارتفاعات المباني هي المباني ذات الخمسة طوابق (٥.٣٪) منها مسجدها.

كما تبين الدراسة أن نسبة كبيرة من مباني الحارة في حالة جيدة فيما تشكل المباني المنهارة أو المهدمة جزئياً نسبة صغيرة جداً هي (٢.٦٪). أما مواد البناء المستخدمة فإن البناء المختلط من الحجر والياجور أكثر كثافة استخدامية عن غيره (٧١.١٪)، ويليه البناء بالحجر منفرداً بنسبة (٢٦.٣٪)، ثم البناء باللبن ونسبته قليلة جداً لا تتجاوز (٢.٦٪)، ونظام البناء الإنشائي السائد هو الجدران الحاملة والتسقيف بالخشب والطين، وهو النظام السائد للبناء في عمارة صنعاء.



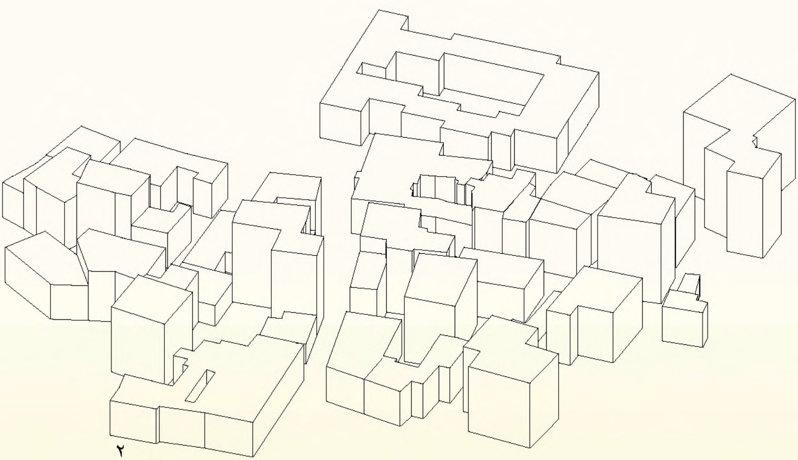


١.استخدامات الأراضي

٢.ارتفاعات المباني



١



٢

١. مواد البناء

٢. التكوين البنائي لحارة الأبزر

حارة الزمر





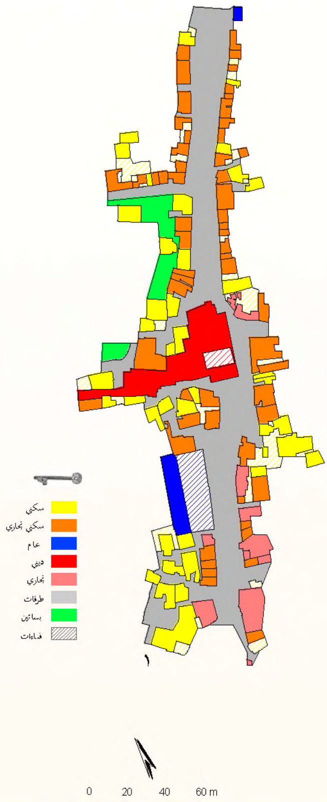
حارة الزمر من حارات صنعاء القديمة المتوسطة الحجم، وهي شريطية الشكل والتشكيل، وتقع إدارياً في حي السرار الشرقي، وعلى الرغم من ذلك فإنها تقسم محور امتداد السوق شمالاً، وبهذا التقسيم أيضاً يتضح الحد الفاصل بين كل من حي السرار الشرقي والقطيع، وفي وسط الطريق الرئيسي كانت مساحة سوق الجمال والذي أستغل جزءاً كبيراً منها الوالي العثماني أزدمر باشا في بناء مسجده والذي سمي باسمه وتحول بعد ذلك إلى الزمر وبه سميت الحارة[٣]. وبالإضافة إلى الاستخدام الكثيف لمباني الحارة في طوابقها العليا للسكن، إلا أن موقع الحارة على امتداد وتوسع السوق نحو الشمال، والاتساع للطريق الرئيسي فيها وشغل المساحات المتبقية لساحة سوق الجمال في الاستخدام التجاري، جعل من الحارة شريان الحركة التجارية ونشاطها المتصل بقلب السوق.

تبلغ مساحة الحارة (١٩١٥٢م٢)، (١،٩هك) وتشكل نسبة مقدارها (١،٤٪) من مساحة المدينة، وعدد سكانها (٨١٨نسمة) وبكثافة (٤٣١ شخص/هك)، ويشكل الاستخدام السكني أعلى نسبة بناء فيها (٢١،٧٪) منها (٦،٤٪) مساحة الأفنية الخارجية للسكن (الحوي)، أما المباني ذات الاستخدام السكني التجاري فتشكل نسبة مقدارها (١٧،٢٪)، علماً بأن الكثير من المباني السكنية المطلة على الطريق الرئيسي الواسع استغلت أدوارها الأرضية في النشاط التجاري.

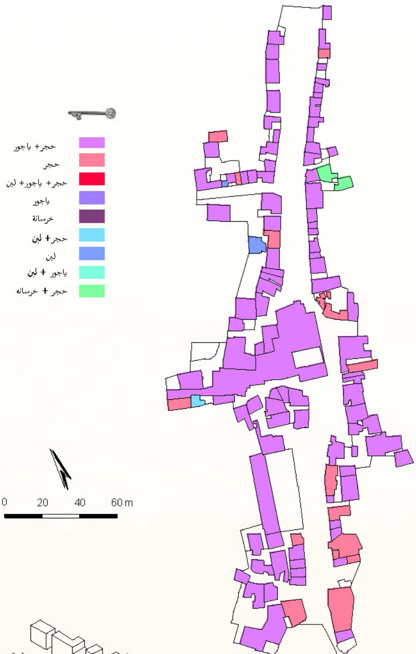
وزاد هذا الاستخدام كثافة في النصف الثاني من القرن العشرين، وعلى الرغم من عدم وجود مساحة خضراء ضمن الحدود الإدارية للحارة إلا أن الكثير من مبانيها السكنية تطل خلفياتها على مساحات خضراء، ثلاث مقاشم في شرقها ومقشامتين في غربها تشغل نسبة (٣.٨٪)، أما مسجدها (الزمر) فيشغل نسبة قدرها (٧.٦٪) من مساحتها فيما تشغل مدرسة ابن الأمير (حديثة العهد) نسبة (٥٪). وقد أنشئت بعض المباني التجارية ذات الطابقية المحدودة (١-٢طابق) أو المباني السكنية التي حورت بشكل تام إلى الاستخدام التجاري، وتشغل نسبة (٤.٧٪) من مساحة الحارة. ويشكل الطريق الرئيسي والساحات التي تتخلله أكبر نسبة من مساحة طرق وأزقة وساحات الحارة والتي تشكل جميعاً (٤٠٪) من إجمالي مساحة الحارة.

وتظهر الدراسة فروق ارتفاع مباني الحارة (١-٧طوابق رئيسية)، يغلب عليها المباني ذات الثلاثة والأربعة طوابق وبنسبة (٥٥.٣٪)، وتليها المباني ذات الطابق الواحد والطابقين (٢٨.٩٪)، ويغلب عليها طابع الاستخدام الديني والعام والتجاري، أما المباني ذات الطوابق من (٥-٧) طوابق فتشكل نسبة (١٥.٨٪). والمباني ذات الطوابق من (٣-٧طوابق) جميعها ذات خاصية الاستخدام السكني أو السكني التجاري.

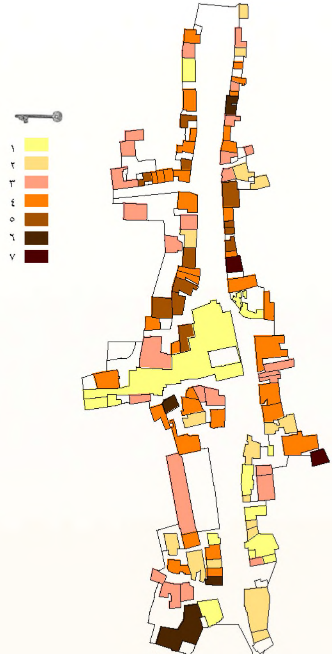
وكجميع حارات مدينة صنعاء القديمة فإن نسبة البناء بالحجر والياجور هي الأعلى (٨٠.٧٪) ويليها الحجر (١٤.٩٪) فالحجر والخرسانة (١.٨٪) واللبن (١.٨٪) فيما مثل البناء بالحجر واللبن معاً أقل نسبة (٠.٨٪). وحالة مباني الحارة جيدة بشكل عام وتبلغ نسبة المباني المهدمة (٠.٩٪).



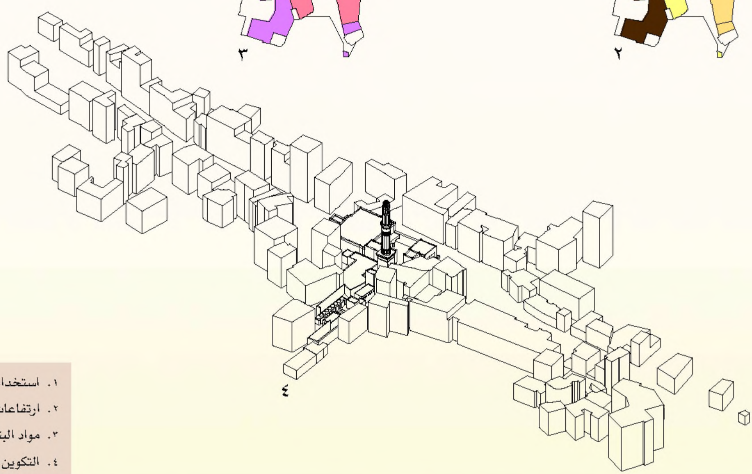




٣



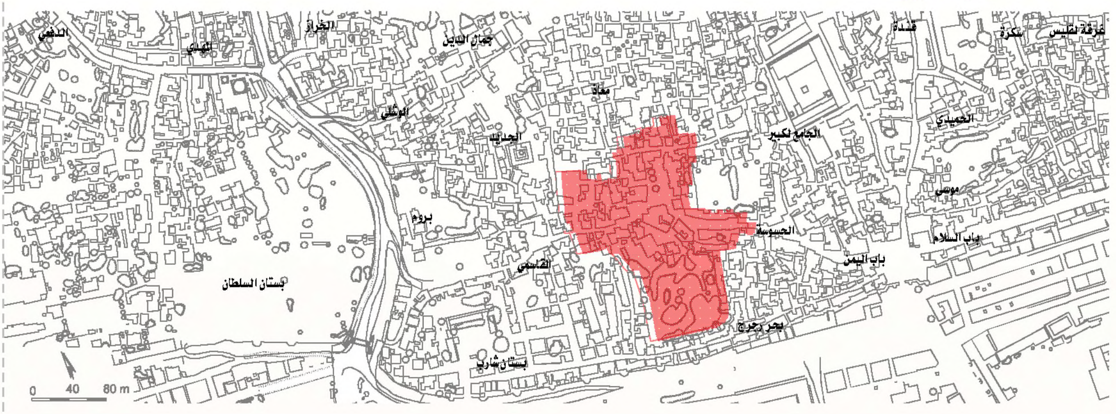
٢



٤

١. استخدامات الأراضي
٢. ارتفاعات المباني
٣. مواد البناء
٤. التكوين البنائي لحارة الزمر

حارة الأبهر



حارة الأبهر من حارات صنعاء القديمة متوسطة الحجم، وتقع في جنوب حي السرار الشرقي، ونسبت تسميتها إلى مسجدها (الأبهر)[٤]، وتبلغ مساحتها (٢٤٨١٣م٢)، (٢,٥هك) وتشكل نسبة (١,٨٪) من مساحة المدينة، ويقطنها (٨٩٥نسمة) بكثافة (٣٥٨شخص/هك)، ويشكل الاستخدام السكني أعلى نسبة فيها (٤٤٪) منها (١٣,٥٪) مساحة الأفنية الخارجية للمباني السكنية (الحوي)، فيما تنحصر المباني العامة الخدمية في حمامها (الأبهر)، (٠,٤٪) وتشغل المباني الدينية (المسجد ومدرسته الملحقة به) (٦,١٪).



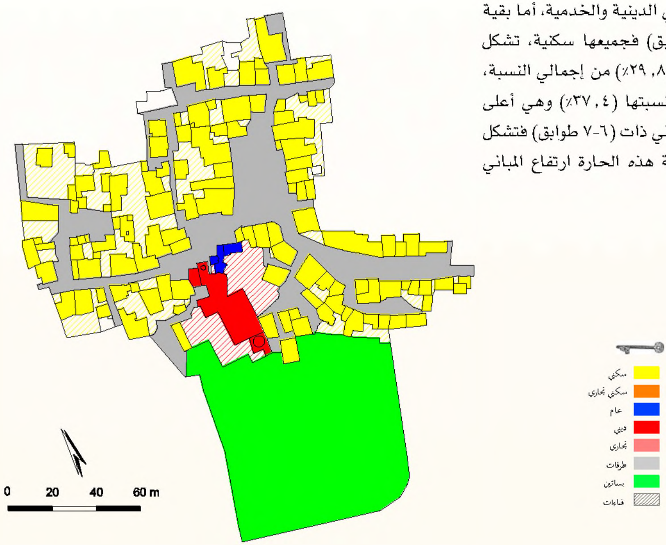
ويخترق الحارة طريق رئيسي يمتد من ساحة باب اليمن حتى السايلة عبر حارة القاسمي ويتصل بساحة (صرحة) كبيرة تتوسط الحارة تقريباً وهذه الصرحة من أكبر صرحات المدينة، وعلى الرغم من أن مسجدها يقع في طرفها الجنوبي إلا أن مئذنته العالية تقدمت بيت الصلاة وقِبلتها، وبهذا تفردت عن بقية مآذن مساجد صنعاء من حيث الموقع وذلك بغرض توجيه الحركة وكعلامة دالة للحارة وصرحتها الجانبية المطلة عليها فيما تكسر الحركة باتجاه الشمال للطريق الرئيسي واتجاه محوره (الغربي- الشرقي)، وللحارة أكثر من صرحة صغيرة ومتوسطة وكبيرة يتصل بعضها ببعض وتربط طرق وأزقة الحارة لتشكل معاً (٢٢,١٪) من إجمالي مساحة الحارة.

والحارة في نشأتها الأولى (بداية العصر الإسلامي) قامت في الجزء الجنوبي من بستان باذان (الديناباد) وكانت مساحاتها الخضراء تمتد حتى السور من جهة الجنوب وانحصرت لتشغل (٢٧,٤٪) من المساحة الحالية للحارة، وذلك بعد أن شغلت المساحة المتبقية الممتدة شرقاً وغرباً وبمحاذاة سور حارة بحر رجرج والتي تعود نشأتها في أكثر تقدير إلى منتصف القرن التاسع عشر الميلادي.

وتظهر الدراسة فارق ارتفاعات مباني الحارة (١-٧طوابق رئيسية)، والتي تشكل فيها المباني ذات الطابق الواحد (٢٥,٢٪) والغالب فيها هي المباني الدينية والخدمية، أما بقية المباني ذات الطابقية (٢-٧ طوابق) فجميعها سكنية، تشكل المباني ذات (٢-٣ طوابق) نسبة (٢٩,٨٪) من إجمالي النسبة، أما المباني ذات (٤-٥ طوابق) فنسبتها (٣٧,٤٪) وهي أعلى نسبة طابقية في الحارة، أما المباني ذات (٦-٧ طوابق) فتشكل (٧,٦٪) وفي هذا يتبين أن سمة هذه الحارة ارتفاع المباني وبنسبة عالية.

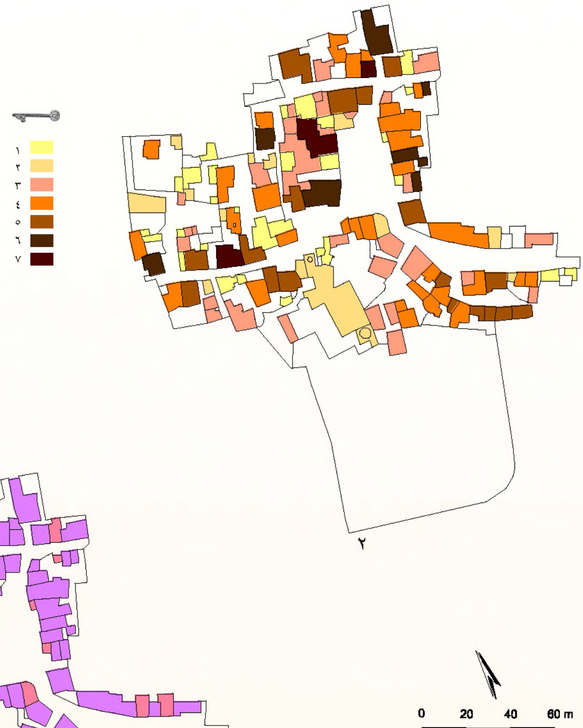
كما توضح الدراسة أن مادة البناء بالحجر والياجور معاً تمثل أعلى نسبة من حيث الاستخدام (٧١,٧٪)، يليها الحجر (٢٤,٤٪) ويتضاءل استخدام بقية المواد الرئيسية في البناء إلى أدنى حدوده حيث تأتي نسبة استخدام الياجور (١,٥٪)، والخرسانة إلى نحو (٠,٨٪)، والحجر والخرسانة معاً (٠,٨٪)، وكذلك الحجر واللبن (٠,٨٪).

وحالة جميع مباني الحارة تقريباً جيدة وتشكل المباني المنهارة والمهدمة جزئياً نسبة لا تزيد عن (٣,٨٪).

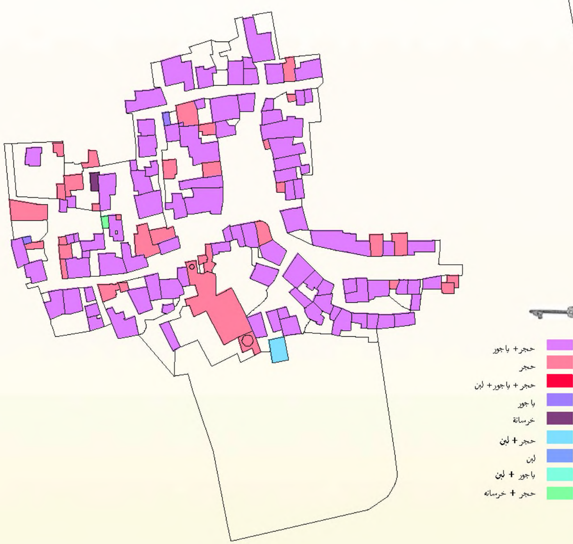


١



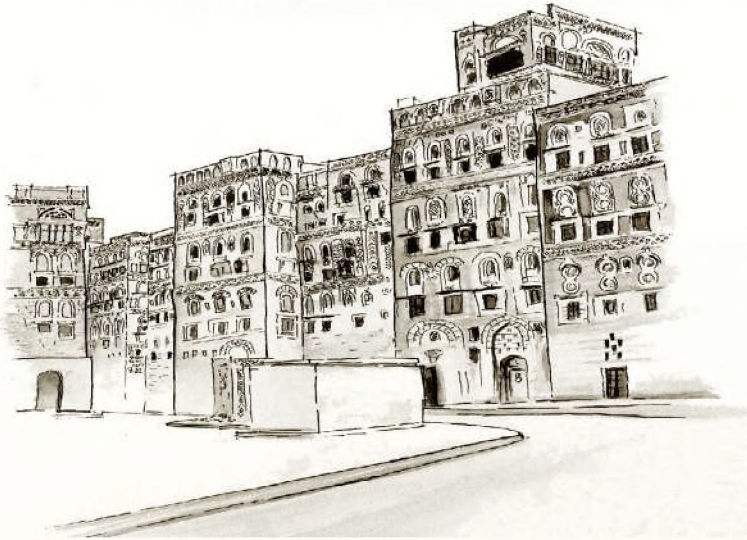


٢

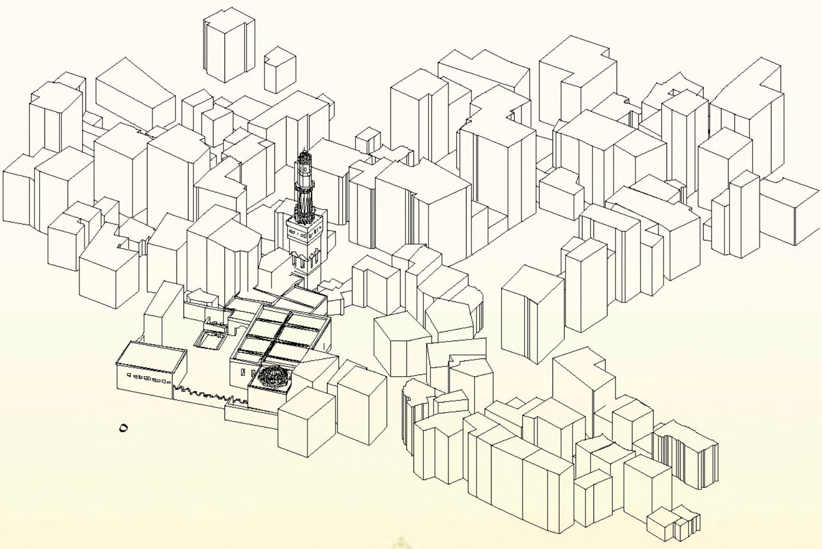


٣

١. استخدامات الأراضي
٢. ارتفاعات المباني
٣. مواد البناء
٤. صرحة الحارة
٥. التكوين البنائي لحارة الأبهر

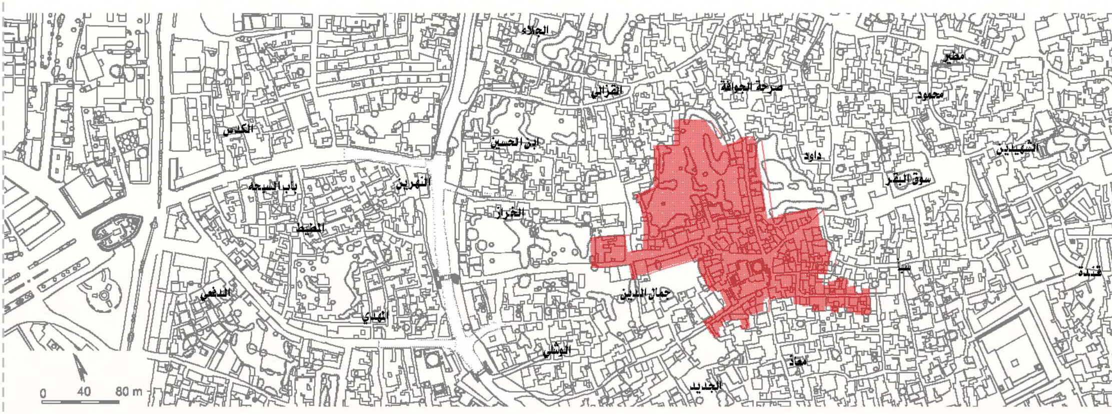


٤



٥

حارة طلحة





حارة طلحة من الحارات الكبيرة نسبياً في مدينة صنعاء القديمة، وسميت باسم مسجد (قبة) طلحة الذي يتوسطها، وتقع في وسط حي السرار الشرقي. وتبلغ مساحتها (٢٩٠٠٢م٢)، (٢,٩هك) وتشكل نسبة مقدارها (٢,١٪) من مساحة المدينة، وعدد سكانها (٥٣٢ نسمة) وبكثافة (١٨٣شخص/هك)، ويغلب على مبانيها الطابع السكني إذ يشغل (٤١,٤٪) من مساحة الحارة منها (١٠,٥٪) هي مساحة الأفنية الخارجية للمباني السكنية (الحوي)، وفيها مسجدان أحدهما كبير الحجم وبقبة مركزية تسقف بيت الصلاة وله بئر مسنى، هو قبة طلحة، ويجاوره المسجد الآخر وهو مسجد الطاووس الذي يعد من أقدم وأصغر مساجد صنعاء القديمة[٥]، ويشغلان معاً مع مدرسة طلحة (٥,٩٪) من مساحة الحارة.

يخترق الحارة أحد محاور (طرق) المدينة الرئيسية الممتد من الشرق إلى الغرب ويضيق هذا الطريق ويتسع وسط الحارة وأطرافها ليفتح على ساحات (صرحات) متباينة المساحة، كما يتعامد عليه طريق آخر يتجه من الجنوب إلى الشمال ويلتقي معه ويتقاطع في الصرحة الأمامية الشرقية لمسجد طلحة، ويتفرع من الطريقين الرئيسيين طرق أضيق وأزقة تفتح على ساحات أصغر نسبياً لتشكل في مجملها شبكة طرق الحارة وبمساحة تشكل (١٨,١٪) من إجمالي مساحة الحارة.

وللحارة مقشامة كبيرة تسمى بستان الطاووس نظراً لكبرها، كما تشترك جزئياً بالمساحة الغربية لمقشامة داود والتي تكسب واجهات مباني الحارة إطلالة جميلة على المقشامة من جهتي الشمال والشرق، وتشغل المساحات الخضراء في مجملها (٣٤,٥٪)، أما المباني العامة فتشغل نسبة مقدارها (٠,١٪) من مساحة الحارة. ومخطط الحارة غير منتظم وكثير التكسر وذلك لكونها متداخلة مع ثمان حارات جوار.

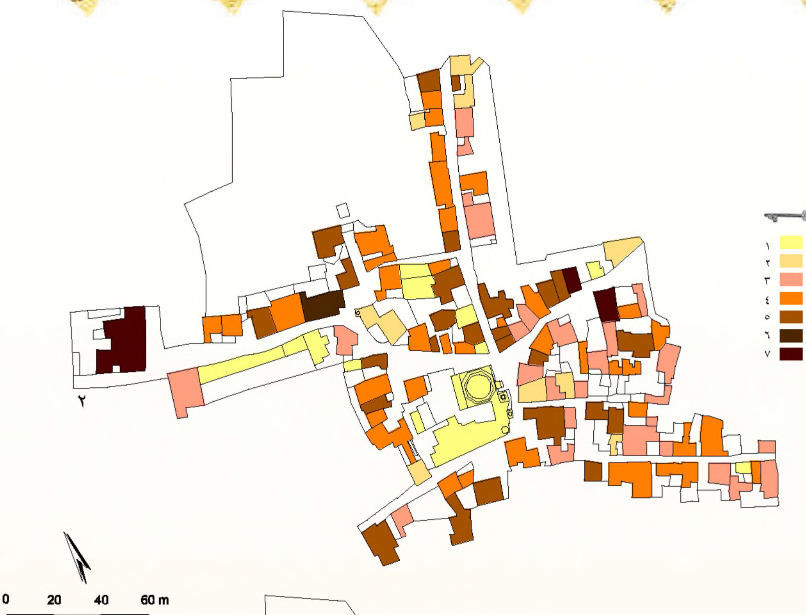
وتظهر الدراسة أن ارتفاعات مباني الحارة تباينت ما بين (١-٧) طوابق رئيسية، وتشكل المباني السكنية أعلى نسبة منها ذات الطابقية (٣-٧) وبنسبة (٧٩٪)، والمباني من (١-٢) طابق تشكل باقي النسبة (٢١٪) ويغلب عليها المباني الدينية والخدمية (المائية). وأعلى نسبة في ارتفاع المباني السكنية هي المباني ذات الطوابق (٤-٥) حيث تشكل (٦٣٪)، ونسبة المباني ذات السبعة طوابق (٢,٥٪) وبهذا نجد الحارة تتسم بالارتفاع العالي في مبانيها.

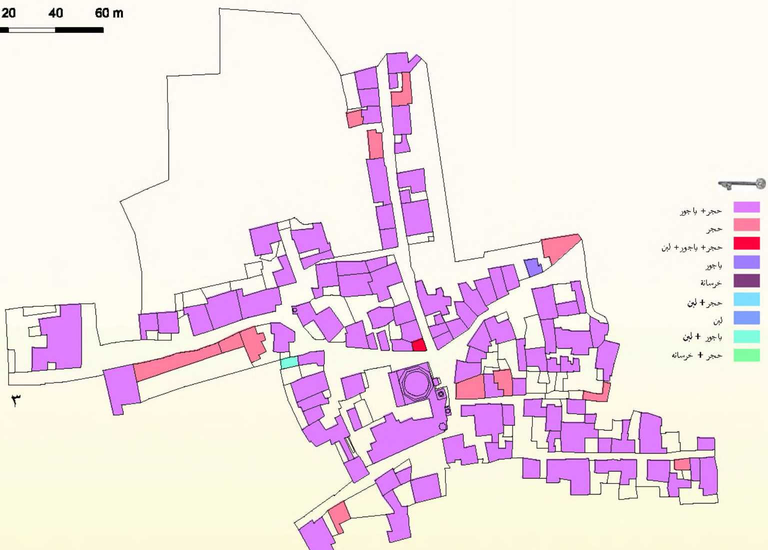
كما تظهر الدراسة أن مادتي الحجر والياجور المتدرجتي الاستخدام في بناء المباني السكنية البرجية هما أكثر مواد البناء الرئيسية استخداماً وبنسبة (٨٧,٥٪) يليها الحجر منفرداً وبنسبة (١٠,١٪) ويتضاءل كل من البناء بالياجور منفرداً والبناء بالخرسانة واللبن وكذلك اشتراك البناء بالحجر مع الياجور واللبن إلى نحو (٢,٤٪)، ويتضح من هذا أن مواد البناء الرئيسية الحديثة إنعدمت تماماً وذلك لعدم إنشاء مبان حديثة كالمدارس وغيرها في الحارة.

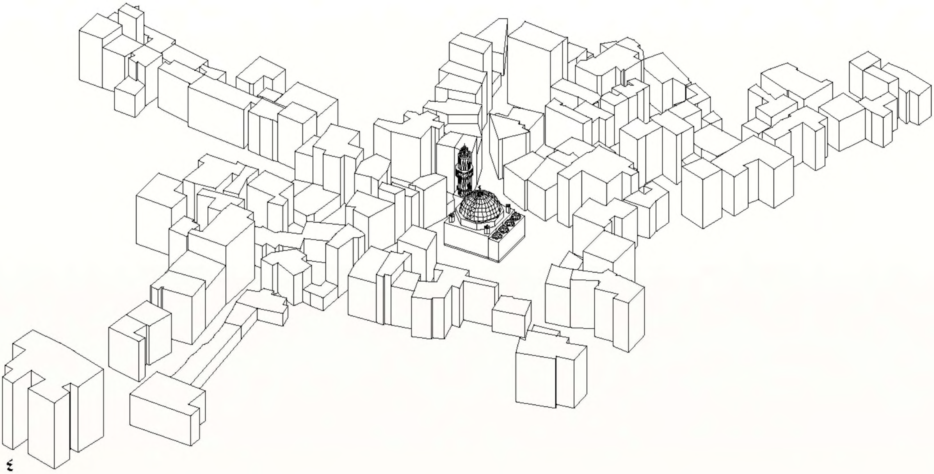
وحالة المباني فيها جيدة كغيرها من الحارات فيما تمثل المباني المنهارة أو المهدمة جزئياً نسبة (٠,٥٪) من إجمالي حالة مباني الحارة.






١
٢
٣
٤
٥
٦
٧
0 20 40 60 m
٢

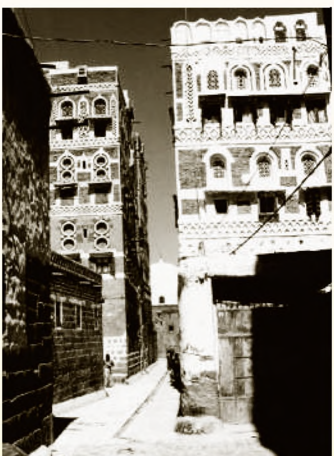

حجر+ باجور
حجر
حجر+ باجور+ لبن
باجور
خرسانة
حجر+ لبن
لبن
باجور + لبن
حجر + خرسانه
٣



٤



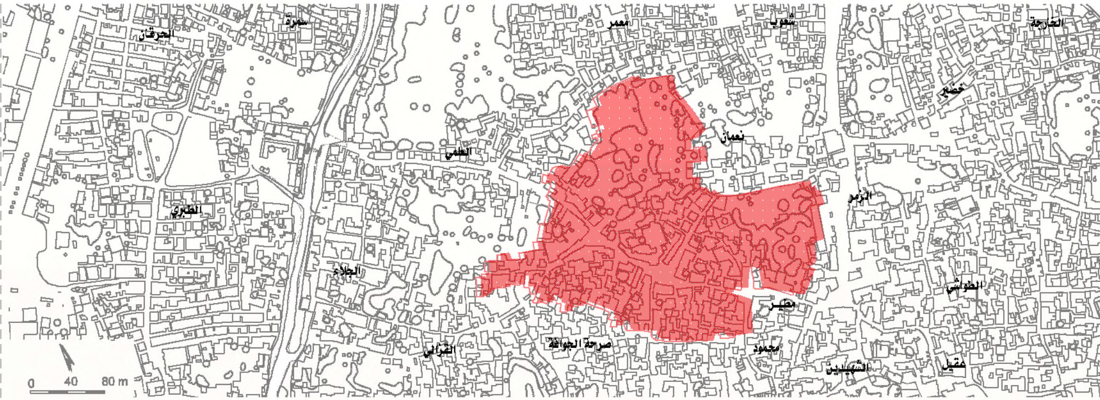
٦

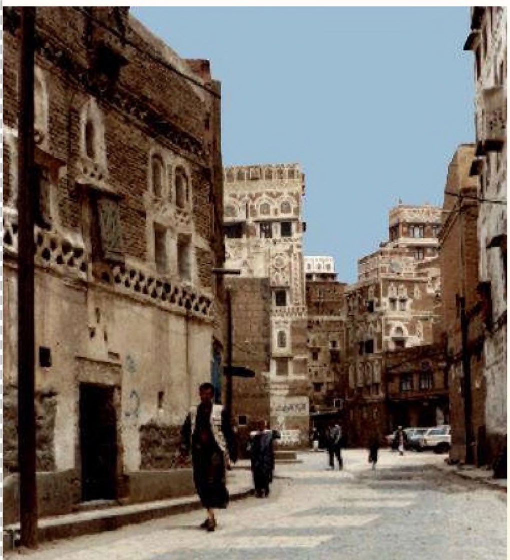


٥

١.استخدامات الأراضي
٢.ارتفاعات المباني
٣.مواد البناء
٤.التكوين البنائي لحارة طلحة
٥.حارة طلحة من جهة الجنوب
٦.حارة طلحة من جهة الشمال

حارة الفليحي





حارة الفليحي من أكبر الحارات في حي السرار الشرقي والمدينة القديمة بشكل عام وتقع في وسط الجزء الشمالي من الحي، وسميت باسم مسجدها (الفليحي)[٦] الذي يتوسطها. وتبلغ مساحتها (٥٣٧٦٠,٤م٢) (٥,٤ هك)، وتشكل نسبة مقدارها (٣,٩٪) من مساحة المدينة، وعدد سكانها (١٣٧٢نسمة) وبكثافة (٢٥٤شخص/هك). ويغلب على مبانيها الطابع السكني وتشكل نسبة (٤١,٨٪) من مساحة الحارة، منها (١٢,٦٪) هي مساحة الأفنية الخارجية للسكن (الحوي)، وتشغل المباني الدينية الممثلة بمسجد الفليحي ومدرسته ومسجد غزل الباشه نسبة قدرها (١٪) من المساحة.

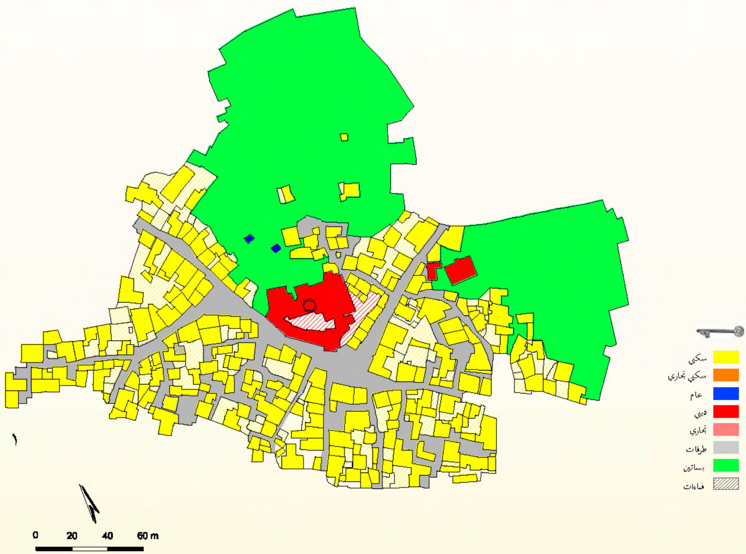
وللحارة صرحة كبيرة تتوسطها وتجاور مسجد الفليحي من جهة جنوبه الشرقي، تتفرع منها ثلاث طرق رئيسية، الشرقية والشمالية تنفذان إلى مركز السوق وامتداد توسعه الشمالي، والغربية تربطها بصرحة أصغر منها نسبياً يتفرع منها طريقان رئيسيان غربي وجنوبي غربي يربط الحارة بحارات الجوار، وتتفرع من الصرحتين (الساحتين) الرئيسيتين للحارة الطرق الرئيسية والفرعية التي تربطها ببقية الحارات، والأزقة التي تصل مبانيها، وتلتقي الطرق والأزقة وتتقاطع في صرحات صغيرة تتخلل نسيج الحارة، والطريق الرئيسي الممتد من السوق والذي يخترق الحارة عبر صرحتيها يمتد حتى السايلة عبر حارة العلمي وهذا الطريق من طرق المدينة الرئيسية، وتشغل شبكة الطرق ما نسبته (١٤,١٪) من إجمالي مساحة الحارة.

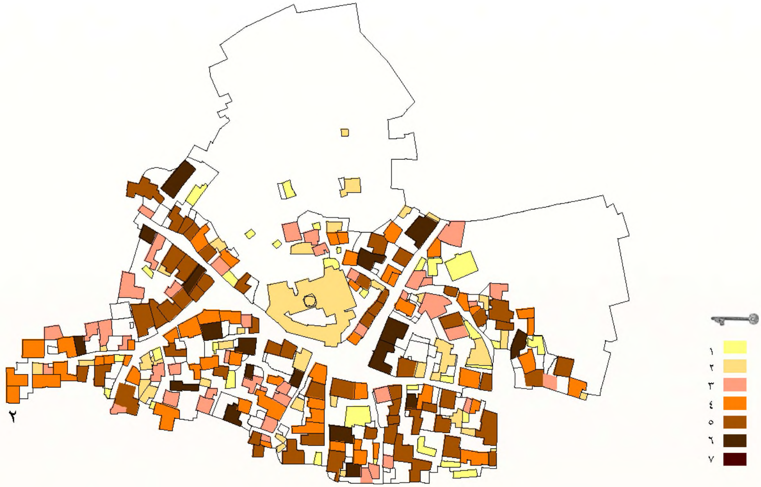
وتمتاز الحارة بكثافة المساحة الخضراء، فلها مقشامتان كبيرتان (الفليحي وغزل الباشه)، وتشغلان ما نسبته (٤٠٪) من مساحة الحارة، ومن الجدير بالذكر أن مقشامة الفليحي تتصل بمقشامة مسجد الزمر من جهة الشرق، حيث كانت ولا تزال مطاهير وبئر مسجد الزمر تسقي مياهها المقشامتين عبر ساقية صغيرة، وذلك نظراً للكثافة العالية في الاستخدام لمسجد الزمر لتوسطه امتداد السوق ومحور الحركة التجارية مما رفع من كمية المياه المستخدمة للوضوء، والتي زادت عن حاجة مقشامة المسجد وبالتكامل وزع الفائض لري مقشامة الفليحي الأكبر مساحة.

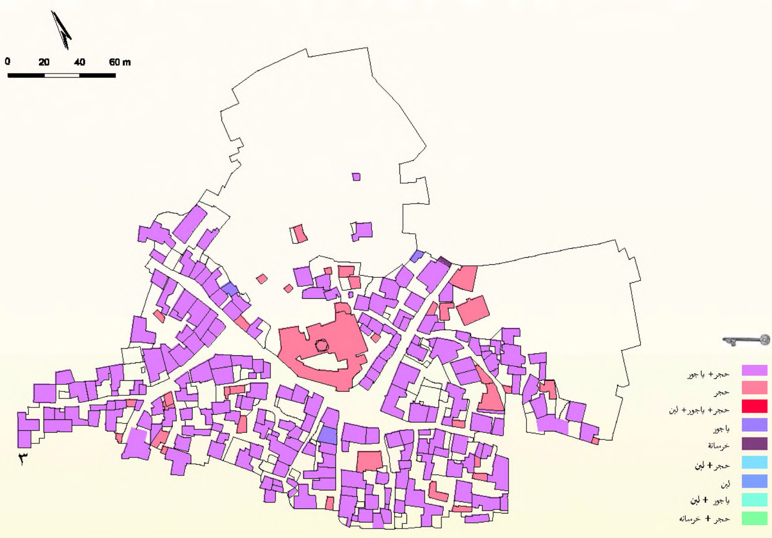
وتظهر الدراسة أن ارتفاعات المباني في هذه الحارة تنوعت ما بين (١-٦) طوابق رئيسية، وتشغل المباني ذات الطابق الواحد نسبة (١٣,٦٪) وهذه النسبة المنخفضة تشير إلى أن المباني الدينية هي التي تمثلها إجمالاً، فيما تمثل بقية النسبة (٨٦,٤٪)، المباني السكنية التي ترتفع من (٢-٦) طوابق الغالب فيها المباني من (٤-٦) طوابق بنسبة (٥٣,٢٪) من إجمالي النسبة النوعية (الطابقية).

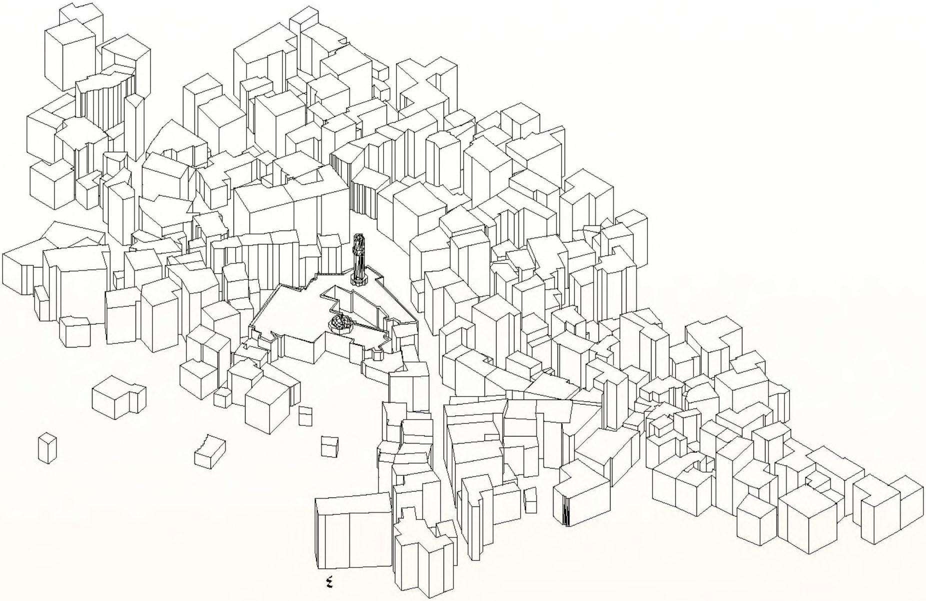
كما تبين الدراسة أن المواد الرئيسية المستخدمة في البناء هي الحجر والياجور متدرجين وبنسبة (٨٣٪)، يليها الحجر منفرداً وبنسبة (١٤,٩٪)، ومن ثم الياجور منفرداً وبنسبة (١,٧٪)، فيما مثلت مادة الخرسانة الحديثة نسبة ضئيلة جداً (٠,٤٪) وصار استخدامها غير مشروع ودخيل ومخالف لنظم وقوانين البناء المشرعة من قبل هيئة الحفاظ على المدن التاريخية.

ويتضح من ذلك أن المباني الحديثة الطراز ومادة وتقنية البناء لا وجود لها في الحارة. وحالة مباني الحارة جيدة، وتدنت فيها نسبة المباني المنهارة أو المهدمة جزئياً إلى نحو (٢,٤٪).




٢
١
٢
٣
٤
٥
٦
٧
0 20 40 60 m


٣
حجر+ باجور
حجر
حجر+ باجور+ لبن
باجور
خرسانة
حجر + لبن
لبن
باجور + لبن
حجر + خرسانه

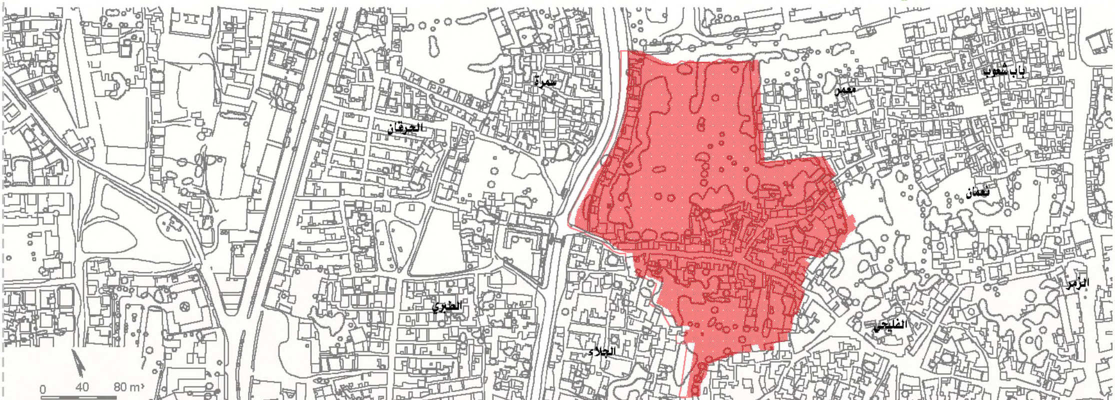


٤



١. استخدامات الأراضي
٢. ارتفاعات المباني
٣. مواد البناء
٤. التكوين البنائي لحارة الفليحي
٥. صرحة الحارة باتجاه الشرق

حارة العلمي





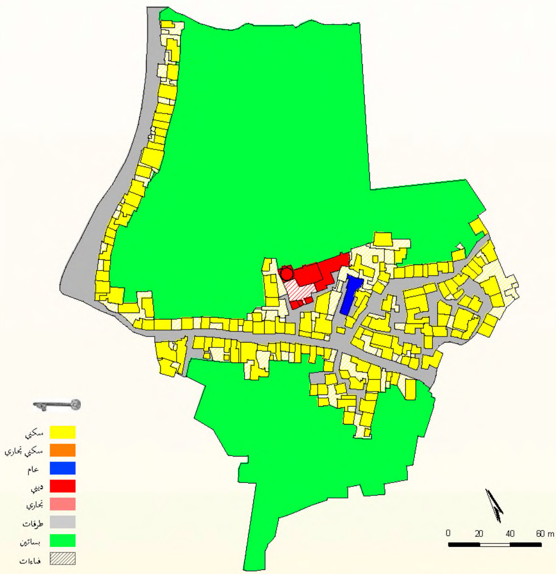
حارة العلمي تعد من أكبر حارات حي السرار الشرقي والمدينة عامة وتقع في الشمال الشرقي للحي وتحاذي سور المدينة، وتبلغ مساحتها (٥٤٨١٩م٢) (٥,٥هك) وتشكل (٤٪) من إجمالي مساحة المدينة، وعدد سكانها (١٠٢٠نسمة) وبكثافة (١٨٥شخص/هك). وينتشر فيها البناء في جزئها الجنوبي وبكثافة في الاتجاه الشرقي منه فيما يرتص البناء وبشكل شريطي على الضفة الشرقية، للسايلة وعدا مسجدها فجميع مبانيها سكنية وتشكل نسبة (٢١,٧٪) من مساحة الحارة، منها (٦,٥٪) مساحة الأفنية الخارجية للمباني السكنية (الحوي)، فيما يشغل المسجد (١,٤٪). وللحارة طريق رئيسي واحد يتصل بالطريق الرئيسي لحارة الفليحي من جهة الشرق ويمتد حتى السايلة غرباً ليتصل بجسر للمشاة ينقل الحركة إلى حارتي سمرة والطبري في حي السرار الغربي، وتتفرع منه طرق فرعية وأزقة، وتنعدم فيها الصرحات الكبيرة فيما تنتشر صرحات صغيرة وبشكل محدود العدد عند ملتقى الطرق الفرعية، ويفصل المباني المحاذية للسايلة طريق شريطي يضيق ويتسع في أجزاء منه ومخصص في الأساس للمشاة، ولذلك فإن شبكة طرق الحارة لا تتجاوز (١١,٥٪) من مساحتها رغم كبر الحارة، وذلك لأن مساحة بستان الهبل في شمالها تشغل جزءاً كبيراً من مساحتها، بالإضافة إلى مساحة المقشامة الكبيرة نسبياً في جنوبها فإن المساحة الخضراء تشغل ما نسبته (٦٥,١٪) من إجمالي مساحة الحارة.

أما المباني العامة الأخرى فمحدودة جداً ولا تزيد نسبة ما تشغله عن (٠,٣٪) من إجمالي مساحة الحارة.

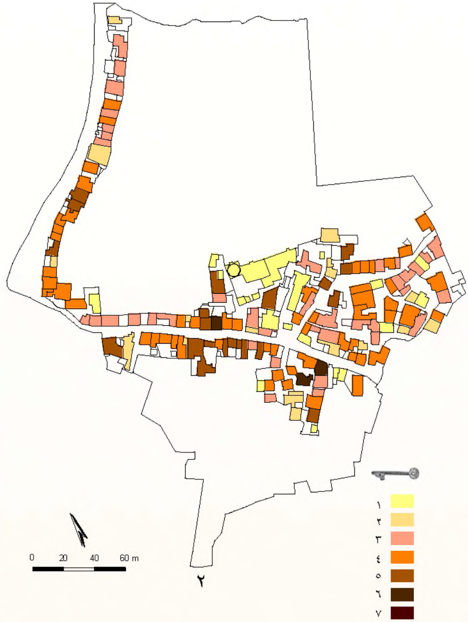
وتبين الدراسة أن ارتفاعات مباني الحارة تفاوتت بين (١-٦ طوابق رئيسية) شكلت المباني ذات الطابق الواحد نسبة (١٥٪) ويشكل المسجد ومرافقه جزءاً كبيراً منها، وأتت المباني ذات الارتفاع (٢-٣) طوابق بنسبة (٢٢,٣٪)، فيما شكلت المباني ذات الارتفاع (٤-٦) طوابق ما نسبته (٦٢,٧٪)، ويتضح من ذلك سمة الارتفاع العالي النسبي لمباني الحارة.

كما توضح الدراسة أن مواد البناء الرئيسية من حيث الاستخدام يمثل فيها اشتراك الحجر والياجور المتدرج أعلى نسبة (٧٤,٣٪) يأتي بعده الحجر كمادة بناء منفردة وبنسبة (١٠,٦٪) يليها البناء بالحجر واللبن معاً ونسبته (٣,٨٪) وكذلك البناء بالياجور منفرداً بنسبة (٣,٨٪) ونسبة البناء بالخرسانة لم تتجاوز (٢,٥٪) وأدنى نسبة في الاستخدام هو اللبن المنفرد واشتراك الحجر مع الخرسانة وكلاهما لم يتجاوز نسبة (١,٢٪)، أما اشتراك الحجر والياجور واللبن وكذلك اشتراك الياجور واللبن فلم تتجاوز نسبتهما أيضاً (٣,٨٪).

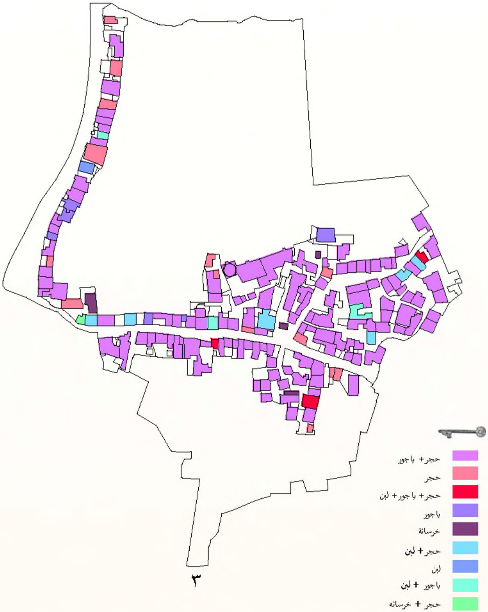
وحالة المباني جيدة ولم تتجاوز المباني المنهارة أو المهدمة جزئياً ما نسبته (٤,٤٪).



١


١
٢
٣
٤
٥
٦
٧
0 20 40 60 m

٢


حجر+ باجور
حجر
حجر+ باجور+ لبن
باجور
خرسانة
حجر+ لبن
لبن
باجور + لبن
حجر + خرسانه

٣



٤



٥



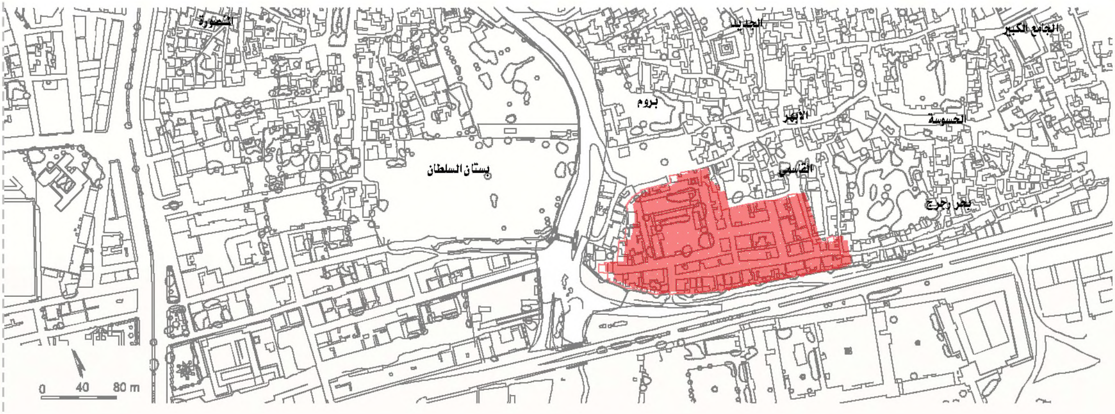
٦



٧

١. استخدامات الأراضي
٢. ارتفاعات المباني
٣. مواد البناء
٤،٥. الطريق الرئيسي للحارة باتجاه الشرق
٦. التكوين البنائي لحارة العلمي
٧. مباني الحارة على ضفة السايلة بواجهاته المطلة على البستان

حارة بستان شارب



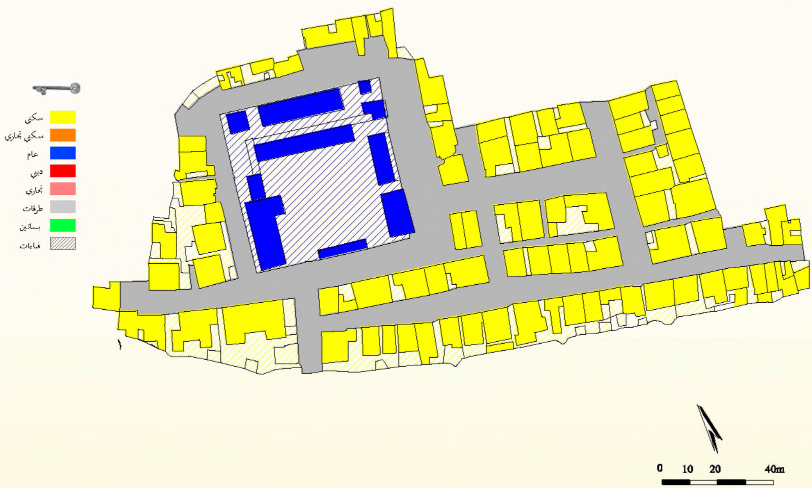


حارة بستان شارب من حارات المدينة المتوسطة الحجم نسبياً، وهي حارة استحدثت بعد منتصف القرن العشرين الميلادي على كامل أرض بستان شارب (بستان الجمل سابقاً)، وتقع في الجنوب الغربي لحي السرار الشرقي، وتحاذي سور المدينة من جهة الجنوب، وتبلغ مساحتها (٢١١٧٣م٢)، (٢,١ هك) وتشكل نسبة مقدارها (١,٥٪) من مساحة المدينة القديمة وعدد سكانها (١٥٩٩نسمة) وبكثافة (٧٦١شخص/هك). ولا توجد في الحارة المباني الدينية، فيما شكلت مدرسة حديثة البناء والطراز مركزها وبنسبة (١٦,٧٪) وعدا المدرسة فإن جميع مباني الحارة سكنية وإن مثلت طراز عمارة صنعاء القديمة من حيث مادة وتقنية البناء، إلا أنها اختلفت بتباين كبير في سلوك تشكيل الفضاءات وتوزيع الوظائف في الاتجاهين الرأسي والأفقي، وكذلك شكل المسقط الذي جاء أكثر انتظاماً، فيما اتسعت الفتحات بدءاً من الطابق الأرضي وبتدرج ازدادت اتساعاً في الطوابق العليا، وذلك نتاج للتغير النسبي في وظائف الدور الأرضي، حيث استخدمت بعض فضاءاته للسكن أيضاً. وتشكل المباني السكنية ما نسبته (٤٨,٨٪) من إجمالي مساحة الحارة منها (١٢,٦٪) مساحة الأفنية الخارجية (الحوي). ولانتظام مسقط المبنى السكني والتصاقه المنتظم الشريطي في الاتجاهين المتعامدين انتظمت الطرقات وبذلك لا توجد الساحات (الصرحات) وكذلك الأزقة.

وشغلت الطرق ما نسبته (٣٤,٥٪) من مساحة الحارة وعلى الرغم من أن الحارة قامت في الأساس على أرض بستان إلا أن المساحات الخضراء الكبيرة لا توجد، وما يرى من أشجار فيها هي الأشجار المزروعة في أفنية مدرسة (نشوان الحميَري) وبعض الأفنية الخارجية للمباني السكنية وأطرافها.

وتوضح الدراسة أن ارتفاعات المباني في هذه الحارة تنوعت ما بين (١-٧) طوابق رئيسية، يغلب عليها المباني ذات الثلاثة طوابق وبنسبة (٤٠,٨٪) وشكلت المباني ذات الارتفاع (١-٢) طابق (٣٧,٨٪)، يلي ذلك المباني ذات الأربعة طوابق ونسبتها (١٦,٥٪)، أما المباني ذات (٥-٦) طوابق فتشكل نسبة (٣,٩٪)، ومبنى واحد فقط ارتفع سبعة طوابق ونسبته (١٪). ويتضح من ذلك أن المباني ذات (٤-٧) طوابق جميعها سكنية، وأن المباني من (١-٣) طوابق يغلب عليها الاستخدام السكني، ويوضح هذا في مجمله أن سمة الحارة الارتفاع المتوسط لمبانيها مقارنة بغيرها من مباني حارات مدينة صنعاء القديمة.

وتبين الدراسة تبايناً وتداخلاً في مواد البناء الرئيسية ورغم ذلك فإن مادتي الحجر والياجور المستخدمتين بترحال تمثل (٦٣٪)، يليها الحجر منفرداً وبنسبة (٢٧,٢٪)، ورغم حداثة المدرسة إلا أنه استخدم في بنائها الحجر وبكثافة عالية، ونجد أن اشتراك الحجر والخرسانة المسلحة لم يتعد استخدامها ظاهرياً (٣,٩٪)، وتداخل اللبن مع الحجر والياجور في البناء بنسبة (٤,٩٪)، واستخدم اللبن والحجر مجتمعين بنسبة ضئيلة لا تتجاوز (١٪). ولحداثة المباني في هذه الحارة نجد أنه استخدم في تسقيف بعض فضاءات مبانيها المدادات الخشبية منتظمة المقطع وألواح مستوية السطح خلافاً لتقنية البناء السائدة في تسقيف بقية الحارات في مدينة صنعاء القديمة. وحالة المباني جيدة وذلك لعمرها القصير نسبياً.



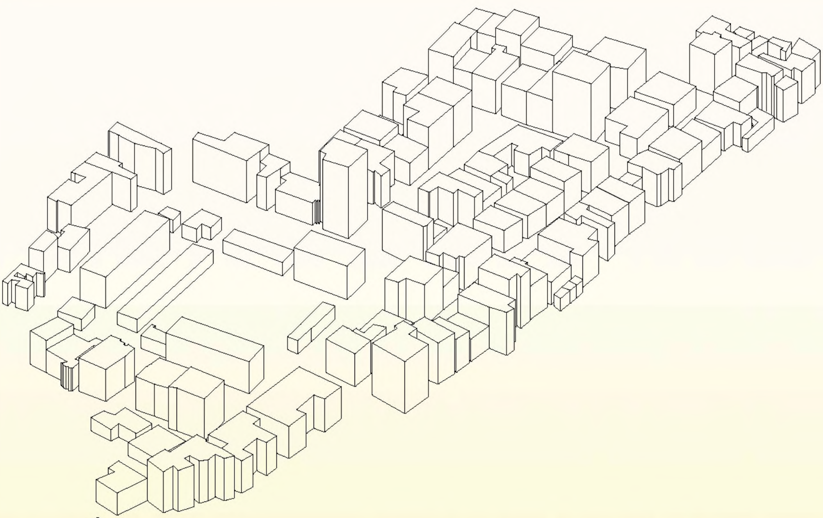




١. استخدامات الأراضي
٢. ارتفاعات المباني
٣. مواد البناء
٤. الطريق الرئيسي في حارة بستان شارب
٥. التكوين البنائي لحارة بستان شارب

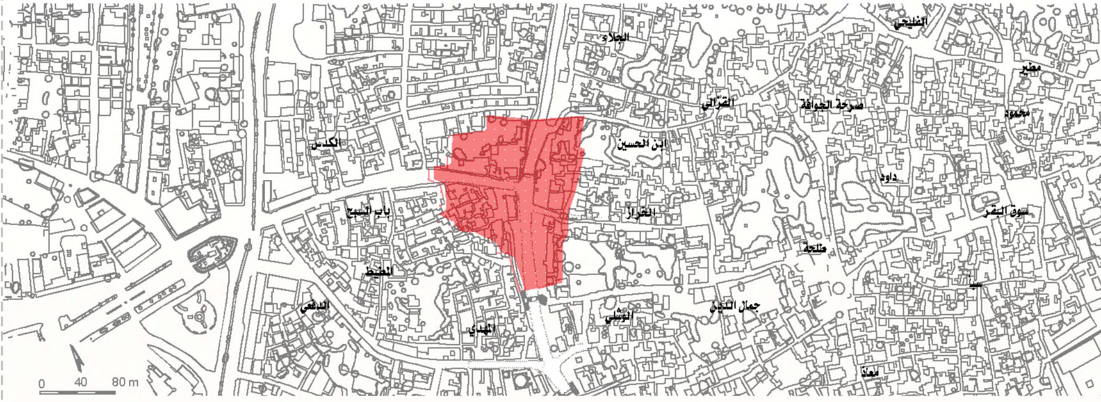


٤



٥

حارة النهرين



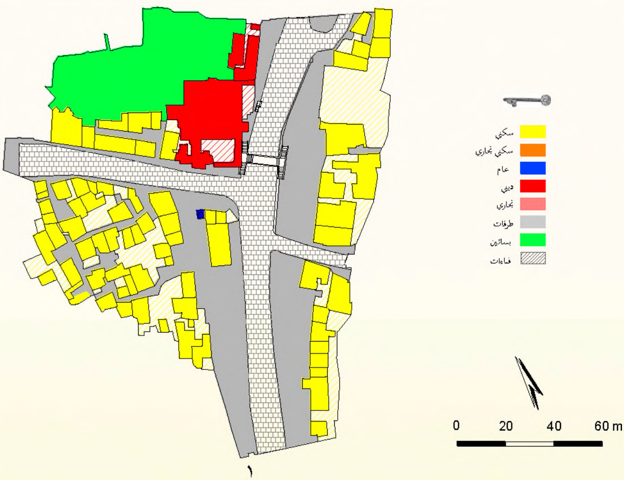
حارة النهرين من حارات صنعاء القديمة المتوسطة، ومثلت في نشأتها الأولى في العهد الأيوبي (٥٦٩-٦٢٥هـ/١١٧٣-١٢٢٣م) محور امتداد المدينة وتوسعها غرب السايلة، وتتفرد عن بقية حارات المدينة في خاصية شغلها مساحة مشتركة بين كل من حي السرار الشرقي وحي السرار الغربي تفصل جزئيها السايلة ويربطها الجسر الرابط بين المدينة شرقاً وحيها الجديد غرباً كما يعبرها الطريق المحوري الممتد من شرق المدينة إلى غربها وحتى باب السبحة، وجزئها الغربي أكبر مساحة وأكثر كثافة بناء عن جزئها الشرقي، ولهذا فهي تنتمي إلى التكوين العام لحي السرار الغربي، ولوقوعها على ضفتي السايلة جاءت تسميتها بالنهرين وبذلك سمي أيضاً مسجدها. ولنشأتها المبكرة [٧] نسبياً مثلت وإلى وقت قريب الحارة الأكثر كثافة بنائية وسكانية مقارنة بغيرها من حارات حي السرار الغربي حيث كانت البساتين الكبيرة وحتى منتصف القرن العشرين تشغل ما نسبته أكثر من (٨٠٪) من مساحته. وتبلغ مساحتها (١٩٣٩١م٢)، (١,٩هك) وتشكل نسبة مقدارها (١,٤٪) من مساحة المدينة، ويبلغ عدد سكانها (٤٥٤نسمة) وبكثافة (٢٣٨ شخص/هك). وعدا مسجدها فإن جميع مبانيها الأخرى سكنية وتشكل نسبة (٣٤,٤٪) منها (١٢,٤٪) مساحة الأفنية الخارجية للمباني السكنية، فيما يشغل مسجدها (٦,٤٪) من مساحة الحارة أما المباني العامة فتشغل ما نسبته (٠,١٪). وللحارة طريق رئيسي واحد تتفرع منه طرق وأزقة تربط الحارة وتظهر مبانيها، وتشكل شبكة الطرق في الحارة بالإضافة إلى السايلة الواقعة ضمن حدودها والمستخدمة كطريق ما نسبته (٤٧,٤٪) من مساحة الحارة فيما تشغل المساحة الخضراء (مقشامة النهرين) ما نسبته (١١,٧٪) من مساحة الحارة.

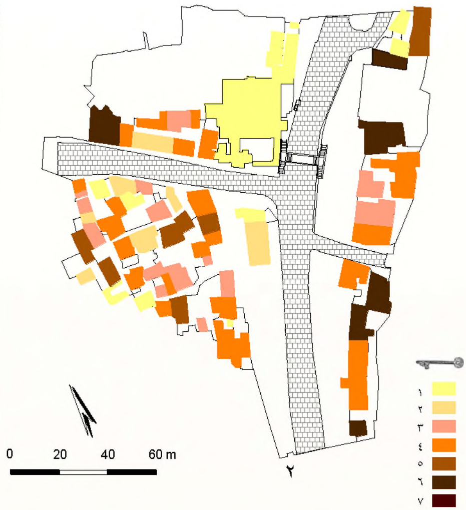
وتبين الدراسة أن ارتفاعات المباني تفاوتت بين (١-٦) طوابق رئيسية، أقلها المباني ذات الستة طوابق والتي لم تتجاوز نسبة (٨,٨٪)، فيما أتت المباني ذات (٤-٥) طوابق بنسبة (٤٣,١٪)، فيما بلغت المباني ذات (٣) طوابق (١٧,٧٪)، والمباني ذات (١-٢) طوابق بنسبة (٣٠,٤٪)، ومن الجدير ذكره في هذا أن مباني الحارة في الجهة الشرقية أعلى منها في الجهة الغربية.

وتظهر الدراسة أن مادة البناء بالحجر والياجور هي الأعلى في الاستخدام وبنسبة (٦٧,١٪)، يليها الحجر كمادة بناء منفردة وبنسبة (٢٠,٣٪)، فيما توزعت بقية النسب على كل من الحجر والياجور واللبن معاً وبنسبة (٣,٨٪) والبناء بالخرسانة بنسبة (٢,٥٪)، والبناء بالحجر والخرسانة (٣,٨٪)، وأقلها هو البناء بالياجور منفرداً وبنسبة (٢,٥٪).

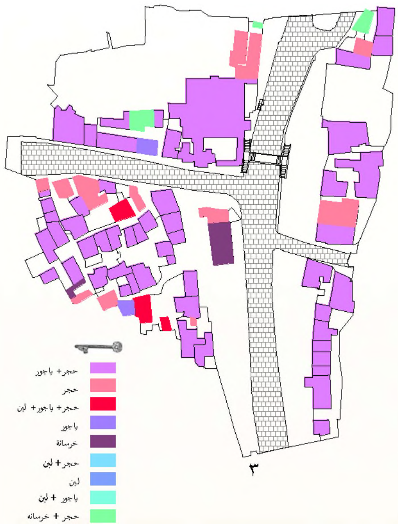
وحالة المباني في الغالب جيدة حيث لم تتجاوز نسبة المباني المنهارة أو المهدمة جزئياً (١,٣٪).




سكني
سكني تجاري
عام
ديني
تجاري
طرقات
بساتين
فناءات
0 20 40 60 m
أ



٢



٣



٤

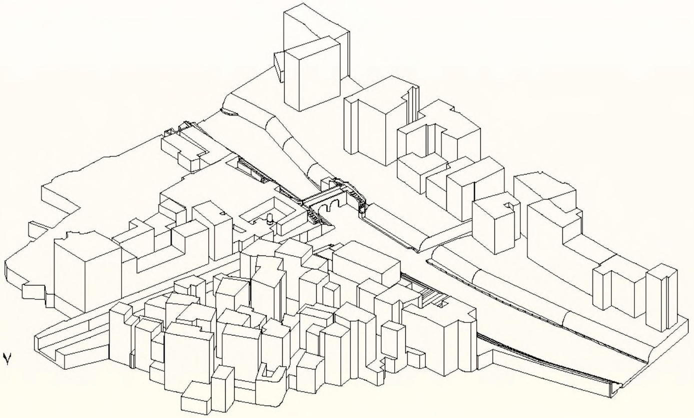


٥

١. استخدامات الأراضي
٢. ارتفاعات المباني
٣. مواد البناء
٤. الحارة من السائلة باتجاه الشمال
٥. الحارة من الجسر باتجاه الجنوب
٦. الصرحة والطريق المحوري الرئيسي للحارة
٧. التكوين البنائي لحارة النهرين



٦



٧

الهوامش

١ . الحجري، القاضي محمد بن أحمد: "مساجد صنعاء عامرها وموفيها"؛ ط٢؛ بيروت؛ ١٣٩٨ هـ؛ ص (١١٥). وعنان، زيد بن على: "صنعاء حاراتها وآبارها وأسواقها"؛ مجلة الإكليل؛ العدد ٣،٢؛ ١٩٨٣م؛ ص (٣٤).

٢ . كانت قديماً تعرف بالأبرار. الحجري؛ المصدر نفسه؛ ص (٣).

٣ . الحجري؛ المصدر نفسه؛ ص (١٤).

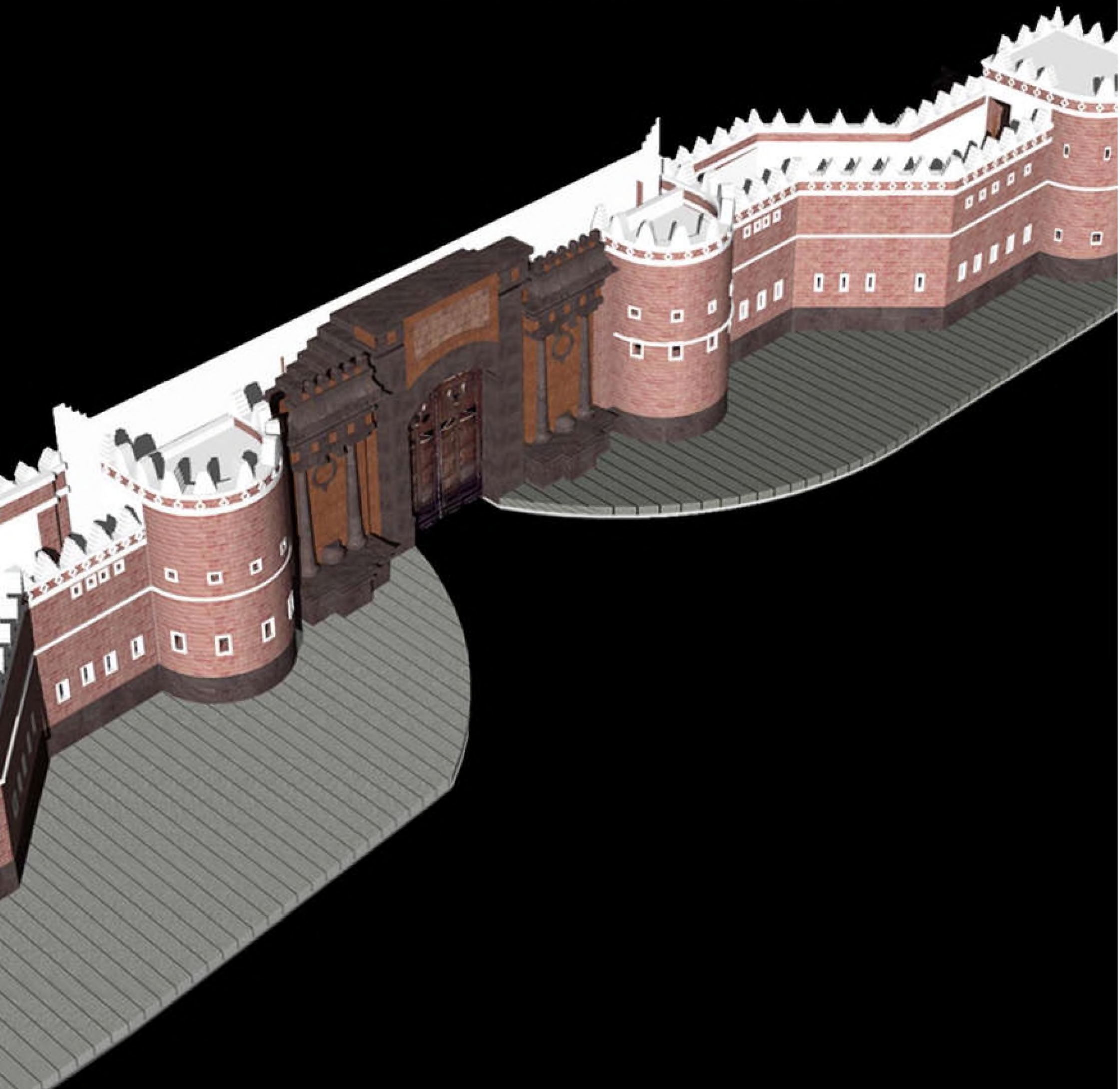
٤ . السياغي، حسين: "معالم الآثار اليمنية"؛ صنعاء؛ ط١؛ ١٩٨٠م؛ ص (٢٥).

٥ . الحجري؛ المصدر السابق؛ ص (٦٦).

٦ . الحجري؛ المصدر نفسه؛ ص (٩٠). والمروني؛ محمد بن عبد الملك: "الوجيز في تاريخ بناية مساجد صنعاء القديم والجديد"؛ صنعاء؛ ط١؛ ١٩٨٨م؛ ص (٧١).
, Serjeant,RB, and Ronald Lewcock, **San'a an Arabian Islamic City**, the world of Islam festival trust, London,pub1, 1983,p.370.

٧ . الحجري؛ المصدر نفسه؛ ص (١٢٥).

التحصينات والمنشآت والمباني العسكرية والإدارية



النسيج المعماري والعمراني للمدينة هو مجموعة من النظم ذات العلاقات المترابطة ومن أهمها النظام الدفاعي والأمني للمدينة، وكانت نشأته الأولى مع نشأة المدينة، وتطور وارتقى بنموها وتطورها عبر مراحل العصور المختلفة. ومن أهم مكوناته هي المنشآت والمباني الدفاعية وتحصيناتها وسور المدينة. وللمدينة منشآت دفاعية كبيرة ومحُصَّنَة تلتصق بسور المدينة أو تجاوره.

غير أن أقدم وأكبر المنشآت الدفاعية للمدينة هي قلعتها (قصر السلاح) الملتصق بسور المدينة من الجهة الشرقية باتجاه الجنوب، وقد اعتقد العامة أنها قامت على أطلال قصر غمدان التاريخي، ولكن موقع قصر غمدان كان في الغرب من مركز سوق المدينة. ومن حيث الأهمية والنشأة تأتي أسوار المدينة بمكوناتها بعد القلعة، وفي بداية العصر الحديث عُزِّزَ تحصين المدينة بمنشآت ومبانٍ عسكرية وإدارية في جنوب المدينة، أكبرها (العرضي) وهو منشأة منتظمة الأبعاد استحدثها العثمانيون كمقر إداري وعسكري وعُزِّزت بعد ذلك بثكنات للجند منفصلة عنها في شرقها.

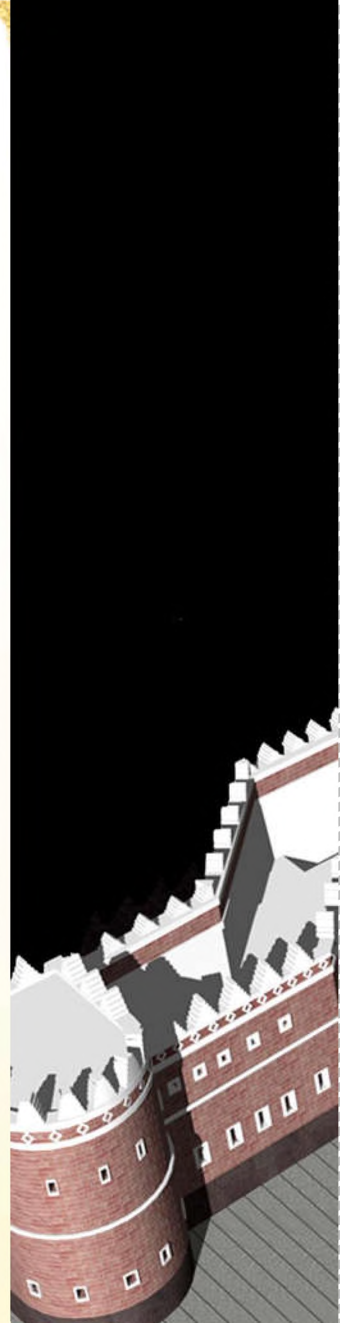
وفي الغرب من جهة الشمال وبفاصل إزاحة عن سور المدينة أنشأ الأئمة في القرن (١١هـ/١٧م) المقر الإداري للحكم (المتوكلية) والمعزز بالتحصينات الدفاعية.

سور المدينة

سور المدينة منشأة دفاعية تعني تعزيز قدرة المدينة في صد الأخطار الخارجية وحفظ الأمن والاستقرار لساكنيها ولوظائفها (السياسية والاجتماعية والاقتصادية). وهو منشأة تؤدي وظيفتها بشكل تكاملي لوحدات مكوناتها الرئيسية والفرعية. مدعمة بآليتها العسكرية والأمنية، لتعمل المدينة كقلعة وكعاصمة لمركز إداري سياسي لليمن عامة حين التوحد، أو لأجزاء منه حين التشتت. والحديث عن السور أُوْجِزَ نسبياً لتناوله ضمنياً في الكثير من الموضوعات التاريخية والمعمارية ولاسيما في موضوع نشأة وتطور المدينة وتاريخها العمراني والمعماري.

ويسمى السور في بعض المصادر التاريخية بالحائط (وأحاط على صنعاء بحائط)[١] كما يسمى أيضاً بالدرب ، ووفقاً لملامح المدينة في نشأتها وتطورها عبر العصور التاريخية، فالحديث عن أسوارها وبواباتها متلازم. وصنعاء مدينة قديمة مثل غيرها من الحواضر اليمنية المسوَّرة القديمة (مأرب وشبوة ومعين وتمنع وبراقش وغيرها) والتي أوضحت الدراسات الأثرية معالمها والماثلة ببقاياها حتى اليوم[٢]، ولهذا فإن لصنعاء المدينة سوراً يحميها وبواباتٍ محروسةً تؤمن ارتباطها وصلتها بمحيط نشاطها السياسي والاجتماعي والاقتصادي لكونها المركز الإداري والتجاري اليمني الهام شأنها في هذا شأن بقية حواضر العالم القديم. وإن كان حديث بعض المؤرخين[٣] يشير إلى أن أول من سوَّر صنعاء هو الملك السبئي (شعرم أوتر) في القرن الثاني الميلادي ولكن من المرجح أن الملك المذكور كان ممن أعاد بناء هذا السور وأن بناء السور ينبغي أن يكون قبل ذلك، وجاء نتاجاً لتحول صنعاء من مستوطنة صغيرة إلى مركز حضري يؤلف كل المكونات الوظيفية للمدينة في نسيج معماري يأتي الأمن والدفاع من أهم معطياته المطلبية في تشكيل فضاءاته الداخلية (الحضرية).

وقد تعرض سور صنعاء لعمليات هدم وإعادة بناء كثيرة منذ بداية عمارته الأولى وتذكر المصادر التاريخية في أغلبها عمليات الهدم والتي أتت في معظمها نتاجاً للصراعات وتشير عند ذكرها السور لعمليات إعادة البناء، بأنه هدم بفعل الإنسان أو تهدم بفعل تأثير الزمن والكوارث الطبيعية مثل سيل دار خوط (وكان سيل دار خوط يوم الجمعة ١٥شعبان ١٢٤هـ/ ٢٤ يونيو ٧٤٢)[٤]، وكذلك السيـل الذي



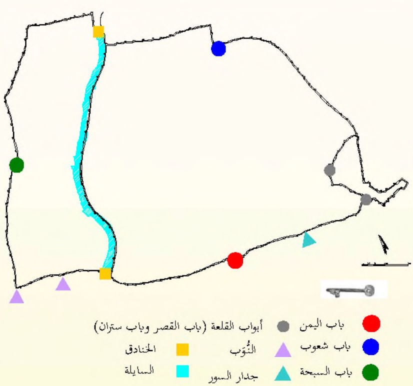
حدث في سنة (١٠٦٦هـ/ م) وهدم جانباً من السور ودوراً كثيرة في السايلة[٥]. لقد كان السور يؤدي وظيفته حتى أواخر القرن (١٤هـ/ ومنتصف عقد الستينيات من القرن العشرين ولكن بفعل التسارع المضطرد لمتغيرات الحياة العصرية الجديدة ومعطياتها المطلبية أحدث قفزة نوعية كان للعامل الاقتصادي الأثر الأكبر في نقل التحولات سريعاً مما أربك بل وشل فكر الإنسان اليمني المعاصر لهذه التحولات وخاصة في مجال التعامل مع الموروث المعماري. ولهذا تعرض السور للهدم في أجزاء كثيرة منه، فيما تداعت بعض الأجزاء القائمة بعد ذلك نتاجاً لما أصابها من إهمال في الثلاثة العقود الماضية. وقد أعيد ترميم وإعادة بناء بعضها ضمن برنامج الحفاظ على مدينة صنعاء القديمة. ولا زالت عمليات الترميم وإعادة البناء مستمرة للأجزاء المتبقية منه في الاتجاهات الشمالية والشرقية.

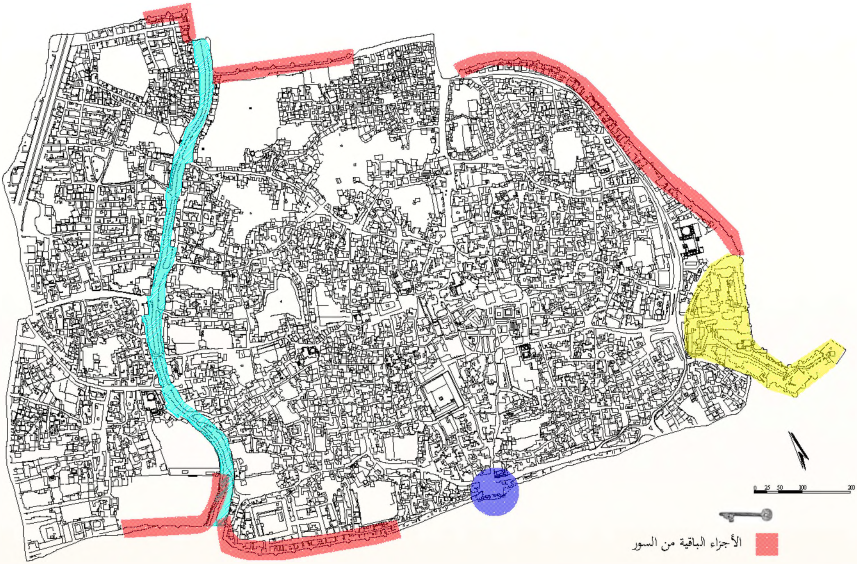
وسور مدينة صنعاء كان محدد المعالم ويعني صنعاء ولكنه وبإنشاء أحياء جديدة أمتد غرباً لتوسع المدينة غرب السايلة (في العهد الأيوبي) وشكل بهذا سور مدينة صنعاء القديمة بمعالمه الواضحة الحالية، وفي العهد العثماني الأول والثاني وما بينهما كان التوسع وامتداد المدينة يتجه نحو قاعها وفي الاتجاه الغربي ذاته، ونشأت بذلك ثلاث مناطق مسورة شكلت حلقات متداخلة مع صنعاء القديمة مثلتها تعبيراً أسوارها المتداخلة.

وتشكل السور تاريخياً وفق الامتداد المساحي التوسعي المحدد بشكل متكامل أو جزئي، حيث ألتف حول المدينة القديمة واتصل بأسوار الفصل مع القلعة (قصر السلاح) شرق المدينة ومع المقر الإداري للحاكم (المتوكلية) في الشمال الغربي للمدينة القديمة والحي الجديد (بير العزب) في غربها والمتصل سوره المتداخل مع سور حي اليهود (القاع) في غربها الجنوبي. وكان سور مدينة صنعاء القديمة لا يتصل بصلة التلاصق مع مبانيها. على عكس ما نراه اليوم في أن الكثير من أجزائه المرممة التي تم إعادة بنائها أو تلك الأجزاء المتبقية منه والتي لم يتم ترميمها وإعادة بنائها، فإن وضعها الحالي قد تداخل مع البناء الحديث (التقليدي أو العالمي) ولهذا وجب التنويه بأن هذه الخاصية هي حديثة النشأة وان كان البناء المتصل (الملتصق) تقليدي (تراثي) فهو حديث النشأة نسبياً، وأوضح مثال لذلك هي تلك المباني التقليدية لحارة بحر رجرج وحارة بستان شارب (غرب باب اليمن) وكذلك هو الحال في أجزاء السور الباقية في شماله الغربي والتي قامت عليها المباني الحديثة وإن أتت بنمط طراز صنعاء التقليدي فإنها قامت على أراضي خصصت في الأساس كمساحات فاصلة بين جدار السور وكتل المباني القريبة منه أو أنها كانت جزءاً من ساحات وبساتين المدينة.

وإذا كانت المصادر التاريخية لا تعمد إلى وصف السور ومكوناته فيظل الغموض يكتنفه حتى ظهور أول توثيق تصوري وهو خريطة نيبور لمدينة صنعاء سنة (١١٧٧هـ/١٧٦٣م) ومنها تم الاستدلال على أهم مكونات السور بصيغتها المجملة فيما تمثل بقايا السور في جهاته الشرقية والشمالية والجنوبية الشواهد المادية الحية لتكوين الصورة الأكثر وضوحاً نسبياً عن مكونات وخصائص السور (الدفاعية والمعمارية والإنشائية). ويتكون سور صنعاء القديمة من ثلاثة عناصر تكوين رئيسية هي جدار السور، وأبراج الحراسة (النُّوَب)، والأبواب الرئيسية للمدينة وكذلك من عناصر فرعية هي الخندقان المعقودان على طرفي السايلة وخنادق تصريف مياه الأمطار على جدران السور. والحديث عنها ضمني وفي سياق الحديث عن المكونات الرئيسية وهي:

- جدار السور.
- أبراج الحراسة (النُّوَب).
- الخنادق.
- البوابات (الأبواب).





حالة تحصينات مدينة صنعاء القديمة (في الوقت الحاضر)


١


٢

١. الخندق الشمالي (١٩٦١م)، م/ م ت د م
٢. الخندق الجنوبي (١٩٦١م)، م/ م ت د م

جدار السور

يبلغ في الارتفاع (٧-١٠م) وهذا نتاج لتوحد ارتفاع مستوى السور في أعلاه تقريباً مع تباين ميل مستوى أرضيته خطوط الكنتور وعرض جسم السور في أسفله (٦م) وفي أعلاه (٤م) وله ذروة في أعلاه سماكتها متر وارتفاعها متر تقريباً، ويليها إلى الداخل ممر بعرض (٣م)، ومادة بناء السور الأساسية الطين المجفف موقعياً بتقنية بناء مداميك (الزابور)، في حين دعمت أساساته بأحجار دبش (شلف) من الجعم والحبش في أسفلها، وما ظهر منها على سطح الأرض تهندم (توقص) وبشكل نسبي في بعض أجزاء جدرانه، ويتفاوت ارتفاع الأجزاء الظاهرة المبنية بالحجر وفق مواضعها وبحسب الأهمية الأمنية والدفاعية في توظيفها النوعي، وكذلك تعزيز قدرة حمايتها لجدار السور الطيني من مياه السيول المتدفقة في المجاري المحاذية للسور من جميع أطرافه وفي الأجزاء المتصلة منه بالسايلة التي تخترق مدينة صنعاء القديمة في جزئها الغربي، لهذا نجد أن مادة الحجر تزيد مساحتها نسبياً عن مادة الطين وفي مواضع محدودة في جدار السور من جهة السايلة الرئيسية (الغربية) أو الخندق (السايلة) المستحدثة (الشرقية) ويتضح هذا أكثر في جدار سور القلعة (قصر السلاح) المتداخل معه في جهته الشرقية.

ويبلغ طول السور المحدد الرئيسي لمحيط مدينة صنعاء القديمة نحو (٦٢٠٠م) وكان فيه من أبراج الحراسة (النُّوَب) نحو (١٣٩) برجاً (نَوْبَة) تقريباً وكذلك ثلاثة أبواب رئيسية هي (باب اليمن وباب شعوب وباب السبحة) وباب رابع ينفذ إلى القلعة (قصر السلاح) وباب خامس ينفذ من القصر إلى خارج المدينة (سِتران) هذا بالإضافة إلى خندقين معقودين محكمين يعلوهما جسران لتصريف المياه على السايلة وخنادق (فتحات) أخرى على السور تحددها طبيعة العلاقة بين الشوارع المرصوفة وتصريف مياه الأمطار وسيولها المتدفقة بجمعها وتحويلها إلى السوايل الرئيسية لتصريفها إلى خارج المدينة[٦]. وحسب ما يذكره الرواة المعاصرون فإن ثلاثة مخارج تصريف مياه الأمطار من داخل المدينة إلى خارجها حصنت بسياج الحديد، الأول في شمال باب شعوب والثاني في الشرق جوار البكيرية والثالث في الجنوب شرق الخندق وينفذ من بستان الجمل (شارب).

أبراج الحراسة (النُّـوب)

لدورها الوظيفي في المراقبة والحراسة وصد الهجمات فقد توزعت على جدار السور بأبعاد تحقق هدفها الأمني الدفاعي وبكفاءة عالية مثل الرؤية وسرعة الاتصال والتواصل[٧] وتشكلت وفق انسياب وميل جدار السور وبما يحقق دورها الوظيفي، ولذلك جاءت بشكل مخروط ناقص ملتصق جزئياً وفق موضعه بالسور وتبعد عن بعضها بنحو (٣٢-٣٤م). وفي ضوء هذا فإن عددها يقدر بنحو (١٣٩) برج حراسة، تختلف أحجامها بتباين موقعها وارتفاعها عن الأرض. وبنيت الأبراج بمادة وتقنية بناء السور ذاته ولكنها ترتفع عن جداره بكتلة نافرة عن كتلتها السفلية لتأمين حماية أكثر في الحراسة والدفاع معاً. والأبراج الركنية أو التي تقام في المواضع والمنعطفات الهامة مفرغة (مجوفة) وفيها فتحات مراقبة في أعلاها ودرج للصعود إلى سطح ممر الحراسة على جدار السور.



١



٢



٣



٤

١. السور الجنوبي بعد الترميم

٣،٢. السور الشمالي أثناء الترميم.

٤. النوبة والجسر في السايلة من ناحية الجنوب بعد الترميم

البوابات (الأبواب)

تباينت المصادر التاريخية في عدد أبواب المدينة واختلفت في تسميتها، مما أربك الكثير من الدارسين والباحثين في تناولها بدقة، وزاد في هذا التعقيد عدم الفصل بين البوابات الرئيسية النافذة من وإلى المدينة مباشرة، والبوابات الخدمية (غير المباشرة) من جهة وبينها وبين فتحات تصريف المياه (المخارج) وخندقي السائلة (الخندق الشمالي والخندق الجنوبي) من جهة أخرى، والخلط بينهما وبين أبواب حي بير العزب وحي قاع اليهود وأبواب المساحة الفاصلة ما بين المدينة وهذا الحي وكذلك أبواب كل من قلعة المدينة (قصر السلاح) وأبواب قصر المتوكل (المتوكلية)، ولكن عند تتبع مسار نشأة وتطور المدينة تاريخياً وكما استقي من المصادر التاريخية والخرائط التي وضعت للمدينة منذ القرن الثامن عشر الميلادي وفي ضوء المعطيات والشواهد الحية المادية للتكوين العام للمدينة، فإن لمدينة صنعاء القديمة في الأصل بابين رئيسيين وضعا على محورها الرئيسي (الشمالي- الجنوبي). وينفذان إلى المدينة مباشرة وهما (باب شعوب شمالاً وباب اليمن جنوباً) ويقعان على محور حركة طريق التجارة القديم والرئيسي (مارب- موزع) من شرق البلاد إلى غربها، وعلى المحور الرئيسي لاتجاه حركة التجارة الرابط لفضاءات المدينة الداخلية ووصلها مع المحيط الخارجي لها على مر العصور. ويؤكد هذا أحمد بن عبد الله الرازي في قوله "وصنعاء محمية بطلسمين من الأفاعي والأحناش... أحدهما من حديد وهو على باب المصرع (الشمال) والآخر من صفر على باب الكِشوري (الجنوب)"(٨) ويقصد (باب شعوب وباب اليمن) حيث ذكر باب شعوب بإسم باب المدينة من جهة القبلة ثلاث مرات وعند التحليل الوصفي اتضح أنه كان حيناً يعطيها اسمها الاصطلاحي وحيناً يسميها (باب المدينة) ويقرن ذلك بذكر موضعه (الشمالي) وهذا تصرف لغوي للكاتب.

واستحدثت بوابة ثالثة هي (باب السبحة) في الغرب أنشئت بعد توسع المدينة في العصر الأيوبي غرب السايلة وكانت تنفذ إلى المدينة حتى نشأة حي (بير العزب) غرب صنعاء وبناء البوابات الجديدة في منطقة الفصل بينها وبين المدينة القديمة والمتوكلية وهي (باب الشقاديف شمالاً، وباب خزيمة جنوباً، وباب شرارة النافذ إلى بير العزب غرباً). أما بوابة القصر (باب ستران) في جنوبه، فتأتي في الجنوب الشرقي للمدينة، ولا تنفذ إليها مباشرة بل إلى القصر، وللقصر بوابة أخرى في وسط جدار سوره الغربي هي (باب القصر) الذي يوصله دون غيره بالمدينة، ولهذا فإن بوابتي (باب شعوب وباب اليمن) تظلان البوابتين الرئيسيتين لمدينة صنعاء القديمة تاريخياً.

وعند تتبع شكل بوابات مدينة صنعاء من خلال الوثائق المتاحة (خرائط وصور) وعند المقارنة ببوابات المدن اليمنية التاريخية (القائمة) مثل مدينة كوكبان ومدينة ثُلاء نجد أن هذه البوابات كانت تعتمد لحجب الرؤية وعدم اتصال الخارج مباشرة بالداخل من خلال تزويغ المدخل وحرفه بتحوير وتحويل يكسر اتجاه الحركة، أو الإضافة الإنشائية (أجزاء بارزة ومنحنية) و هذا الطرح قد لا ينطبق مع (باب اليمن) المثل الحي القائم، إلا أن باب اليمن هذا أنشئ حديثاً، ويتضح ذلك من خلال الخريطة التي وضعت لمدينة صنعاء عام (١٢٩١هـ/١٨٧٤م) والتي رفعت إلى الوالي العثماني مصطفى عاصم، وكذلك خارطة منزوني (١٢٩٨هـ/ ١٨٧٩م) التي أوضحت أن باب اليمن كان مزوغاً أيضاً.



١



٢



٤



٣



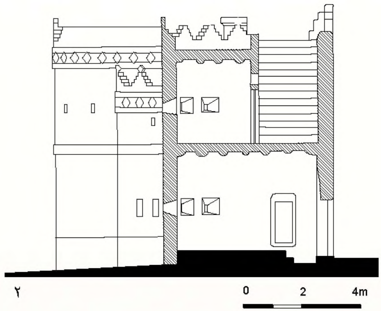
٥

١. باب شعوب بداية القرن (٢٠م)
٢. باب اليمن أثناء الوجود العثماني (١٨٤٩-١٩١٨م)، م/ المركز الوطني للوثائق
٣. باب خزيمة من الداخل، (نفس المصدر)
٤. نوبة باب خزيمة، (نفس المصدر)
٥. باب السبحه (١٩٢٧م)، م/ س. ناجي

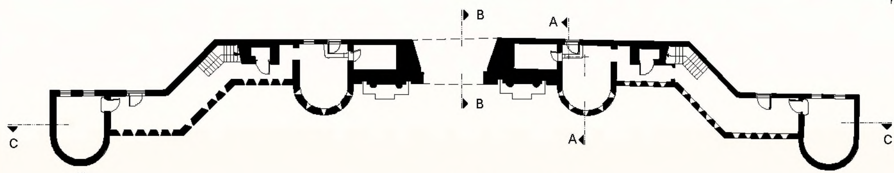
باب اليمن



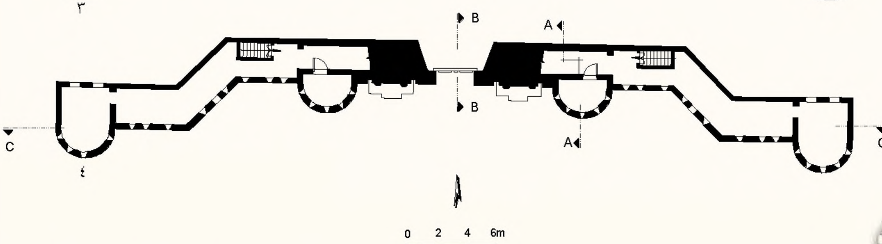
١



٢



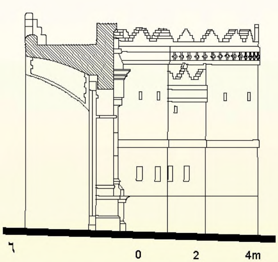
٣



٤



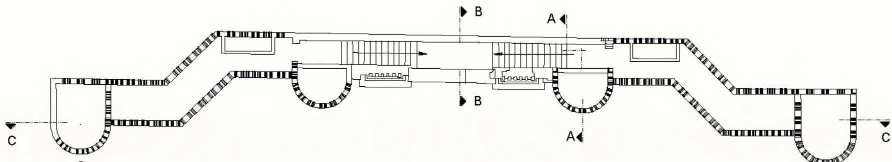
٥



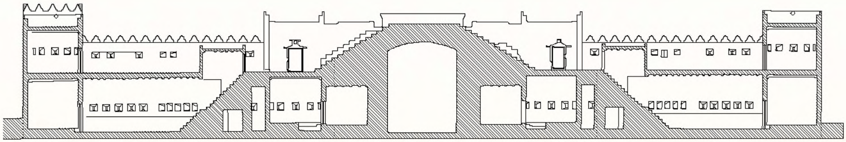
٦



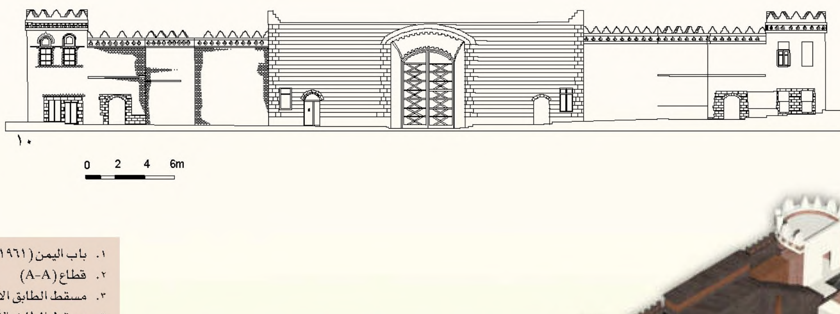
٧



8



٩



١٠

0 2 4 6m



١١

١. باب اليمن (١٩٦١م)
٢. قطاع (A-A)
٣. مسقط الطابق الأرضي
٤. مسقط الطابق الأول
٥. منظور من الساحة الداخلية
٦. قطاع (B-B)
٧. الواجهة الأمامية
٨. مسقط السقف
٩. قطاع (C-C)
١٠. الواجهة الخلفية
١١. قطاع منظوري

المنشآت العسكرية والإدارية

وهي المنشآت والمباني الكبيرة ذات الوظائف الدفاعية (العسكرية) والإدارية السكنية الخاصة بالحكام والولاة، وهي إما أن تكون ملاصقة لسور مدينة صنعاء القديمة أو تأتي خارجة وفي أطرافها وتفصلها عن سور المدينة مساحة فضاء صغيرة وأهمها هي:

قلعة المدينة (قصر السلاح)

وهي منشأة كبيرة ومحُصَّنَة مخططها العام غير منتظم الشكل وتقع شرق المدينة باتجاه الجنوب وتتصل بالمدينة عبر بابها الكبير (باب القصر) بالإضافة إلى باب آخر ينفذ إلى الخارج (باب ستران) وباب آخر صغير وكلاهما في سورها الجنوبي وترتفع نسبياً عن المدينة وأسوارها أعلى ارتفاعاً مقارنة بسور المدينة وإن قل ذكرها في المصادر التاريخية إلا أن دَوْرَها العسكري استمر وعلى وتيرة واحدة تقريباً .ففي الوقت الذي مثَّلَ قصر غمدان المقر الإداري للحكم غرباً كانت حاميته، وحين انشأ الأئمة المقر الإداري للحكم (المتوكلية) كانت أيضا حاميته الشرقية، وكذلك حين أنشأ الأتراك مجمع العرضي وحامية باب اليمن لعبت أيضاً نفس الدور واستمر هذا الدور حتى يومنا هذا لتحصيناتها الدفاعية المنيعة.

وتضم المنشآت والمباني الإدارية والسكنية (الثكنات) والمخازن وأكبر أفران الخبز اليمني الأسمر (الكدم)، والذي لم يقتصر دوره في تموين العسكر بالطعام بل أسهم في إمداد المعوزين من سكان المدينة وطلاب العلم المهاجرين وعابري السبيل وظل هذا التقليد تراثاً حتى يومنا هذا .

وفيها (٣مساجد) أقدمها مسجد الهادي فمسجد (قبة) المرادية فمسجد القصر. والمرادية تعلو بيت الصلاة فيها قبة محدبة مرتفعة ولها مئذنة عالية غير مزخرفة .



١

قصر المتوكل (المتوكلية)

ويقع غرب المدينة وباتجاه الشمال وتفصله عن سورها ساحة تمتد على مسافة كبيرة نسبياً أحكمت بباب الشقاديف في الشمال وباب خزيمة في الجنوب، وباب شرارة على سور حي بير العزب في الغرب، وباب السبحة النافذ إلى مدينة صنعاء القديمة في الشرق.

وتوسع القصر في أربعينيات القرن (١٤هـ) عشرينيات القرن (٢٠م) وعلى حساب المستشفى شمالاً، ببناء قصر جديد (دار السعادة) ويضم بالإضافة إلى قصري الشكر والسعادة، المخازن والثكنات ومسجد(قبة) المتوكل والذي توسع هو الآخر وكان يراد أن تسقف بيت الصلاة فيه بأكبر قبة، ولكن ولكبر مجاز بيت الصلاة عدلت الفكرة وسقف بقبة كبيرة تحيط بها قباب متوسطة وصغيرة، ومئذنة المسجد هي من المآذن القصيرة وتختلف عنها من حيث الشكل وتتفرد بأنها المئذنة القصيرة الوحيدة المزخرفة بين كل مآذن مدينة صنعاء القصيرة، ويرجع ذلك بالإضافة إلى الأسباب الموضحة في موضوع المئذنة إلى الخصوصية الداخلية لحرم القصر (حجب الرؤية إلى الفضاءات الداخلية للقصر).

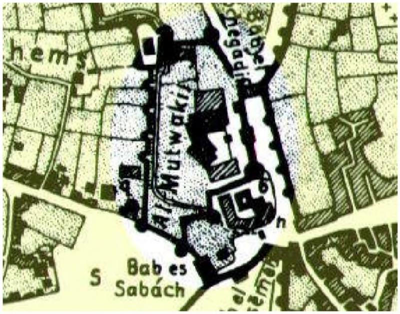
ويوجد في تخطيط مجمع القصر غير المنتظم الشكل فصلاً محكما ومن جميع الجهات بين وظائفه السكنية الخاصة والوظائف الدينية والإدارية وثكنات الحرس ومساكن الخدم.... ويعتبر دار الشكر المبنى السكني أو الدار (القصر) الوحيد في مدينة صنعاء آنذاك الذي بنيت واجهاته كاملة بالحجر المتباينة والمتداخلة الألوان وبكثافة كبيرة للونين الرمادي الداكن (الحبش) والأبيض الفاتح المصفر، واستخدم في تشكيل واجهاته عناصر تشكيل واجهات المبنى السكني الصنعاني (البرجي) المعمارية والزخرفية، مع فارق الأبعاد والنوعية وبشكل نسبي، والذي فرضته درجة مرونة تشكيل مادة الحجر مقارنة بالياجور.

وللقصر بئر (مسنى) وحمام ساخن يعرف حالياً بحمام المتوكل وتقع حديقة القصر في غربه، وفي صدرها باتجاه الشمال بنيت استراحة القصر تتقدمها بركة الشذوران، ووظيفة هذه الاستراحة هي وظيفة المفرج الأرضي للدور السكنية الكبيرة إلا انه منفصل عن الدار.

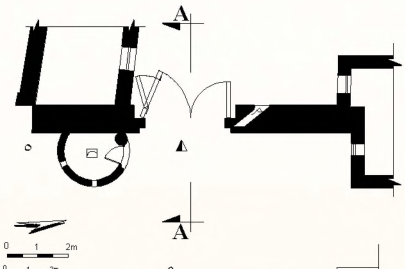
ويحيط بالقصر سور بوابته الرئيسية في شرقه، وينفذ منها إلى الساحة الفاصلة بينه وبين سور مدينة صنعاء القديمة وتعلوها غرفة استخدمها الإمام ليشرف على استعراض الجند

في الساحة المقابلة. وللقصر عدد من الأبواب الفرعية وعلى مقربة من بوابته الرئيسية جهة الجنوب يرتفع برج عالٍ ذو مسقط دائري واسع في قاعدته ويضيق في الأعلى ويتحور في الطابق الأخير إلى منتظم الأبعاد نسبياً، وعناصر فتحاته في الطوابق العليا قريبة الشبه من عناصر المبنى السكني ويسمى (بالنَّوْبَة) ووظيفته في القصر عسكرية وإدارية واستخدم كمقر لقائد الجيش. وهذا النوع من المباني يبنى من الطين المجفف وبمداميك الزابور وعلى غرار سور المدينة وأبراجه ولكن جداره بني بسماكة أقل (٠,٧ م) في المتوسط.

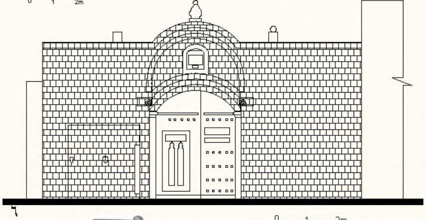
وينتشر هذا النوع من المباني السكنية الدفاعية البرجية الأسطوانية ذات المسقط الدائري خارج المدينة وفي أطراف التجمعات السكانية الصغيرة (القرى)، ويوظف في الأساس للسكن العائلي مع أداء دور المراقبة والحراسة الأمنية.



٤

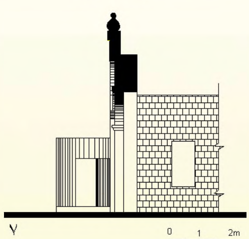


٥



٦

مدخل
فضاء خاص بالرماية
غرفة حارس

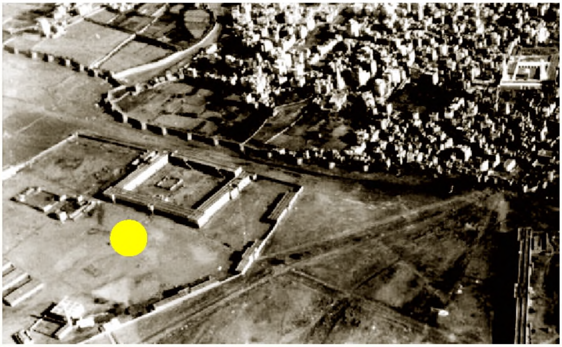


٧


٢


٣

١. قصر السلاح (١٩٢٧م)، م/ م ت د م
٢. المتوكلية (١٩٢٧م)، م/ م ت د م
٣. المتوكلية (١٩٦١م)، م/ م ت د م
٤. المتوكلية (١٩٢٧م)، عن فايسمان
٥. مسقط بوابة دار الشكر
٦. الواجهة الأمامية للبوابة
٧. قطاع (A-A)


١

مجمع العرضي

هو منشأة عسكرية وإدارية مُحَصَّنَةٌ (بناها الوالي العثماني المشير محمد عزت عقب تعيينه عام ١٢٩٩هـ/١٨٨٢م)[٩]. ويقع جنوب مدينة صنعاء القديمة ويميل باتجاه الغرب وتفصله عن سورها ساحة تمثل اليوم جزءاً من أكبر وأهم شوارع صنعاء الكبيرة هو شارع الزبيري، ويذكر المؤرخ حسين العمري: "والعرضي وهي سلسلة من الثكنات العسكرية الكبيرة أنشئت إلى الجنوب من سور المدينة خلال الوجود العثماني الثاني"[١٠].

وهذه المنشأة ذات طابع عسكري في أساس تخطيطها، ومخططها منتظم الشكل وقد حصنت بالمباني من جميع الجهات وبارتفاعات موحدة في الغالب. واجهاتها الخارجية من الحجر وبعناصر تشكيل معمارية وزخرفية هي مزيج بين العمارة الصنعانية والعمارة العثمانية التي انتشرت في بلاد الشام، وخاصة في فتحات النوافذ، وبشكل محدود وبسيط أعتمد فيها التكرار المستمر. وتفتح فضاءات مباني هذه المنشأة إلى الداخل في الأساس وإلى الخارج أيضاً ولها بوابة رئيسية نافرة كبيرة وعالية تقع في منتصف واجهتها الغربية وعلى محور الحركة الرئيسي المباشر والذي يعبر مجرى السايلة (السرار) بجسر يقوم على مجموعة عقود (اركادية). والبوابة النافرة ذات تأثير معماري عثماني أعتمد في جميع المنشآت والمباني العسكرية والإدارية والتعليمية التي أنشأها العثمانيون حين حكمهم لصنعاء خاصة واليمن عامة.

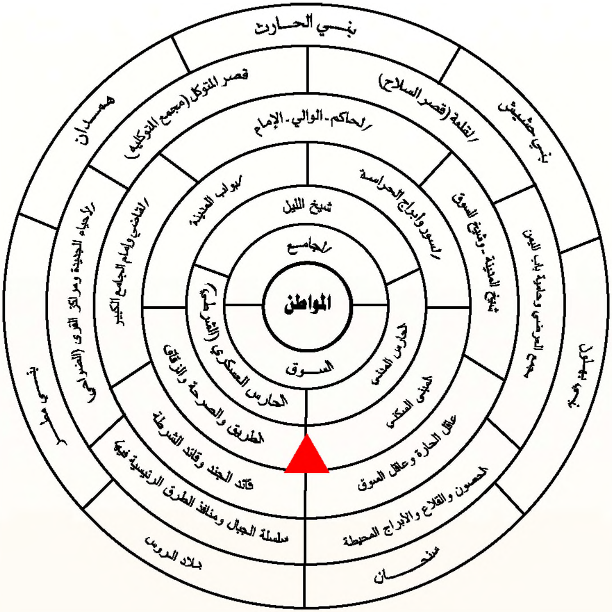
وكان العرضي هو المركز الإداري والعسكري الرئيسي ومقر للقيادة التركية في المرحلة الثانية لسيطرتهم على اليمن. فيما أنشئت حامية أخرى شرق الساحة الأمامية لباب اليمن وكانت ثكنات للجند.

صنعاء هي المدينة (المصنعة) المُحَصَّنَة والمحمية طبيعياً وبشرياً وفق نظام نواته (مدينة صنعاء القديمة)، وتتسع علاقاته نحو الخارج ليشمل أيضاً التكوين الطبيعي (سلسلة الجبال المحيطة بقاع صنعاء) وفق كل الاتجاهات (التحصين الطبيعي) والتكوين البشري النوعي التاريخي المحيط بصنعاء وقاعها من كل الجهات والذي عرف تاريخياً بالسبع القبل (القبائل السبع المحيطة بصنعاء).

وكلما اتجهت العلاقات نحو المركز (النواة) تكون أكثر إدراكاً ووضوحاً بصرياً حسيا في معالمها الدفاعية وحدودها ووظائفها الفضائية أو الإدارية ونوعية تحصيناتها ووسائلها.

النسيج المعماري والعمراني للمدينة هو مجموعة من النظم ذات العلاقات المترابطة النظام الأمني والدفاعي داخل أسوار المدينة، وهو أيضاً منظومة متكاملة ذات علاقات واضحة ومستوعبة وتشرك المجتمع وفق آليات محددة وموجهة. وبالإضافة إلى مايوضحه الهيكل العام للعلاقات الأمنية والدفاعية للمدينة فإن أمن المدينة لا يتكامل إلا من خلال مجموعة من النظم والعلاقات داخل حدود السور، ودون شرح نوجز أهمها في الآتي:

- أمن غذائي: السوق والبستان والمقشامة.
- سيطرة (حركة): الميدان والصرحة والطريق والزقاق.
- تحصن ودفاع: المبنى السكني البرجي وأبراج المراقبة في السوق.
- إعلام وحشد: الجامع والمسجد.
- أمن مائي: البئر (المسنى والمنزعة) والغيل.
- تأمين الطاقة: (وفق نظام تدوير المخلفات والعوادم الصلبة..الخ).
- النظم الاجتماعية ذات العلاقة المباشرة بالأمن والدفاع وأهمها:
  - مبدأ الجوار (عادات وتقاليد)
  - المسئولية الفردية والجماعية (أعراف وأحكام).
  - المبادرة الفردية والجماعية (قيم وأخلاق).



العلاقات الأمنية والدفاعية التاريخية للمدينة (الداخلية والخارجية)

الهوامش:

١. الهمداني، الحسن بن احمد: "الإكليل": جـ٨؛ نشر وتعليق: نبيه أمين فارس؛ دار العودة؛ بيروت؛ بدون تاريخ؛ ص(١٩).

٢. الأغبري، فهمي علي بن علي؛ "التحصينات الدفاعية في اليمن القديم": رسالة ماجستير (غير منشورة)؛ كلية الآداب؛ جامعة بغداد؛ ١٩٩٦م.

٣. عبد لله، يوسف محمد: "أوراق في تاريخ اليمن وآثاره – بحوث ومقالات": جـ١،٢؛ وزارة الإعلام والثقافة؛ صنعاء؛ ١٩٨٥م؛ ص(١١٢،١١٣).

٤. الطبري، إسحاق بن يحيى بن جرير؛ "تاريخ صنعاء"؛ تحقيق: عبد الله محمد الحبشي؛ مكتبة السنحاني؛ صنعاء؛ ص(٣٦).

٥. أبو طالب، حسام الدين محسن بن الحسن: "تاريخ اليمن"؛ تحقيق: عبد الله محمد الحبشي؛ مطابع المفضل؛ صنعاء؛ ١٩٩٠م؛ ص(٦٦).

٦. ابن بطوطة، محمد بن عبدالله الطنجي: " تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ": جـ١؛ دار الشرق العربي؛ لبنان؛ ص(١٩٢).

٧. بيج، بيرتون: "البرج في العمارة الإسلامية الحربية": ترجمة: إبراهيم خورشيد وآخرون؛ دار الكتاب اللبناني؛ بيروت؛١٩٨١م؛ ص(١٦،١٧).

٨. الرازي؛ أحمد بن عبد الله؛ تاريخ مدينة صنعاء؛ تحقيق حسين العمر؛ ط٢؛ دمشق؛١٩٨١م؛ ص(٢٠٣،٢٠٤).

٩. "الموسوعة اليمنية": مؤسسة العفيف؛ صنعاء؛ ط١: ١٩٩٢م؛ ص(٦٤٥).

١٠. العمري، حسين: "يمانيات": جـ٢؛ دار الفكر؛ دمشق؛ ط١: ٢٠٠٠م؛ ص(٨٣).

١. العرضي صورة من الجو (١٩٢٧م)، م/ م ت د م

سوق صنعاء



مثلث العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية الأساس المادي والروحي لتكوين المدينة في نشأتها الأولى، وهذه العلاقات في مجملها هي مجموعة من المفاهيم والمبادئ والأعراف والقيم في الإنتاج وتبادل تسويق المنتوج، وعدالة الحكم أساس الاستقرار، وضمان تثبيت الملكية والحق، وفي فرض أداء الواجب وما إلى ذلك. وإذا كانت المدينة هي نتاج لفكر إنساني فإن السوق محور هذا النتاج لاستيعابه مجمل العلاقات الاقتصادية والإجتماعية التي أتت في البداية ذات صبغة إدارية مثلت الصيغة السياسية في طورها الأول للحضارة الإنسانية. وفي حين مَثَّلَ السوق قصبة نشأة المدينة القديمة فإنه يمثل أيضا العمود الفقري لتكوين المدينة الحديثة. وهو أيضا العمود الفقري للحضارة الإنسانية الحديثة بتياراتها الفكرية المختلفة كالرأسمالية والعولمة، والتي اعتمدت السوق محور التوجه لمناهجها الفكرية والسياسية. وسياسة السوق هي السياسة المحورية الرئيسية للحضارات الإنسانية منذ القدم وإن تأخر تعريفها بهذا الاصطلاح.

وإذا كان لكل عصر تجارته وأسواقه، فإن له طرقه التجارية والتي لا تقل شهرةً عن المدن الرئيسية، بل فاقت الكثير منها مثل طريق الحرير وطريق اللبان والبخُور وطريق الفراء وغيرها. علماً بأن الكثير من المدن الرئيسية والهامة في العصور القديمة والوسطى والحديثة لم تنشأ إلا على طرق التجارة العالمية (البرية والبحرية) وهذه المدن أيضاً ما هي إلا أسواق.

ولهذا ولعدة عوامل أخرى تمت الإشارة إلى أهمها في سياق الحديث، فإن السوق وإن كان يمثل مركز النشاط التجاري، بصوره ومراحله المختلفة، فإن فضاءاته المعمارية الوظيفية لم تقتصر على تقديم أنواع الخدمات للأنشطة الإنتاجية والتجارية بل استوعبت الكثير من الأنشطة الثقافية والاجتماعية والسياسية المنظمة. وما نُظِّم في سوق عكاظ في مكة من الأنشطة الإجتماعية والثقافية الموسمية مثال لها. والسوق في هذا الجانب يعد مركزاً حضارياً وثقافياً هاماً ففيه يتم تناول الموضوعات السياسية والثقافية والإجتماعية، وتبادل الآراء فيها، ونقل المعلومات والأخبار وإشاعة وترويج الدعاية والإعلان عن الأحداث السياسية والحروب والدعوة لدرء آثار الكوارث الطبيعية وغيرها.

وسوق صنعاء من أقدم الأسواق في الجزيرة العربية. وبلغ ذروة ازدهاره في العصور القديمة (قبل الإسلام) القرنين (٥-٦م) حين كانت مدينة صنعاء مركزاً نَشِطاً لتجارة القوافل بين أسواق جنوب الجزيرة العربية وشمالها.

وبعد تلبية اليمنيين لدعوة الحق ودخولهم الإسلام طواعية وازدهار العمران وتوسع البناء في مدينة صنعاء ازدهر سوق صنعاء وتوسع وازدادت مساحته واتجه توسعه على محوريه الرئيسين (الشمالي - الجنوبي) (الشرقي- الغربي) في مراحل الاستقرار السياسي وخاصة في الخلافتين الأموية والعباسية.

ويذكر ف.ميرميه "كانت صنعاء في القرن التاسع مركزاً ناشطاً جداً لتجارة القوافل بين جنوب الجزيرة العربية، وبين أسواق المشرق والشرق الأوسط. وإذا ما قرأنا شهادة أحد الجغرافيين العرب العائد إلى تلك الفترة وجدنا أن فروعاً عديدة من حرَفِها كتلك الخاصة بصناعة الجلد والنعال والنسيج والثياب وصقل الحجارة الثمينة كانت تنتج فائضاً يتم تصديره إلى خارج البلاد. وفي أثناء القرون التي تلت أصبح سوق صنعاء مركزاً لاستيراد أو توزيع السلع الآتية من الشرق الأوسط وآسيا وشبه الجزيرة العربية. وكان يستوعب أيضاً قسماً كبيراً من السلع المحلية سواءً أكانت زراعية أم حرفية.



وكانت القوافل تحمل معها من سوريا وفارس الذهب والحرير والتوابل والعطور ومصانع الغزل والبخور والنيلة. يضاف إلى ذلك الثياب والقماش الذي كان يصل إلى ميناء (المخاء) على البحر الأحمر، وربما أيضاً كميات من الفضة والذهب.

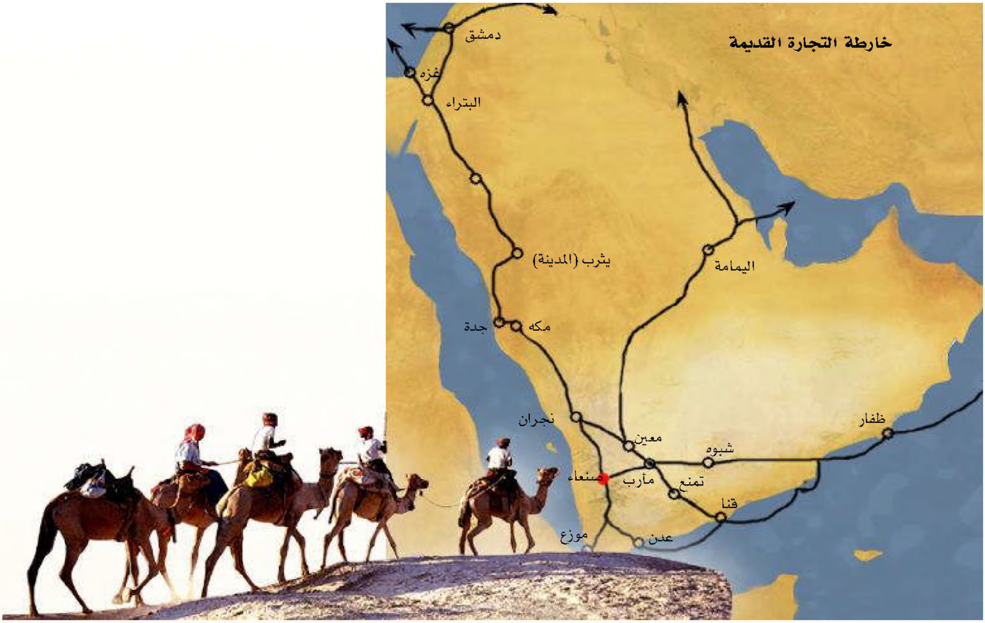
وأما الثياب المنسوجة في المناطق اليمنية التالية: زبيد، الحديدة، يريم، وصاب، حضرموت، فقد كانت توزع في (سوق البز) بصنعاء. وأما السِّلال وأنواع الفَخَار المصنوعة في القرى المجاورة فقد كانت تباع في السوق أيضاً. وفي (سوق الحلَقَة) كان يلتقي الحمالون وعاقلهم الذي كان يستلم من كاتب السوق إيصالا أثناء شحن البضائع. وكان هذا الموقع يلقب (بقلب السوق) ومنه توزع السلع المستوردة على خان القوافل أو ترسل مباشرة إلى الأسواق المجاورة"[(١)].

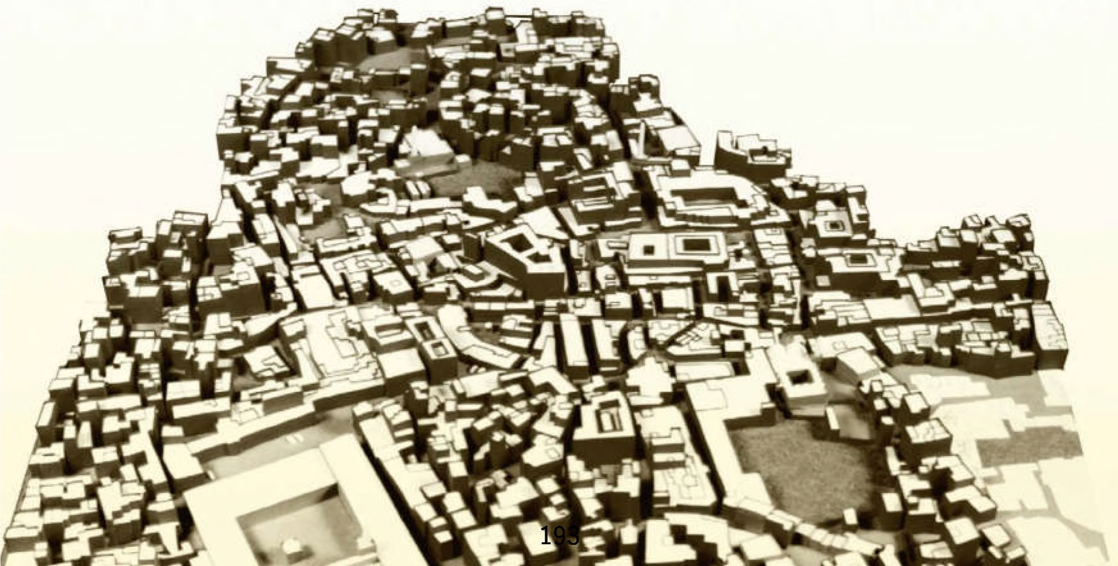
ومثّل السوق في النشأة الأولى للمدينة وفي العصور القديمة قصبتها الرئيسية والتي أحاطتها من جميع الاتجاهات المباني السكنية وبكثافة نسبية متباينة فيما بينها. وجاء التوجه في البناء أولاً في التوسع جهة الشرق، ثم اتجه نحو الغرب وكان ذلك في فجر الإسلام، وبكثافة بنائية عالية نسبياً نمت وبتدرج تصاعدي متزايد في عجلة تسارعه على مر العصور. واتسع السوق بهذا مساحةً وكثافةً بنائيةً تلبيةً للحاجة والتطور الحضري للمدينة خاصة واليمن عامة. ولاستدامة تشغيل سوق صنعاء وبكفاءة تواكب المعطيات والمتطلبات الحياتية والتي تفرضها المتغيرات الزمانية والمكانية بإضطراد، وفي كل محطات مسار تطوره التاريخي، فقد خضع السوق ومنذ مراحل نشأته الأولى إلى عدد من النظم الإدارية، والتي شكلت منظومةً تشريعية مرجعيتها في الأساس المفاهيم والقيم والأعراف والعادات والتقاليد الحضرية والتشريعات اليمنية القديمة (قبل الإسلام) وبعد إعتناق اليمنيين للإسلام إرتقت هذه المنظومة باعتمادها الأحكام الشرعية الإسلامية، وعلى العادات والتقاليد والأعراف الاجتماعية المتأصلة، والتي إرتقت هي الأخرى وتطورت بفضل الفعل الروحي الديني الإسلامي وأثره في تهذيب السلوكيات الإنسانية، اجتماعيا واقتصاديا وثقافياً.

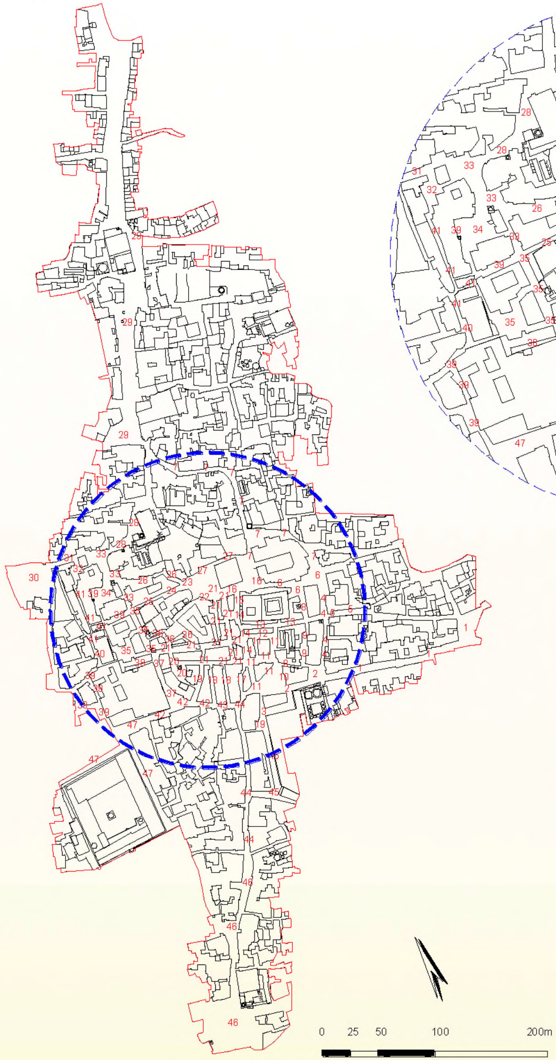
وفي المراحل الأولى للعصر الحديث وكنتيجة حتمية للتأثير الفعلي للتنامي المضطرد المتسارع في عجلة التطور الحضري والحضاري للمجتمعات الإنسانية عامة، والمجتمع اليمني الصنعاني خاصة، وبفعل التأثير المتبادل بين أسواق التجارة العالمية الرئيسية والفرعية، فإنه وإن إنحسر دور سوق صنعاء في التجارة العالمية دولياً عما كان عليه في العصور الوسطى، إلا أن مكانته الإقليمية تعززت نسبياً في هذه المرحلة. وكنتاج حتمي للتطور التاريخي ازداد الحجم الكمي والنوعي البضائعي والسلعي بل تضاعف عدة مرات، وانعكس ذلك معمارياً على سوق صنعاء في الحجم والمساحة واتسع من حيث التخصص النوعي البضائعي والسلعي لأسواقه الفرعية وكبر حجم التعامل في التداول التجاري، وكثرت المهام والاختصاصات في عملية إدارته (مالياً وتجارياً وأمنياً)، وأصبحت المرجعيات ذات العمومية من تشريعات وأعراف قاصرة في نظمها وآلياتها للتعامل مع هذا الحشد الكبير المتنامي كماً ونوعاً، ولهذا أُعْتُمِدَ لسوق صنعاء خاصة وصنعاء عامة قانون صدر مرسومه الأول سنة (١٠٦٦هـ/١٦٥٥م) ودمغ إصداره بأمر المتوكل على الله إسماعيل (ت١٠٨٧هـ/١٦٧٦م)، وسمي (قانون سوق صنعاء)، وعدل عدة مرات كان آخرها سنة (١٢٣٤هـ/١٨١٩م) ودمغ إصداره بأمر المهدي عبد الله بن أحمد (ت ١٢٥١هـ/ ١٨٣٥م)[(٢)] واستمر العمل بقانون صنعاء حتى ظهور القوانين الحديثة (العصرية) ولكن تأثيره في المعاملة والتعامل لا زال واضحاً حتى يومنا هذا في الكثير من المناحي وإن تحول من الصيغة القانونية إلى الصيغة العرفية ذات العمومية بعد صدور القوانين الحديثة رسمياً.

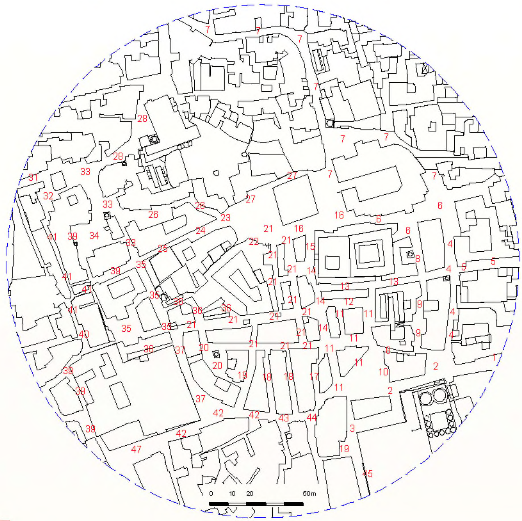
وكان تجار الأسواق في السابق لا يسمحون لأولادهم بمزاولة البيع والشراء إلا بعد تدريسهم العلوم الشرعية من فقه المعاملات والحساب، فضلاً عن القرآن الكريم والنحو والحديث واللغة العربية ليكونوا على علم بفقه المعاملات والبيع والشراء فلا يحتكر ولا يرابي ولا يغالي في الأسعار، بل يكونون على بصيرة وعلم يقودهم إلى الفلاح[(٣)].

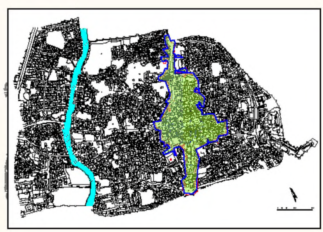
ويذكر جروهمن في وصفه لسوق صنعاء بداية القرن (٢٠م) "إن أكبر سوق تجاري داخلي في اليمن هو مدينة صنعاء وخاصة في تجارة الفواكه والحبوب والبن والمواشي، إذ أن صنعاء هي الحاضرة التجارية للقبائل خارج المدينة حتى مأرب حيث كان يأتي الملح منها إلى صنعاء ومقابل ذلك يشتري أصحابه الذرة. وقد كانت مزاولة المهنة في سوق صنعاء تحكم من خلال تجمعات مهنية (جمعيات) يرأسها شيخ (عاقل) مثل عاقل سوق (النجارين، الحدادين، العطارين،...) وللحفاظ على مصالحهم التجارية فإن محلاتهم تتجمع جوار بعضها مكونة الأسواق النوعية (التخصصية)"[(٤)].


خارطة التجارة القديمة
دمشق
غزه
البتراء
يثرب (المدينة)
اليمامة
جدة
مكه
نجران
معين
ظفار
شبوه
صنعاء
مأرب
تمنع
قنا
موزع
عدن

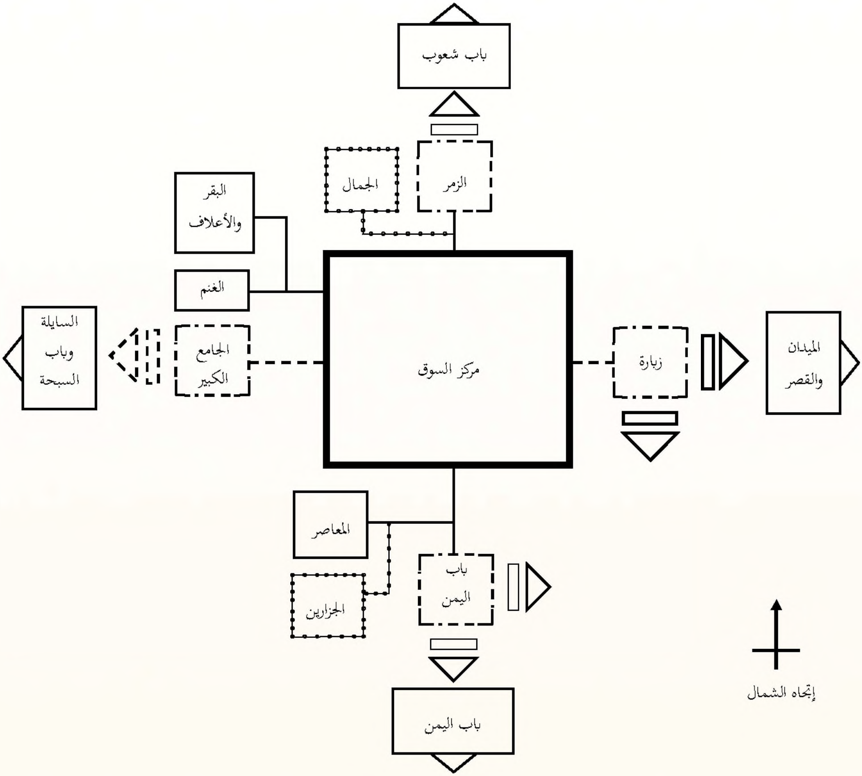








١ سوق النصارة
٢ سوق الملح
٣ سوق المطاع
٤ سوق القات
٥ سوق المصباغة
٦ سوق الفضة
٧ سوق عقيل
٨ سوق السمن
٩ سوق العيش
١٠ سوق البارود
١١ سوق الحب
١٢ سوق الحلبة والملح
١٣ سوق المعطارة
١٤ سوق الزبيب
١٥ سوق القشر
١٦ سوق المبساطة
١٧ سوق الفتلة
١٨ سوق الجديد
١٩ سوق النحاس
٢٠ سوق الجلاء
٢١ سوق البز
٢٢ سوق القصيب
٢٣ سوق المحازم
٢٤ سوق المخراطة
٢٥ سوق الكوافي
٢٦ سوق السلب
٢٧ سوق القص
٢٨ سوق حارة المدر
٢٩ سوق الزمر
٣٠ سوق البقر
٣١ سوق الطحين
٣٢ سوق البهائم
٣٣ سوق الجبانة
٣٤ سوق العلف
٣٥ سوق الحلقة
٣٦ سوق الجنابي
٣٧ سوق العسوب
٣٨ سوق المواقد
٣٩ سوق النجارين
٤٠ سوق المنقالة
٤١ سوق الحدادين
٤٢ سوق العنب
٤٣ سوق الحنا
٤٤ سوق النطارة
٤٥ سوق الحميدي
٤٦ سوق باب اليمن
٤٧ سوق دار الجامع



السوق المركز المحدد الرئيسي لمحاور المدينة واتجاهات نموها وتطورها التاريخي

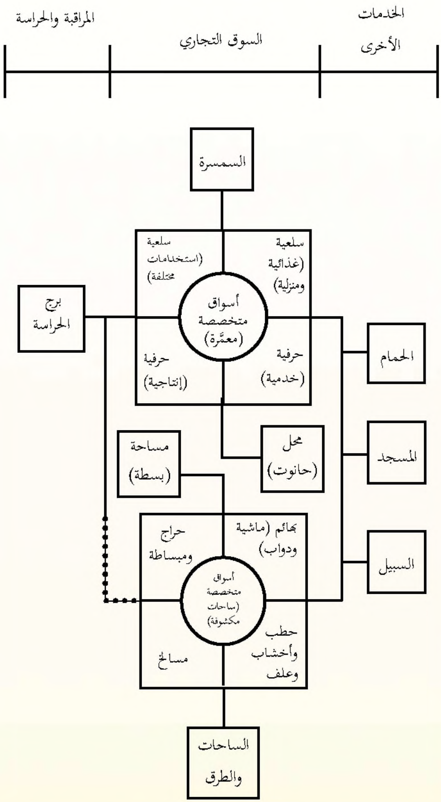
- محلات مسقوفة
- ساحات تحيطها محلات مسقوفة
- أسواق حديثة (مسقوفة ومساحات)
- أسواق قديمة (ساحات) متناثرة
- اتجاه التوسع الحديث بكثافة عالية
- اتجاه التوسع الحديث بكثافة أقل نسبياً
- اتجاه التوسع الحديث بكثافة متدنية
- علاقة الربط بالمركز (للأسواق القديمة)
- علاقة الربط بالمركز (للأسواق الحديثة)
- علاقة الربط بالمركز (للأسواق القديمة المتناثرة)

وسوق صنعاء هو مركز المدينة، ويقع في وسط محور حركة اتصالها بالخارج عبر الطرق الرئيسية والفرعية وهو بذلك يمثل المنظومة (العمرانية الحضرية) الأساسية في تكوين المدينة، ونسج العلاقات الوظيفية لفضاءاتها الرئيسية والخدمية، وربطها بروابط اتصال مباشرة وغير مباشرة، ولاختزال المسافة والوقت، خدمة للمستخدمين والمرتادين، كان تخصيص الأسواق وفقاً لنوعية البضائع والسلع. وتبلغ مساحة السوق حالياً (٤٨٠٠٠م٢) المبني منها (٢٧٠٠٠م٢) (٥٦,٣٪) والخالي من البناء (٢١٠٠٠م٢) (٤٣,٧٪).

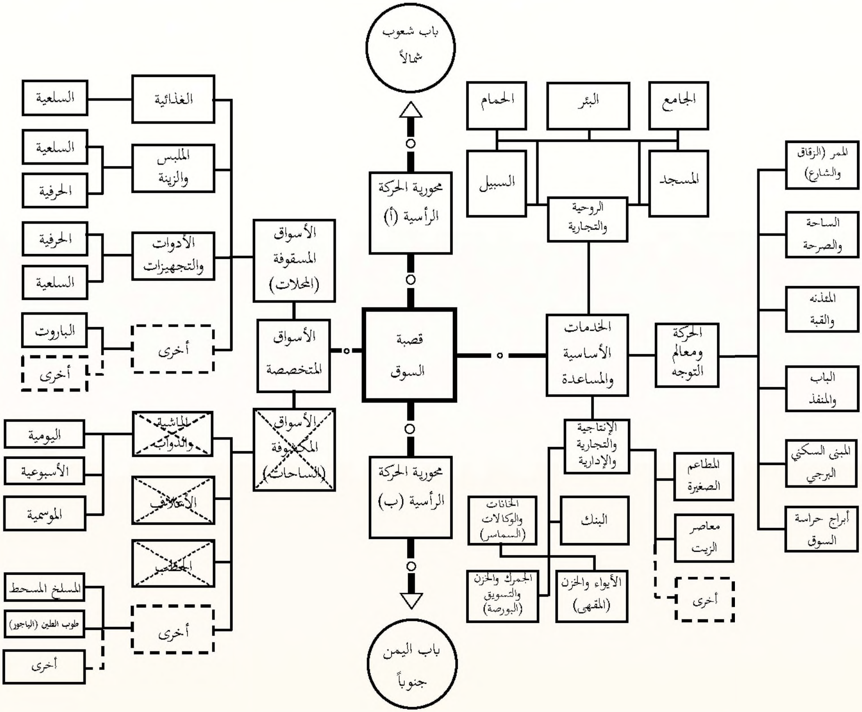
والسوق مركز تجاري إداري لاقتصاد مدينة صنعاء، وصنعاء العاصمة المركز السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي للدولة، ولهذا وظفت فضاءاته لأداء جملة من المتطلبات الوظيفية ويمكن تصنيف أهمها على النحو الآتي:

- البورصة (الترويج) والتسويق بالجملة.
- البيع والشراء بالتفرقة.
- الإنتاج الحرفي.
- الخزن للسلع والبضائع.
- الإدارة الجمركية (المعايير القياسية والتسعير والضرائب...).
- حفظ الودائع الثمينة (البنك).
- الضيافة (الإيواء والطعام).
- خدمات ووسائط النقل (الإيواء والعلف والاستبدال للدواب).
- المرجعية الإدارية (شيخ السوق وعاقل السوق التخصصي النوعي) لتأمين حرية الحركة والانتقال والبيع والشراء (المعاملة) وفق ضوابط قانون صنعاء.
- الأمن (المراقبة والحراسة) الحراس وشيخ الليل.
- الخدمات الضرورية الأخرى (سبيل مياه الشرب المُحْسَنَة).
- النظافة الجسدية للإنسان في الحمامات الساخنة.
- النظافة (للسلع والبضائع، وداخل المحلات وحولها وفي الطرق والساحات...).

وكانت مساحة السوق حين نشأته في الأصل صغيرة ثم توسعت بالتدريج وتنوعت وتعددت منشآته ومبانيه وخدماته، كسماسر الإيواء والخزن والتسويق والسُّبل والحمامات الساخنة. وأسواقه التخصصية تبلغ نحو (٤٢ سوقاً)، وفيها ما يربو على (١٧٠٠محل (حانوت)، ازدهرت فيها مختلف المهن والحرف والصناعات اليدوية. وأنشئت (معاصر السليط)، الزيت حول منطقة السوق، وكان يوجد منها نحو (٤٠ معصرة)، ولا تزال حالياً بعض منها تعمل وباستخدام الدواب كالجمال في دوران رحى معاصرها.



الأسواق النوعية التخصصية ذات العلاقة الخدمية في تكوين هيكل السوق



النظام الهيكلي لسوق صنعاء

قصبة السوق الرئيسية (مركز السوق)

الأسواق الفرعية المتخصصة المسقوفة والخدمات الرئيسية والثانوية للسوق

الاتجاه الرئيسي لمحور الاتصال الخارجي المباشر للسوق (المحور الرئيسي للمدينة)

الأسواق الفرعية التخصصية المكشوفة

مداخل المدينة والسوق الرئيسية (تأمين إحكام السيطرة)

وتوزعت خمسة من المساجد في أطراف مركز السوق هي الجامع الكبير ومسجد جناح ومسجد المذهب ومسجد محمود ومسجد عقيل، بينما تمركز كل من مسجد الشهيدين ومسجد علي في وسطه.

الأسواق التخصصية

يمكن تصنيفها وفق وظائفها التخصصية على النحو الآتي:

- الأسواق التجارية التي تختص بالبيع بالتجزئة.
- الأسواق الإنتاجية (التجارية الحرفية).
- الأسواق ذات الفضاءات المفتوحة وهي الساحات (غير مسقوفة ومظللة).
- السماسر ووظائفها الخزن والتسويق وخانات للإيواء.

ويمكن تصنيف الأسواق التخصصية النوعية وفق نوع السلعة والبضاعة في الجدول الآتي:



١

السلع التموينية (الغذائية)	الملح والحلبة (البهارات) والحب (الغلال) والخبز (اللقمة) والطحين والقشر والزبيب والسمن والعنب.
السلع الملبسية والدواء (القماش والزينة)	البز والمصاون (البراقع) والفتلة (الصوف) والمعطارة (العطارون) والحناء
الإنتاج الحرفي (اللبس والزينة)	الكوافي والمحازم (العسوب) والجنابي والفضة والمصبغة والمنقالة (الأحذية)
الإنتاج الحرفي للأدوات والتجهيز	النحاس والقصيب (خراطيم النارجيلة) والمخراط (الخراطة) والحدادين والنجارين والجص (القص) والمواقد والسلب والمدر (السراجة) وأدوات الصاج
الحيوانات والأعلاف والحطب	البقر والحمير والغنم والعلف والحطب
أخرى	البارود والجزارين والمبساطة (الحراج)



٢



٣

عرض البضائع والسلع

ينحصر عرض البضائع والسلع في طريقتين هما:

- في فضاءات (مساحات) مكشوفة تؤجر مساحاتها، كما هو في أسواق الحطب والأعلاف والبهائم والماشية والدواب.
- في فضاءات محكمة السيطرة (حوانيت وسماسر وورش ومعامل إنتاج).

كما تنوعت الحوانيت بتنوع تخصصاتها، وتنوعت كذلك في طرق عرض بضائعها، إذ توجد حوانيت تخصصت في عرض بضائعها داخل المحل (الدكان) فقط. وعرضت حوانيت بضائعها (أثناء البيع) داخل الحانوت وخارجه، وبنسب متفاوتة تصل من (٣٠-٧٠٪) وليس هذا فحسب بل استخدمت بعض فضاءات (سماسر) الإيواء الداخلية لغرض خزن وعرض وتسويق السلع والبضائع، وقد غلب على هذا العرض آلية البيع بالجملة.

علاقة السوق بالسلعة والبضاعة

من حيث مصدرها الإنتاجي:

المصدر الإنتاجي للبضائع والسلع في هذا يتحدد في الآتي:

- الإنتاج السلعي والبضائعي في خارج حدود السوق:

البضائع ذات الجاهزية الكاملة للبيع تنقل للسوق لبيعها، وتشغل الفضاءات المحددة لها من ساحات أو حوانيت متخصصة وبنسبة تشغيل كاملة (١٠٠٪).

- الإنتاج الصناعي والحرفي السلعي والبضائعي داخل السوق:

والبضاعة أو السلعة من حيث الإنتاج يتم إنتاجها في فضاءات محددة داخل حدود السوق، ووفق نوعية السلعة الواحدة أو وفق العلاقات التكاملية في التعدد النوعي الإنتاجي لتركيب السلعة (البضاعة)، مثل صناعة الخنجر اليمني (الجنبية) والذي يتم إنتاجه في عدد من الأسواق الحرفية وحسب المادة والتقنية المتطلبة لصناعتها وأهمها (سوق الجنابي وسوق العِسْوب وسوق الحدادة وسوق النجارة وسوق الفضة).

ويتم تقسيم فضاءات الحانوت (المعمل أو الورشة) في هذا، وفق المساحات المتطلبة لإدارة عمليات الإنتاج والبيع والشراء.

البيع والشراء

- مباشرة بين البائع والمشتري للبضائع والسلع الصغيرة وبالتجزئة.
- عبر وسيط هو (المُصلح) السمسار للبضائع والسلع ذات الكميات الكبيرة وبالجملة أو للبهائم والدواب والبضائع، وكذلك السلع والبضائع الغريبة والنادرة والتي يفقد المشتري أو البائع المعرفة والثقة في تسعيرتها أو قياس جودتها أو كلتيهما فيلجأ إلى المُصلِح المختص.



٤



٥

١ .سوق الجنابي
٢ .سوق الحب
٣ .سوق الجامع
٤ .المعصرة
٥ سوق البقر



١

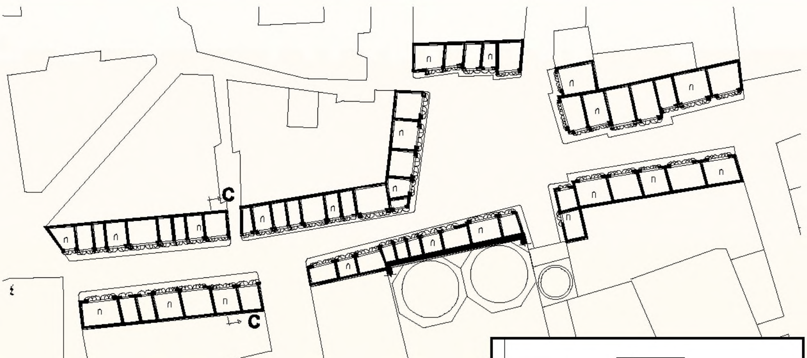


٢

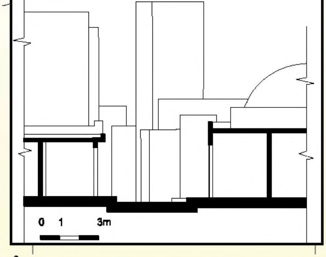


٣





٤

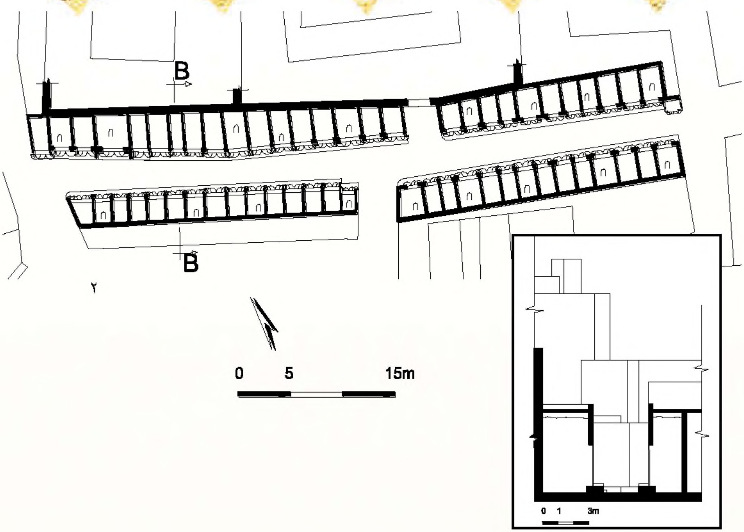


٥

١. محل بيع الحنا
٢. محل المدائع والنحاسيات
٣. محل الجنابي والعسوب
٤. ٥.مسقط وقطاع سوق الملح



١. مسقط وقطاع سوق البز
٢.٣. مسقط وقطاع سوق المعطارة
٤. محل الفضيات



٢


٤

الخصائص المعمارية للسوق

أهم الخصائص المعمارية للسوق يمكن حصرها وإيجازها في الآتي:

- اعتمد التكوين الفضائي للسوق الفصل في فضاءاته الوظيفية ذات العلاقات العامة وبين الحارات ذات العلاقات الخاصة (المباني السكنية) واعتمد الفصل بين الاتجاهين الرأسي والأفقي في تشكيل فضاءاته الداخلية ففي المركز تشكلت الفضاءات الوظيفية التجارية والخدمية بنظام أفقي ممتد، ولم تزد ارتفاعات الحوانيت عن طابق واحد، وتوزعت هذه الحوانيت على جانبي الطرق أو على أطراف الساحات الصغيرة، والتي تشكلت من التقاء وتقاطع الطرق الضيقة والمتعرجة.

وعلى أطراف السوق توزعت سماسر الإيواء الكبيرة ذات الطوابق المتعددة وبكثافة في الجهة الغربية. والتقت حولها وفي حدود أطراف مركز السوق المباني السكنية العالية (البرجية)، وعلى جانبي الطرق توسع السوق على محاوره الرئيسية، وتشابه الحال نسبياً عند التوسع الحتمي للسوق في الساحة الفسيحة الداخلية لباب اليمن. وارتفعت المآذن العالية في أطراف السوق وشكلت المباني العالية معالم حدود السوق. كما أعطى التباين في أشكالها محددا للتوجيه كمعالم دالة للإدراك والوعي بالمكان، ولتوجيه حركة الزائر الغريب قاصد السوق.

- اعتمد تخطيط السوق على منظومتين معماريتين تكاملت في علاقاتها وتمايزت بخاصيتي الربط والفصل في وظائفها فالمنظومة الكلية تجمع كل الفضاءات الوظيفية التجارية والخدمية (أسواق، سُبُل، سماسر، حمامات...).

أما الأسواق التخصصية ذات الوظائف النوعية فتشكل منظومة جزئية في بناء التكوين العام للسوق، فكل سوق متخصص فيها يمثل الوحدة البنائية في هذه المنظومة، لذا كان مركز السوق يغلق ليلاً وتشدد الحراسة عليه، وعلت بعضَ الحوانيت أبراجُ الحراسة (غرف صغيرة) توزعت في نقاط محددة في وسطه وطرفه.



١



٢



٣



٤

١. مركز السوق (١٩٢٧م)، م/ م ت د م
٢. مركز السوق (٢٠٠٠م)
٣. محل بيع البن
٤. حرفي صناعة الأحذية
٥. المساومة على دكة الحانوت
٦. حرفي صناعة العسوب (أحزمة الخناجر اليمنية).
٧. حرفي صناعة المدائع (النارجيلات)

- موقع السوق في الوسط مَثَّل قلب المدينة، وتتجه الحركة إلى السوق من خارج المدينة عبر الأبواب الرئيسية للمدينة (باب اليمن، باب شعوب)، وكانت القوافل تتجه عبر باب شعوب إلى سوق الجمال والذي كان في موضع مسجد الزُّمُر، وكانت القوافل التجارية تفرغ فيه حمولتها، وقد أعد هذا المكان ليكون في الوسط بين باب شعوب والسوق (المركز) وذلك لتسهيل نقل البضائع إلى داخل السوق (السماسر والحوانيت) واستمر ذلك أيضاً بعد بناء المسجد (الزمر) وفي الساحتين الشمالية والجنوبية منه وحتى منتصف القرن (٢٠م).
- الحانوت فضاء معماري تميز بالبساطة وضيق المدخل وصغر المساحة والارتفاع المنخفض، إذ لا يزيد ارتفاعه عن طابق واحد ويرتفع على مسطبة صغيرة من الحجر أو الطوب والتي ترتفع بنحو (٥٠-٨٠سم) فوق مستوى طُرُق وساحات السوق، كما توجد مسطبة (دكة) مرتفعة نسبياً أمامه ترتفع والى قرب الباب في الغالب لراحة المشتري في الجلوس عليها أثناء المساومة (التداول) في النوعية والجودة والسعر براحة تحت ظلال المظلة النافرة من سقف الحانوت[٥]، وغالباً ما يتراجع باب الحانوت بنحو (٣٠-٤٠سم) إلى الداخل عن واجهته ويستغل فراغ الإزاحة من جانبيه لعرض السلع ويشغل باب الحانوت أكثر من (٨٠٪) من واجهة الحانوت.

وتباينت حوانيت السوق في مساحتها من حيث وظائفها بين حوانيت العرض وحوانيت الإنتاج الحرفي كما تباينت أيضاً حوانيت الإنتاج الحرفي فيما بينها من حيث الحجم والمساحة وذلك وفقاً لمعطيات ومتطلبات الإنتاج والعرض السلعي.



٥



٦



٧



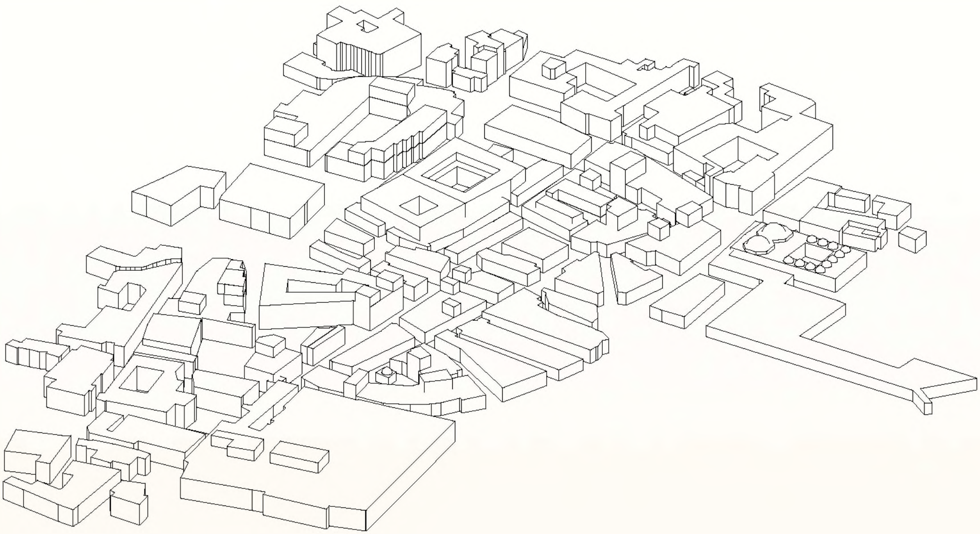
وللمتغيرات الزمانية ومعطياتها ومتطلباتها الحياتية للإنسان، الكثير من المعطيات والمتطلبات المعمارية (الوظيفية والجمالية)، والتي انعكست هي الأخرى على هيكلية التكوين المعماري للسوق. وتأثيرها إنحصر في الأساس على علاقاته الوظيفية. وأتت التحولات الكبيرة وبعد منتصف القرن (٢٠م)، ومن أهم هذه التحولات:

- التحول الوظيفي لبعض الأسواق، في غياب بعض أنواع البضائع والسلع التقليدية أحدث تحولاً وظيفياً من الخاص إلى العام لأسواقها التخصصية وحلت محلها البضائع الجديدة المتنوعة وشغلت أجزاءً من ساحات الأسواق المكشوفة وظائف تجارية وخدمية أخرى.
- كما انحسر الدور الوظيفي الرئيسي والمساعد لسماسر الإيواء.

وعلى الرغم من هذه التحولات فإن السوق لا يزال يحتفظ بنكهته وعبقه ومن التاريخ يستمد حيويته ليروي ملحمة نشوء وتطور المدينة. والذي مثَّل ويُمَثِّلُ فيها محورها، والموجه الرئيسي لكل تفاعلاتها، حيث احتوى في إطاره على أهم الخدمات العامة لساكنيها وزائريها، وجمع في فضاءاته كل المفارقات (التوافقية والتباينية)، في حيثيات المعاملة والتعامل وسلوكياتها الأخلاقية البيئية، الإجتماعية والثقافية والمعمارية، والتي جمعت بين الطاعة والاحترام والمبادرة، ومع ذلك لا يزال في حيوية متنامية محتفظاً بمكانة خاصة وهامة بين أسواق مدينة صنعاء الكبرى (الحديثة)، وذلك لخاصيته التقليدية في التنوع السلعي التكاملي. هذا فضلاً عن التفرد في توفير الكثير من السلع والتي لا تتواجد إلا فيه، وإن توافر بعضها في المحلات المتفرقة في الأسواق الحديثة لصنعاء، فإن الأقرب والأبسط والأسهل بل الأجود والأقل سعراً لن يكون إلا في سوق صنعاء القديم. ولهذا فهو مكان القصد للكثير عند الحاجة، وذلك لما يوفره من إغراء سببه التعدد والتنوع والكثرة في بضائعه وسلعه من مختلف المصادر المحلية والخارجية.



الخنجر اليمني (الجنبية)



منظور تحليلي لسوق صنعاء (مركز السوق)

الهوامش

١. مرميه، ف؛ "سوق صنعاء تنظيمه المهني والعمراني"؛ (صنعاء مسار مدينة عربية)؛ معهد العالم العربي؛ باريس؛ ١٩٨٧م؛ ص(٣٣).

٢. السياغي، حسين بن أحمد؛ تقديم وتعليق على "قانون صنعاء في القرن الثاني عشر الهجري"؛ ط٢؛ إشراف: عبد الله إسماعيل غمضان؛ صنعاء؛ ١٩٨٢م؛ ص(١٠، ١١).

٣. الشوكاني، غمدان؛ "أسواق صنعاء القديمة"؛ صحيفة الثورة؛ العدد ١٣٤١٦:٥/٨/٢٠٠٠م؛ مؤسسة الثورة للصحافة، صنعاء.

4. Grohmann، Adolf، "**KULTURGESCHICHTE DES ALTEN ORIENTS**: DRITTER ABSCHNITT VIERTER UNTERABSCHNITT: **ARABIEN**"، C. H. BECK'SCHE VERLAGSBUCHHANDLUNG MUNCHEN MCMLXIII،1963. p 99.

5. Grohmann، Adolf، op،it، p 90.

السمسرة



السمسرة[١] دار ضيافة (نُزُل) لإيواء الوافدين من خارج المدينة والبلد وتعني التجار منهم في الأساس.

ويذكر الرازي عدداً من تلك التي كانت مراكز لضرب السكة والحَوْك والنُزُل، ومن ذلك (دار ابن عنبسة)، وكانت نـزل القادمين من تجار العراق[٢]. إلا أن أول نشأة للسمسرة في اليمن لابد وأن يكون أقدم بكثير من تاريخ أول ذكر لهذا النوع من المباني والمنشآت.

فالحضارة اليمنية القديمة قامت أساساً على التجارة، وازدهرت بها ونشأت مدنها الأولى على الطرق وعملت هذه المدن على إدارة وتأمين حركة التجارة وحماية القوافل.

مما استدعى تقديم خدمات الإيواء والغذاء للتاجر وراحلته، والخزن والوساطة في عمليات البيع والشراء للبضائع ولتأمين ذلك تطلب بالضرورة إيجاد فضاءات معمارية توفر هذه الخدمات وكذلك الحماية والأمن كشرط أساسي للعمل التجاري.

أما عن تطورها فإن التباين الوظيفي والمساحي والحجمي لسماسر صنعاء القديمة يكشف جزءاً من الغموض في مسار نشأتها وتطورها، فقد كانت تقوم بوظيفة تأمين التبادل التجاري بين التجمعات السكانية القريبة منها والقوافل التجارية، والتي كانت تعتمد على تنظيم حركتها دورياً بأوقات محددة ومعروفة في السنة.

وكل ما سبق طرحه يوصل إلى أن السماسر لها وجود في المدن اليمنية (القديمة والإسلامية) وأن إهمال ذكرها يرجع بدرجة رئيسية كونها أتت ضمناً في إطار السوق قصبة المدينة، ولهذا نجد ذكراً مفصلاً للسوق دون ذكر للسماسر، ومن المرجح أن يكون عدم ذكرها بقصد الإيجاز والاختصار وخاصة أن ذكر الحوانيت في هذه المصادر قليل جداً ورد في سياق الحديث دون إسهاب.

وسماسر صنعاء تختلف عن بعضها من حيث الوظيفة والشكل والمساحة والحجم، والقائم منها (٢٨سمسرة) منها (٨ سماسر) للخزن والتسويق وقد استثنينا من هذا العدد سمسرة الحَبّ التي أُنْشئت في الأساس كمظلة لراحلات البضائع في ساحة السوق الرئيسية. وأستخدمت بعد ذلك كمخازن وسوق للحبوب مفتوح من جميع الجهات على ما تبقى من فضاءات هذه الساحة. كما أن تصميمها المعماري ومادة وتقنية بنائها لا يتفق وأي خاصية للنظام التصميمي العام للسماسر بأنواعها ووظائفها وحجومها المختلفة، وإن تعارف عامة الناس في تسميتها بالسمسرة، واحتسبها الكثير من الدارسين ضمن بقية السماسر أو ميزَّها حين ذكرها بمخزن الحَبّ دون كلمة سمسرة وكذلك مخزن السليط الزيت كما في كتاب سوق صنعاء لوالتردوستال[٣].



ويذكر الشهاري (ت بعد ١١٧٦هـ/١٧٦٢م) "أن في صنعاء خانات كثيرات نحو الثلاثين الخان كلها محدثات في بيوت الأغراب ومحل الأمانات"، والقصد هنا واضح من حيث تخصيصه في الذكر لمعنى "بيوت الأغراب ومحل الأمانات"، أي الإيواء وخزن البضائع. ويؤكد المعنى في قوله: "بنيانها أبلغ من بنيان دور الملوك تحتوي على جملة غرف ومخازين وفيها الأكشاك والرواشين الشارعة في الهواء المطلة على الأسواق وفيها المرافق والمطاهير وفي أسواقها الخبازين الذين يعملون ألوان المعايش ويطبخون ألوان الطبايخ"[٤]، ونجد معنىً ضمنياً آخر في تصنيفها سماسر كبيرة وسماسر صغيرة مقاهي من حيث نوعية الخدمات والأسعار كما هي في نوعية درجة التصنيف الفندقي الحديث. وهذا في قوله "فيغتبط فيها الغريب الموسر" سماسر الإيواء الكبيرة " ويرتفق فيها المقل المعسر"[٥] سماسر الإيواء الصغيرة". وما تبقى من هذه السماسر (٣٠) سمسرة، لم يبق قائماً منها سوى (١٠) سماسر، (٩) سماسر في مركز السوق وسمسرة واحدة بالقرب من باب السبحة في حي السرار الغربي وهي سمسرة مُعمَّر والتي ذكرها المؤرخ حسام الدين أبو طالب سنة (١١٣٠هـ/١٧١٨م) في إشارته إلى قيام الإمام القاسم بن الحسين بتحويلها مضيفة خاصة بالوافدين من القبائل إلى صنعاء لأغراض رسمية نظراً لقربها من القصر (المتوكلية)[٦].

وإذا كان يحتمل أن يكون الشهاري قد جمع بين نوعي السمسرة وأعتبر أن الطابق العلوي المحدد والجزئي لسماسر الخزن والتسويق ما هو إلا فضاءات إيواء (نزل) للأغراب، إلا أن هذا يتعارض مع وصفه للخان (السمسرة) من حيث تنوع وظائفه الخدمية وتعددها، ومن حيث الشكل وعناصر التشكيل الخارجي وعلاقة الربط بالخارج وخصائص هذا الوصف لا ينطبق تصميمياً ولا يمكن أن يكون إلا لسمسرة الإيواء، ولهذا فإن العدد (٣٠) خاناً (سمسرة إيواء) أصدق وخاصةً أنَّ صنعاء في ذلك التاريخ تأتي وفي أكثر عصورها الإسلامية ازدهاراً حضارياً واقتصادياً وثقافياً، وأكثرها غزارةً في المعلومات وحضوراً في المصادر والمراجع الوثائقية، ويدعم هذا الاحتمال ما جاء في الحديث الذي أجريناه مع المعماريين التقليديين في صنعاء وبالأخص الأسطى باشا حسين بلال والذي تجاوز عمره (٩٢ سنة) والأسطى باشا علي بعثر وعمره (٧٨ سنة) والذي جاء فيه ذكر السمسرة إما في موضوعها الخاص بها أو جاء عرضياً في بقية المواضيع التي تناولت عمارة وعمران صنعاء وكلاهما ذكر أنه عاصر بعض السماسر التي تحورت وظائفها إلى مساكن، أو محلات تجارية، أو هدمت وحل محلها مبنى سكني أو تجاري، أو أنه تناقل إليه ذكر سمسرة كانت قائمة في السوق أو في هذا المكان المعلوم. ومن الجدير ذكره في هذا سمسرة سوق الحلقة التي هدمت ولم يبق لها أثر.

ويتضح مما سبق أن سماسر صنعاء كانت أكثر بكثير من حيث العدد عما هو قائم أو ذكره المؤرخون كالشهاري.

إن سماسر الإيواء تفوق عددياً وبفارق كبير سماسر الخزن والتسويق وبالمثل فإن سماسر الإيواء الصغيرة (المقاهي) تفوق عدداً بفارق كبير سماسر الإيواء الكبيرة.

وقد توزعت كل من سماسر الإيواء الكبيرة وسماسر الخزن والتسويق داخل وعلى أطراف مركز السوق، كما أن سماسر الإيواء الصغيرة (المقاهي) وجدت بكثرة داخل مركز السوق وانتشرت أيضاً وبشكل محدود على المحاور الرئيسية لتوسع السوق خارج المركز وأتت واحدة منها في نهاية المحور الرئيسي الغربي للمدينة وهي سمسرة معمر، فعمارة هذه السمسرة خارج مركز المدينة (السوق) بمقربة من مركز الحكم (المتوكلية) جاء لخدمة إدارية خُصَّت بإيواء الوافدين من خارج صنعاء من العامة لمراجعة حل قضاياهم في مركز الحكم أو حين طلبهم لمقابلة الإمام. وهي بهذا تتفرد عن بقية سماسر صنعاء الأخرى المنتشرة داخل السوق وعلى محاوره الرئيسية والتي وظفت في الأساس لخدمة التجارة.

والسمسرة أكثر عناصر تكوين فضاءات السوق الوظيفية فاعلية، سواءٌ من حيث تنوع وتعدد وظائفها، أو من حيث قيمة هذه الوظائف وتداخلها المباشر وغير المباشر مع بقية وظائف السوق الأخرى، وجاء تعدد وتنوع وظائف السمسرة نتيجة للزيادة العددية والنوعية في مجال الاهتمام بتلبية متطلبات الضيف وبضاعته وراحلته، ففي حين تنحصر بقية وظائف السوق في مجال الاهتمام في كل من البضاعة والسلعة والبائع والمشتري مباشرةً أو عبر الوسيط، فإن مجال الاهتمام في السمسرة يزيد عن ذلك، ويمكن حصر وتصنيف وظائف السمسرة على النحو الآتي:

- الجمع والحصر النوعي للبضائع والسلع ذات الأهمية وفي أماكن مخصصة نوعية ومعلومة لكل صنف.
- خزن البضائع والسلع وفق النوعية.

- الترويج والعرض والتسويق (بورصة) وفق النوعية البضائعية والسلعية.
- ميزان رسمي (معيار قياسي وزني ونوعي وفق البضاعة والسلعة).
- حفظ الودائع الثمينة والأموال النقدية (بنك).
- إدارة السوق وقد أوكلت لبعض السماسر الكبيرة مهام إدارية تتعلق بشئون السوق خاصةً أو بشئون المدينة والدولة عامةً وأهمها هي:
- الرقابة التجارية والمالية (الجودة والأسعار).
- الجباية (الجمرك والضريبة والزكاة).
- الأمن والحماية (مقر لشيخ الليل).
- مطعم ومقهى (تقديم وجبات ومشروبات وتجهيزات للمقيل والسَّمْرَة للنزلاء الضيوف والمرتادين).
- نزل (دور ضيافة) لإيواء الوافدين إلى المدينة من داخل وخارج اليمن وخدمتهم.

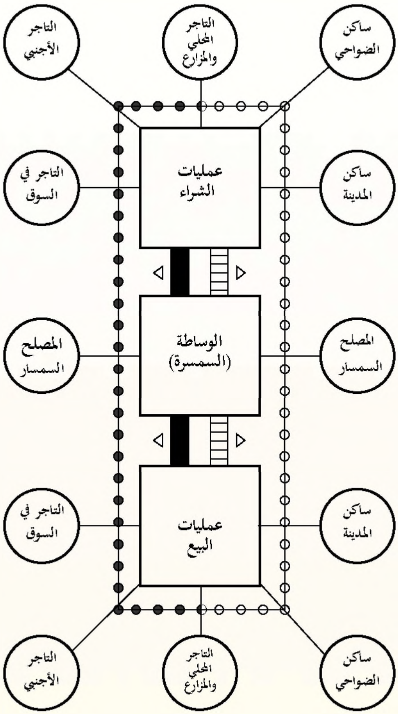
يتضح من خلال القراءة الأولية لوظائف السمسرة المعنى الاقتصادي والتجاري والإداري والثقافي لجملة هذه الوظائف ومن خلالها يتضح أيضاً أن السمسرة قد عملت على تنظيم وإدارة عمليتي الاستيراد والتصدير في لغة التجارة الحديثة.

وللتنوع الكمي والنوعي للوظائف والاختلاف والتباين بين كل وظيفة وأخرى، وكذلك بين علاقة كل وظيفة ببقية الوظائف، وصلة الاتصال (الربط المباشر أو غير المباشر) في العلاقات بين الوظائف ببعضها، جاء التباين الوظيفي بين السماسر من حيث النوع والتخصص النوعي الوظيفي من ناحية ومن حيث الحجم مساحةً وارتفاعاً من ناحية أخرى. ولهذا يمكن تصنيف سماسر صنعاء إلى نوعين هما:

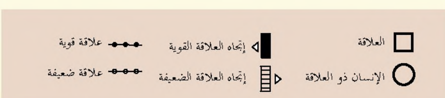
سمسرة الخزن والتسويق

تتكون سمسرة الخزن والتسويق من فضاءات وظيفية مغلقة من الخارج ومفتوحة إلى الداخل، يتوسطها فناء مكشوف تحيط به أروقة مسقوفة بدعامات وأعمدة مقنطرة معقودة.

ولا تختلف هذه السمسرة عن غيرها من السماسر من حيث شكل المسقط غير أن الفناء الوسطي كبير في مساحته نسبياً عن البقية، وهي في العادة مكونة من طابق واحد وبعضها أو جزءٌ منها يتكون من طابقين أو ثلاثة. وتمتاز هذه السمسرة بكُبْر وسعَة مداخلها بما يسمح بدخول الراحلات محملة، وكذلك العربات وتعبرها السيارات الشاحنة الكبيرة حالياً، ويطل مدخلها إلى الشارع الرئيسي للسوق ويندر وجود مدخل كبير آخر.



علاقات البيع والشراء



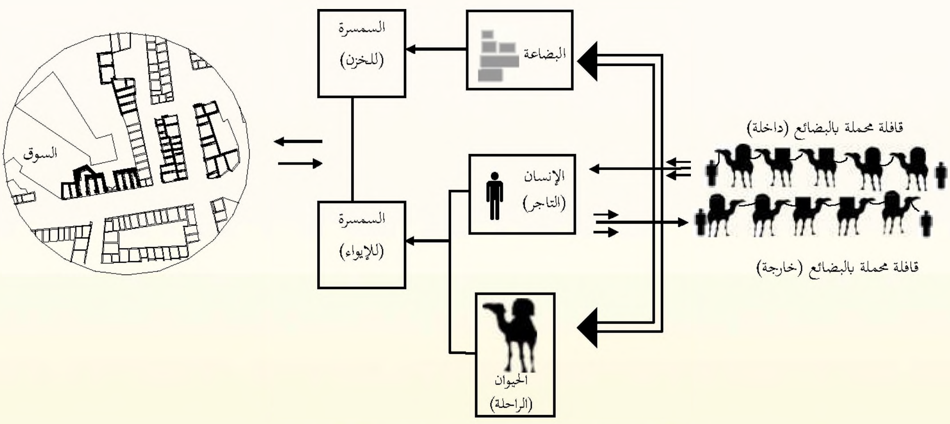
والجدير بالذكر أن هذه السماسر قد تخصصت بسلع معينة تقوم باستقبالها وفرزها وتصنيفها ووزنها وجمركتها، وكذلك خزنها والترويج لها وعرضها وتسويقها، وهي أشبه ما تكون بالبورصة. ومن أشهرها سمسرة الجمرك(٧) التي أُعْتُمِدَت كمؤسسة إدارية تجارية (لإدارة العمليات الجمركية)، وكذلك سمسرة الميزان التي أُعْتُمِدَت كمؤسسة لإدارة العمليات القياسية والأوزان.

سمسرة الإيواء

وهي نوعان من حيث نوعية الخدمات والحجم مساحة وارتفاعاً:

سمسرة الإيواء الكبيرة: يمتاز هذا النوع بكبر الحجم وتعدد الطوابق وأكبرها يرتفع إلى (٥ طوابق) تتوزع عليها الفضاءات الوظيفية الخدمية، ويخصص الطابق الأرضي للخزن والعناية بالدواب أما بقية الطوابق فتخصص للإيواء إلى جانب خزن البضائع والسلع النوعية، والمواد الثمينة .... وإلى جانب الإيواء والخزن يقوم هذا النوع من السماسر بوظائف التسويق، ولهذا الغرض وللتخصص فقد تباينت السماسر هذه من حيث وظيفتها التجارية التخصصية، لتختص كل واحدة منها في بضاعة أو سلعة واحدة، مثل تجارة البن والقشر، وهناك تخصص وظيفي آخر خُصَّت به سمسرة محمد بن الحسن حيث عُمد لها وظيفة البنك (حفظ الأموال والودائع الثمينة)، وهكذا وظفت بقية هذا النوع من السماسر وخدماتها كثيرة وذات نوعية متميزة في الجودة عن سمسرة الإيواء الصغيرة (المقهاية) وتجمع بين وظائف نوعي السمسرة، ولبيان ذلك تسلسل الخدمات التي تقدمها لنزلائها على النحو الآتي:

- تأمين تجهيزات وفرش النوم وخدمات المبيت.
- تأمين خدمات الخزن للبضائع والسلع (ولكل من عمليتي البيع والشراء).
- توفير خدمات الراحلات (الجمال والخيل والبغال والحمير) من إسطبلات وأعلاف وكذلك تسهيل إمكانية الاستبدال حين الطلب (للمتعب والمنهك منها).
- النظافة للفضاءات العامة وللفضاءات الخاصة وفق طلبات الضيف في توفير العناية الخاصة به في هذا الشأن.
- خدمات الاتصال (تنظيم المواعيد).



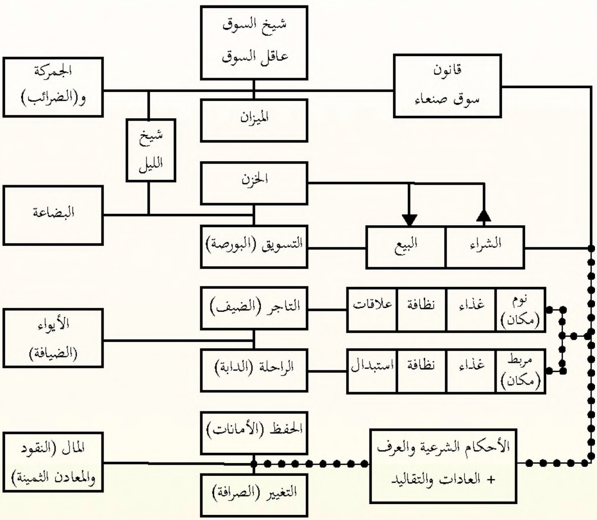
حركة البضاعة من وإلى السوق والدور الوظيفي للسمسرة

- الترويج والعرض للبضائع والسلع والوساطة (السمسرة) في البيع والشراء.
- توفير وتقديم خدمات الطعام والشراب وتجهيزات المقيل والسَّمْرَة.
- توفير الراحة و الهدوء والاستقرار النفسي والبدني والحماية.

سمسرة الإيواء المتوسطة والصغيرة (المقاهي)

غلبت تسمية المقهاية على هذا النوع من السماسر إلى جانب تسميتها بالسمسرة ومن أشهرها سمسرة (مقهاية) وردة وسمسرة المزين وسمسرة الذريرة. وهذه السماسر وظفت لغرض الإيواء أو الراحة والقيلولة إلى جانب خدمات الغذاء ، ولا يرتادها القادمون من خارج المدينة فحسب بل ومن داخل المدينة أيضاً وهي شبيهة بالمضيافات (اللوكندات) والمنتشرة في صنعاء وعموم اليمن حالياً، ويمكن تصنيفها بالفنادق الشعبية، ولا يزيد ارتفاع هذا النوع من السماسر عن طابقين، ولشعبيتها افتقرت لخدمات ونظم وآليات تميزت بها سماسر الإيواء الكبيرة، وخاصة تلك التي راعت توفير الهدوء والراحة لنزلائها، ولعدم توفر هذه الخاصية في السمسرة الصغيرة شاع المثل المعروف (كأنكم في سمسرة وردة) والذي يطلق مثلاً عند حدوث الفوضى والإزعاج وعدم التقيد بالنظم والأعراف المتبعة لأية تقاليد اجتماعية.

وخدمات هذه السماسر محدودة وزهيدة الثمن وتعني العامة وتتركز أساساً في الطعام والشراب وتجهيزات المقيل والسمرة والإيواء.



العلاقات الخدمية النوعية للسمسرة

العلاقات الوظيفية — العلاقة المباشرة — علاقة قوية


0 50 100 200 400m
1
2
3
4
5
6
7
8
9
11
12
13
14
A
B
C
D
E
F
G
I
II
III
IV
V
VI
VII
0 25 50 100 200m

سماسر الإيواء الكبيرة

I. سمسرة محمد بن الحسن بن القاسم

II. سمسرة البوعاني

III. سمسرة النحاس

IV. سمسرة المنصور

V. سمسرة الذماري (المنقالة)

VI. سمسرة المجة

VII. سمسرة يحي بن القاسم

سماسر الإيواء الصغيرة

١. سمسرة وردة (السواري)

٢. سمسرة وردة (الجنداري)

٣. سمسرة وردة (في سوق العْرِج)

٤. سمسرة وردة (اليريمي)

٥. سمسرة البطني

٦. سمسرة العمراني

٧. سمسرة الذريرة

٨. سمسرة المزين

٩. سمسرة سوق المجلس (المنصور)

١٠. سمسرة أبو عامر

١١. سمسرة محمد عسلان

١٢. سمسرة سمينة

١٣. سمسرة الحلقة

١٤. سمسرة سوق النجارين

سماسر الخزن

A. سمسرة الجمرك

B. سمسرة الميزان

C. سمسرة يحي بن ثابت

D. سمسرة الحوائج

E. سمسرة السود

F. سمسرة الشَّمة

G. سمسرة سوق السلب



السماسر

- الجمرك
- الميزان
- محمد بن الحسن
- النحاس
- المنصور
- المزين

مدخل رئيسي
مدخل ثانوي
محل (حانوت)
غرفة
فناء السمسرة
السبيل
الإسطبل
المخزن (الحر)
المستراح
الحمامات
مخزن
غرفة حارس
المطعم
المطبخ
بئر منزعة
الرواق (الممر)



سمسرة الجمرك



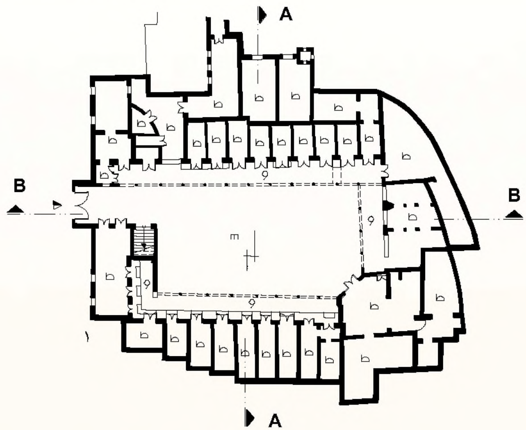


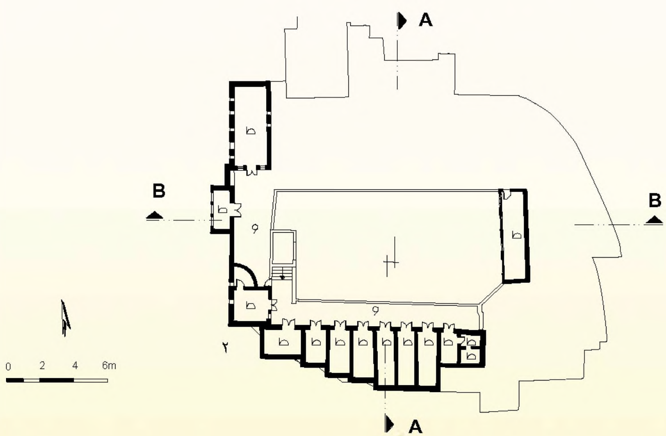
تقع سمسرة الجمرك شمال شرق مركز سوق صنعاء وتفصلها عن مسجد عقيل في جهة الشمال ساحتان متصلتان، وواجهتها الرئيسية غربية تطل على ساحة كبيرة نسبياً، ويتوسطها المدخل الرئيسي المعقود وهو مدخل كبير يرتفع إلى نحو (٣,٦٦م)، ويوجد مدخل فرعي في الجهة الشمالية والواجهات جميعها مصمتة بما فيها غير الملتصقة بمباني الجوار، والمحلات الداخلية تفتح على الفناء الكبير الوسطي والمفتوح. ويعود تاريخ بناء السمسرة إلى نحو (ق١١هـ/١٧م).

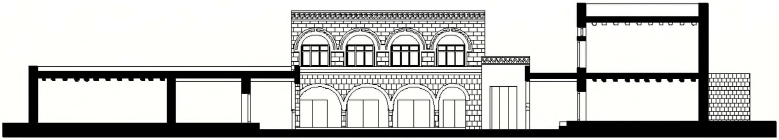
واختصت السمسرة بخزن وتسويق تجارة الزبيب، كما عهد إليها بمزاولة وظيفة إدارة المكوس على البضائع والسلع التي تدخل سوق صنعاء ولهذا سميت بسمسرة الجمرك. ولا تزال تؤدي وظيفة خزن وتسويق الزبيب. وسمسرة الجمرك أكبر سماسر الخزن والتسويق في صنعاء من حيث الحجم ومساحة الأرضية التي تشغلها فضاءاتها المبنية والمفتوحة وتتكون من طابقين، وخصائص عمارة السمسرة يمكن استخلاصها من المخططات المعمارية المرفقة، هذا بالإضافة إلى ما يوضحه التحليل المعماري للسمسرة والذي يأتي تباعاً.

الوظيفة / الطابق	المساحة الإجمالية م٢	صالة المدخل		البهو الوسطي		المخازن		الممرات والمخازن		الحمامات		الجدران	
		مساحة م٢	نسبة %	مساحة م٢	نسبة %	مساحة م٢	نسبة %	مساحة م٢	نسبة %	مساحة م٢	نسبة %	مساحة م٢	نسبة %
الأرضي	١٥١٧,٢	٤٧,٠	٣,١	٣٢٣,٧	٢١,٣	٧٥٠	٤٩,٤	٢١٢	١٤	–	–	١٨٤,٥	١٢,٢
الأول	١٥١٠,٤	–	–	٣٢٣,٧	٢١,٤	٢٠٩,٣	١٣,٩	٩٣٥,٨	٦٢	–	–	٤١,٦	٢,٧
إجمالي المساحة: ٣٠٢٧,٦م٢													

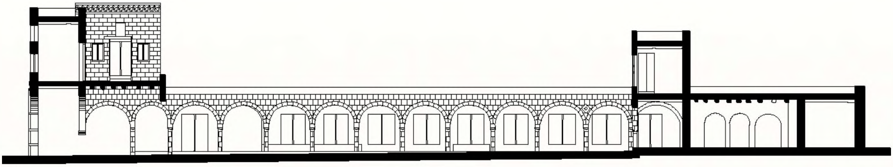
جدول تحليل مساحات الفضاءات الوظيفية للسمسرة



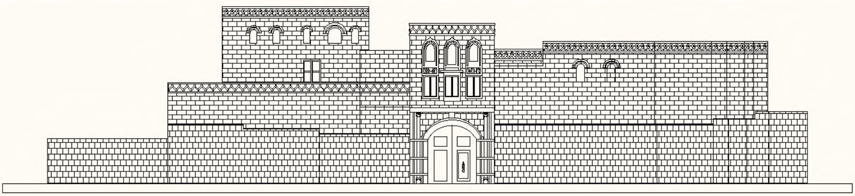




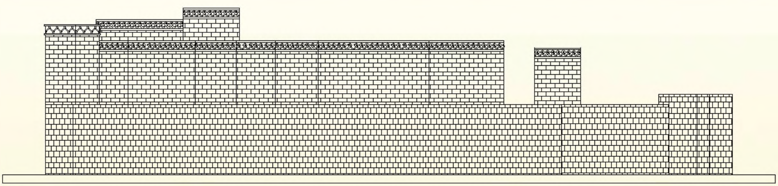
٣



٤

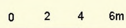


٥

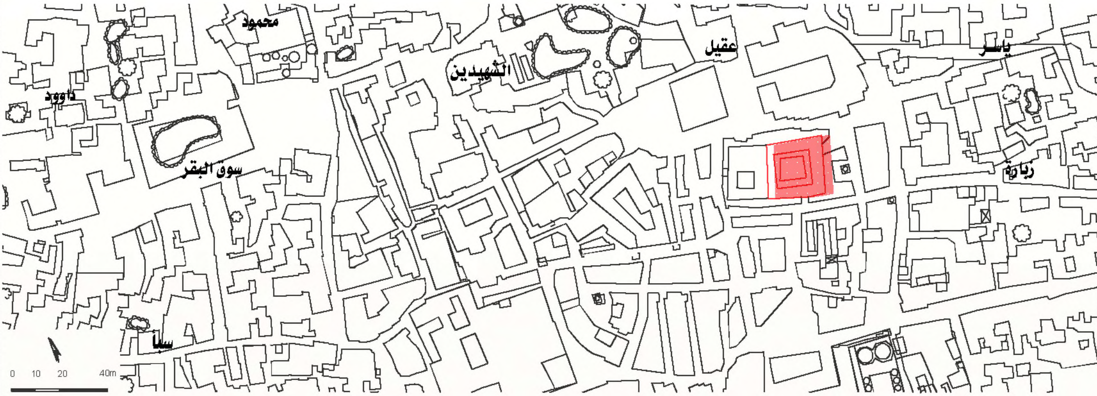


٦

١. مسقط الطابق الأرضي
٢. مسقط الطابق الأول
٣. قطاع (A–A)
٤. قطاع (B–B)
٥. الواجهة الغربية
٦. الواجهة الجنوبية



سمسرة الميزان





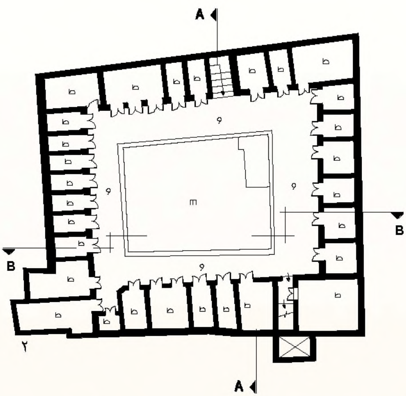
تقع سمسرة الميزان وسط السوق في اتجاه الشمال الشرقي، وتلتصق بسمسرة الحوائج بالقرب من سوق المُخْلاص من جهة الغرب. وتطل واجهتها الرئيسية على الجهة الجنوبية، وبالإضافة إلى المدخل الرئيسي لها مدخل آخر في الجهة الشرقية. تصنف هذه السمسرة من سماسر الخزن والتسويق الكبيرة. وتعد هذه السمسرة من الأموال الموقوفة لصالح مسجد الإمام صلاح الدين محمد بن علي والذي كانت عمارته سنة (٧٩٣هـ/١٣٩١م). وقد سميت هذه السمسرة بالميزان نسبة إلى ميزان الدولة والذي من خلاله كانت تتم عملية الوزن بالأوزان المعتمدة من قبل الحكومة، ولا يزال هذا الميزان معلقاً في ركنها الشمالي الشرقي. والسمسرة وظفت للأغراض التجارية ولاسيما تجارة القشر والبن اليمني وصارت مركزاً رئيسياً له حتى مطلع السبعينيات من القرن(٢٠م)[٨].

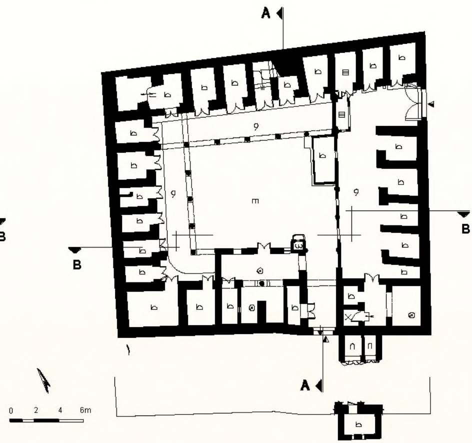
واستأثرت هذه السمسرة عن غيرها بتطبيق قانون مدينة صنعاء والذي يرجع أصله إلى الإمام المتوكل على الله إسماعيل (ت١٠٨٧هـ/١٦٧٦م)، وكذلك القانون التجاري أو قانون البيع والشراء.

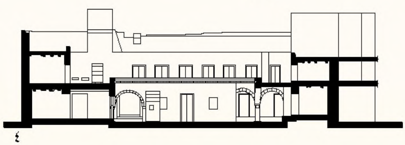
تتكون هذه السمسرة من ثلاثة طوابق الأرضي والأول وطابق ثالث جزئي هذا بالإضافة إلى غرفة واحدة في طابق مسروق بين الأرضي والأول والخصائص المعمارية للسمسرة توضحها المخططات المعمارية. وكذلك التحليل المعماري ودلالاته الرقمية.

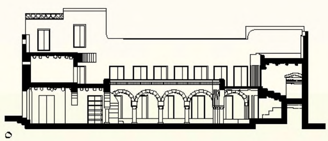
الوظيفة / الطابق	المساحة الإجمالية م٢	المدخل الشرقي		المدخل الجنوبي		البهو الوسطي		المحلات التجارية		السبيل		الطاحونة		الحركة		الجدران		المخزن	
		مساحة م٢	نسبة %	مساحة م٢	نسبة %	مساحة م٢	نسبة %	مساحة م٢	نسبة %	مساحة م٢	نسبة %	مساحة م٢	نسبة %	مساحة م٢	نسبة %	مساحة م٢	نسبة %	مساحة م٢	نسبة %
الأرضي	٦٠٧،٣	١٣،٨	٢،٣	٩،٢٠	١،٥	١٠٢،٤	١٦،٩	١٦٢،٤	٢٦،٧	٠،٦	٠،١	١٤٧،٦	٢٤،٣	١٥٠،٨	٢٤،٨	١٤٧،٦	٢٤،٣	–	
الأول	٦٢١	–	–	–	–	–	–	–	–	–	–	–	–	١٧٦،٢	٢٨،٤	٩٧،٢	١٥،٧	٢٢٦،٥	٦،٤
المساحة الإجمالية: ١٢٢٨،٣م٢																			

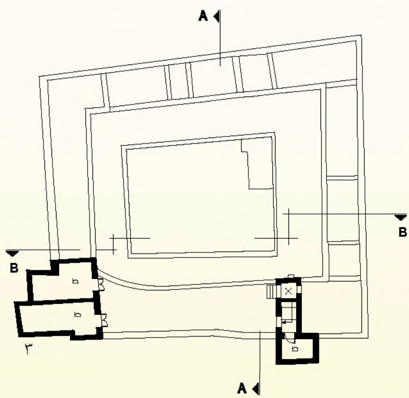
جدول تحليل مساحات الفضاءات الوظيفية للسمسرة



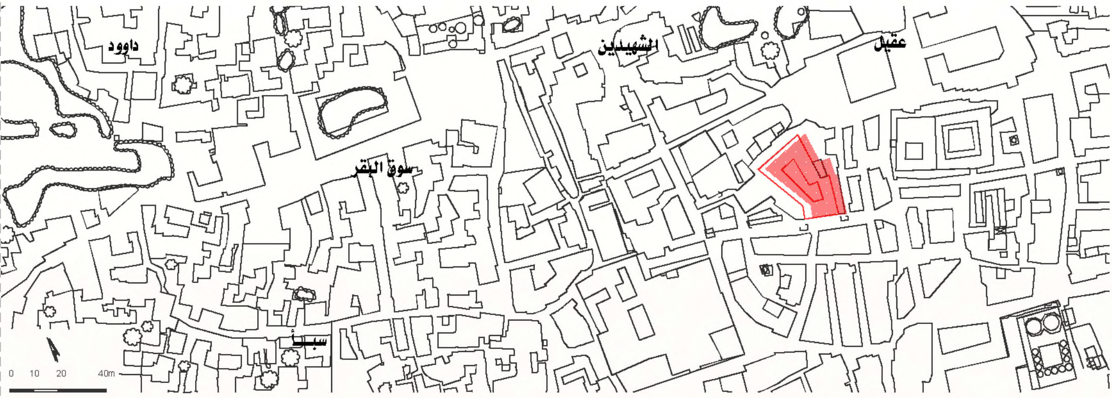








١. مسقط الطابق الأرضي
٢. مسقط الطابق الأول
٣. مسقط الطابق الثاني
٤. قطاع (B-B)
٥. قطاع (A-A)



تقع سمسرة محمد بن الحسن وسط السوق باتجاه الشمال، وتطل واجهتها الرئيسية الجنوبية على مركز السوق وهي أصغر الواجهات مساحة وأكثرها عناية من حيث التشكيل المعماري والزخرفي، وعمارة السمسرة كانت بأمر الأمير محمد بن الحسن في سنة (١٠٦٧هـ/١٦٥٦م) فرغ من بنائها في سنة (١٠٦٩هـ/ ١٦٥٩م)، ونسبت إليه[٩]. وسمسرة محمد بن الحسن أكبر سماسر صنعاء من حيث الحجم (المساحي والفراغي)، وتتكون السمسرة من (٥ طوابق) تفتح فضاءاتها نحو الداخل وعلى الفناء الوسطي المفتوح، والذي يعد أكبر فناء مقارنة بأفنية سماسر الإيواء الأخرى. وبالإضافة إلى وظيفتها كنُزُل (للإيواء) والخزن قامت بدور البنك في حفظ الأموال والودائع الثمينة (الذهب والفضة والأحجار الكريمة ... وغيرها).

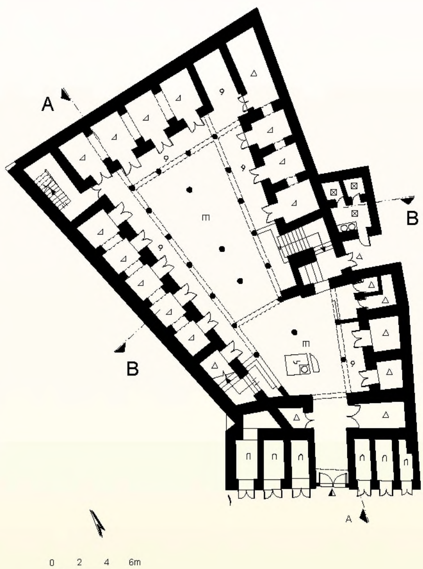
والسمسرة على هيئتها منذ عمارتها الأولى وقد مرت بالعديد من عمليات الصيانة والتجديد الجزئي والمحدود جداً، ودون أي إعادة للبناء الشامل أو الجزئي، وأستمر هذا حتى إغلاقها سنة ١٩٤٨م (بعد فشل حركة الأحرار وتولي الإمام أحمد بن يحي حميد الدين الحكم بعد مقتل أبيه وأمره بإباحة مدينة صنعاء للنهب). وهي مهجورة منذ ذلك التاريخ لأسباب عدة من أهمها نزاعات الورثة، وتعمل هيئة الحفاظ على المدن التاريخية على حل هذه القضايا والبدء في إعداد الدراسات لعمليات الحفاظ المتطلبة لتشغيلها وفقاً للمعطيات الحديثة.

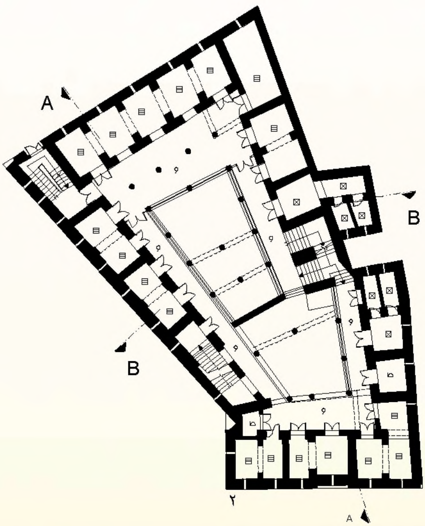
للسمسرة الكثير من الخصائص المعمارية توضحها المخططات والصور المرفقة، هذا بالإضافة إلى ما يوضحه التحليل المعماري للسمسرة والذي يأتي تباعاً.



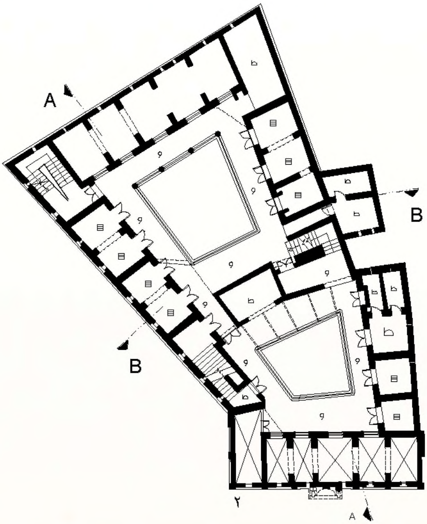
الطابق	المساحة الإجمالية	المدخل الجنوبي		المدخل الغربي		البهو الوسطي		المحلات		الغرف		المخازن		الحمامات		البئر		عناصر الحركة		الإسطبل		الجدران		فضاءات مفتوحة	
	م٢	م٢	%	م٢	%	م٢	%	م٢	%	م٢	%	م٢	%	م٢	%	م٢	%	م٢	%	م٢	%	م٢	%	م٢	%
الأرضي	٥٦٦,٤	١٥,٦	٢,٨	٣,٧	٠,٧	١١٩,٧	٢١,١	٣١,١	٥,٥	–	–	٤٤	٧,٨	٩,٦	١,٧	٣,٢	٠,٦	١٠٩,٦	١٩,٤	٨٥	١٥	١٤٤,٩	٢٥,٤	–	–
الأول	٥٦٩,٩	–	–	–	–	١٠٥,١	١٨,٥	–	–	١٤٦,١	٢٥,٧	٨,١	١,٤	٣٠,٥	٥,٤	–	–	١٥٦,٩	٢٧,٦	–	–	١٢٢,٩	٢١,٤	–	–
الثاني	٥٧٠,١	–	–	–	–	١٠٦,٤	١٨,٧	–	–	١٣٨,٦	٢٤,٣	٢١,٨	٣,٨	٣٣	٥,٨	–	–	١٦٨,٣	٢٩,٥	–	–	١٠١,٨	١٧,٩	–	–
الثالث	٥٧٤,٤	–	–	–	–	٧٩,٩	١٣,٩	–	–	١٠٧,١	١٨,٧	–	–	–	–	–	–	١٩٢	٣٣,٤	–	–	٩٨,٦	١٧,٢	٩٦,٨	١٦,٨
الرابع	٥٧٤,٣	–	–	–	–	١٦٧,٩	٢٩,٣	–	–	١١٤,٦	٢٠	١٤	٢,٤	–	–	–	–	١٨٥,٧	٣٢,٣	–	–	٩٢,١	١٦	–	–
إجمالي المساحة: ١, ٢٨٥٥ م٢																									

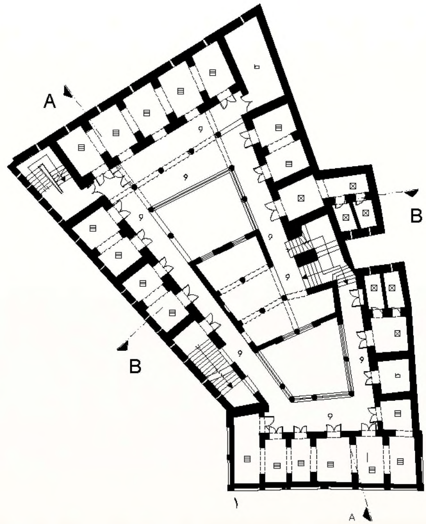
جدول تحليل مساحات الفضاءات الوظيفية للسمسرة

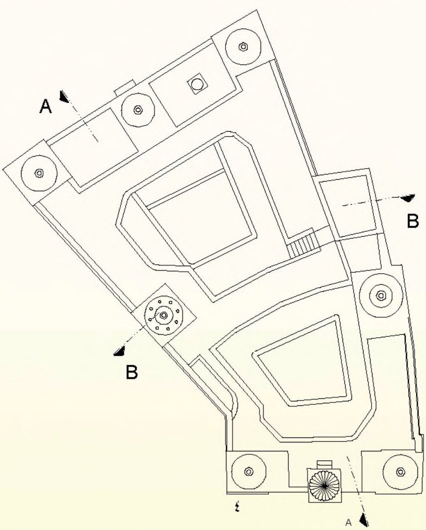


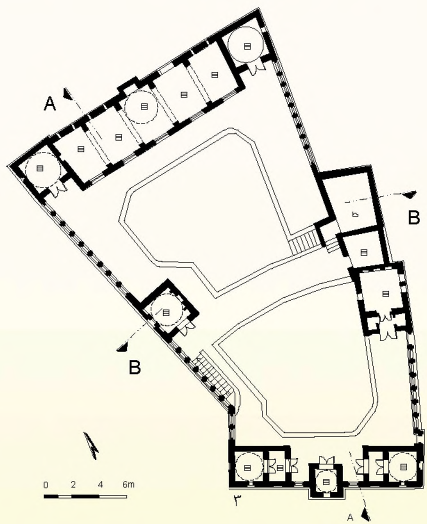


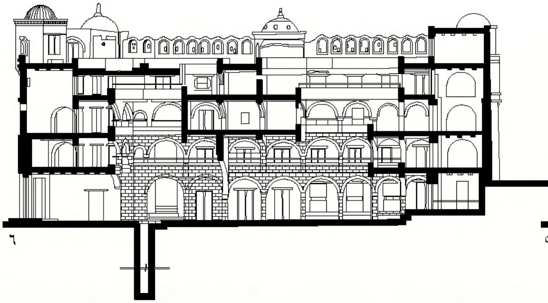
١. مسقط الطابق الأرضي
٢. مسقط الطابق الأول


A
B
B
A
٢

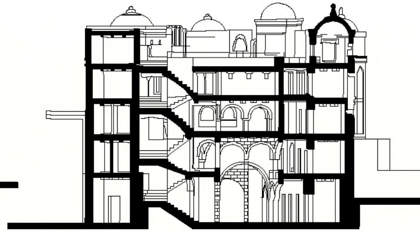

A
B
B
A
١


A
B
B
A
٤

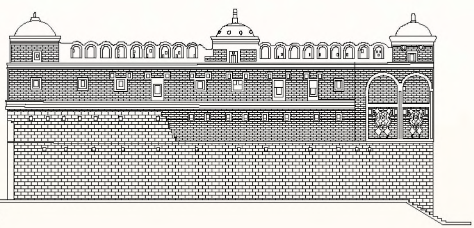

A
B
B
0 2 4 6m
A
٣



٦



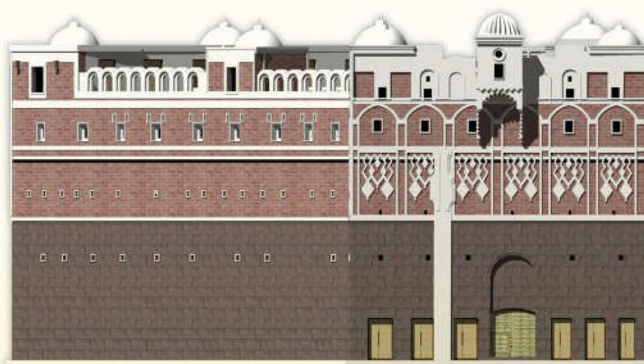
٥



٨



٧



٩

١. مسقط الطابق الثاني
٢. مسقط الطابق الثالث
٣. مسقط الطابق الرابع
٤. مسقط السقف
٥. قطاع (B-B)
٦. قطاع (A-A)
٧. الواجهة الجنوبية
٨. الواجهة الغربية
٩. واجهة منظورية جنوبية غربية

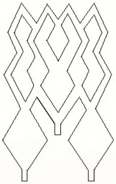


١



٢





٤

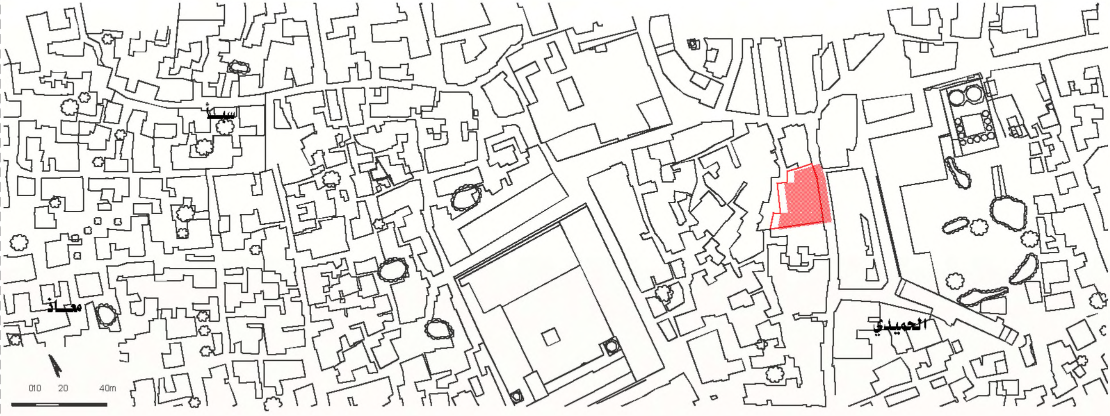


٥



٣

١. قطاع منظوري طولي
٢. منظور جنوبي غربي
٣. منظور الروشن على محور المدخل الرئيسي
٤. السمسرة (١٩٢٧م)، م/ م ت د م
٥. السمسرة (٢٠٠١)



تقع جنوب مركز سوق صنعاء، وفي بداية محور امتداد توسع السوق نحو الجنوب الذي ينفذ إلى باب اليمن. وواجهتها الرئيسية شرقية. وتفتح الواجهة الشمالية في الطوابق التي تعلو الطابق الأرضي على مركز السوق، فيما تلتصق الواجهة الجنوبية بمباني الجوار، ويفصل زقاق ضيق نسبياً الواجهة الغربية عن المباني المقابلة لها، وتتكون السمسرة من (٥طوابق). وهي من سماسر الإيواء الكبيرة من حيث الحجم. وتاريخ عمارة السمسرة يرجع إلى نحو (١٠٦٦هـ/١٧٥٢م)[١٠] ووفقاً لبرنامج الحفاظ على مدينة صنعاء القديمة فقد تم ترميم وتجديد بناء السمسرة، ووظفت بعد ذلك كمركز للتدريب على الصناعات الحرفية والتقليدية، المنتشرة في سوق صنعاء، وعرض وتسويق المشغولات والمنتجات الحرفية والتقليدية التي تصنع فيها.

ويتوسط السمسرة فناء داخلي تحيط به الممرات المعقودة المتقدمة على الفضاءات الوظيفية المفتوحة عليها. وفناء سمسرة النحاس مفتوح على كل الطوابق ومسقوف في الطابق قبل الأخير وبارتفاع نحو متر عن سطح الطابق، وتنتشر في جوانبه الأربعة فتحات إضاءة وتهوية للممرات الوسطى وكذلك الساحة وممرات الفناء الأوسط للطابق الأرضي.

ومن الخارج فإن تشكيل واجهاتها يحاكي تشكيل واجهات المباني السكنية، ويتميز عنها في الإيقاع المستمر والأفقي للفتحات وللكتل الكبيرة وعدا هذا فإن الكثير من الخصائص توضحها المخططات المعمارية والصور، وكذلك التحليل المعماري ودلالاته الرقمية.



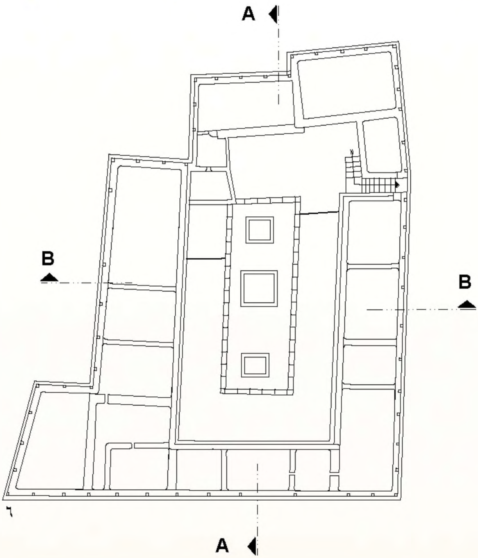
الطابق	المساحة الإجمالية	صالة المدخل		البهو الوسطي		المحلات		الغرف		المخازن		الحمامات		الحركة		إسطبل		الجدران		المساحة المردومة	
		م٢	%	م٢	%	م٢	%	م٢	%	م٢	%	م٢	%	م٢	%	م٢	%	م٢	%	م٢	%
المسروق تحت الأرضي	٤٥٦,٩	٦,٦	١,٥	–	–	٦٢,٢	١٣,٦	–	–	–	–	–	–	–	–	–	–	٩١	١٩,٩	٢٩٧,١	٦٥
الأرضي	٤٥٦,٩	٢١,٢	٤,٧	٤٩,٤	١٠,٨	–	–	–	–	١١٥,٧	٢٥,٣	–	–	١١١	٢٤,٣	٣٨,٥	٨,٤	١٢١,١	٢٦,٥	–	–
الأول	٤٥١,٢	–	–	٤٨,٤	١٠,٧	–	–	١٦١,٩	٣٥,٩	١٨	٤	–	–	١٢٠,٨	٢٦,٨	–	–	١٠٢,١	٢٢,٦	–	–
الثاني	٤٤٩,٧	–	–	٥,٢	١,٢	–	–	١٥٦,٧	٣٤,٨	١٨,٨	٤,٢	١٠,٩	٢,٤	١٥٥,٣	٣٤,٥	–	–	١٠٢,٨	٢٢,٩	–	–
الثالث	٤٤٩	–	–	٤١,٤	٩,٢	–	–	١٦٢,٢	٣٦,١	١٤,٩	٣,٣	٩,٩	٢,٢	١٢١,١	٢٧	–	–	٩٩,٥	٢٢,٢	–	–
إجمالي المساحة: ٢٢٦٣,٧م٢																					

جدول تحليل مساحات الفضاءات الوظيفية للسمسرة

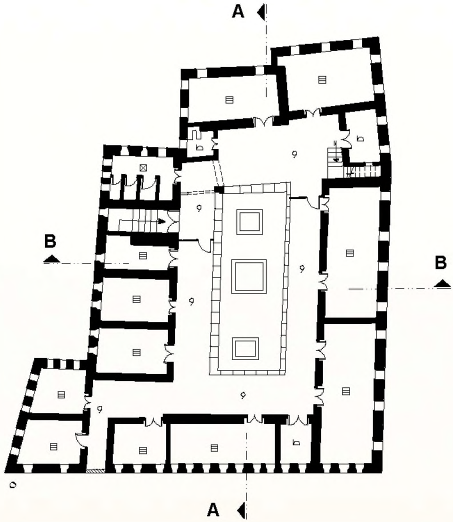


الواجهة الشرقية

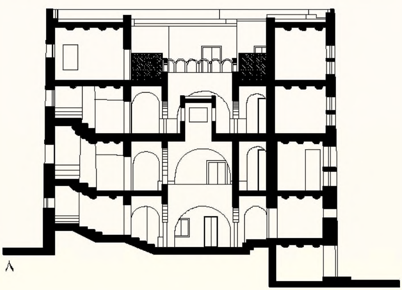

A
B
0 2 4 6m
١
٢
٣
٤



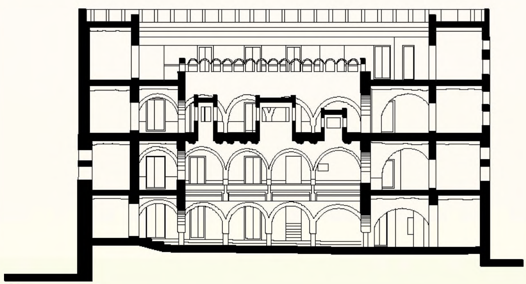
٦



٥



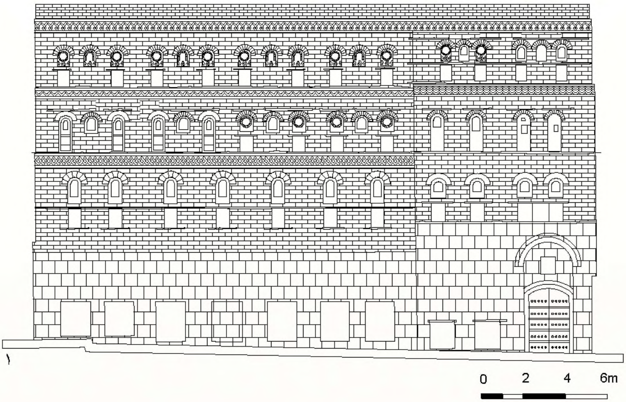
٨



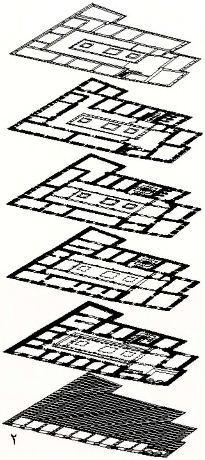
٧

١. مسقط الطابق المسروق أسفل الطابق الأرضي
٢. مسقط الدور الأرضي
٣. مسقط الطابق الأول
٤. مسقط الطابق الثاني
٥. مسقط الطابق الثالث
٦. مسقط السقف
٧. قطاع (A–A)
٨. قطاع (B–B)

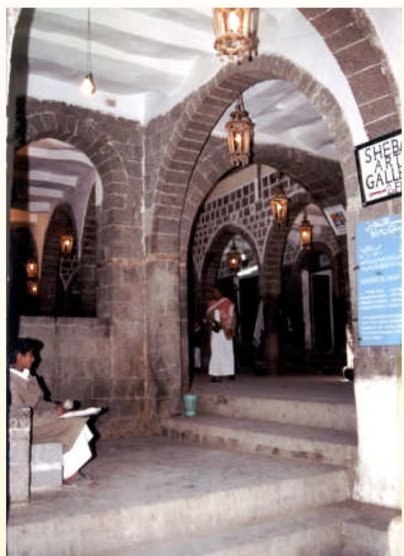




١



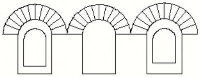
٢

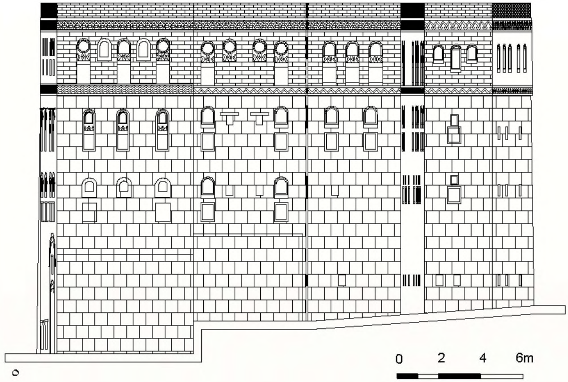


٣



٤





٥



٦

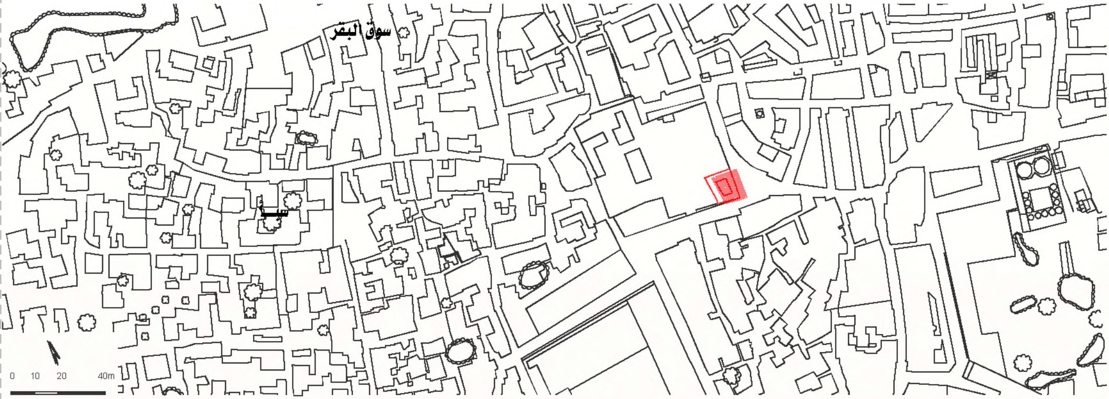


٨



٧

١. الواجهة الشرقية
٢. منظور لتدرج مساقط السمسرة
٣. مدخل السمسرة
٤. فناء الطابق الأرضي
٥. الواجهة الغربية
٦. بهو الطابق الأول
٧. فناء وسقف الطابق الثاني
٨. السقف





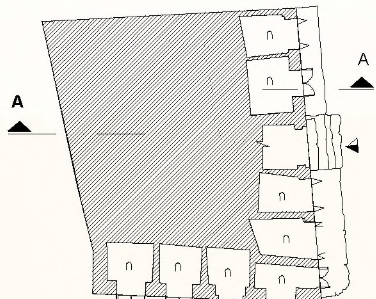
تقع في الطرف الجنوبي الغربي لمركز سوق صنعاء، وتطل واجهتها الرئيسية الشرقية على مركز سوق صنعاء ولها واجهة مفتوحة أخرى هي الجنوبية، ويفصلها عن المباني المجاورة والمقابلة لها طريق يربط السوق بالساحة الأمامية الشمالية للجامع الكبير. فيما تلتصق واجهتها الشمالية بسمسرة النجاح، وواجهتها الغربية بسمسرة يحيى بن القاسم، وكلتا السمسرتين من سماسر الإيواء.

ويرجع تاريخ بناء السمسرة إلى القرن (١٠هـ/١٦م). وقد أعيد بناؤها وجددت عمارتها عدة مرات، كان آخرها ما قامت به هيئة الحفاظ على المدن التاريخية من عمليات ترميم وتجديد وبمساعدة من حكومة ألمانيا، وأعيد تشغيل مبنى السمسرة كمركز للفنون التشكيلية[١١]. وسمسرة المنصور من سماسر الإيواء الكبيرة في مدينة صنعاء من حيث الحجم، وبغض النظر عن مساحة أرضية البناء الصغيرة نسبياً فإن ارتفاعها (٥ طوابق).

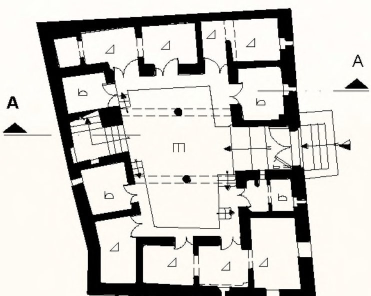
كما أوكلت إليها بعض المهام الإدارية كجمع الزكاة، وتشترك هذه السمسرة في الكثير من خصائص التكوين المعماري للمبنى السكني الصنعاني، من حيث تشكيل الفضاءات الوظيفية، وعناصرها المعمارية والزخرفية، وتختلف عنها في وجود فناء مفتوح وسطي في طوابقها العليا وتزداد الفتحة اتساعاً بشكل تصاعدي، وفناء الطابق الأخير غير مسقوف. والمزيد من الخصائص المعمارية يمكن قراءتها من خلال المخططات والصور، فضلاً عما يوضحه التحليل المعماري للسمسرة والذي يأتي تباعاً.

الطابق	المساحة الإجمالية	صالة المدخل		البهو الوسطي		المحلات		الغرف		المخازن		الحمامات		الحركة		إسطبل		الجدران		المساحة المردومة	
		م٢	%	م٢	%	م٢	%	م٢	%	م٢	%	م٢	%	م٢	%	م٢	%	م٢	%	م٢	%
المسروق تحت الأرضي	١٢٨,٢	٣,٦	٢,٨	–	–	١.٣٢	٢٥	–	–	–	–	–	–	–	–	–	–	٦.٢٩	١.٢٣	٩.٦٢	١.٤٩
الأرضي	١٢٨,٢	٥,٨	٤,٥	١.٢٢	٢.١٧	–	–	–	–	٦.١٥	٢.١٢	–	–	٤.١٤	٢.١١	١.٣٧	٢٩	٢.٣٣	٩.٢٥	–	–
الأول	١٢٩,٤	–	–	٣.٣٣	٧.٢٥	–	–	٨.٤٢	١.٣٣	٩.١٤	٥.١١	–	–	٦,٩	٥,٤	–	–	٥.٣١	٣.٢٤	–	–
الثاني	١٢٨,٨	–	–	٣,٦	٢,٨	–	–	٥.٥٠	٢.٣٩	–	–	٥,٨	٤,٥	٩.٣٣	٣.٢٦	–	–	٣٥	٢.٢٧	–	–
الثالث	١٣٣	–	–	٢٨	١.٢١	–	–	٧.٥٨	١.٤٤	–	–	٥	٣,٨	٩,٢	٦,٩	–	–	١.٣٢	١.٢٤	–	–
إجمالي المساحة: ٦٤٧,٦م٢																					

جدول تحليل مساحات الفضاءات الوظيفية للسمسرة



١



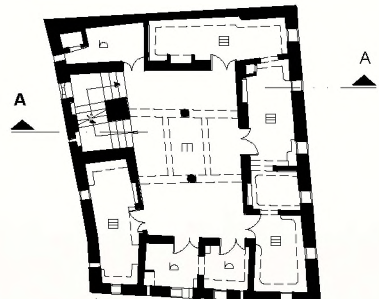
٢



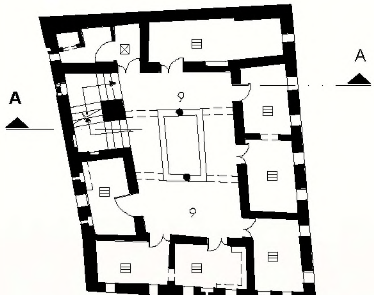


٣

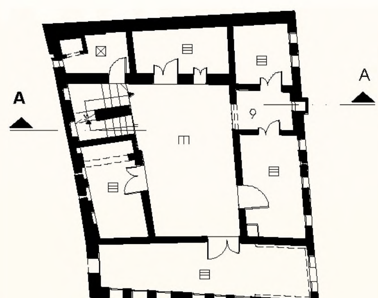
١. مسقط الطابق المسروق أسفل الطابق الأرضي
٢. مسقط الطابق الأرضي
٣. بهو الطابق الأول



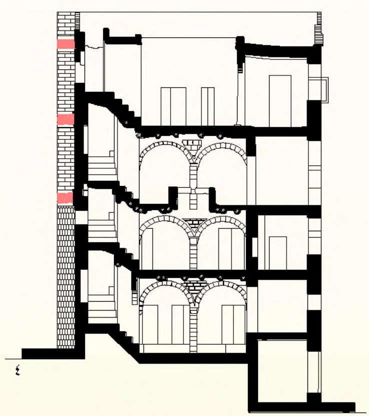
١

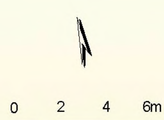


٢

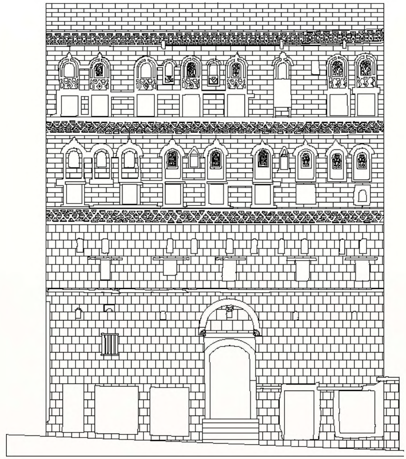


٣

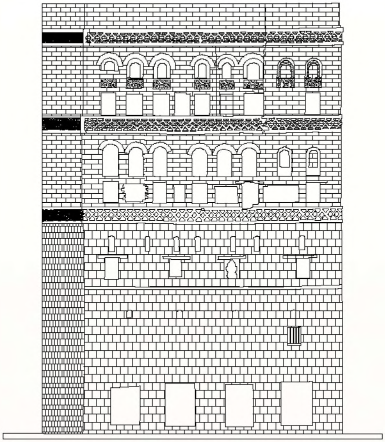

٤



١. مسقط الطابق الأول
٢. مسقط الطابق الثاني
٣. مسقط الطابق الثالث
٤. قطاع (A–A)
٥. الواجهة الشرقية
٦. الواجهة الجنوبية
٧. بهو المدخل
٨. خزانه قصية ورفوف



٥



٦

0 2 4 6m

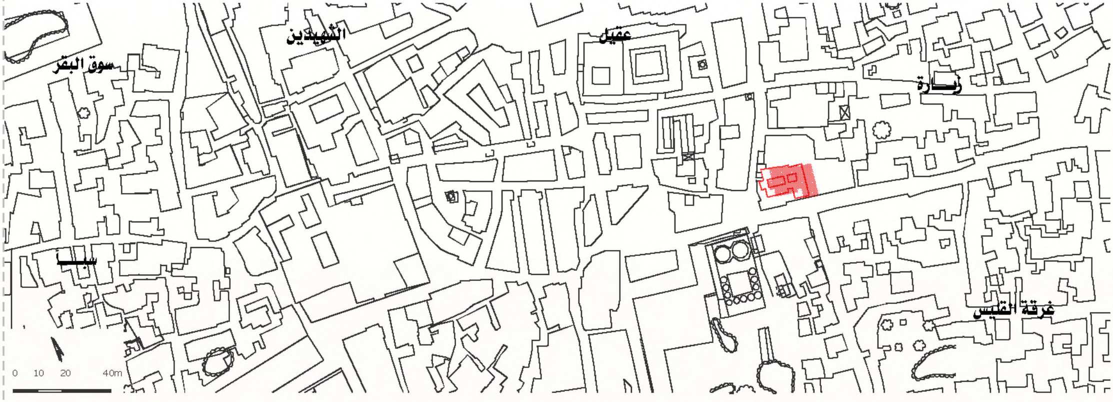


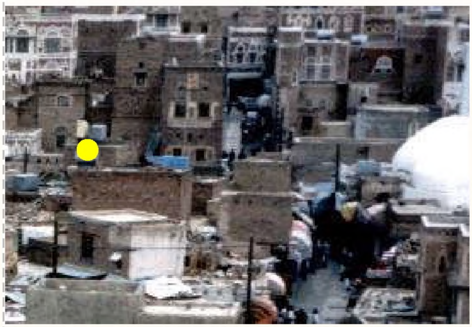
٧



٨

سمسرة المُزَيِّن







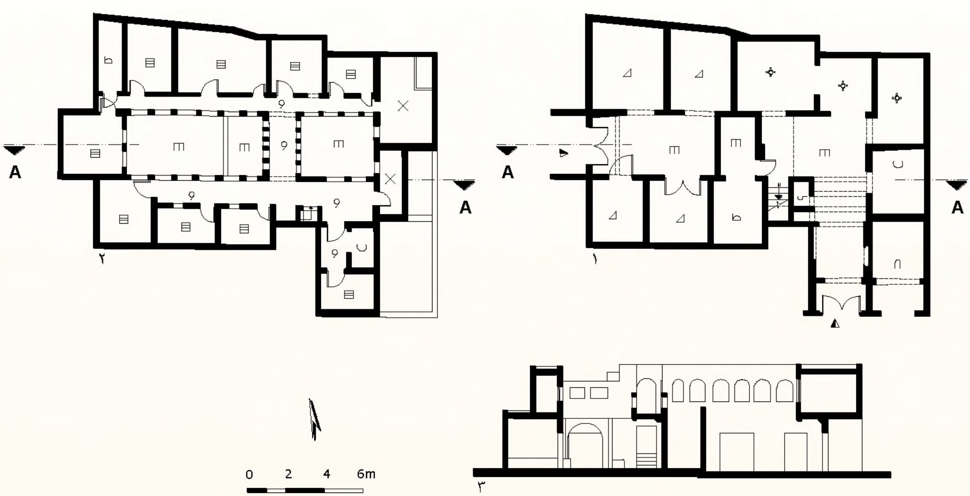
تقع سمسرة المُزَيِّن في الطرف الجنوبي الشرقي لمركز سوق صنعاء وعلى بداية محور السوق وامتداده باتجاه الشرق (شارع العراقيين قديماً كما ذكره الرازي)[١٢]. وتطل واجهتها الغربية على طريق يؤدي إلى ساحة كبيرة نسبياً تتوزع على أطرافها المطاعم الصغيرة والتي يسميها أهل صنعاء بالمقاهي وكذلك المخابز. وكانت واجهتها الجنوبية تطل على ساحة صغيرة تفصلها عن مسجد المذهب وقد استحدث في جزء من هذه الساحة مؤخراً بناء تقليدي جديد التصق بها، أما الجهتان الشرقية والشمالية فتلتصقان بمباني الجوار، والسمسرة تتكون من طابقين.

يرجع تاريخ عمارة السمسرة إلى نحو القرن (١٠هـ/ ١٦م)، والسمسرة من حيث الوظيفة النوعية والحجم هي من سماسر الإيواء الصغيرة (المقاهي). وقد تغيرت هيئتها وتحورت فضاءاتها وظيفياً منذ نحو (١٥سنة) ولهذا اعتمدت الدراسة الميدانية والرفع المعماري لهذه السمسرة على أساس المخططات المعمارية للبروفسور ليكوك[١٣].

وللسمسرة الكثير من الخصائص المعمارية توضحها المخططات والصور المرفقة، بالإضافة إلى ما يوضحه التحليل المعماري للسمسرة والذي يأتي تباعاً.

الطابق	المساحة الإجمالية	المدخل الجنوبي		المدخل الغربي		البهو الوسطي		المطعم		المطبخ		الغرف		المخازن		المحلات		الحمامات		البئر		عناصر الحركة		الإسطبل		الجدران	
		م٢	%	م٢	%	م٢	%	م٢	%	م٢	%	م٢	%	م٢	%	م٢	%	م٢	%	م٢	%	م٢	%	م٢	%	م٢	%
الأرضي	٢٠٠,٦	٤,٣	٢,١	٥	٢,٥	٥.٣٨	٢.١٩	٧.٣١	٨.١٥	٨,٦	٤,٣	–	–	٨	٤	٦.١١	٥,٨	–	–	١,١	٠,٥	٢.١٥	٧,٦	٦.٤٤	٢.٢٢	٣٢	١٦
الأول	١٨٢,٤	–	–	–	–	٣.٣٠	٦.١٦	–	–	٢	١,١	٢.٦٣	٦.٣٤	٤,٣	٢,٤	–	–	٩.١٤	٨,٢	–	–	٧.٣٢	٩.١٧	–	–	٣٥	٢.١٩
إجمالي المساحة: ٣٨٣ م٢																											

جدول تحليل مساحات الفضاءات الوظيفية للسمسرة



من خلال تحليل النتائج الرقمية للأبعاد المساحية للسمسرات، النماذج المختارة، وفضاءاتها الوظيفية النوعية (التجارية والخدمية والسكنية ومتطلبات الحركة، وكذلك كتل الجدران والقواطع والأكتاف والأعمدة،...إلخ)، وما تشغله هذه الوظائف من الحيز النسبي للطابق الواحد خاصة وللمبنى عامة، والتي وضحتها تفصيلا جداول تحليل مساحات الفضاءات الوظيفية للنماذج المختارة لدراسة السمسرات، وما توضحه المخططات المعمارية لها وعلى ضوء الدراسات الميدانية... أمكن تصنيف السمسرات من حيث الحجم والشكل والوظيفة النوعية (العامة والخاصة) واختلاف تعدد وتنوع الفضاءات الوظيفية وتوزيعها من نوع إلى آخر، وعلاقاتها الأفقية والرأسية وعلاقاتها بمركز المدينة، السوق ومحيطه، داخل المدينة وخارجها، ونتاجاً لمجمل هذا، استخلصت دراسة السمسرة خاصة (ص ٢٠٨ – ٢١٦)، كما كان له إسهام نسبي في دراسة السوق عامة (ص ١٩٠ – ٢٠٧). وعلى هذا النهج أيضاً تمت دراسة بقية المكونات كالحمام الساخن والمسجد والسكن.

١. مسقط الطابق الأرضي
٢. مسقط الطابق الأول
٣. قطاع (A–A)



١



٢

١. الواجهة الغربية (١٩٨٢م)، م/ سرجنت، ليكوك
٢. المطعم فى الجهة الجنوبية (١٩٨٢)، م/ سرجنت، ليكوك

الهوامش

١. السمسرة: وتعني التوسط بين البائع والمشتري في تسهيل الصفقات التجارية .جبران مسعود "الرائد": معجم لغوي عصري؛ دار العلم الملائين؛ بيروت؛ الطبعة ٢ : ١٩٦٧م؛ص(٨٣٨). وصار اللفظ في اليمن يطلق أيضاً على المكان الذي كانت تجري فيه عقد الصفقات التجارية وخزن البضائع وغيرها وكذا نزل المسافرين فيه وكما صار يطلق على النزل (الخانات) سواء كانت داخل المدن أو خارجها . "الموسوعة اليمنية"؛ جـ ٢ ؛ ص(٥٢٨).

٢. الرازي، أحمد بن عبد الله الصنعاني؛ "تاريخ مدينة صنعاء": تحقيق: حسين العمري؛ دمشق؛ ط٢: ١٩٨١م؛ ص (١١٢).

٣. والتردوستال، "سوق صنعاء" ؛ ترجمة وتعليق: الدكتور وفيق محمد غنيم؛ الرياض؛ جامعة الملك سعود ؛ كلية الآداب؛ مركز البحوث؛ ط١ : ١٩٩٩م؛ ص(١٨٨).

٤. الشهاري، جمال الدين على بن عبد الله بن القاسم بن المؤيد؛ "وصف صنعاء مستل من كتاب المنشورات الجلية" : تحقيق: عبد الله محمد الحبشي؛ المركز الفرنسي للدراسات اليمنية؛ صنعاء؛ ط١ : ١٩٩٣م؛ ص (٨١).

٥. الشهاري؛ المصدر نفسه ؛ ص (٨١).

٦. أبو طالب، حسام الدين محسن بن الحسن بن القاسم؛ "تاريخ اليمن، عصر الاستقلال عن الحكم العثماني الأول" : تحقيق: عبد الله محمد الحبشي؛ مطابع المفضل للأوفست؛ صنعاء؛ ١٩٩٠م؛ ص (٤٠٠).

٧. الجمرك: الدائرة التي تستوفى فيها الرسوم على البضائع التي تقطع حدود البلاد ، والجمرك جمع جمارك ما يؤخذ على البضائع التي تقطع حدود البلاد من رسوم وتعرف ب (المكوس). جبران مسعود، المصدر السابق، ص (٥٢٥).

8. Serjeant,RB, and Ronald Lewcock, **San'a an Arabian Islamic City**, the world of Islam festival trust, London,pub1, 1983. p.(289)

٩. أبو طالب؛ المصدر السابق؛ ص (٧١).

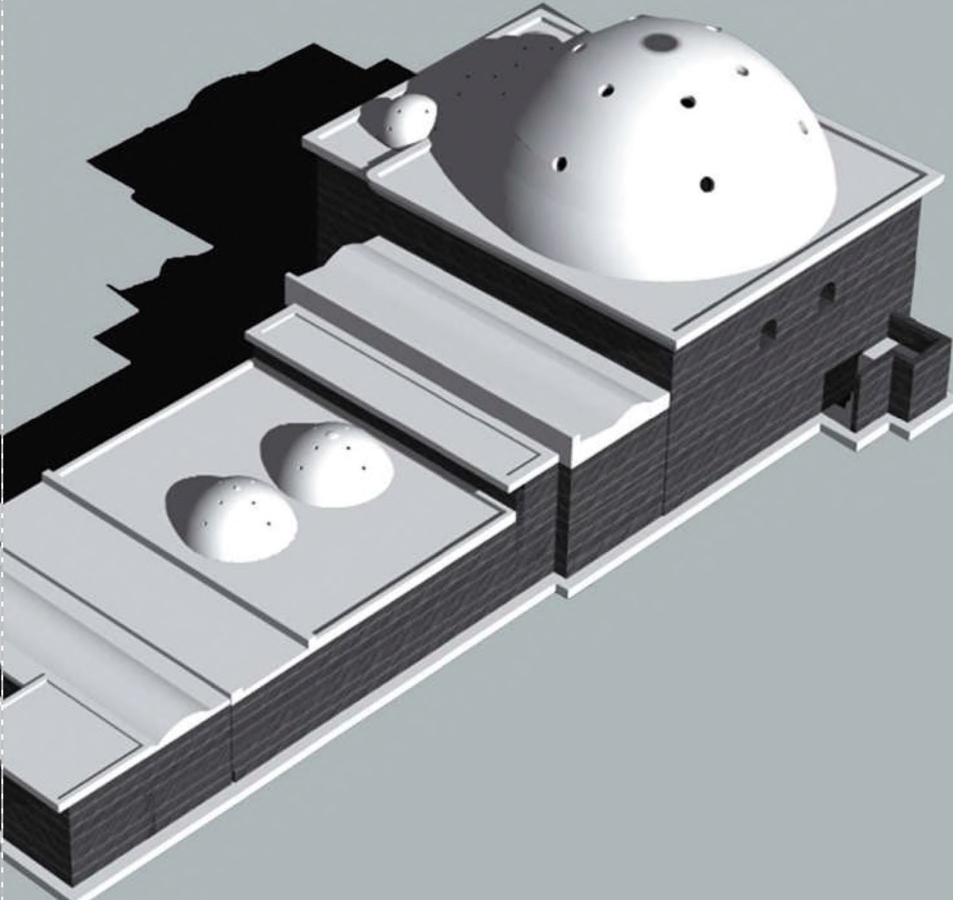
١٠.أبو طالب؛ المصدر نفسه؛ ص (٦٠).

١١.سمسرة المنصور.

١٢.الرازي؛ المصدر السابق، ص (١١٢).

13. Serjeant and Lewc`ock,O p cit,p.(294).

الحمام الساخن

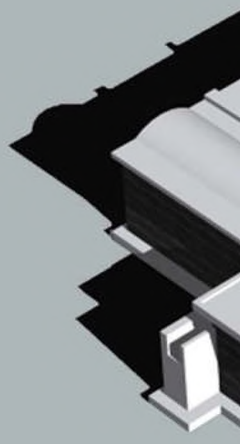


الحمام سمُي حَّماماً لما فيه من الماء الساخن، ولأنه يعرِّق، وجاء هذا الاسم من الحميم وهو الماء الشديد الحرارة، ويقال استحم الرجل إذا اغتسل بالماء الحميم ثم كثر حتى استعمل الاستحمام في كل ماء[1]. وقد أولى الدين الإسلامي اهتماماً كبيراً في النظافة والطهارة بشكل عام، وفي نظافة البدن كشرط أساسي لطهارة الروح، وأوجبها (أحكاما شرطية واجبة) لتأدية الكثير من الفرائض والشعائر (الصلاة وتلاوة القرآن ومناسك الحج والعمرة ...)، وسنها وأكد العناية بها وأبرز قيمتها الصحية والروحية والاجتماعية والثقافية، ولهذا التركيز والعناية والاهتمام في نظافة وطهارة البدن تنوعت وتعددت الوسائل والآليات بين كل من النظافة الكلية (الاغتسال) والنظافة الجزئية، الوضوء، وتنوعت وتعددت أيضاً الفضاءات الوظيفية المتطلبة لذلك، تبعاً لعوامل التأثير البيئية، المناخية، والاقتصادية والاجتماعية، ولكون مناخ مدينة صنعاء المعتدل نسبياً والذي يميل إلى الاعتدال في الربيع والخريف والحار في الصيف، والبارد الجاف في الشتاء، ولكلفة الطاقة في تسخين ماء الاستحمام، والتجهيزات المتطلبة لعمل حمامات ذات كفاءة عالية ولغيرها من المعطيات والمتطلبات لذا استرعى إيجاد خدمات عامة ملبية للحاجة وذات كفاءة عالية نسبياً، وعُمِّم بهذا الحمام الساخن على أحياء ومناطق مدينة صنعاء، وكثيراً ما جاور الحمام المسجد وارتبط به وأوقف عليه وسمي باسمه مثل (حمام الطواشي، حمام محمود، حمام الحميدي، حمام الأبهر، حمام الجلأ، حمام السلطان، حمام المتوكل)، وتذكر المصادر التاريخية أنه كان للجامع الكبير حمام أيضاً هدم مع بئره المسنى وكان في الجنوب الغربي. أما الحمامات الأخرى التي لم تقترن عمارتها بعمارة مسجد ما فقد خدمت مسجداً أو مسجدين ضمن حدود منطقتها، فحمام شكر يخدم قبة المهدي ومسجد النهرين في حين يخدم حمام الميدان البكيرية في شرقه ومسجد الأبزر في غربه، أما حمام ياسر فلمسجدي صلاح الدين والمفتون شرقه، وحمام سبأ للجامع الكبير في جنوبه الغربي. ولذلك اكتسب الحمام أهميته وصار من جملة سبعة أشياء يؤكد العلماء على ضرورة وجودها في المدينة، جمعها الحيمي[2] في الأبيات الآتية:

المصر في صحة التجميع مشترط	فأسمع حقيقة ما يحويه تفصيلاً
وآلٍ وقاضٍ طَبِيْبٌ جامعٌ وكذا	سوُقٌ ونهَرٌ وحمَّامٌ كما قيلا

الحمام في المدينة الإسلامية كان من بين التكوينات المعمارية التي تعددت الآراء بشأن أصلها، ولم يغاير الحمام في صنعاء غيره إذ ينسب البعض أصوله إلى الوجود العثماني في اليمن، غير أن الكشوفات والمسوحات الأثرية والمصادر التاريخية أثبتت أن هذا النمط من الحمامات هو في الأصل حميري، فمن أقدم الحمامات حمام سبأ وحمام ياسر بن يهنعم[3] والذي اندثر منذ زمن، وكدليل آخر على ذلك هي التعديلات التي أجريت على حمام الميدان (العثماني النشأة) بعد عمارته بفترة وجيزة وذلك لعدم ملاءمته لطريقة الاستحمام المتبعة والمتأصلة منذ القدم في صنعاء.

وتتوزع داخل مدينة صنعاء القديمة ١٠حمامات هي حمام الميدان وحمام ياسر وحمام الحميدي وحمام الطواشي وحمام محمود وحمام سبأ وحمام الأبهر وحمام الجلا وحمام شُكّر وحمام السلطان، ارتبطت تسمية أغلبها باسم الحارة التي يقع فيها إلا أن عددها ليس له علاقة مباشرة بعدد الحارات في صنعاء. ومن الجدير بالذكر أنه لا توجد حمامات خاصة بجنس واحد، بل تعتمد طريقة التداول فيما بينها في الاستخدام تختلف الأيام المخصصة للجنسين من حمام لآخر وهذه الأيام ثابتة لا تتغير، ويكون هناك مخالفة في الأيام بين الحمامات المتجاورة.



ويؤدي الحمام دوراً واضحاً في الحياة الاجتماعية في المدينة الإسلامية، وقد يكون أكثر خصوصية لدى المجتمع الصنعاني تحديداً، فلم يكن الغرض الرئيسي من وجود الحمام هو النظافة والتطهر فحسب بل خدم العديد من المناسبات والعادات والتقاليد الاجتماعية، ففي مناسبة الزواج يومي الحناء والزفة يقصده العريس مع بعض رفاقه، ويقضون فيه النهار بأكمله. كما يقصد بعض الرجال الحمام بشكل دوري وبالذات يومي الخميس والجمعة، ومتوسط مكوث المستحم في الحمام تصل إلى ساعة ونصف، ففيه يلتقي الأصدقاء ليتبادلوا الحديث ويسمعوا النوادر، كما يقومون بالرقص الخاص بالحمام للترفيه ولتسريع عملية التَعَرُّق. ورغم ذلك اللهو واللعب إلا أن المستحم يحافظ على آداب الحمام، فلا تخلو ممارسة من الممارسات سالفة الذكر إلا ويذكر فيها الله عز وجل إما لفظاً أو إنشاداً، حتى أثناء الرقص ويكثر ذكر الله استسقاءً، حمداً وشكراً على نعمة الماء وخوفاً من زوالها. وكذلك الحال عند النساء ولهن النصيب الأكبر من حيث الأيام المخصصة للحمام وذلك لارتباطه بمناسبات عديدة أهمها الأعراس والولادة...

خصائص تشكيل الفضاءات الوظيفية المعمارية

تكونت فضاءات الحمام الوظيفية وتسلسلت لتحقق بمجملها الطريقة المثلى للاستحمام والتي تنحصر بثلاث مراحل رئيسية:

- خلع الملابس.
- التَعَرُّق.
- الاستحمام.

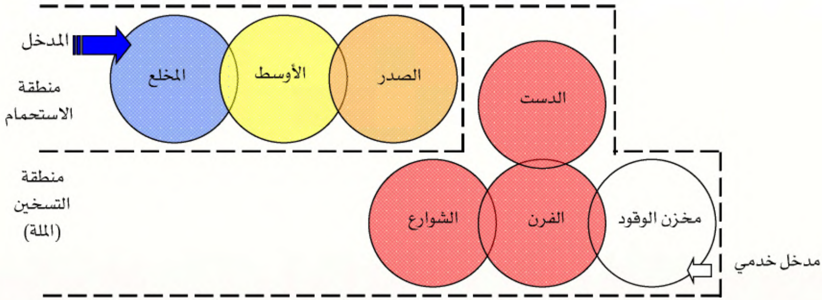
ولكل مرحلة عدد من الفضاءات الوظيفية المستقلة، ولكل منها خصوصيتها من حيث درجة الحرارة والحجم والمنسوب والموقع ضمن التسلسل الوظيفي، وهذه الطريقة هي الأساس في تسلسل فضاءات الحمام وبالتالي نمطه فلا يوجد حمام في صنعاء قد شذ عن ذلك عدا حمام الميدان في عمارته الأولى إذ دمج فضاء التعرق (الصدر) مع فضاء الاستحمام (الأوسط) بفضاء واسع تم تقسيمه إلى فضائين فيما بعد.

إن التسلسل الذي حكمته طريقة الاستحمام المثلى نتج عنه الشكل المستطيل للمسقط الأفقي. وتطلب حفظ الحرارة وخزنها أن يكون جسم الحمام تحت مستوى الأرض لا يظهر منه في المتوسط إلا (٢,٣م) فوق سطح الأرض والبعض الآخر لا تظهر منه إلا القباب والمداخن مثل حمام الحميدي. ويكون هذا الانخفاض عن مستوى الطريق وبفارق منسوب يبرز واجهة الحمام عند مدخله.

ومن المدخل يهبط المستخدم عبر درج من الحجر إلى الممر المنكسر (المجزع) المؤدي إلى (المخلع) وعلى أحد جانبي الممر تنتصب مسطبة للجلوس (الريشة) يستريح فيها المستحم قبل خروجه من الحمام لتقليل الفارق بين درجة حرارة جسمه ودرجة الحرارة في الخارج وبالذات في الشتاء. ومن هذا الممر يدخل إلى المخلع. والمخلع أكبر الفضاءات في الحمام، إذ تبدأ فيه الخطوة الأولى للاستحمام، وبالتأكيد الخطوة الأخيرة ويتكون من فضاء أعد أساساً لخلع الملابس وحفظها، ويتفرع منه مخلع صغير كان مخصصاً في الغالب لعِلّيَةِ القوم، ويتصل في الغالب بشكل مباشر مع البركة التي تغذي الحمام بالماء البارد.

ولكي يحافظ المخلع على طهارته كان لزاماً خلع الأحذية قبل دخوله وتفرش أرضه بالحصير، وتتوزع على جدرانه الكثير من الكوات، والكوات الوسطية في الجهة الشمالية (القبلية) فيه ميزت بالشكل وخصصت لتحديد اتجاه القبلة (محراب)، أما بقية الكوات فتوظف كخزائن لحفظ ملابس وحاجيات المستحم العادية فيما تحفظ الأدوات الثمينة لدى الحمامي وفي صندوق الأمانات الموضوع على الدكة المخصصة لإدارة الحمام. وبعد خلع الملابس ولباس المئزر الساتر يتخطى المستحم غرفة التهيئة (المخرجة) وهي غرفة درجة حرارتها أقل من الأوسط نسبياً وتوجد في الغالب كفضاء مستقل في الحمامات الكبيرة، والغرفة المعتدلة (الأوسط) ليتجه مباشرة إلى الغرفة الحارة (الصدر).

والصدر أكثر غرف الحمام حرارة لوقوعه مباشرة خلف الفضاء المخصص لإناء الماء الساخن (الدست) وفوق فرن اشتعال الوقود وتسخين الماء (الملة)، ويتفرع من الصدر غرفتان رئيسيتان، إحداهما غرفة الاستحمام (خزانة) والأخرى غرفة مظلمة (المغطس) بها بركة الماء الساخن والتي تستغل أيضاً لغسل باقي أعضاء الجسم حيث يمكن للمستحم خلع المئزر دون حرج، وعلى الرغم من الحرارة الشديدة في الصدر إلا أن المستحم يقوم بحركات إيقاعية (رقصة الحمام) لتسريع عملية التعرّق وهنا يستحسن عدم صب الماء على الجسم حتى الانتقال إلى فضاء الحمام الأوسط وغرفه الجانبية (خزاناته).



الهيكل الأساس لتكوين الحمام الساخن



حمام شكر

١. التدرج الحراري لفضاءات الحمام (المسقط)

٢. التدرج الحراري لفضاءات الحمام (القطاع)

والفضاء الأوسط يقع في الوسط بين الصدر والمخلع ودرجة حرارته متوسطة أيضاً (معتدلة قياساً) ويتفرع منه غرف متباينة في حجمها وعددها وفق الحجم النوعي للحمام وتؤدي جميعها وظائف الاستحمام المتتالية بدءاً بعملية إزالة طبقة الجلد الميتة بواسطة كف من القماش يعرف باسم (الكِيس) ومنه أتى اسم (المكَيِّس) الذي يقوم بهذه المهمة بأجر معلوم خارج عن أجر الحمام، وقد يقوم بها الحمامي أيضاً بكيس خاص بالمستحم أو بالمكيس، يصاحب هذه العملية رش المستحم بالماء الساخن والمجلوب من المغطس من قبل أحد العاملين بالحمام وبفترات متساوية، وعند الانتهاء من التكييس يدخل المستحم إلى غرفة المغطس لإزالة طبقات الجلد الميتة المتزلفة على الجسم بواسطة الماء الساخن وبمساعدة أحد العاملين بالحمام. وبعد ذلك تأتي عملية (التَصَبُّن) وذلك باستخدام الصابون والليفة، وبعدها يغسل جسم المستحم بالماء الساخن في المغطس. وتتوزع في أركان فضاءات الأوسط والصدر أحواض ثابتة من الحجر الحبش يمد إليها الماء الساخن عبر قنوات فخارية، فيما يجلب الماء البارد من بركة الماء في المخلع والقريبة من مدخل الأوسط.

ولتقليص الفارق في درجات الحرارة بين جسم المستحم والمخلع يقوم المستحم بصب الماء البارد على الجسم وغسل قدميه في الحوض المخصص للحفاظ على طهارة المخلع إذ تؤدى فيه الصلاة، وفيه أيضاً يتم المساج والتدليك.

ومن الجدير بالذكر أن المستحم يمكنه أن يقوم بكل العمليات السابقة دون الحاجة للمكيس أو الحمامي وذلك بمساعدة أحد الأصدقاء أو الموجودين معه في الحمام.

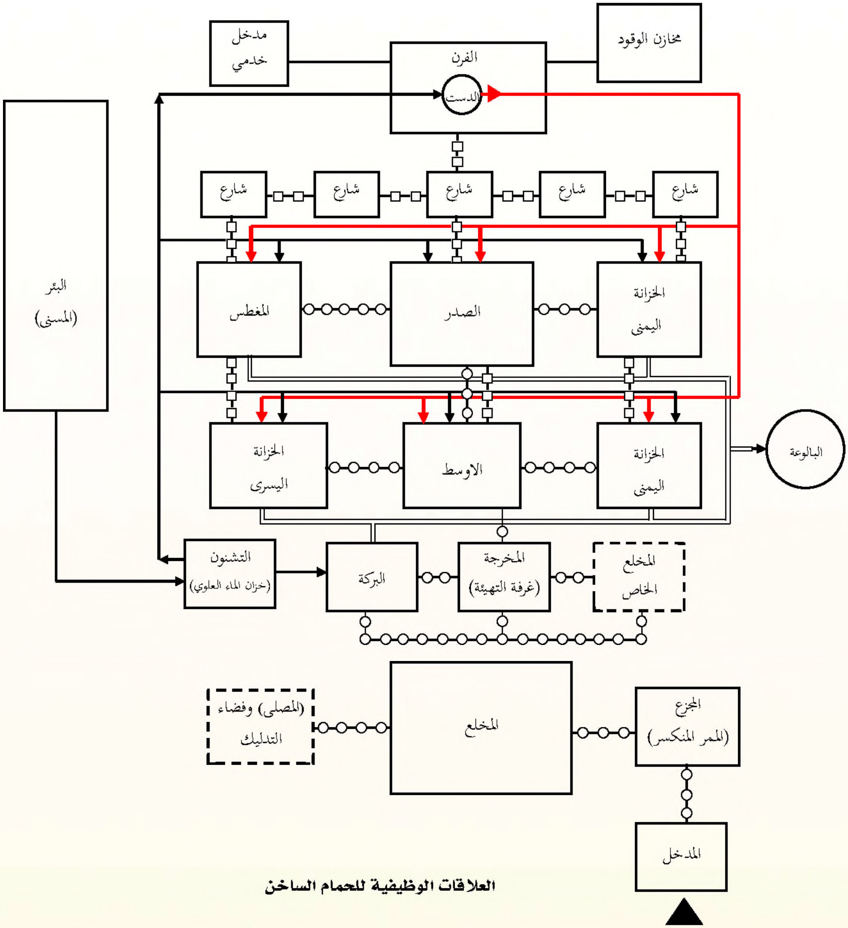


١



٢

١. سقف حمام الجلاء
٢. مستحم وحمامي في حمام ياسر



العلاقات الوظيفية للحمام الساخن



العناصر المعمارية (الاستخدامية والإنشائية)

من أهم عناصر الحمام الخدمية الفرن وملحقاته (الملة)، والتي توفر بعناصرها المجتمعة التنوع الحراري داخل الحمام، وتسخين الماء في نفس الوقت بالدست والموجود فوق الفرن خلف جدار الصدر مباشرة، وتمتد من الفرن أقباء متوازية تعرف باسم (الشوارع)، بعرض متر تقريباً، اتخذت الأقباء شكل الجملونات لتحمل أرضية الحمام وتتجه هذه الشوارع باتجاه الغرف الساخنة من أسفل وتنتهي بمداخن تخترق الجدران الداخلية للحمام يصل عددها إلى أربع في أغلب الأحيان، وظيفتها الرئيسية إخراج الدخان للمحافظة على استمرارية اشتعال الوقود كما أنها تحدد مسار حركة الهواء الحار الذي يقوم بتسخين أرضيات الغرف الساخنة. والفرن مع المداخن يبنى بالياجور الأحمر الغامق المحروق بشكل عالي ويكون أحياناً أسمك من المستخدم في المباني العادية. وترص أرضيات الحمام بالحجر البازلتي الفقاعي (الحبش)، وكذلك جدرانه الداخلية، والتي تكون أحياناً من الياجور المغطى بطبقة سميكة من القضاض. وتبنى الجدران الخارجية من حجر الحبش وتصل إلى مستوى السقف الذي يبنى على شكل قباب وأقباء من الياجور والمغطاة أيضاً بطبقة سميكة من القضاض، وتتوضع هذه القباب على عقود متنوعة وحنيات ومقرنصات بسيطة، وللإضاءة الطبيعية يوجد بالقباب والأقباء فتحات صغيرة تغطى بالرخام المصقول (الالبستر) وحالياً تغطى باستخدام الزجاج الملون ذي الشفافية المتدنية. وتدهن الأسطح الداخلية المغطاة بالقضاض بالشحم لتكتسب خاصية العزل.

ولمجمل هذه الخصائص تشكلت فضاءات الحمام المعمارية، مواداً وتقنية، لتحقق قدراً أوفر في كسب وحفظ الطاقة. وأهل صنعاء يفضلون الحمام القديم البناء عن الحديث (خارج سور المدينة)، لأن الحديث فاسد الرائحة بأبخرة الأحجار والطين لعفونة ما يتسرب من الماء في سقوق جدرانه وأرضيته، حيث لا تكتسب مواد البناء الداخلية للحمام نقاء الرائحة إلا بعد (٧سنين) من البناء، وفي هذا قال جالينوس: "أفضل الحمام ما كان قديم البناء، كثير الأضواء، مرتفع السقف، واسع البيوت، عذب الماء، طيب الرائحة، حرارته بمقدار الداخل إليه، وكان وقوده بما ليس له كيفية رديئة"[٤].

الوقود

من المرجح أن الخشب قد استخدم كوقود تسخين وتدفئة للحمامات القديمة، والتي يزيد عمرها عن (١٠٠٠سنة)، ولكلفة الخشب وبُعد مصادره ولما تتطلبه كل عملية تسخين من كميات كبيرة من الخشب استبدل بالمواد العضوية[٥]، مثل الجلود الناشفة والعظام التي تجلب من ساحات الذبح، وكذلك روث الحيوانات التي تجمع من الطرق والأسواق، إلى جانب فضلات الإنسان (العوادم الصلبة) التي تجمع من الغرف المعزولة المعروفة باسم (النقرة)، والمخصصة لها في البيوت السكنية، إذ كانت تجمع لتجف خلف سور المدينة في الجهة الجنوبية حتى أيام الإمام المهدي عبد الله. وخصص كل حمامي فضاءً خاصاً قرب حمامه لتجفيفها، وظل هذا التقليد متبعاً حتى بداية عقد السبعينيات من القرن (٢٠م)[٦].

واستخدام فضلات الإنسان (العوادم الصلبة) كوقود اسهم بالارتقاء للدور النوعي للدورة البيئية في مدينة صنعاء، وبتدويره أيضاً. فبعد استخدامها كوقود تستخدم كسماد وكذلك مونة ربط في البناء (القطرة) بعد خلطها بالقضاض.

الماء (التغذية والتصريف)

يرتبط كل حمام ببئر مسنى وقد يكون بالمشاركة مع مسجد أو مقشامة غير أن الارتباط يكون مباشرة عبر عناصر المسنى وبالطريقة التتابعية المعروفة للمسنى إذ يتم سحب الماء من البئر إلى حوض صغير يسمى (المرجو) ومنه ينتقل الماء إلى حوض فوق سطح الحمام (التشنون) ومنه يتم توزيع الماء إلى الدست وإلى البركة داخل الحمام، وذلك عبر سواقي مصنوعة من الفخار، ففي الدست يتم تسخين الماء ومنه يتم التوزيع إلى غرف الحمام الساخنة والمعتدلة عبر قنوات تصب في الأحواض الحجرية.

وتصريف المياه العادمة إلى بالوعات خاصة بالحمام وقد تكون بالقرب منه أو قد تبعد عنه كما في حمام الميدان والذي كان له مجاري تصريف تمتد حتى ميدان حارة مسيك ولأكثر من (٨٠٠م)، وعلى الرغم من قرب المقشامات والبساتين من الحمامات فإن الماء العادم لا يصرّف إليها وذلك لاستخدام مواد التنظيف التي تجعل من الماء غير صالح للري. وقد تطورت أنظمة شبكات تمديدات المياه الساخنة والباردة، بما في ذلك مجاري تصريف العوادم السائلة، وبربطهما بشبكة المجاري العامة للمدينة.



التشغيل والدول

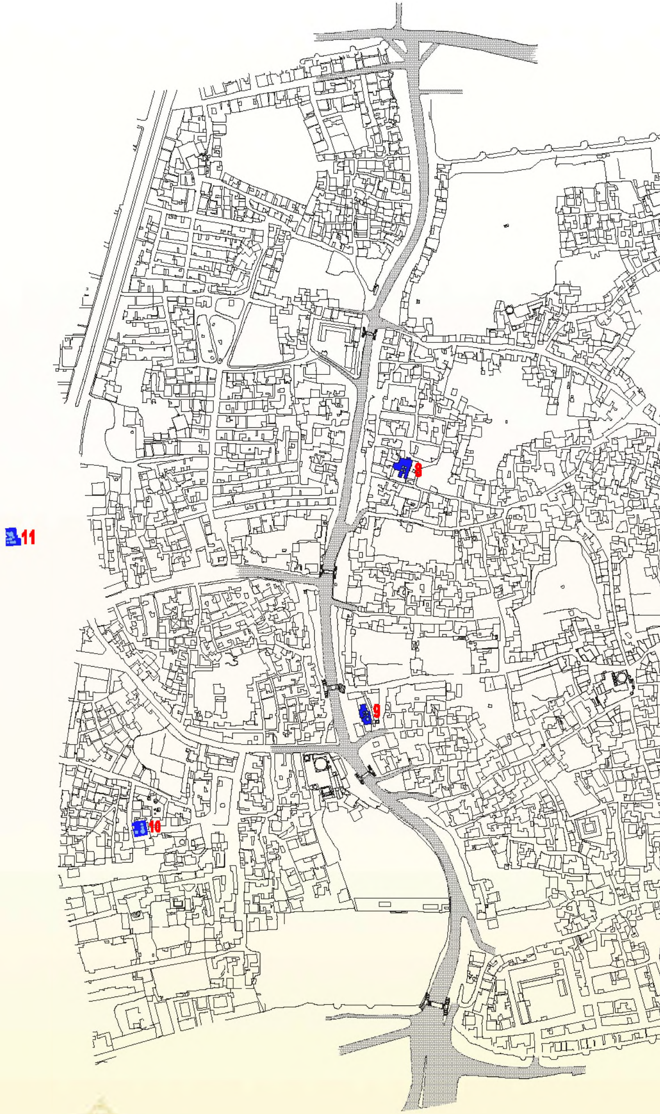
ملكية جميع حمامات صنعاء وقف، ولهذا فإدارة الأوقاف هي التي تعين من يقوم بخدمتها. وتعمل الحمامات لمدة ثمان ساعات يومياً وبطريقة التداول بين الجنسين، يختلف تحديد وعدد الأيام المخصصة للرجال عن الأيام المخصصة للنساء من حمام إلى آخر وكذلك إدارته. والدُّول بلهجة أهل صنعاء تعني الفصل في مواعيد تشغيل الحمامات بين الرجال والنساء وفق جدول زمني خاص لكل حمام.

ونظام الدول لحمامات صنعاء دقيق جداً وجاء نتاجاً لمعرفة عملية أساسها معطيات الاستخدام والتشغيل. وفي تحليل نظام الدول لحمامات صنعاء القديمة وفق موقعها تبرز عدد من الأسس والقيم نوردها في الآتي:

- **حمامات وسط المدينة:** الحمامات القريبة من مركز المدينة (السوق) وهي حمام الميدان وحمام الحميدي وحمام سبأ، وفيها يصل دول (نصيب) الرجال إلى (٣, ٥٧٪) بفارق يوم عن نصيب النساء، أما حمام السوق (محمود) فنصيب دول الرجال فيه (١, ٧١٪) وبفارق (٣ أيام) عن نصيب النساء، وجاء هذا نتاجَ مطلبٍ استخدامي فرضته الزيادة العددية النسبية للذكور في مركز المدينة (السكان الوافدين من خارج المدينة).
- **حمامات أطراف المدينة:** وفي هذه الحمامات نصيب دول النساء فيها يفوق نسبياً نصيب دول الرجال، ففي كل من حمام ياسر وحمام الطواشي وحمام الأبهر، نسبة نصيبهن (٣, ٥٧٪) بفارق يوم عن الرجال وفي كل من حمام الجلا وحمام شكر، بنسبة (٧, ٧١٪) وبفارق ثلاثة أيام، وتوزيع هذه الحمامات في الأساس يعني خدمة سكان المدينة، وتوزيع أدوالها تفرضه الكثافة السكانية للجوار، وتعويض للنساء عن الحمامات التي في مركز المدينة.

قبة تسقيف بالوعة حمام الطواشي في مقشامة مسجده


1
2
3
4
5
6
7



0 25 50 100 200m

توزيع الحمامات الساخنة في المدينة

١. حمام الميدان
٢. حمام ياسر
٣. حمام الطواشي
٤. حمام الحميدي
٥. حمام السوق (محمود)
٦. حمام سبأ
٧. حمام الأبهر
٨. حمام الجلاء
٩. حمام شكر
١٠. حمام السلطان
١١. حمام المتوكل

أما حمام السلطان فنصيب دول الرجال فيه أكثر من النساء ويفارق يوم واحد وذلك بسبب أنه أنشئ في الأساس لخدمة منشآت بستان السلطان وفي منطقة متدنية الكثافة البنائية حتى منتصف القرن العشرين الميلادي، ثم ازدحمت بعد ذلك بمبانٍ ومنشآت حديثة أغلبها تجارية.

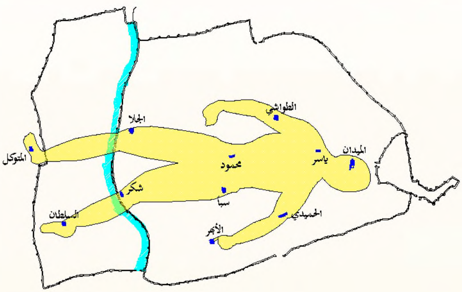
ونظام الدول لكل الحمامات العشرة داخل سور المدينة يعطي للنساء فارقاً عددياً بسيطاً في عدد أيام الاستخدام عن الرجال (٣٨ يوماً) للنساء و(٣٢ يوماً) للرجال من إجمالي (٧٠ يوماً) والتوزيع النوعي للأيام إجمالاً كالآتي:

السبت : (٤) حمامات للرجال و(٦) للنساء .
الأحد : (٥) حمامات للرجال و(٥) للنساء .
الاثنين : (٤) حمامات للرجال و(٦) للنساء .
الثلاثاء : (٣) حمامات للرجال و(٧) للنساء .
الأربعاء : (٥) حمامات للرجال و(٥) للنساء .
الخميس : (٥) حمامات للرجال و(٥) للنساء .
الجمعة : (٦) حمامات للرجال و(٤) للنساء .

ولهذا نجد أن نصيب النساء يفوق نصيب الرجال بداية الأسبوع ووسطه، بيوم واحد بفارق (٤حمامات) ويومين بفارق (حمامين)، وذلك لانشغال الذكور بالعمل اليومي، ويتعادلان في التوزيع في نصيب استخدام الحمامات في كل من أيام الأحد والأربعاء والخميس، ومن أهم الأسباب في هذا هو البعد الاجتماعي حيث تقام في هذه الأيام تحديداً معظم بل كل المناسبات الاجتماعية، أعراس وختان وخطوبة ونقش وحناء وزفاف ووفاة وتوديع واستقبال حجاج وغيرها، ويوم واحد فقط نصيب الرجال يفوق النساء بحمامين هو يوم الجمعة، وهذا بسبب حاجة الاستحمام استعداداً لصلاة الجمعة الجامعة غير المفروضة وجوباً على النساء، والجمعة هي الإجازة الأسبوعية للمسلمين، بل عيدهم.

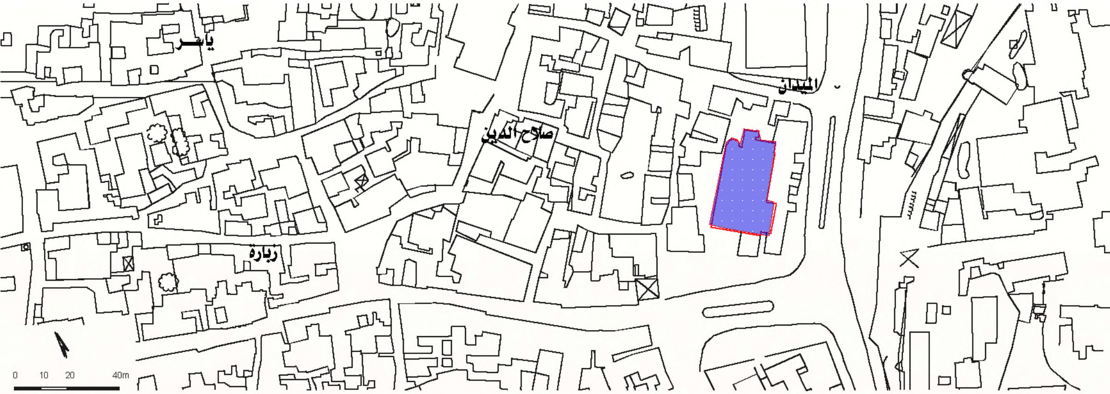
اعتمد تنظيم الأدوال بدقة الفصل في الاستخدام بين الجنسين ولمراعاة المرونة في الحركة والوصول (الجهد والوقت) نظم برنامجه وفقاً لخارطة التوزيع الجغرافي للحمامات، حيث تم توزيع تشغيل الحمامات بينهما بطريقة التناوب بين أدوال كل حمامين أو ثلاثة حمامات متقاربة المسافات الجغرافية بينها، والدول كتنظيم إداري راقٍ له أبعاد اقتصادية وبيئية وثقافية، فالبعد الاقتصادي تمثل في توفير فرص العمل المتكافئة بين الجنسين في تشغيله وخدمته، وهو بذلك أيضاً يحافظ وباستمرار على نظافته، نظراً للاستلام والتسليم الدوري لإدارة الحمام. في حين عني البعد البيئي بالمدينة بحصر فضاءات وآليات النظافة وتصريف المياه العادمة والأدخنة إلى النصف تقريباً، أما البعد الثقافي للدول فدلالاته تعني الإدراك والوعي، فهو أشبه بخارطة معرفية واضحة وسهلة بل ومستوعبة لكل الفئات الاجتماعية في المدينة.

كما أن لنظام الدول دلالات معرفية في عمارة وعمران صنعاء القديمة، حيث يمكن الاستدلال به في محاولة استيضاح نشوء وتطور المدينة وكثافة العمران للأحياء والحارات مع الاستعانة في هذا بالدليل المعلوماتي لتاريخ نشأة كل حمام وموقعه الجغرافي.



أثناء عملية تحليل علاقات توزيع الحمامات ونظام الدّوَل لها ورسم الخطوط بين كل حمام وآخر عند قياس المسافات بينها، فمن الظريف في هذا ومن النظرة الأولى أبرز التشكيل المتشابك لهذه الخطوط ملامح جسم إنسان وبشكل تجريدي، وللإيضاح طور الشكل ليكون أكثر محاكاة للواقع. ودون شرح أو تعليق نعطي للشكل دوره في التعبير عن المعنى.

حمام الميدان



يقع حمام الميدان في حي القطيع حارة الميدان، ويرجع تاريخ عمارته إلى الوالي العثماني حسن باشا (٩٨٨هـ-١٠١٢هـ/١٥٨٠م- ١٦٠٣م) غير أن المصادر التاريخية تشير إلى أن بناءه سبق بناء مسجد (قبة البكيرية الذي أمر ببنائها أيضاً الوالي حسن باشا سنة (١٠٠٥هـ/١٥٩٦م) وحمام الميدان أكبر حمامات صنعاء القديمة، إذ تبلغ مساحته الإجمالية (٦٣٥,٥م٢) ومدخله الرئيسي في الجهة الجنوبية، ويتصل بساحة فسيحة هي (الميدان) وبتراجع بسيط نحو الداخل، وجاءت عمارة الحمام على طراز العمارة العثمانية، والأسلوب النمطي للحمام التركي (البخاري)، ولكن للتباين والاختلاف، من حيث التشكيل الفضائي للوظائف الاستخدامية والخدمية المساعدة وكذلك آلية الاستخدام ومواد وتقنية وطرق التشغيل، بينه وبين الحمام اليمني الصنعاني الساخن، استدعى إجراء بعض التعديلات المعمارية، بعد مدة زمنية قصيرة من الإنتهاء من بنائه وتشكيله في عمارته الأولى بما يلبي وينسجم مع معطيات ومتطلبات التشغيل والاستخدام التقليدية للحمام اليمني الساخن، وقد مر بالعديد من عمليات الصيانة والتجديد لعمارته وبشكل جزئي ومحدود. ويتكون الحمام من منطقتين رئيسيتين:


١


٢

١. المخلع يتوسطه الشذروان
٢. الشذروان وأحوا ض مياه الشرب

منطقة الاستخدام والاستحمام ذات العلاقة المباشرة بالمستحم، وتتكون من ثلاثة أقسام رئيسية هي، المخلع والأوسط والصدر، ومساحتها الإجمالية (٤٢٩,٣م٢) وتشكل ما نسبته (٦٧,٦٪) من المساحة الإجمالية للحمام.

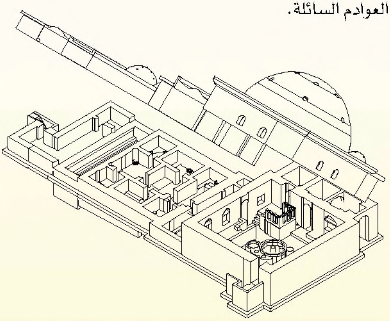
وتشغل الجدران ما نسبته (٣٠,٢٪) من مساحة منطقة الاستخدام الإجمالية وقسم المخلع يتقدمه مدخل منكسر (مجزع) بمساحة (١٧,٤م٢) مسقوف بثلاث قباب صغيرة تليه قاعة كبيرة تبلغ مساحتها(١٢٧م٢) مربعة ومسقوفة بقبة محوَّرة بمقرنصات ركنية ومزدانة جدرانها بزخارف القضاض وتتوسط أرضيتها بركة الشذروان المضلعة الشكل تحيط بها تشكيلات جمالية لأواني مياه الشرب وتحيط بالقاعة من ثلاث جهات مسطبات (دكات) ترتفع عن مستوى أرض القاعدة بنحو (٩٠سم) مفرغة في أسفلها ومقسمة إلى فراغات متساوية الأبعاد لغرض حفظ الملابس والأدوات، كما ترتفع منصتان (دكتان) في الجهتين الشمالية الشرقية والشمالية الغربية وتستخدمان لغرض التدليك وللصلاة. وتصميم القاعة جاء محاكياً لنمط عمارة الحمام التركي لذا فإنها تتشابه كثيراً وقاعات مخالع الحمامات في تركيا وبلاد الشام والتي تستخدم أيضاً كاستراحات مخدمة بالمشروبات الساخنة والباردة والنارجيلة. وفي الوسط فيما بينهما يأتي المدخل المؤدي إلى فضاء التهيئة الكبير ويستخدم حالياً كمخلع بعد أن فتحت الغرفة المجاورة لقاعة المخلع الرئيسي لتتصل بصالة المدخل وفيه بركة الماء ومساحته (٤٥,١م٢) ومسقوف بقبو، يليه فضاء التهيئة (المخرجة) ويتكون من ثلاث غرف صغيرة مفتوحة على بعضها مساحتها الكلية (٢٥,٢م٢) وبهذا إجمالاً يشغل قسم المخلع ما نسبته (٥٤,١٪) من المساحة الاستخدامية لمنطقة الاستحمام، ويلي المخرجة، الأوسط الذي يتكون من ثلاثة فضاءات أكبرها الأوسط ومساحته (١٥,٣م٢) وهو مربع الشكل ومسقوف بقبة وعلى جانبيه غرفتان (خزانتان) وكلتاهما مسقوفتان بأقباء ومساحة الخزانة اليمنى (١٠,٣م٢) واليسرى (٩,٥م٢) وبعد الأوسط يأتي قسم الصدر والذي يتكون من ثلاث غرف يتوسطها الصدر ومساحته (١٦,٢ م٢)، وهو مربع الشكل ومسقوف بقبة وعلى يمينه غرفة تسمى بالخزانة مساحتها (٨,٣م٢) وفي الجهة اليسرى غرفة تحوي بركة الماء الساخن (المغطس) مساحتها (٧,٨م٢)، ومن الجدير بالذكر أن كلاً من فضاءات قسمي الصدر والأوسط بالإضافة إلى المخرجة ومن المرجح أنها كانت جميعاً مسقوفة بقبة واحدة تدل على هذا بقايا التحوير الإنشائي في الأركان الرئيسية الأربعة للشكل المربع الذي يحوي جميع هذه الفضاءات بالإضافة إلى بقايا القبة في السطح، وهذا ما يدل على عملية تحوير فضاءات الحمام بما يلائم الاستخدام التقليدي للحمام الصنعاني.

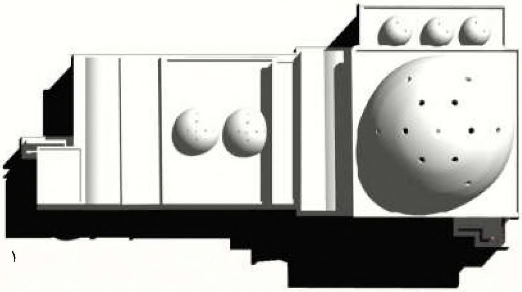
كما يلاحظ أن أحواضه الحجرية تشكلت في الجدران وعلى هيئة صدف المحار في كل من فضاءات الأوسط والصدر وأتت في وسط الجدار أو في الأركان.

المنطقة الخدمية مساحتها (٢٠٦,٢م٢) وتشكل ما نسبته (٣٢,٤٪) من إجمالي مساحة الحمام وتقع خلف منطقة الاستخدام فيما تمتد شوارع التسخين المسقوفة بأقباء أسفل الصدر والأوسط تنفذ منها المداخن إلى السطح. فيما يلتصق فضاء الدست بجدار الصدر ويقع الدست، إناء الماء الساخن، في وسطه، وأسفله فرن تسخين ويتصل الفرن بفضاء خزن الوقود وأدوات التشغيل من خلال باب صغير مسدود حالياً بشكل مؤقت بجدار من الياجور لضمان خزن الحرارة فيما تفتح فيه فتحة صغيرة لإشعال الفرن وجاء ذلك بعد استبدال مادة الوقود التقليدية بزيت مشتقات النفط (مازوت).

وللمنطقة الخدمية مدخل خاص بها في الجهة الخلفية للحمام وهذا شأن بقية الحمامات.

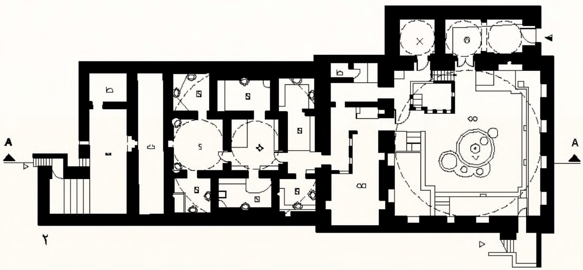
وكان للحمام بئر مسنى تغذيه بالماء، في جهة الغرب ولا تزال آثارها باقية. ويتميز عن باقي الحمامات بأن كان له نظام تصريف العوادم السائلة يمتد إلى ساحة حارة مسيك شمال المدينة القديمة، وبنحو (٨٠٠م) عبر مجاري أبعادها (١×١,٥م) مبنية بحجر الحبش، تنتهي إلى حفرة عميقة (بالوعة) لجمع العوادم السائلة.



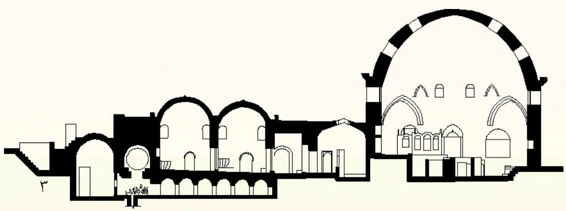


١





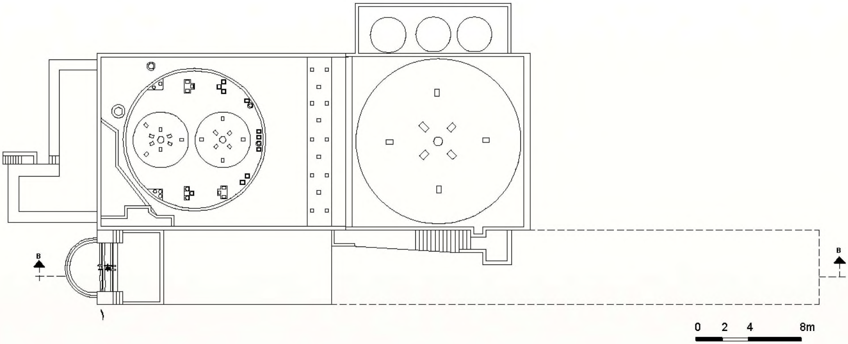
٢



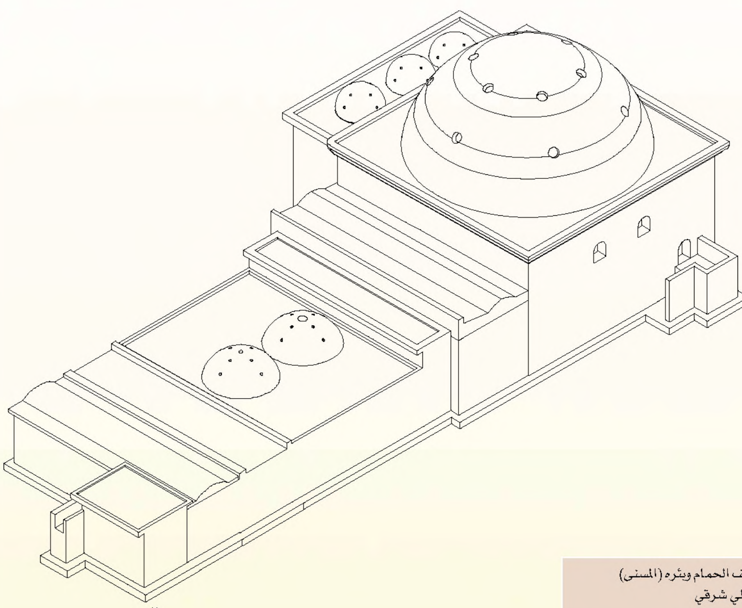
٣



١. منظور علوي
٢. مسقط الحمام
٣. قطاع (A-A)

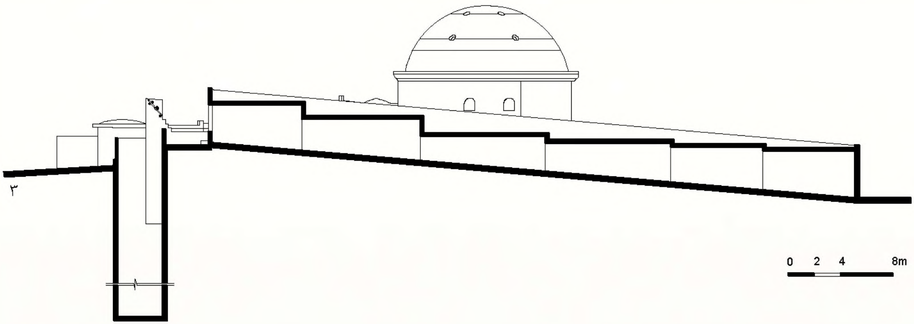


١

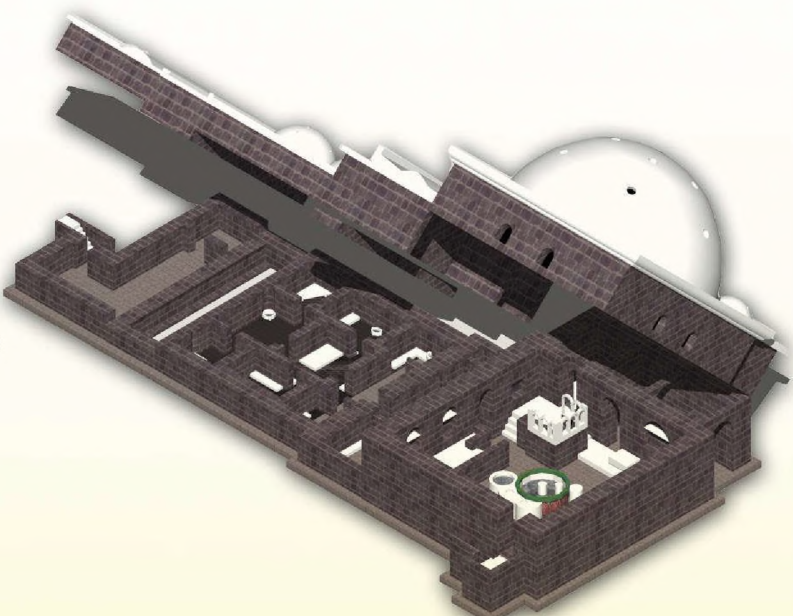


٢

١. مسقط سقف الحمام وبئره (المسنى)
٢. منظور شمالي شرقي
٣. قطاع لبئر ومرنع المسنى
٤. قطاع منظوري مفتوح لهيكل الحمام



٣



٤

حمام ياسر



حمام ياسر من حمامات صنعاء القديمة يقع في حي القطيع حارة ياسر وقد عكس الحمام اسمه على الحارة التي حملت نفس الاسم وعلى الرغم من أن تاريخ تجديد عمارة هذا الحمام غير معروفة إلا أن الكثير يرجع إنشاءه إلى أنه تزامن وعمارة مسجد الأبهر وحمامه (٧٧٦هـ/١٣٧٤م). ويتصل الحمام بساحة الحارة الرئيسية (الصرحة) عبر زقاق يمتد إليه من جهتها الشرقية حتى مدخله الرئيسي الذي لا تبرز كتلته عن مستوى سطح الأرض إلا بنحو (٢,٧م) يعلوه حزام بسيط من الياجور وتنخفض فضاءات الحمام وبتدرج عن مستوى سطح الأرض حيث لا تبرز كتلها إلا قليلاً فوق السطح لتظهر قباب وأقباء التسقيف بوضوح أكثر من جدران كتل فضاءات الحمام.

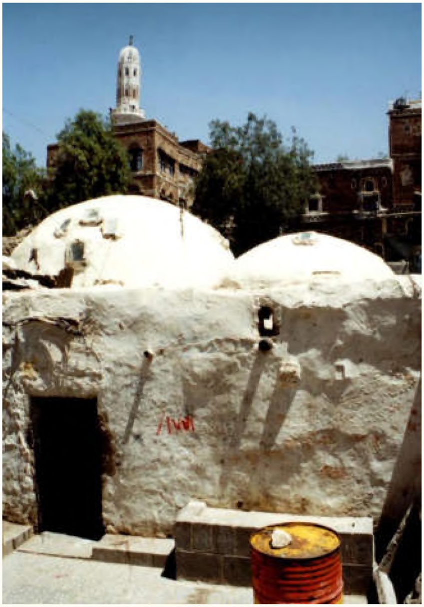
والحمام من حيث الحجم يصنف من الحمامات الصغيرة في صنعاء القديمة، ومساحة الحمام الإجمالية (٢٤٥م٢)، ويتكون الحمام من منطقتين رئيسيتين:

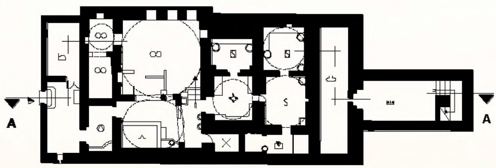
منطقة الاستحمام ذات العلاقة المباشرة بالمستحم مساحتها الإجمالية (١٥٧,٢م٢) وتشكل ما نسبته (٦٤,٢٪) من إجمالي مساحة الحمام، وتشغل الجدران (٣٦,٥٪) من مساحتها الإجمالية. ففي القسم الأول يأتي المدخل المنكسر (المجزع) بمساحة (١٣,٩م٢) يرتبط بغرفة صغيرة للخزن بمساحة (٦,٨م٢) ويلي المجزع المخلع وبركة الماء البارد وبمساحة (٤٥,٢م٢) وسقف فضاؤه الرئيسي بقبة أكبر نسبياً من غيرها تشكلت حنيات في الأركان زخرف باطنها بزخارف بسيطة، كما التفّ حول رقبة القبة من الداخل حزام زخرفي بسيط التشكيل من الياجور كسي بالقضاض ولصغر حجم الحمام اختفت غرفة التهيئة (المخرجة) في تكوين فضاءاته الاستخدامية. لذا يتصل المخلع مباشرة بالأوسط.

وقسم الأوسط يتكون من غرفتين صغيرتين الرئيسية (الأوسط) ومساحتها (٧,٣م٢) ومسقوفة بقبة وعلى جانبها الأيسر غرفة صغيرة مستطيلة (خزانة الأوسط) مسقوفة بقبو مساحتها (٤,٩م٢) وفي الجهة اليمنى من الأوسط تشكل فضاء صغير بمساحة (٢م٢) وظيفته جمع مخلفات التنظيف الصلبة وتخدم من فضاء المخلع، ويلي الأوسط قسم الصدر ويتكون من ثلاث غرف، الوسطى أكبرها وهي الصدر ومساحته (٨م٢) ومسقوف بقبة، ويتصل من جانبيه بغرفتين اليمنى أصغرها وهي مستطيلة مسقوفة بقبو ومساحتها (٤,٨م٢) وفيها بركة الماء الساخن (المغطس)، أما اليسرى فهي مربعة الشكل ومسقوفة بقبة مساحتها (٦,٩م٢) وهي خزانة الصدر.

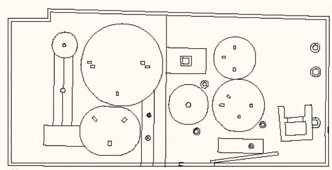
المنطقة الخدمية تتوزع فضاءاتها خلف جدار الصدر وأسفله ومساحتها (٨٧،٨م٢) وتشكل (٣٥،٨٪) من إجمالي مساحة الحمام، وتتكون من فضاء الدست الذي يلي الصدر ومن ثم المخزن والذي تتحدر أرضيته إلى مستوى أرضية الفرن وشوارع تسخين الحمام والممتدة تحت فضاءات الصدر. وتنفذ من الشوارع مداخن تخترق الجدران الفاصلة بين الصدر والأوسط حتى السطح، وعرض الشوارع يتفاوت من (٠،٨-١،٢ م) وهي مسقوفة بأقباء.

ولحمام ياسر بئر مسنى يلتصق به من جهة الجنوب لتغذيته بالمياه اللازمة.

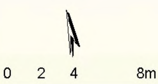


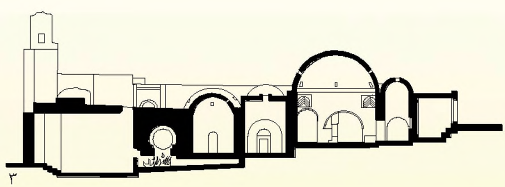


١



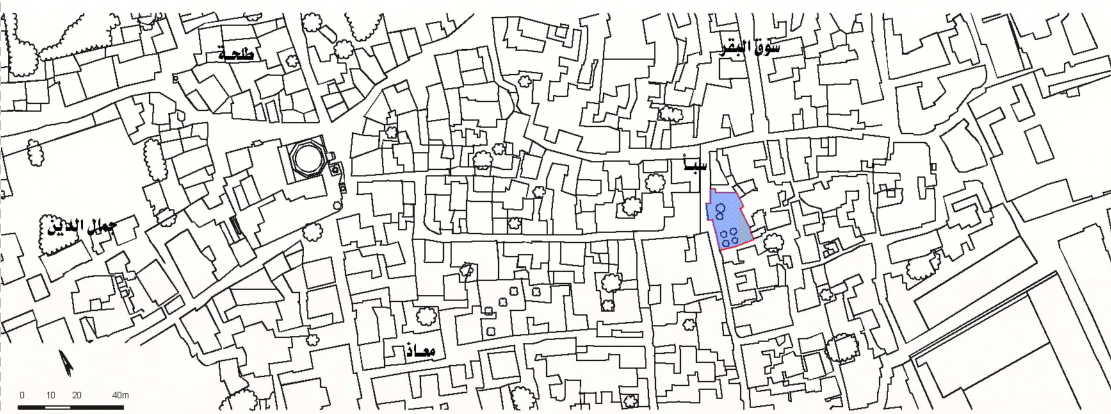
٢





٣

١. مسقط الحمام
٢. مسقط السقف
٣. قطاع (A-A)



يقع حمام سبأ في حي السرار الشرقي حارة سبأ، وسمي أيضاً بحمام القوعة، وهو من أقدم الحمامات العامرة في صنعاء ويرجع سرجنت تاريخ عمارته إلى ما قبل الإسلام(٧)، ومنذ عمارته الأولى مَرَّ بالعديد من عمليات إعادة البناء والتجديد والترميم بما في ذلك التغيير المحدود في مواد وتقنيات البناء والتركيب وكذلك آليات وعناصر ومواد وقود التسخين، وتمديدات الماء والصرف الصحي.

ويصنف حمام سبأ من حيث الحجم من الحمامات الصغيرة في مدينة صنعاء القديمة وتبلغ مساحته الإجمالية (٢٢٣,٢م٢)، وواجهة الحمام الغربية ويقع فيها مدخله الرئيسي، وتشغل كامل الجهة الشرقية صرحة صغيرة.

ويتكون من منطقتين رئيسيتين:

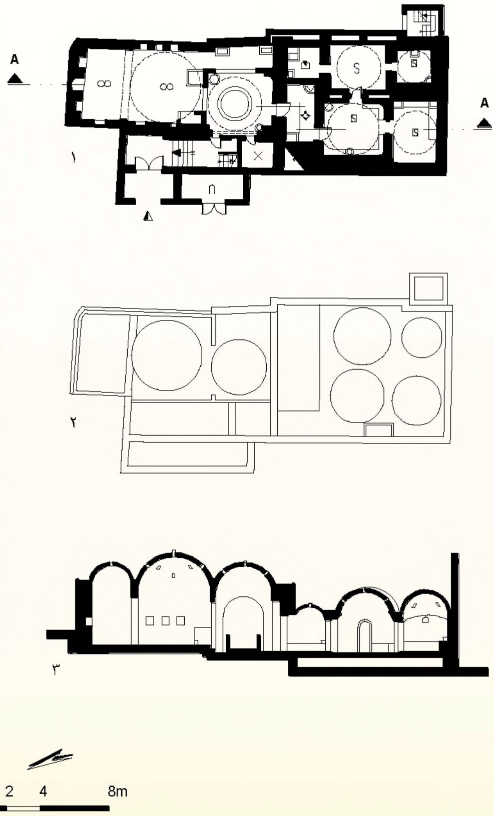
منطقة الاستخدام ذات العلاقة المباشرة بالمستحم، وتتكون من ثلاثة أقسام رئيسية هي المخلع والأوسط والصدر، ومساحتها الإجمالية (١٧٢,١م٢) وتشكل ما نسبته (٧٧,١٪) من المساحة الإجمالية للحمام، وتشغل الجدران ما نسبته (٣٤,٧٪) من مساحتها الإجمالية.

ويختلف حمام سبأ من حيث توزيع الفضاءات المكونة لمنطقة الاستحمام عن باقي حمامات صنعاء، ففي الوقت الذي تقدم المخلع قسمي الأوسط والصدر إلا أن ترتيب كل من الأوسط والصدر لم يأت بالتتالي بل بالتوازي حيث جاور كل منهما الآخر وبالتعامد مع المخلع، وقسم المخلع يتقدمه مدخل منكسر (مجزع) بمساحة (١٦,٤م٢) تليه فضاءات المخلع الرئيسية وبمساحة (٥١,٦م٢)، وفضاءات المخلع المختلفة مسقَّفَة بقبتين إحداهما كبيرة والأخرى أصغر منها فيما سقف الجزء المخصص للصلاة والتدليك بقبو يتوسط جداره الشمالي محراب صغير، ويتوسط الفضاء الأوسط بركة الماء البارد الدائرية المسقط، ويلي المخلع فضاء تهيئة صغير(المخرجة) مسقوف بقبو بمساحة (٥,٩م٢) تجاوره غرفة جمع النفايات بمساحة (٥,٩م٢)، وتتصل غرفة التهيئة بقسم الأوسط الذي يتكون من غرفتين، الكبيرة هي الأوسط مربعة الشكل ومسقوفة بقبة ومساحتها (١١,٤م٢) والأخرى مستطيلة الشكل ومسقوفة في وسطها بقبة ومساحتها (٩,٤م٢) وهي خزانة الأوسط وتقع خلفه، وعلى يسار الأوسط يقع قسم الصدر والمكون من ثلاث غرف أكبرها الوسطى (الصدر) مسقوفة بقبة ومساحتها (٩م٢) وعلى يمينها تتصل بغرفة أصغر هي خزانتها ومساحتها (٤,١م٢) ومسقوفة بقبة أيضاً. أما عن يسارها فتأتي غرفة صغيرة بمساحة (٣,٦م٢) مسقوفة بقبو وفيها بركة الماء الساخن (المغطس).

المنطقة الخدمية، وتتكون من فضاءات الخزن والتسخين تأتي جميعها أسفل فضاءات الصدر، فيما جاورت من جهة الشرق فضائي الصدر والمغطس ثلاثة فضاءات صغيرة جداً مستطيلة الشكل لتمديدات المياه الساخنة والباردة، فيما اخترقت المداخن الجدار الفاصل بين فضاء الصدر والأوسط. كما جاور مدخل الحمام مخزن يستخدم حالياً كمحل تجاري.

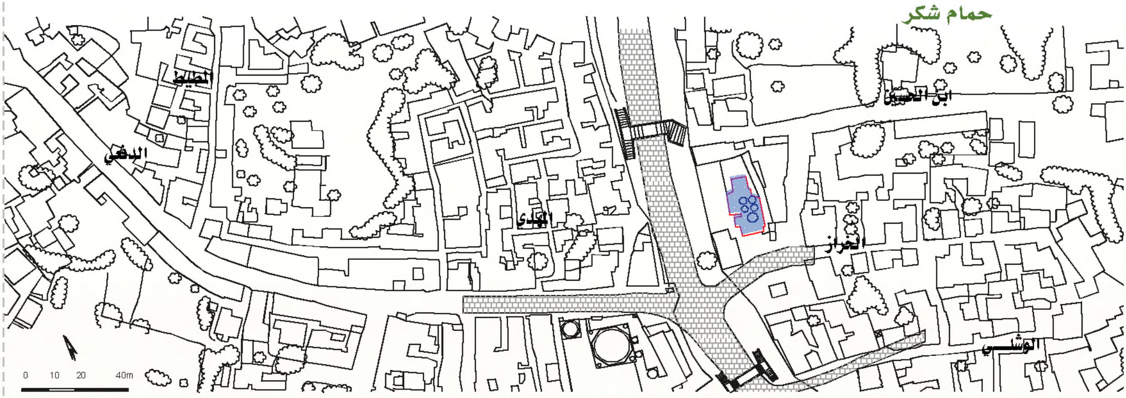
وتبلغ مساحة المنطقة الخدمية (١, ٥١م٢) وتشكل ما نسبته (٩, ٢٢٪) من إجمالي مساحة الحمام.





١. مسقط الحمام
٢. مسقط السقف
٣. قطاع (A-A)

حمام شكر



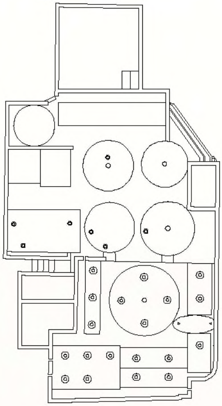
حمام شكر من حمامات صنعاء القديمة يقع في حي السرار الشرقي حارة الخرَّاز وعلى الضفة الشرقية للسايلة، وتبرز جدران كتل فضاءاته الوظيفية بتدرج متباين بسيط عن مستوى الأرض، والمسقوفة بقباب متباينة في حجومها، لتشكل بذلك واجهة صريحة منظورة ومدركة للحمام، على عكس غيره من الحمامات الأخرى، والتي تحجب المباني المحيطة والمتلاصقة بها واجهاتها، والحمامات غالباً ما تغور تحت سطح الأرض.

يرجع تاريخ عمارة الحمام إلى ما قبل سنة (٩٧٧هـ/١٥٦٩م) حيث تم تسجيله في المسودة السنانية ونسبته إلى أسرة صنعانية[٨]. والحمام من حيث الحجم والمساحة يصنف من الحمامات الصغيرة والمساحة الإجمالية للحمام هي (٢٤٠,٣م٢) ويتكون من منطقتين رئيسيتين:

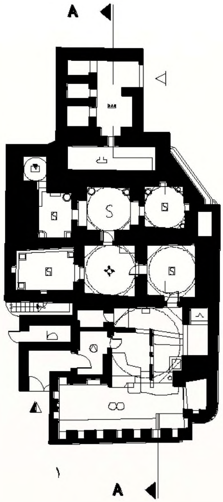
منطقة الاستحمام ذات العلاقة بالمستحم (المستفيد من خدمات الحمام) مساحتها الإجمالية (١٥٨م٢) وبنسبة (٦٥,٨٪) من المساحة الإجمالية للحمام وتشغل الجدران ما نسبته (٤٢٪) من مساحتها الإجمالية. وتتكون من ثلاثة أقسام رئيسية تتوزع عليها كل فضاءات الاستحمام ومتطلباته ففي القسم الأول يأتي المدخل المنكسر (المجزع) بمساحة (٧,٨م٢) يليه المخلع بمساحة (٣٨,٥م٢) والفضاء المتقدم للمخلع مسقوف بقبة كبيرة نسبياً وفيه بركة الماء البارد. ثم المخرجة وهي عبارة عن فضاء مربع الشكل للتهيئة والربط بين قسمي المخلع والأوسط ومساحتها (٧,٨م٢)، ومسقوفة بقبة، أما قسم الأوسط فيتكون من غرفة رئيسية (الأوسط) مساحتها (٨,٢م٢) مسقوفة بقبة وغرفة أخرى مستطيلة الشكل ملحقة بها (خزانة) مسقوفة بقبو غير بارز في السقف ومساحتها (٧,٤م٢) وغرفة الأوسط تتصل بالقسم الثالث (الصدر) ويتكون الصدر من ثلاث غرف أكبرها نسبياً الوسطى وهي الصدر ومساحتها(٧,٢م٢) وتتصل من جهة اليمين بغرفة أصغر منها مساحةً تسمى (خزانة الصدر) مساحتها (٤,٩م٢) ومن الجهة اليسرى يتصل الصدر بغرفة مساحتها (٦,٦م٢) وفيها بركة الماء الساخن (المغطس)، والصدر وخزانته سقف كل منهما بقبة فيما سقف المغطس بقبو غير بارز في السطح. ويشكل المخلع بفضاءاته أعلى نسبة من المساحة الضوئية لمنطقة الحمام الاستخدامية (٥٥٪) يليه الصدر (٢٨٪) وأقلها الأوسط (١٦٪).



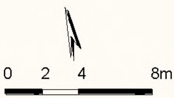
أمـا المنطقـة الثانيـة فهـي خدميـة وتعنـي التسـخين وخـزن الوقـود وغيرهـا وتبلـغ مساحتها (٣,٨٢م٢) وتشكل نسبة مقدارها (٢,٣٤٪) مـن إجمـالي مسـاحة الحمـام. ويلتصق بالصدر من خلفه فضاء (الدست) وتجاوره فضـاءات الخـزن والحركـة وتنحـدر أرضيتها بميـل حتـى أرضية الفـرن وشـوارع تسـخين الحمـام، والممتـدة تحـت فضـاءات الصـدر وتنفـذ مـن الشـوارع مـداخن تخترق الجـدران الفاصـلة بـين فضـاءات الصـدر والأوسـط حتـى السـطح وعـرض الشـوارع يتفاوت من (٠,٨ -٢,٠ م)، والشوارع مسقوفة ممتدة. ولحمام شكر بئر مسنى يلتصق بـه من جهة الشرق لتغذيته بالمياه.

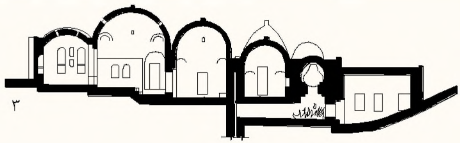


٢



١





٣

١. مسقط الحمام
٢. مسقط السقف
٣. قطاع (A-A)

الهوامش

١. الحيمي، شهاب الدين أحمد بن محمد الكوكباني؛ "حدائق النمام في الكلام على ما يتعلق بالحمام"؛ تحقيق: الحبشي؛ عبد الله محمد؛ دار التنوير؛ بيروت؛ ط١؛ ١٩٨٦م؛ ص (٢٣).

٢. المصدر نفسه؛ ص (١٣).

٣. عنان، زيد؛ صنعاء حاراتها وآبارها ومساجدها؛ مجلة الإكليل؛ العدد ٣،٢؛ ١٩٨٣م؛ وزارة الإعلام والثقافة صنعاء ص (٤٢،٣٣).

٤. المصدر نفسه ص (٢٦).

٥. عنان، زيد علي؛ "صنعاء حاراتها وآبارها وشوارعها ومساجدها وأسواقها وألعابها"؛ مجلة الإكليل؛ العددان (٣،٢)؛ ١٩٨٣م؛ عدد خاص بصنعاء؛ وزارة الإعلام والثقافة؛ ص (٤٢). الشهاري، جمال الدين على بن عبد الله بن القاسم بن المؤيد؛ "وصف صنعاء مستل من كتاب المنشورات الجليه"؛ تحقيق: عبد الله محمد الحبشي؛ ط١؛ صنعاء؛ ١٩٩٣م؛ ص (٩٤).

٦. عنان، زيد علي؛ مجلة الإكليل المصدر نفسه؛ ص (٤٢).

7 . R.B Serjeant and Ronald Lewcock , Sana'a an Arabian Islamic City , World of Islam Festival Trust, London, 1983, P (507)

٨. المسودة السنانية: نسبة إلى الوالي العثماني سنان باشا الذي قام بحصر جميع أموال الوقف وتسجيلها طبقاً لأصولها وإجازاتها في سجلات خاصة عرفت فيما بعد بـ(المسودة السنانية) (٩٧٦-٩٧٨هـ/١٥٦٩-١٥٧١م) وما تزال المسودة محفوظة إلى اليوم ضمن محفوظات وزارة الأوقاف، أبو الرجال؛ علي احمد؛ الوثائق والتوثيق، الموسوعة اليمنية.

البئر



إعتمدت مدينة صنعاء على الآبار والغيول كمصدر أساسي للمياه ويمكن تصنيف الآبار من حيث الحجم والوظيفة وطريقة ووسيلة نزع الماء وفق الآتي:

الآبار الخاصة بالدور السكنية

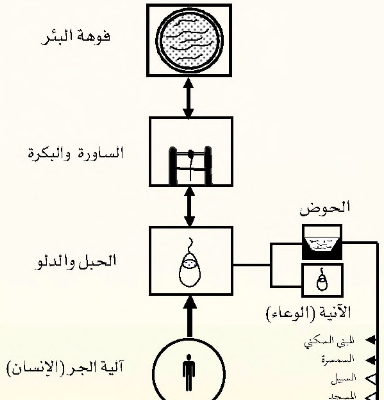
وتسمي بـ(المنزعة) إذ ينزع منها الماء مباشرة بواسطة الدلو بحبل عبر بكرة خشبية صغيرة مركبة على فوهة البئر وتميزت صنعاء بأن لكل مبنى سكني كبير بئر في طابقه الأرضي. وقد تخدم هذه البئر مبنيين متلاصقين إذا كانت في الفناء، ويتم نزع الماء منها مباشرة إلى الطابق الأرضي لسقي الحيوانات، ويمكن نزعه إلى الطوابق العليا لاستخدامه في الأغراض اليومية (المطبخ والمطاهير).

الآبار العامة

وتعتمد آليتين في نزع الماء من الآبار على النحو الآتي:

البئر المنزعة

وهي البئر التي يتم نزع الماء من قاعها بجر الدلو يدوياً بمساعدة بكرة خشبية صغيرة مركبة في وسط عمود خشبي مثبت في الغالب على سارية البئر التي هي عبارة عن جداري على جانبي فوهة البئر كما في بئر حارة الباشة التي يصفها زيد عنان[1] بأنها بئر مشهورة بمائها العذب الخفيف.



البئر المنزعة

١. عنان: زيد بن علي: "صنعاء حاراتها وآبارها وشوارعها ومساجدها وأسواقها وألعابها" مجلة الإكليل العدد ٢: ٣؛ وزارة الإعلام والثقافة صنعاء: ١٩٨٣م؛ ص(٣٢).

المسنى

وهي البئر التي يتم نزع الماء منها بواسطة الدواب، وتخدم المساجد والحمامات الساخنة بشكل مباشر والأسواق (السبيل) والمباني السكنية في الحارات أيضاً ومن خلال (المحسنة)، ومنشأة المسنى نظام متكامل يتألف من الآتي:

البئر وفوهته:

وهي حفرة عميقة تصل حتى أدنى منسوب سطح الماء وجدارها من الحجارة المهندمة (طواية) في حين تدعم فوهتها بحائط حجري ينتهي مع كتلة البناء الخاصة بحمل البكرة. والحفرة ذات شكل أُسطواني يميل إلى شبه مخروطي مقلوب، ويصل عمقها إلى نحو (٣٥م) في حين تتسع فوهتها بقطر يصل إلى نحو (٢م).

جدران حمل البكرة (الساورة):

وهما جداران مرتفعان على جانبي فوهة البئر وعلى امتداد منحدر حركة الماء، وتثبت على الجدارين وبشكل متعامد مدادتان خشبيتان أسطوانتان (العَرار)، العليا تثبت عليها البكرة الخشبية، أما السفلى فتثبت عليها قطعة خشبية أسطوانية أشبه بالبكرة (الجَعِير) وعملها مساعدة حركة هبوط حبل الدلو السفلي (القُدة) وهو حبل جلدي مضفور (قوي ومتين) ويربط هذا الحبل بأسفل الدلو. والدلو مفتوح من الجهتين مثبت عليه من أعلاه وعلى فوهته عودان من الخشب متعامدان ومتقاطعان يثبت عليهما حبل الجر (السِّرَة) وهي من الألياف النباتية المسماة (سلب).

المنحدر (المرنع):

ممر منحدر وبميل (١٠-١٥٪) لنزع الماء بالجر بواسطة حبلي (القدة والسرة) المتدليين إلى البئر من على عراري الساورة وطرفاها الآخران يربطان بالدابة، الجمل أو الحمار، المعنية بجر الدلو وفق حركة متتالية ومنتظمة عبر منحدر المرنع ويحيط بالممر المنحدر من الجهتين جداران مبنيان من الحجر إلى ارتفاع معين، لانتظام آلية جر الماء ولتوجيه حركة الحيوان الديناميكية دون تدخل المؤثرات الخارجية، وللحماية، والمرنع لا يسقف وقليلة جداً هي التي سقفت واستغلت السقوف العليا لبناء فضاءات خدمية أخرى مثل الغرف التي علت مرنع قبة طلحة. وقد بنيت جدران المرانع وعقودها من الحجر، وقليلة جداً هي التي استخدم في بنائها الياجور،

وسقفت بالأخشاب، ويرجع هذا الاستخدام إلى مرحلة الحكم العثماني مثل مرنع مسنى حمام الميدان والذي سقف بأقباء من الحجر والياجور، وكذلك مرنع مسنى قبة البكيرية والذي سقف بجذوع الخشب، أما البعد الطولي للمنحدر (المرنع) فيتحدد وفق المسافة الكافية لبلوغ الدلو مستوى الماء، ولا سيما عند إنخفاضه في موسم إشتداد الجفاف.

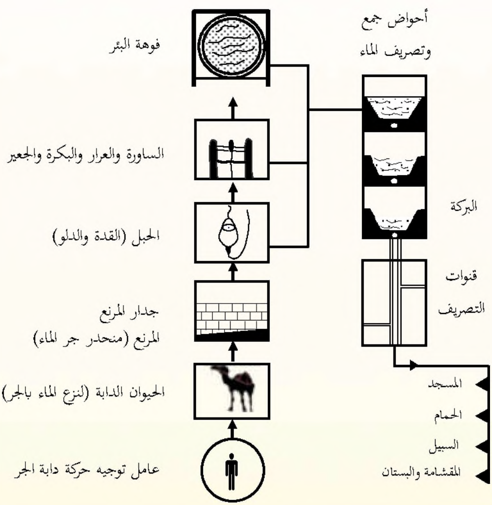
أحواض وقنوات جمع ومد الماء

توالت تدريجياً الأحواض والقنوات لجمع ومد الماء إلى الفضاءات الوظيفية ذات العلاقة. حيث يتصل بفوهة البئر حوض صغير (المرجو) يصب فيه الماء من الدلو وبحركة ذاتية، ومنه يسيل الماء عبر قناة (ساقية) إلى حوض كبير (الماجل) والذي يقع إلى جوار ساورة البئر وهو حوض متسع دائري وشبه دائري تقريباً في المسقط وبعمق (٦٠ - ١٠٠سم) ويثقب في أسفله بفتحة صغيرة تسمى (المفجر) وذلك لإسالة الماء إلى القنوات الرئيسية (السواقي) والتي تقوم بتوزيع الماء وفق الحاجة إلى الفضاءات المعنية واستناداً لمعطيات وشروط إسالة الماء. وتبنى الأحواض والسواقي بالحجارة وتكسى بالقضاض.

الإسطبل

غرفة صغيرة وتكون في الغالب أسفل المنحدر، إن وجدت.

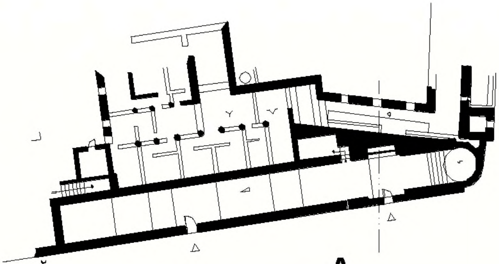
وكان لصنعاء القديمة أكثر من (٤٥مسنى) أمكن حصر (٤٤مسنى) حيث إن بئر الجامع الكبير قد تم هدمه بعد منتصف القرن العشرين الميلادي.



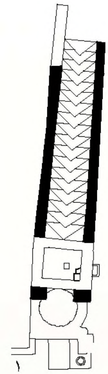
البئر المسنى

١. مسقط للبئر المسنى في دار الذهب (بيت دلال)
٢. مسقط للبئر المسنى في مسجد طلحة
٣. قطاع للبئر المسنى
٤، ٥. حركة جر الماء لبئر مسنى كبير يستخدم جملين لجر الماء في حركة منتظمة من حيث صعود منحدر المرنع لإنزال دلوي نزع الماء وهبوط منحدر المرنع لجر الدلوين بعد امتلائهما ليصبا في المرجو (حوض تفريغ الماء) بصورة آلية وتتكرر هذه العملية بشكل منتظم في عمليات نزع الماء من البئر (١٩٢٧م)، م/ م ت د م.

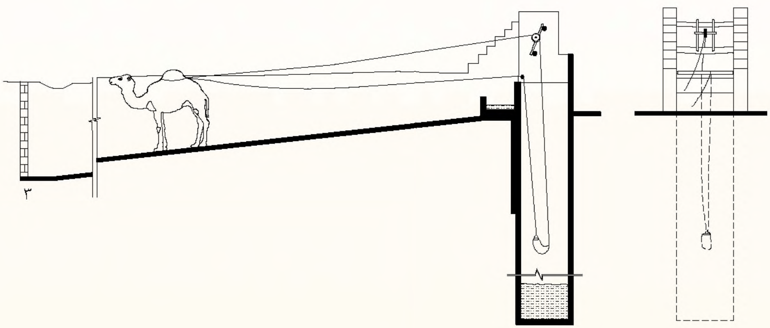
B



A







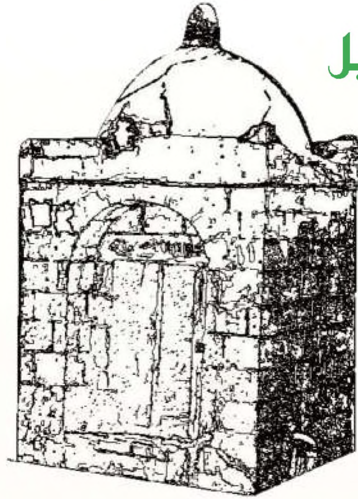


٥



٤

السبيل



السبيل من أهم العناصر الوظيفية للمدينة الإسلامية، وهو فضاء معماري صغير جداً من حيث الحجم مقارنة ببقية الوظائف الأخرى، وهذا الفضاء ذو وظيفة خدمية هامة تعني توفير مياه الشرب لعابر السبيل، وتلازم ذكر السبيل في المصادر التاريخية بالمسجد والبئر وقد ورد في العديد منها باسم سقاية.

ولمدينة صنعاء القديمة أكثر من ٦٠ سبيلاً، أمكن حصرها، وأغلبها لا تزال تؤدي وظيفتها، وارتبط وجود السبيل بثلاثة عوامل رئيسية هي:

- كثافة الحركة في السوق والصرحة أو الميدان والطرق الرئيسة.
- مصدر الماء قربه وبعده من الموقع الاختياري للسبيل.
- آلية، وسيلة، نقل الماء إلى السبيل.

ولهذه العوامل جاء السبيل متنوعاً في حجمه الفضائي، صغيراً أو متوسطاً أو كبيراً. وللسبيل فتحة وباب يحكم ويغلق عند انتهاء الحركة ليلاً، ولبعضها حوض أو حوضين في جوارها وهي من الحجر تخصص لشرب الحيوانات والطيور.

وأغلب السبل في الحارات وضعت لخدمة تزويد الماء للمباني السكنية التي ليس لها آبار خاصة (منزعة) وللتميز سميت (بالمحسنة).

وأكثر كثافة عددية للسبيل هي في منطقة السوق ففيها نحو ٢١ سبيلاً وذلك لكونها أكثر مناطق المدينة كثافة بشرية ويمثل الغرباء نسبة كبيرة فيها. ولكون السبيل ذي علاقة وثيقة بالمسجد والمسنى والصرحة والطريق الرئيسي، لذا توزع في كل حارات المدينة تقريباً، وجاور أو التصق بمساجدها. واغلب هذه السبل تعلوها قبة تميزها، وأغربها، من حيث الشكل في مادة البناء والتسقيف والزخرفة، هو السبيل الذي تقدم ساحة باب اليمن الخارجية وكان مع المسلة يمثلان أهم معالم التوجيه للساحة، وتم نقل هذا السبيل إلى حارة الأبهر وفي موضع ضعيف العلاقة بالرؤية والتوجيه، وهو مهجور حالياً ويعد أكبر السبل. ومن أكبر سبل السوق سبيل إسماعيل في سوق الحلقة، وسبيل إسماعيل القطاع في سوق الفضة. وقد حصر والتردوستال[1] في كتابه سوق صنعاء السبل في السوق، وفي دراستنا الميدانية تتبعناها جميعاً وبزيادة نوردها على النحو الآتي:

م	اسم السبيل	الموقع
١	سبيل أحمد سويد (١٣٤٣هـ) (١٩٢٤م)	باب اليمن الداخلية
٢	سبيل سوق الحنة (١٣٤٩هـ) (١٩٣٠م)	سوق الحنة
٣	سبيل بيت عامر (١٣٦٠هـ) (١٩٤٠م)	سوق الحنة
٤	سبيل إسماعيل محمد غمضان (١٣٣٧هـ) (١٩١٩م)	سوق الحلقة
٥	سبيل الحاج محمد المدر	سوق المدر
٦	سبيل حسين العُميري	سوق السلب
٧	سبيل بيت القرش	سوق البز
٨	سبيل بيت القطاع	سوق البز
٩	سبيل (دغباس) أوقفه الحاج محمد صالح السنيدار	سوق الجلا
١٠	سبيل حسين بن قاسم المداني (١٣٥٨هـ) (١٩٣٩م)	جوار سمسرة الميزان (سوق القات)
١١	سبيل الحاج أحمد بعثر	سوق الحب
١٢	سبيل الحاج محمد السوساني	سوق الحب
١٣	سبيل حسين القطاع (١٣٤٨هـ) (١٩٢٩م)	سوق الفضة (المخلاص)
١٤	سبيل (الضوراني) أوقفه الحاج على المحفدي	سوق الفضة (المخلاص)
١٥	سبيل سوق النضارة	سوق النضارة
١٦	سبيل في سوق الجبانة	سوق الجبانة
١٧	سبيل في سوق الحب	سوق الحب
١٨	سبيل سوق الجامع الكبير	سوق الجامع
١٩	سبيل سوق الحدادين	سوق الحدادين
٢٠	سبيل مسجد رضوان	في ساحة باب اليمن الداخلية
٢١	سبيل مسجد الزمر	سوق الزمر (الجمال سابقاً)

١. دوستال، والتر: "سوق صنعاء"، ترجمة: وفيق محمد غانم، الرياض، ١٩٩٠م، ص(١٥).



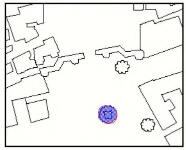
١



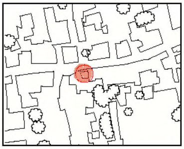
٢

١. سبيل سوق الجنابي (١٩٣٤م)، م/ م ت د م
٢. سبيل سوق الجنابي (٢٠٠١م)





موقع سبيل ساحة باب اليمن الخارجية (قبل إنتقاله إلى حارة الأبهر)



موقع سبيل ساحة باب اليمن الخارجية (بعد إنتقاله إلى حارة الأبهر)

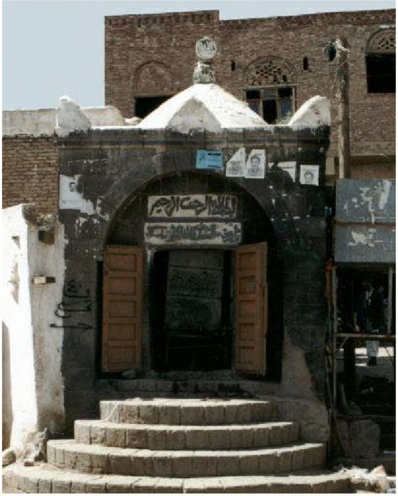


١

١. واجهة سبيل ساحة باب اليمن الخارجية
٢. سبيل ساحة باب اليمن الخارجية (حالياً يقع في حارة الأبهر)
٣. سبيل بيت عامر (سوق الحنة)
٤. سبيل سوق الحنة
٥. سبيل مسجد الطاووس



٢



٣

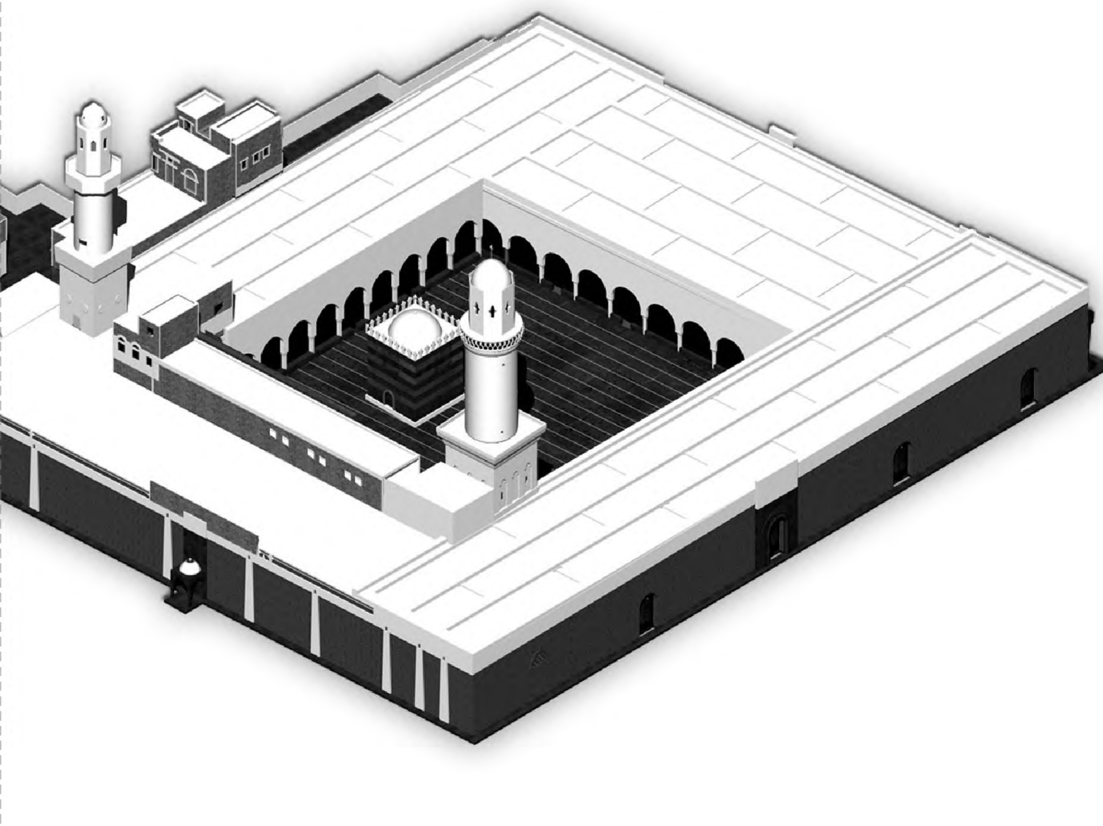


٤



٥

المباني الدينية



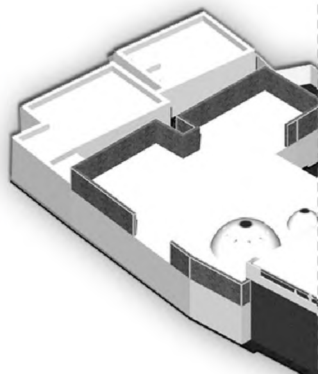
تزخر اليمن بعدد من المنشآت الدينية التي تنوعت وظائفها وفق التنوع الثقافي والسياسي والاجتماعي للمجتمع اليمني، غير أن الفضاءات الرئيسية للمسجد الجامع (الجامع الكبير) تعد الأساس الأول لهذه المنشآت التي تعتمد البعد الثقافي كعامل مؤثر في هذا التنوع العددي للمنشآت الدينية، والذي يقوى بقوة البعدين السياسي والاجتماعي.

لقد تشكلت الفضاءات الوظيفية في الكثير من المنشآت الدينية وفقاً لمعطيات محددة مرت بمراحل تطور منذ نشأتها ويظهر ذلك جلياً في مصلى العيدين (الجبانة) والمدارس والخانقات والرُّبط والزوايا والتكايا ومراكز نشر الدعوة، والمكتبات،... إذ حددت المعايير والأحكام المستمدة من القرءان والسنة الإطار العام والمبادئ الرئيسية لعمارتها[١] التي جاءت ملبية في فضاءاتها المعمارية لدورها الديني والسياسي والاجتماعي والثقافي والتعليمي.

إن النمو المضطرد للمدن الإسلامية الرئيسية في مساحتها وسكانها وتنوع أجناسهم، فضلاً عن التنوع المذهبي الإسلامي، في الفروع وليس في الأصول، قد أدى إلى إنشاء منشآت ومبانٍ كانت في الأساس وظائفها تؤدى ضمنياً في نطاق فضاءات المسجد، كما كان لظهور الجماعات والفرق المذهبية وتعددها أيضاً دور في اتخاذ أماكن خاصة بهم تحولت بعد ذلك بالتدريج إلى مبانٍ ومنشآت دينية في تاريخ العمران والعمارة الإسلامية[٢] ،كالمدارس، الزوايا، الخانقات، التكايا، المشاهد، المزارات،...، ولكن يظل هذا الأمر نسبياً، لا سيما في المدن التي لم يتأثر مجتمعها بمجمل هذه العوامل الزمانية والمكانية وتغيراتها.

مدينة صنعاء عريقة وموغلة في القدم، وهي من الحواضر الإسلامية الأولى، ولم تكن قط في مصاف المدن الإسلامية الثانوية، فعند دخول الإسلام كانت حاضرةَ العرب الجنوبية وعاصمتهم واستمرت بعد ذلك مدينةً إسلاميةً رئيسيةً وعاصمةَ حكم على مر تاريخها الإسلامي، ولتجانس مجتمعها، وبشكل نسبي، فإن روح عمران عمارتها تخطيطياً وتصميمياً يظل على هدى روح المدينة الإسلامية في منشأها الأول[٣]، وهذا لا يعني أنها لم تتطور ولكنها حافظت في تطورها على حصر المنشآت الدينية في أصول تسميتها الأولى، إذ أن فضاءاتها تعمل على أداء كل الوظائف المناطة بها وفق المعايير والأحكام الأساسية المستمدة من القرءان والسنة، والتي شملها أساساً المسجد والمسجد الجامع، وهذا لا يؤكد على تجانس مجتمعها الحضري فحسب بل واستمرارية تجانسه أيضاً.

إن التأثيرات الخارجية على صنعاء ظلت هامشية ونسبية، ومثالاً على ذلك ما قام به العثمانيون حين دخولهم الأول صنعاء حيث قاموا ببناء مدرسة البكيرية، والتي عمدوا على أن تكون أكبر المدارس الإسلامية في اليمن، تفوق الاشرفية (الرسولية) (٨٠١هـ/١٣٩٨م) في مدينة تعز، والعامرية (الطاهرية) (٨٩٤هـ/١٤٨٨م) في مدينة رداع، غير أن البكيرية لم تقم بوظيفتها كمدرسة إسلامية بحتة إلا فترة بسيطة وبشكل محدود جداً، ولم تكتسب اسم المدرسة بل صارت تعرف باسم الجامع عند الخاصة والعامة على حد سواء، وذلك لتَصَدُّر فضاء بيت الصلاة فيها منبر، إلا أن القليل من الدارسين، الآثاريين والتاريخيين والمعماريين، قد ذكروها بالمدرسة عند تصنيفهم لها[٤].



تنحصر المنشآت الدينية لمدينة صنعاء القديمة في الجامع الكبير والمساجد والجبانة الواقعة خارج سورها من الجهة الشمالية. وفضلاً عن هذا فإننا نصنف المقابر والأضرحة ضمن المنشآت الدينية لصبغتها الروحية الدينية والاجتماعية.

ولم تكن الأضرحة على قلتها مزاراتٍ أو مشاهدَ كبيرة، كما هو الحال في بعض المدن أو المراكز الحضرية الإسلامية الأخرى مثل تاج محل في الهند ومزارات ومشاهد بغداد وكربلاء والنجف في العراق وقم ومشهد وأصفهان في إيران....



١



٢

١. مقبرة خزيمة جنوب غرب صنعاء القديمة: (١٩٢٧م) م/ م ت د م

٢. مقبرة المشهد شمال شرق المدينة خارج السور (٢٠٠٢م)

يقال سجد يسجد سجوداً، وضع جبهته على الأرض[٥] ويقول رسول الله ﷺ: (... وجعلت لي الأرض مسجداً وطهورا)[٦]، وقال سبحانه وتعالى:(قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ) سورة الأعراف، الآية (٢٩). وجُلَّ ما عني به رسول الله ﷺ في حياته هو اهتمامه الكبير بالمسجد، فبعد أن أنهى عمارته الأولى وحتى يعطيه أكبر قدر من الاهتمام الصق سكنه بجداره وخصه بالذكر في مآثر حديثه الشريف كقوله ((إن صلاةً في مسجدي هذا (مسجد المدينة) تعدل ألف صلاة))[٧] وكان لمنزل الوحي الإلهي معايير الأحكام الأساسية الأولى لمبادئ عمارة المسجد التي استنار بها رسول الله ﷺ حين عمر مسجده ولقد وردت كلمة مسجد ومساجد في القرآن الكريم في (٢٨موضعاً)[٨] ولذكر الله سبحانه وتعالى وحديث رسوله المبين وسنته وعمارته المثل الاعتباري الأول الذي يحدد المعايير القياسية الرئيسية الأولى في عمارة المسجد تخطيطياً وتصميمياً[٩].

ومدينة صنعاء من الحواضر الأولى التي حظيت بعناية رسول الله ﷺ في عمارة المسجد فبأمره بني مسجدها الأول (الجامع الكبير) على غرار مسجد المدينة (يثرب) وكانت عمارته الأولى في سنة (٦هـ/٦٢٧م) في بستان باذان ما بين الصخرة الململمة وقصر غمدان[١٠]، واكتسبت به المدينة أهميتها التاريخية والروحية. ومن هذا المسجد إلى جانب مسجد الجند اللذين بنيا بأمر رسول الله ﷺ في نفس المرحلة تقريباً بالإضافة إلى كل من مسجدي زبيد (الأشاعر) وصعدة، تمكن المعمار اليمني حديث العهد بالإسلام من استنباط أسس التخطيط والتصميم الأساسية في عمارة المساجد التي انتشرت وعمت حواضر وأرياف اليمن. وجاءت مساجد الجمعة (الجوامع الكبيرة) قريبة الشبه من بعضها في المسقط واستمر ذلك إلى مراحل متأخرة نسبياً، أما الفروق النسبية فقد ظهرت وفقاً لمعطيات المساحة والحجم والسعة ولا سيما في تلك المساجد غير الجامعة أو المباني الدينية الأخرى والتي يكون فيها بيت الصلاة الفضاء الرئيسي لها كالمدارس الإسلامية ويُطلقُ عليها العامة مجازاً المساجد أو الجوامع، لأن تباين التصميم بين المسجد والمباني الدينية والتعليمية الأخرى يظل نسبياً هو الآخر، إذ أن الروح المستمدة من المبادئ الأساسية قد أدت دوراً تقريبيا في إطار المضمون التصميمي العام، وفي ضوء هذه المنطلقات العامة يمكن الحديث عن عمارة مساجد صنعاء، وعلى سياقه تتضح جملة من الخصائص الذاتية والموضوعية في أوجه التباين بين التميز والتفرد.

كما سيبرز الحديث عن مساجد صنعاء بشكل عام أو الحديث عن النماذج المختارة جملةً من الأسس التصميمية في عمارة المسجد التي أرست معايير قياسية اعتمدت في تخطيطه وتصميمه لأداء وظائفه في بيئة حضرية هبت لنداء الحق تلبية لدعوة رسول الله ﷺ بطواعية فما كان منه إلا أن خصها بعنايته إيماناً وتيمناً فخصهم بقوله الشريف (.. الإيمان يمانٍ والحكمة يمانية)[١١] فكان لهذا تأثير نفسي كبير ،روحي واجتماعي، على اليمنيين الذين اندفعوا في نشر الدعوة الإسلامية في شتى بقاع الأرض، كما عزز من إيمانهم فعملوا على توجيه عنايتهم والرفع من قدراتهم الإبداعية، فجاءت عمارة المساجد الأولى في صنعاء ممثلة بالجامع الكبير أول إسهاماتهم المعمارية كونها اكتسبت معارف البناء والعمارة في مسار تطورها الحضاري المزدهر والذي اتسم بالإبداع المعماري حتى نعت فيه اليمني بالمعمار[١٢]، وعند التتبع التاريخي من مصادره الرئيسية وجد أن أول ذكر للمنبر جاء من اليمن[١٣] وكذلك هو الحال للمحراب[١٤] والمصندقات الخشبية المزخرفة[١٥]، وكان للجامع الكبير في صنعاء، الفضل في ذلك، وقد استخلص في هذه الدراسة التاريخية والمعمارية لعمارة الجامع الكبير وظيفياً وجمالياً وإنشائياً وموادًا وتقنيَة بناء وما تكتنزه بقاياه الأثرية من معلومات وشواهد بصرية وحسية ملموسة وذلك لقدم أصلها الذي يعود إلى ما قبل الإسلام، تؤكد أن أمر بنائه الأول قد اعتمد على هذه البقايا، ولهذا فإن عمارته لم تكن بسيطةً بل جاءت خلاصةً تجربة ما وصلت إليه العمارة في صنعاء، والتي مَثَّلَ جلَّ رقيها آنذاك قصرُ غُمدان الذي يعد مفخرة اليمنيين والعرب في مرحلة ما قبل الإسلام، وكان المعهود قديماً أيضاً بأن للمعبد قدسيةً ترقى بعمارته تميزاً وتفرداً عن بقية المباني الأخرى[١٦]، وهذا ما أتبعه اليمنيون بعد الإسلام، وليس من المقبول أن تأتي عمارة أول مسجد في حاضرة اليمن أقل رقياً، ومما زاد في هذا التأثير المعنوي مبادرة اليمنيين الأولى في دخول الإسلام واعتناقهم له طواعية ولذلك فإن الرمز والمثل الأعلى المعماري للمسلمين لن يكون أقل شأناً عن غيره من الأبنية المعمرة مثل القصور والمباني السكنية والمنشآت الأخرى التي وإن لم تكن تضاهي في عمارتها قصر غمدان فهي لن تفرق عنه كثيراً وبشكل نسبي، ولهذا فلا بد وأن الجامع الكبير أسهم إسهاماً كبيراً في الارتقاء النوعي لعمارة

المسجد وفي أسلوب تشكيل فضاءاته المعمارية بيئياً، وفي مسار تطوره خاصةً وتطور فنون العمارة الإسلامية عامة.

ويمكن تصنيف المساجد من حيث النوع الوظيفي إلى صنفين هما:

- المساجد الجامعة: وهي نوعان أيضاً:
  - مسجد الجمعة (الجامع الكبير).
  - مصلى العيدين (الجبانة)
- المساجد الصغيرة: عندما يشير المؤرخون إلى المساجد الصغيرة لا يفصلون بينها، أما الدارسون والباحثون اليمنيون والعرب والأجانب فقد اختلفوا في اصطلاح تسميتها بالمساجد الصغيرة والمساجد اليومية ومساجد الصلاة وأحيانا بالجامع...(١٧)، ولكننا نرى أنه من الأنسب تعريفها فقط بالمساجد وإن كانت تسميتها بالصغيرة، لأنها أصغر من حيث المساحة والحجم والشكل أيضاً من مساجد الجمعة وقد تكون أيضاً التسمية الثانية صحيحةً مجازاً في تسمية هذه المساجد باليومية لأن المسجد الجامع تؤدى فيه فريضة صلاة الجمعة المشترطة بخطبتيها.

ومساجد الجمعة قد عرفت بالمساجد الجامعة أو الكبيرة إذ يسمى مسجد الجمعة في صنعاء (الجامع الكبير) أما مصلى العيدين في صنعاء فإنه قد عرف بالجبانة دون ذكر المسجد، وعمارتها قد حظيت بقدر كبير من الاهتمام شأنها شأن المساجد التي حظيت باهتمام جماعي.



١



٢

١. مصلى العيدين الجبانة، (١٩٢٧م) م/ م ت د م
٢. الجبانة (٢٠٠١م)

لقد خضعت مساجد صنعاء في تشكيل فضاءاتها المعمارية لمعياري النشأة والتطور ومادة وتقنية البناء، وللتوافق بين خصائص المحددات لكليهما وتضاؤل الفروق المحتسبة، فإن الحديث عن هذه المساجد قد جمع هذين الاعتبارين مع تباين الفروق لبساطتها وسلاستها، وتباين الأنماط والأساليب المعمارية والفنية للمساجد من عهد لآخر، غير أن هذا التباين لا يفقد الطابع اليمني العام من حيث مواد البناء والأسلوب الزخرفي، فعلى الرغم من أن استخدام الأقبية والقباب كان معروفاً في اليمن قبل الإسلام[١٨]، فإن المساجد المبكرة لم تسقف بقباب كبيرة وقد سقفت بأسقف مسطحة ويعزى السبب في ذلك إلى بساطة أسلوب حياة المسلمين الأوائل، وتباينت هذه الأنماط والأساليب المعمارية في إطارها النسبي المحدود. ورغم دخول بعض المؤثرات الخارجية في عمارة المسجد فلم تحدث تغيرات تصميمية كبيرة وقد ظل الطراز المعماري الصنعاني هو الأكثر تعبيراً، وذلك لغنى التجربة المعمارية.

والحديث عن العلاقة بين تخطيط وتصميم الجامع لا يكون إلا على قاعدة معلوماتية عمرانية (ذاتية وموضوعية)، وهي الأساس لكل من العمليات التخطيطية والتصميمة للمسجد، وترسم المحددات الرئيسية والثانوية لدور المسجد ووظيفته وكذلك ترسم المبادئ والأسس التخطيطية والتصميمية. وفي ضوء تلك المحددات نجد أنها عملية تعكس آية قدرة الخالق سبحانه وتعالى في دمج الروح بالجسد، وهذه العملية وضحتها للعبرة سنَّةُ رسوله المبينة في عمارة المسجد النبوي الشريف الذي يعد المثل الأعظم. أن تلك المعايير والأحكام قد أرست الأسس الأولى والتي تمثل الروح، وجاء الاعتبار بقيمتها التجسيد المادي التخطيطي والتصميمي لعمارة المسجد، ولهذا فإن الحديث عن تخطيط وتصميم المسجد في مدينة صنعاء القديمة لا يختلف عن غيرها من الحواضر والمدن الإسلامية إذ ينطلق في الأساس من هذه الاعتبارات والمبادئ التي نوجزها على النحو الآتي:

مبادئ اختيار موقع المسجد

يأتي في الأساس عند اختيار موقع المسجد عموماً اعتباران هما:

- الموقع الأكثر ملاءمة في المجال الوظيفي الخدمي (مرونة الحركة ومعيار سهولة الوصول والاتصال).
- ملكية الأرض فقد حددت شروط إقامة المسجد على أرض عامة، وموقوفة، أو أوقفت حين الشروع بالبناء. لأن المسجد ملكية عامة ولا يقام على أرض الملكية الخاصة مطلقاً، ومرجعيَّة الحكم في هذا إلى التقوى وحدود الله المطبقة في شرعه[١٩].

تمويل عمارة المسجد وتشغيله

تشير المعلومات المتوافرة عن كيفية تمويل بناء المساجد في اليمن أنه كان يعتمد في غالب الأحيان على شخص ما، وإذا ما واجه هذا الشخص عجزاً في التمويل فإنه يلجأ إلى التجار فيجمع ما يلزمه لإكمال البناء، غير أن بعض الحكام والأمراء والولاة كانوا يمولون بناء المساجد من أموال الدولة أو من الأوقاف أو من أموالهم الخاصة[٢٠]، إلا أنه يبدو أن معظم المساجد قد قام بتمويلها فاعلو الخير من الأثرياء، ولم يكن التمويل مقصوراً على الرجال فحسب بل شاركت فيه النساء أيضاً[٢١]. أما الصيانة والتجديد فقد كانتا تتمان بتمويل شخصي مباشر فضلاً عن التمويل القادم من الأوقاف التي أوقفها البعض كمصدر تمويل لاحتياجات المساجد، ويذكر الحجري أن الأموال التي وجدت ولا وارث لها على إثر الطاعون الذي حل بالبلاد عام (٩٣٣ هـ/ ١٥٢٦م) قد تم صرفها في صيانة المساجد وتزويدها بالبرك والمطاهير[٢٢]، ولم يكن الناس الذين لم يؤتهم الله سعةً من المال يقفون مكتوفي الأيدي، بل كان البعض يسارع إلى التطوع من أجل بناء المساجد وإصلاحها من دون مقابل مادي، ومن أمثلة هذه الحالات ما كتب على جانب محراب الجامع الكبير (عمل هذا المحراب العبد الفقير إلى الله عبد الصمد بن أحمد بن أبي الفتوح وولده أحمد وجعلا ما يستحقانه من الأجرة صدقةً لله تعالى طلباً للثواب الجزيل تقبل الله منهما)[٢٣].

لقد كانت الأوقاف ومازالت تمثل المصدر الأساسي لتمويل احتياجات المساجد والقائمين عليها ولم يقتصر تمويل الأوقاف لاحتياجات المساجد التي شيدت بأموال الأوقاف فقط، وإنما شملت حتى المساجد التي كانت تبنى على نفقة الخاصة. إدراكا من السلف لأهمية دور الأوقاف وضرورتها في الحفاظ على المساجد واحتياجاتها ومصادر الوقف كثيرة ومتنوعة وأهمها هي:

- مساحة الأرض المحددة والمعلومة للبناء (بناء المسجد).
- الأرض الزراعية المنتجة (الجربة).
- مقشامة المسجد.
- السمسرة.

- المحلات التجارية (الحوانيت).
- الحمامات.

وكذلك وقف بعض المواد والأدوات العينية كالمصاحف والمسارج وغيرها من المواد المساعدة في إدارة المسجد كالفراش وزيت الوقود....

الدور الوظيفي للمسجد

على الرغم من أن المسجد من الأرض فإنه يرتبط بالسماء ويتحرر من روابط الأرض ليعود يوثقها وفق هدي ومنهاج مسجدي قويم تسمو فيه النفس الإنسانية إلى آفاق رحبة من الحضور الإيماني الفاعل، فيعود على الحياة طهراً في السرائر وصفاءً في الضمائر ونقاءً في المظاهر، وصدقاً في العمل واتقاناً في الأداء كأثر مباشر لتربية المسجد الذي يتطلب الطهر لدخوله ويستدعي الذكر بالمكوث فيه وتؤدى فيه الصلاة أشرف العبادات في الإسلام، فإنه بهذا يطهر البدن والنفس معاً، وعليه فإن المسجدَ مساحة أرضٍ تتطلب استمرار الأشتراطين طهارة مكان العبادة وطهارة البدن والثَّوب لكي يتمكن من أداء وظائفه جميعاً والمستندة أساساً في أحكامها على القرءان الكريم والسنة النبوية الشريفة[٢٤] ليصبح فضاءً معمارياً إسلامياً تتعاظم أهميته في كونه مكانَ إقامة شعائر الصلاة ومركزاً تعليمّياً وثقافيّاً وكذلك مركزاً للنشاط السياسي باتجاهيه الرسمي والمعارض لأنه وسيلة إعلام مؤثرة في المجتمع، كما أدى المسجد أدواراً هامة في حياة المجتمع لا سيما في المجالات الآتية:

العبادة

لم يقتصر دور المسجد على تأدية شعائر الصلاة فحسب بل ولدراسة وقراءة القرءان الكريم والذكر أيضاً، وفي هذا ارتقى الدور الروحي للمسجد ليعمل من خلال تطهير البدن على تطهير النفس مما ساعد في تطهير العمل السياسي والاجتماعي والتعليمي والثقافي من شرور النزعات المادية والمصالح الذاتية.

مركز تعليمي وثقافي

يؤدي المسجد دوراً تعليمياً وثقافياً في حياة المجتمع اليمني عامة وصنعاء المدينة خاصة، وظل يؤدي هذا الدور حتى ظهور المدارس الإسلامية ومن بعدها الحديثة، ووظفت فيه الفضاءات المعمارية الرئيسية لهذا الغرض، كما وجدت فضاءات خاصة بالتعليم كالكتاب (المعلامة) إذ اعتمدت المساجد الكبيرة مثل الجامع الكبير و(قبَّة) البكيرية زوايا واركانا أو إيوانات خصصت لمشائخ العلم (العلماء).

لم يقتصر دور المساجد والجوامع على تعليم مبادئ القراءة والكتابة والحساب وتحفيظ القرءان الكريم للمتعلمين المبتدئين (التلاميذ) بل عملت على تثقيفهم بثقافة إسلامية واسعة تعلمهم تدريجياً علوم القرءان والحديث وأصول الفقه والتوحيد والسيرة والتفسير والرياضيات (الجبر والهندسة) والفلك واللغة والمنطق والفلسفة والعلوم الشرعية، ولهذا برز من بين هذه الفضاءات علماء أثروا بعطائهم الفكر الإسلامي والإنساني على حد سواء ومن أبرزهم: عبد الرزاق الصنعاني ولسان اليمن أبو محمد الحسن بن أحمد الهمداني والطبري والرازي والشوكاني وغيرهم[٢٥].

توفير المكان المناسب للقضاء

المسجد له قدسيته وملكيته جماعية وهذا ما ساعد في أن يكون المكان المناسب للقضاء بين المسلمين والفصل في نزاعاتهم لأنه يحافظ على استقلال القضاء ونزاهته وعدم تعرض القضاة لأي نفوذ خارجي سواءً من قبل الجهات الحكومية أو الجهات الخاصة[٢٦]، وقد كان الناس يتداعون إلى المسجد في هذا لحل خلاف، أو فصل نزاع نشب بين الأفراد أو الجماعات على حد سواء.



١



٢

مركز للنشاط السياسي

لم يكن المسجد ملكا للدولة أو لأية جهة أخرى، حتى وإن هيمنت الدولة عليه بشكل غير مباشر ونسبي فإن تأثيرها هذا كانت تمليها المصالح السياسية، وكان يستخدم كوسيلة إعلامية لها تأثيرها السياسي الكبير في محيطها المساحي اجتماعياً. وظهرت على مر الزمن مساجد لم تستطع الدولة الهيمنة عليها كلياً فأصبحت منابر سياسية معارضة تعمل على إحداث نوع من التوازن السياسي النسبي إذ كان لتأثيرها دور كبير في إحداث عمليات التغيير وقلب موازين القوى السياسية والسلوكيات الاجتماعية وغيرها لا سيما حين الشعور بالظلم والاضطهاد، فقد سجل التاريخ أحداثاً كثيرة كان التأثير السياسي فيها نابعا من مساجد صنعاء كونها مركزا حضريا وعاصمة حكم، إذ يروي القاضي الشماحي عن الثائرين الجليلين الزبيري وأبو طالب اللذين كانا يحضران معاً كل جمعة ويخطب عقب صلاتها أبو طالب بمسمع وعلى قرب من الإمام يحي، مما جعل الإمام يأمر الأعيان والعلماء بالإجتماع ومطالعة نظام الإصلاح الذي قدمه إليه الزبيري لاتخاذ قرار حول بعض فقراته لأن الإمام يرى أنها تعارض الشريعة وتدعو إلى الفوضى والإخلال بالاستقرار وتفتح الباب للاستعمار(٢٧).

لقد كان الجامع الكبير بصنعاء المكان الذي يلجأ إليه الحكام لإلقاء بيانهم السياسي الأول وكذلك مخاطبة المواطنين كلما اقتضى الأمر، كما شكل منبره في الكثير من الأحيان عنصراً أساسياً من عناصر الصلح بين المتخاصمين من طلاب الحكم كما حدث بين الإمام ومحسن معيض إذ تم الصلح بينهما على أن تقام له في مسجد صنعاء الخطبة يوم الجمعة(٢٨)، ولهذا فقد أهتم الكثير من الأمراء والولاة الحكام والأئمة بخطيب الجامع الكبير وأغدقوا عليه المال حرصاً منهم على كسب جانبه وإغراء له لمداهنتهم ومهاجمة أعدائهم لا سيما وأن خطبة وصلاة الجمعة لا تقام إلا فيه منذ نشأته وحتى منتصف القرن العشرين، وإن تعددت المساجد منذ ظهور واتساع مدينة صنعاء خارج أسوارها لتصبح مدينة مترامية الأطراف على امتداد قاعها الوسيع تقريباً، إلا أن الجامع الكبير ظل يؤدي دوره إلى هذه اللحظة كمسجد في المقدمة ويعنى بالاهتمام الرسمي والشعبي، كما يعنى بالاهتمام الإعلامي والثقافي ليرتقي محيط إعلامه وتمثيله الرسمي لليمن قاطبة، فمنه ولتوقيت مكانه المحدد يذاع الأذان لمختلف مواقيت الصلاة كما تنقل منه في الغالب خطبة وصلاة الجمعة وغيرها من الشعائر الدينية الأخرى، ولهذا يمثل هذا التكوين المعماري الإسلامي الرمز السياسي والروحي والديني للمجتمع ليس في نطاق محيطه (مدينة صنعاء) بل وللدولة التي يمثلها سياسياً وعلى امتداد نفوذها السياسي المساحي.

١. شيخ يقرأ القرآن في الجامع الكبير
٢. صلاة الظهر في صوح مسجد معاذ

لم يتفرد الجامع الكبير بصنعاء بالدور السياسي لوحده فقد لعبت بقية المساجد هذا الدور ولكنها لم تحظ بنفس القدر الذي حظي به الجامع الكبير ولهذا نجد بعضها قد لعبت الدور السياسي المعارض في الأغلب، وكان ذلك وفق الظروف السياسية ومناخاتها، إذ يبرز هذا الدور أحياناً بشكل واضح ومباشر وأحياناً يكون مبطناً وغير مباشر وفي كليهما يكون التأثير فاعلاً وأحياناً يتغلب تأثير الدور غير المباشر (المبطن) لكونه يلجأ إلى التنظيم واعتماد السرية ولغة المخاطبة الرمزية المعتمدة على الصور البلاغية التي تميزت بها اللغة العربية.

واجتماع الناس في صوح المسجد أو بَنيتّه لمناقشة أمر عام يعرف (بالبرزة) حتى إذا تم التداول تنادى رؤوس القوم أو طارحوا الآراء وكونوا رأياً في برزة، بينما يظل الجمع منتظراً، ورأيهم الذي توصلوا إليه ليس نهائياً فهو مجرد تحضير وتقريب يعرضونه على الجمع فإن وافقوا آنذاك وإلا قلبوا أوجه الرأي مرة أخري والرأي والرأي الآخر شرعة موردة وسنة متبعة فلا يُغَيِّبُ أحد على أحد رأياً ولا يقطع، وربما أبدى صغير السن قليل التجربة رأياً راق للكبار فأتفق عليه الجميع[٢٩]، وهذا ما يشير إلى قدم الممارسة الديمقراطية والتي يمثل المسجد المكان الأكثر ملاءمة لممارسة هذا الدور لأثره الإيجابي في السمو بسرائر النفوس إلى رحاب صافية ونقية ليرتقي بالأقوال والأفعال إلى أعلى قيم سلوكيات مكارم الأخلاق ويحد ويكبح في الاتجاه أيضاً النوازع الشريرة للنفس لما تمثله فضاءاته الوظيفية من روحانية وقداسة لتسمو بالحرم.

الدور الاجتماعي

المسجد في صنعاء واليمن وبقية بلدان العالم الإسلامي من الأماكن التي يلجأ إليها الضعيف والمحتاج وابن السبيل طلباً لقضاء حاجته بمساعدة إخوانه المسلمين أو بالاستفادة مما توفره بعض المساجد من أوقاف أوقفها أصحابها للواردين إليها من أبناء السبيل، ولكل وارد عشاء أو غداء وما فضل من الثلث الأخير يصرف للمحتاجين في مدينة صنعاء[٣٠]. كما كان لبعض المساجد تكية خاصة للفقراء.

وربما نزلت بالمرء حاجة ألقت بثقلها عليه فلا يجد مكاناً مناسباً لطلب العون أقرب لقلبه وأهله أسرع استجابة من المسجد، وكثيراً ما كانت دعائم المساجد تشد برداء (شال) فيتساءل أهل المسجد عن السبب ليعلموا أن فلاناً يطلب المعونة في أمر ما، وربما لا يكتفي بربط ردائه على الدعامة فيقف متكلماً بنبرة الواثق أن الجميع يهرع لمعاونته. ولم يكن اللجوء للمساجد في الملمات والحاجة مقصوراً على الحالات الفردية، بل من الثابت أن السكان كانوا يهرعون إلى المساجد بشكل جماعي كلما ألمت بهم ضائقة جماعية كانتشار وباء وحصول الغلاء والجفاف[٣١].

والمسجد مكان للتجمع يعمل على توثيق الصلات بين الناس ويعزز العلاقات فيما بينهم ويتيح الفرصة لتفقد أحوال بعضهم الصحية والاجتماعية والاقتصادية، كما شهد المسجد أفراح المسلمين وأتراحهم فلا يكاد يموت فرد إلا ويكون المسجد آخر مكان يدخله قبل قبره، كما يبدأ بتأسيس الحياة الأسرية غالباً في المساجد فكثيراً ما كان المسجد ولايزال هو المكان المفضل لإعلان الزواج وإجراءات العقد الشرعي تبركاً به وتأسياً بفعل النبي ﷺ وقوله (أعلنوا هذا الأمر واضربوا عليه بالدف)[٣٢] وقد اعتاد أهل صنعاء أن يزفوا العريس من ديوان بيته إلى الجامع أو المسجد ثم يزفونه إلى الصرحة ليعود مرة أخرى إلى الديوان، ولهذا يمثل المسجد أحد الفضاءات المعمارية الهامة في عادات الزواج لروحانيته وقدسيته ورحابة طهر فضاءاته ولما كان المسجد بهذه الجاذبية وكان الناس مشدودين إليه بهذه المتانة وبتلك الرتابة والديمومة فإنه يوثق أواصر الأخوة بين المترددين عليه ويقيِّم من دعائمها ما لا يهدّها شيء بعد ذلك، فإن غاب فرد افتقدوه وإن مرض عاودوه وإن ضعف أعانوه.

لقد مثل المسجد المكان المناسب لتداول الحديث حول أمر ما طرأ ويراد مواجهته كتفريق الغرم على الأفراد وتفريز الزكاة وقد يتداعى الناس إلى المسجد لحل خلاف نشب أو فصل نزاع اشتجر بالقوة.

ومن المعروف أنه بعد الصلاة على الميت وأداء مراسم الجنازة والدفن يعلن أحد ذويه أثناءَ تقبل العزاء بالمشيعين قائلاً الدرس في الجامع أو المسجد الفلاني، ويكون اجتماع المعزين في المكان المعلن لتلاوة القرءان الكريم على روح الميت والدعاء له في ما بين صلاتي المغرب والعشاء ولمدة ثلاثة أيام يأتون إليها مع فوانيسهم ليستضاؤوا بها عند تلاوة القرءان لأن مسارج وفوانيس الجامع قد لا تفي بالغرض.

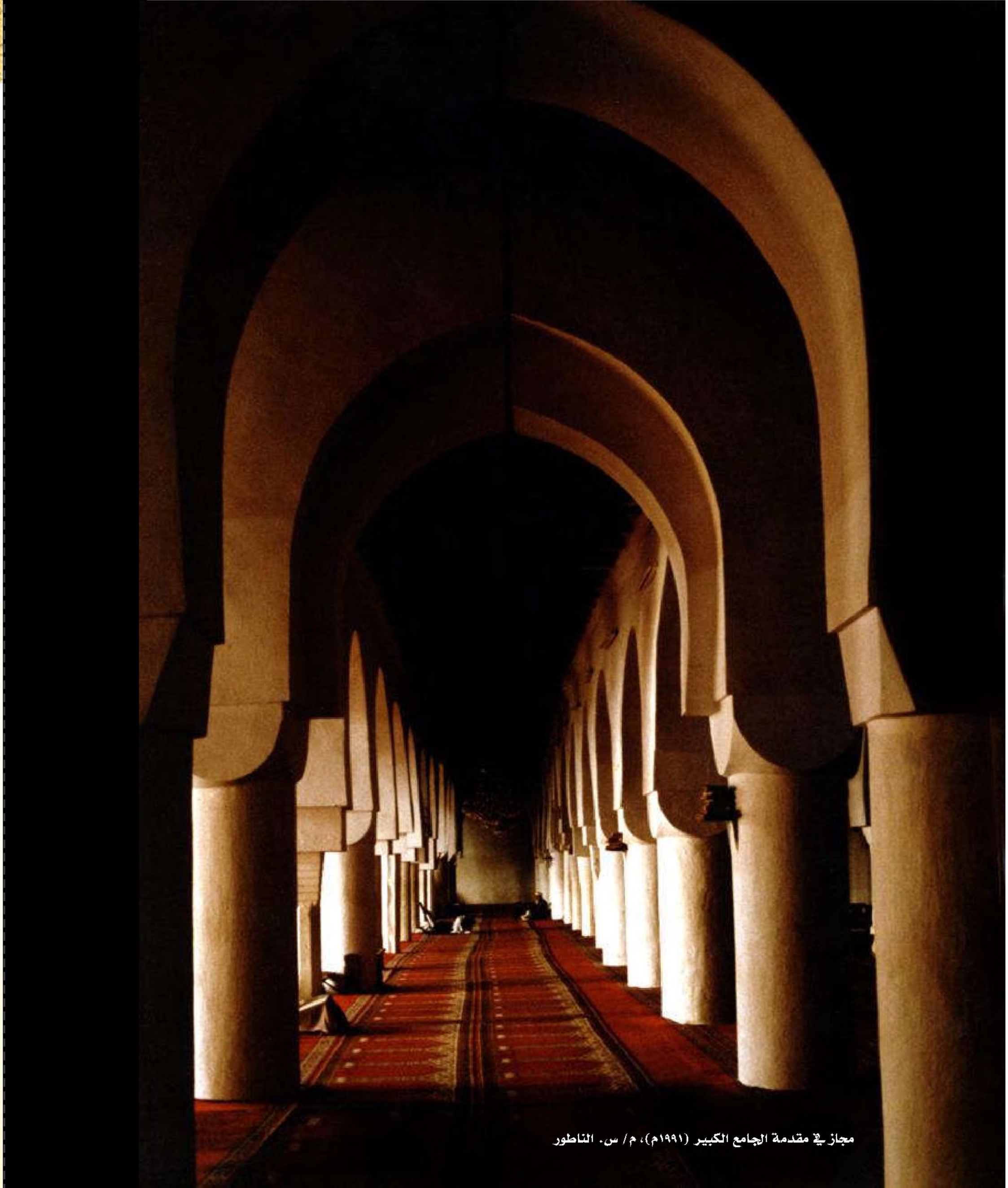
إن أهل صنعاء كغيرهم من حضر وريف اليمن يولون اهتماما كبيراً بموتاهم ويهرعون إلى تشييعهم إلى قبورهم ويتسابقون طمعاً في الثواب في حمل نعشهم وإحياء ذكراهم

بالدرس والذكر الحسن كما يتزاحمون في تقديم العون والمساعدة والمواساة لأهل الميت، وإن كانت الخصومة قائمة بينهم، وغالباً ما تنطوي صفحات الخصومة بينهم لتحل محلها المودة وتحل الكثير من الخصومات ودياً بتأثير عاطفي، هو في الأغلب نتاج للتأثير الروحاني للمسجد وتبلغ الحدث العاطفي حين الصلاة على الميت والدرس عليه في المسجد وكذلك أثناء جنازته ومواراته الثرى. وأول مؤشرات زوال هذه الخصومات هي عبارة "سامحنا يا الله وسامحنا يا ذاك (الميت)".

والكثير ممن يرى أنه في يوم ما كان بينه وبين الميت أو أهله سوء تفاهم أو خصومة أو ممن خصومته قائمة معه أو مع أهله، ويكون التأثير القوي حين الصلاة والسير في الجنازة والدفن إلى جانب أهل الميت ومن ثم تعزيتهم بالمصافحة وحضور الدرس فضلاً عن تقديم عرض المساعدة والمعاونة والمواساة، المادية والمعنوية، ولأن الوقت لا يسمح بالعتب يساعد في حل إشكاليات الخصومات وكثيراً ما يتحول حالها إلى النقيض وهي المودة.



حلقة درس لطلاب العلم في فضاء المقدمة للجامع الكبير



مجاز في مقدمة الجامع الكبير (١٩٩١م)، م/ س. الناطور

مساجد صنعاء القديمة

مساجد صنعاء القديمة ٤٦ مسجداً عامراً داخل محيط سورها بما في ذلك الجامع الكبير موزعة على أحيائها الثلاثة وقصرها، منها ١٦مسجداً في حي القطيع من بينها ٥ مساجد داخل السوق القديم وفي محيطه، أكبرها قبة البكيرية وأصغرها مسجد المفتون ومسجد الحميدي. بينما شمل حي السرار الشرقي ٢١ مسجداً أكبرها الجامع الكبير والذي يأتي مع مسجد محمود في الأطراف الغربية للسوق القديم كما يقع مسجد الزمر على محور الامتداد التوسعي للسوق شمالاً، أما أصغر هذه المساجد فهي مسجد الطاووس ومسجد القاسمي ومسجد الجديد.

أما حي السرار الغربي فقد أحتوى على ٦ مساجد أكبرها قبة المهدي وأصغرها مسجد الحرقان. وتوجد ٣ مساجد داخل محيط سور القصر أكبرها مسجد القصر وأصغرها مسجد الهادي.

إنَّ أقدم مساجد صنعاء هو جامعها الكبير والذي كانت عمارته الأولى (سنة ٦هـ/٦٢٧م) وأحدثها قبة المهدي (١١٦٤ هـ/ ١٧٥٠م) مع مسجد النور(معمر) والذي عمره أيضاً الإمام المهدي في النصف الثاني من القرن ١٢هـ/١٨م وفي حصر مساجد صنعاء يذكر المؤرخون أنها ١٠٦ مساجد[٣٣]. ولكن هذا العدد جاء نتيجة لحصرهم مساجد صنعاء داخل سورها وكذلك الموجودة خارجه في الأحياء التي أحاطت بالسور شمالاً وشرقاً وغرباً أو قد يكون هذا العدد تضمن المساجد الدارسة والمنسية والمساجد القديمة التي قامت محلها أو على أنقاضها مساجد جديدة كمسجد قبة طلحة ومسجد المذهب. ونجد في كتاب مساجد صنعاء للحجري ذكر نحو ٦٨ مسجداً مندرسا ومنسيا داخل حدود سور صنعاء القديمة.

ومن واقع الدراسة التحليلية التاريخية لنشأة مساجد صنعاء العامرة وجد أن نشأتها جاءت على ثلاث مراحل تاريخية هي:

المرحلة المبكرة (٦ - ٥٠٠ هـ/ ٦٢٧ -١١٠٦ م)

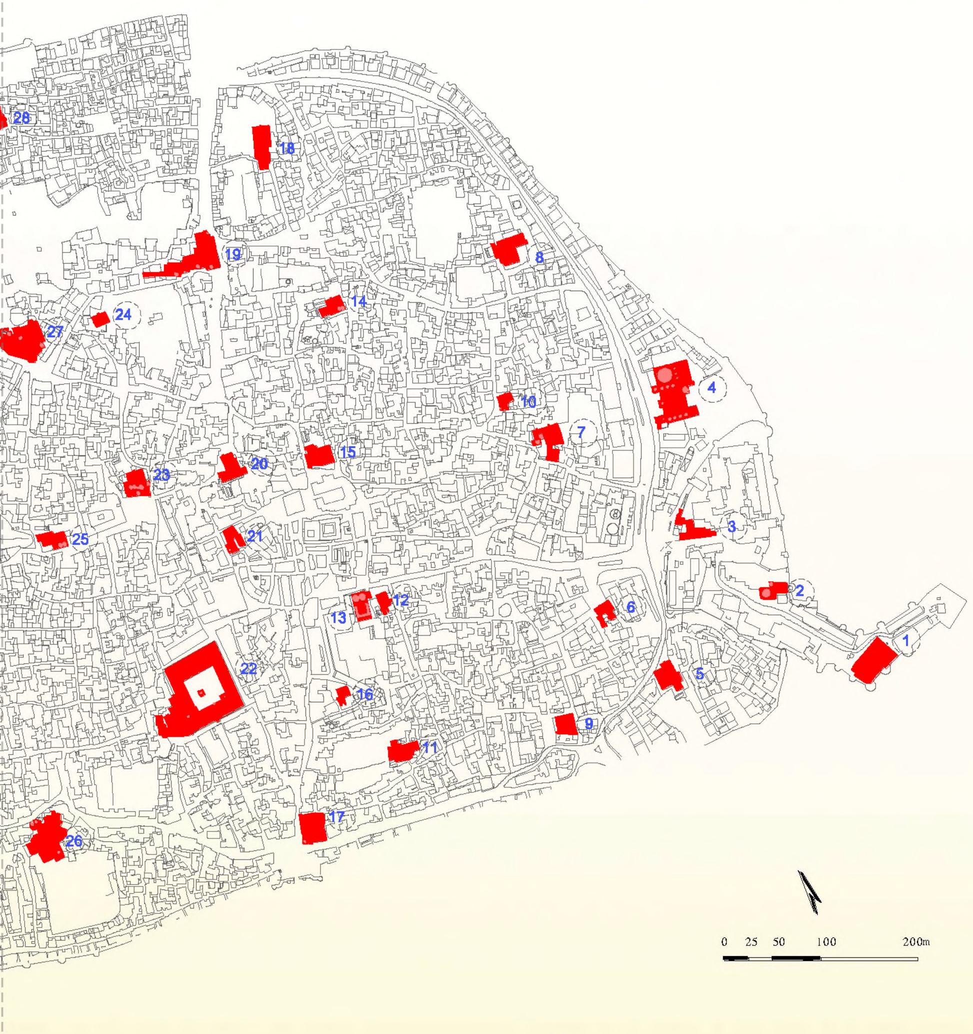
وبداية هذه المرحلة تحدد بعمارة الجامع الكبير في سنة ٦هـ وكذلك مسجد مصلى العيدين (الجبانة) ومسجد فروة بن مسيك اللذين يقعان خارج سور صنعاء القديمة من جهة الشمال وهذه المساجد الثلاثة لها قدسية لدى الناس لأنها عمّرت في بداية المرحلة المبكرة للإسلام وفي عهد الرسول ﷺ ومن مساجد هذه المرحلة مسجد الطاووس ومسجد الشهيدين ومسجد ابن الحسين ومسجد خضير (الأخضر) ومسجد علي ومسجد عقيل ومسجد الخرَّاز ومسجد جمال الدين ومسجد محمود ومسجد المذهب ومسجد الهادي داخل القصر ونتاج التحليل التاريخي المعماري لهذه المساجد، عدا الجامع الكبير، نجد أن عمارتها قامت على أسس تصميمية وتخطيطية اعتمدت في الأساس القيم المعمارية المكتسبة، بيئياً وتقنياً، والتوجهات الرئيسية في عمارة المسجد (المثال الأول) ولهذا مثلت البدايات الأولى لعمارة المسجد في صنعاء خاصة وفي شتى المناطق اليمنية عامة (الجَند، حَضرمَوت، زَبِيد، صعدة، جِبْلَة، ذي أَشْرَق، عَدَن، أَبْين...).

المرحلة الوسيطة (٥٠١ هـ - ٩٠٠هـ/١١٠٧-١٤٩٤ م)

وفي هذه المرحلة دخلت بعض التحسينات الوظيفية والجمالية في عمارة المسجد وفي تطور نوعي جاء نتيجة لعدة مؤثرات، سياسية واجتماعية واقتصادية، شهدتها اليمن عامة وصنعاء خاصة، ونجد نتيجة لهذا ظهور المساجد الكبيرة نسبياً مثل مسجد الفليحي (٦٦٥هـ/١٢٦٦م) ومسجد صلاح الدين (٧٩٣هـ/١٣٩٠م) ومسجد الأبهر (٧٧٦هـ/ ١٣٧٤ م). كما نجد أن لنمط عمارة مساجد زبيد تأثيراً أيضاً، ولا سيما في أسلوب بناء المئذنة كمئذنة (صومعة) مسجد معاذ (ق٧هـ/١٣م).

المرحلة الحديثة (٩٠٠ - ١٣٠٠هـ/١٤٩٤-١٨٨٢م)

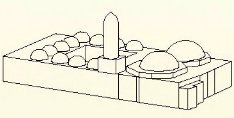
تمتاز هذه المرحلة بتأثير العمارة العثمانية على عمارة المساجد خاصة، ولكن تأثيرها جاء محدوداً، مع النمط المعماري السائد لمدينة صنعاء من حيث التشكيل المعماري للفضاءات وظيفياً وجمالياً، أفقياً ورأسياً. ولهذه المرحلة خاصية تاريخية هامة فقد شهدت صنعاء تناوب السيطرة عليها بين العثمانيين الأتراك والأئمة الزيديين، فجاءت مساجد هذه المرحلة من حيث النشأة نتيجة لهذه المتغيرات السياسية، وتعد قبة المرادية (٩٨٤هـ/ ١٥٧٦م) أول مساجد هذه المرحلة، ومسجد النور (معمر) آخرها، بل وأحدث مساجد صنعاء القديمة في النصف الثاني من القرن ١٢هـ أما أكبر مساجد هذه المرحلة فهو قبة البكيرية (١٠٠٥هـ/١٥٩٦م) وأصغرها مسجد غزل الباشه، في النصف الثاني من القرن (١٢هـ/١٨م) وأهم خصائص هذه المرحلة ظهور المساجد المسقوفة بقبة مركزية تغطي بيت الصلاة فيها، وكان من هذه المساجد قبة اسكندر (٩٦٧ هـ/١٥٦٠م)[٣٤].

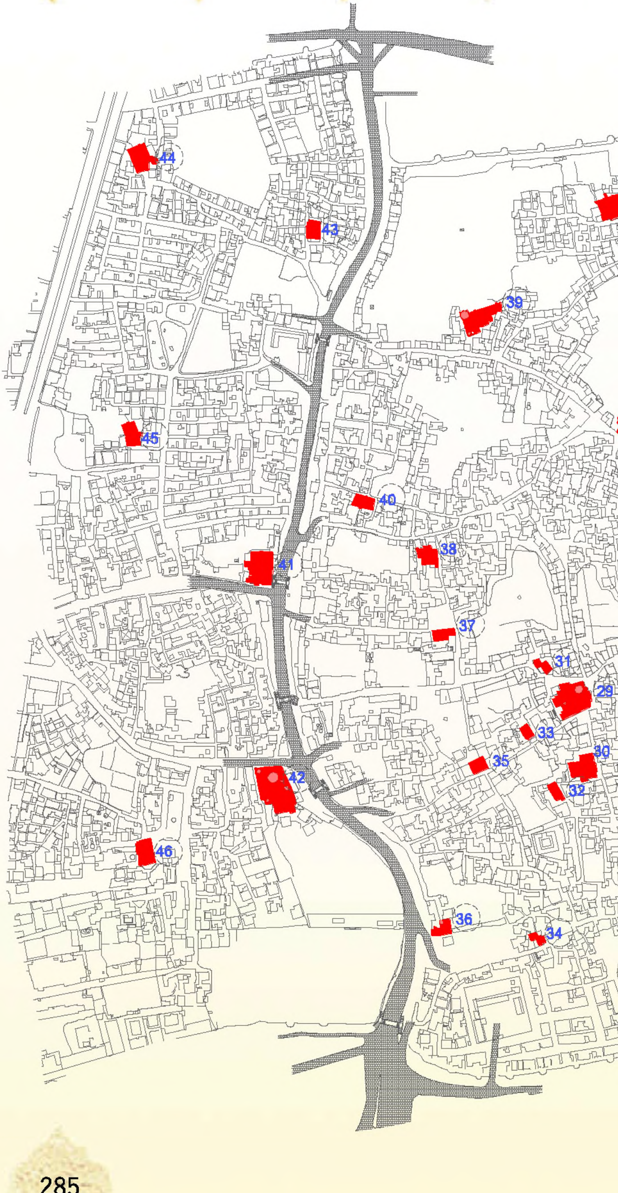


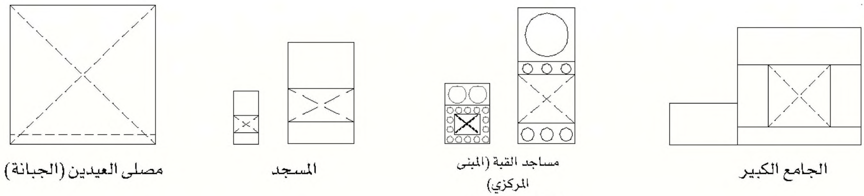
28
18
19
8
14
24
27
4
10
7
15
20
23
3
25
21
2
12
13
6
1
22
5
16
9
11
17
26
0 25 50 100 200m

مساجد صنعاء القديمة

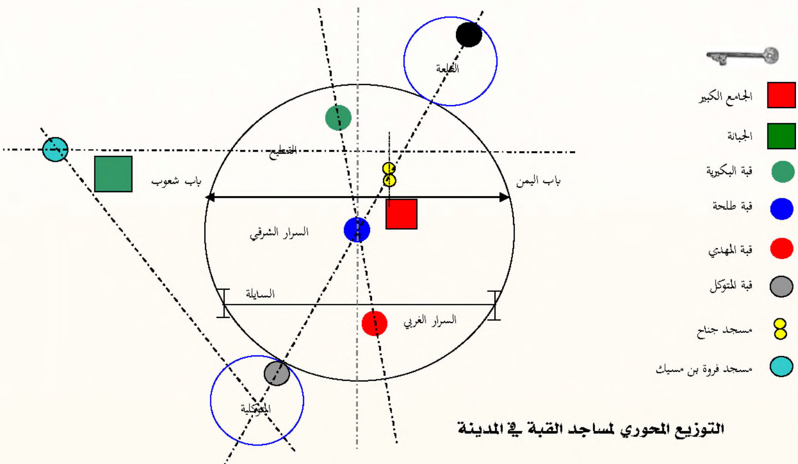
١. القصر
٢. قبة المرادية
٣. الهادي
٤. قبة البكيرية
٥. الباشه
٦. الأبزر
٧. صلاح الدين
٨. المدرسة
٩. نصير
١٠. المفتون
١١. موسى
١٢. المذهب
١٣. جناح
١٤. الطواشي
١٥. عقيل
١٦. الحميدي
١٧. الرضوان
١٨. خضير
١٩. الزمر
٢٠. الشهيدين
٢١. علي
٢٢. الجامع الكبير
٢٣. محمود
٢٤. غزل الباشه
٢٥. داود
٢٦. الأبهر
٢٧. الفليحي
٢٨. النور (معمر)
٢٩. قبة طلحة
٣٠. معاذ
٣١. الطاووس
٣٢. الجديد
٣٣. جمال الدين
٣٤. القاسمي
٣٥. الوشلي
٣٦. بروم
٣٧. الخراز
٣٨. ابن الحسين
٣٩. العلمي
٤٠. الجلاء
٤١. النهرين
٤٢. قبة المهدي عباس
٤٣. فايع (سمرة)
٤٤. الحرقان
٤٥. الطبري
٤٦. التقوى



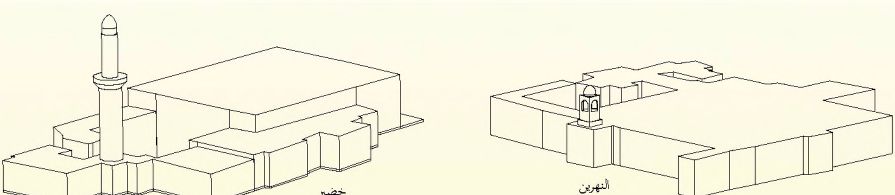




التشكيل النمطي لعمارة المسجد

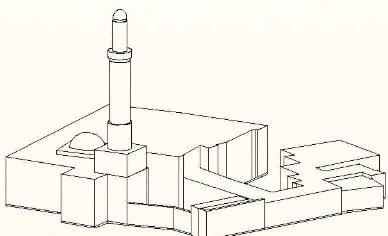


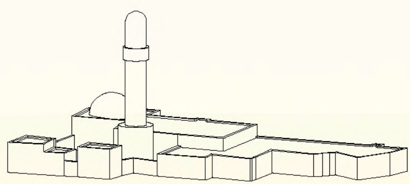
التوزيع المحوري لمساجد القبة في المدينة

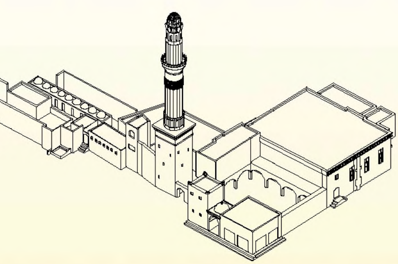


المسجد معلم هام ورئيسي ومحور التكوين لنسيج المدينة والحي والحارة:

- الجامع الكبير معلم رئيسي لمدينة صنعاء (مئذنتان عاليتان غير مزخرفتين).
  - مسجد القبة (المبنى المركزي) معلم رئيسي للحي السكني في المدينة القديمة.
  - قبة البكيرية معلم حي القطيع (مئذنة عالية مزخرفة).
  - قبة طلحة معلم حي السرار الشرقي (مئذنة متوسطة مزخرفة).
  - قبة المهدي معلم حي السرار الغربي (مئذنة عالية مزخرفة).
- مسجد القبة (المتوسط والصغير) معلم رئيسي للقلعة (قصر السلاح) وقصر المتوكل (المتوكلية) والسوق والجبانة.
  - قبة المرادية معلم للقلعة (مئذنة عالية غير مزخرفة).
  - قبة المتوكل معلم للمتوكلية (مئذنة قصيرة مزخرفة).
  - قبتا مسجد جناح معلم للسوق - المركز (مئذنة متوسطة غير مزخرفة).
  - قبة مسجد فروة بن مسيك معلم للجبانة (مئذنة متوسطة غير مزخرفة).
- المسجد معلم رئيسي للحارة السكنية والمسجد الذي تعلوه مئذنة عالية، فبالإضافة إلى كونه معلماً رئيسياً للحارة التي يتمركز فيها يشكل معلماً رئيسياً لمنطقة الجوار، لعدد من الحارات المتجاورة، حيث تم توزيع المساجد التي تعلوها المآذن العالية وكذلك المتوسطة في أحياء المدينة وفق الكثافة البنائية، الأفقية والرأسية، لمناطقها.


صلاح الدين


العلمي


الزمر

عناصر تشكيل فضاءات المسجد

يأتي الحديث هنا حصراً بالمساجد عدا الجامع الكبير، وذلك لوجود اختلافات في الدور الوظيفي لبعض عناصر فضاءاته الوظيفية، وسيتم تفصيل عناصر تشكيل فضاءاته في سياق الحديث عنه. وعناصر تشكيل فضاءات المسجد عموماً تصنف على النحو الآتي:

العناصر الرئيسية

وتتألف من المدخل، والصحن (الصوح)، وبيت الصلاة (البَنِيَّة).

المدخل

لكل مسجد مدخله الرئيسي وله أيضاً عدد من المداخل الثانوية الأخرى التي تؤدي إلى بيت الصلاة (البنية) مباشرة أو إلى الفناء (الصوح)، غير أن المدخل الرئيسي غالباً ما يؤدي إلى ساحة توزيع بين الفضاءات الطاهرة وفضاءات الطهارة، فيما يتم توظيف بقية المداخل للتفريغ وكذلك للدخول المباشر للمصلي المتطهر سلفاً قبل مجيئه إلى المسجد، وعملت أبواب المداخل من الساج أو خشب الطنب وزخرفت بالحفر الغائر والبارز عليها، وكذلك بالتطعيم بأوتاد (مسامير) الحديد ذات الرؤوس المدببة والمكورة.

إن مداخل المساجد جاءت بسيطة، إذ فتحت على جدار بيت الصلاة أو جدار الصوح وكملتها عقود نصف دائرية في الغالب وأحيانا عقود مدببة أو مخموسة، وميزت المداخل الرئيسية في كثير من المساجد حيث تقدم الباب فضاء معماري برز عنه، وسقف بقبة صغيرة تعلو العقود النصف دائرية الثلاثة للكتلة البارزة المدعمة بعمودين وجدار كتلة المسجد النافذ منها المدخل، عدا ذلك يتميز وينفرد المدخل الرئيسي (المشترك) بين مسجد جنَاح ومسجد المَذْهَب المتجاورين إذ تعلو مدخلهما مئذنة مسجد جنَاح، والتي يتم الصعود إليها من صوح مسجد المذهب. ومثلت المئذنة التي علته والعقود النصف دائرية التي تشكلت في مقدمة ومؤخرة فضاء الفراغ النافذ لقيمته الاعتبارية الرمزية في تأكيد المدخل بقوة.

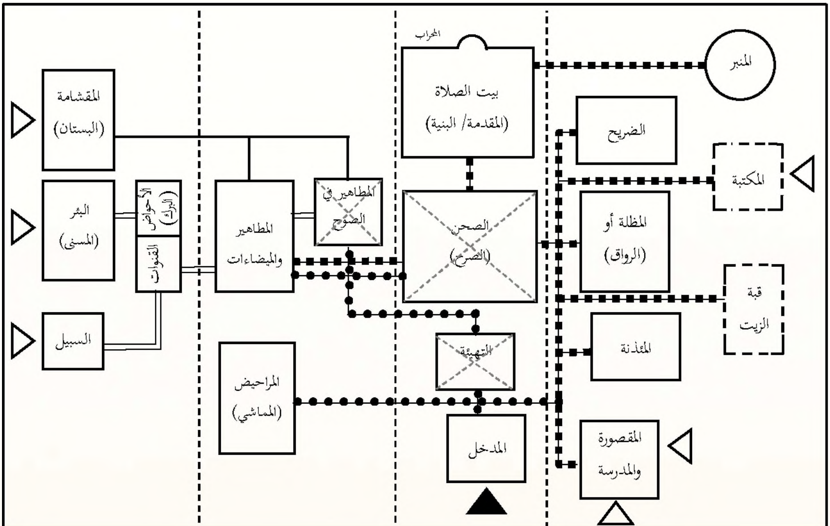
الفِناء (الصوح)

إن من شروط دخول حرم المسجد الطهارة فعند الدخول من المدخل الرئيسي توجد مساحة توزيع بين الحرم المتوجب أن يكون فيه المتعبد طاهرا وبين الفضاءات المخصصة للطهارة (المطاهير والمماشي) ومن خلالها يتم الاتصال مرة أخرى بالحرم الرئيسي البنية ولهذه المعطيات التصميمية فقد لزم وجود فضاء فاصل يؤدي الدورين معا، ولهذا جاء الصوح في مساجد صنعاء، إذ يعمل الصوح كفضاء توزيع للحركة بين الفضاءات الأساسية والخدمية والتكميلية للمسجد كما يؤدي دورا وظيفيا مكملا لبيت الصلاة في أداء الشعائر الدينية عند الزيادة العددية والتي لا تستطيع مساحة هذه الفضاءات استيعابها.

إن وجود الصوح في جميع مساجد صنعاء جاء وفقاً لاعتبارات وظيفية وبيئية. ولأن مدينة صنعاء سوق تاريخي ومركز إداري، لهذا تتجه الحركة إليها من شروق الشمس إلى قرب الغروب وتصبح الحركة داخلها في ذروتها ما بين الضحى والظهر، أما الحركة داخلها ليلاً فتكون في أدنى معدل لها وتكاد تنعدم، ومما أضعف الحركة الداخلية فيها ليلاً الفارق الكبير في معدل درجات الحرارة بين الليل والنهار، ويرتفع هذا الفارق إلى أعلى معدل له في فصل الشتاء، ولهذا لزم وجود الصوح وذلك لتوفير متطلبين:

- زيادة إمكانية القدرة الاستيعابية للمسجد، ساعات ذروة الحركة، في النهار وذلك بزيادة المساحات المكشوفة (الفضاءات الطاهرة) والتي أرفقت بمطاهير مكشوفة أيضاً في الكثير من المساجد.
- حصر مساحة الفضاءات المسقوفة، في البنية، والمطاهير والمقصورات وذلك لضمان إمكانية التحكم والسيطرة في حفظ الحرارة المتطلبة للمصلين في فروض المغرب والعشاء والفجر، فضلاً عن الأوقات التي يقضيها المتعبد ليلاً في المسجد ولا سيما في ليالي رمضان، وللاعتبارات سالفة الذكر فإن عدد المصلين في هذه الأوقات يقل كثيراً جداً عن عددهم في النهار، ناهيك عن أن الكثير من المصلين يفضل أن يؤدي صلاته في المسجد الكبير تبركاً لقدسيته ولهذا نجد أن بيوت الصلاة في معظم مساجد صنعاء قد أتت صغيرة، وقد عمدت الكثير من المساجد في العصر الحديث إلى توسعتها على حساب صوحها في الغالب.

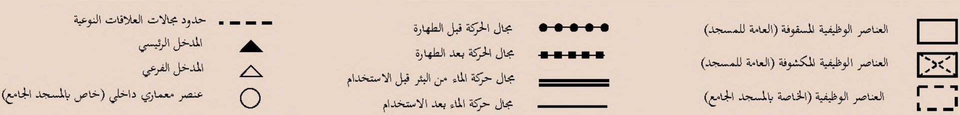
يؤدي الصوح دوراً اجتماعياً هاماً إذ يعمل عمل تهيئة الأجواء المناسبة في أداء دور المسجد للمناسبات الاجتماعية والتي تسترعي اهتمام أغلب سكان المدينة ولا سيما الصلاة على الميت والتي تعقبها حركة سير الجنازة وشعائر العزاء الدرس على روح المتوفى، وكذلك أفراح الأعراس وبالأخص الزفة، والتي اعتاد أهل صنعاء على أن تكون جهتهم الأولى المسجد ومن ثم الصرحة،



الوظيفة النوعية	الثانوية	الرئيسية	الخدمية (الرئيسية)	الخدمية (التكميلية المساعدة)
المجال الخاص	الثقافي والاجتماعي	الديني والثقافي والاجتماعي	البيئي (الطهارة)	الاقتصادي والاجتماعي والبيئي
المجال العام	السياسي، الثقافي، التعليمي، الإعلامي، الاجتماعي، الاقتصادي، البيئي			

العلاقات الوظيفية (للمسجد والمسجد الجامع) الرئيسية والثانوية والخدمية الرئيسية والخدمية





ولهذه المعايير فإن للصوح أهمية وظيفية أخرى إذ يلجأ إليه الكثير من المصلين لقضاء وقتهم في ظلال أركانه أو مظلاته في النهار انتظاراً لأوقات الصلاة ويقضون هذه الأوقات إما بالدرس وتلاوة القرءان أو بإدارة الحديث مع بعضهم البعض في شتى مناحي الحياة الدينية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية. وحين التفرد يلجأ بعضهم إلى التأمل الروحاني فالفضاء المكشوف للصوح وارتباطه المباشر بالسماء ومحيطه البيئي يزيد من قيمته المكانية الروحية للتأمل وللقدسية المكانية يصبح هذا التأمل روحانيا مما يكسب النفس نقاءً يرقى بها إلى الطهارة الروحية والتي تتولد نتاج التفاعل الروحي للمتأمل مع الفضاءات الرحبة ذات الاتصال الطبيعي لمحيطها والتي يوفرها الصوح، وهو على عكس البنية التي يعمد المعمار على إظهار مضامينها بمظهر يوحي بالرهبة وذلك من خلال محاولاته زيادة الفارق في علو سقفها عن أرضيتها وكذا باعتماد القبة في التسقيف بغية الارتقاء النوعي بالبنية، فقد ترك فضاء الصوح مفتوحا ليؤدي وظيفته التي تكاد تكون بنفس الأهمية الوظيفية للبنية اعتباريا ويرقى عنها في كونه فضاء حركة وتوزيع وفضاء يجمع بين الحياة الدينية والدنيوية اجتماعياً واقتصادياً، ففيه يتم الفصل في القضايا الاقتصادية والاجتماعية وكذلك السياسية. وإذا أحيط بأروقة (مظلات مسقوفة) في جوانبه فإن هذه المساحات المظللة تكتسب قدر حرمة البنية، ولهذا نجد الكثير من المؤرخين يحتسبون هذه الفضاءات وكأنها جزء لا يتجزأ من البنية، وحين الفصل نجدهم يميزونها عن فضاء الصوح المكشوف، غير أن ارتفاع سقف هذه الفضاءات (المظلات أو الأروقة) أقل ارتفاعا من سقف البنية وبها وبالسور وجدران البنية يتحدد الصوح، ويعد صوح مسجد جنَاح أكثر انتظاماً في ارتفاعات مبانيه المحيطة ومساحته مربعة الشكل يأتي بعده صوح الجامع الكبير وصوح قبة البكيرية. فيما تأتي أصواح بقية المساجد الأخرى غير منتظمة في ارتفاعات مبانيها المحيطة أو في التوزيع المساحي لفضاءاتها.

ويشكل فضاء الصوح من المساحة المتبقية في تشكيل فضاءات المسجد المسقوفة، ولهذا فهو غير منتظم وقد يحيط بالبنية من جهة كصوح مسجد الأبهر أو من جهتين كقبة طلحة. فالمحدد الرئيسي في تشكيله الفضائي قد اعتمد مبدأ توزيع الفضاءات الرئيسية والثانوية والخدمية بنظام التصميم الحر المتوافق مع المساحة المحددة.

وترصف (تبلط) أرضية الصوح عادة بأحجار الحبش المسامية، وصوح الجامع الكبير المثل الاعتباري الذي أتخذته بقية المساجد في رصف أرضية أصواحها.

بيت الصلاة (البَنِّية)

غلبت تسمية بيت الصلاة بالمقدم، أما في صنعاء فتسمى بالبنية وهي الفضاء المعماري الرئيسي في تكوين المسجد ومحور التصميم المعماري لفضاءاته وموضع العناية والاهتمام، ويتم توجيه عمارتها نحو (المحدد الأساس) اتجاه الكعبة المشرفة، ولهذا فإن جدار القبلة فيها يحظى بالاهتمام الكبير والعناية بزخارفَ قصِّية، كتابية وهندسية ونباتية على هيئة أشرطة منفصلة منتظمة وغير منتظمة مؤطرة وغير مؤطرة المساحة، ولا تفتح النوافذ وفتحات التهوية في جدار القبلة ويمكن عمل الخزائن الجدارية لحفظ الكتب ومصاحف القرءان الكريم فيها، ويتوسط جدار القبلة فضاء المحراب ليشكل التوجه المحوري الرئيسي لعمارة المسجد، ويحظى المحراب هو الآخر بعناية كبيرة في تشكيل فضائه وزخرفة إطاره الجداري الذي تغلب عليه الزخرفة الكتابية كالْبَسْمَلة وبعض الآيات القرءانية ذات الدلالة (وخاصة آية الكرسي)، والمؤطَّرة بأطر زخرفية هندسية ونباتية.

وبقية جدران البنية الأخرى تفتح فيها النوافذ والأبواب إلى جانب خزائن المصاحف والكتب وتعنى أيضاً بزخارف شبيهة بنوعية جدار القبلة ولكنها أقل منها مساحة وكثافة نوعية. وفي مساجد صنعاء لا يتقدم بنيتها المنبر عدا الجامع الكبير وذلك لأن خطبة وصلاة الجمعة كانت لا تؤدى إلا فيه، وإضافة منبر قبة البكيرية جاءت متأخرة عن عمارتها الأولى بنحو (٣ ق.) وجاء إستثنائياً.

ويعنى المنبر أيضاً بالاهتمام الكبير والتشكيل الزخرفي أكثر في عناصر البنية الأخرى. وما عدا الجامع الكبير، أتت مساقط بنيات المساجد الأخرى في عمارتها الأولى مربعة واتخذت الشكل المستطيل نتيجة للتوسعات، ولا سيما الحديثة منها مثل مسجد جناح ومسجد فروة بن مسيك ومسجد الحرقان وغيرها، ولهذا استحدث في جدار القبلة لكل منها محراب جديد ليتوسطه وبقيت معالم المحراب القديم بارزة



بيت الصلاة (مسجد الأبزر)



١

وتحورت وظيفته لاستخدامات أخرى (خزانة لحفظ المصاحف أو أجهزة مكبر الصوت) وسقفت بنيات مساجد صنعاء القديمة بنوعين من الأسقف غلب عليها التسقيف المستوي وسقفت بنيات أربعة مساجد بقبة مركزية ما عدا مسجداً واحداً (جناح) سقفت بنيته بقبتين مركزيتين أيضاً والتباين البسيط في شكلهما يدل على نشأتهما المتباينة كنتاج للتوسع اللاحق في بنية المسجد.

والخصائص التاريخية لنوعية تسقيف بنية المسجد تم شرحها بإسهاب في النشأة والتطور.

وتنظم خطوط الصلاة على أرضية البنية بمعايير قياسية محددة (١,١م) بين كل صفين عدا الصف الأول، ويتضح ذلك في فرشها الحديث بالسجاد المصمم خصيصاً لها. ويشغل المصلي الواحد (١.٠٥م٢) في مساحة البنية.

ولأن كل مصلي يمثل أبعاداً مساحية في تحديد المساحات وأبعاداً فراغية في التشكيل الفضائي، الهيكلي، فإن مساحة الفضاء وقدرته الاستيعابية حددتا الحد الأدنى من الارتفاع وذلك بغرض تناسب الفراغ مع متطلبات التهوية والإضاءة الطبيعية وبما يحقق أيضاً الارتياح الحراري. وفضلاً عن هذا يأتي دور الاعتبار الروحي لمكانة وقدسية المسجد في زيادة ارتفاع البنية لتتباين بذلك عن بقية الفضاءات الوظيفية الأخرى ولم يبالغ المعمار في عمارة بنية مساجد صنعاء في

٢



الارتفاع كثيراً وذلك مراعاة لتوفر الحد الأدنى للارتياح الحراري وأنعكس هذا أيضاً في بنية مساجد القبة فلم يزد ارتفاعها إلا بمقدار النصف تقريباً، ورغم روح البساطة في بناء البنية في مساجد صنعاء إلا أنها تعطي المتعبد فيها إحساساً وشعوراً بالرهبة والخشوع لقدسية المكان وصلته بالخالق المعبود.

العناصر الثانوية

وتشتمل على المئذنة، ومقصورة الدرس (المعلامة)، والضريح، والميضاءات (المطاهير)، والمراحيض (المماشي).

المئذنة

المئذنة هي موضع مناداة المؤمنين خمس مرات في اليوم إيذاناً بمواقيت الصلاة[٣٥]، وتباينت من مسجد إلى آخر من حيث البناء والارتفاع والزخرفة، ولأهميتها تمت دراستها كموضوع مستقل في نهاية هذه الدراسة.

مقصورة الدرس (المعلامة)

هي فضاء معماري ملحق بالكثير من المساجد وبالأخص الكبيرة والمتوسطة أو بجواره وقد تكون في أحد الأروقة المحيطة بصوح المسجد عندما لا يكون هناك فضاء مخصص لها.

ويأتي إليها الأطفال بعد السادسة من العمر يومياً لتعلم القرءان الكريم وكذلك مبادئ القراءة والكتابة والحساب، وتباينت مساحاتها من مسجد إلى آخر.

الميضاءات (المطاهير)

إن طهارة البدن شرط أساسي من شروط صحة الصلاة والعبادة[٣٦]، فقد أتت المطاهير أحد أهم الفضاءات المعمارية الخدمية للمسجد وعلى الرغم من عدم إشارة الكثير في المصادر التاريخية لها في وصف عمارة صنعاء إلا أنه من البديهي أن تكون ضمن تكوين المساجد المنتشرة في وسط المدينة وفي مركزها وذلك لدورها الخدمي الهام لمريدي المدينة من الخارج، وتذكر بعض المصادر التاريخية في أول إشارة لها كان المتعبد يحضر إلى المسجد طاهراً من بيته[٣٧] أو مكان إقامته في النزل (السمسرة) أو بيت مضيفه أو حين يتطهر في الحمام الساخن. إلا أن دلالة المعنى في هذا قصد المساجد الصغيرة والتي انتشرت بكثرة آنذاك في حارات خارج المركز منها المنسية والتي لم تكن لها خدمات أو وقف للعناية بها.

والمطاهير نوعان من حيث التشكيل الفضائي، إما فضاءات مسقفة، أو بدون سقف محدودة الارتفاع، وقد يحتوي المسجد الواحد على النوعين معاً ضمن تكوينه المعماري.

ويختلف نظام الميضاءات (المطاهير) في مساجد صنعاء وبعض المناطق اليمنية عن غيره من نظم الميضاءات في العالم الإسلامي إذ تعتمد أولاً على تقديم بركة غسيل الأرجل (المرجو) عند الدخول والخروج ثم تأتي بعدها أماكن الوضوء وبالمقابل لها (المغاطس) والتي ينزل فيها المتطهر نحو ثلثي جسده ليغتسل كاملا، ولهذا سميت بالمطاهير وليس بالميضاءات. وتوزع فضاءات المغاطس إلى وحدات وبشكل شريطي يلتف بنحو نصف فضاء المطاهير على جانبيها المتعامدين. ويلجأ الكثير من المصلين إلى الطهارة بهذا النظام وخاصة في الظهر. ولبعض المساجد برك استحمام بطريقة السباحة، وهذه البرك مكشوفة وتجاور المطاهير لعلاقة الربط بمصدر الماء، ولا توجد أماكن قضاء الحاجة ضمن فضاءات المطاهير فقد تم عزلها تماماً عن الفضاءات الداخلية للمسجد وحدوث أماكنها في مواضع هامشية ملتصقة أو تجاور إحدى جهات المسجد الخلفية أو الجانبية، ويتم الوصول إليها عبر ممر منكسر حفاظاً على نقاءِ جو المسجد من الروائح الكريهة وتسمى المتخذات.

إن تصميم فضاءات المطاهير قد عالج الظروف البيئية والمناخية بأن أعطى للمدخل انكساراً يحول بين تأثير العوامل الخارجية على الداخلية، في حين خلت الجدران من النوافذ وعمد إلى إدخال الإضاءة الطبيعية من السقف وذلك بفتح فتحات غطيت بشرائح الرخام الشفافة قديماً إلى أن حل محلها الزجاج، وربما كانت مفتوحة تماماً لأن دورها في هذه الحال طرد الهواء الساخن. وتحتفظ بالمعيار القياسي لدرجة حرارة فضاءات المطاهير حين اشتداد البرد وفي أدنى الحدود، وذلك بالمتابعة المستمرة لإحكام غلق الأبواب المتصلة بالخارج للمطاهير مصدر دخول تيار الهواء البارد المحدث للخلخلة الهوائية باستمرار تدفق تيار الهواء الذي يتحول حين اشتداد البرد إلى رياح مستمرة الحركة وبشدة وذلك نتاجَ التباين الكبير بين درجتي الحرارة خارج وداخل فضاءات المطاهير. فالمطاهير المسقوفة تتصل عبر ممر ببيت الصلاة من خلال باب يليه جدار ساتر محدود الارتفاع.

١. بيت الصلاة (مسجد معاذ)
٢. صوح مسجد الأبهر

تنشأ المطاهير وفق عملية بناء المسجد الصنعاني مادة وتقنية وهي من دور واحد وتكسى جدرانها الداخلية وقنوات جريان الماء وتصريفه بالقضاض لخاصيته في العزل. وقد تزين بعض جدرانها، لا سيما في المدخل، الزخارف المعمولة بالقضاض، وكذلك هي الحال في جدرانها الخارجية وحول مساريبها وقنواتها الخارجية على الواجهات.

ولنقاء المياه العادية للمطاهير وبرك الاستحمام المستبدلة يومياً وخلوها من مواد التنظيف والنظافة الكيماوية يتم الاستفادة منها لري البساتين والمقاشم الموقوفة على المسجد المجاورة له، وهذا النظام لا يزال متبعاً في الكثير من مساجد صنعاء إلا أن المواد والتقنيات الحديثة في التمديدات الصحية حلت وبشكل نسبي مكان التمديدات التقليدية مما أحدث بعض التغييرات البسيطة غير الجوهرية. فيما استحدثت للمساجد الصغيرة ميضاءات حديثة.

الضريح

ويقام في الأصل لتكريم رفات شخصية، دينية/ سياسية/ اجتماعية، محددة، ولقد اتخذ من الأضرحة التي قبر فيها الأنبياء الأوائل والصالحين مزارات كضريح النبي هود، في وادي حضرموت، وضريح أحمد بن علوان في يفرس محافظة تعز، وضريح العيدروس في كريتر عدن، وأضرحة الإمام الهادي في صعدة وغيرهاً من الأضرحة المنتشرة في مناطق اليمن الغربية والجنوبية والشرقية التي خصت بالزيارات السنوية المعلومة والمحددة الوقت، واهتمام الناس بالأضرحة وإحياء ذكراها قد تحول إلى ما يشبه الأعياد، وتنامى اهتمام الناس بها، لكونها أوجدت مع إحياء ذكراها الأسواق الموسمية، ولكن الأضرحة الملحقة بالمساجد في صنعاء وإن كانت الزيارة لها بغرض الذكرى والتذكر فلم تكن زيارتها موسمية مقترنة بالاحتفالات وإحياء الأسواق. وعلى الرغم من أن الأضرحة المقامة ضمن مساجد صنعاء لم تتخذ سلوك المزارات في إحياء ذكراها إلا أنها حظيت بالعناية والاهتمام وتخص بالاحترام لأن الكثير ممن تحوي رفاتهم مثلوا الصفوة، لاسيما في مجال العلم ولم يدخل الضريح كشرط أساسي ضمن مكونات المسجد في صنعاء إلا أن عدداً من المساجد خصصت مواضع للضريح، إما في حرم فضاء بيت الصلاة ويكون في أحد أركانه الخلفية، الشرقية والغربية، مثل الجامع الكبير، ومسجد الشهيدين، أو خصصت فضاء مستقلاً للضريح وجاء بناؤه متميزاً، بتسقيفه بالقبة، عن بيت الصلاة المستوية التسقيف مثل مسجد العلمي ومسجد الأبهر ومسجد الفليحي، وفي مساجد القبة التي خصت الضريح ببناء مستقل سقف بالقبة أيضاً وجاء قريب الشبه ببيت الصلاة، ولكن أقل مساحةً وارتفاعاً مثل قبة المهدي وقبة البكيرية، والأضرحة المسقوفة بقبة لم تتقدم بيت الصلاة، جهة القبلة.

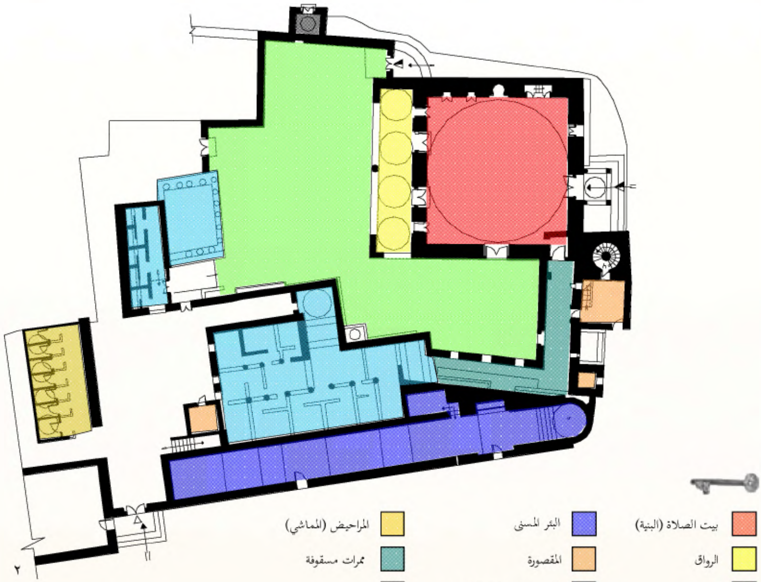
العناصر الخدمية المساعدة

تكتسب العناصر الخدمية المساعدة أهمية في تقديم خدمات هامة وذات علاقة مباشرة وغير مباشرة بالمسجد أو ترتبط معه بعلاقة تبادلية عكسية كالمقاشم التي تستغل مياهه في الري فهي تجاوره وهي وقف عليه وكذلك السبيل في مياه الشرب، وتتكامل هذه الوظائف جميعاً في المساجد الكبيرة نسبياً من حيث المساحة والحجم والقدرة الاستيعابية وتقل في المتوسطة وتصل إلى أدنى حدودها في الصغيرة لتتحد أساساً في العناصر الوظيفية الرئيسية وما أمكن من العناصر الثانوية، الخدمية، وأهم العناصر المساعدة، التكميلية، هي البئر المسنى، فهو المدد الرئيسي لمياه الوضوء، وري زرع مقشامة المسجد، ومياه الشرب عبر السبيل وتزويد مباني الجوار السكنية والتي ليس لها آبار لمياه الشرب والاستخدام عبر المحسنة، وهذا ما عزز من قوة ومتانة علاقة المسجد بالمجتمع.

وهناك عناصر وظيفية هامة أخرى ولكنها تدخل ضمن تكوين العناصر الوظيفية الفضائية ومن أهمها المكتبة التي تدخل ضمن فضاء بيت الصلاة.



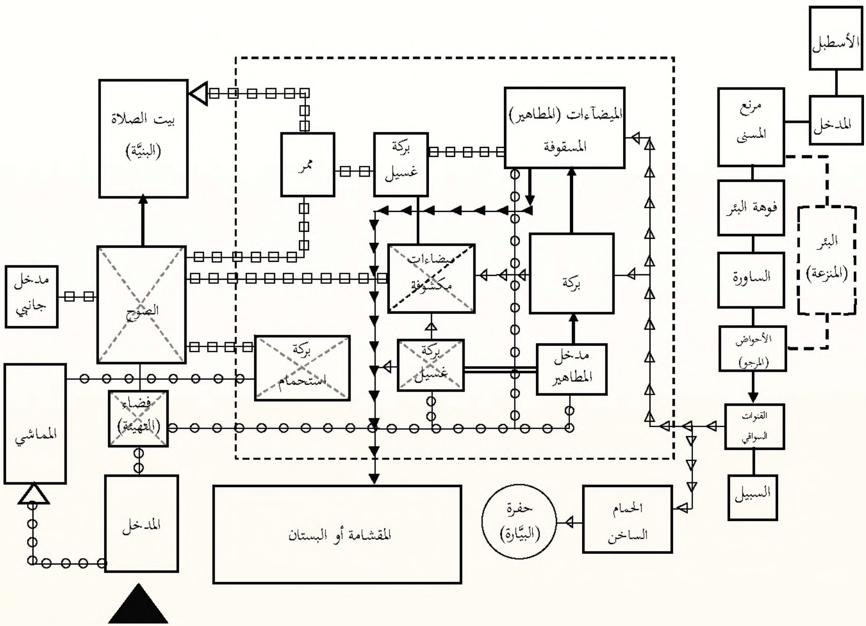
١



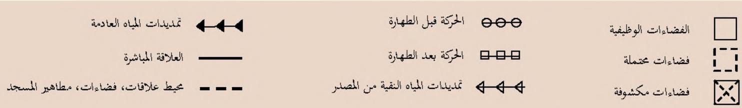
٢

٣


١. ضريح مسجد الأبهر
مسجد قبة طلحة
٢. الفضاءات الوظيفية
٣. الصوح



الميضاءات وعلاقاتها الوظيفية بين فضاءات المسجد الطاهرة وآلية التزود بالماء وتصريف العادم (الخالي من المنظفات الكيماوية) لري وسقي المقشامة ذات العلاقة بالمسجد





١



٢



٣



٤



٥

١. المغطس (قبة المهدي)
٢. المطاهير المسقوفة (قبة المهدي)
٣. البركة
٤. المراحيض (المماشي) (١٩٢٧م)، م/ م ت د م
٥. مماشي مسجد النور (حارة معمر ٢٠٠١م)

المسجد المنسي

وهي المساجد الصغيرة والتي افتقرت للمطاهير خاصة ولبقية الخدمات الثانوية والتكميلية وذلك لأنها أنشئت دون أوقاف تعنى بخدماتها وهي صغيرة جداً من حيث المساحة والحجم وسميت لذلك بالمنسية فكان لعمارتها ضرورة اقتضتها مراعاة تأثير العامل المناخي حين اشتداد البرد وبعد المسافة بين البيت والمسجد ولهذا جاءت كضرورة مطلبية لمشكلة بيئية مستمرة ومنقطعة التأثير دوريًّا، فتمت المعالجة بإقامة مساجد تعتمد في الأساس توفير فضاء معماري للعبادة دون الخدمات، وتخطيطيا نتاج هذا العامل الظرفي بنيت هذه المساجد في الحارات الصغيرة أو في أطراف الحارات الكبيرة، وحين التتبع التاريخي للمسجد المنسي نجد أن المساجد المنسية أضحت في ذاكرة التاريخ وذاكرة من عاش آخر أيامها وللتحولات التاريخية في حياة المجتمع اليمني عامة والصنعاني خاصة الأثر الأكبر في تحول بعض هذه المساجد المنسية إلى مساجد كغيرها بعد توسيعها وتزويدها بالخدمات الأساسية.

ويذكر الحجري في كتابه (مساجد صنعاء) نحو (٦٨ مسجداً) مندرساً ومنسياً داخل حدود سور صنعاء القديمة منها مسجد النساء والذي ذكره فقال "في مسودة المساجد المنسية هو في جهة الميدان يحده شرقياً الطريق وبيت سيدي يوسف بن الحسين وعدنياً بيت السيد علي الوعلاني وغربياً صبل خيل المولى"[٢٨]. ورغم هذا الذكر إلا أن مساجد النساء لندرتها صعب تقصيها ولكنه وجد لها ذكر عند قلة من الشيوخ (كبار السن) الذين سمعوا عنها ولم يعاصروها وأدركوا بعض أماكنها.

في حين خصت المساجد الرجال بمختلف أنواعها في صنعاء القديمة (المسجد ومسجد الجمعة والمصلى (الجبانة) وكذلك المدرسة)، إلاّ أنه وعملا بقول سيد المرسلين (لا تمنعوا نساءكم المساجد وبيوتهن خير لهن) ولما لهذا المعنى وللخصوصيات التي أفرزتها الحياة (السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية) وسلوكياتها الحضارية الإسلامية لمدينة صنعاء، فقد استحدثت مساجد خاصة بالنساء يسميها بعض الرواة السبيل أي أنها سبلت من أهل الخير لأجل الثواب من الله سبحانه وتعالى، وهذه المساجد بسيطة في تكوينها عبارة عن غرفة صغيرة وتخدم في الغالب النساء القادمات إلى صنعاء لغرض التسوق ولا تعلوها المئذنة لان الأذان لا يصدر منها .. وليس لها محراب أو منبر لأن الصلاة فيها تؤدى فرادى لا جماعة.

الهوامش

١. والي، طارق:" نهج الواحد في عمارة المساجد": بيت القرءان: المنامة: البحرين: ١٩٩٣م: ص (١٧، ٣٦).

٢. غالب، عبد الرحيم: "موسوعة العمارة الإسلامية ": (جروس برس): بيروت: ط١: ١٩٨٨م: ص (١٥٧).

٣. ناجي، عبد الجبار: "دراسات في تاريخ المدن الإسلامية": مطبعة جامعة البصرة: العراق: ط١: ١٩٨٦م: ص (٦٩).

٤ . الأكوع: إسماعيل بن علي: "المدارس الإسلامية في اليمن": منشورات جامعة صنعاء: ط١: ١٩٨٠م: ص (٢٨٢). سيف النصر، محمد: "نظرة عامة إلى المدارس اليمنية": تخطيطها وعناصرها المعمارية: مجلة الإكليل، السنة الثالثة، العدد الأول: خريف (١٤٠٦هـ / ١٩٨٥م): ص (١١٤).

٥ . ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري: "لسان العرب": جـ٤: الدار المصرية للتأليف والترجمة: مطابع كوستا تسوماس وشركاه: القاهرة: (بدون تاريخ طبع) ص (١٨٧).

٦ . حديث جابر في "صحيح البخاري": جـ١: تحقيق: مصطفى ديب البغا: دار ابن كثير: بيروت: ١٩٨٧م: ط١: ص (١٢٨).

٧ . حديث عبد الله بن عمر في "سنن البيهقي الكبرى": جـ٥: مكتبة دار الباز: مكة المكرمة: ١٩٩٤م: ص (٢٤٦).

٨ . عبد الباقي، محمد فؤاد: "المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم": دار مطابع الشعب: القاهرة: (بدون تاريخ طبع): ص (٣٤٤، ٣٤٥).

٩. شافعي، فريد: "العمارة العربية في مصر الإسلامية عصر الولاة": جـ١: الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر: ١٩٧٠م: ص (٦٤، ٦٥): ومؤنس، حسين: "المساجد": عالم المعرفة: الكويت: ١٩٨١م: ص (٦٩).

١٠. الرازي، أحمد بن عبد الله: "تاريخ مدينة صنعاء": تحقيق: حسين العمري: ط٣: ١٩٨٩م:ص (١٢٣).

١١. حديث أبي هريرة في صحيح مسلم: جـ١، ص (٧٣).

12. Schimidt, Jurgen, Ancieient south Arabian Sacred buildings, Yemen 3000 years of art and civilization in Arabia felix, p78

١٣. محمد، غازي رجب: "المنبر في العصر الإسلامي الأول": مجلة سومر: الجزء الأول والثاني: بغداد: ١٩٧٥م: ص (٢١١).

١٤. غيلان، غيلان حمود: "محاريب صنعاء حتى أواخر القرن ١٢هـ": أطروحة دكتواره مقدمة إلى كلية الآداب: جامعة بغداد: ٢٠٠٠م: ص (١١، ١٣).

١٥. خليفه: ربيع حامد" نظرة جديدة على تاريخ وزخارف الجامع الكبير بصنعاء" مجلة الوطن: العدد العاشر:١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م صـ ٤٣.

16. Schimidt, Jurgen, Op cit p.78

١٧. الحجري، محمد بن أحمد: "مساجد صنعاء عامرها وموفيها": ط٢: بيروت: ١٣٩٨هـ. وشيحة، مصطفى عبد الله: "مدخل إلى العمارة والفنون الإسلامية في الجمهورية اليمنية": القاهرة: ط١ :١٩٨٧م. وفنستر، بربارة: "تقارير أثرية من اليمن": ترجمة: عبد الفتاح البركاوي، صنعاء ١٩٨٢م.
Serjeant R.B.and Lewcock,Ronald: Sana'a an Arabian Islamic city, world of islam Festival Trust, London,1983 p35.

١٨. ليوكوك، رونالد: "كاتدرائية صنعاء": ترجمة: علي محمد زيد: الإكليل: العددان الثاني والثالث: (١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣م) : وزارة الإعلام والثقافة: صنعاء: ص (١٢٧).

١٩. والي، طارق: المصدر السابق: ص (٢٢): وكذلك محمد، غازي رجب: " أهمية المسجد المركزية في المدينة العربية": بحث في كتاب أنظمة المدينة العربية: مركز إحياء التراث العلمي العربي: جامعة بغداد: ١٩٩١م:ص(٥٣).

٢٠. منصور، عبد الملك: "المساجد والأوقاف في بلادنا": اليمن الجديد: العدد (١٢): ديسمبر ١٩٨٦م: ص (١٠، ٢٥).

٢١. الحجري: المصدر السابق: ص (٥).

٢٢. الحجري: المصدر السابق: ص (٣).

٢٣. غيلان، غيلان حمود: المصدر السابق: ص (٣٠).

٢٤. والي، طارق: المصدر السابق: ص (٢٤).

٢٥. منصور، عبد الملك: "الدور التاريخي لمساجد بلادنا": اليمن الجديد: العدد الأول: السنة (١٦): يناير ١٩٨٧م: ص (١٦ وما بعدها).

٢٦. وآلي، طارق: المصدر السابق: ص (٣١).

٢٧. الشماحي، عبد الله بن عبد الوهاب المجاهد: "اليمن الإنسان والحضارة": منشورات المدينة: بيروت: ط٣: ١٩٨٥م: ص (٢٠٥).

٢٨. منصور، عبد الملك: "الدور السياسي لمساجدنا": اليمن الجديد: العدد الثاني: السنة (١٦): فبراير ١٩٨٧م: ص (٦١).

٢٩. ج.ع.ي. وزارة الأوقاف والإرشاد: "الأوقاف والإرشاد في موكب الثورة:(١٩٦٢م – ١٩٨٧م)": صنعاء: بدون تاريخ طبع: ص (١١٥).

٣٠- منصور، عبد الملك: "المساجد والأوقاف": الحلقة الخامسة: اليمن الجديد: العدد ٣: السنة (١٦): مارس ١٩٨٧م: ص (٣٢).

٣١. منصور، عبد الملك: المصدر السابق: ص (٣٤).

٣٢. حديث عائشة رضي الله عنها في "الكامل في ضعفاء الرجال": جـ٥: ص (٢٤٠).

٣٣. الحجري، المصدر السابق: والمروني، محمد عبد الملك: "الوجيز في تاريخ بناية مساجد صنعاء القديم والجديد": مطابع اليمن العصرية: ط١: ١٩٨٨م.

٣٤. قبة إسكندر: نسبة إلى الأمير اسكندر بن حسام الكردي الذي قام بعمارتها سنة (٩٦٧ هـ/١٥٥٩م) في باب السبحة، ويقال لها قبة محسن، وهو الشريف محسن بن حسين بن حسن بن أبي نمي، الخارج إلى اليمن سنة ١٠٣٨هـ وتوفي بصنعاء وقبر بجانب القبة المذكورة.،، الحجري: المصدر السابق: ص (١٤). وظلت القبة قائمة حتى هدمت منتصف القرن العشرين الميلادي.

٣٥. غالب، عبد الرحيم: المصدر السابق: ص (٣٣٢).

٣٦. البخاري: محمد بن إسماعيل: "صحيح البخاري": دار إحياء التراث العربي: بيروت: بدون تاريخ طبع: ص (٤٦).

٣٧. الحجري: المصدر السابق: ص (٣).

٣٨. الحجري: المصدر السابق: ص (١٣٦).

الجامع الكبير





الجامع الكبير في صنعاء من الجوامع التي بنيت في فجر الإسلام إذ أجمعت الروايات التاريخية على تأسيسه في حياة الرسول ﷺ في السنة السادسة للهجرة[1]، وبعد عمارته الأولى توالت على الجامع الكبير العديد من عمليات التجديد وإعادة البناء والإضافة خلال العصور الإسلامية المتعاقبة.

وفي عهد الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك (٨٦-٩٦هـ/ ٧٠٥-٧١٥م) الذي عرف عهد خلافته بنشاط معماري منقطع النظير، ذكر المؤرخون أن الجامع الكبير توسع في ولاية أيوب بن يحي الثقفي (واليه على صنعاء) شمل توسيع موضع قبلته الأولى إلى موضعها الحالي[2].

أما في العصر العباسي وبعد أن قدم علي بن الربيع واليا من قبل أبي العباس السفاح الذي أمره بتجديد بناء الجامع سنة (١٣٦هـ/٧٥٤م)، وما يؤكد هذا التاريخ ذلك النص المكتوب بالخط الكوفي البسيط على لوح من حجر البلق والمثبت في صحن الجامع على الواجهة الشمالية لقاعدة المئذنة الشرقية. واستمر الجامع على ما كان عليه في عهد ابن الربيع إلى أن سقطت أمطار غزيرة سنة (٢٦٢هـ/٨٧٥م) فاندفع منها سيل عظيم أصاب الجامع بدمار كبير فعمره الأمير محمد بن يعفر بن عبد الرحيم الحوالي، وساعده ابنه أبو يعفر إبراهيم بن محمد بعمارة الجامع وتجديد ما تشعث منه في سنة (٢٦٥هـ/٨٧٨م)، وسقفه بخشب الساج وأوقف عليه أموالاً طائلة ومازال اسمُ إبراهيم والسنة التي عمر فيها الجامع مدوناً على التوزيرة الخشبية أعلى الواجهة الشمالية لقاعدة المئذنة الغربية أسفل السقف داخل الرواق الغربي[3].

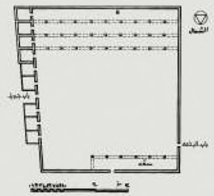
ويعد الرواق الشرقي في جامع صنعاء الكبير من الناحية الأثرية والمعمارية من أهم الأروقة نظراً لما أثير حول شخصية مجدده أو صاحب عمارته في الأصل، سواءً أكان من آل يعفر الحواليين (٢٢٥-٣٩٣هـ/٨٣٩-١٠٠٠م) أم من أعمال الملكة الحرة السيدة بنت أحمد الصليحي (٥٢٤هـ/١١٣٠م)، إذ أن أهم ما يميز سقفه دقة الزخارف النباتية والهندسية على المصندقات الخشبية التي لا تزال في حالة جيدة[4].

تبلغ مساحة الجامع الإجمالية (٦٦٠٧,٤م٢) والتكوين العام للجامع ذو طابق واحد، عدا مكتبتيه (الجنوبية وتعلو المجاز الأمامي للمؤخرة، والغربية من طابقين وتجاور جداره). لذا فمساحة الأرضية (٦٤٠٦,٨م٢) وتشكل نسبة (٩٧٪) من إجمالي المساحة، والمساحة المسقوفة منها (٤٥٨٦,٥م٢) وتشكل نسبة (٧١,٦٪) من المساحة الأرضية، أما مخطط الجامع منذ عمارته الأولى فقد جاء على غرار المسجد النبوي الشريف (مقدم- صحن- مؤخر) وتطور على نفس النهج، لا سيما في العهدين، الأموي والعباسي، بإضافة الرواقين، الجانبيين، وكذلك المئذنتين، كما شهد الجامع الكبير على مر العصور التاريخية نمواً وتطوراً معمارياً، وظيفياً وجمالياً، وبتفاوت نسبي من حيث الحجم، الكمي والنوعي.

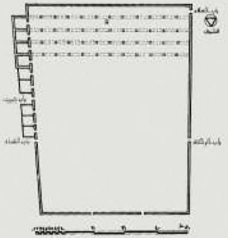
المسجد النبوي في المدينة
النموذج الأول لعمارة المسجد

الدراسة التحليلية لنشأة وتطور المسجد النبوي من عهد الرسول ﷺ حتى عهد الخلافة العباسية، أساس للمقارنة في الدراسة التحليلية لنشأة وتطور عمارة مسجد صنعاء (الجامع الكبير)

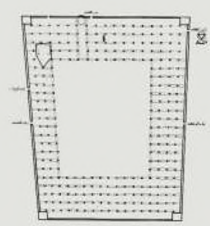
اعتمد في تتبع مراحل نشأة وتطور المسجد النبوي على عدد من الدراسات إلا أننا نشير إلى أهمها وهي الدراسة الميدانية للأستاذ الدكتور صالح لمعي (المدينة المنورة.. تطورها العمراني وتراثها الحضري المعماري).



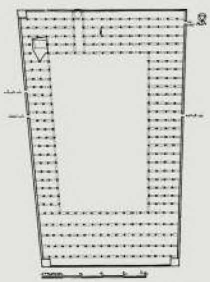
المسجد النبوي: المسقط الأفقي – بعد غزوة خيبر
(٧ هـ / ٦٢٨م)



المسجد النبوي: المسقط الأفقي – عهد عمر بن الخطاب
(١٧ هـ / ٦٣٧م)



المسجد النبوي: المسقط الأفقي
عهد الوليد بن عبد الملك (٨٨ - ٩١ هـ / ٧٠٧ - ٧١٠م)

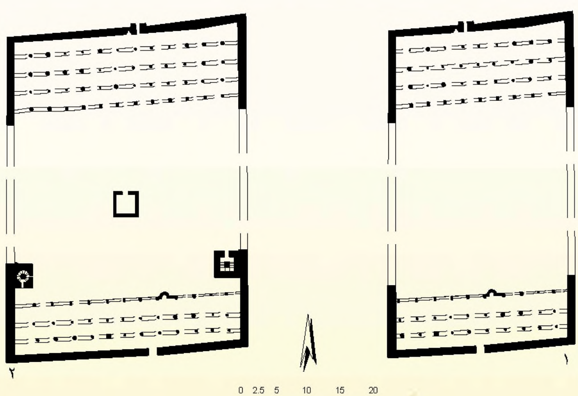


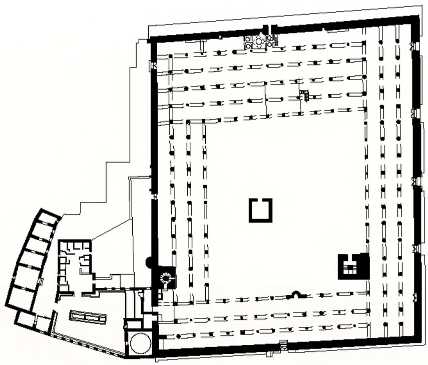
المسجد النبوي: المسقط الأفقي
العصر العباسي (١٦٢ - ٥ هـ / ٧٧٨ - ٨٢م)

نشأة وتطور عمارة الجامع الكبير في صنعاء

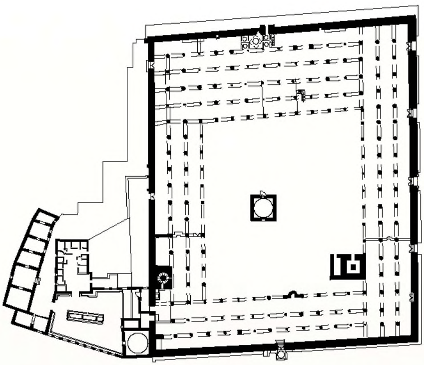
عمارة الجامع الكبير

١. في عهد الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين (٦-٤٠هـ/٦٢٧-٦٦٠م)
٢. في عهد الخلافة الأموية (٤٠-١٣٢هـ / ٦٦٠-٧٥٠م)، نقل بتصرف عن البهنسي.
٣. في عهد الخلافة العباسية ١٣٢-٦٥٦هـ/ ٧٥٠-١٢٥٨م)
٤. (٩٦١-١٣٣٧هـ/١٥٥٣-١٩١٨م)
٥. (١٣٣٧-١٣٨٢ هـ/١٩١٨م-١٩٦٢م)
٦. (١٣٨٢-١٤٢٢هـ/١٩٦٢-٢٠٠١م)

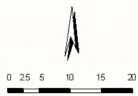


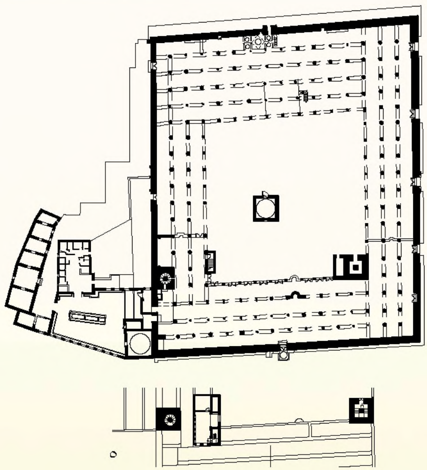


٣

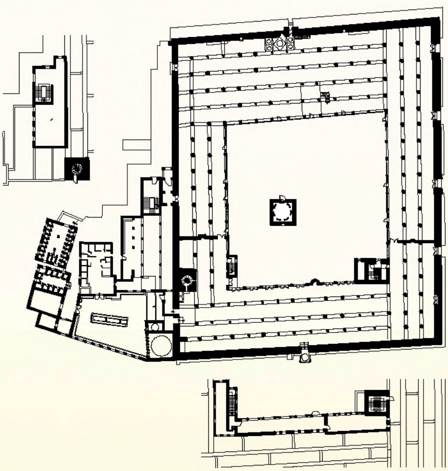


٤





٥



٦



١



٢

الجامع الكبير

١. (١٩٣٤م)، م/ م ت د م

٢. (٢٠٠١م)

الفضاءات الوظيفية للجامع

تختلف الفضاءات الوظيفية للجامع الكبير من حيث عددها ونوعها الوظيفي، وتشكيلها الفضائي ودرجة الاهتمام بعناصرها المعمارية والزخرفية على النحو الآتي:

المقدم

وهو بمساحة (١٢٣٤,٦م٢) وبعمق (٢٠م) يقطعه خمسة صفوف من (المجازات) في كل مجاز (١٥عمودا)، الصف الأخير منها يفصل المقدم عن الصحن، واغلبها من الأعمدة الحجرية التي نقلت من مبانٍ قديمة استخدمت في النشأة الأولى لعمارة الجامع، لبعضها قاعدة وتاج والبعض الآخر ليس له قاعدة، تعلوها عقود مدببة، أما الأعمدة التي تم إنشاؤها في مراحل تجديد وإعادة عمارة الجامع في المراحل المختلفة، فجاءت أسطوانية سميكة وقصيرة في أبدانها نسبة لارتفاع السقف وبدون قاعدة، وترتفع عليها العقود المدببة ذات السماكة الكبيرة وهذه الأعمدة والعقود غير مزخرفة وبنيت من الياجور ثم كسيت بالقص.

يرتفع المقدم (٦,٣م) إنشائيا و(٥,٤م) ضوئياً، ويدنو من السقف الإنشائي سقف مستعار (المصندقات الخشبية). ويتصل بالصحن مباشرة بفتحات كبيرة معقودة بعقود مدببة قائمة على أكتاف كبيرة وسميكة، وكانت حتى وقت قريب مفتوحة، وأحكمت في الوقت الحاضر بأبواب من الزجاج المؤطر بالخشب.

ويتوسط الجدار الشمالي (القبلي) السميك محراب مجوف وعلى يمينه يرتفع المنبر الخشبي وعلى الجهة المقابلة لهما ترتفع بنحو (٢,٥م) دكة المُبلِّغ، وكانت تستخدم للتبليغ أثناء الصلاة، وتستخدم حالياً في النقل التليفزيوني والإذاعي المباشر، والجدار القبلي الداخلي للمقدم مزخرف بزخارف قصية لونت مؤخراً، وتنتشر بكثافة حول المحراب وتقل كلما ابتعدت المسافة عنه في الاتجاهين المتضادين، وتوزعت عليه الخزائن الجدارية. لقد كان المقدم مفروشا بالحصير، ومن ثم بسجاد ثمين وهو حالياً مفروش بسجاد المسجد المعلوم الأبعاد المساحية بين الصفوف ومواطن الأقدام لكل صف فيها (وفق المعيار القياسي) بين أبعاد الصف عن الآخر (١٠٠سم + ٢٠سم).

الصحن (الصوح)

يتوسط حرم الجامع ومساحته (١٤٣٥,٦م٢)، وهو مرصوف بحجارة الحبش الداكنة اللون والمسامية. وفي وسط الصحن كتلة معمارية مكعبة الشكل يسمى (بيت الزيت) وفي الركن الجنوبي الشرقي للصحن تنتصب المئذنة الشرقية للجامع بقاعدتها المربعة ومساحتها (١١م٢)، تلتصق بها غرفة صغيرة من جهة الغرب مساحتها (٨,٧م٢)، ووظيفة الصحن وخصائصه المعمارية الأخرى سبق الحديث عنها تفصيلاً في مكونات المسجد بشكل عام.

المؤخر

تزامنت عمارته مع العمارة الأُولى للجامع وهو من حيث الشكل وأسلوب البناء يماثل خصائص عمارة المقدم. وتوسعه جاء على حساب الصحن سنة (١٣٥٥هـ/١٩٣٦م) حين تم بناء مكتبة فوقه.

ومساحة المؤخر (٩٠١,٥م٢) والإرتفاع الإنشائي للجزء الأمامي (٥,٥م) والضوئي (٥,٢م)، فيما يرتفع المجاز الخلفي (٦,٩م) إنشائياً و (٦م) ضوئياً. ويستند سقفه على ثلاثة صفوف من المجازات في كل صف منها (١٥ عمودا) بأشكال متنوعة شبيهة بأعمدة بيت الصلاة.

والمؤخر على عكس المقدم والرواقين الشرقي والغربي فقد فتحت جميعها مباشرة على الصحن بفتحات كبيرة معقودة وقائمة على أكتاف، بينما فضاء المؤخر يتقدمه جدار قبلي ويتوسطه محراب وتوزعت الأبواب المحكمة على جانبيه وكان على هذه الحال حتى قبل توسعته، وسد الباب الواقع في الجهة الشرقية مؤخراً، أما الباب من جهة الغرب فيتصل مباشرة بمطاهير الجامع، كما بني قاطعان في مؤخرة الرواقين، توسط كل منهما محراب، ويسمحان بالاتصال من خلال الأبواب مع كل من الرواقين الشرقي والغربي، وفي هذا ترجيح لفرضية اتساع مساحة وحجم الجامع الكبير ووظيفته الرئيسية وهي خطبة وصلاة الجمعة، ولانتشار المساجد في كل الحارات من ناحية ولارتفاع صنعاء عن مستوى سطح البحر ومناخها الجاف واتساع فارق المد الحراري بين الليل والنهار والصيف والشتاء من ناحية أخرى، فإن أداء صلاة المغرب والعشاء والفجر في المقدم والرواقين الجانبيين، وهي الفضاءات التي كانت وحتى وقت قريب لا تغطى الأبواب والنوافذ والفتحات المعقودة التي تصلها مباشرة بصحن الجامع، يكون من الصعوبة في فصل الشتاء وفي أول الربيع وآخر الخريف لاشتداد البرد، أما كبر الحجم الاستيعابي للمسجد فيكون في ذروته عند أداء صلاة الجمعة أو صلاة الظهر في بقية الأيام، كونه المسجد الجامع الوحيد، وليس ذلك فحسب بل والأكثر قدسية لصنعاء التاريخية وضواحيها فضلاً

عن قربه من سوق المدينة والذي تكون ذروة الحركة فيه ما بين الساعة (٨-١٢) ظهراً وإلى جانب ذلك تكون الحرارة في هذا الوقت وفي أشد أيام السنة برداً ملائمة للصلاة فيه وبالملابس الاعتيادية حتى الصيفية منها، وتأتي صلاة العصر من حيث هذه الخاصية نسبياً بعد صلاة الظهر من حيث إمكانية استغلال المساحات المفتوحة. ولهذا تَوَجَّبَ توظيف المؤخرة كفضاء وظيفي للجامع مراعاة للجانب البيئي ولاستمرارية أداء وظيفة المسجد العادية في كل الأوقات وعلى مدار الساعة (اليوم) ينبغي إحكام إغلاق المؤخر، وبناء محراب في وسط جداره القبلي حظي بعناية واهتمام من حيث التشكيل والزخرفة بعد المحراب الرئيسي.

كما زود المؤخر بمدخل بارز مميز ينفذ إليه من الجهة الجنوبية وتعلوه قبة كمعلم توجيه. وفي الجهة الغربية منها يوجد أضرحة للإمام المهدي محمد بن المطهر وكذلك لابنه المطهر وقبر المؤرخ اليمني يحيى بن الحسين، كما تنتصب فيه المئذنة الغربية، ويتصل ركنها الجنوبي الغربي بمقصورة لقيم (سنيدار) الجامع.

الجناح الشرقي

ومساحته (٤٨٢,٦م٢) ويبلغ ارتفاعه الإنشائي (٧,٩م) أما الارتفاع الضوئي فيبلغ (٧,١٠م) ويتكون هذا الرواق من (٣ مجازات) يفصلها صفان من الأعمدة تحمل عقوداً تتجه عموديا على جدار القبلة يغلب عليها الشكل نصف الدائري المائل إلى التدبب، وفي الجدار الشرقي للرواق ثلاثة مداخل معقودة تتصل مباشرة بالخارج. ويتصل الرواق بالصحن مباشرة من خلال فتحات معقودة مرتكزة على أعمدة قريبة الشبة بأعمدته الداخلية وأحكمت هي الأخرى كالمقدم بأبواب الزجاج المؤطر بالخشب والرواق على غرار المقدم والمؤخر له سقف مستعار بمصندقات خشبية مزخرفة.

الجناح الغربي

مساحة هذا الرواق (٤٤١,٧م٢) ويبلغ ارتفاعه الإنشائي (٧,١م) أما ارتفاعه الضوئي فيبلغ (٦,٧م) ويتكون من (٣ مجازات) يقطعها عند البائكة السابعة جدار حديث يفصل المؤخر عن بقية أجزاء الجامع. أما السقف فتغطيه مصندقات خشبية تتألف من جوائز أفقية كبيرة موازية لجدار القبلة وله نفس خصائص الرواق الشرقي من حيث التشكيل المعماري الإنشائي، وتقع مئذنة الجامع الغربية في ركنه الجنوبي الغربي بقاعدتها المربعة لتشغل مساحة (٦,٨٢م٢). من مساحة الرواق ويقابلها درج المكتبة الجنوبية.

مئذنتا الجامع

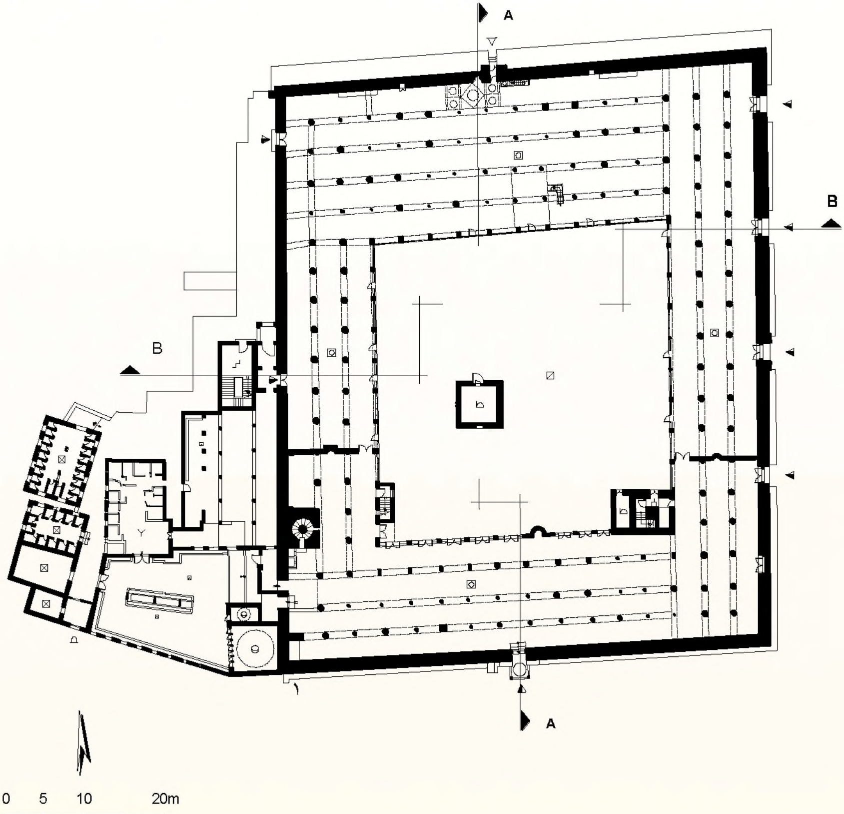
للجامع مئذنتان كسيت أبدانهما بالقص يطلق على إحداهما المئذنة الشرقية والأخرى الغربية. وعلى الرغم من تضارب الأخبار حول العمارة الأولى لمئذنتي الجامع، فإن من المؤكد احتواء المسجد على مئذنتين منذ العصر الأموي، فقد أشار بعض المؤرخين إلى أن علي بن الفضل قد صعد إلى المنارة حين طاف صحن الجامع بمياه السيل سنة (٢٩٩هـ/٩١١م)، إلا أن بعض المؤرخين يروي أن الأمير إبراهيم بن يعفر الحوالي قد أمر ببنائهما ولكن التغير أصابهما بعد ذلك[٥]. ومن المرجح أن يكون قد عمل على إعادة بنائهما ورفعهما عالياً.

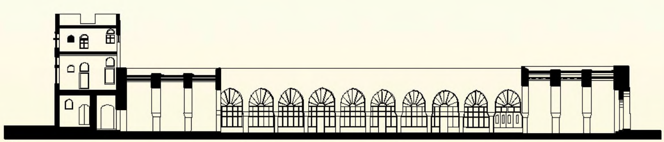
المئذنة الغربية

المئذنة الغربية تلاصق الجدار الغربي لحرم الجامع ومن الداخل وقاعدتها مربعة الشكل ارتفاعها مع شرفتها (١٦,٢م) وترتفع المئذنة (٣١,٩م) ويصعد إليها عبر باب من المؤخر يؤدي إلى سطح المسجد وإلى قمتها. والصق على الواجهة الشرقية للقاعدة لوح من الحجر عليه كتابة بخط الثلث يشير إلى إصلاح وردسار الكردي للمسجد سنه (٦٠٣هـ/١٢٠٦م). يعلو القاعدة بَدَنٌ أُسطواني، فتحت فيه فتحات ضيقة للإضاءة كما فتح باب في الجهة الجنوبية الشرقية يؤدي إلى سطح القاعدة المربعة ارتفاعه (٧,٥م)، وهناك شرفة قائمة فوق البدن قاعدتها خشبية يحيط بها سياج من (١٢ضلعا) خال من الزخرفة إلا من حنية صغيرة في أحد أضلاعها الغربية، ويعلو شرفة الأذان بدن (جوسق) مسدس الأضلاع ارتفاعه مع الشرفة (٦,٢م) في أعلى كل ضلع منه فتحة مستطيلة للإضاءة ذات عقد مدبب ويعلو هذا الجزء قبة صغيرة.

المئذنة الشرقية

أنشئت المئذنة الشرقية في الركن الجنوبي الشرقي من الصحن ويبلغ ارتفاعها (٣٤,٣٢م)، لها قاعدة مربعة الشكل ارتفاعها مع شرفتها (١٦,٢م)، بني أسفلها بالحجر وغطى القص قسماً منها كما غطى بدن المئذنة كله، ويقوم فوق القاعدة بدن أُسطواني ارتفاعه (١١,٢م) وفتح عند واجهته الجانبية باب يؤدي إلى سطح القاعدة. وفوق البدن شرفة دائرية قائمة على مقرنصات بسيطة التشكيل ويعلو شرفة الأذان بدن مثمن الشكل ارتفاعه مع الشرفة (٤,٩م) وتعلوه قبة، وفتح في القبة فتحات دائرية صغيرة العناصر الإنشائية والزخرفية.





١. المسقط
٢. قطاع (B-B)

بيت الزيت

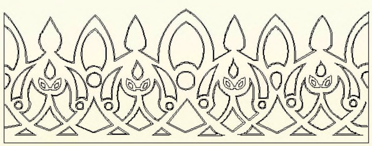
تقوم هذه القبة وسط الصحن من جهة الجنوب الغربي من الصحن وهي بناء مربع مساحته (٢٣,٣م٢) مبني بالحجارة البيضاء والسوداء ويتكون من غرفتين إحداهما فوق الأخرى، السفلى منهما أكبر حجما وينفذ إليها من أرضية الصحن باب ارتفاعه (١,٦٠م) يعلوه عقد مدبب مبني بالحجر الأبيض والأسود بالتناوب، على نمط العمارة الأموية، فيما يتم الدخول إلى الغرفة العلوية عبر باب يشابه الباب الأول، إلا أن فتحته وعقده أصغر ويتم الصعود إليه من الصوح بواسطة سلم متحرك وتزين شرفة بيت الزيت أفاريز القص ذات التشكيل النباتي، ثلاثي الفصوص. وتسقف بيت الزيت قبة قطرها (٤,٥م). وأُستخدمت بيت الزيت لحفظ أموال الوقف ثم لحفظ زيت الوقود الخاص بالمسجد والمساجد الأخرى أما الآن فهي مخزن للمخطوطات.

الفضاءات الوظيفية الخدمية والتكميلية :

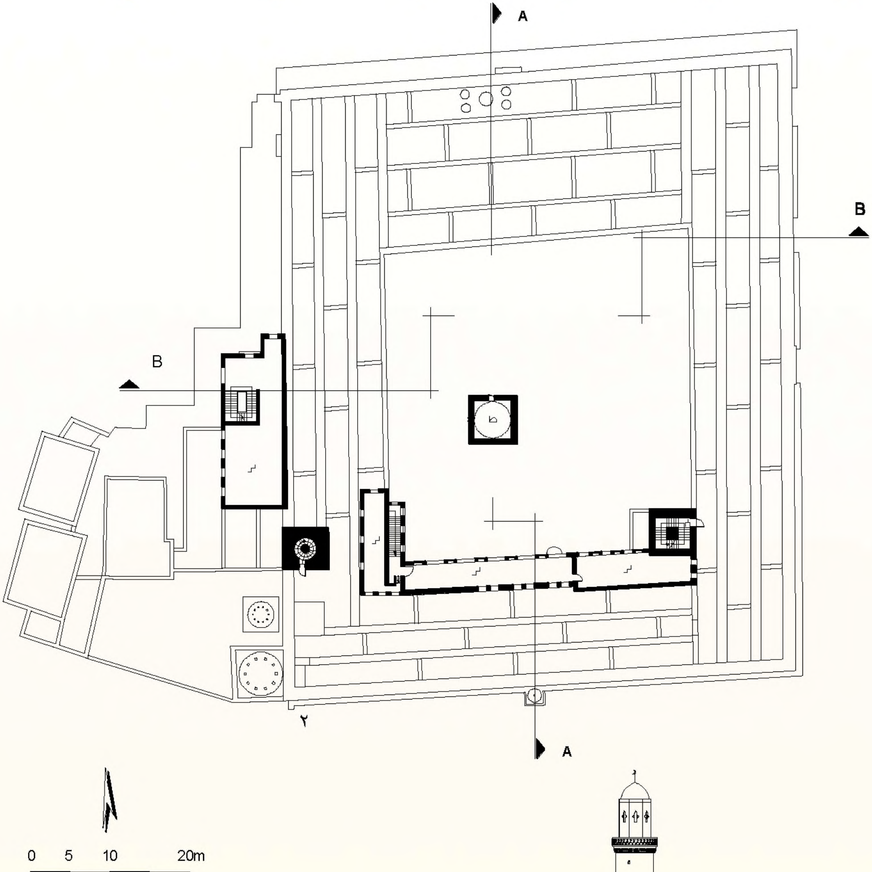
للجامع مطاهر (مطاهير) ومواضئ حديثة قامت على أساس المطاهير القديمة تبلغ إجمالي مساحتها (٥٨٩,١م٢)، وتقع في الجهة الجنوبية الغربية للجامع أما من ناحية الجنوب باتجاه الشرق فيوجد ضريحان مسقوفان بقبتين صغيرتين مساحتهما (٤٢,١م٢)، كما ارتفعت المكتبة الجنوبية على مقدمة المؤخر، والركن الشرقي للرواق الغربي وعلى طابقين إجمالي مساحتها (٢٠٠,٦م٢)، وحلت ميضاءات حديثة محل فضاءات نزل طلاب العلم والتي جاورت المطاهير من جهة الجنوب، وكان للجامع بئر (مسنى) في جهة الغرب وأشار الشهاري بأنٍ له بئرين وكانت له مقشامة قامت على أنقاضها مبانٍ قبل نحو خمسين سنة وارتبط كذلك بحمام ساخن مجاور له[٦].



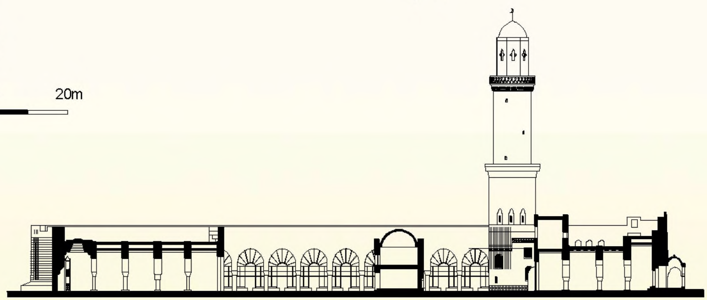
١



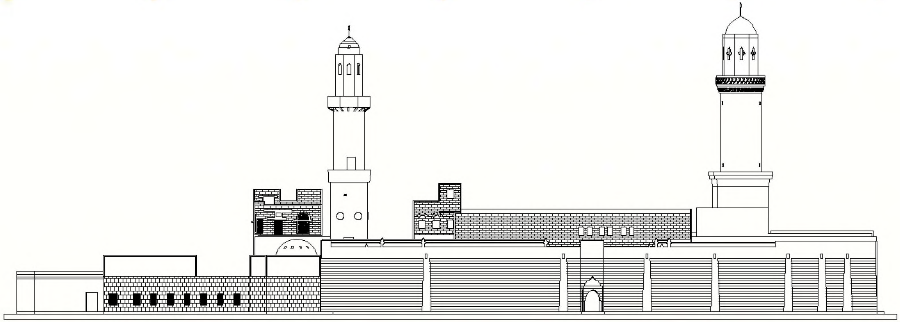
١. قطاع منظوري
٢. مسقط السقف
٣. قطاع (A-A)



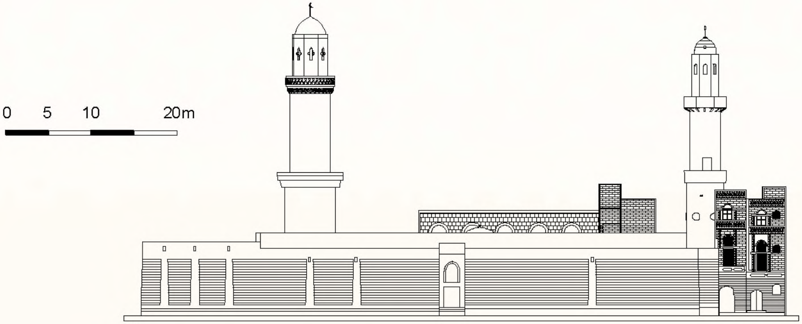
٢



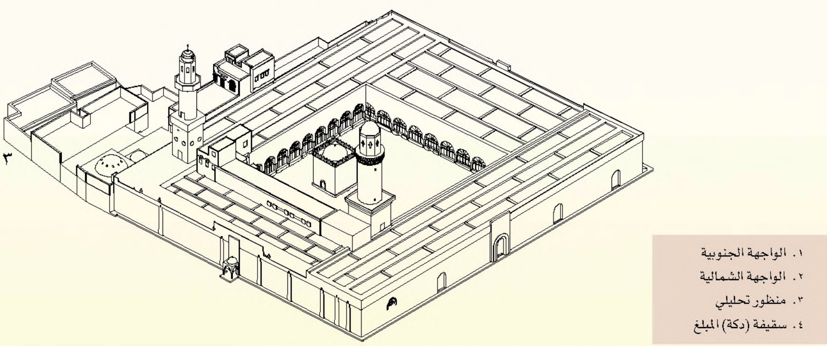
٣



١



٢



٣

١. الواجهة الجنوبية
٢. الواجهة الشمالية
٣. منظور تحليلي
٤. سقيفة (دكة) المبلغ

العناصر الإنشائية والمعمارية

الجدران الخارجية

الجدران الخارجية للجامع سميكة صمَّاء خالية من الفتحات والنوافذ، بنيت الجدران بكتل كبيرة من الحجارة (الحبش) بطريقة مدرجة وهو أسلوب عرف في العمارة اليمنية منذ ما قبل الإسلام، إذ تنزاح الحواف الخارجية للمداميك الحجرية في كل صف قليلاً إلى الداخل بمقدار (٠,٤-٠,٨سم) وهذه الطريقة تحاكي أسلوب بناء قصر غمدان كما تذكره المصادر التاريخية،[٧] وبقايا جدار سد مارب وجدران صدفيه، وتباينت سماكة الجدران الخارجية للجامع إذ نجدها في الجدارين الشمالي والجنوبي تبلغ (١,٤٠م) بينما الجدار الشرقي (١,٨٠م) والغربي (١,٦٠م) ويعود هذا التباين إلى الإضافات المتكررة والتوسعات المستمرة في الجامع. وللارتفاع الكبير لجدران الجامع أسندت من الخارج بجدران ساندة متباينة الارتفاع تصل إلى نحو (٢م) وتسمى (البغلة)، كما توزعت عليه وبشكل رأسي مساريب تصريف مياه الأمطار من سقفه وعملت من القضاض المزخرف في جوانبه بزخارف بسيطة، ويعلو الجدران من الداخل والخارج أفاريز مفصصة لم يبق منها إلا القليل في حافة الجدار الجنوبي.

الأعمدة والأكتاف والعقود

يرتكز سقف حرم الجامع (فضاءاته الرئيسية المقدم، المؤخر، الرواقين) على ٢٠٥ أعمدة، والأعمدة متباينة في الشكل ومادة البناء وذلك لتعدد عمليات البناء والتجديد والإضافة على مر العصور، وفيه الكثير من الأعمدة القديمة والتي تحاكي العمود اليمني القديم (قبل الإسلام) في خصائصه من حيث مادة البناء ونمط التشكيل، وتنحصر الأعمدة القديمة في المقدم والمؤخر وهي من مادة الحجر(حجر البلق) أبدانها إسطوانية أو مضلعة وتيجانها في الغالب على هيئة التاج اليمني القديم، وقليل هي الكورنثية وتاج ورقة الأكانتس، أما ارتفاع الأعمدة القديمة فقد تباينت وذلك نتاج لجوء المعمار إلى تركيب عمودين فوق بعضهما للحصول على الارتفاع المناسب، إلا أنها تميزت بالمقارنة مع الأعمدة التي تليها بالرشاقة. ولتمركزها في فضائي المقدمة والمؤخرة دلالة على قدم استخدامها أيضاً مقارنة بالأعمدة الأخرى التي أنشئت أثناء عمليات التوسعات وإعادة البناء والتجديد لعمارة الجامع وعلى مر العصور، وهذه الأعمدة بنيت من مادة الياجور وبدنها أُسطواني الشكل ضخم مكسي بالقص وخالٍ من الزخرفة، وليس لها قاعدة وتاجها بسيط خالٍ من الزخارف على هيئة كتلة مكعبة



٤

مشطوفة في أركانها السفلى بمثلثات كروية (العمود الإسلامي اليمني البسيط)، وتحمل الأعمدة عقوداً مدببة ومخمسه مكسية بالقص وخالية من الزخرفة.

المصندقات الخشبية (الزخرفة)

تدنو من الأسقف الإنشائية للفضاءات الرئيسية لحرم الجامع (المقدم والمؤخر والرواقين) أسقفٌ مستعارة مزخرفة (مصندقات خشبية) نفذت عليها زخارف متنوعة عكست اهتمام الحكام خلال العصور الإسلامية على التوسيعات والتجديدات العمرانية، لذا تنوعت أنماط زخارف هذه المصندقات من فضاء إلى آخر، ويعزز ذلك تباين مستوى أسطحها وذلك لكونها مرت بأدوار بنائية متعاقبة. وكل سقف منها تحمله جوائز (مدادات) الخشب سمكها (٢٠سم) مربعة المقطع منتظمة الجوانب واجهتها السفلى مغطاة بالزخارف المتنوعة، وقسمت المساحة بين كل جائزتين إلى مجموعة من المصندقات، مربعة الشكل، تفصلها عوارض خشبية عرض كل منها (١٥سم) مزخرفة في وسطها ومتعامدة على الجائزتين المجاورتين والمزخرفتين أيضاً. كما يحيط بهذه السقوف من أسفلها إزار خشبي محفور عليه آيات من القرءان الكريم وأحاديث نبوية شريفة وأسماء أئمة الفاطميين وغيرهم بالخط الكوفي البسيط، ولها ثلاثة أنماط زخرفية رئيسية هي:

- الأموي: وتتميز زخارفه باشتمالها على عناصر ذات صلة وثيقة بزخارف العصر الأموي وتتمثل في الأفرع النباتية الحلزونية التي تخرج منها أوراق الأكانتس وأخرى تنتهي بوريقات نباتية متعددة الأشكال، وكذلك الأفرع النباتية التي تخرج منها أوراق وعناقيد العنب بالتبادل أو فروع نباتية تخرج منها كيزان الصنوبر في أوضاع متماثلة وعناصر مجنحة وحبات اللؤلؤ، وهذه الزخارف قد انحصرت في المصندقات الخشبية التي غطت سقف المجازات الثاني والثالث والرابع والخامس من سقف الجزء الغربي من بيت الصلاة.

العباسي: وتتميز زخارفه باشتمالها على عناصر ذات صلة وثيقة بزخارف العصر العباسي (يعفري) ولاسيما طراز سامرا الثالث وكذلك العناصر الزخرفية النباتية التي ليس لها بداية أو نهاية (الأرابسك) والأشكال النباتية المحورة. والتي ترجع إلى الترميمات التي أجراها الأمير إبراهيم بن محمد بن يعفر في القرن الثالث الهجري وتمثلت في زخارف الرواق الغربي.



- الفاطمي: وتتميز زخارفه بقرب عناصرها من زخارف القرن (٦هـ/١٢م) مثل عنصر الطبق النجمي غير المكتمل المكون من ست كندات وترس فقط وأيضا الزخارف الهندسية المتمثلة في أشكال (الجفوت اللاعبة) وزخرفة البيضة والسهم، وتمثلت هذه الزخارف على واجهات العوارض في الرواق الشرقي[٨].

كما زين جامع صنعاء الكبير إزار خشبي أدنى من السقف محفور عليه بالخط الكوفي البسيط آيات من القرءان الكريم وأسماء من قام بالإصلاحات في هذا الجامع إلى جانب أسماء الأئمة الفاطميين.

المحراب

تتوسط جدار القبلة كتلة المحراب وشكل المحراب منتظم الأبعاد عند مستوى جدار القبلة الداخلي على هيئة مستطيل يبرز عن سمت الجدار بمقدار (٥سم)، ويبلغ ارتفاعه (٤,٢٥م) وعرضه (٣,١٠م)، ولا تلتصق هذه الكتلة بسقف المسجد إذ يفصل بينها وبين السقف شريط خشبي ويتكون هذا المحراب من مستويين شأنه في ذلك شأن معظم المحاريب اليمنية وتتوسطه حنية عمقها (٩٣سم) وعرضها(١٣٥سم)، يرتفع عقد حنية المحراب (٢,١٠م) والحنية خالية من الزخارف عدا شريط أضيف إليها مؤخراً نصه (**لا إله إلا الله محمد رسول الله**) وتتوج حنية المحراب قبة مضلعة يحف بها عمودان (قُصِّيَان) مندمجان يتكون كل منهما من بدن مستدير دون قاعدة ويرتكز على الأرض مباشرة، ويعلو كل عمود تاج مشطوف عند حافته الداخلية، وغطي العمود والتاج بزخارف نباتية متنوعة مستحدثة، وكان العمود قبل ذلك أملساً وخالياً من الزخارف. ويعلو تاج العمود عقد مدبب مطول نفذ على واجهته كتابة بخط الثلث على مهاد من الزخرفة النباتية (**محمد المصطفى وعلي المرتضى وفاطمة الزهرآء والحسن المجتبا والحسين الشهيد بكربلا صلوات الله عليهم أجمعين**). ويحف العقد من الجانبين زخرفة نباتية، ويعلو عقد حنية المحراب شريط كتابي بخط الثلث نصّه (**عمل هذا المحراب بعناية القاضي الأجل ضياء الدين عمر بن سعيد الربيعي أجزل الله ثوابه في سنة خمس وستين وستمائة**).

أما المستوى الثاني من المحراب فيتكون من عقد مدبب مطول يرتكز على عمودين قُصِّيَيْن مندمجين يتكون كل منهما من جزءين، الجزء السفلي تغطيه زخارف نباتية متنوعة أضيفت إليه مؤخراً أثناء عملية ترميم حديثة، وقد كان هذا الجزء في السابق أملساً وخالياً من الزخرفة، أما الجزء العلوي من بدن العمود فتشغله زخارف نباتية محورة من التوريق العربي (الأرابسك) يصعب تفريغها وذلك لكثرة الأصباغ عليها مما طمس مفرداتها وصعب معرفة موضوعها الزخرفي.

ويعلو بدن كل عمود تاج جرسي الشكل تغطيه زخرفة قوامها أشرطة هندسية مضفورة حصرت فيما بينها مراوح نخيلية، ويعلو كل تاج حدَّارة كتب على وجه كل منها ثلاثة أسطر، الحدارة الأولى من جهة اليمين كتب عليها ما نصه (عمل هذا المحراب العبد الفقير إلى الله / عبد الصمد بن أحمد بن/ أبي الفتوح وولده أحمد وجعلا).

وأكمل النص في الحدارة الثانية جهة اليسار وكتب عليها ما نصه (ما يستحقانه من الأجر علا عمله /صدقة لوجه الله ورجاء ثوابه /غفر الله لهما ولوالديهما وللمسلمين).

ويرتكز على الحدارة طرف العقد المدبب الذي تزينه واجهة كتابة بخط الثلث على مهاد من الزخرفة النباتية نصها: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا. وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً. هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا) سورة الأحزاب الآيات (٤١-٤٣).

أما باطن العقد فقد شغله في الجزء الأعلى منه عقد زخرفي كتب داخله لفظ الشهادة (**لا اله إلا الله محمد رسول الله**) وزينت أعلاها زخرفة نباتية محورة، وشغل الجزء الأسفل من باطن العقد ثلاثة أشرطة الأول منها تزينه زخرفة قوامها عنصر زخرفي منفذ بالتكرار بما يشبه الشرفات، ويدنو منه شريط تزينه زخرفة نباتية قوامها أغصان نباتية ذات حركة أُفعوانية متشابكة تخرج منها أنصاف مراوح نخيلية وتحصر بينها مراوح نخيلية ثلاثية الفصوص.

ونجد الشريط الثالث كتب عليه بخط الثلث ما نصه (كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ) سورة آل عمران الآية (٣٧).

ويزين جانبي العقد، من جهة اليمين لفظ الجلالة (الله) ومن جهة اليسار (محمد ﷺ) غطيت المساحة المتبقية بزخرفة نباتية قوامها غصن نباتي أُفعواني رشيق يتجه إلى الأسفل وتخرج منه أنصاف مراوح نخيلية، ويحيط بكتلة المحراب شريط عرضه (٥٠ سم) نفذ عليه كتابة بخط الثلث يقرأ من جهة اليمين (بسم الله الرحمن الرحيم أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا . وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا . وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا). سورة الإسراء الآيات (٧٨-٨٠).

ويكتنف المحراب من الجانبين شريط زخرفي يمتد من الأعلى إلى الأسفل تزينه زخرفة نباتية قوامها ثلاثة أغصان نباتية أُفعوانية الحركة متشابكة تخرج منها أنصاف مراوح نخيلية، وشغل الفراغ بزهرة خماسية الوريقات.

من خلال دراسة المحراب يتضح أنه يعود إلى عصر آل يعفر الحواليين في القرن (٣هـ/٩م)، أما زخارفه فإنها تنقسم إلى قسمين الأول منها يرجع إلى (٦٦٥هـ/١٢٦٦م) وذلك لوجود نص تاريخي يؤكد ذلك، توزعت حول المحراب وطاقيته وعلى الأعمدة وتيجانها وكذلك على واجهة العقود المدببة.

أما القسم الثاني من الزخارف فإنها تعود إلى العصر الحديث فقد توزعت في الأشرطة الزخرفية الأُخرى التي تكتنف المحراب، مما دفع ببعض الباحثين الاعتقاد أن المحراب والمنطقة المحيطة به جميعها قد أعيد زخرفتها حديثا[٩].

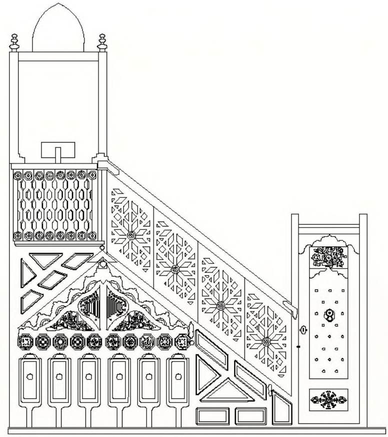
المنبر

لم تشر المصادر التاريخية إلى وجود منبر للجامع منذ تأسيسه وحتى القرن العاشر الهجري إلا أنه من المرجح أن المسجد لا يخلو من منبر كغيره من المساجد الجامعة في بقية الأمصار، أما المنبر الخشبي الذي وجد في الجامع وتم نقله بعد ذلك إلى المتحف الحربي، فيرجع تاريخه إلى القرن (١٠هـ/١٦م) وذلك بناء على نص مكتوب على مدخله نصه (أمر بصناعته الباشا مراد بلغه الله من الخيرات كل مراد وذلك في سنة ٩٨٤هـ) ويتألف هذا المنبر من عدد من الدرجات يعلوها كرسي الخطيب تغطيه قبة، أما جوانب هذا المنبر ومؤخرته فمعمول من حشوات كبيرة محفورة بزخارف متعددة كما أن أجزاءً كثيرةً منه عملت بخشب الخرط.

والجدير بالذكر أن هذا المنبر كان وضعه عمودياً على جدار القبلة فكان حائلاً دون إكمال الصف الأول من المصلين فأصلحه الإمام المتوكل على الله يحيى حميد الدين سنة (١٣٣٨هـ/١٩٢٠م) بأن جعله موازيا لجدار القبلة وقد ثبت هذا الإصلاح بكتابة على مؤخرة المنبر (أمر بوضع هذا المنبر على أحسن وصف / مناسباً لإصلاحه ولوصل الصف / أمير المؤمنين المتوكل على الله يحيى بن محمد / أدام الله نصره وأيده شهر شوال سنة ١٣٣٨هـ)[١٠]. وقد استبدل هذا المنبر في العقد الأخير من القرن العشرين بمنبر خشبي مزخرف بزخارف (الأرابسك) ووضع موازياً لجدار القبلة وملتصقاً به.



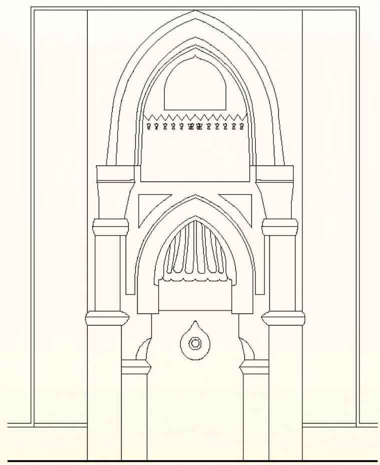
١



٢



٣

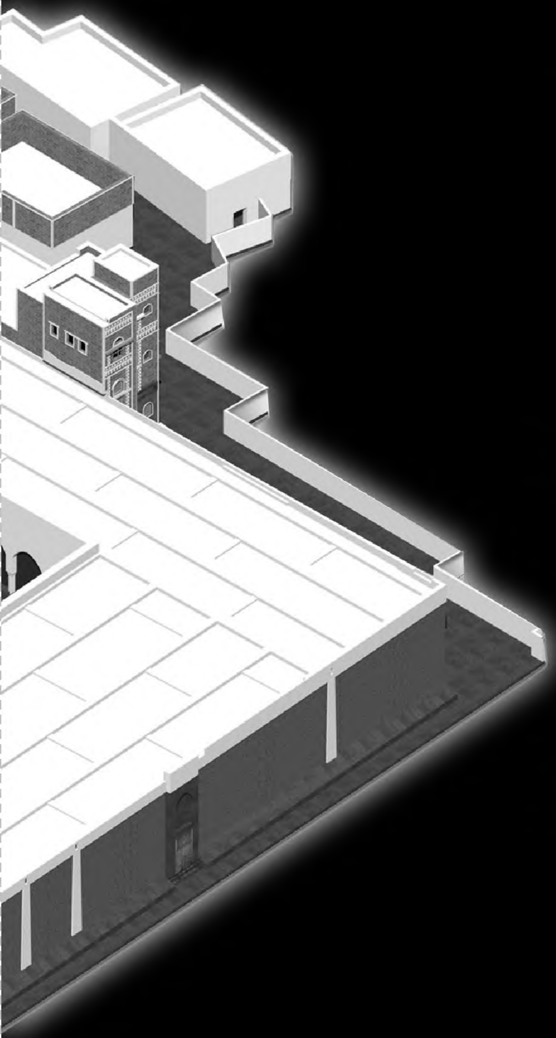


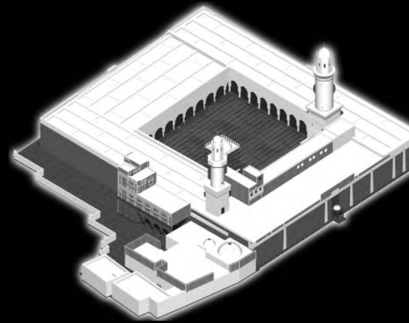
٤



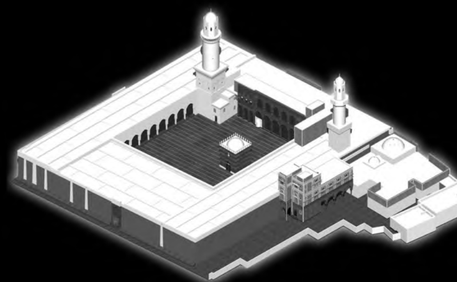
٥

١. صورة المنبر القديم
٢. المنبر
٣. صورة المنبر الجديد
٤.٥. المحراب

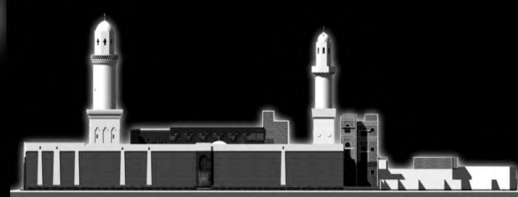




١



٢



٣



٤



٥

١. منظور شمالي غربي
٢. منظور شمالي شرقي
٣. الواجهة الشرقية
٤. الواجهة لشمالية
٥. منظور جنوبي شرقي

الهوامش

١. الرازي، أحمد بن عبد الله الصنعاني: "تاريخ مدنية صنعاء": تحقيق: حسين العمري؛ دمشق؛ ط٢: ١٩٨١م؛ ص (٤٤٩). الحجري، القاضي محمد بن أحمد: "مساجد صنعاء عامرها وموفيها": بيروت؛ ط٢: ١٣٩٨هـ؛ ص (٢٣). السياغي، حسين بن أحمد: "معالم الآثار اليمنية": مركز الدراسات والبحوث اليمني؛ صنعاء؛ ط١: ١٩٨٠م؛ ص (١٤).

٢. الرازي؛ المصدر نفسه ص (٨٥). محمد، غازي رجب: "الجامع الكبير في صنعاء دراسة تاريخية أثرية": مجلة كلية الآداب؛ جامعة بغداد: العدد (٢٨)؛ ١٩٨٠م؛ ص (٢٧٨).

٣. الرازي؛ المصدر نفسه؛ ص (٢١٤). ابن الحسين، يحيى: "غاية الأماني في أخبار القطر اليماني": تحقيق: سعيد عاشور؛ ١٩٦٨م؛ ص (١٦٣).

٤. موسى، عبد الله كامل: "الجامع الكبير بصنعاء: رؤية تاريخية أثرية فيما أثير حول عمارة الرواق الشرقي": الإكليل؛ العدد الأول؛ ١٩٩٢م؛ ص (٧٥).

٥. الجندي، محمد بن يوسف: "السلوك في طبقات العلماء والملوك": تحقيق: محمد بن على الأكوع: جـ١: مكتبة الإرشاد: ط١: صنعاء: ١٩٩٣م؛ ص (٢٠٧). بهنسي، عفيف: "الجامع الكبير بصنعاء: دراسة تاريخية ومعمارية لأقدم مسجد جامع في اليمن": مطابع المستقبل؛ بيروت؛ ١٩٩٦م؛ ص (١٣٢).
Saleh Lamei-mstafa, Plan of Action for the Restoration of the Great Mosque in Sana'a, yemen (unesco) paris, 1997, p9

٦. الشهاري، جمال الدين على بن عبد الله: "وصف صنعاء مستل من كتاب المنشورات الجلية": تحقيق: عبد الله محمد الحبشي؛ ط١: صنعاء؛ ١٩٩٣م؛ ص (٤٩،٨).

٧. الهمداني، الحسن بن احمد: "الإكليل": جـ٨؛ تحقيق: نبيه أمين فارس؛ دار العودة؛ بيروت؛ بدون تاريخ؛ ص (١٩).

٨. خليفة، ربيع حامد: "الفنون الزخرفية اليمنية في العصر الإسلامي": الدار المصرية اللبنانية؛ القاهرة؛ ط١: ١٩٩٢م؛ ص (١٤٣).

9. Serjeant,RB, and Ronald Lewcock, San'a an Arabian Islamic City, the world of Islam festival trust, London ,pub1, 1983, p324.

١٠. المنبر معروض حالياً في المتحف الحربي بصنعاء.

- مسجد قبة البكيرية
- مسجد الزمر
- مسجد الأبهر
- مسجد طلحة
- مسجد الفليحي
- مسجد قبة المهدي
- مسجد فروة بن مسيك

مدخل رئيسي
مدخل ثانوي
بيت الصلاة
المطاهير
المكتبة
الصوح (الصحن)
المقصورة
الضريح
المئذنة
حوض(بركة)
مخزن
الساورة (فوهة البئر)
مقبرة
بئر (مسنى)
غرفة حارس
المرنع
الرواق (الممر)
المماشي
الحمامات
المرجو



١. المرادية ٢. جناح ٣. المذهب

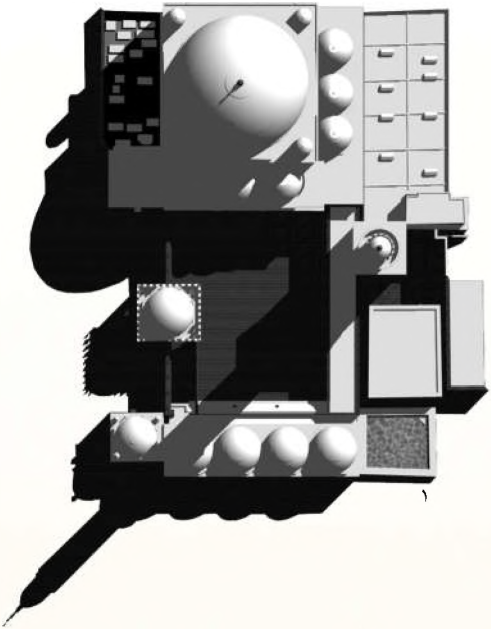
مسجد قبة البكيرية





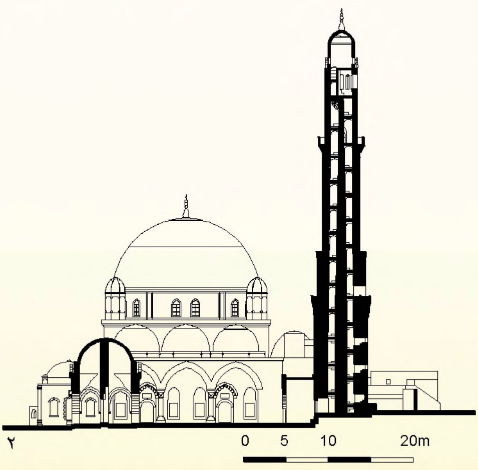
تقع البكيرية شرق مدينة صنعاء القديمة بالقرب من قصر السلاح في حي القطيع حارة البكيرية، أنشأها الوزير العثماني حسن باشا سنة (١٠٠٥هـ/ ١٥٩٦م) وعمرها عمارة متقنة وصرف عليها أموالاً طائلة وذلك تخليداً لذكرى مملوكه بكير أغا الذي لقي حتفه على اثر سقوطه من فوق فرسه، والمقبور إلى الشرق من هذه القبة، ثم عمر القبة للصلاة وسماها باسم مولاه بكير[١]. ويرى البعض أن البكيرية عرفت بهذا الاسم نسبة إلى بكير الذي تولى بناءها قبل وفاته لتكون مدرسة ومسجداً.[٢] ثم جرت عليها بعد ذلك ترميمات أمر بها السلطان عبد الحميد بن عبد المجيد خان وأضيف لها منبر من الرخام، وأكملت هذه الترميمات سنة (١٢٩٨هـ/ ١٨٨٠م) بحسب التاريخ المدون أعلى الباب الغربي المؤدي إلى بيت الصلاة. كما دون تاريخ هذا الترميم مرة أخرى داخل حنية المحراب ونصه: (تاريخ تعمير هذا الجامع اللامع سنة ١٢٩٧)، مما يرجح أن أعمال الترميم هذه ربما دامت عامين.

لقد جمعت البكيرية بين المسجد والمدرسة، وعلى الرغم من أن تخطيطها في الأساس انتمى للعمارة الإسلامية العثمانية. إلا أن تأثير العمارة الصنعانية كان أقوى في تغيير ملامح الشكل لتبدو البكيرية أكثر انتماءً لعمارة صنعاء منها للعثمانية، فقد اعتمد في تسقيف بيت الصلاة فيها بالحنيات وليس بطريقة التسقيف بالقباب الكبيرة كمساجد اسطنبول، وأتت مئذنتها العالية على غرار بقية مآذن مدينة صنعاء العالية والمزخرفة منها.

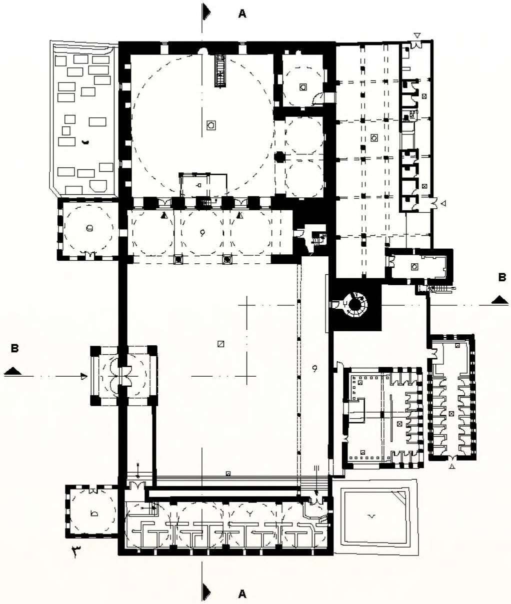


١

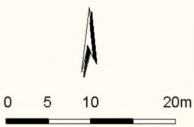
تبلغ مساحة المسجد الكلية (٢٦٥٠,٩م٢) يشغل بيت الصلاة منها (٣٥٨,٣م٢) بنسبة (١٣,٥٪) وهو قاعة ضخمة مربعة الشكل مسقوفة بقبة، قطرها (١٨,٢م) وزخرفت أركانها بحطات من المقرنصات بمادة القص لونت بالألوان المائية، كما تحيط بها أشرطة مسننة متوجة بزخرفة نباتية تتألف من زهريتين متناظرتين وأغصان ملتفة. وترتكز القبة على مثمن محور الشكل والذي يرتفع (٣,٤م) توزعت على أضلاعه (١٦نافذة) للإضاءة الداخلية. وتزين المساحة بين كل نافذتين من الداخل زخرفة مسطحة بالألوان المائية اعتمدت أساساً على ورقة الأكانتس وعناصر زخرفية هندسية. أما باطن القبة فتزينها جامة كبيرة اتخذت ما يشبه شكل النجمة ذات الثمانية رؤوس، يشغل وسطها زهرة كبيرة رسمت بأسلوب قريب من الطبيعة، تحيط بها كتابة بخط الثلث: (هُوَ اللَّهُ الَّذي لا إِلَهَ إلا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ. هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ.) سورة الحشر الآية (٢٣، ٢٤). وتشكلت في المساحات المزاحة بالتحوير الإنشائي لسقف القبة وفي الأركان الأربعة من الخارج أربعة أبراج ثُمَانية الأضلاع، سقف كل منها بقبة، وهي متشابهة من حيث التشكيل المعماري والزخرفي وارتفاعها يصل إلى (٥,٤٦م). واشتملت عناصر التصميم الداخلي لبيت الصلاة على محراب مجوف يتوسط جدار القبلة وهو عبارة عن حنية نصف دائرية المسقط عرض فتحتها (١,٨م) وعمقها (٨٠سم). ويتوج المحراب من أعلى شريط عريض تشغله كتابة بخط الثلث موزعة على جملتين متشابهتين في الأولى "قال الله تعالى" وكتب في الثانية الآية الكريمة (كلما دخل عليها زكريا المحراب...) سورة آل عمران، الآية (٣٦)، وعلى يميني المحراب منبر من الرخام المعشق زخرف بأحجار ملونة ومصقولة، وسقفت جلسة الخطيب في المنبر بهرم مضلع عالي الارتفاع (مدبب) قريب الشبه برأس المئذنة العثمانية، ويعلوه هلال معدني من النحاس. ويتعامد المنبر على جدار القبلة. وشغلت المكبرية (دكة المُبلِّغ) منتصف الجدار الجنوبي ملاصقة للجدار بين مدخلي بيت الصلاة. وتستند من الأمام على ثلاثة أعمدة رخامية تحمل أربعة أقواس مقصوصة يزينها رسوم نباتية بالألوان المائية ويتم الصعود إلى أعلاها بواسطة درج غائرة في جدار بيت الصلاة

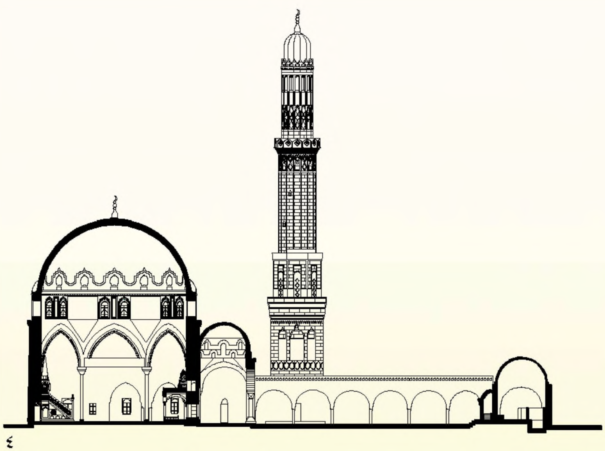


٢



٣





٤

١. منظور علوي
٢. قطاع (B–B)
٣. المسقط
٤. قطاع (A–A)

الجنوبي. وأستغل أسفلها لعمل دكة ترتفع عن أرضية بيت الصلاة بنحو (٤٠سم).

وصوح المسجد مستطيل الشكل مساحته (٤٨٤,٢٣م٢) وبنسبة (١٨,٢٦٪) يحيط به رواقان متعامدان، الشمالي يتصل ببيت الصلاة ومسقوف بثلاث قباب متوسطة ويفتح على الصوح من خلال ثلاثة عقود ومساحته (١١١,٣٢م٢) وفي ركنه الشرقي درج يوصل إلى السطح بمساحة (٨,٧٣م٢). أما الرواق الشرقي فيمتد بامتداد الصوح ومساحته (١٠٩,٦٢م٢) ويفتح على الصوح من خلال ستة عقود، كما يتصل ويفتح من جهة الشمال الشرقي بمئذنة المسجد العالية الارتفاع ذات القاعدة المربعة والتي تشغل مساحة (٧,٨٤م٢) ويبلغ إرتفاعها (٤٦,٤م). وفي الجهة الجنوبية للصوح والرواق الشرقي تشكلت فضاءات مطاهير المسجد القديمة ومساحتها (١٢٦,٦١م٢) وسقف فضاء الميضاءات المستطيل الشكل بأربع قباب صغيرة كما جاورته من جهة الشرق بركة ماء مستطيلة الشكل مساحتها (٩١,٠٣م٢). واتصلت بالمدخل الرئيسي مباشرة بممر فصل حرم الصوح الطاهر. فيما مثل اتصالها بالرواق الشرقي مسار حركة المصلي بعد الطهارة، وتوسط الجدار الغربي للصوح مدخل المسجد الرئيسي المربع الشكل والمسقوف بقبة. وتعلو الكتلة المكعبة للمدخل أفاريز نباتية التشكيل لتميزه عن كتلتي الضريحين الملتصقتين بجدار المسجد الغربي من الخارج، واللتين سقفتا بقبتين صغيرتين شبيهتين بقبة تسقيف بيت الصلاة من حيث التشكيل، ومساحتهما بالترتيب الشمالية (٤٤,٦م٢) والجنوبية (٣٢,١٨م٢)، كما جاور الجدار الغربي لبيت الصلاة مقبرة صغيرة مساحتها (١٤٤,٧م٢) وجاور المئذنة من جهة الشرق غرفة سقفت بقبو مساحتها (٢٠,٣١م٢). وكان للمسجد بئر (مَسْنَى) في جهته الشرقية لا تزال أطلاله باقية. وتوسع مسجد البكيرية في العقدين الأخيرين للقرن العشرين من جهة الشرق وعلى امتداد جداره الشرقي حتى البركة المكشوفة واستحدث في الجزء الجنوبي منه ميضاءات حديثة، كما شغل الجزء الشمالي وعلى امتداد جدار بيت الصلاة وحتى المئذنة مصلى خاص بالنساء مع ملحقاته. وشكلت الإضافات المستحدثة مساحة (٣٤٤,٦٥م٢)، ولاعتبارات التصميم الأساسي للمسجد أهمل التحليل المعماري لمساحات هذه الفضاءات المستحدثة رغم تضمينها في الرسومات والمخططات.


١

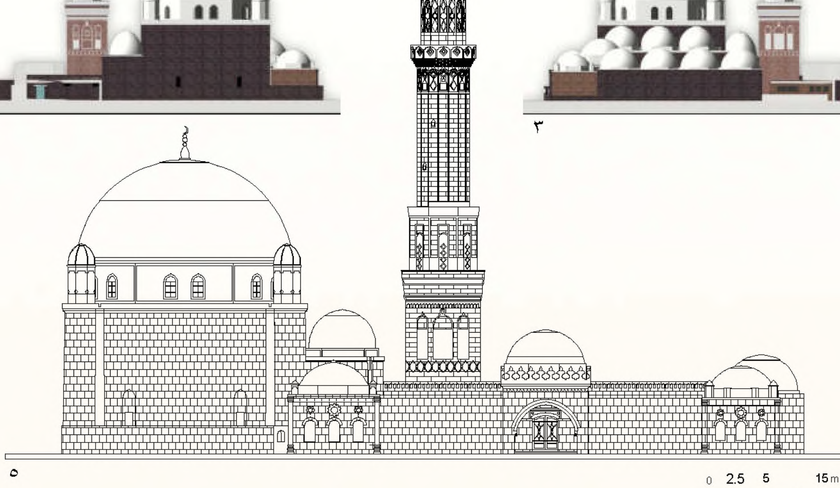

٢



٣



٤

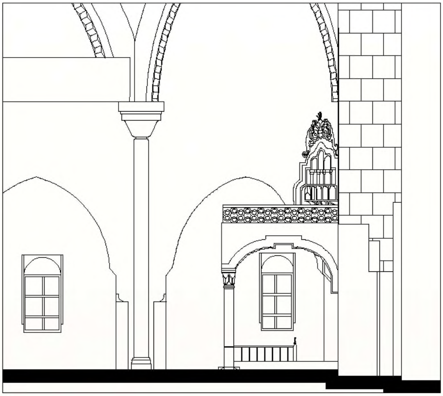


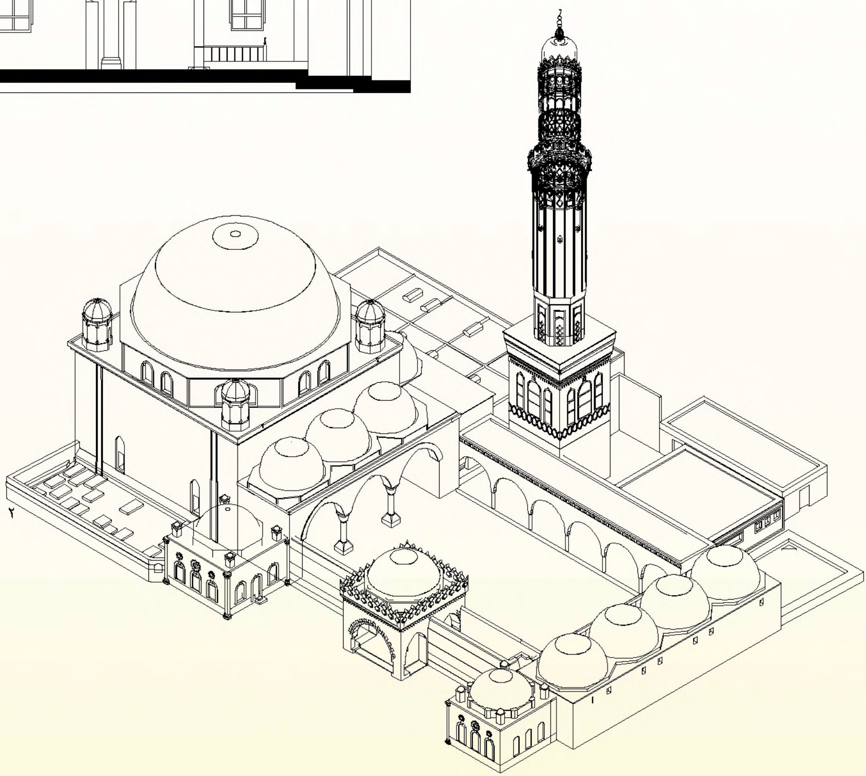
٥

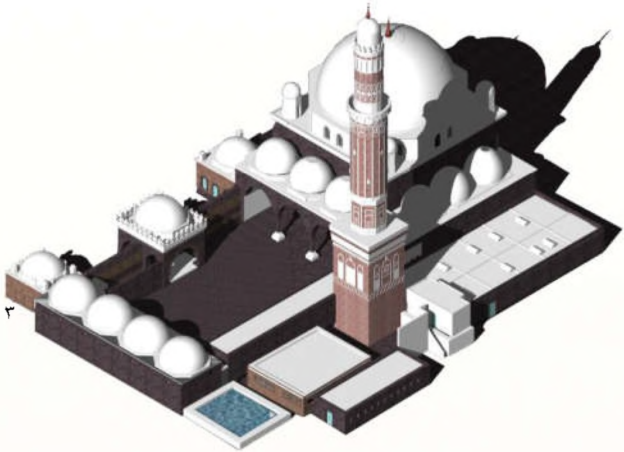


٦

١. دكة كانت خاصة بالوالي العثماني
٢. المحراب والمنبر
٣. الواجهة الجنوبية
٤. الواجهة الشمالية
٥. الواجهة الغربية
٦. الصوح


١


٢



٣



٤

١. تفاصيل داخلية
٢. منظور تحليلي
٣. منظور جنوبي شرقي
٤. منظور جنوبي غربي



١



٢



٣

البكيرية

١. (١٩٢٧م)/ المركز الوطني للوثائق

٢. (١٩٦١م)

٣. (٢٠٠١م)

مسجد الزمر



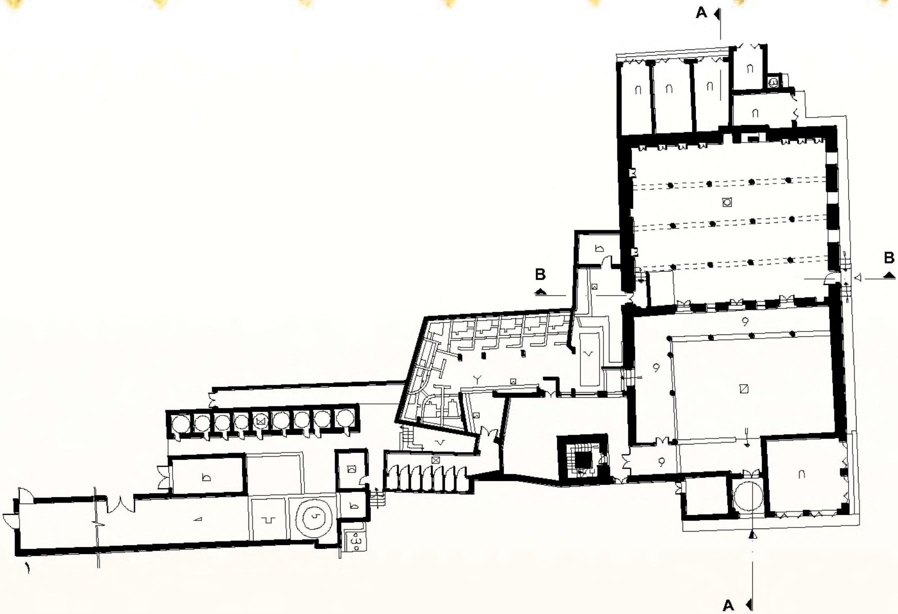


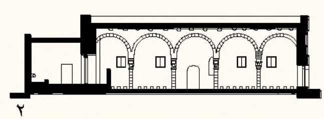
يقع في حي السرار الشرقي، حارة الزمر، ومواجهة باب شعوب. أمر بعمارته الأمير أزدمر باشا أحد المماليك المصريين الذين عملوا في خدمة العثمانيين وتولى حكم اليمن بين عامي (٩٥٦-٩٦٢هـ/ ١٥٤٩-١٥٥٥م) ونسبت تسميته إليه، مع تحوير الاسم عند الإدغام من أزدمر إلى الزمر، وجعله "قبتين بينهما المنارة وعمر تحته تكية للفقراء". غير أن الإمام المنصور بالله علي بن المهدي عباس قد جدد عمارة المسجد في سنة (١٢٠٥هـ/١٧٩٠م) وسماه مسجد الإيمان(٣)، ولكن الاسم السابق غلب عليه ودون تاريخ هذا التجديد على جدار بيت الصلاة من الداخل. ومن أبرز أثر تجديد عمارة المسجد هو تحويل سقف بيت الصلاة من القبة التي كانت في الغالب سمة عمارة المسجد في ظل الحكم العثماني إلى سقف مستوٍ. وفي سنة (١٣٤٥هـ/١٩٢٦م) أمر الإمام يحيى بن حميد الدين بفتح باب في نهاية الضلع الشرقي لبيت الصلاة وذلك لاستخدامه عند هطول الأمطار(٤).

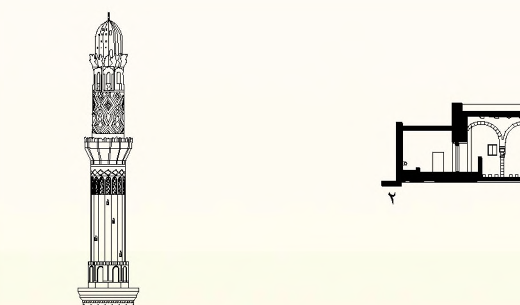
مساحة المسجد الإجمالية (١٣٨٧,٥م٢). وبيت الصلاة مستطيل الشكل مساحته (٣٠٢,٩م٢) بنسبة (٢١,٨٪) من المساحة الإجمالية للمسجد. ويرتفع سقفه المستوي على اثني عشر عموداً معقوداً تشكل أربعة مجازات موازية لجدار القبلة، ويتوسط جدار القبلة المحراب الذي زين بزخارف ذات كثافة كمية ونوعية من عناصر زخرفية نباتية ونصية، وبوحدة عضوية تداخلت مع عناصر زخرفة جدار القبلة ذات النوعية المتجانسة معها، وأطر المحراب بآية الكرسي بينما شغل عقده فاتحة الكتاب وزينت حنيته بسورة الإخلاص وإلى يمين المحراب عمل منبر في سمت الجدار وسدت فتحتاه بأبواب خشبية نفذ عليها زخارف نباتية وهندسية متنوعة.

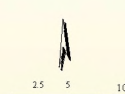


يتصل بيت الصلاة بصوح المسجد من خلال ثلاثة مداخل، وله مدخل آخر في ركنه الجنوبي الغربي يتصل بالمطاهير المسقوفة ومدخل خامس في ركن بيت الصلاة الجنوبي الشرقي وينفذ إلى قارعة الطريق. وصوح المسجد أكثر انتظاماً يحيط به رواقان الشمالي من أصل البناء والغربي أستحدث مؤخراً. وانتظام شكل الصوح هو أحد سمات المساجد التي أنشئت أثناء الحكم العثماني. ومساحة الصوح برواقيه وصالة المدخل الرئيسي للمسجد (٢٦٦م٢) وتشكل نسبة (١٩٪) ويجاور الصوح من جهة الجنوب الغربي مئذنة المسجد وهي من المآذن العالية الارتفاع ويبلغ ارتفاعها (٣٤,٣م) وقاعدتها مربعة مساحتها (١٩,٤م٢)، تزين الزخارف بدنها فيما علتها قبة مضلعة ذات رقبة طويلة زين أسفلها عند منطقة التحوير بإفريز تداخل تشكيله مع حركة التحوير من جسم جوسق المئذنة (بدنها الأعلى) لتتفرد بهذه الخاصية عن باقي مساجد صنعاء القديمة. وفي جهة الغرب ناحية الجنوب امتدت مرافق الطهارة من مطاهير تقليدية وميضاءات مستحدثة ومماشي وممرات الربط بينها لتشكل جميعاً ما مساحته (٤٨٣,٨م٢) ونسبتها (٣٤,٩٪) من مساحة المسجد. ويجاور المدخل الرئيسي للمسجد قاعة مساحتها (٤٢,٢م٢)، وكانت مدرسة لتحفيظ القرءان الكريم وتحولت وظيفتها مؤخراً للعمل التجاري. وزيد في مساحتها بمقدار الضعف تقريباً على حساب صوح المسجد. كما استحدثت خمسة محلات تجارية التصقت بجدار القبلة من الخارج مساحتها (٩٥م٢) والتصق بها من ناحية الشرق (سبيل) صغير مساحته (١,١م٢)، فيما جاور المدخل الرئيسي للمسجد من جهة الغرب محل تجاري صغير أيضاً مساحته (١٥,٢م٢)، لتشغل المحلات التجارية في مجملها ما نسبته (١١,٥٪) من مساحة المسجد. ويأتي هذا التحول لما لموقع المسجد في قلب حارة الزمر من أهمية، وذلك لكون الحارة الممتدة بين مركز السوق وباب شعوب تمثل الشريان التجاري الرئيسي والهام لتوسع سوق صنعاء على محوريه الرئيسيين والذي تطلب شغل كل المساحات الممكنة في إقامة محلات تجارية مهما بلغت من صغر في المساحة والحجم. وللمسجد بئر (مسنى) في جهة الغرب مساحته (١٤٨,٥م٢). ويتم الدخول إلى هذا المسجد من باب يتوسط الضلع الجنوبي وتغطيه قبة مقامة على أربعة عقود.

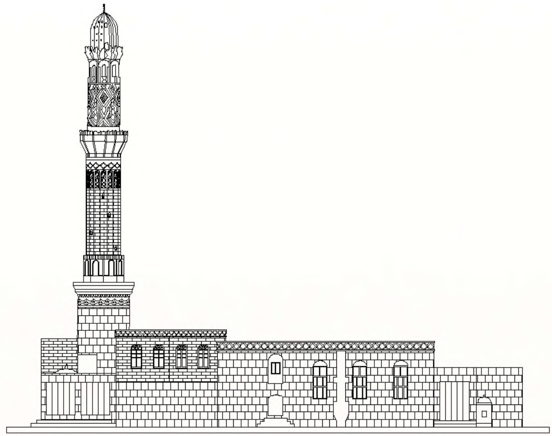




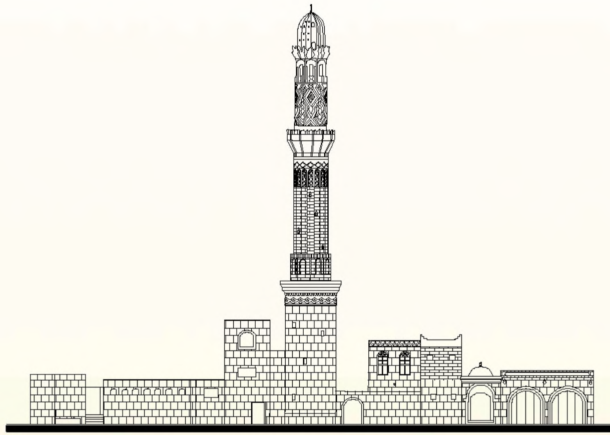




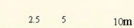
١. المسقط
٢. قطاع (B-B)
٣. قطاع (A-A)

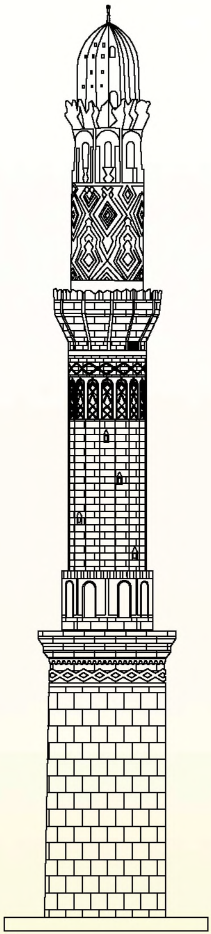


١



٢



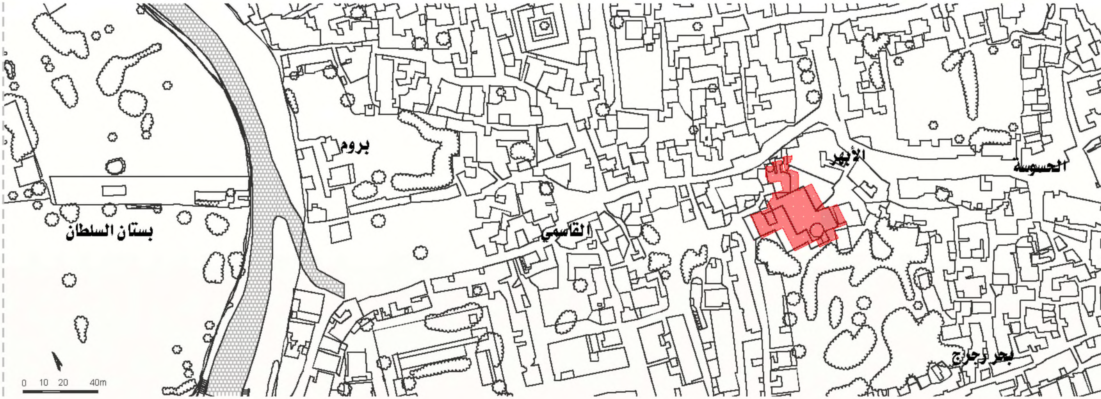


٣

١. الواجهة الشرقية
٢. الواجهة الجنوبية
٣. تفصيل للمئذنة



مسجد الأبهر





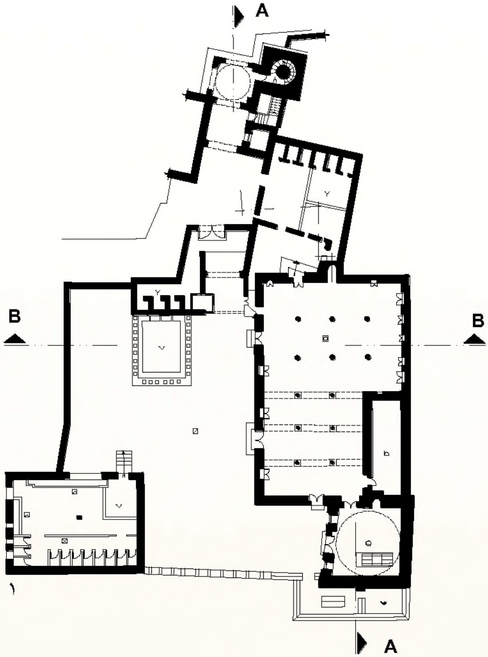
يقع مسجد الأبهر في حي السرار الشرقي وفي الجهة الجنوبية الغربية من حارة الأبهر، وعرف قديماً باسم مسجد بنت الأمير، نسبة إلى مؤسسته السيدة فاطمة بنت الأمير، الأسد بن إبراهيم بن الحسين بن أبي الهيجاء السراوري رأس أكراد ذمار، وزوجة الإمام الناصر صلاح الدين محمد بن الإمام المهدي علي، وقد أسسته في سنة (٧٧٦هـ/١٣٧٤م)، وظل المسجد على ما هو عليه حتى زاد فيه الإمام المتوكل قاسم بن الحسين في سنة (١١٦١هـ/١٧٤٨م) من الجهة الجنوبية وأضاف لضريحه قبة[٥].

تبلغ المساحة الكلية للمسجد (١٢٦٣,٢م٢) ويتم الدخول إليه من باب تتقدمه ظلة في الجهة الشمالية مسقوفة بقبة تعبر عن المدخل الرئيسي للمسجد، وتتصل عبر ممر طويل بالباب المؤدي إلى الصوح وعبر الممر تتصل صرحة الأبهر الأمامية بمماشي المسجد والساحة الخلفية لحارة الأبهر والتي تفصله عن حارتي بحر رجرج وشارب حديثتي النشأة نسبياً. ومساحة الظلة والممر (٢٩٦,٧٥م٢) وصوح المسجد غير منتظم الشكل ومساحته (٣٩٤,٧م٢) تشكل ما نسبته (٣١,٢٪) من مساحة المسجد ويتصل الصوح ببيت الصلاة عبر ثلاثة مداخل، مدخلان غربيان ومدخل جنوبي وبيت الصلاة منتظم الشكل، كان قبل توسيع المسجد صغيراً أشبه بالشكل المربع قائم على ستة أعمدة بثلاثة مجازات أفقية.

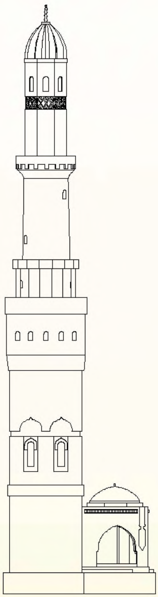
وعندما قام الإمام المتوكل قاسم بن الحسين بالزيادة لم تمكنه المساحة الخلفية لبيت الصلاة من التوسيع نحو الجنوب بشكل متساوٍ مع الجدار القديم، وذلك لوقوع عدد من قبور العلماء البارزين منهم عبد الله بن إبراهيم



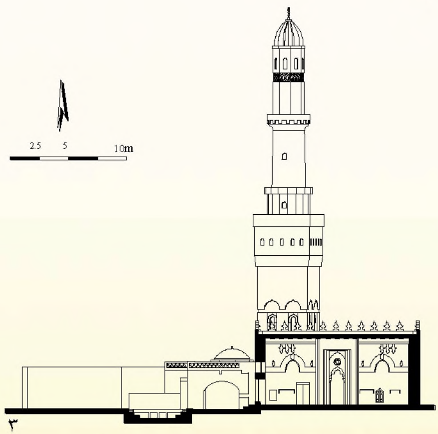
٢



١



٤



٣

١. المسقط
٢. بيت الصلاة الجهة الجنوبية
٣. قطاع (B-B)
٤. تفصيل للمئذنة

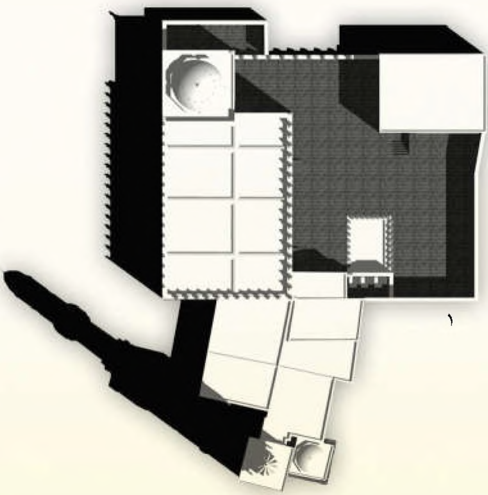
الديلمي المعروف بـ (أبو شملة) (ت٨٣٢هـ/١٤٢٩م)، والعلامة أحمد بن إسماعيل الهبل (ت١٠٦١هـ/١٦٥١م)، والقاضي محيي الدين العراسي الذين دفنوا في الجهة الجنوبية الشرقية من بيت الصلاة، لذا جاءت الزيادة بإضافة ثلاثة مجازات موازية للمجازات القديمة وبستة أعمدة معقودة، وصارت بذلك مساحة بيت الصلاة (٢٨٢,١م٢) وبنسبة (٢٢,٤٪) من إجمالي مساحة المسجد.

ويتوسط جدار القبلة محراب المسجد الغائر فيه والبارز عن سمْته إلى الخارج بنحو (١٠٥م) وحنية المحراب غائرة بعمق (١,٢م) وعرض فتحتها (متر)، ويكتنف الحنية من كل جانب عمودان مندمجان يرتكز عليهما عقد مدبب وتتدلى من بطنه ستارة قصية مزخرفة وأطر المحراب بشريط زخرفي عرضه (٠,٥م) نقشت عليه بالقص كتابة وآيات قرآنية بخط كوفي وعلى مهاد من عناصر الزخرفة النباتية هي آية الكرسي (سورة البقرة الآية ٢٥٥). ويتميز المحراب بكثافة زخارفه القصية المتقنة إلا أن عملية طلائها المستمرة بالدهان الحديث المتعدد ألوانه قد أفقدها رونقها وشوه معالمها، وهذا شأن الكثير من الزخارف الداخلية التي اعتمدت هذا الأسلوب.

ويتوج بيت الصلاة من الخارج أفاريز (شرفات) على هيئة ورقة نباتية. ويجاور بيت الصلاة من جهة الجنوب فضاء مربع الشكل مسقوف بقبة فيه قبر الإمام المنصور بالله الحسين بن الإمام المتوكل ويعلو قبره تركيبة خشبية مؤلفة من ثلاثة مستويات تزينها زخارف متنوعة العناصر ولهذا الضريح محراب حنيته أشبه بالقبو.

ومن الجدير بالذكر أن الأضرحة المسقوفة بقبة لها محرابها الخاص، ومساحة هذا الضريح بالإضافة إلى فضاء القبور المجاورة لبيت الصلاة من جهة الجنوب الشرقي هي (٩٨,٧م٢) فيما تجاور الضريح من جهة الجنوب مقبرة صغيرة بمساحة (٣٤,٦م٢). أما مطاهير المسجد التقليدية القديمة فقد أتت المسقوفة منها في الجهة الشمالية ما بين المئذنة وبيت الصلاة وتتصل ببيت الصلاة عبر ممر منكسر ومسقوف، ومساحتها (١١٣,١م٢). بينما المطاهير المكشوفة توسطت الجدار الشمالي لصوح المسجد وامتدت بركة الوضوء المكشوفة داخل الصوح ومساحتها (٧٢,٢م٢) فيما استحدثت ميضاءات حديثة في الركن الجنوبي الغربي للصوح مساحتها (١٢٢,٥م٢) لتشكل مطاهير المسجد وميضاءاته الحديثة ما نسبته (٢٤,٤٪). وترجع مئذنة المسجد إلى الزيادة التي أضافها الإمام المنصور بالله حسين بن قاسم سنة (١١٦١هـ/١٧٤٨م) ومساحة قاعدتها المربعة مع امتداد مدخلها (٣٣م٢)، واحتلت المئذنة موقعاً متقدماً عن جدار القبلة لتغاير بذلك موقع مآذن مساجد صنعاء، ومالت محاور إنشائها عن المحاور الرئيسية لبيت الصلاة، وجاء ذلك في مجمله، بغرض توجيه الحركة للحارة لتضيف إلى وظيفتها الرئيسية ذات الصلة بالمسجد وظيفة المعلم المميز والموجه ذي الصلة بالحارة، وهذه المئذنة من المآذن العالية ترتفع عن مستوى الأرض (٣٠,٥م). وهي ذات اتساق وانسجام بين أجزاء مكوناتها، وبدنها خالٍ من الزخرفة والمئذنة مكسية بطبقات من القص وتوضح النتوءات النافرة والغائرة في جسم بدن المئذنة، أن الزخارف كانت منتشرة بشكل بسيط في بدنها ومع عمليات الصيانة المستمرة والتكسية بالقص، طمست معالمها.

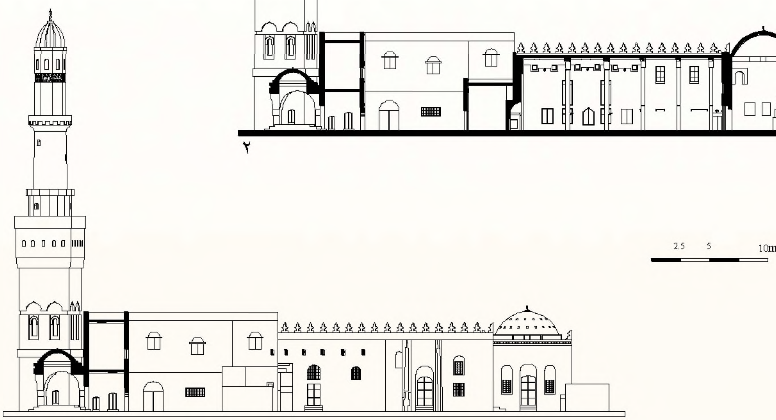
ومسجد الأبهر منظومة متكاملة فبالإضافة إلى ما سلف ذكره فإنه يحتوي على مدرسة تجاور مئذنته من جهة الشرق وفي الطابق الثاني يليها حمام ساخن (الأبهر) وكان له بئر مسنى، ومقشامته في جنوبه وتمتد بإزاحة باتجاه الشرق.



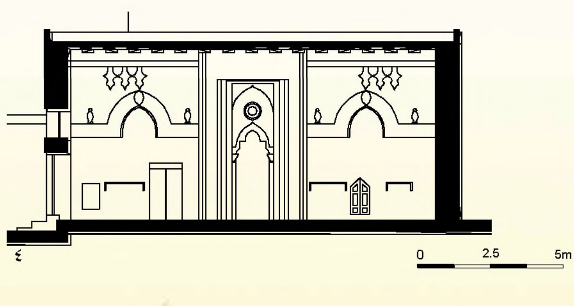
١



٢

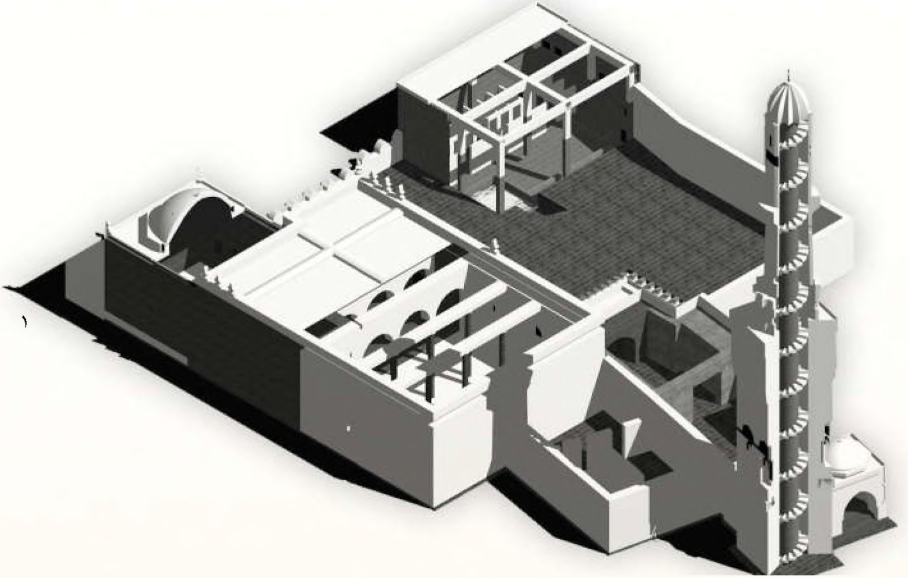


٣

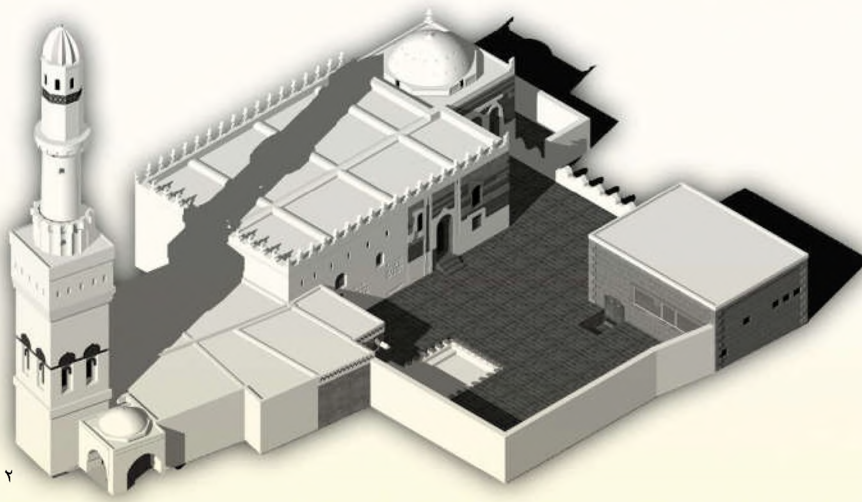


٤

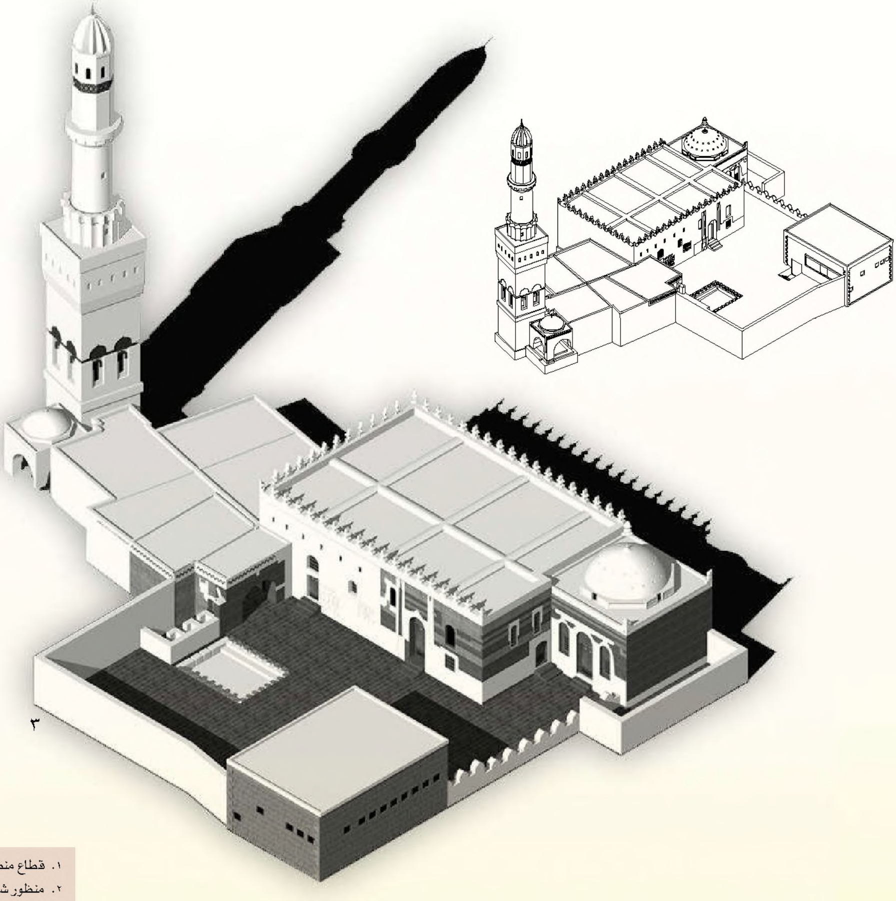
١. منظور علوي
٢. قطاع (A-A)
٣. واجهة غربية
٤. تفصيل للمحراب وجدار القبلة



١



٢



٣

١. قطاع منظوري
٢. منظور شمالي غربي
٣. منظور جنوبي غربي

قبة طلحة

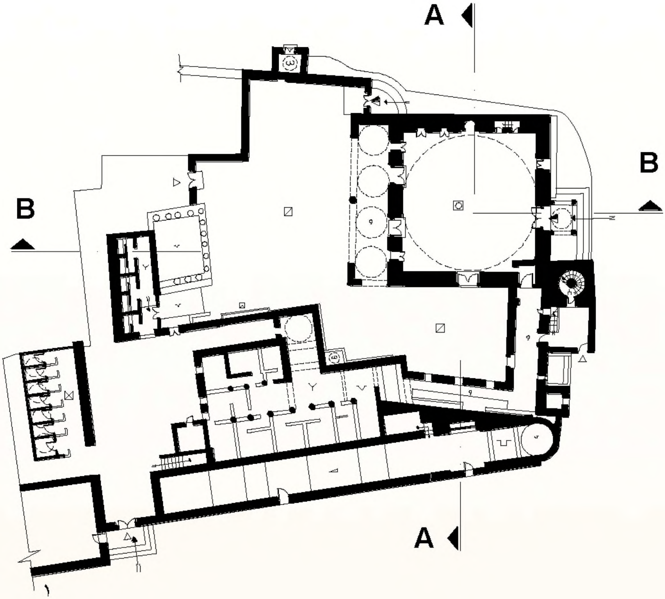




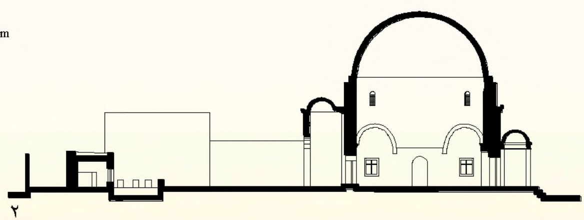
مسجد قبة طلحة يقع في حي السرار الشرقي حارة طلحة، وهو من المساجد القديمة في صنعاء إذ أشير إليه في خطط صنعاء في القرن الرابع الهجري[٦] إلا أنه لا يعرف متى أسست عمارته الأولى ولا من قام بعمارتها غير أن بعض المؤرخين يشيرون إلى أن الوزير العثماني محمد باشا قد وسعها وعمر منارتها وفرشها بالفرش النفيس في سنة (١٠٢٩هـ/١٦١٩م) بعد أن كانت مهجورة،[٧] بينما يشير البعض الآخر إلى أن الإمام المهدي لدين الله عبد الله بن الإمام المتوكل أحمد قد زاد فيها زيادة نافعة وجعلها قبة وحسنها تحسينا ظاهراً في عام (١٢٤٧هـ/١٨٣٢م)[٨].

وواقع الحال أن هناك فجوة واسعة بين التاريخين فمن المحتمل أن يكون الإمام المهدي عبد الله قد قام بتجديد القبة القديمة بعد أن أصابها بعض التصدع والتلف، لا سيما أن عمارة القبة تميزت بالإحكام والمتانة فضلاً عن استعمال الحجارة المهندمة وبناء الجدران السميكة بحيث لم تحتاج إلى ترميم إلا بعد قرنين من الزمان.

تبلغ المساحة الكلية للقبة (المسجد) (١٥٩٠م٢)، وتتألف من بيت الصلاة يحيط به من الجهتين الغربية والجنوبية صوح تطل عليه ملحقات المسجد، أما بيت الصلاة فهو عبارة عن فضاء مربع الشكل تبلغ مساحته (١٩٧،٤م٢) ويمثل نسبة (١٢،٤٪) من المساحة الإجمالية للمسجد، ويحيط بيت الصلاة جدران سميكة مبنية من حجر البازلت الفقاعي (الحبش)، وفتحت خمسة أبواب في الجدران منها واحد في الجهة الشرقية يؤدي إلى الشارع مباشرة ويتقدم هذا المدخل ظُلَّة مؤلفة من قبة نصف كروية ترتكز في كل جهة على عقد نصف دائري وتؤلف هذه العقود في مجموعها قاعدة مربعة حُور أعلاها إلى مثمن يحمل القبة.



١



٢

١. المسقط
٢. قطاع (B-B)

أما الجهة الغربية من بيت الصلاة فقد فتح فيها بابان يتقدمهما رواق مفتوح على الصحن بثلاثة عقود نصف دائرية، ويغطي سقف هذا الرواق أربع قباب خالية من الزخرفة، وفتح في الجهة الجنوبية بابان أحدهما يؤدي إلى المطاهير.

وسقف بيت الصلاة بقبة مركزية قطرها (١٢,٤م) أنشئت بالتحوير على مثمن ارتفع (٢,١٥م) وتتوسط كل ضلع من أضلاعه نافذة مستطيلة معقودة وقد فتحت في فتحات دائرية على أربعة صفوف للإضاءة سُدت منها أربع في إحدى أعمال الترميم. وكسيت القبة وزخرفت بالقضاض من الخارج بزخارف نباتية محورة من التوريق العربي (الأرابسك). ويتوجها الميل المكون من ثلاث كرات معدنية قائمة على قاعدة معدنية ويعلو الجميع هلال معدني، وتشكلت في المساحة المزاحة من التحوير الإنشائي لسقف القبة وفي الأركان الأربعة من الخارج أربعة أبراج متماثلة ثمانية الأضلاع سقف كل منها بقبة، وارتفاع البرج منها يصل إلى نحو (٢,٤م).

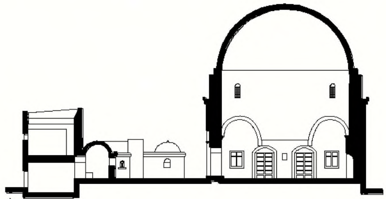
يتوسط جدار القبلة من الداخل محراب مجوف له حنية غائرة عمقها (٩٠سم) وعرض فتحتها (٨٦ سم) وارتفاعها (٢م) وتغطي الحنية من أعلاها نصف قبة مفتوحة بعقد نصف دائري واجهته على شكل عقد مفصص بارز يرتكز على عمودين مندمجين. كما يجاور المحراب من اليمين منبر بسيط غير واضح ويأتي في سمت الجدار وله فتحتان محكمتان ببابين خشبيين مزخرفين.

يحيط الصوح ببيت الصلاة من الجهتين الغربية والجنوبية وتبلغ مساحته مع الظلة الغربية لبيت الصلاة (٣٩٤,٢م٢) ويشكل نسبة مقدارها (٢٤,٨٪)، رصفت أرضيته بأحجار الحبش، وتقع المطاهير في الركن الجنوبي الغربي من الصحن وامتدت في الاتجاهين الشرقي والغربي وبلغت مساحتها (٢١٢,٢م٢)، أما المطاهير المكشوفة بنوعيها فتقع غرب الصوح ومساحتها (٨٠,٦م٢)، وتشكل المطاهير المغطاة والمكشوفة (١٨,٤٪) من مساحة المسجد وفي الجهة الغربية باتجاه الجنوب تقع الماشي ومساحة فضاءاتها (٤٧,٤م٢)، وهي مسقوفة بقباب صغيرة، تجاور المماشي باتجاه الجنوب مقصورة مساحتها (٥٢م٢)، كما تفصل المماشي والمقصورة، ومباني الجدارين جهة الغرب لبقية مكونات المسجد من جهة الشرق، ساحة غير منتظمة الشكل تتفرع منها ممرات إلى ميضاءات المسجد والجهة الشمالية للحارة، والمماشي مساحتها الإجمالية(٢٠٧م٢). ويتم الدخول إلى هذا المسجد من خلال ثلاثة مداخل، الشرقي منها ينفذ إلى بيت الصلاة مباشرة أما الشمالي فيؤدي إلى الصوح، والمدخل الثالث فتح في الركن الجنوبي الغربي ويؤدي إلى أماكن الوضوء (المطاهير). ومئذنته متوسطة الارتفاع ذات قاعدة مربعة مساحتها (١٨,٢م٢) وترتفع (٢٢,٨م) ويدنها مزدان بزخارف الياجور والقص.

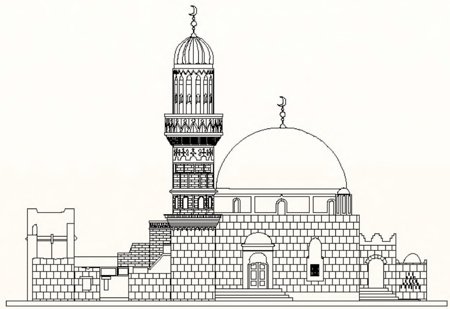
والمئذنة من المآذن المتوسطة والمزخرفة وتشكل مع القبة تكويناً متسقاً ومنسجماً مع التكوين العام للمسجد، ارتفاعها (٢٣,٣م) وتلتصق ببيت الصلاة في ركنه الجنوبي الشرقي.

ولقبة طلحة بئر (مسنى) متميز، مساحة مكوناته (١٦٦,٧م٢)، ويلاصق المسجد على امتداد واجهته الجنوبية وبنيت عليه غرف (منازل) لطلاب العلم مساحتها (١٦٥م٢)، ويلتصق بجدار الصوح من جهة الشمال سبيل مسقوف بقبة صغيرة يفتح نحو الطريق، مساحته (٦,٣م٢).

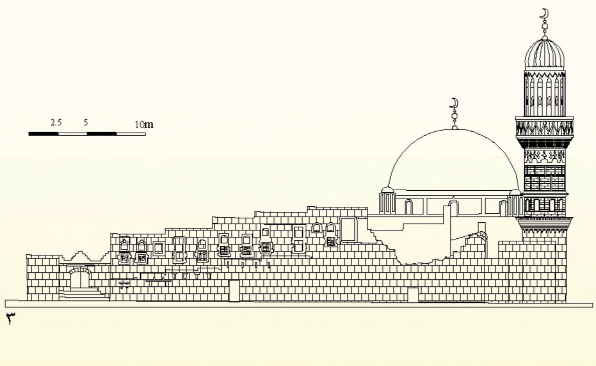




١



٢



٣



٤



٥

١. قطاع (A-A)
٢. الواجهة الشرقية
٣. الواجهة الجنوبية
٤. ٥. المئذنة من جهتي الشمال والجنوب

مسجد الفليحي



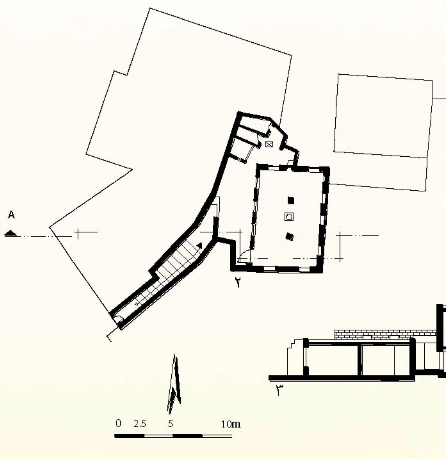
يقع المسجد في حي السَّرار الشرقي ويتوسط حارة الفليحي وينسب إلى مؤسسه الحاج أحمد بن عبد الله الفليحي سنة (٦٦٥هـ/١٢٦٦م) ودون هذا التاريخ على الجدار الجنوبي لبيت الصلاة من الداخل[٩].

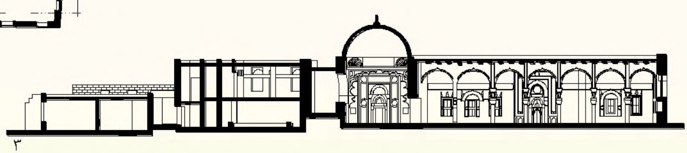
وقد توالت عليه الإضافات والتجديدات المتعاقبة، إذ زاد فيه الإمام المتوكل على الله شرف الدين يحي بن شمس الدين في النصف الأول من القرن (١٠هـ/١٦م) زيادة في الجهتين الشمالية والغربية، وفي سنة (٩٤٤هـ/١٥٨٥م) قام الوالي حسن باشا الوزير بعمارة وإصلاح هذا المسجد، أنشأ مئذنته في الجهة الجنوبية الشرقية للمسجد. وفي القرن (١٢هـ/١٨م) وسعه الإمام المهدى محمد بن احمد بن الحسن من الجهة الشمالية، ثم جدده ووسعه الإمام المهدي عباس في سنة (١١٧٠هـ/١٧٥٦م)، ودون تاريخ هذه التوسعة في شريط من القص نفذ على جدار بيت الصلاة الغربي من الداخل. وكانت التوسعة الأخيرة من قبل السيد محسن بن محمد فايع سنة (١١٩٤هـ/١٧٨٠م)، ودون هذا التاريخ على جدار القبلة[١٠].

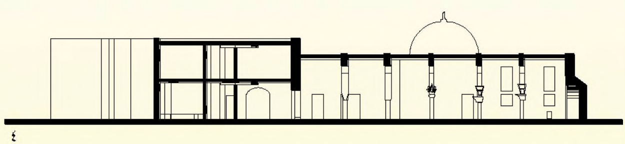
ولا يختلف تخطيط هذا المسجد عن غيره من مساجد صنعاء، إذ يتألف من صحن مكشوف وبيت الصلاة ومساحته الإجمالية(١٩٤٨م٢). وبيت الصلاة مستطيل الشكل تقريباً، مساحته (٥١٧,١م٢) بنسبة (٢٦,٥٪)، وسقفه مستوي محمول على خمسة صفوف من الأعمدة المعقودة لتشكل بذلك ستة مجازات، وتيجان الأعمدة متباينة الأشكال، وفروق التباين توضح مراحل التوسعات، والكثير منها مزخرفة بطبقات قصية دهنت حديثاً بألوان مختلفة.











١. مسقط الطابق الأرضي
٢. مسقط مسجد النساء الطابق الأول
٣. قطاع (A-A)
٤. قطاع (C-C)

ويتوسط جدار القبلة محراب يرجع تاريخه إلى التوسعة الأخيرة وحنيته تبرز عن الجدار نحو الخارج بنحو (١,٥م) وعمقها (متر)، وسعة فتحتها (٠,٩م)، وزخرفت بزخارف قصية عناصرها نباتية وهندسية ونصية ترتبط عضوياً وتتصل بزخارف إطار المحراب خاصة وجدار القبلة عامة، وبنفس عناصرها الزخرفية ومادتها، وسيطر عليها العنصر الزخرفي النصي وبخط الثلث سورة البقرة (آية الكرسي) وهي السمة الغالبة للزخرفة النصية لجدار القبلة في مساجد اليمن وكونت على غرار الأعمدة وتيجانها، ويلتصق بيت الصلاة من الجهة الغربية بالضريح المربع الشكل والمسقوف بقبة و ترجع عمارته إلى القرن (٦هـ/١٣م) وفيه عدد من القبور أهمها قبر الإمام الشوكاني (ت١٢٥٠هـ/١٨٣٤م) ومساحته بالإضافة إلى الضريح المجاور له (٩٢,٢م٢) وصوح المسجد غير منتظم الشكل وصغير نسبياً عن غيره من المساجد الأخرى وذلك نتاج التوسعات الأخيرة والحديثة منها والتي شغلت جزءاً كبيراً من مساحته الأصلية ولم يبق منه سوى (١٧٩م٢) وبنسبة (٩,٩٪)، ومدخل المسجد الرئيسي جنوبي غربي مساحة صالته (٢١,٤م٢) ويتصل بمطاهير المسجد التقليدية ومساحتها (٢٩٥,٨م٢) والمتصلة مباشرة ببيت الصلاة عبر ممر منكسر مسقوف، وللمسجد مطاهير مكشوفة تقع في الجزء الغربي منه مساحتها (٤٧,٣م٢) وميضاءات استحدثت في جزئه الغربي من جهة الشمال على أنقاض الماشي ومساحتها (٢٣٩,١م٢) جاورتها بركة ماء مكشوفة مستطيلة الشكل مساحتها مع الممر الرابط (٨٢,٦م٢) وحالياً فصلت عن فضاء المسجد بجدار التوسعات الحديثة، والمساحة الكلية للمطاهير التقليدية المسقوفة والمكشوفة وبركة الماء الخارجية والميضاءات الحديثة تشغل ما نسبته (٣٦,٦٪) من إجمالي مساحة المسجد، وشملت التوسعات الحديثة إضافة مصلى للنساء مع مرافقه في طابق علوي ارتفع في الجهة الغربية للصوح يؤدي إليه درج مفتوح على الخارج ومساحة مصلى النساء (١٣٣,٧م٢) وعلى امتداد توسع مصلى النساء ومن جهتي الجنوب والجنوب الشرقي وعلى فضاءات المدخل الرئيسي والميضاءات التقليدية استحدثت فضاءات مدرسة لتحفيظ القرآن الكريم. وفتحت في الجهة الجنوبية الغربية في الطابق الأرضي للتوسعات الحديثة خمسة محلات تجارية صغيرة.

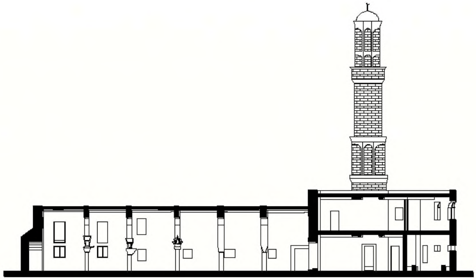
وتفصل مئذنة المسجد عن بيت الصلاة من جهة الشمال مقصورة صغيرة مساحتها (١٠,٢م٢) وتتصل مباشرة ببيت الصلاة، ومئذنته متوسطة الارتفاع ذات قاعدة مربعة مساحتها (١٠,٢م٢) وترتفع (٢٢,٦م) وتكسو طبقة القص بدنها وعلى غرار مئذنة مسجد الأبهر تشير النتوءات البارزة إلى أن زخارفها طمست أيضاً. وكان للمسجد بئر (مسنى) في الجهة الشرقية ومقشامته من أكبر مقاشم مدينة صنعاء القديمة وتجاوره من جهة الشمال.



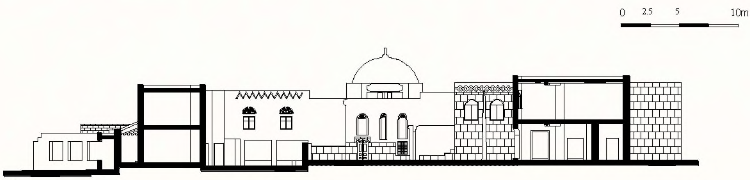
١



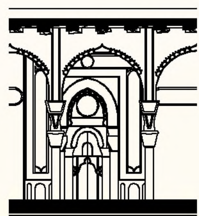
٢



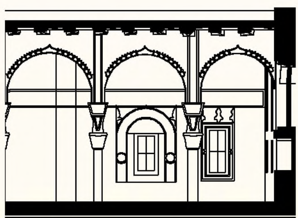
٣



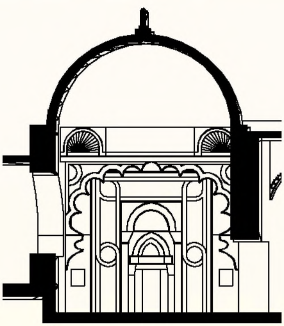
٤



٥



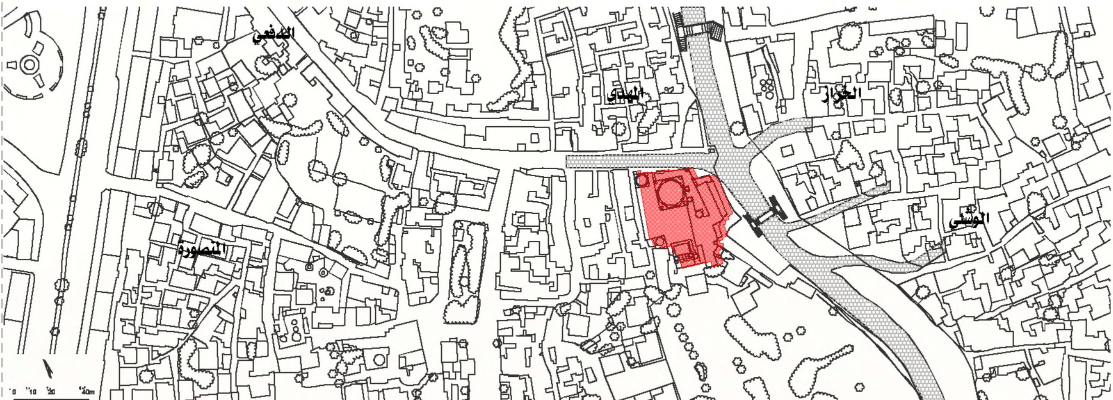
٦



٧

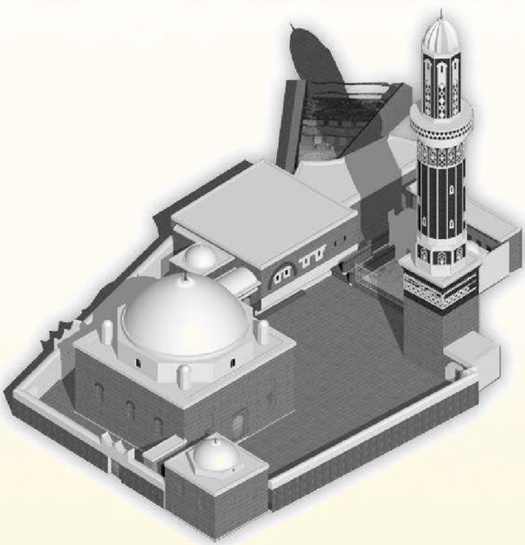
١. المسجد من سقفه
٢. المحراب
٣. قطاع (D-D)
٤. قطاع (B-B)
٥. تفصيل للضريح
٦. تفصيل للأعمدة والعقود
٧. تفصيل المحراب

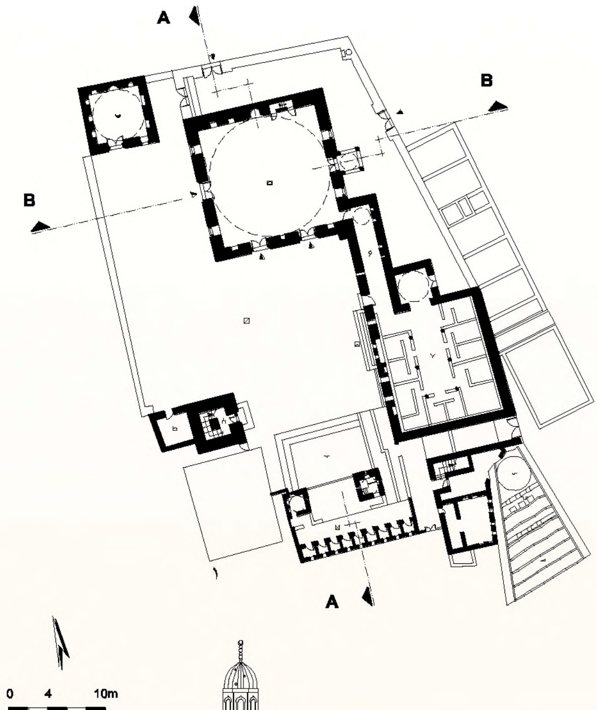
مسجد قبة المهدي



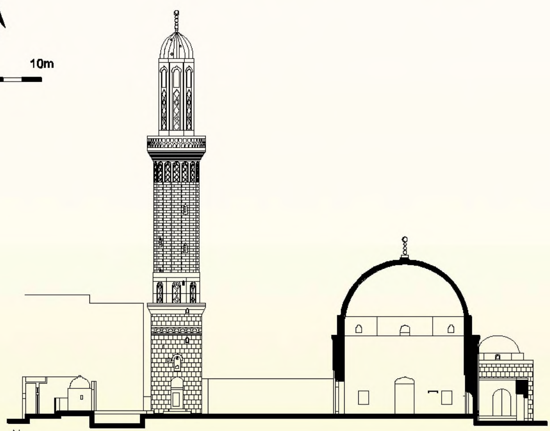
يقع مسجد قبة المهدي في حي السَّرار الغربي حارة المهدي وعلى الضفة الغربية للسايلة، أمر بعمارته المهدي عباس بن المنصور حسين سنة (١١٦٤هـ/١٦٥١م)[١١] مساحته الإجمالية (١٧١٤,٢م٢)، وله مدخلان رئيسيان من جهتي الشمال والشرق ينفذان إلى صوح المسجد الفرعي، لأن صوح المسجد الرئيسي يقع في جهة الغرب والجنوب لبيت الصلاة، لذا جاء شكل الصوح غير منتظم، ومساحته (٨٣٤,١م٢) يشكل ما نسبته (٤٨,٧٪) ومرصوف بكتل أحجار الحبش المهندمة والمترابطة بإتقان بمادة القَطْرَة.

أما بيت الصلاة فمربع الشكل مساحته (٢٢٩م٢) وبنسبة (١٣,٤٪) من مساحة المسجد، ويتصل بالصوح من جهة الجنوب بمدخلين، ومن جهة الغرب بمدخل واحد يقابله مدخل من جهة الشرق تتقدمه ظلة مسقوفة بقبة محمولة على عمودين وعقود من ثلاث جهات، وجميع مداخله معقودة أيضاً وهذه سمة الكثير من بيوت الصلاة في مساجد صنعاء، وفي جداري بيت الصلاة الشرقي والغربي فتحت أربع نوافذ محكمة بمصاريع خشبية ذات زخارف نباتية (أرابسك) المتقنة والمصفحة بالمعدن، كما فتحت في الجدارين الشمالي والجنوبي خزانات مؤطرة بزخارف قصية وسدت بعضها بأبواب خشبية مزخرفة أيضاً.





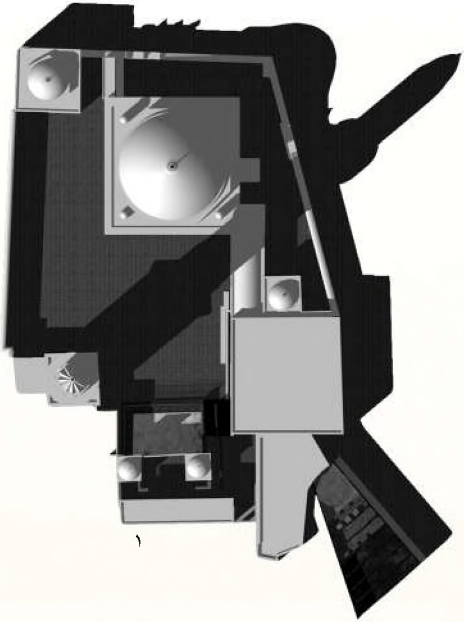
١


٢

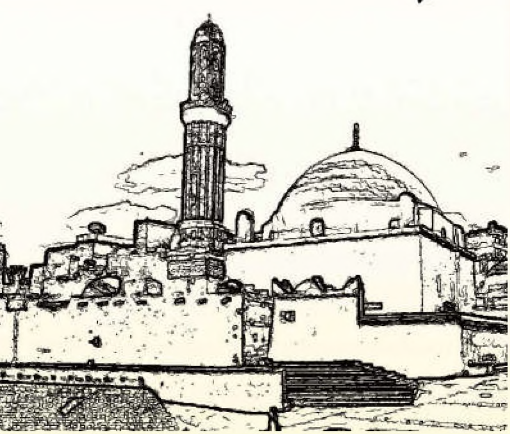
١. المسقط
٢. قطاع (A–A)

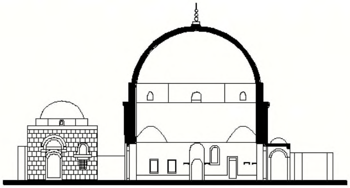
أما المحراب فيتوسط جدار القبلة وهو عبارة عن حنية مجوفة عمقها (٠,٩٥م) وفتحتها (١,١م) ويتوجها عقد نصف دائري، ويلاحظ على هذا المحراب خلوه من الزخرفة وكذلك غوره في سمت الجدار فقط دون بروزه إلى الخارج.

كما يجاوره منبر بسيط غير واضح ويأتي أيضاً في سمت الجدار وله فتحتان محكمتان ببابين خشبيين مزخرفين، وسقف بيت الصلاة بقبة قطرها (١٣,٤م) ترتكز على قاعدة ثمانية الأضلاع قامت على حنايا التحوير الإنشائي وفي كل ضلع منها نافذة معقودة لغرض الإضاءة الداخلية، وتُزيِّن زخارف القضاض البسيطة سطح القبة الخارجي، وكذلك القاعدة المثمنة، وتشكلت، في المساحات المزاحة بالتحوير الإنشائي بسقف القبة وفي الأركان الأربعة من الخارج، أربع كتل ثمانية الأضلاع سقف كل منها بقبة وهي متشابهة من حيث التشكيل المعماري والزخرفي، وارتفاعها يماثل ارتفاع قاعدة القبة المثمن (٣م) ويتصل بيت الصلاة من خلال ممر منكسر في ركنه الجنوبي الشرقي بالمطاهير، وبيت الصلاة هذا يتشابه في الكثير من الخصائص المعمارية والإنشائية مع بيت الصلاة في مسجد قبة طلحة. إلا أنه يختلف عن مساجد القبة في عدم وجود ظلة ممتدة على أي من جداريه الجانبي أو الخلفي لتتقدم مداخله الرئيسية. ومن ناحية الشرق وجنوب بيت الصلاة تقع مطاهير المسجد المسقوفة ومساحتها (٢٥٧,٥م٢)، وإلى جوارها من ناحية الغرب جنوب الصوح تقع البركة والمطاهير المكشوفة ومن خلفها تقع المماشي المسقوفة بقباب والتي حورت مؤخراً إلى ميضاءات ومساحتها جميعاً (١٩٥,٦م٢) وتشكل مساحة المطاهير المسقوفة والمكشوفة والمماشي (الميضاءات الحديثة) ما نسبته(٢٦,٤٪) من مساحة المسجد ويجاور بيت الصلاة من جهة الشمال الغربي ضريح مربع الشكل مساحته (٥٠,٣م٢) مسقوف بقبة، والضريح كغيره من مباني الأضرحة الملحقة بمساجد صنعاء القديمة من حيث الشكل والزخرفة الداخلية ووجود المحراب الصغير في جداره الشمالي، لهذا فهي تأتي على نسق محورية المسجد بإتجاه القبلة، وترتفع من جهة الجنوب الغربي مئذنة المسجد ذات القاعدة المربعة ومساحتها (٢٧م٢) ومئذنة المسجد من المآذن العالية إذ يبلغ ارتفاعها (٣٩,٧م) وزخرفت المئذنة بدءاً بالجزء العلوي للقاعدة وحتى قبتها بتشكيلات زخرفية من الياجور وكسيت بالقص. وقبة المئذنة محدبة ومضلعة التشكيل، ويعلو الميل كل من قبتي بيت الصلاة والمئذنة. وتجاور قاعد المئذنة من جهة الغرب مقصورة صغيرة مساحتها (١٥,٢م٢) وللمسجد بئر مسنى في جنوبه الشرقي لم يبق منه سوى فوهته وجزء من مرنعه وملحقاته الخدمية ومساحته (١٠٥,٦م٢).

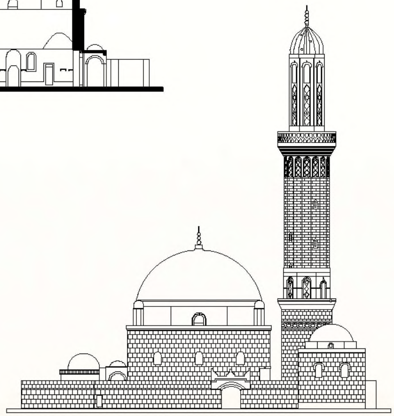


١

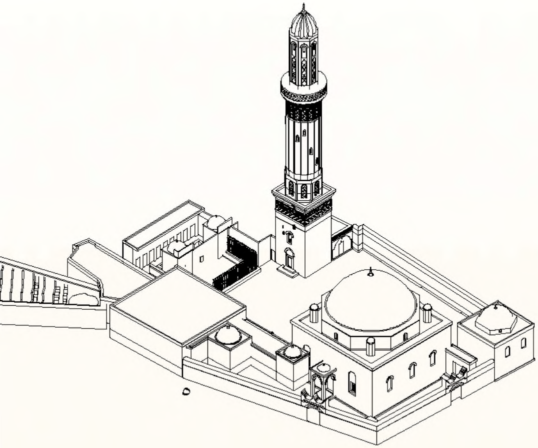




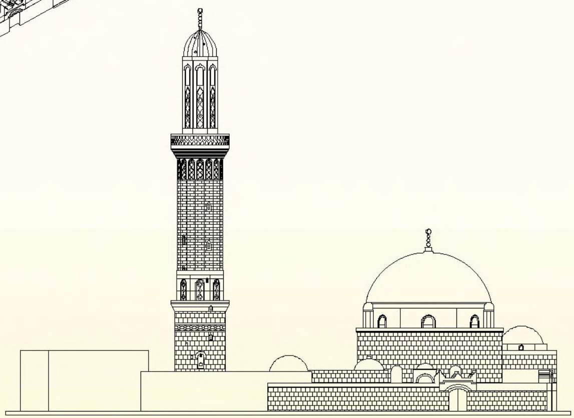
٢



٣



٥



٤

١. منظور علوي
٢. قطاع (B-B)
٣. الواجهة الشمالية
٤. الواجهة الشرقية
٥. منظور شمالي شرقي

فيما اندثر جزء كبير من مرنعه بعد تعميق بئره وتحويل آلية جر الماء التقليدية إلى الحديثة (إرتواز).

ومن جهة الشرق وما بين جداري البئر والمطاهير المسقوفة يوجد مدخل مع ممر مسقوف، كما ينفذ ممر آخر ما بين جدار البئر الغربي والجدار الشرقي للماشي إلى البستان الكبير الذي يقع جنوب المسجد وأسفل هذا الممر تمتد قنوات تصريف مياه المطاهير إلى البستان.

وفي الركن الشمالي الشرقي يوجد سبيل صغير يتداخل في التكوين مع جدار سور المسجد من الداخل.

ومن الجدير ذكره أنه يلاحظ وجود منبر صغير في جدار القبلة مخفي في سمت الجدار ومحكم الإغلاق لكل من مسجد قبة المهدي ومسجد قبة طلحة، وفي حين أن صلاة الجمعة كانت لا تؤدى إلا في الجامع الكبير فإن وظيفة هذين المنبرين انحصرت في الوعظ وإلقاء الخطب في المناسبات المختلفة عدا العيدين والجمعة.

ومسجد المهدي وإن جاء على نمط عمارة مساجد القبة والتي كانت بدايتها في مرحلة الوجود العثماني الأول في اليمن إلا أن نشأته أتت في مرحلة الدولة الإمامية الأولى والتي فصلت بين مرحلتي الوجود العثماني.

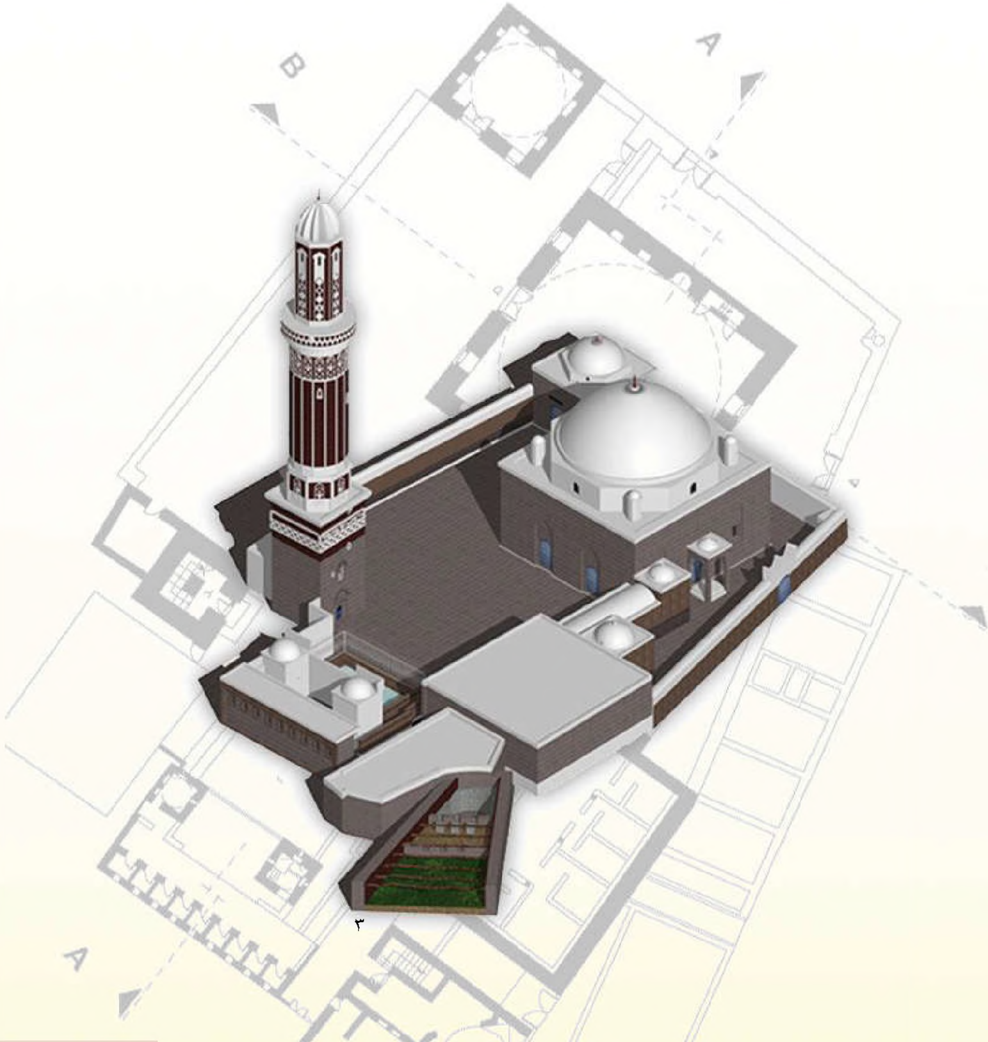
وعمارة هذا المسجد تبرز بوضوح الكثير من القيم المعمارية الجمالية والتي ساعد في إبرازها موقعه المسيطر والذي جاء نتاجاً لانكسار مجرى السايلة وفي وسطها تقريباً مما جعل للسايلة محوران متوازيان، يأتي المسجد في وسطهما فضلاً عن قربه من الجسر الرابط بين جزئي المدينة القديمة من ناحية والمساحة الخالية من البناء التي شغلها بستان السلطان بدءاً من أطراف المسجد الجنوبية وحتى سور المدينة الجنوبي من ناحية أخرى.



١



٢

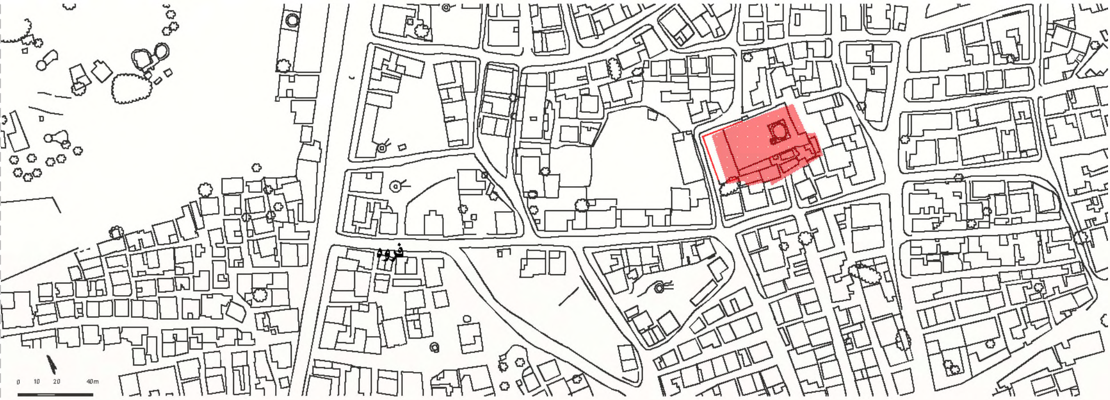


٣

١. الصوح

٢. الواجهة الجنوبية

٣. منظور جنوبي شرقي





يقع هذا المسجد خارج مدينة صنعاء القديمة وفي الجهة الشمالية الشرقية من باب شعوب شمال المدينة، حارة مسيك، وبالقرب من الجبانة (مصلى العيدين)، وينسب تأسيس المسجد إلى الصحابي الجليل فروة بن مسيك المرادي، وتشير المصادر التاريخية إلى أن ابن الرويَّة قد جدده وزاد فيه حتى أطلق عليه مسجد ابن الرويَّة، ثم جدده في سنة (٤٠٧هـ/١٠١٦م) محمد بن حسين الأصبهاني[١٢]، غير أن زيادة كبيرة قد حدثت فيه سنة (٩٩٤هـ/١٥٨٥م) على يد الوالي حسن باشا الوزير الذي أمر برفع بنيانه وتشييده وإصلاح ما أندرس منه وتسقيفه بقبة وليس ذلك فحسب بل وأضاف إليه المئذنة التي ما تزال قائمة إلى اليوم[١٣]، وبعد ذلك توالت عليه التجديدات المتعاقبة التي غيرت من شكل البناء عما كان عليه ولا سيما تلك الإضافة الأخيرة التي ساهمت بها المملكة العربية السعودية سنة (١٣٩٣هـ/١٩٧٣م).

تبلغ مساحة المسجد الإجمالية (١٥٥٤,٦م٢)، ومن خلال التتبع التاريخي لنشأة وتطور عمارة المسجد يتضح أن مساحة بيت الصلاة والضريح وما يليه من جهة الجنوب، تمثل النشأة الأولى لعمارته وتطورها حتى سنة (٩٩٤هـ/١٥٨٥م)، وبمساحة لا تزيد عن (٦٥م٢)، وبعد أن زاد فيه حسن باشا توسع لتصل الفضاءات المسقوفة فيه (٢١١,٥م٢)، وسقف بيت الصلاة، بقبة على غرار مساجد القبة داخل صنعاء القديمة، قطرها (٧,٧م). إلا أن الزيادة الأخيرة وفي بيت الصلاة خصوصاً بلغت (٦٢٩,٥م٢) وبنحو ثلاثة أضعاف ما كان عليه قبل ذلك، لتتوسط المئذنة بيت الصلاة ويميل نحو الجنوب الشرقي

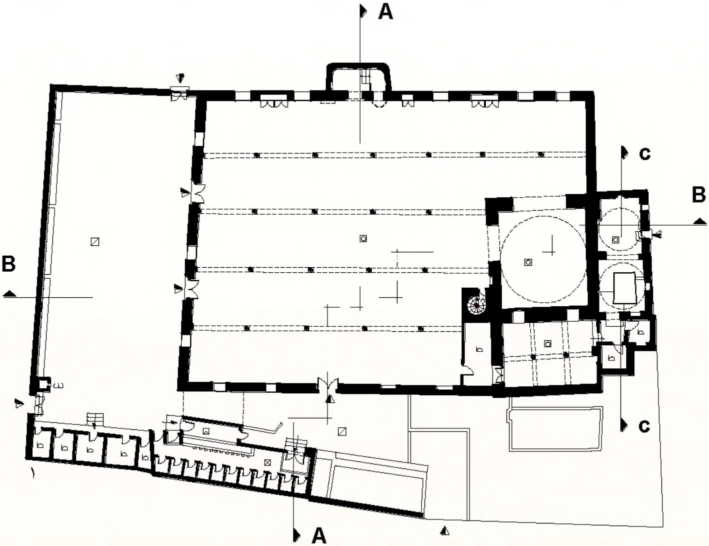
ويبلغ علو ارتفاعها (١,٢٠م)، وبيت الصلاة في هيئته الحالية يشغل مساحة (٧٣١,٩م٢) وبنسبة (٤٧,١٪) من مساحة المسجد. وبحكم الزيادة يتضح أن محراب المسجد لا يتوسط جدار القبلة، كما هو معهود في جميع مساجد صنعاء القديمة، وكذلك محرابا هذا المسجد في كلا بيتي الصلاة ما قبل التوسعة الأخيرة، والتي توسطها ويلاحظ في هذا أن محراب بيت الصلاة الأوسط بعد هدم جدار القبلة فيه لا تزال آثاره باقية في جزئه الأعلى، والمحراب الجديد يشغل مع المنبر فضاءً واحداً نافراً خلف جدار القبلة ويميل قليلاً باتجاه الغرب عن محور تصيف بيت الصلاة الكبيرة ذات السقف المستوي، والمحمول على أعمدة معقودة متراصة في أربعة صفوف، تشكل خمسة مجازات متوازية مع جدار القبلة. ويتصل بيت الصلاة بصوح المسجد من خلال ثلاثة مداخل، مدخلين غربيين ومدخل جنوبي، وصوح المسجد غير منتظم الشكل مساحته (٦٢٧,٦م٢) ونسبته (٤٠,٤٪) من مساحة المسجد، وفي ركنه الجنوبي الغربي مدخل المسجد الرئيسي وهو مدخل عادي فتح في جدار الصوح، ويجاوره من الداخل سبيل صغير مساحته (٠,٥١م٢)، وله مدخل آخر من جهة الجنوب. وشغلت مطاهير المسجد الجزء الجنوبي الغربي للصوح، ومساحتها (٨٣,٨م٢) فيما حورت فضاءات الجزء الغربي منها إلى مخازن، واستحدث فوق الميضاءات مؤخراً مدرسة تحفيظ القرءان الكريم ومكتبة صغيرة. وكذلك خصص الجزء الشرقي والذي فيه الضريح والفضاء الذي يليه في الركن الغربي لبيت الصلاة كمصلى للنساء، وله مدخله الخاص. ولقدسية المسجد وقيمته التاريخية تعاظم الاهتمام به منذ عمارته الأولى وعلى مر العصور. ولهذا نجد أن التوسعات تفوق مرات عديدة ما كان عليه بين الزيادة عما قبلها فقد قال فيه الرازي "مسجد فروة مشهور بالبركة وإجابة الدعوة فيه"[١٤].



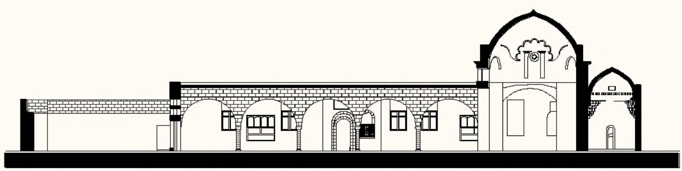


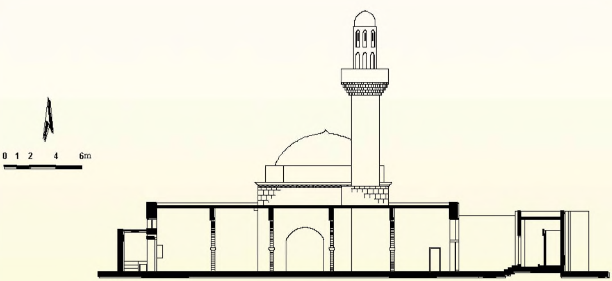
المراحل الرئيسية لنشأة وتطور عمارة المسجد

- من بداية القرن الأول الهجري حتى تجديد عمارته وتوسعته سنة (٤٠٧هـ/١٠١٦م)
- إعادة البناء والتوسعة والتسقيف بقبب في عهد الوالي العثماني حسن باشا (٩٩٤هـ/١٥٨٦م).
- التوسعات الحديثة (١٣٩٣هـ/١٩٧٣م).
- الإضافات الجديدة وأعمال التحوير الأخيرة وبناء مدرسة في الطابق العلوي (١٤٢٠-١٤٢٢هـ/١٩٩٩-٢٠٠١م).



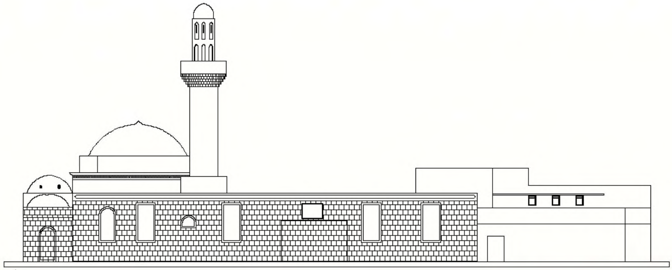
١


٢

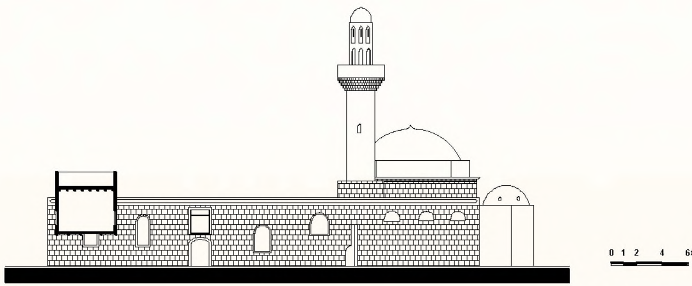


٣

١. المسقط
٢. قطاع (B–B)
٣. قطاع (A–A)
٤. الواجهة الشمالية
٥. الواجهة الجنوبية



٤



٥





المسجد من الجنوب الغربي

الهوامش

١. الحجري، محمد بن أحمد: "مساجد صنعاء": بيروت: دار إحياء التراث العربي: ١٩٧٨م: ط٢: ص(١٦). الأكوع، إسماعيل بن علي: "المدارس الإسلامية في اليمن": منشورات جامعة صنعاء: ١٩٨٠م: ص (٢٨٣).

٢. محمد، غازي رجب: "من روائع العمارة العربية الإسلامية في اليمن القبة البكيرية في صنعاء": مجلة كلية الآداب: جامعة بغداد: العدد ٣٠: ١٩٨١م: ص (٥٧).

٣. الحجري: المصدر السابق: ص (١٤).

٤. الحجري: المصدر نفسه: ص (١٤).

٥. الحجري: المصدر السابق: ص (٥). السياغي،حسين: "معالم الآثار اليمنية": ط١: ١٩٨٠م: ص (٢٥).

٦. خطط صنعاء في القرن الرابع الهجري: (مستل من المخطوط (Ambrosiana 15): بمكتبة الامبروزيانا: ميلانو: إيطاليا): الملحق بكتاب "تاريخ صنعاء" للطبري: تحقيق: عبد الله الحبشي: مكتبة السنحاني: صنعاء.

٧. الحجري: المصدر نفسه: ص (٦٨).

٨. خليفة، ربيع حامد: "مساجد مدينة صنعاء في فترة الوجود العثماني الأول": نهضة الشروق: القاهرة: ١٩٨٩م: ص (٩٥).

٩. الحجري: المصدر السابق: ص (٩٠).

١٠. المروني،محمد عبد الملك: "الوجيز في تاريخ بناية مساجد صنعاء القديمة والجديدة": مطابع اليمن العصرية: صنعاء: ١٩٨٨م: ط١: ص (٧١). Serjeant and lewcock, op cit,P.370.

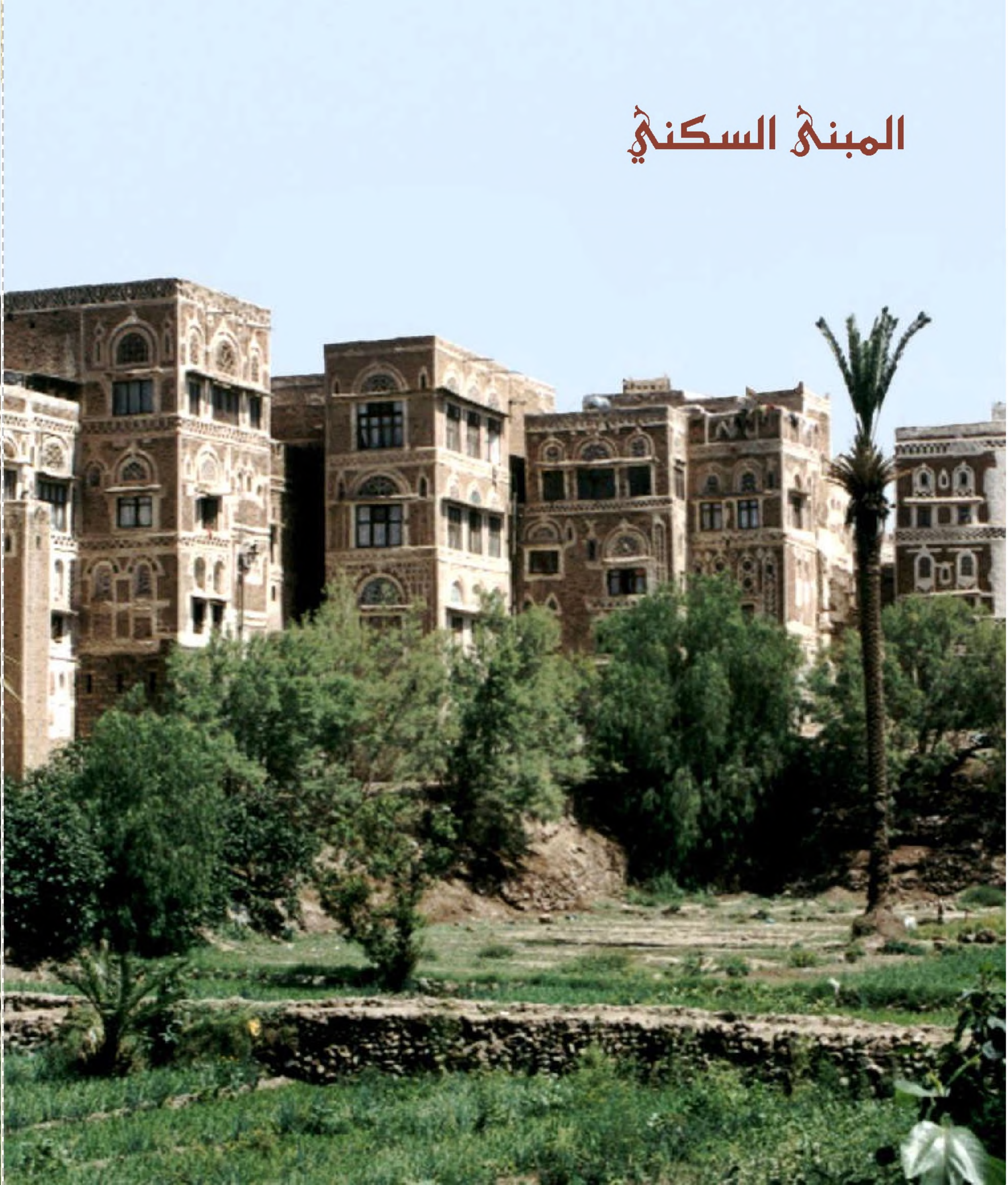
١١. الحجري: المصدر السابق: ص (٧٠).

١٢. الرازي، أحمد بن عبد الله: "تاريخ مدينة صنعاء": تحقيق: حسين العمري: ١٩٨٩م: ط١: ص (٢٢، ٢٤).

١٣. الحجري: المصدر السابق: ص (٨٩).

١٤. الرازي: المصدر السابق: ص (٢٤).

المبنى السكني



المبنى السكني هو عنصر الأساس في تكوين نسيج الحارة فالحي فالمدينة لصنعاء القديمة، وذو كثافة بنائية كبيرة جداً مقارنة ببقية عناصر تكويناتها الأخرى. وتصميم المبنى السكني الصنعاني يخضع للكثير من الرغبات والمعطيات والمتطلبات البيئة الطبيعية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية والدينية، ويعتمد تحقيق ذلك على مبادئ وقواعد وأسس ومعايير قياسية، تخطيطية ومعمارية وإنشائية، وعلى مواد وتقنيات بناء وتركيب منسجمة بيئياً وطبيعة المنطقة، ولمجمل هذه العوامل نسج كل من المالك والمعمار علاقة تصميمية للمبنى السكني تجمع كل المفارقات في هيكلية مترابطة وظيفياً، واتجه خياره التصميمي للنظام المغلق والاتجاه الرأسي في البناء، وتعددت الطوابق وتنوعت وظائفها لأسباب عدة أهمها:

- **التخطيطية:** لمحدودية المساحات داخل سور المدينة، والكم العددي والنوعي لعناصر تكوين المدينة (الأفقية والرأسية) ومعطياتها ومتطلباتها النسبية من المساحة.
- **الأمنية:** تحقيق الحماية المتطلبة حيث يوفر هذا النظام الحماية الأمنية لكفاءته في الإحكام وقدرته في السيطرة، وساعد في ذلك خاصية التصاق المبنى السكني بالمبنى المجاور له من جهة أو جهتين بشكل شريطي أو التفافي مكتمل أو محدود.
- **الاجتماعية:** الترابط الأسري الوثيق، الأسرة الكبيرة الممتدة.

وللحصر يمكن القراءة التفصيلية لمجمل ما تم إيجازه في هذا من خلال شروح موضوع السكن والجداول والأشكال التوضيحية له، أو في شروح المواضيع الأخرى لهذه الدراسة والتي يكمل بعضها البعض الآخر.

أنواع المباني السكنية

وهي من حيث الحجم (مساحةً وارتفاعاً):

- المبنى السكني الصغير.
- المبنى السكني المتوسط.
- المبنى السكني الكبير.

وهي من حيث التركيبة الاجتماعية لسكان المدينة تخضع لعدة معايير اجتماعية وثقافية واقتصادية:

- المبنى السكني للأسر المعدمة (الفقيرة) والتي تأتي في أدنى السلَّم الهرمي للتركيبة الاجتماعية للسكان، وذلك من حيث الانتماء (الأصل والمهنة)، أو للانتماء القبلي والانتماء المهني أيضاً درجات (فئات وشرائح). والمبنى السكني للأسرة المنتمية لإحدى هذه الفئات صغير، وفي العادة ذو ارتفاع محدود وفقير نسبياً في عناصره، ولهذا النوع من السكن تجمعات (وحدات)، أو حارات خاصة بها وتداخلت عبر الزمن في التكوين العام نتاجاً لانتقال الملكيات وغيرها من المتغيرات.
- المبنى السكني للفئات والشرائح الوسطى، والتي تأتي في وسط السلَّم الهرمي للتركيبة الاجتماعية للسكان يتدرج من المتوسط حتى الكبير مساحةً وارتفاعاً، وللوضع الاقتصادي الدور الرئيسي في حجم المبنى عند البناء الأول للمسكن ولكنه ثانوي عند انتقال الملكية بالتوريث. والكثافة البنائية والعددية لهذا النوع من المساكن عالية مقارنة مع بقية الأنواع الأخرى.



- المبنى السكني للفئات والشرائح الاجتماعية المتميزة والتي تأتي في أعلى سلم الهرم الاجتماعي السكاني للمدينة، يعتبر مبنى كبيراً نسبياً مساحةً وارتفاعاً، والمباني السكنية الأكبر منها تسمى (دور).

ووجدت أنواع مختلفة للمبنى السكني الكبير أيضاً وفق نوعية كل شريحة وفئة اجتماعية من حيث نوعية الفضاءات الوظيفية التكميلية مثل:

السياسي (الحاكم): ويتميز مبناه السكني داخل سور المدينة بمساحته البنائية الكبيرة واتساع مساحة الحديقة وتعدد مرافقه الخدمية الأخرى مثل: إسطبلات الخيول والبئر (المسنى) والمفرج الأرضي المطل على نافورة (شذروان)، وسمسرة للحرس والضيوف من العامة والمتضمنة أيضاً المخازن، ومن هذا النوع داران ألحق بكل منهما مبنى صغير لسك العملة (مطبعة عملة معدنية) وكلاهما للإمام يحيى حميد الدين.

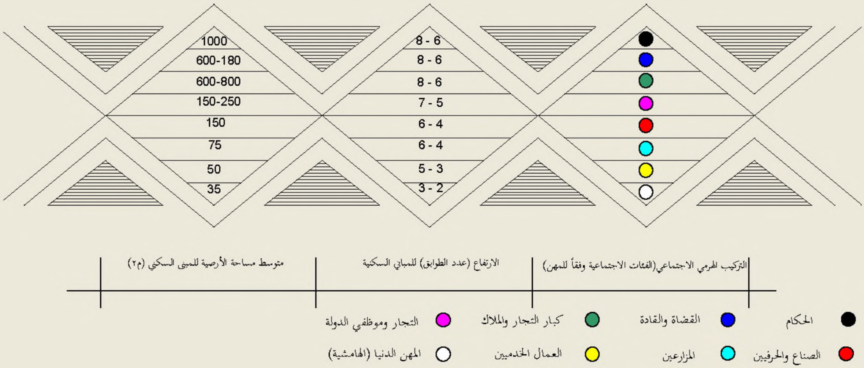
القاضي (قاضي القضاة): ويلحق بداره مبنى من طابق أو طابقين يسمى (المحكمة) وأهم هذه الدور بيت العمري الكائن شرق السايلة ومحكمة بيت الوزير.

كبار ملاك الأراضي الزراعية في الأرياف: وتتميز دورهم في صنعاء القديمة بوجود السمسرة الصغيرة، وهي للضيافة الخاصة بالمزارعين القادمين من الريف حين نقل الغلات الزراعية، وتحتوي أيضاً على مخازن الغلال والحبوب وهذه السمسرة مبنى صغير من طابق واحد ملحق بالمبنى السكني يجاوره ويلتصق به.

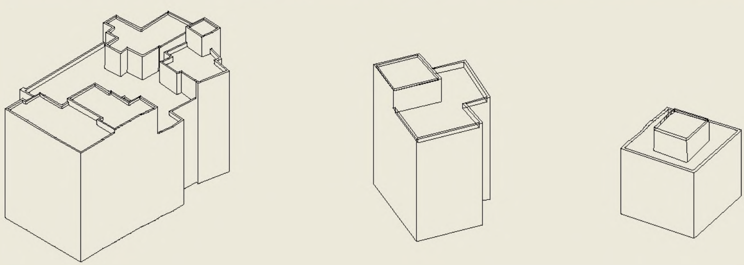


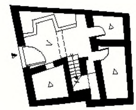


العلاقات المتناظرة بين مكونات التركيب الاجتماعي المهني للمدينة وحجوم المباني السكنية

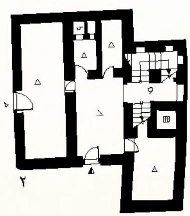


يوضح الهرمان المتقابلان في القاعدة (شكل المعين) الحجم النوعي العددي (الكثافة العددية للنوع) سواء أكان للفئة الاجتماعية أو لحجم المبنى السكني وفقاً للمساحة الأرضية للبناء وكذلك ارتفاع البناء بعدد الطوابق، ومن الجدير ذكره أن المباني التي تزيد مساحتها عن (٦٠٠ م٢) غالباً ما يكون المبنى منفصلاً وبالإضافة إلى الملحقات والحوي فله حديقة تحيط به من جهتين أو ثلاث جهات، وهذه سمة المباني الكبيرة في الغالب (الدور / القصور) وعددها قليل في صنعاء القديمة، وهذا النمط المعماري هو سمة عمارة المباني السكنية (الدور) في حي بير العزب، وعلى الرغم من وجود بعض الفروقات في حجوم المباني السكنية والتي أبرزها هذا التحليل إلا أن هذه الفروقات قليلة العدد وضعيفة التأثير وذلك لكون أكثرها محصورة في مساحات ضيقة وموقعها إما في راس المعين أو في ذيله، والكثافة العددية لهاتين المساحتين متدنية جداً أكان ذلك من حيث نسبتها إلى عدد المباني السكنية للمدينة أو نسبة ما تشغله من المساحة الإجمالية للمدينة أو من حيث نسبة عددها من إجمالي عدد سكان المدينة. ومما ساعد في إذابة الفوارق بين حجوم المباني هو النظم المتداخل لكتلها في تشكيل الوحدات السكنية بأشكالها المختلفة كالشريطية والحلقية لتبدو متجانسة منسجمة ومتسقة النغم، هذا بالإضافة إلى ما حققه الالتزام الحرفي للثوابت والمحددات التصميمية بأسسها ومعاييرها القياسية في تشكيل الواجهات، سواء من حيث تقنيات مواد البناء وتدرجها الرأسي أو من حيث اختيار عناصر التشكيل المعماري والزخرفي لها، من وحدة عضوية صهرت بها الكثير من الفوارق، وبهذا صار من الصعب على الغريب التعرف على المبنى السكني الكبير من المتوسط أو تمييز المتوسط من الصغير.

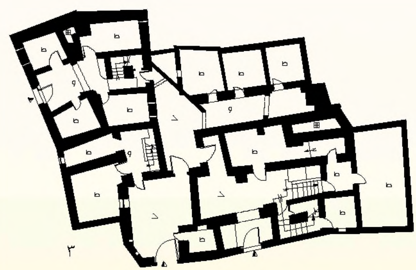




١



٢



٣

عناصر التكوين الفضائي للمبنى السكني

يتكون المبنى السكني الصنعاني من (٣-٨ طوابق)، تتوزع عليها الفضاءات الوظيفية وفق النوعية. ويمكننا تصنيفها على النحو الآتي:

فضاءات الحركة:

- فناء المدخل (الحوي): يوجد في بعض المباني والدور السكنية.
- المدخل وصالة التوزيع (الدهليز): يأتي المدخل في مقدمة الواجهة الرئيسية وفي الطابق الأرضي وينفذ منه إلى صالة توزيع الحركة (الدهليز) وهو فضاء خدمي أيضاً.
- صالة توزيع الحركة في الطوابق العليا (الحجرة): بالإضافة إلى دورها في توزيع الحركة فهي فضاء معيشي وخدمي أيضاً لكل طابق من طوابق المبنى السكني.
- السلم، بيت الدرج (الدَّرَج): ويمتد من الطابق الأرضي إلى السطح (الجُبَا)، وقد يتغير موضعه حسب الحاجة وفي بعض الدور الكبيرة يوجد أكثر من درج والخدمية منها تتصل بالمطبخ.

الفضاءات الاقتصادية والخدمية (الرئيسية):

- إسطبل الماشية (الحَرّ) ومخزن الغلال وحظيرة تسمين الخراف (الكِرس) وتقع جميعاً في الطابق الأرضي.
- المخزن (الطبقة، ج: طِبيق): ويأتي غالباً في الطابق الأول أو المسروق ويستخدم لخزن الحبوب والدقيق.
- المطبخ (الدَيمة): ويقع في الطوابق (١-٣).
- (الكُمَّة): وهي غرفة صغيرة في الطابق المسروق غير مضاءة في الغالب وتستخدم لخزن الملابس وأحياناً للنوم.
- (العجمي): غرفة شمالية قليلة الفتحات تستخدم كمخزن وأحياناً للنوم.
- الحمام (المطهار) والمرحاض (المستراح): للكثير من المباني أكثر من حمام ومرحاض وتعلو بعضها بعضاً، وعادةً ما يشتركان معاً في فضاء واحد.
- بئر المرحاض (المنطل): ووظيفته تصريف العوادم الصلبة إلى فضاء محكم الإغلاق (النُّقْرَة) في الطابق الأرضي، وله استمرارية الامتداد الرأسي للمبنى.

١. بيت الكبسي
٢. بيت سريع
٣. بيت العمري

- بئر الماء (المنزعة): تقع في الطابق الأرضي في الغالب وهي من السمات المميزة لتكوين المبنى السكني الصنعاني، وللدور السكنية الكبيرة آبار مسنى.

الفضاءات المعيشية والترويحية:

- (الديوان): غرفة مستطيلة كبيرة للضيافة والمقيل والسمرة، ويأتي غالباً في الطوابق الوسطى.
- (المفرج): غرفة في الطابق الأخير أو قبل الأخير أصغر نسبياً في مساحته من الديوان.
- (المنظر): غرفة أصغر من المفرج وتأتي في أعلى المبنى، أو بجانب المفرج.
- (الزهرة): غرفة صغيرة جداً في أعلى المبنى، وتسمى أيضاً (الطيرمانة).
- (مكان الوسط): حجرة وسطية تستخدم للمعيشة وللأنشطة اليومية لجميع أفراد الأسرة.

فضاءات الراحة والنوم:

- غرفة النوم (المكان): مستطيلة في الغالب وهي أكثر عدداً من بقية الفضاءات الأخرى، ومتباينة في مساحاتها كبيرة ومتوسطة وصغيرة، وتتوزع على الطوابق الوسطى والعليا.

الفضاءات المعيشية والخدمية والاقتصادية المهنية (التكميلية):

وتنحصر في المباني والدور السكنية الكبيرة وتتوزع فيها وفق النوعية الاجتماعية المهنية لملاكها:

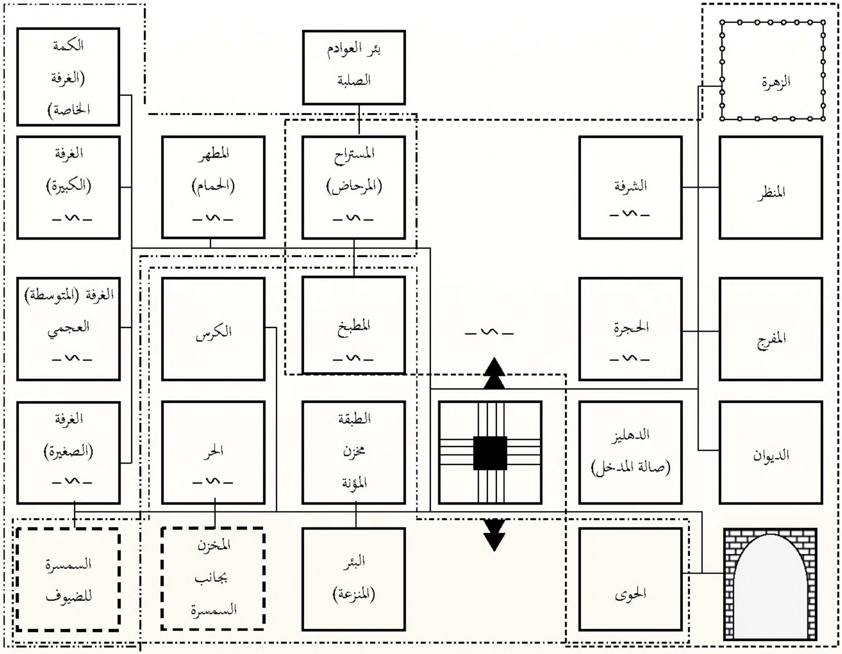
- السمسرة الصغيرة الخاصة: تستخدم لخزن الغلال والحبوب....
- المفرج الأرضي: فضاء معيشي في الطابق الأرضي أو مبنى مكون من طابق ملحق.
- البركة والنافورة (الشاذروان).
- المحكمة.
- سمسرة العملة (المطبعة)، في مقام الحاكم (الإمام أو الوالي التركي).
- بئر الماء (المسنى) ومرافقه.

الفضاءات الاقتصادية - الإنتاجية - التجارية:

تنحصر فقط في المباني السكنية المجاورة للأسواق أو التي تقع على أطرافها، وقلما توجد في المباني السكنية لحارات أطراف المدينة، ولها أبوابها الخارجية الخاصة لخدمتها وهي:

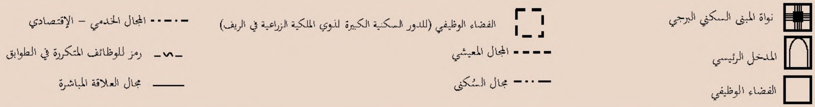
- المحل التجاري (الحانوت): وهذا النوع لم يكن معروفاً وأنتشر وبكثرة في الطوابق الأرضية وعلى شوارع الأسواق الحديثة الممتدة على محاور توسع سوق صنعاء القديمة.
- (المعصرة): التي تدار رحاها بالبعير (الجمل).
- المدبغة لدبغ لجلود.
- معامل النسيج للمصاون (غطاء للنساء) وبواري الأوطفة[1].
- معامل الفخار كالتناوير الطينية.



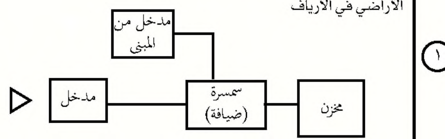


المعيشية	الحركة		الخدمية		الهادئة (السكنية)
للعامة وللخاصة وللنوم وقت الحاجة	الأفقية ذات الاستخدام الخدمي الاقتصادي والمعيشي	الرأسية والقطب فيها (نواة المبنى البرجي)	الإقتصادية	الإجتماعية	للنوم وتستخدم أيضاً للمعيشة اليومية الخاصة
التكامل الوظيفي لفضاءات المبنى السكني (بعلاقات ذات فواصل - وفصل خاصة وربط متداخلة)					

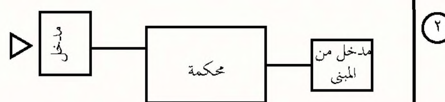
العلاقات الوظيفية النوعية للمسكن



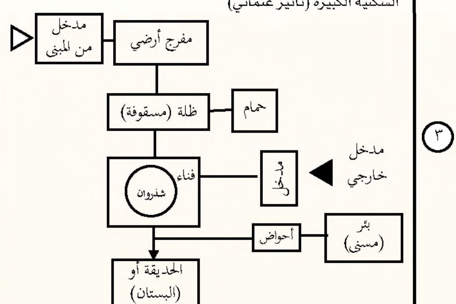
فضاءات وظيفية تكميلية للمباني السكنية الكبيرة لملاك الأراضي في الأرياف



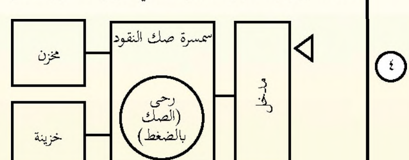
فضاءات وظيفية تكميلية للمباني السكنية الكبير والخاصة بالقضاة وخاصة قاضي القضاة



فضاءات وظيفية تكميلية للدُور السكنية الكبيرة (تأثير عثماني)



فضاءات وظيفية تكميلية للمبنى السكني الكبير الخاص بالحكام



الخصائص المعمارية للفضاءات الوظيفية للمبنى السكني:

لقراءة أشمل لأهم الخصائص المعمارية للفضاءات الوظيفية للمبنى السكني الصنعاني، ووفق ترتيبها من أسفل إلى أعلى نستعرض وبتفصيل أكثر أهم أنواع هذه الفضاءات وعلى النحو الآتي:

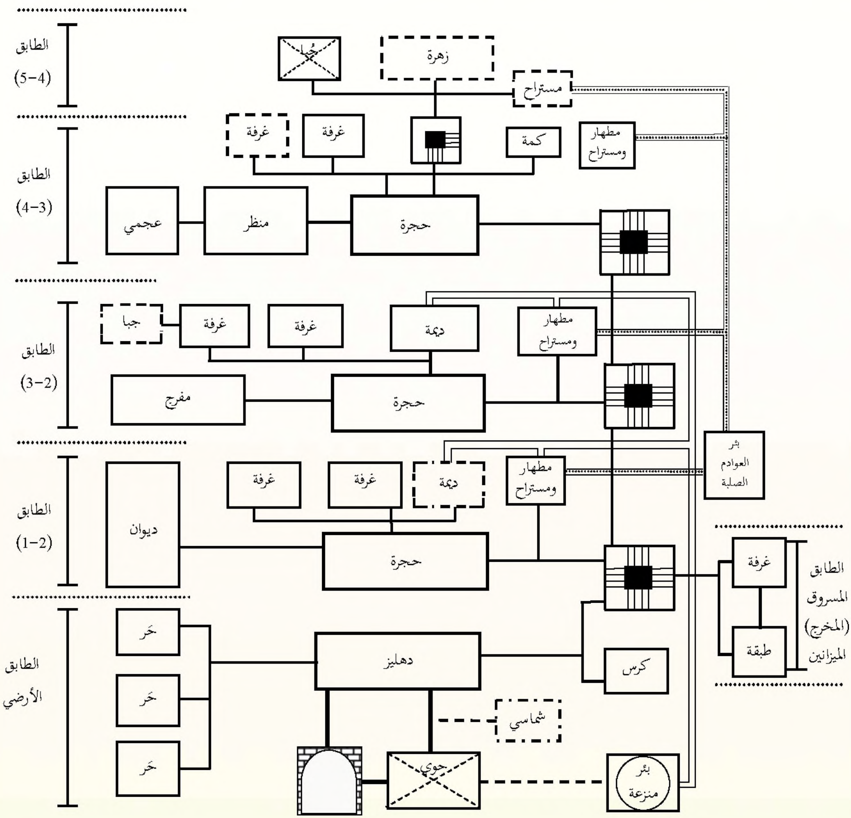
الفناء الخارجي (الحوي):

هو الفناء المكشوف الذي يؤمن للمبنى السكني الخصوصية لتأدية بعض الأعمال والأنشطة اليومية، الاجتماعية والاقتصادية، فضلاً عن دوره في تهيئة نقل الحركة من الخارج إلى الداخل والعكس، ويشغل جانبا من أطراف الحوي حظيرة (مدج) لتربية الدواجن، وغالباً ما تزرع أطرافه (الحوي) الجانبية بالأشجار والنبات والزرع، ويبنى جداره (سُوره) في العادة من الحجارة غير المهندمة والتي يكون مصدرها بقايا عملية هندمة (وقيص) أحجار البناء الأساسية وفي بعض الأحيان يستكمل بناء جدار السور ويتداخل في بعض أجزائه بالياجور أو اللبن.

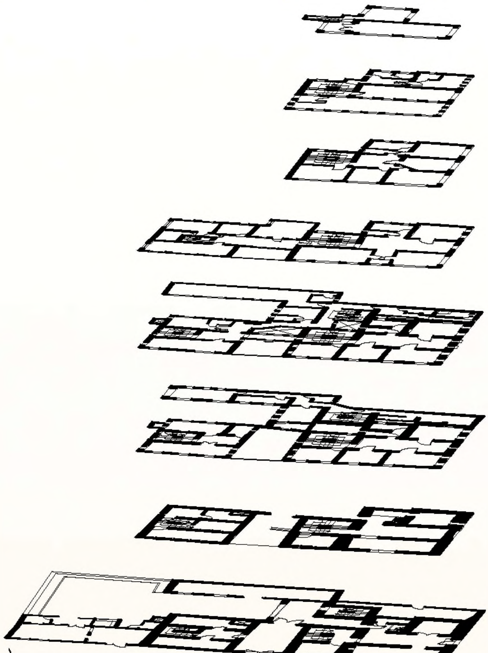
الشمَّاسي

فضاء داخلي مكشوف وهو أصغر من الحوي مساحة إذا جاء في الطابق الأرضي، وغالباً ما تحيط به الفضاءات الوظيفية من ثلاث جهات ويرتفع في الجهة الرابعة المفتوحة جدار (سُور) عالٍ نسبياً. أما إذا جاء في الطوابق العليا فإنه يتقدم سطح الجُبا، وجدران تجوابه أعلى من جدران تجواب الجُبا. وفتحاته تطل إما على الساحة (الصرحة) أو الطريق أو على البستان والمقشامة. ويستخدم الشماسي لتجفيف الملابس (نشر الغسيل)، وكذلك تجفيف الخضروات والفواكه العنب (الزبيب) والخوخ (القَديد) وغيرها من الاستخدامات المنزلية والمعيشية. ولهذا فإنه يلحق إما بالمخزن (الحَر) إذا كان في الطابق الأرضي أو بالمطبخ إذا أتى في الطوابق العليا وأحياناً بالمفرج أو المنظر. ومن نماذج المباني السكنية المختارة في هذه الدراسة التي تتضمن الشماسي كفضاء وظيفي، بيت شرهان.

والحوي في العادة لا يتقدم الواجهة الرئيسية للمبنى، وقليلة نسبياً هي المباني السكنية التي يتقدمها الحوي. ويقع الحوي في الجوانب أو في الفراغات الناتجة عن التراجعات في كتل المبنى السكني والمبنى المجاور والملاصق له. ومساحة الحوي غير منتظمة الأبعاد وأشكالها تتحدد وفقاً لشغل مساحة البناء من مساحة الأرض المملوكة، وكثير من المباني السكنية يقع الحوي الخاص بها في جهتها الخلفية أو في المساحات التي تتشكل نتاج التصاق المباني السكنية ببعضها بإلتفاف حلقي مغلق أو مفتوح جزئي لوحدة الجوار، والتي ليس لمبانيها إطلالات على الحدائق (المقاشم أو البساتين).



المدخل الرئيسي (في الغالب باب كبير معقود)
بيت الدرج والدرج
الفضاءات الوظيفية
صالات المعيشة وتوزيع الحركة
فضاءات محتملة
فضاءات مكشوفة
العلاقة المباشرة
العلاقة غير المباشرة
الحركة من الداخل إلى الخارج
حركة التزود بمياه الشرب والإستخدام
حركة تصريف العوادم



١

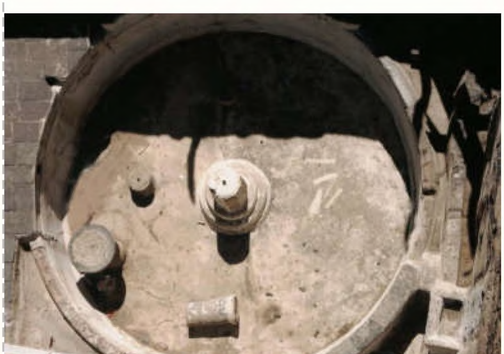


٢

١. منظور تحليلي لتدرج مساقط المبنى السكني (بيت غمضان)
٢. مبان سكنية على الضفة الشرقية للسايلة



١



٢



٣

المفرج الأرضي:

وهو من الفضاءات الوظيفية التكميلية للمباني السكنية الكبيرة (الدور) وله وظائف المفرج الذي سبقه من حيث النشأة وقد جاء في البدء كفضاء معماري صغير على حواف الحقول والمزارع الكبيرة في قاع صنعاء وله إطلالة عليها، وكان الملاك يستخدمونه لغرض الراحة والمقيل عند النزهة. واستحداث المفرج الأرضي في الدور جاء نتاجاً للتأثير الخارجي ولاسيما العثماني، والحق حينها بالدور الكبيرة في بير العزب وانتقل بشكل محدود جداً بعد ذلك إلى الدور الكبيرة في صنعاء القديمة، ويجاور المفرج برج الدار السكني ويلتصق به أو يتداخل معه في جزء من الطابق الأرضي ويرفق بوظائف خدمية كالمستراح وأحياناً مطبخ خدمي صغير ومخزن. وغالباً ما يتقدم المفرج الأرضي ظلة (سقيفة) تقوم على أعمدة وعقود من الحجر الحبش، وتفتح الواجهة الرئيسية على الساحة الأمامية المرصوفة بالحجر والتي تتوسطها بركة الشذروان، لتعمل كمسطح مائي مع المساحات الخضراء المحيطة في إيجاد انسجام وتناغم جمالي طبيعي، يعني تحقيق الارتياح النفسي النسبي للناظر، ولهذا يعمد إلى رص صفوف الجالسين في الجهات الثلاث المطلة على محيطه، والقياس المساحي (الفراغي) للمفرج الأرضي يأتي مساوياً للمفرج أو أصغر منه قليلاً.

السمسرة الخاصة بالمباني السكنية:

ويرتبط هذا النوع من السماسر بالدور السكنية لكبار الأعيان والمشايخ أو الملاك الزراعيين، والذين يفد إليهم ضيوفهم وعمالهم من الأرياف وبشكل دوري ومستمر، ففيها سكن لهم وفيها فضاءات خزن الغلال والحبوب التي ينقلونها من المزارع والحقول إلى ملاكها في المدينة.

١. المفرج الأرضي
٢. بركة الشاذروان
٣. دكة الصعود إلى ظهر الدابة والنزول منها
٤. القطب والدرج
٥. مدخل رئيسي

المدخل الرئيسي وصالة المدخل (الدهليز):

لكل مبنى سكني مدخل وصالة مدخل تسمى الدهليز وهو فضاء توزيع الحركة (أفقياً ورأسياً) وتؤدى فيه بعض الأعمال والأنشطة المنزلية الاجتماعية والاقتصادية، وهو الفضاء الأول في المبنى السكني الذي يدخله الضيف ولذا يتم الاهتمام النسبي به عن بقية الفضاءات الوظيفية الأخرى للطابق الأرضي كالتكسية بالحجر أو القضاض أو القص مع بعض الزخارف، وفي بعض المباني والتي لا تتقدم مدخلها الرئيسي مسطبة (دكة) ترتفع الدكة في مقدمة الدهليز وعلى جانب من باب المدخل الرئيسي، كما هو الحال في بيت العمري في حارة بروم، ووظيفة هذه الدكة تسهيل الصعود والنزول لراكب الدابة المرتفعة أو تحميلها أو إنزال حمولتها.

ونجد في المباني والدور الكبيرة أن مساحة الدهليز فيها كبيرة نسبياً، ولغرض إنشائي حملت أسقفه عقد كبير من الحجارة أو أكثر من عقد يبنى بالحجارة السوداء (الحبش)، وأقيمت بين فواصله الإنشائية محققة الاستمرارية الفضائية.

ولإضاءة وتهوية الدهليز ذي المدخل الرئيسي المحكم الإغلاق، تفتح نوافذ صغيرة متجاورة تعلو المدخل إما في إطار العقد الذي يعلو المدخل أو على جانبيه أو فوق عقد المدخل، وترص هذه الفتحات وتؤطر بالقص وفق التشكيل الفني العام للمدخل، أما باب المدخل فيكون من الخشب الصلد المتين وبسماكة (٥-٨سم) وتربط أجزاؤه وتغطى فواصلها بأوتاد حديدية قوية رؤوسها متكورة، ولكثافة انتشارها على سطح الباب يعطي ترتيبها وتشكيلها نسقاً جمالياً في شكل الباب خاصةً والتشكيل العام للمدخل عامة.

الإسطبل ومخزن العلف (الحَرّ، ج: الأحْرِر):

وهو الفضاء الوظيفي المخصص للدواب والماشية، وكذلك الحطب ولكل مبنى سكني أكثر من حَر، وذلك لغرض الفصل الوظيفي النوعي بين الدواب والمواشي والأعلاف. وتكون العناية بالجدران الداخلية للحَرِّ من حيث التكسية في أدنى معدل لها بالنسبة إلى بقية فضاءات المبنى السكني، وهذه الفضاءات مظلمة نسبياً وفتحاتها صغيرة وضيقة لغايتين أساسيتين إحداهما لغرض إدخال القدر الكافي من الإضاءة والتهوية والأخرى لغاية أمنية ودفاعية، إذ أن حجمها الفراغي -فتحتها- لا يسمح حتى لجسم الطفل الصغير من عبورها.



٤



٥

بئر الماء (المنـزعة):

تميزت المباني السكنية الصنعانية بوجود بئر تسمى (المنزعة) حيث ينـزع الماء منها يدوياً. ومعظم المباني السكنية لاسيما العالية منها تمتلك هذه الآبار، كمورد لمياه الشرب والاستخدام، ويحفر البئر في طابقه الأرضي، وفي الجهة التي تحددت فيها بيئياً مواضع المطابخ والحمامات، ويتم نـزع الماء من هذه البئر (المنـزعة) بواسطة الحبل والبكرات الخشبية والدلو الجلدي ومن خلال فتحات في سقفها تنفذ (تنازلياً) عبر الطوابق حتى فوهة البئر لضمان نـزع الماء دون عناء الصعود والهبوط لنقله إليها. وقليلة هي الآبار التي حفرت في حوي المبنى وتكون ملاصقة تقريباً لجدار المبنى، والذي تطل عبره فتحات من نوافذ الفضاءات الخدمية ذات العلاقة المباشرة بالماء كالمطابخ والحمامات والتي تعلو مباشرة موضع المنـزعة.

وقد عمد المعمار الصنعاني إلى حفر البئر داخل المبنى لتأمين السيطرة ضمان نقاء المياه، وذلك بجعلها في أماكن لها قدرة على إحكام عدم تسرب الأتربة والأوساخ والعوادم السائلة، وكذلك سقوط الحيوانات المتطفلة إلى داخلها وغير ذلك، ولهذا فإن الآبار التي تحفر في الفناءات الخارجية تتطلب عناية متزايدة في التأمين.

والمباني السكنية التي لم يكن لها آبار خاصة، يجلب لها الماء من أقرب السبل (المحسنة، ج: المَحْسَنَات) التي سُبِّلت إما جوار المساجد أو الدور الكبيرة ذات البئر المسنى، وأشهر المحسنات في صنعاء القديمة هي محسنة بير حارة الباشة ومحسنة باب شعوب.

ونتيجة لانحسار منسوب المياه في حوض صنعاء في الثلاثة العقود الأخيرة للقرن العشرين الميلادي إلى مستويات متدنية جداً فإن كل الآبار (المنـزعات) في المباني السكنية ردمت أو غطيت فوهاتها وحلت الشبكة الرئيسية لمياه الشرب محل الآلية القديمة.

الكِرْس:

فضاء خدمي صغير ضيق وقليل الإرتفاع ومظلم، يقع في الطابق الأرضي وحجمه المساحي في المتوسط (١,٣٣×١,٦٦×١,٣٣م) وموقعه في الغالب في الفضاء الناشئ عن حركة بيت الدرج، أسفل البسطة الأولى والثانية، ووظيفته تربية ذكر الغنم - خروف العيد - حيث يوضع فيه الخروف منذ ولادته وحتى يحين ذبحه ولا يخرج منه مطلقاً، وتربية خروف العيد بهذه الطريقة لغرض زيادة الشحم في جسمه، وذلك لحاجة أهل صنعاء للدهون الحيوانية ليس للغذاء فقط بل ولعدة استخدامات أخرى.


١


٢

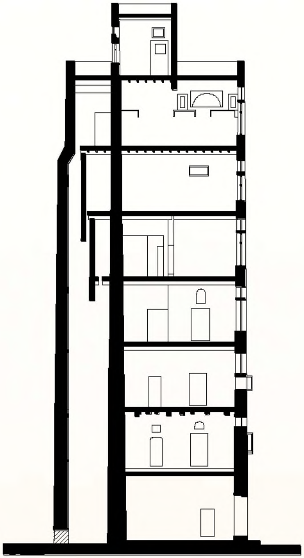
بئر (مخرج) العوادم والمخلفات الصلبة (المنْطَل):

وهي كتلة بارزة تمتد رأسية في الواجهات الخلفية للمباني السكنية وظيفتها تصريف المخلفات الصلبة من المستراحات التي تعلو بعضها الآخر، لذا توجب استمرارية المنطل بتدرج يضيق في الأعلى ويتسع في الأسفل وهذا البئر محكم الإغلاق إلا في حدود ما تتطلبه التهوية السفلية والعلوية وينتهي بفضاء أرضي (النُّقْرَة) ذي فتحة ضيقة تسمح بأخذ (جَحف) هذه النفايات دورياً ويسمى العامل القائم بجمعها (المجحِّف) وبأداة سحب خشبية ذات مقبض طويل (مجحفة) ويعاد استخدام هذه المخلفات بعد تجفيفها كوقود للحمامات الساخنة.

الدَّرَج (بيت الدرج):

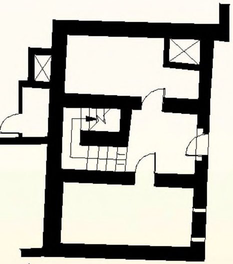
هو الفضاء المعماري للحركة الرأسية وعادة ما يكون الوحيد في المباني الصغيرة والمتوسطة، أما الكبيرة فتحتوي على درج رئيسي وآخر ثانوي ويرتكز بيت الدرج أساساً على أهم عنصر إنشائي للمبنى السكني الصنعاني البرجي، وهو النواة ويسمى (القُطْب)، ومسقطه مربع أو مستطيل، ويرتفع بامتداد ارتفاع المبنى السكني، وفي الغالب حتى الطابق ما قبل الأخير، هذا بالنسبة للدرج الرئيسي، أما الخدمي فينتهي في الطابق الثاني أو الثالث. وقد تصل سماكة القطب إلى نحو (١٠٠سم) في الشكل المربع وإلى أكثر من (١٥٠سم) في الشكل المستطيل. وتركب الدرج ومساطبها على مدادات خشبية وتثبت بين جدران بيت الدرج والقطب، والدرجة الواحدة تشكل من مادة الحجر التي تهندم كتلتها وفقا لمعطيات أبعاد القائمة والنائمة، والمقياس الأكثر اعتماداً في ارتفاع القائمة (١٧-٢٢,٢سم)، وفي عرض النائمة (٢٧-٣٥ سم).

ويعمد المعمار والمالك في اختيار جهة بيت الدرج، وأكثر الجهات اختيارا له هي الجهة الشمالية أو الشمالية الشرقية، وذلك ضمانا لتأمين استغلال بقية الواجهات للفضاءات الوظيفية الهامة مثل الديوان وغرف النوم. ويضاء فضاء بيت الدرج بفتحات صغيرة ومتفرقة أو متجمعة ومغطاة بألواح الرخام الشفاف المصقول، وحالياً ببلور الزجاج. ويمكن إدراك فضاء بيت الدرج في الواجهة من خلال هذه الفتحات والتي تتوزع رأسياً على امتداد بيت الدرج وكذلك من خلال انقطاع أو ترحيل موضع الحزام الزخرفي والذي يلتف حول المبنى موضحاً الفاصل الإنشائي للتسقيف ما بين كل طابقين.



٣





٤

١، ٢. الاتصال بين مبنيين سكنيين لعائلة واحدة في حارتي الجلا وبروم

٣، ٤. المنطل (قطاع ومسقط)

واعتمدت جميع مباني صنعاء القديمة مادة الحجر، البازلت الفقاعي (الحبش) في بناء الدرج والقطب، لمساميتها وصلادتها ففي الصلادة القوة والمتانة وفي المسامية أمان الحركة من الانـزلاق، لأن الأحجار غير المسامية وإن هندمت وبرزت في أسطحها نتوءات صغيرة خشنة، إلا أنها تصبح ملساء بفعل الاستخدام اليومي المتكرر، ويكون ذلك سببا للإنـزلاق والسقوط وما يلحق به من أضرار جسدية ومادية للمستخدمين، وكمثال لهذا النوع هي الأحجار الصلدة، والتي رصفت بها أزقه وطرق وساحات مدينة صنعاء القديمة في المراحل الأولى لمشروع الحفاظ على المدينة، وعلى الرغم من أن هندمة هذه الأحجار اعتمدت بروز نتوءات كبيرة نسبياً فإن الاستخدام المتكرر حَوَّل هذه النتوءات إلى ملساء فصار السير عليها شاقا وعلى حذر، وتتعب الماشي وتصيب رجليه بالألم الذي تزداد حدته كلما زادت مسافة السير. ولهذا عُمِد إلى استبدالها بأحجار أكثر مسامية مع هندمة أسطحها بنتوءات صغيرة لتقي الماشي أو الساير من الإنـزلاق أو السقوط.



ومادة الحجر خشنة الملمس، ولصلادتها ومتانتها وظفت في بناء وتركيب القطب والدرج، ولتقليل تأثير الفعل الخشن للحجر على السلوك النفسي للإنسان كسيت الجدران الداخلية لبيت الدرج بطبقة من القص أو القضاض، كما هو سائد في تكسية الفضاءات الوظيفية الأخرى للمبنى السكني، وإذا كان للضرورة المعمارية الوظيفية والإنشائية في عدم تكسية الدرج الحجرية بأي مادة أخرى، فإن عدم تكسية جدران القطب الحجرية دلالة للتمييز البصري من ناحية وإظهار قطب المبنى بمظهر القوة والمتانة من ناحية أخرى، وتميزه هذا جاء لوظيفته فهو النواة والأساس الإنشائي للمبنى، ولهذا أتت تسميته بالقطب ويقال في هذا: ((إذا خرب القطب انهار الدار)).

ولا ينحصر استخدام بيت الدرج على أهل المبنى السكني (البيت) فقط بل يستخدمه الضيف الزائر بالانتقال عبره إلى الفضاءات المعيشية الهامة والموزعة في كل طوابق المبنى، كالديوان والمفرج والمنظر، ولهذا نجد جدران بيت الدرج في بعض المباني السكنية الكبيرة تعنى بالتشكيل الزخرفي بالقضاض والقص وتكون هذه الزخارف بسيطة ومتقطعة.

الطَّبَقَة:

فضاء صغير ومنخفض الارتفاع نسبياً إذ يعمد في الغالب عند إنشائها إلى استغلال الارتفاع الكبير لفضاءات الطابق الأرضي بشغل جزءٍ منها بفارق المناسيب، وتستخدم لخزن المواد الغذائية الأساسية (الحبوب والدقيق). وتقسم إلى أحواض منفصلة (أحقاب)، لكل نوع من أنواع الحبوب والأحقاب ذات أبعاد قياسية مختلفة وهي في المتوسط (١,٨×١,٢×١م)، وتكسى جدرانها وأرضيتها بما في ذلك جدران وأرضية الأحقاب بالقضاض وذلك لقدرته العالية في العزل للرطوبة والحرارة، وبما يحفظ الحبوب لمدة طويلة ولأكثر من سنة. كما تزين الطبقة بزخارف القضاض وخاصة في طبيق المباني السكنية الكبيرة (الدور). وإضاءة وتهوية الطبقة تتم عبر فتحات صغيرة كغيرها من الفضاءات الوظيفية لكل من الطابق الأرضي والمسروق.

الكُمَّة:

فضاء صغير ومنخفض نسبياً، ويشغل ما زاد من المساحات المتبقية في أحد طوابق المبنى السكني غير الأرضي، ويلحق في الغالب بالغرف، ومتوسط مساحة الكمة (٣×٤,٢م) وارتفاعها لا يتعدى (٢م) وترتفع غالباً عن مستوى سطح الطابق وتستخدم في الأساس لخـزن الملابس كمـا تستخدم للنوم وخاصـة لنـوم

المرأة ووليدها الرضيع في الأيام الأولى التي تلي الولادة وخاصة في أيام الشتاء الباردة وذلك لصغر مساحتها الحجمية، وهي فضاء مظلم تقريباً حيث لا توجد به نوافذ إلا فيما ندر ولا تفتح مباشرة للخارج، وكمة بيت فائع (أ) تقع في الطابق الأخير أمام بيت الدرج إلى الداخل، وبفارق منسوب عن أرضية الطابق يرتفع بنحو (٩,٠م)، ولها نافذة واحدة تفتح إلى فضاء بيت الدرج وعلى طول امتداد أرضيتها ترتفع دكة (٢,٠م) وبعرض (٢,١م) وظيفتها كسرير نوم بعد فرشها.

العجَمي:

فضاء وظيفي سكني يتحقق نتاج الإزاحات المحتمة للعملية التصميمية في تشكيل الفضاءات الوظيفية للمبنى السكني وفي طوابقه العليا، ويقع في الواجهة (القبلية) الشمالية، وللحد من التأثير البيئي المناخي لهذه الجهة لا يتم فتح نوافذ لهذا الفضاء وتُصمت جدرانه الخارجية تقريباً إلا من فتحة أو فتحتين صغيرتين للإضاءة(قمرية) ونادراً ما توجد فتحة للتهوية ولهذا سمي بالعَجمي. ويستخدم العجمي حين انتفاء الحاجة للنوم فيه كمخزن.

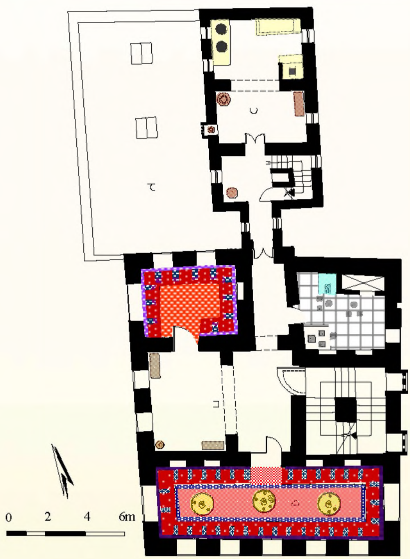
صالة التوزيع (الحُجْرة):

هي الفضاء المتصل مباشرة ببيت الدرج وتترحل بتدرج بدءاً من الطابق الأول وحتى الأخير. وظيفتها الأساسية توزيع الحركة أفقياً بين الفضاءات الوظيفية للطابق المعني، ونقلها رأسياً بين الدهليز والحجرات، ولا تقتصر وظيفة الحجرة في الحركة وتوزيعها (الأفقي والرأسي) فحسب بل تأتي أهميتها في كونها أحد أهم الفضاءات المعيشية للأسرة الكبيرة أو للأسر الصغيرة المتفرعة، إذ أن البناء البرجي السكني أعتمد أساساً نظام الأسرة الكبيرة (الممتدة رأسياً)، لذا نجد أن الأبناء بعد الزواج يشكلون أسرهم الصغيرة والتي تتوزع بالتعاقب على طوابق المبنى السكني البرجي عدا الأرضي والمسروق، ولكون الديوان والمفرج والمنظر فضاءات تتطلب العناية الفائقة والجاهزية لاستقبال الزوار وبشكل يومي تقريباً، ولشغل الغرف الأخرى لحاجة الراحة والنوم، تبقى الحجرة الفضاء المعيشي الأكثر استخداماً لكل أفراد الأسرة في الطابق المعين، فهي صالة طعام وصالة معيشة وفيها يتم مزاولة النشاط اليومي المنزلي وهي صالة لعب للأطفال....

وتكسى جدرانها وسقفها بالقص وتبلط أرضيتها بالحجر الأبيض أو القضاض أو القص، وتعنى الحجرة بأهمية نسبية ومحدودة من حيث زخرفتها بزخارف بسيطة. وتتضمن جدرانها رفوفاً تُشكل من القص تسمى (صفيف، ج: صُفُوَف). أما إضاءتها وتهويتها فتستمدها في الأساس من الإضاءة والتهوية لبيت الدرج (العلوية والسفلية) كما تدعّم بإضاءة غير مباشرة من القمريات التي تعلو أبواب بعض الغرف، ولزيادة الإضاءة يعمد إلى ترك بعض أبواب هذه الغرف مفتوحة.

مكان الوسط:

يختار مكان الوسط الحجرة الوسطى للمبنى، ويقع غالباً في الدور الأول أو الثاني وتتباين مساحته بحسب حجم المبنى ويمثل هذا الفضاء مركز الحياة اليومية للأسرة الكبيرة، ويعد أهم الفضاءات المعيشية فهو يستخدم للجلوس والأكل والأعمال اليومية الأخرى نظراً لموقعه المتوسط تقريباً بين طوابق المبنى السكني من ناحية، وتوسطه الفضاءات الوظيفية للطابق الذي يشغل حيزاً من مساحته.



الفرش (الأثاث) مسقط الطابق الثاني- دار الجديد

الغرفة (المكان):

غرف النوم تسمى (المكان، ج: أمكنة) وتستخدم أيضاً لمعيشة الأسرة، ولهذا تفرش بفرش شبيه بفرش الديوان والمفرج والمنظر وإن جاءت أقل منها عنايةً وكلفةً، وتستخدم الفرش للجلسة والمقيل وكذلك للنوم ولا يزال هذا التقليد جارٍ على ما هو عليه، وليس في هذا حرج بل على العكس لما يحققه وما يؤمنه من إمكانيات للراحة والعمل فهو مرغوب ومحبب للساكنين وفق ما اعتادوا عليه. وقد انعكس هذا أيضاً في فضاءات المباني السكنية الحديثة في صنعاء الكبرى، ووجد أن الكثير ممن أدخلوا النظم الحديثة جداً في التجهيز والتأثيث والفرش، غالباً ما يهملونها ويعودون إلى استخدام النظم التقليدية، لتصير بذلك النظم الحديثة أشبه بديكور تكميلي، مظهري الشكل ليس إلا.

ويحظى المكان باهتمام أكبر من غيره من الفضاءات الوظيفية للمبنى السكني من حيث التوجيه، ويأتي بعد الديوان والمفرج والمنظر من حيث العناية في اختيار موقعه في الواجهات، وتفتح نوافذه في أحد الاتجاهات الرئيسية – الشرقية أو الجنوبية أو الغربية– أو تفرعاتها، باستثناء الاتجاه الشمالي والشمالي الشرقي، وذلك ضماناً للخزن الحراري، وبما يحقق القدر المتطلب للارتياح الحراري للسكنى والنشاط اليومي. ومسقط المكان في العادة مستطيل أو مربع. الأبعاد الضوئية لفراغاته (المساحة الحجمية) هي ما بين (٤×٣×٣م – ٦×٥ , ٣×٣م).

وتنتشر في أواسط وزوايا جدرانه الرفوف (الصُفُوَف) المزخرفة، وللغرف (الأمكنة) التي تقع في الواجهات الرئيسية أو تلك التي يتوجب منها الإطلالة والمراقبة مشربيات (شبابيك) بارزة، وقد تكون بمستوى بقية مشربيات المبنى أو أنها تقل عنها والمشربيات المتميزة هي المشربيات الخشبية الكبيرة المزخرفة وهي قليلة ونادرة، وتتميز بها الدور الكبيرة (القصور).

والمكان وإن كان يمثل وظيفياً الفضاء الهادئ للنوم، فهو يأتي بعد الديوان في الاستخدام المعيشي، لهذا تستخدم الأمكنة الكبيرة لاستقبال الضيوف وبالأخص النساء ويكون التعميم حين حفلات الزواج والعزاء (المجابرة)، سواء للنساء أو للرجال، وفي مثل هذه المناسبات يتم تخصيص كل فضاءات المبنى السكني لنفس الغرض، وعند الحاجة، كما يساهم الجيران بكل فضاءات مبانيهم السكنية المعيشية، الهادئة وبعض الخدمية والاقتصادية، بعد تجهيزها وجعلها موضع الاستخدام المباشر بالمبادرة ودون طلب استخدامها بل يعرضونها وبإلحاح لتتم الموافقة في استخدامها من قبل صاحب الشأن (المناسبة) وهذا نتاج لروح التعاون والتكافل الاجتماعي، وهو من مبادئ الجوار ذات العلاقة التبادلية. ويحتوي البيت الصنعاني على عدة غرف للزوجين وللبنين والبنات.

المطبخ (الدّيمة):

من الفضاءات الأساسية لأي بيت أو مبنى سكني. وفضاء الديمة في البيت السكني الصنعاني يكون في الطوابق (١-٣)، وفي الغالب ما تكون في كتل طابقية نافرة عن المبنى وذات علاقة مباشرة بالسطح وذلك لتأمين تصريف الدّخان. وإذا ما تطلب وجود ديمتين في المبنى فإنهما تعلوان بعضهما بعضا في العادة وذلك لغرضين هما: نزع الماء من البئر (باتجاه سفلي) وكذلك تصريف الدخان (باتجاه علوي).

ويحوي المطبخ عدة عناصر أهمها:

(الجُنبة): وهو الفضاء الذي يضم كل عناصر الطباخة من أفران الطهي (تناوير) ومسطحات إعداد العجين وغيره قبل الخبز أو الطهي في التنور.

(التنور): وتحوي الديمة مابين (٢-٣ تناوير) للطهي والتسخين، ويستخدم الحطب والفحم الخشبي وقوداً لها. وترص التناوير إلى جوار بعضها، وأبعادها في المتوسط مجتمعة (٢,٠×١,٠×٠,٩م).

والتنور وحدة الأساس في هذا التشكيل، فخاري وبرميلي الشكل تضيق مساحة فوهته عن مساحة قاعدته لتأمين الخزن الحراري المتطلب، هذا بالإضافة إلى إعطاء مجال لمرونة الحركة في الاستخدام وفي هذا يتباين الحجم بين تنور وآخر، ويزود التنور بفتحة سفلية (باب المناق) لتحريك الهواء الناقل للأكسجين. كما يمكن إحكام إغلاقها حين الحاجة. ولضمان تصريف الأدخنة والروائح المنبعثة من تناوير الديمة يتدلى قاطع علوي لجمعها وتصريفها عبر فتحات في السقف تعلوها مظلات ياجورية (السِّية)، تفتح بفتحات صغيرة على جانبيها المتقابلين وهي ذات شكل جملوني في الغالب وقد تأتي على شكل أقباء ونادراً ما تكون مستوية. ومظلات التسقيف هي لمنع سقوط مياه الأمطار ولصد تسرب الأتربة والغبار المتطاير إلى داخل فضاء المطبخ في المبنى. وتعدُّد التناوير يدل على الحجم العائلي للأسرة ووضعها الاجتماعي (السياسي والثقافي والديني والاقتصادي)، ومكانتها في هذه العلاقات مترابطة جداً وهي مرتبة وفق التسلسل.

ونجد أن الأسر التي تأتي في قمة الهرم للتركيبة الاجتماعية للسكان، عادة ما يكون لها أكثر من ديمة في المبنى السكني (الدار/ القصر) أو ملحقاته. أما بقية مطابخ (ديمة، ج: دِيَم) المباني السكنية للأسر والتي تأتي أدنى منها في الترتيب الهرمي الاجتماعي للسكان في المدينة، فنادراً ما يوجد أكثر من ديمة للمبنى السكني، وفي هذه الحال فإن هذا يعني أن المبنى السكني كبير نسبياً، وهذه العلاقة في دلالتها التعبيرية العامة سلوكياً تعني القاعدة والتباين في معناه الضمني هو الاستثناء ويعني بقاء الحال، ويأتي هذا الحال ثابتاً عند انتقال الملكية وبالأخص في حال البيع من فئة ذات مكانة أرفع إلى فئة أدنى منها. وفي حالة تدني المستوى الاقتصادي ولأي من الفئات الرئيسية فإن الحال يظل على ما هو عليه حتى يتحسن وضعها، وتأثير ذلك لا يعني التغيير الفضائي في الكتل والعناصر بل في حصر آلية الاستخدام لها.

الدَّسَّة: والدسة فضاء صغير فتحته في مقدمة الجُنْبة. ووظيفته خزن الحطب الخاص بالاستخدام اليومي. وتتم عمليات الطهي وإعداد الطعام على مراحل متتالية، فبعد إشعال النار في التنور وحتى بدء نضج الجمر يتم وضع سيخين متقاطعين على فوهة التنور لطهي أنواع الطعام الأخرى غير الخبز، وفي هذا حكمة للاستغلال الأمثل للطاقة وبشكل دوري ومتسلسل لحاجة كل نوع من أنواع الطعام لدرجة الحرارة والمدة الزمنية في إعداده، ويأتي طبخ الخضراوات واللحوم قبل خَبْز الخُبْز، وبعد أن تكون النار قد رفعت درجة حرارة جدار التنور وفراغه إلى المتطلب (قميت النار) يتم إزاحة كل ما على فوهة التنور والموضوعة على السيخ ليبدأ إعداد الخبز على جدار التنور مثل: (الملوج والذمول والجحين والسبايا) أو على الجمر وفي فراغ التنور الداخلي مثل (بنت الصحن والكُبَانة)، وبعد الانتهاء من عمليات الطهي والخبز يتم نقل الجمر الحي إلى الموقد المعدني لاستخدامها في إعداد القهوة وكجمر للبخور وتدخين النارجيلة (المداعة)، وبالإضافة إلى هذا تستخدم أيضاً لإنضاج مالم ينضج من الطبيخ في التنور بوضعه على الموقد لتتم عملية نضجه بنار هادئة ووفق المعايير القياسية لوجبات المطبخ الصنعاني. وفي حالة عدم الحاجة إلى إعادة استخدام الجَمْر الحي داخل التنور يتم إطفاؤها بالكتم لتتحول بذلك إلى فحم (سَوْد) والذي يعاد استخدامه مرة أخرى كوقود.

وبناءً على ما تم ذكره سلفاً في التشكيل الفضائي للديمة وعناصر تجهيزاتها وأثاثها الثابت والمنقول، وجد أنها تشكلت وفق معطيات النوع والكم في الاستخدام وجاء هذا التشكيل بما يلبي متطلبات تحضير وإنتاج كل أنواع وأصناف الأكلات والمشروبات الصنعانية، والمطبخ الصنعاني غني كماً ونوعاً في أصنافه هذه، وللمطبخ التركي تأثير كبير عليه.


١


٢


٣

١. الدهليز
٢. المطبخ (الديمة) في بت عقيل
٣. المدخنة (السية)

الحمام:

يتكون الحمام من (مطهار) و(مستراح)، ولكل منهما وظيفته المحددة:

- المطهار: فضاء الاغتسال والوضوء، ومن أهم تجهيزاته الثابتة:
  - (العضايد): أسطوانتان من حجر الحبش قطر كل منها (٣٠-٣٥سم) وارتفاعهما (٣٥-٤٠سم)، والمسافة بينهما (٢٥-٣٠سم).
  - خزانة جدارية مفتوحة (مُغفَّرة) للملابس.
  - رفوف صغيرة من حجر الحبش لوضع أدوات الاستحمام وسراج الإنارة.
- المستراح: فضاء قضاء الحاجة (المرحاض) يتصل مباشرة ببئر العوادم الصلبة (المنطل) عبر فتحة دائرية أو مربعة تتوسط مكعبين من حجر الحبش ذات أبعاد في المتوسط (٣٠×٣٠×٢٥سم).

وفي الغالب يكون المطهار والمستراح في الطوابق العليا وبالتبادل. وهي منفصلة ومتصلة تشترك بفضاء واحد. وتكسى أرضيتهما بالحجر الحبش وتربط بإحكام بمونة القطرة ذات القدرة العالية في عدم نفاذية الماء، وتكسى الجدران بلياسة القضاض. ونادراً ما تعنى بالزخارف القضاضية.



١



٢

١. الحمام (المطهار والمستراح)
٢، ٣. الديوان

غرفة المعيشة (الديوان):

هو أكبر الفضاءات الوظيفية في المبنى السكني ويحتل في الغالب واجهة كاملة، ومكانه الاختياري الأنسب تصميمياً الدور الأول أو الثاني بعد الأرضي والمسروق (المخرج)، ويعمد المعمار والحرفي وفقاً لإمكانات ورغبات المالك في تحسين تزيين جدرانه الداخلية وعناصره المعمارية كالنوافذ والقمريات والشواقيص والمشربيات (الشبابيك) وكذلك الصفُوف والخزائن، بالزخارف القصية والخشبية وغيرها.

ويفرش الديوان وفق المقياس الإنساني المتطلب والمريح بفرش للجلوس على الأرض، تكسى وتغلف بالمنسوجات الصوفية والقطنية ذات الألوان الصريحة النقية والزاهية الأساسية والذي يسيطر فيها وبكثافة كبيرة اللون الأحمر وذلك لفعله في التأثير الحراري والنفسي الذي تتطلبه مجالس المقيل والسمرة، حيث يتم فيها مضغ القات، إذ يشترط في هذا أن لا تقل درجة حرارة الفضاء عن (٢٧°م). ويجهز بكل مستلزمات الجلسات العامة والمقيل والسمرة كالنارجيلات (المدايع) والأواني النحاسية والفخارية، كالموقد والمبخرة والمسرجة والمتفل والمعَطّرة وغيرها، ولأن الديوان أكبر الفضاءات المعيشية في المبنى يستخدم بشكل أساسي في المناسبات، أو حين استقبال عدد كثير من الضيوف، ولهذا تعمد الأسرة إلى العناية به وجعله في أتم الجاهزية الاستخدامية عند الحاجة ويستخدم كذلك لنوم الأطفال والجدة.

ولأهمية الديوان ومعطياته الشَّرْطية الخدمية، يعنى باهتمام كبير في التوجيه، ضمان إيجاد أكبر قدر من الارتياح الحراري أولاً والنفسي ثانياً، ولهذا يتم توجيهه في الغالب نحو (العَدني) الجنوب أو الجنوب الغربي ونادراً جداً ما يتم توجيهه نحو الجنوب الشرقي، فيما لا يتم توجيهه نحو الشمال واتجاهاته الفرعية.

والحجم الفراغي القياسي للديوان يقدر في المتوسط بنحو (١٠×٣,٥×٣م). وإذا توسع الديوان وفق عرض واجهة المبنى فإن الزيادة تتم من حيث الطول المساحي للديوان، وقلما تكون في العرض المساحي والذي لا يتجاوز(٤م) ونادراً جداً أن يتجاوز الارتفاع الضوئي (٣م).

ولكبر مساحة الديوان وشغله نسبة كبيرة من مساحة الطابق يستقطع منه مساحة صغيرة في أحد طرفيه تسمى (المقصورة) وذلك بقاطع خشبي (جمكان) يفتح حين الحاجة لشغل الديوان كاملاً. وتمتاز المقصورة بالخصوصية والدفء، وتستخدم في الغالب من قبل رب الأسرة. وتأتي متصلة بالديوان وتشتركان معاً في فضاءٍ واحد، وتتباين مساحاتها بين الصغيرة والكبيرة، والأبعاد القياسية للكبيرة في المتوسط (٥,٣×٢,٥×٣م) وللصغيرة (٢,٥×٢×٣م).

المفرج:

فضاء معيشي أتت تسميته من وظيفته، والتي تعني دلالتها الاستخدامية لغوياً (الفُرْجَة)، وذلك لما يوفره من الإطلالة نحو الخارج وبمسافات بعيدة، ويشبه الديوان ويصغر عنه مساحةً وسعةً، له نفس خصائص الديوان من حيث التوجيه والتشكيل والتجهيز والفرش، كما أن له نفس الوظائف الاستخدامية تقريباً ويتميز عن الديوان في أنه أكثر منه استخداماً، للمعيشة الأسرية، ونوافذه أكثر اتساعاً (نسبياً) وذلك لغرض توسيع مجال الإطلالة على المحيط البيئي للاستمتاع بالطبيعة وجمالها.

وإذا كان الديوان والمفرج فضاءين وظيفيين تتميز بهما المباني السكنية الكبيرة والمتوسطة فإنهما في المباني السكنية الصغيرة قليلة الطوابق يدمجان معاً في فضاء وظيفي واحد.



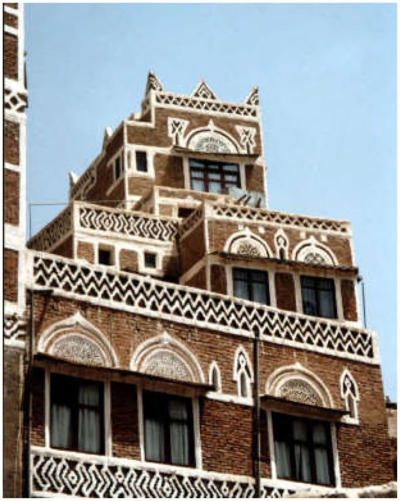
٣

المنْـظر:

الفضاء الوظيفي المعيشي الأعلى في المبنى السكني وهو كالمفرج شكلاً ووظيفة وعناية في الزخرفة والتجهيز والفرش، إلا أنه أصغر منه نسبياً في المساحة وقد يدمجان في فضاء وظيفي واحد في المباني السكنية الصغيرة أو المتوسطة، وتسمية المفرج أو المنظر يأتي وفقاً للخاصية الوظيفية والحجم. ويستخدم لرب المنزل أو ضيف عزيز.

الجُبَـا:

هو فضاء وظيفي مفتوح، ويأتي نتاج تراجع الكتل العليا للمبنى نحو الداخل، ويستغل للنشاط المنزلي الأسري، ولتوفير الخصوصية يحاط بجدار ساتر يرتفع (١,٥-٢م) يعلو تجواب كتلة البناء الذي يقع عليها. وتتوزع على الجدار الساتر فتحات معقودة مؤطرة بالقص وتغطى الفتحات بقواطع ياجورية مصمتة أو مفرغة، والبعض منها تنفر منها مشربيات ياجورية وظيفتها الرئيسية المراقبة والاتصال بالخارج، أو بكتل صغيرة مفرغة نصف مخروطية تتسع في الأسفل، وظيفتها دفاعية بالإضافة إلى الاتصال والمراقبة. ولكثير من المباني السكنية أكثر من جُبَا.



١



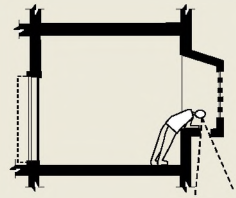
٢

١. الديوان والمفرج والمنظر والزهرة

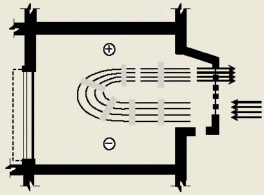
٢. المنظر

المشربية:

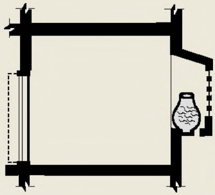
(الشباك، بيت الشَّرْبة) ثلاث تسميات ويستعمل في البيت الصنعاني الشباك وبيت الشربة، الشباك للإطلاع على معرفة الطارق، وبيت الشربة لتبريد الماء وبقية الأطعمة. وقد يكون بيت الشربة في الجهة الشمالية لبرودتها.



دور المشربية (الشباك) في التعرف على طارق مدق المدخل، لفتح الباب له بواسطة المجر وكذلك لمراقبة المحيط لما توفره من الخصوصية.



دور المشربية (الشباك) في تحريك الهواء بين (الخارج والداخل)



دور المشربية (الشباك) في تبريد الماء (بواسطة ترشيحه بالأواني الفخارية (الجرة).



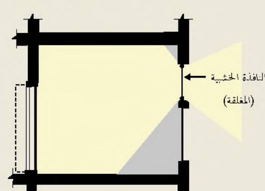
مشربية من الحجر



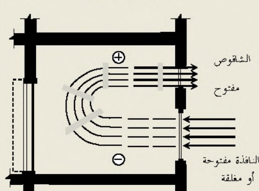
مشربية من الخشب



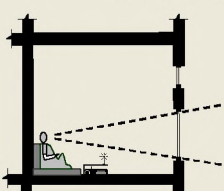
مشربية من الآجر (الياجور)



دور القمرية في إدخال الضوء دون الهواء البارد (حين إشتداد البرد وإغلاق كل الفتحات).



دور الفتحات الصغيرة جدا (الشاقوص) في طرد الهواء الساخن حين اغلاق النوافذ وكذلك في خلخلة الهواء لتحريكه داخل الفضاءات الوظيفية وخاصة المعيشية الهادئة المعمارية.



قُصر جلسة النافذة لغرض الإستمتاع بإطلالة جميلة على المحيط الخارجي.

الزُّهْرَة:

فضاء وظيفي معيشي محدود الاستخدام خاص بالأسرة. وقليلة جداً بل ونادرة هي تلك المباني السكنية التي حوت الزهرة ضمن وظائفها.

والزهرة غرفة صغيرة جداً لا تتسع لأكثر من (٤ أفراد) في جلسة المقيل أو السمرة. وموقعها في آخر طابق في المبنى السكني الذي يحويها، ولهذا سميت بالزهرة كناية تشبيهية بعلوها الكبير فنفاذ الضوء منها ليلاً تبدو للناظر العابر في أزقة وطرق وصرحات الحارات خاصة والمدينة عامة وكأنها كوكب الزُّهَرَةُ في السماء.

وبعلوها المتميز هذا وإطلالتها على المحيط البيئي الطبيعي، تعطي الناظر منها إمكانية التجوال والتحديق بالنظر من ثلاث جهات إن لم تكن أربعاً حين الإزاحة لتفريغ فتحة صغيرة فيها. ومتوسط أبعاد فضائها الضوئي (٢,٥×٢×٢,٥م). وتحظى الزهرة بعناية نسبية من حيث التشكيل والتجهيز والفرش أسوة ببقية الفضاءات الوظيفية المعيشية الأخرى كالديوان والمفرج والمنظر.





الهوامش

١. قماش يستعمل غشاءً لوطاف الحمار والحصان.

١. الديوان يعلوه المفرج فالمنظر والزهرة تعلوها جميعاً

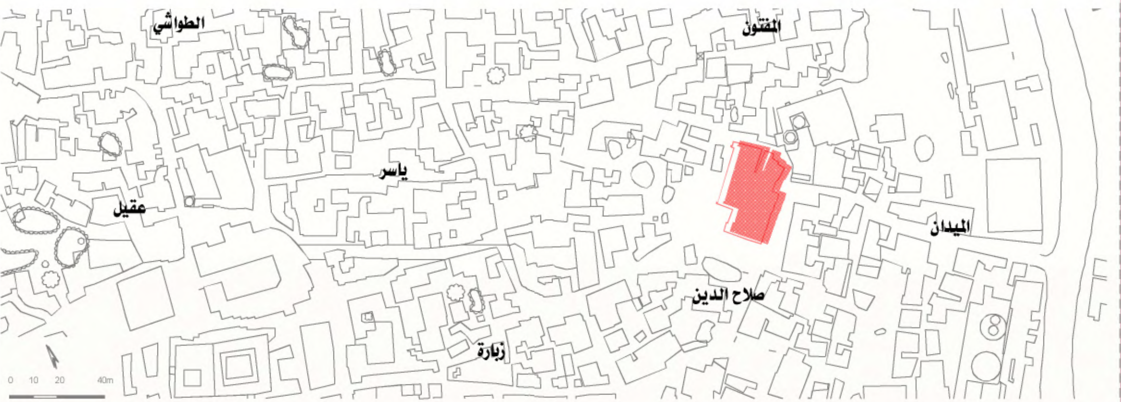


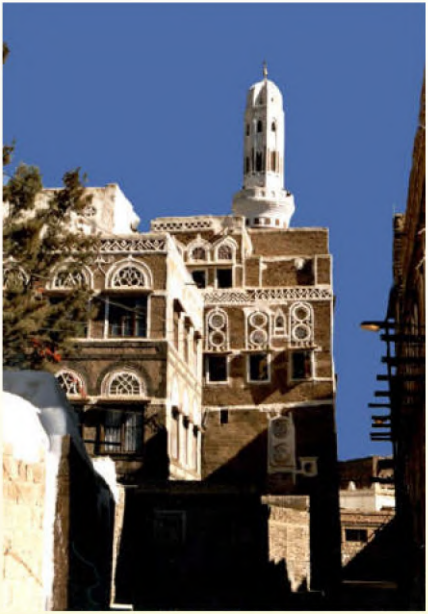
- الوحدة السكنية (بيت فايع)
- بيت العمري
- بيت غمضان (فندق دار الذهب)
- دار الذهب (بيت دلال)
- بيت العمبسة
- دار الجديد
- بيت محسن معيض (سنان أبو لحوم)
- بيت عسلان
- بيت سريع
- بيت الكبسي
- بيت شرهان

مدخل رئيسي	الحوي
مدخل ثانوي	الديوان
غرفة عامة ونوم	بئر منزعه
الجبا	خزانة جداريه
الشرفة	غرفة نوم
المخزن (الحر)	الحمام (المطهار)
الحجرة	الإسطبل
المفرج	المخزن
المستراح	المنظر
النافورة	الساورة (فوهة البئر)
الدهليز	الرواق (الممر)
السبيل	غرفة حارس
الزهرة	مدافن الحبوب
المطبخ	غرفة جمع المخلفات الصلبة
الكمه	المرنع
حمام بخاري	



الوحدة السكنية (بيت فايع)





تقع مباني هذه الوحدة السكنية في حي القطيع حارة صلاح الدين، وتتكون من خمسة مبان سكنية برجية ملتصقة ببعضها وبشكل حلقي مركزه فضاء مفتوح في الوسط، وتتداخل أحياناً بعض فضاءات المباني السكنية (١-٢ فضاء) بين كل مبنيين متجاورين، وهذا ما عزز فرضية أن مباني الوحدة السكنية عمرت وبالتدريج ولعائلة كبيرة امتدت أفقياً في توسعها بجانب التوسع الرأسي. ومن المرجح أيضاً أن ترجع العمارة الأولى للوحدة لمبنى أو أكثر فيها إلى ما قبل عمارة مسجد صلاح الدين (٧٩٣هـ/١٣٩٠م)، وزِيد فيها وتوسعت أفقياً ورأسياً وعبر مراحل مختلفة وهي على وضعها الحالي ولنحو (١٢٠) سنة. وهو تاريخ يرجع فيه انتقال الملكية الأخيرة للمباني. والتي توزعت على أكثر من عائلة، وانتقال الملكية كان بالشراء أو التوارث ويبلغ إجمالي المساحة الأرضية للوحدة السكنية (٨١٥,٣م٢)، وتسكن المباني خمس عائلات ثلاث منها تنتمي لعائلة (بيت فايع) وتسكن المباني (أ، ب، ج) تجاور بعضها وتسيطر على الفناء الوسطي (الحوش) وتشغل ما مساحته (٥٨٨,٥م٢) بنسبة (٧٢,٢٪) من المساحة الأرضية للوحدة. وتسكن عائلة (بيت العفاري) المبنى (د) ويشغل ما مساحته (٨٦,٢م٢) بنسبة (١٠,٦٪) من مساحة الأرضية للوحدة. وتسكن المبنى (هـ) (بيت عجلان والحميدي) ويشغل المبنى بقية مساحة البناء الأرضي للوحدة وبنسبة (١٧,٢٪).

وللوحدة السكنية خصائص معمارية متميزة في استغلال أرضية البناء والتوجيه والتحكم البيئي، ومسقط الوحدة السكنية غير منتظم الشكل وهذا نتاج لعدم انتظام مساقط المباني المكونة لها والمتصلة ببعضها ويتداخل من ناحية وببروز وغور لخطوط كتلها الخارجية من ناحية أخرى.

ومن أهم الخصائص المعمارية لها هي التفاف مبانيها الخمسة حول فناء داخلي محكم السيطرة ويتصل بالخارج من خلال فضاءين متجاورين مفتوحين على بعضهما، ويعمل هذان الفضاءان مع الفناء الوسطي في وصل الحركة بين المباني الخاصة ببيت فايع (أ، ب، ج) ولصلة المدخل الرئيسي هذا بالمبنى (ج) أحتسب مساحة هذين الفضاءين والفناء الوسطي ضمن مساحة المبنى (ج) لسيطرته عليها.

وتتباين المباني السكنية من حيث الحجم والسعة والكم لفضاءاتها الوظيفية، وعناصرها المعمارية والكثافة الزخرفية الداخلية لها، وأكبرها هو المبنى (ج) وأصغرها المبنى (د) وللمبنى (ب) صالة مدخل (دهليز) كبيرة مدعمة سقفها بعقود من حجر الحبش والدرج فيه أكثر سعة، وفضاءاته أكثر سعة وعناية في زخرفتها. وكذلك الحال أيضاً في المبنى (أ) مع اختلاف نسبي بسيط، ومن الجدير بالذكر أن مستوى الطابق الأرضي لكل من المبنى (أ)، والمبنى (ب)، أدنى من أرضية الطريق وبنحو (٧٥-٩٠سم)، وانعكس ذلك على المدخل الرئيسي للمبنى (ب) حيث تراجع ارتفاعه وبهذا القدر أيضاً. إلا أن مدخل المبنى (أ) جاء جانبياً وأرتفع عن الطريق مما زاد في فارق المنسوب بينه وبين الدهليز مما أوجب عمل بسطة داخلية ودرج تهبط إلى أرضية الدهليز، وقد استحدث هذا المدخل فيما يبدو بعد الفصل بين المبنيين (أ ، ب) وسد فراغ الوصل بين الدهليزين. وانخفاض أرضية الدور الأرضي عن أرضية الطريق وتنامت طبقاتها عبر مراحل زمنية طويلة، وهذا ما أدى إلى تضاؤل ارتفاع فتحة المدخل، وهذه دلالة على قدم عمارة المبنى.

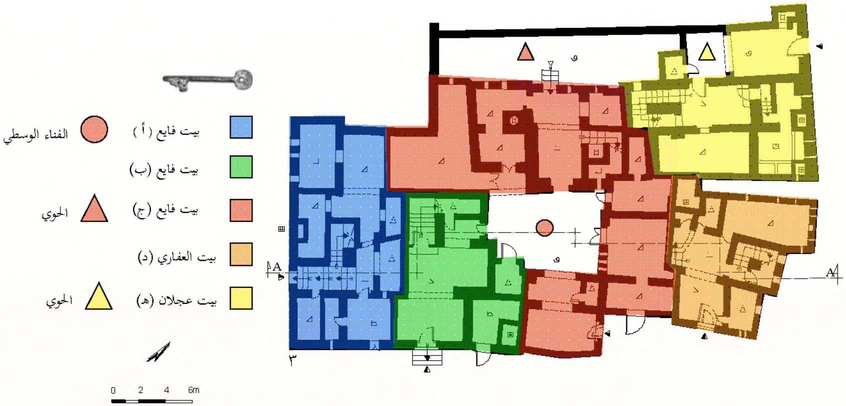
وبقية الخصائص المعمارية للدار يمكن قراءتها من خلال ما توضحه المخططات والصور المرفقة، كما يمكن استخلاصها من مضامين التحليل المعماري بدلالة الرقم.


١


٢

الجهة الشرقية للوحدة السكنية (فايع)

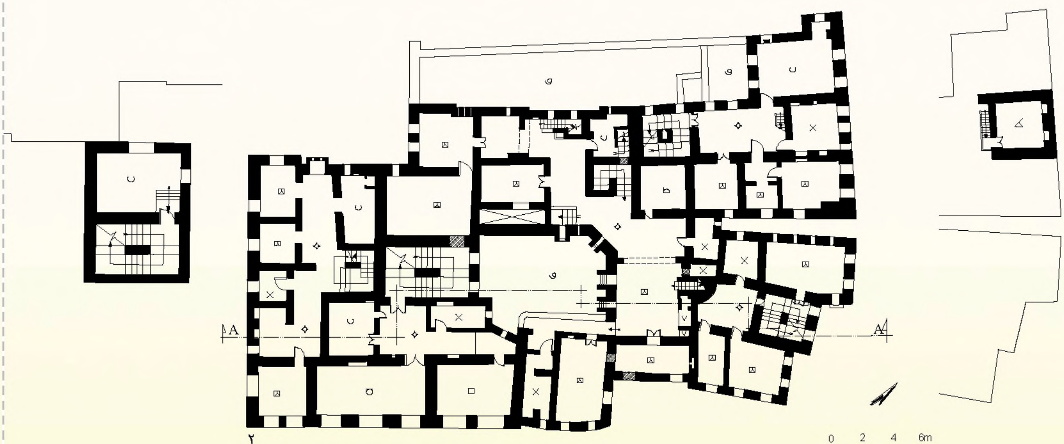
١. ١٩٢٧م، م/م ت د م
٢. ٢٠٠١م
٣. حدود مباني الوحدة السكنية
٤. مسقط الطابق الأرضي وعلى جانبيه فضاءات الطابق المسروق


بيت فايع (أ)
الفناء الوسطي
بيت فايع (ب)
بيت فايع (ج)
الحوي
بيت العفاري (د)
بيت عجلان (هـ)
الحوي
0 2 4 6m

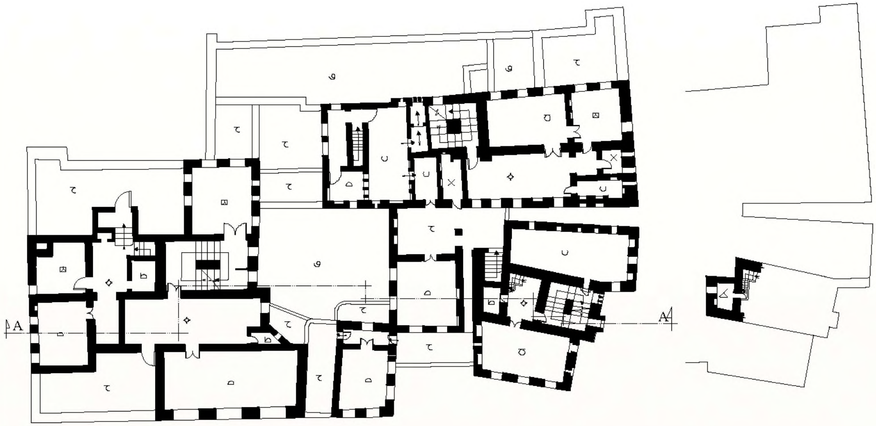

0 2 4 6m



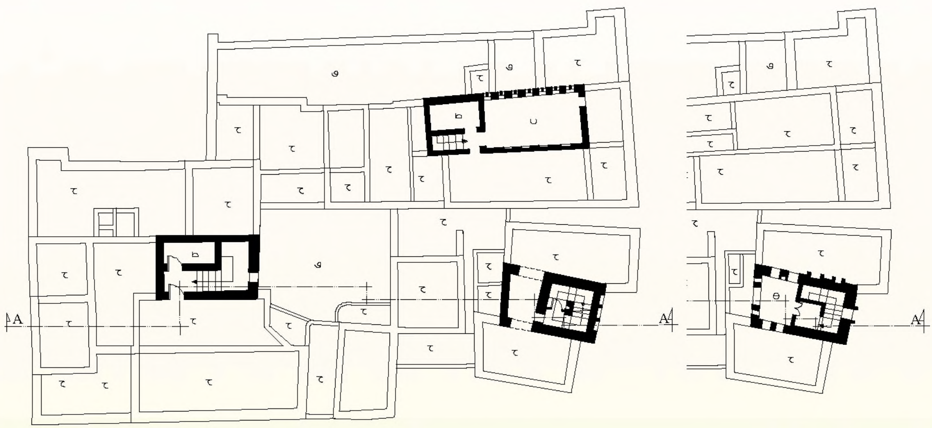
١



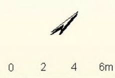
٢



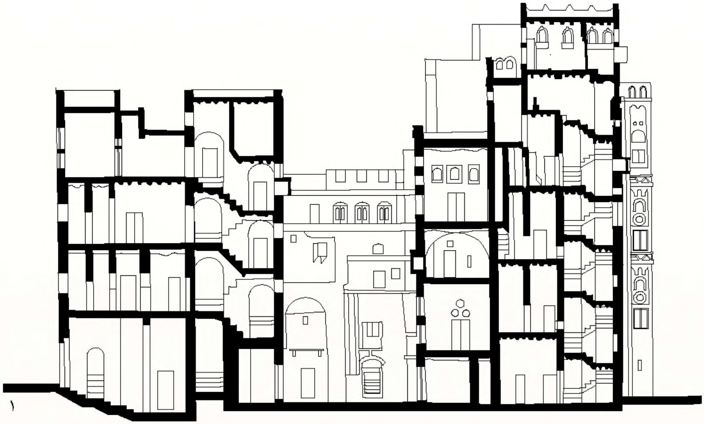
٣



٤



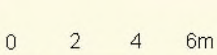
١. مسقط الطابق الأول وعلى طرفيه فضاءات الطابق المسروق
٢. مسقط الطابق الثاني وعلى جانبيه فضاءات الطابق المسروق
٣. مسقط الطابق الثالث وعلى جانبه فضاءات الطابق المسروق
٤. مسقط الطابق الرابع وعلى جانبه فضاء الغرفة العليا (الزهرة)



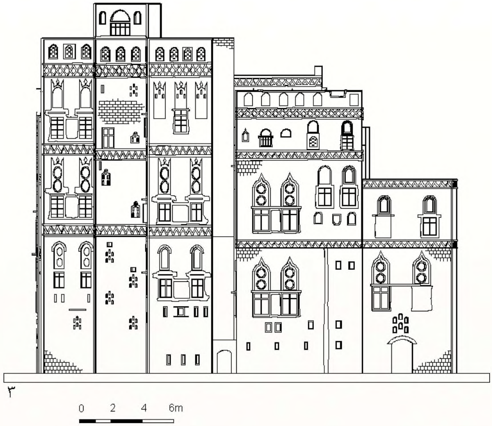
١



٢



١. قطاع (A-A)
٢. الواجهة الشرقية
٣. الواجهة الشمالية
٤. منظور علوي



٣



٤

الطابق	المعيشة		الحركة				الخدمية الاقتصادية والاجتماعية		الهادئة (السكنى)		الجدران		مساحة الطابق	
	المساحة م٢	النسبة %	مساحة ح. الأفقية م٢	مساحة ح. الرأسية م٢	المساحة الإجمالية م٢	النسبة %	المساحة م٢	النسبة %	المساحة م٢	النسبة %	المساحة م٢	النسبة %	المساحة م٢	النسبة من المساحة الإجمالية للمبنى%
الأرضي	–	–	١٢,٨	٤,٧	١٧,٥	١٢,٩	٧٥,٩	٥٦	–	–	٤٢,١	٣١,١	١٣٥,٥	٢٤
المسروق في الأرضي	–	–	١٤,١	٩,١	٢٣,٢	٣٥,٧	١٨	٢٧,٧	–		٢٣,٨	٣٦,٦	٦٥	١١,٥
الأول	–	–	٢٤,٥	١١,٨	٣٦,٣	٢٩,٩	١٥,٥	١٢,٨	٢٦,١	٢١,٥	٤٣,٦	٣٥,٨	١٢١,٥	٢١,٥
الثاني	–		٣٠,٧	٥,٦	٣٦,٣	٣٢,٤	١٣,٣	١١,٩	٢٤,٦	٢٢	٣٧,٧	٣٣,٧	١١١,٩	١٩,٨
الثالث	١٣,٢	٢٠,٨	١٤,٢	٣,٣	١٧,٥	٢٧,٥	٤	٦,٣	٩,٧	١٥,٣	١٩,١	٣٠,١	٦٣,٥	١١,٢
الرابع	١٣,٤	١٩,٧	١٢,٩	٥,٢	١٨,١	٢٦,٦	٦,٨	١٠	١٠,١	١٤,٩	١٩,٦	٢٨,٨	٦٨	١٢
المساحة الإجمالية للمبنى: ٥٦٥,٤م٢														

جدول تحليل مساحات الفضاءات الوظيفية للمبنى (أ)

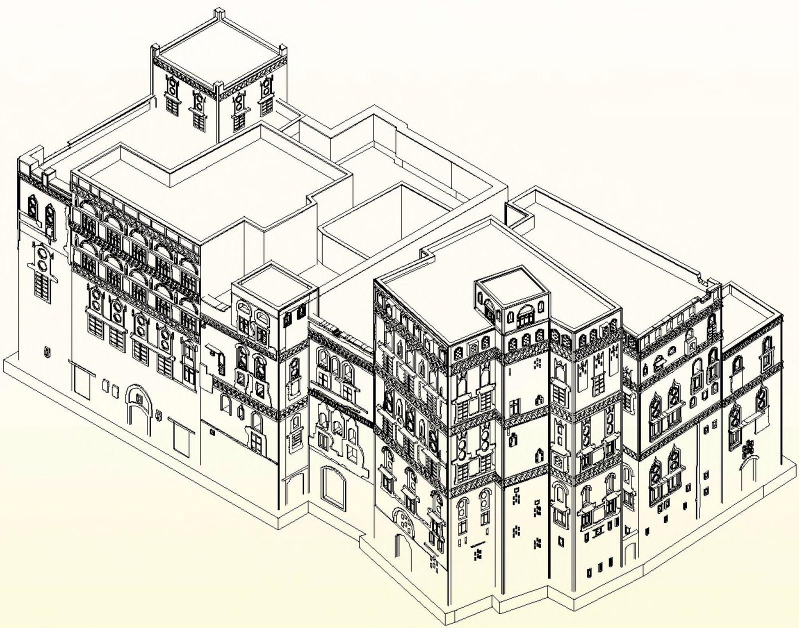
الطابق	المعيشة		الحركة				الخدمية الاقتصادية والاجتماعية		الهادئة (السكنى)		الجدران		مساحة الطابق	
	المساحة م٢	النسبة %	مساحة ح. الأفقية م٢	مساحة ح. الرأسية م٢	المساحة الإجمالية م٢	النسبة %	المساحة م٢	النسبة %	المساحة م٢	النسبة %	المساحة م٢	النسبة %	المساحة م٢	النسبة من المساحة الإجمالية للمبنى%
الأرضي	–	–	٤٢,٣	٧,٩	٥٠,٢	٥٧,٥	١٤,٤	١٦,٥	–	–	٢٢,٧	٢٦	٨٧,٣	١٤,٨
المسروق في الأرضي	–	–	٢٤,١	١٦,٩	٤١	٣٧	–	–	٣٧,٠	٣٣,٤	٣٢,٨	٢٩,٦	١١٠,٨	١٨,٨
الأول	–	–	٦,٦	٢,٣	٨,٩	٢٣,٩	–	–	١٢,٢	٣٢,٧	١٦,٢	٤٣,٤	٣٧,٣	٦,٣
الثاني	٢٣	١٨,٢	١٧,٩	١٦,٥	٣٤,٤	٢٧,٣	١٥,٥	١٢,٣	١٦,٣	١٢,٩	٣٧	٢٩,٣	١٢٦,٢	٢١,٤
الثالث	–	–	–	١٩,٥	١٩,٥	٣٢,٤	١٨,٢	٣٠,٣	–	–	٢٢,٤	٣٧,٣	٦٠,١	١٠,٢
الرابع	٣١,٥	٢٢,٢	٢٥,٥	١٧,١	٤٢,٦	٣٠	–	–	٣١,٣	٢٢,١	٣٦,٥	٢٥,٧	١٤١,٩	٢٤,١
المساحة الإجمالية للمبنى: ٥٨٩,١م٢														

جدول تحليل مساحات الفضاءات الوظيفية للمبنى (ب)

* كبر مساحة الطابق عن الطابق السابق له هو بسبب تداخل الفضاءات الوظيفية بين مباني الوحدة السكنية.

الطابق	المعيشة		الحركة				الخدمية الاقتصادية والاجتماعية		الهادئة (السكنى)		الجدران		مساحة الطابق	
	المساحة م٢	النسبة %	مساحة ح.الأفقية م٢	مساحة ح.الرأسية م٢	المساحة الإجمالية م٢	النسبة %	المساحة م٢	النسبة %	المساحة م٢	النسبة %	المساحة م٢	النسبة %	المساحة م٢	النسبة من المساحة الإجمالية للمبنى%
الأرضي	–	–	١٥٨.٨	٥	١٦٣.٨	٤٤.٨	١١٥.٨	٣١.٧	–	–	٨٦.١	٢٣.٥	٣٦٥.٧	٣٦.١
الأول	٣٠.١	١٢.٤	٣٢.٤	٧.١	٣٩.٥	١٦.٣	٨٥.١	٣٥.٢	٦.٩	٢.٩	٨٠.٤	٣٣.٢	٢٤٢	٢٣.٩
الثاني	١٥.٩	٦.٤	٣٩.٧	١٠.١	٤٩.٨	٢٠	٢٩.٣	١١.٨	٧٨.٧	٣١.٧	٧٤.٨	٣٠.١	٢٤٨.٥	٢٤.٥
الثالث	٢٧.٧	١٧.٧	٥١	٧.٢	٥٨.٢	٣٧.١	٢٣.٧	١٥.١	–	–	٤٧.١	٣٠.١	١٥٦.٧	١٥.٥
المساحة الإجمالية للمبنى: ١٠١٢.٩ م٢														

جدول تحليل مساحات الفضاءات الوظيفية للمبنى (ج)



الطابق	المعيشة		الحركة				الخدمية الاقتصادية والاجتماعية		الهادئة (السكنى)		الجدران		مساحة الطابق	
	المساحة م٢	النسبة %	مساحة ح. لأفقية م٢	مساحة ح. لرأسية م٢	المساحة الإجمالية م٢	النسبة %	المساحة م٢	النسبة %	المساحة م٢	النسبة %	المساحة م٢	النسبة %	المساحة م٢	النسبة من المساحة الإجمالية للمبنى%
الأرضي	–	–	٢١,٤	١٢	٣٣,٤	٣٨,٨	٢٨,٨	٣٣,٤	–	–	٢٤	٢٧,٨	٨٦,٢	١٩,٩
المسروق في الأرضي	–	–	–	٨,٥	٨,٥	٢٠,٥	١٨,٤	٤٤,٥	–	–	١٤,٥	٣٥	٤١,٤	٩,٥
الأول	٢٠,١	٢٣	٦,١	٧,١	١٣,٢	١٥,١	٥,٨	٦,٦	١٧,٧	٢٠,٣	٣٠,٦	٣٥	٨٧,٤	٢٠,١
الثاني	–	–	٨,٩	٧,٢	١٦,١	١٩,٥	٥,٤	٦,٥	٣٢,١	٣٨,٩	٢٩	٣٥,١	٨٢,٦	١٩
الثالث	١٦,٩	٢١,٦	٤,٩	٨,١	١٣	١٦,٦	٢٣,٢	٢٩,٧	–	–	٢٥,١	٣٢,١	٧٨,٢	١٨
المسروق في الثالث	–	–	–	٣	٣	٣٧	–	–	٢	٢٤,٧	٣,١	٣٨,٣	٨,١	١,٩
الرابع	–	–	٧,٤	٧,٧	١٥,١	٦٠,٢	–	–	–	–	١٠	٣٩,٨	٢٥,١	٥,٨
الخامس	٦,٥	٢٥,٨	٢,٦	٤,٦	٧,٢	٢٨,٦	–	–	–	–	١١,٥	٤٥,٦	٢٥,٢	٥,٨
المساحة الإجمالية للمبنى: ٢٠,٤٣٤م٢														

جدول تحليل مساحات الفضاءات الوظيفية للمبنى (د)

الطابق	المعيشة		الحركة				الخدمي ة الاقتصادية والاجتماعية		الهادئة (السكنى)		الجدران		مساحة الطابق	
	المساحة م٢	النسبة %	مساحة ح. الأفقية م٢	مساحة ح. الرأسية م٢	المساحة الإجمالية م٢	النسبة %	المساحة م٢	النسبة %	المساحة م٢	النسبة %	المساحة م٢	النسبة %	المساحة م٢	النسبة من المساحة الإجمالية للمبنى%
الأرضي	–	–	٤٥,٣	١٠,٥	٥٥,٨	٣٩,٧	٤٠,٩	٢٩,١	–	–	٤٣,٩	٣١,٢	١٤٠,٦	٢٥,٦
الاول	٢٠	١٥,٨	١٤,٤	٧,٧	٢٢,١	١٧,٥	٣١,٢	٢٤,٧	٦,٥	٥,١	٤٦,٧	٣٦,٩	١٢٦,٥	٢٣
المسروق في الاول	–	–	–	١,٤	١,٤	١٢	–	–	٤,٩	٤١,٨	٥,٤	٤٦,٢	١١,٧	٢,١
الثاني	–	–	١٨,٦	٨,١	٢٦,٧	٢٢,٢	٢٧,٩	٢٣,٢	٢٣	١٩,١	٤٢,٧	٣٥,٥	١٢٠,٣	٢١,٩
المسروق في الثاني	–	–	–	١,٣	١,٣	٦,٦	–	–	٩,٢	٤٦,٧	٩,٢	٤٦,٧	١٩,٧	٣,٦
الثالث	١٦,٣	١٨	٢١,٣	٧,٩	٢٩,٢	٣٢,٣	٥,٤	٥,٩	١١	١٢,٢	٢٨,٦	٣١,٦	٩٠,٥	١٦,٥
الرابع	–	–	–	٣,٣	٣,٣	٨,٣	٢٥,٨	٦٤,٨	–	–	١٠,٧	٢٦,٩	٣٩,٨	٧,٣
المساحة الإجمالية للمبنى: ١,٥٤٩م٢														

جدول تحليل مساحات الفضاءات الوظيفية للمبنى (هـ)

١. منظور شمالي غربي
٢. منظور شمالي شرقي

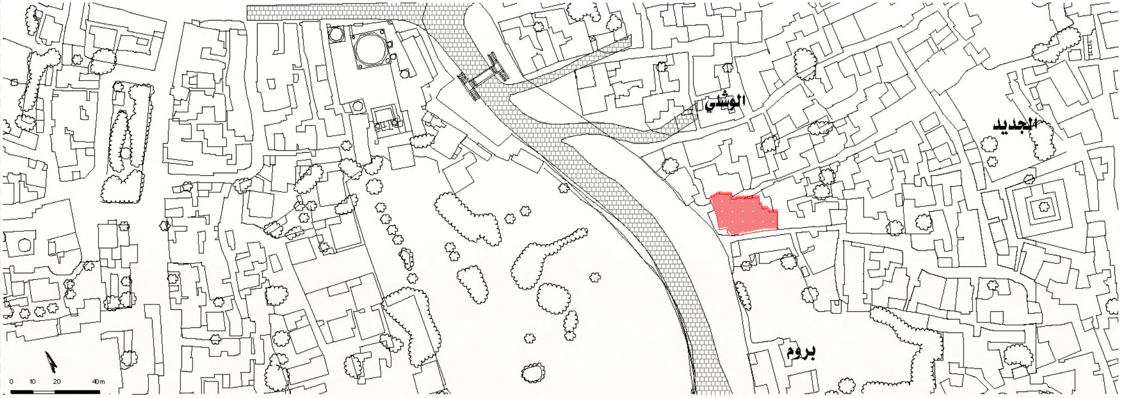


١



٢

بيت العمري





بيت العمري هو بمثابة وحدة سكنية صغيرة، ومقارنة ببقية الوحدات السكنية الأخرى لها خاصية وحدة الملكية. وفي هذا مثلاً لامتداد العائلة الكبيرة في الاتجاهين الرأسي والأفقي معاً، والعائلة الكبيرة للقاضي العلامة حسين بن علي العمري (ت١٣٦١هـ/١٩٤٢م)، والتي توارث رجالها مهنة القضاء فتوسعها لم ينحصر في الاتجاه الرأسي لمبنى سكني واحد بل امتد ليتوسع أفقياً في هذه الوحدة وما جاورها من مبنيين حديثي النشأة نسبياً التصقا بها بامتداد شريطي من جهة الشرق، هذا بالإضافة إلى مبنى كبير آخر يبعد عنها بنحو (٧٠م) باتجاه الشرق أيضاً، تعود عمارته الأخيرة إلى سنة (١٣٥٤هـ/١٩٣٤م)، ووفقاً لمعطيات المتغيرات الحياتية العصرية الجديدة. توسعت هذه العائلة وتفرعت إلى أسر صغيرة انتقل الكثير منها إلى حي بير العزب والأحياء الجديدة في صنعاء الكبرى.

ويقع بيت العمري في حارة الوشلي وعلى الضفة الشرقية لمجرى السايلة، ويتكون من مبنيين سكنيين برجيين (أ، ب) يتوسطهما من جهة الجنوب الغربي مبنى المحكمة (ج)، والذي كان فيه يعقد القاضي حسين العمري جلسات القضاء. وللمحكمة مدخلها الرئيسي الخاص والمتميز والذي يتقدم الفناء من الجهة الجنوبية الغربية.

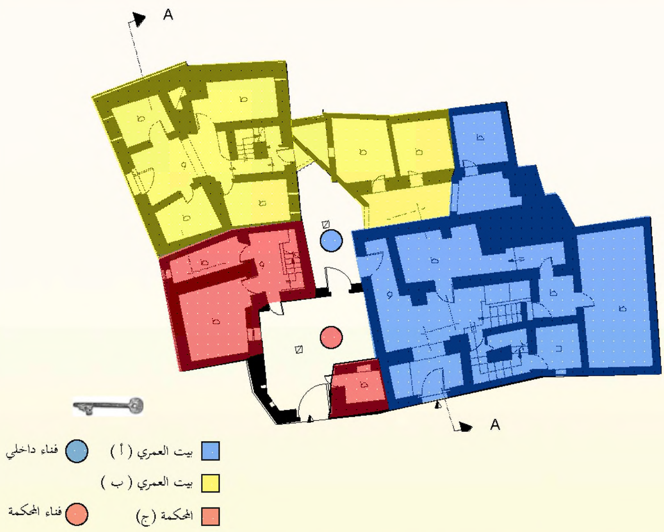
وكشفت التنقيبات الأثرية للبعثة السويسرية أواخر العقد الثامن من القرن العشرين عن عمر البناء والذي أرجعت عمارته الأولى إلى القرن (١٣م). ويتطابق ما كشفته التنقيبات عن عمر المبنى مع ما جاء في المصادر التاريخية في امتداد البناء حتى حدود السايلة وتوسع المدينة غربها في العهد الأيوبي (ق٥-٦هـ/١٢م). وارتفع برجا المبنيين السكنيين عبر مراحل مختلفة كغيرهما من المباني السكنية الأخرى في صنعاء القديمة. ومرا بالعديد من عمليات التجديد والصيانة. ويحظى برجا الوحدة بموقع متميز وذي قيم معمارية عالية من حيث التوجيه (الغربي والجنوبي)، وبالإضافة إلى القيم المعمارية البيئية لهذا التوجيه في مدينة صنعاء فله مميزات في امتداد البعد البصري، وذلك لإطلالته على السايلة ومن ثم على البساتين غربها وعلى بساتين حي بير العزب والتي تميزت مبانيها بإحاطتها بالحدائق الكبيرة من جميع الجهات. بما في ذلك الحقول والمزارع الممتدة غرب مدينة صنعاء التاريخية وسلسلة الجبال المحيطة بها.

ومساحة البناء الأرضية (٣٩٩,٤م٢) يشغل المبنى (أ) ما نسبته (٥٣,٣٪) من هذه المساحة ويرتفع برجه خمسة طوابق وواجهته الرئيسية جنوبية، أما المبنى (ب) فيشغل من المساحة ما نسبته (٢٢,٥٪)، ويرتفع خمسة طوابق وواجهته الرئيسية غربية، ويشغل مبنى المحكمة (ج) باقي المساحة (٢٤,٢٪)، ويرتفع طابقين وواجهته الرئيسية جنوبية.

وتكوين المباني الملتصقة بهيئتها المنكسرة جعل واجهاتها الخلفية تطل من جهة الشمال والشمال الشرقي على الحديقة الخلفية (الحوي) لوحدة الجوار السكنية الكبيرة ذات التشكيل الحلقي.

ومن الجدير بالذكر أن بعض الخصائص المعمارية لمباني بيت العمري تم الحديث عنها كأمثلة في المواضيع العامة الأخرى، كالدكة في الموضوع العام للمباني السكنية، وكذلك زخارف القضاض الحلقية للدهليز وبيت الدرج في موضوع الزخرفة الداخلية.

ويمكن قراءة المزيد من الخصائص المعمارية للمباني المكونة للوحدة السكنية من خلال ما توضحه المخططات المعمارية والصور وكذلك التحليل المعماري بدلالة الرقم.





١

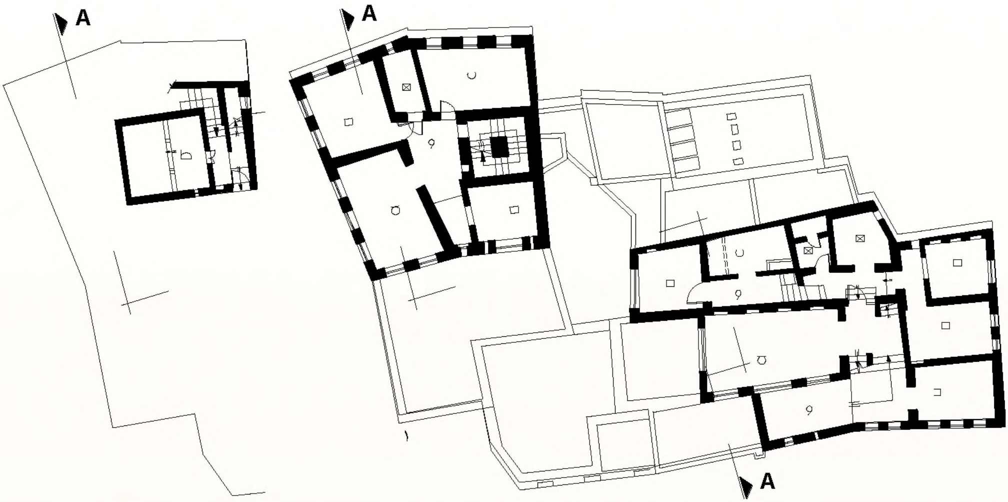


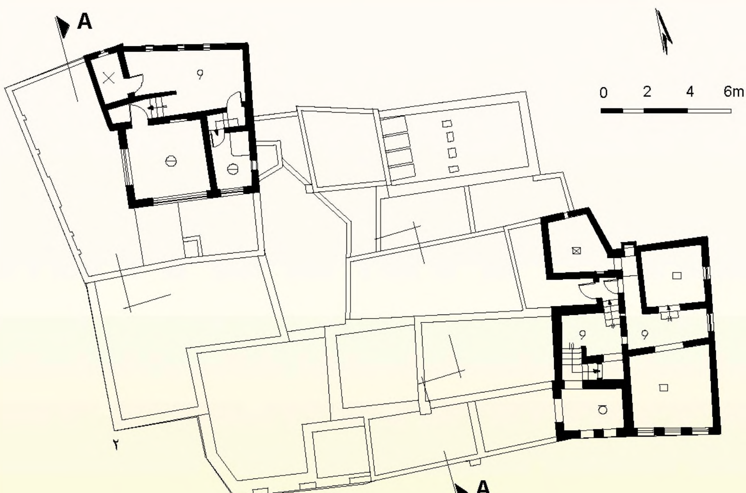
٢

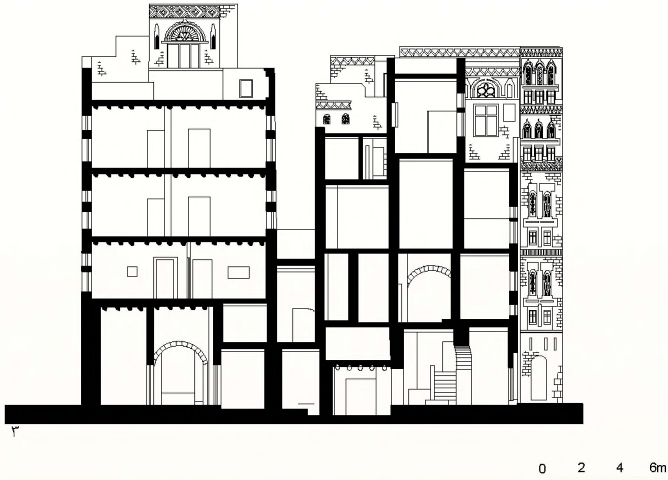




١. مسقط الطابق الأرضي
٢. مسقط الطابق المسروق
٣. مسقط الطابق الأول
٤. مسقط الطابق الثاني


A
A
A
١


A
A
0 2 4 6m
٢



٣

الطابق	المعيشة		الحركة				الخدمية الاقتصادية والاجتماعية		الهادئة (السكنى)		الجدران		مساحة الطابق	
	المساحة م٢	النسبة %	مساحة ح. الأفقية م٢	مساحة ح. الراسية م٢	المساحة الإجمالية م٢	النسبة %	المساحة م٢	النسبة %	المساحة م٢	النسبة %	المساحة م٢	النسبة %	المساحة م٢	النسبة من المساحة الإجمالية للمبنى %
الأرضي	–	–	٦٧,١	٩	٧٦,١	٣٥,٨	٩٠,٦	٤٢,٦	–	–	٤٦	٢١,٦	٢١٢,٧	٢٩,١
الأول	٤٤,٥	٢٥,٣	٣٦,٢	٨,٨	٤٥	٢٥,٥	٣٢,٩	٧.١٨	٦,١	٣,٥	٤٧,٥	٢٧	١٧٦	٢٤,١
الثاني	٤٩,٨	٣٣,٦	٢١,٦	٧,٧	٢٩,٣	١٩,٨	٨,٣	٥,٦	٢٥,٥	١٧,٢	٣٥,٢	٢٣,٨	١٤٨,١	٢٠,٢
الثالث	٢٧,١	٢١,٦	٢٩,٢	٤	٣٣,٢	٢٦,٥	١٥	١٢	٢٢,٦	١٨	٢٧,٥	٢١,٩	١٢٥,٤	١٧,١
المفرج	١٢,٢	١٧,٦	١٩	٤,٣	٢٣,٣	٣٣,٦	٥,٥	٨	١١,٥	١٦,٦	١٦,٧	٢٤,٢	٦٩,٢	٩,٥
المساحة الإجمالية للمبنى: ٤, ٧٣١م٢														

جدول تحليل مساحات الفضاءات الوظيفية للمبنى (أ)

١. مسقط الطابق الثالث وبجانبه الطابق المسروق
٢. مسقط الطابق الرابع (المفرج)
٣. قطاع (A–A)

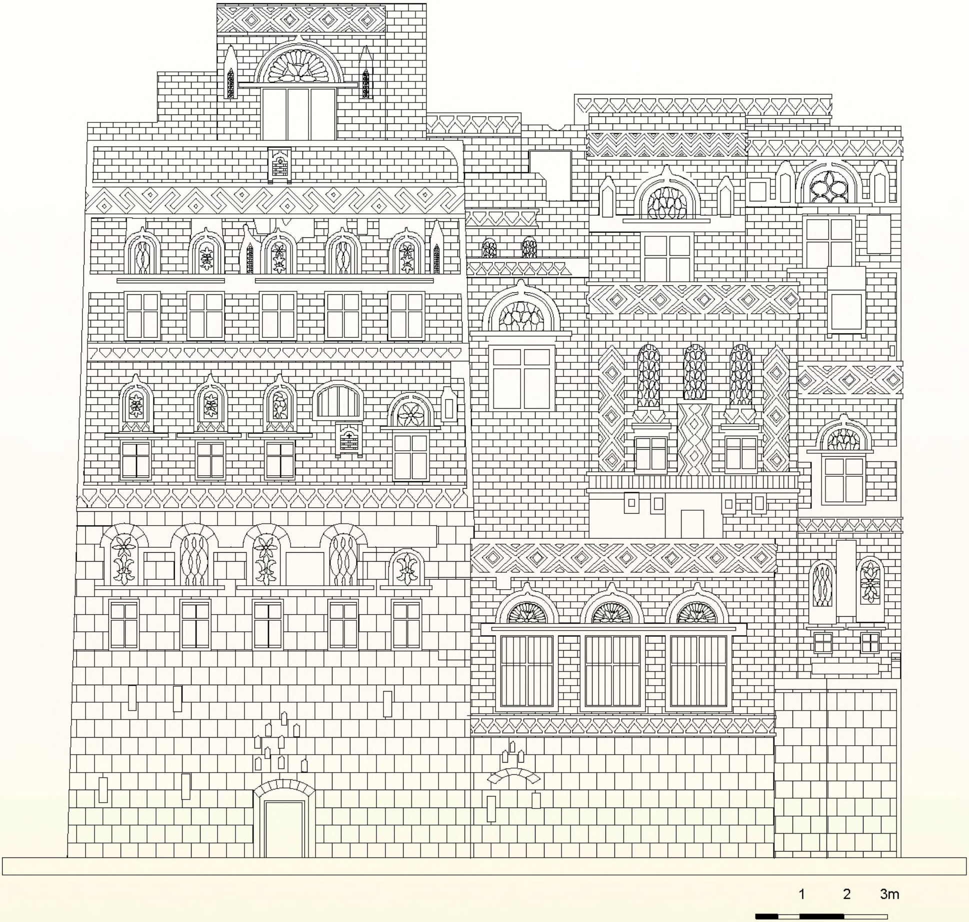
الطابق	المعيشة		الحركة				الخدمية الاقتصادية والاجتماعية		الهادئة (السكنى)		الجدران		مساحة الطابق	
	المساحة م٢	النسبة %	مساحة ح. الأفقية	مساحة ح. الرأسية	المساحة الإجمالية م٢	النسبة %	المساحة م٢	النسبة %	المساحة م٢	النسبة %	المساحة م٢	النسبة %	المساحة م٢	النسبة من المساحة الإجمالية للمبنى %
الأرضي	–	–	١٨,٤	١,٦	٢٠	٢٢,٢	٣٤	٣٧,٧	–	–	٣٦.١	٤٠,١	٩٠,١	١٥,٦
المسروق	–	–	١١,٣	٥,٦	١٦,٩	١٩,١	٣٨,٩	٤٤,١	–	–	٣٢.٥	٣٦,٨	٨٨,٣	١٥,٣
الأول	١٣,٥	١٥,٢	٩,٤	٧,٣	١٦,٧	١٨,٩	١٠,١	١١,٤	١٩,٤	٢١.٩	٢٨.٩	٣٢,٦	٨٨,٦	١٥,٣
الثاني	١٤,٥	١٦,١	٩,٨	٥,٦	١٥,٤	١٧,١	١٦,٢	١٨	١٨,٣	٢٠.٤	٢٥.٥	٢٨,٤	٨٩,٩	١٥,٥
الثالث	١٤,٥	١٦,٢	١٠	٥,٦	١٥,٦	١٧,٣	١٦,١	١٧,٩	١٨,٢	٢٠.٣	٢٥.٤	٢٨,٣	٨٩.٨	١٥,٥
المسروق تحت المفرج	١٠,٤	١١,٧	٥٧,٦	٤	٦١,٦	٦٨,٨	–	–	–	–	١٧.٥	١٩,٥	٨٩,٥	١٥,٥
الرابع (المفرج)	١٠,٨	٢٥,٢	١٦,٥	٣,٣	١٩,٨	٤٦,٢	٢,٥	٦	–	–	٩,٦	٢٢,٦	٤٢,٧	٧,٣
المساحة الإجمالية للمبنى: ٩, ٥٧٨ م٢														

جدول تحليل مساحات الفضاءات الوظيفية للمبنى (ب)

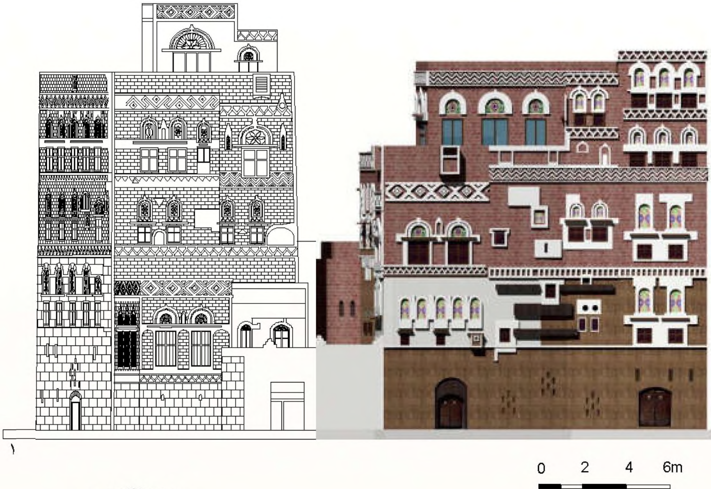
الطابق	المعيشة		الحركة				الخدمية الاقتصادية والاجتماعية		الهادئة (السكنى)		الجدران		مساحة الطابق	
	المساحة م٢	النسبة %	مساحة ح. الأفقية م٢	مساحة ح. الرأسية م٢	المساحة الإجمالية م٢	النسبة %	المساحة م٢	النسبة %	المساحة م٢	النسبة %	المساحة م٢	النسبة %	المساحة م٢	النسبة من المساحة الإجمالية للمبنى %
الأرضي	–	–	٣٠	١,٧	٣١,٧	٣٢,٩	٢٦	٢٦,٩	–	–	٣٨,٩	٤٠,٢	٩٦,٦	٥٦,٩
المسروق	٢٠,٩	٢٨,٥	١٤,٦	٢,٣	١٦,٩	٢٣,١	١٢,٥	١٧,١	–	–	٢٣	٣١,٣	٧٣,٣	٤٣,١
المساحة الإجمالية للمبنى: ٩, ١٦٩ م٢														

جدول تحليل مساحات الفضاءات الوظيفية للمبنى (ج)

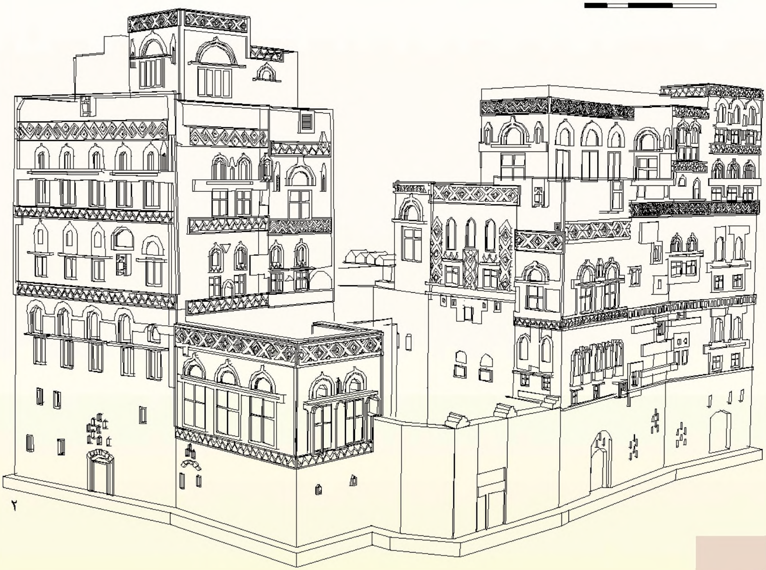




الواجهة الغربية



١



٢

١. الواجهة الجنوبية
٢. منظور تحليلي شمالي غربي
٣. المحكمة والمبنى(ب)
٤. منظور علوي
٥. منظور يوضح مواد البناء والتشكيل المعماري والزخرفي لواجهات المباني


٤


٣


٥

بيت غمضان (فندق دار الذهب)



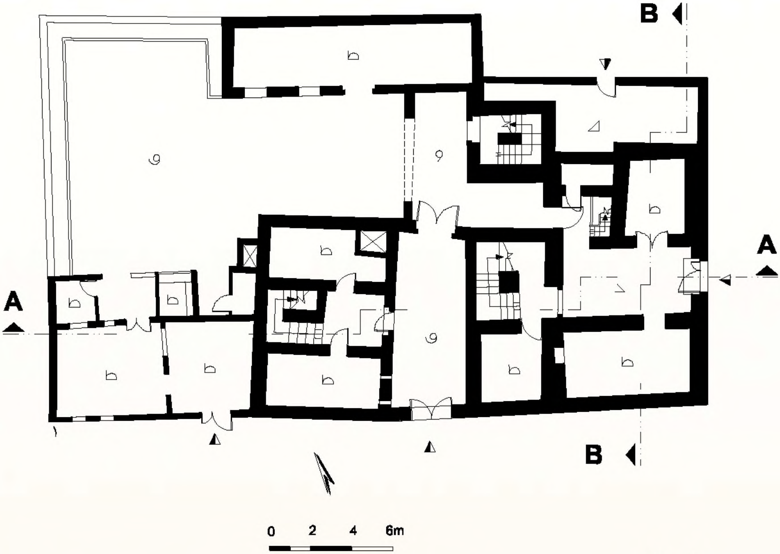


يقع بيت غمضان في حي السرار الشرقي غرب حارة طلحة في حارة الخراز، ويتصل المبنى بالجوار من جهة واحدة هي جهة الشمال، ويشكل جزئي أفقياً ورأسياً. وتطل واجهته الرئيسية الشرقية على امتداد الطريق المؤدي إلى السوق (المحور الغربي للمدينة) وتكسره وتزيحه ليمر جوار الواجهة الجانبية الجنوبية والتي تطل عليه وعلى مقشامة مسجد الوشلي. وتطل الواجهة الغربية على حديقة دار الذهب والبستان الذي يليه وعلى الرغم من أنها واجهة خلفية، إلا أن ميزة إطلالتها الجميلة ذات البعد البصري الممتد عبر المدينة وقاعها إلى الجبال المحيطة جعلها تحظى باهتمام وعناية نسبية في التشكيل المعماري والزخرفي، وساعد في ذلك توظيف الجزء النافر وغير الملتصق بمبنى الجوار للواجهة الشمالية (الباردة) ليؤدي وظيفة الواجهة الخلفية من حيث توزيع الفضاءات ذات الوظائف الخدمية والمرتبطة بالماء وتصريفه. كما عمد المعمار إلى استخدام الغور والبروز للكتل المعمارية ولكل من الواجهتين الجنوبية والغربية ولهذا الغرض أيضاً، وذلك لكون المبنى يعد من أكبر المباني السكنية داخل صنعاء القديمة وتكوينه المعماري يتألف في الأساس من مبنيين ملتصقين ومتداخلين في الكتل والفضاءات الوظيفية.

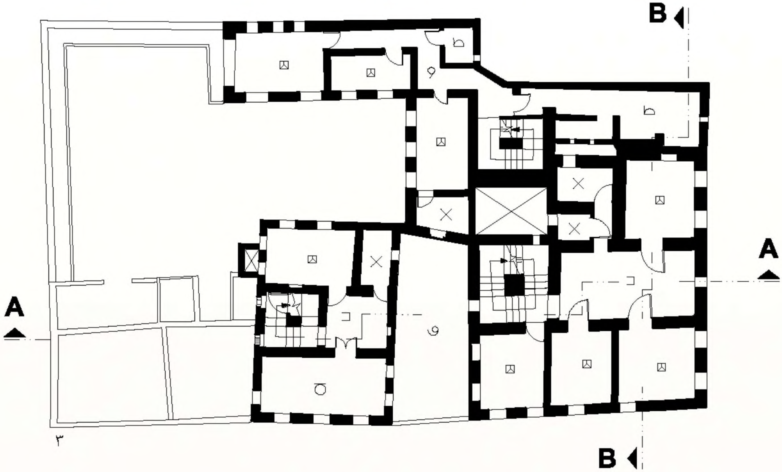
وتاريخ البناء مدون على المدخل الداخلي للمبنى (ب) سنة (١٣٥١هـ/١٩٣٢م). وفي سنة (١٩٩٥م) تم ترميمه وتجديده وصيانته وحورت وظيفته من مبنى سكني إلى فندق وباسم (دار الذهب)، مع إضافة كتلة بناء خرسانية صغيرة ومن طابق واحد في فنائه الخلفي كمطبخ للفندق، وتعريشة في الجزء الغربي للحوي وظفت كمطعم، واستغل الفضاء الوسطي الخلفي والمفتوح على الفناء كاستراحة ومقهى للفندق. وبيت غمضان من المباني السكنية الكبيرة والهامة في صنعاء القديمة وله الكثير من الخصائص والقيم المعمارية التاريخية والفنية والجمالية، ومن أهمها أن مدخله يؤدي إلى فضاء صالة المدخل (الدهليز)، والذي يمتد وبانكسار مترحل من المدخل والفضاء الذي يليه في جهة الشرق إلى الفضاء الخلفي الأكثر اتساعاً في جهة الغرب والمفتوح على الحوي، ومن هاذين الفضاءين تتوزع الحركة إلى كل من المبنيين (أ، ب) ولكل مبنى مدخله الخاص. والتكوين المعماري لبيت غمضان وسلوك تشكيل فضاءاته الوظيفية وعناصرها المعمارية والزخرفية الخارجية والداخلية، انتهجت نهج عمارة المباني السكنية للعائلة اليمنية والصنعانية الكبيرة (الممتدة) وتوسعها الرأسي والأفقي في شغل الفضاءات الوظيفية المعمارية لأسرها الصغيرة المتنامية المتآلفة والمتعاقبة الأجيال. ومبنيا بيت غمضان ملتصقان ومتداخلان في تكوينهما العضوي، ومشتركان بمدخل رئيسي واحد في كتلة الواجهة الشرقية الرئيسية ويرتفع البناء لكلا مبنيي البيت ثمانية طوابق من ضمنهما طابق مسروق (ميزانين)، ويمكن استخلاص المزيد من الخصائص والقيم المعمارية المتميزة من خلال مضامين المخططات المعمارية والصور المرفقة والتحليل ومضامين التحليل المعماري بدلالة الرقم، هذا بالإضافة إلى مضامين ومعاني التحليل المعماري الجمالي للواجهة بكتلها وعناصرها وعلاقات الربط في نسيج التكوين لها وفق منظومة اعتمدت جملة من القيم الجمالية كالتناسب والنغم والإيقاع والاستمرارية والمقياس والتضاد وحوار الظل والضوء وغيرها، والتي ضُمنت مواضيع الخصائص والقيم الجمالية في نهاية هذا الكتاب.

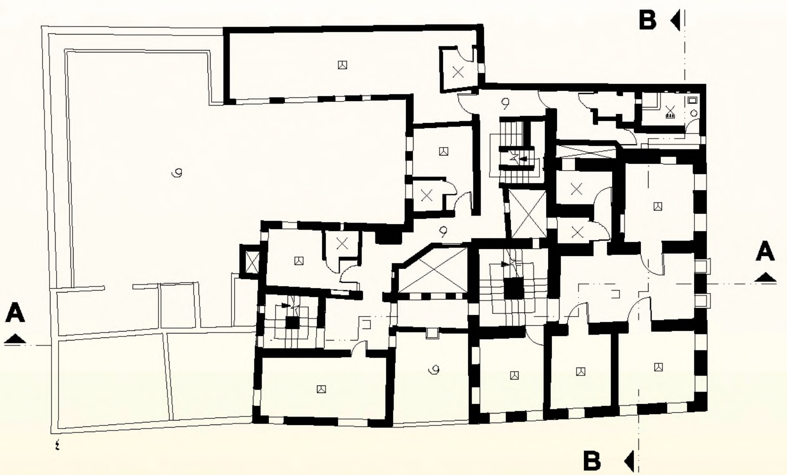
الطابق	المعيشة		الحركة				الخدمية الاقتصادية والاجتماعية		الهادئة (السكنى)		الجدران		مساحة الطابق	
	المساحة م٢	النسبة %	مساحة ح. الأفقية م٢	مساحة ح. الرأسية م٢	المساحة الإجمالية م٢	النسبة %	المساحة م٢	النسبة %	المساحة م٢	النسبة %	المساحة م٢	النسبة %	المساحة م٢	النسبة من المساحة الإجمالية للمبنى %
الأرضي	–	–	٢١٣,٥	٢٤,٥	٢٣٨	٤٤,٣	١٤٥,٢	٢٧	٢٧	٥	١٢٧,٧	٢٣,٧	٥٣٧,٩	٢٩,٧
المسروق	–	–	٤١,٩	١٨,٧	٦٠,٦	٣٢,٩	٧,٤	٤	٥١,١	٢٧,٧	٦٥,١	٣٥,٤	١٨٤,٢	١٠,٢
الأول	١٥,٤	٥,٢	٤١,٧	٢٤,١	٦٥,٨	٢٢,٤	٤٢,٥	١٤,٥	٨٣,٢	٢٨,٣	٨٧,٢	٢٩,٦	٢٩٤,١	١٦,٢
الثاني	–	–	٥٣,٩	٢٢,١	٧٦	٢٤,٩	٤٠,٣	١٣,٢	١١٣,١	٣٧	٧٥,٩	٢٤,٩	٣٠٥,٣	١٦,٩
الثالث	–	–	٤٥,٥	١٤,٥	٦٠	٢٩,٥	٧,٤	٣,٦	٩٣,٨	٤٦,١	٤٢,١	٢٠,٨	٢٠٣,٣	١١,٢
الرابع	١٤,١	١٢,٢	١٢,٤	١٠,٧	٢٣,١	٢٠	٢	١,٧	٥٠,٢	٤٣,٤	٢٦,٣	٢٢,٧	١١٥,٧	٦,٤
الخامس	٣١,٢	٢٦,٨	٣٨,٣	١١,٣	٤٩,٦	٤٢,٧	١٠,٤	٨,٩	–	–	٢٥,١	٢١,٦	١١٦,٣	٦,٤
السادس	٣٢,١	٥٩,٩	٦,٢	٢,١	٨,٣	١٥,٥	–	–	–	–	١٣,٢	٢٤,٦	٥٣,٦	٣
المساحة الإجمالية للمبنى: ١٨١٠,٤م٢														

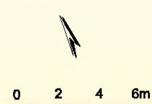
جدول تحليل مساحات الفضاءات الوظيفية للمبنى


B
A
A
B
١
0 2 4 6m

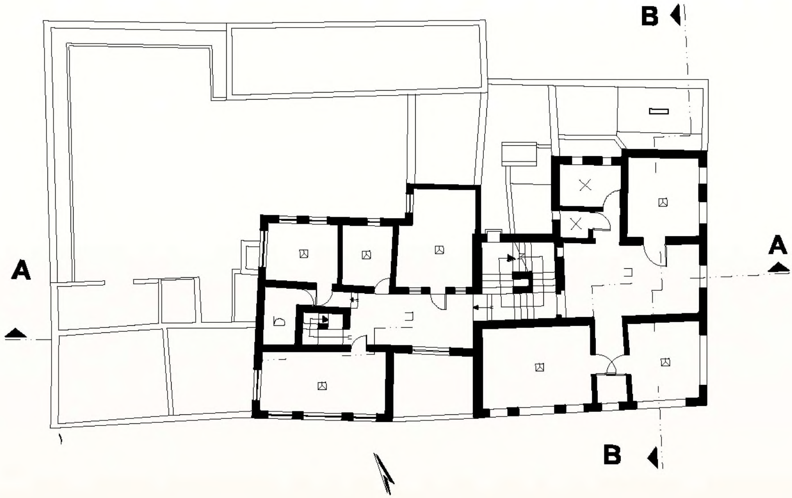

B
A
A
٢
B



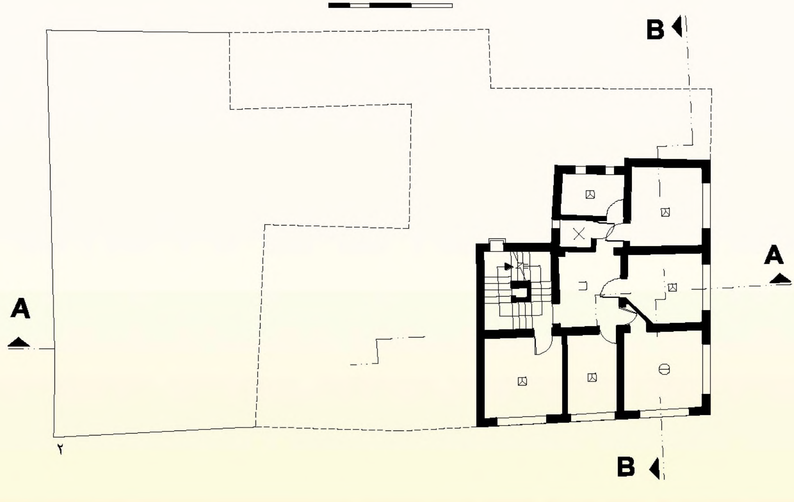


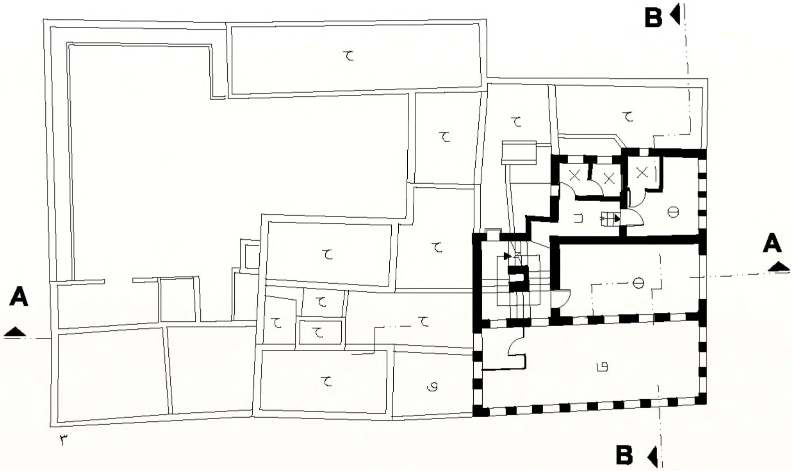


١. مسقط الطابق الأرضي
٢. مسقط الطابق المسروق
٣. مسقط الطابق الأول
٤. مسقط الطابق الثاني

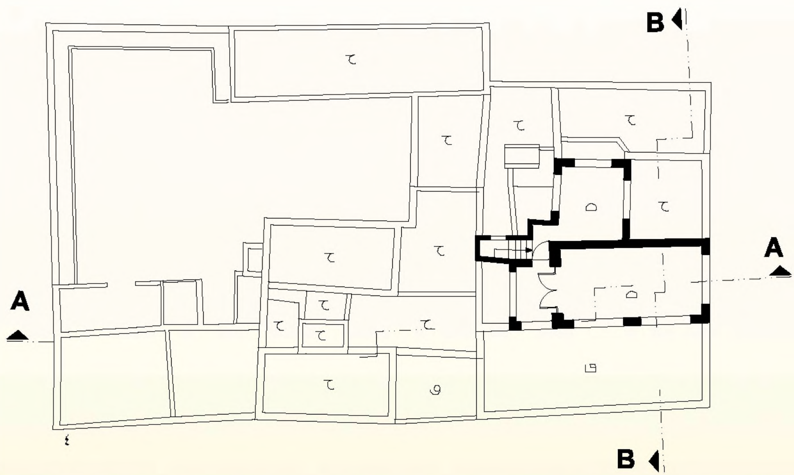


0 2 4 6m

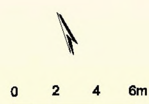




٣



٤



١. مسقط الطابق الثالث
٢. مسقط الطابق الرابع
٣. مسقط الطابق الخامس
٤. مسقط الطابق السادس



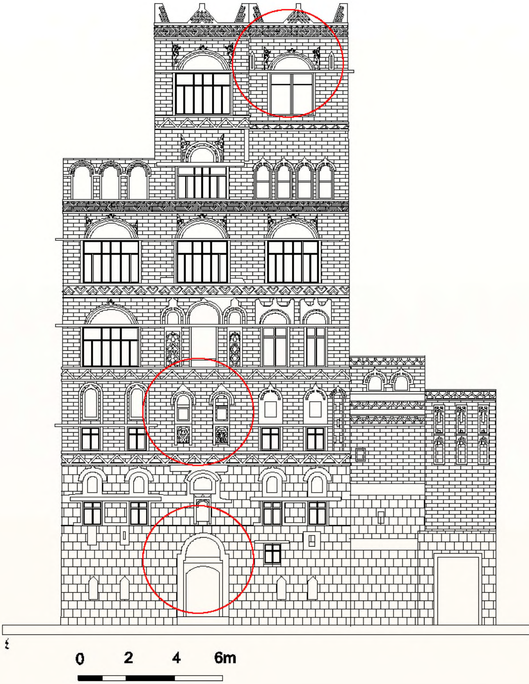
١



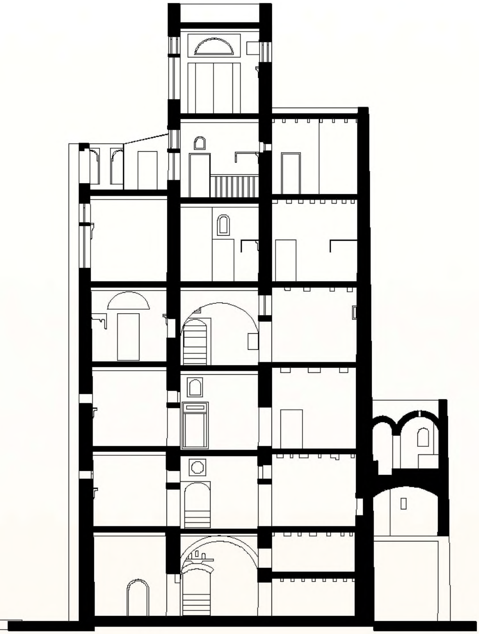
٥



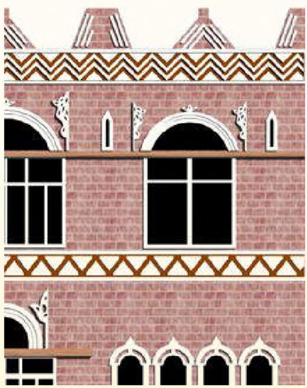
٢



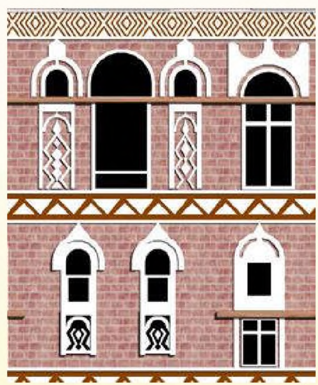
٤



٣



٧



٦

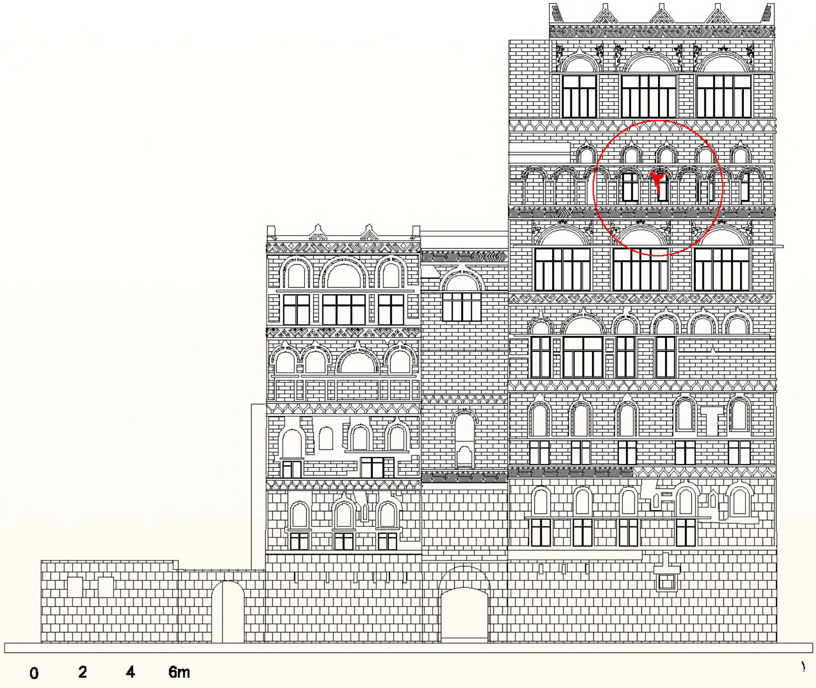
١. قطاع (A-A)

٢. منظور لبيت غمضان على واجهة عملة الخمسة ريالات.

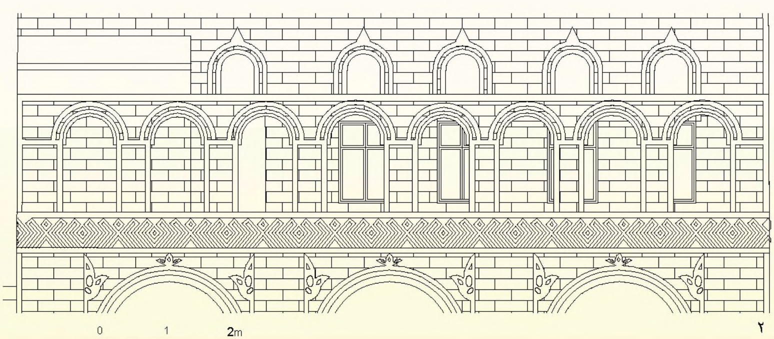
٣. قطاع (B-B)

٤. الواجهة الشرقية (الرئيسية)

٥- ٧. تفاصيل للواجهة توضح مواد البناء



١



٢

١. الواجهة الجنوبية
٢. تفاصيل الواجهة
٣. (١٩٢٧م)، م/ م ت د م
٤. (٢٠٠١م)
٥. بيت غمضان (فندق دار الذهب) من جهة الغرب



٣

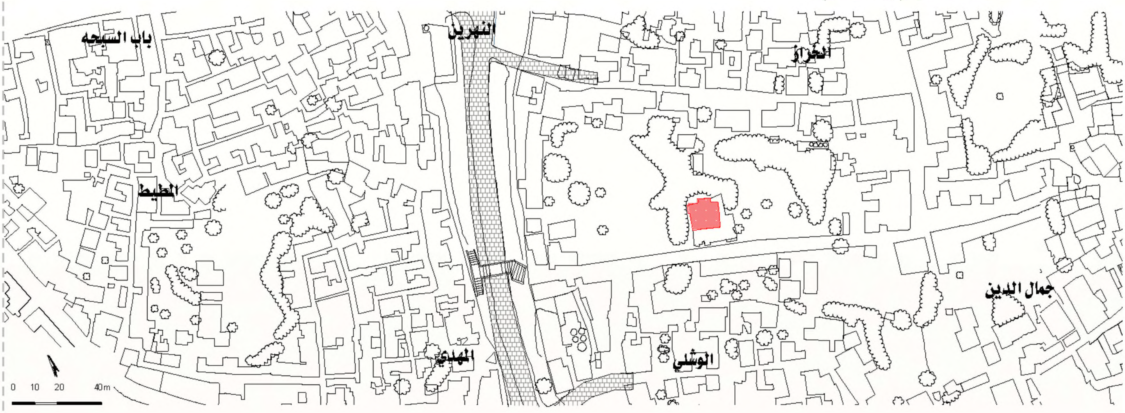


٤



٥

دار الذهب (بيت دلال)





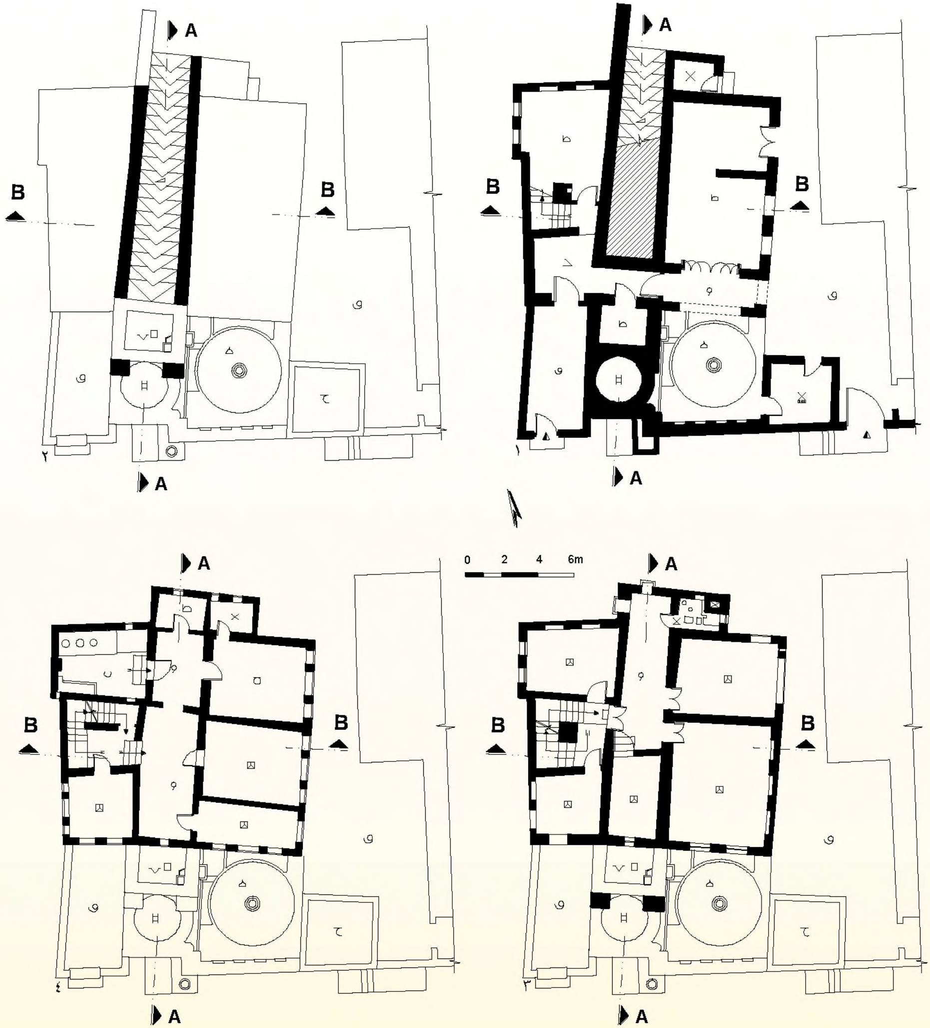
يقع دار الذهب في حي السرار الشرقي حارة الخراز من جهة الجنوب، وقد أُقيم على الطرف الجنوبي الغربي من حديقة كبيرة كانت تابعة له، ويأتي في الركن الجنوبي الشرقي لبستان ينخفض مستوى أرضية بنائه بنحو (٤م) تقريباً، والمبنى منفصل ولا يلاصق أي مبنى آخر. وواجهته الرئيسية جنوبية، وتطل على طريق واسع نسبياً تمتد وبتعرج متعدد الإنكسارات من وسط السوق وحتى باب السبحة لتمثل امتداد المحور الرئيسي الغربي للمدينة. فيما تطل الواجهتان الشرقية والشمالية على حديقة الدار، وتطل الواجهة الغربية على مقشامة، ويعطيها امتدادها الطولي والمتسع امتداداً بصرياً باتجاه السرار الغربي وبساتينه الكبيرة، وقاع صنعاء وسلسلة الجبال المحيطة به من جهة الغرب. وقام على عمارته الإمام المهدي عبد لله والذي عاش ما بين (١٢٠٨-١٢٥١هـ /١٧٩٣-١٨٣٦م) ودار الذهب من حيث الحجم يصنف من المباني السكنية الكبيرة في مدينة صنعاء القديمة ويعد من أهمها وذلك لما له من قيم معمارية وتاريخية، توثيقية وفنية وجمالية. ويتكون مبناه من أربعة طوابق. ويتميز بعدد من الخصائص المعمارية عن بقية المباني السكنية في صنعاء القديمة فشكل مسقطه مربع منتظم الأبعاد تقريباً، رغم البعد الزمني الكبير بين نشأته ونشأة المباني السكنية المنتظمة المسقط (الحديثة العهد نسبياً) داخل حدود سور صنعاء القديمة، وعدم التصاق مبناه بمبان سكنية أخرى، وامتلاكه حديقة كبيرة (بستان) في شرقه وشماله.

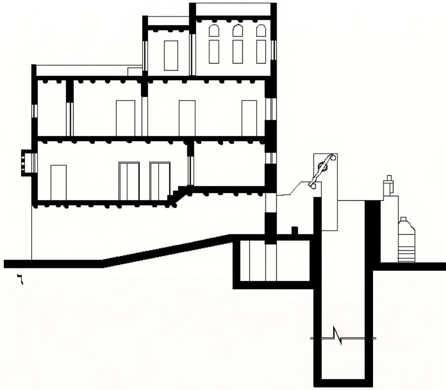


وكان للدار ثلاثة مداخل على أسواره، الأول والثاني أماميان ومستخدمان، والثالث خلفي في سوره الشمالي وكان ينفذ إلى حارة الخراز ولا تزال آثاره باقية. وللدار مفرج أرضي يطل على مساحة مبلطة تتوسطها بركة دائرية (شذروان). ويعد من أقدم الدور في صنعاء القديمة، والتي جاءت من حيث النشأة الأولى لتحاكي الدور السكنية لكبار الإداريين والقادة العسكريين العثمانيين في حي بير العزب في نشأته الأولى وفي جميع الخصائص تقريباً، إلا واحدة منها وهي الخاصية التي أراد أن يؤكد بها تفرده وهي بئره، ففي حين كان لأغلب المباني السكنية في صنعاء القديمة آبارها الخاصة (البئر المنزعة) في الطابق الأرضي أو في الحوي، وفي حين استخدمت بعض المباني السكنية الكبيرة والقصور في بير العزب على وجه الخصوص آبارها الخاصة (البئر المسنى) في جهة ما من حديقة المبنى، فإن دار الذهب اختار مسلكاً جمع بين الخاصيتين لكل من دور صنعاء القديمة، ودور حي بير العزب الحديث حينها، ونتاجاً لهذا الدمج اخترق البئر المسنى الطابق الأرضي لمبنى الدار وقسمه ليفصل بذلك جزءه الشرقي عن جزئه الغربي، وأمتد مرنعه عبره وتجاوزه خلف الدار وبنحو (٥م)، والتصقت ساورته في الأمام بجدار سور الدار، وبهذه الخاصية كان تفرده والذي تجاوز حدود اليمن. وبالإضافة إلى هذا فالمخططات والصور وكذلك التحليل المعماري بدلالة الرقم، توضح جميعها الكثير من الخصائص المعمارية الوظيفية والجمالية لدار الذهب.

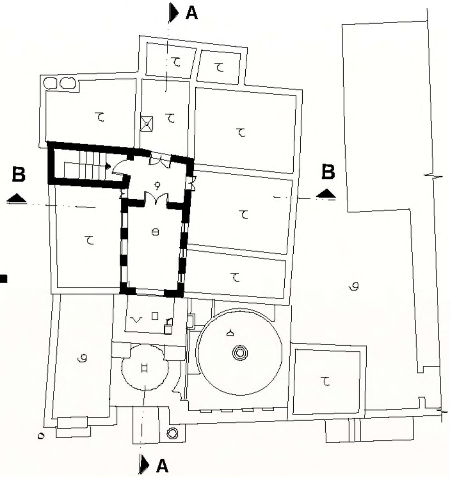
الطابق	المعيشة		الحركة				الخدمية الاقتصادية والاجتماعية		الهادئة (السكنى)		الجدران		مساحة الطابق	
	المساحة م٢	النسبة %	مساحة ح. الأفقية م٢	مساحة ح. الرأسية م٢	المساحة الإجمالية م٢	النسبة %	المساحة م٢	النسبة %	المساحة م٢	النسبة %	المساحة م٢	النسبة %	المساحة م٢	النسبة من المساحة الإجمالية للمبنى %
الأرضي	–	–	١٥٦	٥,٥	١٦١,٥	٤٦,٨	١٢٤,١	٣٦	–	–	٥٩,٥	١٧,٢	٣٤٥,١	٤٤,٩
المسروق	–	–	–	–	–	–	٣٥	٦٠	–	–	٢٣,٨	٤٠	٥٨,٨	٧,٦
الأول	–	–	٢٠	١٢,٤	٣٢,٤	–	٣,٤		٩١,٩	٥٤,٦	٤٠,٧	٢٤,٢	١٦٨,٤	٢١,٩
الثاني	٢٠,١	١٢,٤	٢٩,٩	١٢,٤	٤٢,٣	٢٦,١	١٩,٨	١٢,٢	٤٧,٥	٢٩,٣	٣٢,٥	٢٠	١٦٢,٢	٢١,١
الثالث	١٢,١	٣٤,٦	٧	٥,٨	١٢,٨	٣٦,٦	–	–	–	–	١٠,١	٢٨,٨	٣٥	٤,٥
المساحة الإجمالية للمبنى: ٧٦٩,٥ م٢														

جدول تحليل مساحات الفضاءات الوظيفية للمبنى

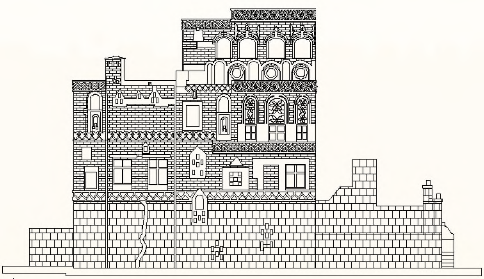

A
B
0 2 4 6m



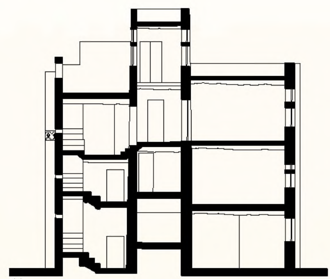
٦



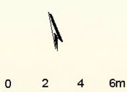
٥

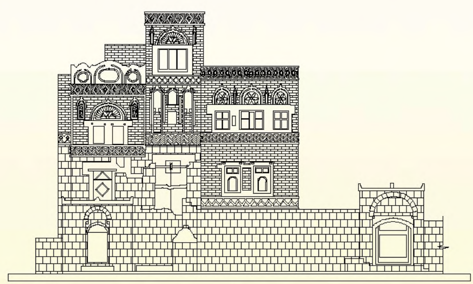


٨



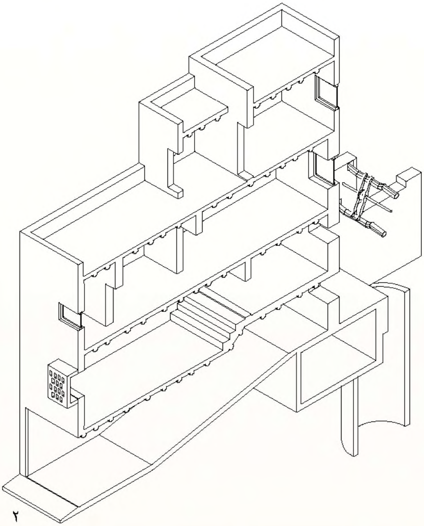
٧





٩

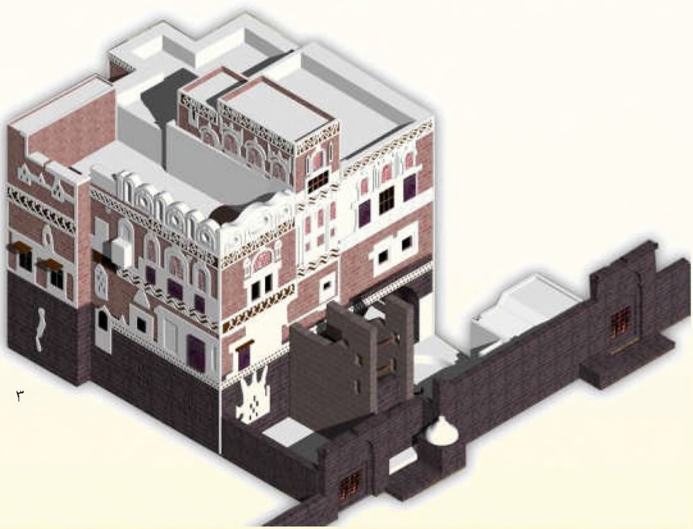
١. مسقط الطابق الأرضي
٢. مسقط الطابق المسروق
٣. مسقط الطابق الأول
٤. مسقط الطابق الثاني
٥. مسقط الطابق الثالث
٦. قطاع (A–A)
٧. قطاع (B–B)
٨. الواجهة الغربية
٩. الواجهة الجنوبية



٢



١



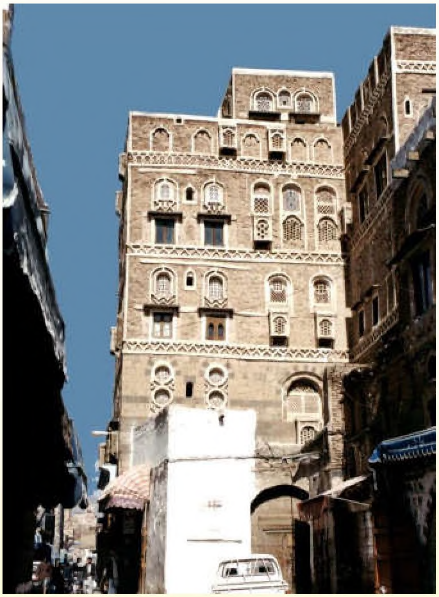
٣

١. منظور جنوبي شرقي
٢. قطاع منظوري
٣. منظور جنوبي غربي





يقع بيت العنبسة في وسط حي القطيع حارة زبارة، وعلى امتداد محور السوق الشرقي (شارع العراقيين قديماً). وتطل واجهته الرئيسية الجنوبية عليه، والواجهة الشرقية تطل على امتداد الطريق المنكسر والممتد شرقاً (محور السوق) وفيها المدخل الرئيسي والجزء المتراجع فيها يلتصق بالبناء في الطوابق السفلى وكذلك هو الحال للواجهة الغربية، وقد كشفت التنقيبات الأثرية في المبنى ومحيطه للفريق السويسري والذي عمل على دراسة وترميم المبنى والتنقيب الأثري في محيطه، على أن المبنى القائم يعود تاريخ بنائه إلى القرن (١٥م)، وقد ارتفع البناء على أنقاض مبانٍ سكنية تعود إلى أوابد موغلة في القدم، وتدرج في طوابقه العليا على مراحل مختلفة، وللمبنى ذكر في المصادر التاريخية، وهو من الدور المميزة في مدينة صنعاء القديمة لشكله وتعدد فضاءاته ووظائفها، والمبنى من حيث الحجم يصنف من المباني السكنية الكبيرة نسبياً، ومن أهمها من حيث قيمته التاريخية والمعمارية.



ويـذكر المـؤرخ أحمـد بـن عبـد اللـه الـرازي (ت ٤٦٠هــ/ ١٠٦٨م)[1] "ومن ذلك (دار ابن عنبسة) التي كانت عامرة واسعة جميلة، لهـا حـدائق وبسـاتين، وكانـت نـزل القـادمين مـن تجـار العراق وكانت تقع في شارع العـراقيين،... وكانـت تـدر بسـاتينها علـى صـاحبها أمـوالاً كثيـرة، وقـد شـجع ذلـك الـداخل وجمـال الـدار أحـد تجـار البصـرة، وهـو الحسـين بـن محمـد بـن خالـد البصـري ممـن كـان يتـردد علـى صنعـاء فـي تجارتـه فـي أواخـر القـرن الثالـث علـى شـرائها بمـال كثيـر، ثـم كـان يسـافر بعـد أن اشـتراها إلـى البصـرة فيقـيم سـنة ثـم يـروح إلـى صنعـاء فـي الثانية، وكان المتقبل يرفع قبالها إلى أهله بصنعاء كل يـوم ثلاثـة دنانير يعفرية".

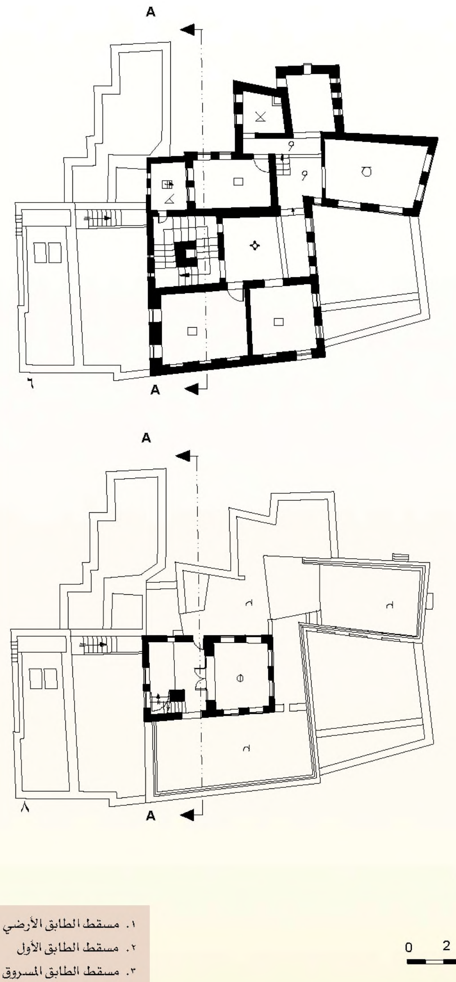
وللمبنـى الكثيـر مـن القيـم التاريخيـة التوثيقيـة والمعماريـة التاريخيـة والفنيـة والجماليـة العاليـة القيمـة والتـي تبـرز أيضـاً الكثيـر مـن خصـائص التكـوين المعمـاري ونهـج سـلوك تشـكيل الفضاءات الوظيفية وعناصرها المعمارية والزخرفيـة للمراحـل المتقدمـة وحتـى المراحـل المتـأخرة فـي المسـار التـاريخي لنمـو وتطور العمارة الصنعانية. ويتكون من خمسة طوابق أساسية وثلاثة طوابق مسروقة بالإضافة إلـى تعـدد اختـلاف المناسـيب بين كتل المبنى الطابقية.

والخصائص المعمارية للمبنى توضحها المخططات والصـور المرفقة كما يمكن استخلاصها مـن مضامين التحليل المعمـاري بدلالة الرقم.

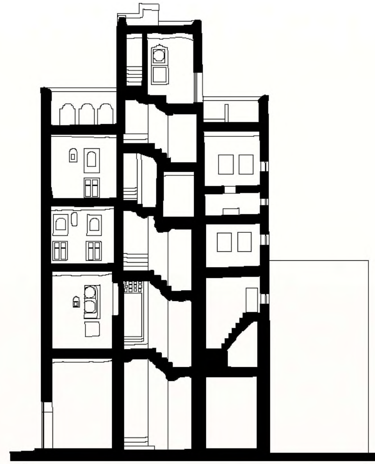
الطابق	المعيشة		الحركة				الخدمية الاقتصادية والاجتماعية		الهادئة (السكنى)		الجدران		مساحة الطابق	
	المساحة م٢	النسبة %	مساحة ح. الأفقية م٢	مساحة ح. الرأسية م٢	المساحة الإجمالية م٢	النسبة %	المساحة م٢	النسبة %	المساحة م٢	النسبة %	المساحة م٢	النسبة %	المساحة م٢	النسبة من المساحة الإجمالية للمبنى %
الأرضي	–	–	٤٨,٦	١٥,٣	٦٣,٩	٢٠,١	١٦٩,٧	٥٣,٤	–	–	٨٤,٣	٢٦,٥	٣١٧,٩	٢٨
الأول	٢٨,٤	١٠,٩	٥٣	١٥,٨	٦٨,٨	٢٦,٤	٥٨,٩	٢٢,٦	٢٦,٧	١٠,٢	٧٨	٢٩,٩	٢٦٠,٨	٢٣
المسروق	–	–	٨,٣	١٤,٢	٢٢,٥	١٨	٥٩,٤	٤٧,٦	–	–	٤٣,١	٣٤,٤	١٢٥	١١
الثاني	١٣,٣	٨,٢	٢٥,٤	١٢,٣	٣٧,٧	٢٣,١	٣٢,٦	١٩,٩	١٨,٦	١١,٤	٦١,٢	٣٧,٤	١٦٣,٤	١٤,٤
المسروق	–	–	٤,٦	–	٤,٦	١٠,٧	٢٤,٢	٥٥,٧	–	–	١٤,٦	٣٣,٦	٤٣,٣	٣,٨
الثالث	–	–	٢٧,٢	١٣,٦	٤٠,٨	٢٥,٢	١٨,٢	١١,٣	٦١,٣	٣٧,٩	٤١,٣	٢٥,٦	١٦١,٦	١٤,٢
مسروق تحت المفرج	–	–	٩	٢,٧	١١,٧	٣٦,٢	١٠,٩	٣٣,٤	–	–	٩,٩	٣٠,٤	٣٢,٥	٢,٨
المفرج	١١,٥	٣٥,٤	١٠,٩	١,٦	١٢,٥	٣٨,٥	–	–	–	–	٨,٥	٢٦,١	٣٢,٥	٢,٨
المساحة الإجمالية للمبنى: ١١٣٧م٢														

جدول تحليل مساحات الفضاءات الوظيفية للمبنى

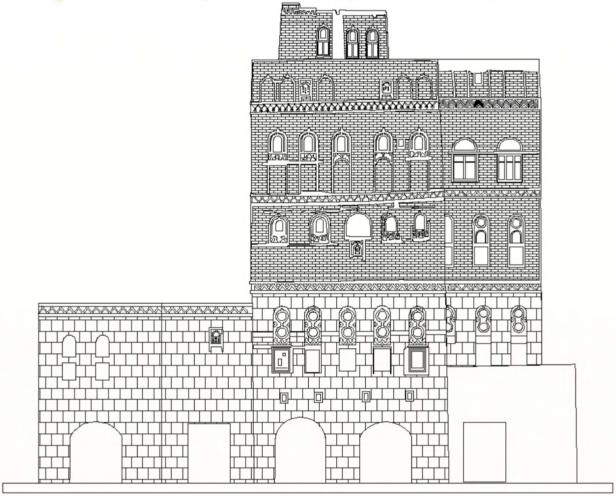

A
A
٢
١
٣
٤
0 2 4 6m



١. مسقط الطابق الأرضي
٢. مسقط الطابق الأول
٣. مسقط الطابق المسروق
٤. مسقط الطابق الثاني
٥. مسقط الطابق المسروق
٦. مسقط الطابق الثالث
٧. مسقط الطابق المسروق
٨. مسقط الطابق الرابع

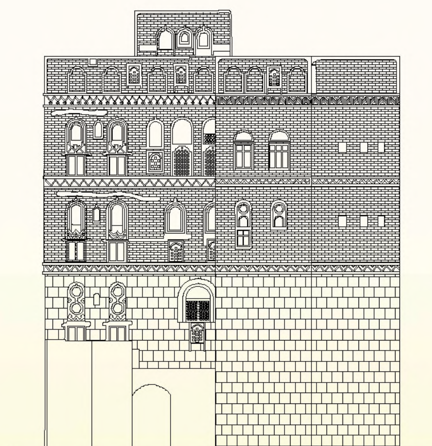


١

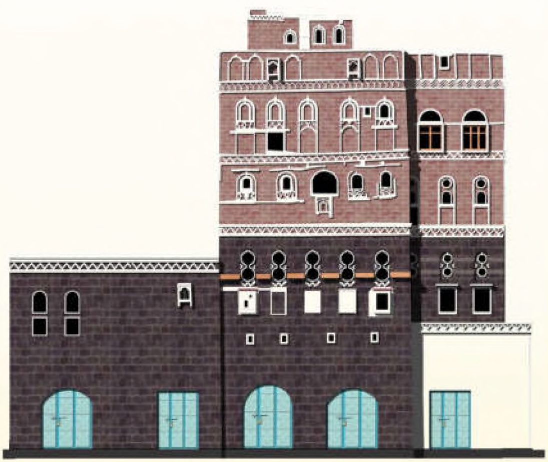


٢





٣



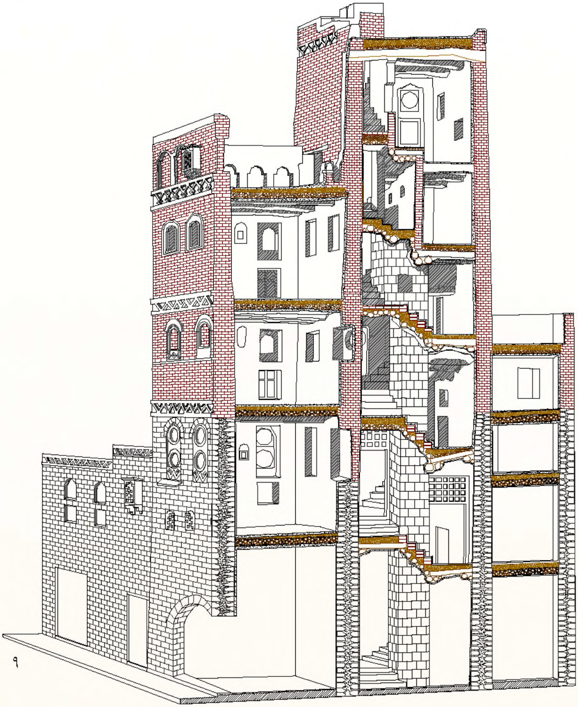
٤



٥



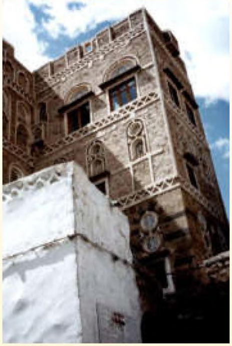
٦



٩

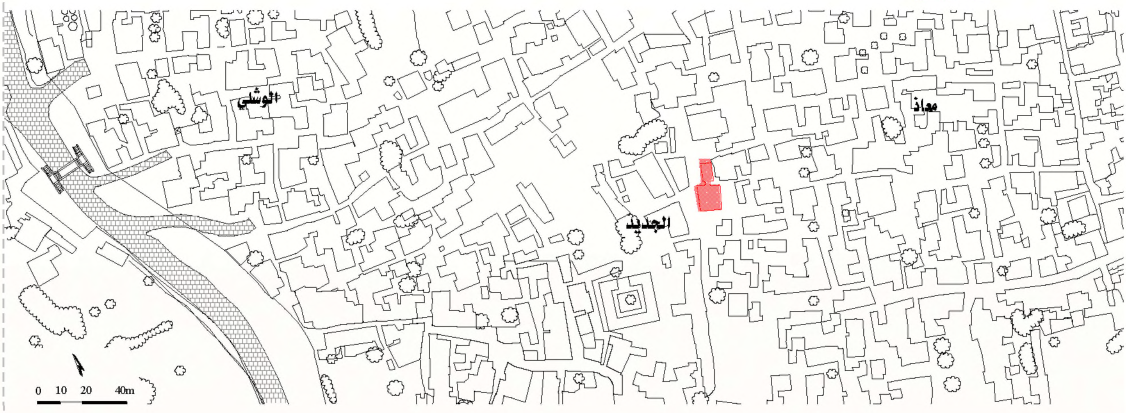


٨



٧

١. قطاع (A–A)
٢. الواجهة الجنوبية
٣. الواجهة الشرقية
٤. الواجهة الجنوبية (تحليل)
٥. بيت العنبسة من جهة الغرب
٦. بيت العنبسة من جهة الجنوب الغربي
٧. بيت العنبسة من جهة الجنوب الشرقي
٨. المفرج من بهو الحجرة
٩. قطاع منظوري يوضح مواد وتقنية البناء والتركيب وتشكيل الفضاءات الوظيفية للمبنى





يقع دار الجديد وسط حي السرار الشرقي في حارة الجديد، وعرفت هذه الحارة قديماً بشارع بني شعبان كما هو مذكور في المسودة السنانية[٢]، والمبنى غير ملتصق بمباني جواره، وتطل واجهته الرئيسية الجنوبية على الطريق الضيق المتفرع والسالك من صرحة حارة القاسمي تكسرها وتفرعها، وتطل الواجهة الغربية على مسجد الجديد والذي ترتفع كتله المعمارية إلى ما دون مستوى جدار الطابق الأرضي للدار، ولهذا فإن انخفاض كتل المسجد ومقشامته التي تليه من جهة الغرب، أعطت هذه الواجهة بعداً بصريا مما ساعد في ذلك أيضاً انحدار ميل الأرض باتجاه الغرب، وجعل الطوابق العليا في هذه الواجهة تتميز بإطلالة ذات بعد بصري يمتد إلى قاع صنعاء والجبال المحيطة به، وكذلك هو الحال في الواجهة الشمالية والتي تطل على مسجد معاذ ومقشامته التي تليه. والواجهة الشرقية إطلالتها محدودة في طوابق المبنى السفلية وممتدة في الطوابق العليا، ولقصر ارتفاع مباني الجوار الملاصقة لسور الدار أو تلك التي تليها والمتدرجة في ارتفاعاتها وبتصاعد كلما بعدت عنه نحو الشرق وفي هذا اكتسبت بعداً بصرياً ممتداً، ودار الجديد من قصور بيت الإمام حميد الدين وعمارته قامت سنة (١٣٦٦هـ/١٩٤٧م).

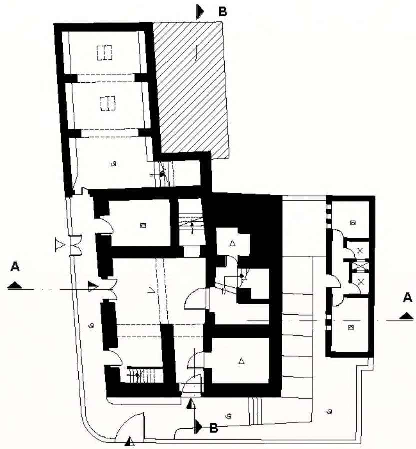
وسمي بدار الجديد نسبة للحارة ومسجدها (الجديد) والذي عمره أحمد محمد المكين سنة (٥٧٧هـ/ ١١٨١م)[٣]، هذا بالإضافة إلى تسمية العامة لها بدار الجديد لكونه الدار أو القصر الوحيد للعائلة المالكة الذي بني في صنعاء القديمة آنذاك، في الوقت الذي عمرت بقية قصور (بيت حميد الدين) حينها في مجمع (المتوكلية) باب السبحة وفي حي بير العزب وفي مخارف صنعاء. والدار على هيئته منذ عمارته الأولى، وبعد إنشاء المكتب التنفيذي للحفاظ على مدينة صنعاء القديمة سنة ١٩٨٦م (هيئة الحفاظ على المدن التاريخية حالياً) اتخذ المبنى مقراً إدارياً له، وعمل حينها على ترميمه وتجديده وملاءمته بالتحوير البسيط والمحدود جداً لفضاءاته وفقاً لمعطيات ومتطلبات توظيفه الإداري الجديد.

ويتكون الدار من سبعة طوابق وطابق مسروق. ودار الجديد يصنف من المباني السكنية الكبيرة في صنعاء القديمة من حيث الحجم ومن أهمها أيضاً. وقد عني باهتمام كبير في تشكيل فضاءاته وعناصره المعمارية والزخرفية داخلياً وخارجياً، ومن أهم الخصائص المعمارية والمتميزة هي اتساع فتحات النوافذ ولهوج القمريات التي تعلوها، وتتامى هذا الاتساع تصاعدياً في الفضاءات الوظيفية الرئيسية للطوابق العليا وخاصة في الواجهتين الغربية والجنوبية. وكذلك المشربيات الخشبية النافرة وتشكيلها الزخرفي والمنتشرة بكثافة في الواجهة الغربية.

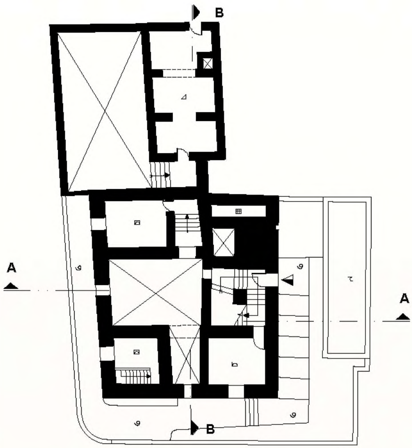
وبقية الخصائص المعمارية للدار يمكن قراءتها من خلال ما توضحه المخططات والصور المرفقة، كما يمكن استخلاصها من مضامين التحليل المعماري بدلالة الرقم.

الطابق	المعيشة		الحركة				الخدمية الاقتصادية والاجتماعية		الهادئة (السكنى)		الجدران		مساحة الطابق	
	المساحة م٢	النسبة %	مساحة ح. الأفقية م٢	مساحة ح. الرأسية م٢	المساحة الإجمالية م٢	النسبة %	المساحة م٢	النسبة %	المساحة م٢	النسبة %	المساحة م٢	النسبة %	المساحة م٢	النسبة من المساحة الإجمالية للمبنى %
الأرضي	–	–	١٩٩,٣	٢٤,٤	٢٢٣,٧	٤٢,٤	١٨٧,٤	٣٥,٦	–	–	١١٥,٩	٢٢	٥٢٧	٢٦,٦
المسروق في الأرضي	–	–	٥,٥	٧,٠٠	١٢,٥	٦,٤	١٠١,١	٥١,٦	–	–	٨٢,١	٤٢	١٩٥,٧	٩,٩
الأول	–	–	٥١,٧	١٧,٥	٦٩	٢٦,٩	٤٠,٨	١٥,٩	٥٤,٢	٢١,١	٩٢,٥	٣٦,١	٢٥٦,٥	١٢,٩
الثاني	٤١,١	١٦,١	٥١	١٨,٧	٦٩,٧	٢٧,٣	٤٣,٢	١٦,٩	١٦,٨	٦,٦	٨٤,٦	٣٣,١	٢٥٥,٤	١٢,٨
الثالث	–	–	٤٤,٧	١٩,٥	٦٤,٢	٢٥,١	٤٤,٨	١٧,٥	٦٦,٨	٢٦,٢	٧٩,٨	٣١,٢	٢٥٥,٦	١٢,٩
الرابع	٤٦,١	٢٣,٣	١٦,٩	٤٣,٧	٦٠,٦	٣٠,٧	٢٠,٢	١٠,٢	١٨,٤	٩,٣	٥٢,٢	٢٦,٥	١٩٧,٥	١٠
الخامس	١٩,٥	١٠	١٨,٨	٦٩,٩	٨٨,٧	٤٥,٣	١٦,٣	٨,٣	١٩,٤	٩,٩	٥١,٩	٢٦,٥	١٩٥,٨	٩,٩
السادس	٣٢,٨	٣٣,١	٤٢,٨	٦,٦	٤٩,٤	٤٩,٨	٥,٧	٥,٨	–	–	١١,٢	١١,٣	٩٩,١	٥
المساحة الإجمالية للمبنى: ٦, ١٩٨٢م٢														

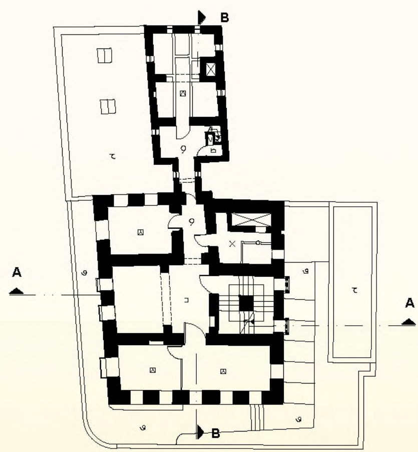
جدول تحليل مساحات الفضاءات الوظيفية للمبنى



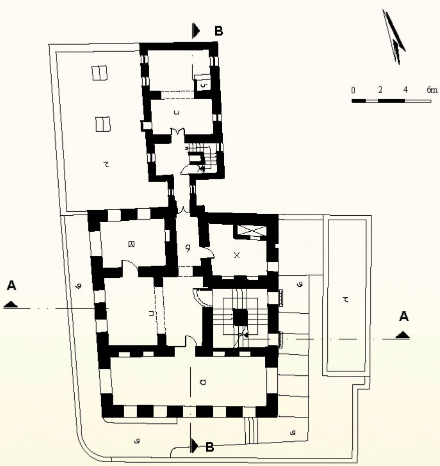
١



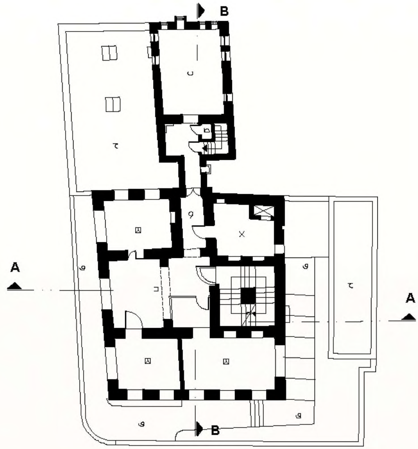
٢



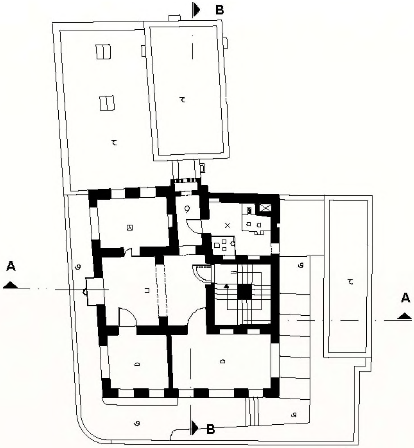
٣



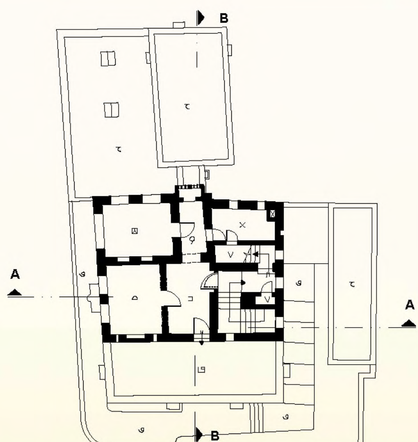
٤



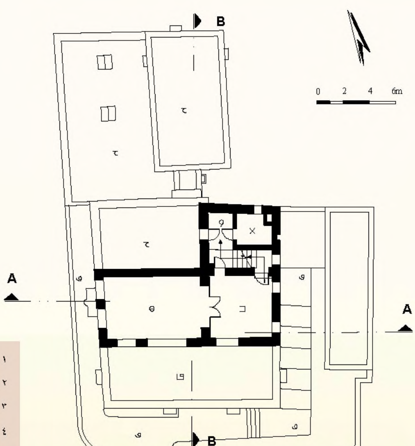
٥



٦

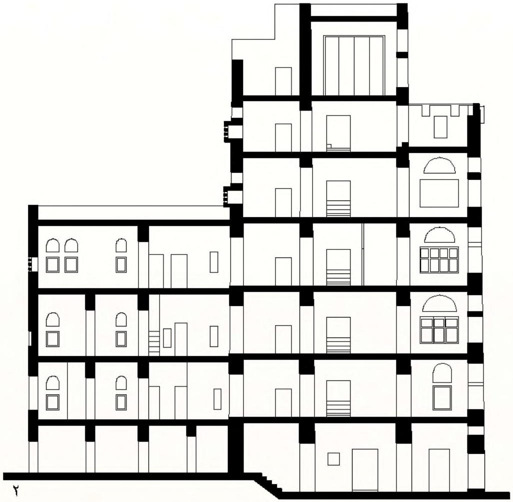


٧

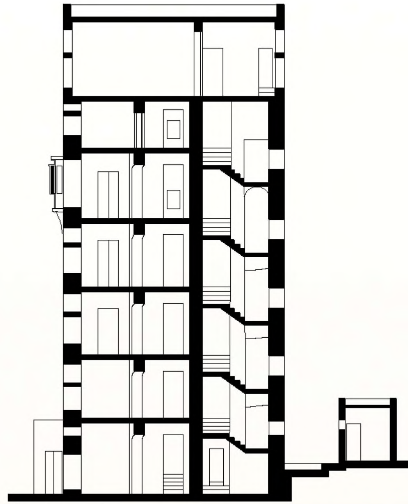


٨

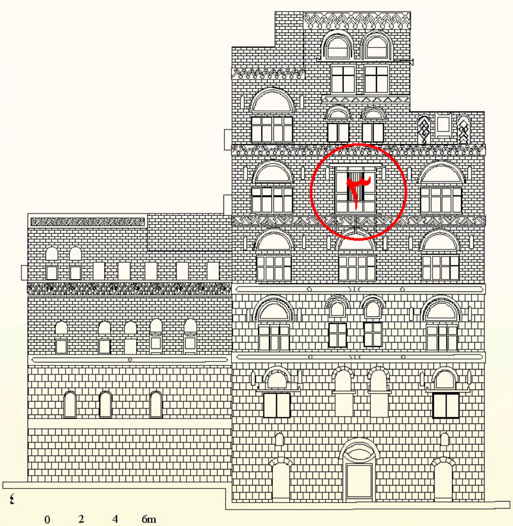
١. مسقط الطابق الأرضي
٢. مسقط الطابق المسروق
٣. مسقط الطابق الأول
٤. مسقط الطابق الثاني
٥. مسقط الطابق الثالث
٦. مسقط الطابق الرابع
٧. مسقط الطابق الخامس
٨. مسقط الطابق السادس



٢



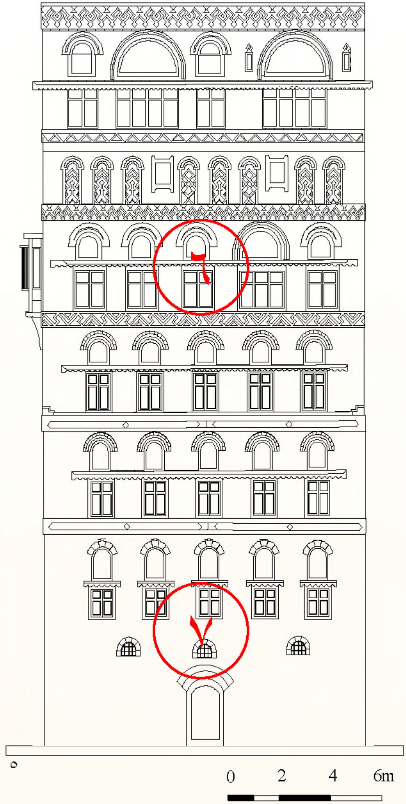
١



٤



٣

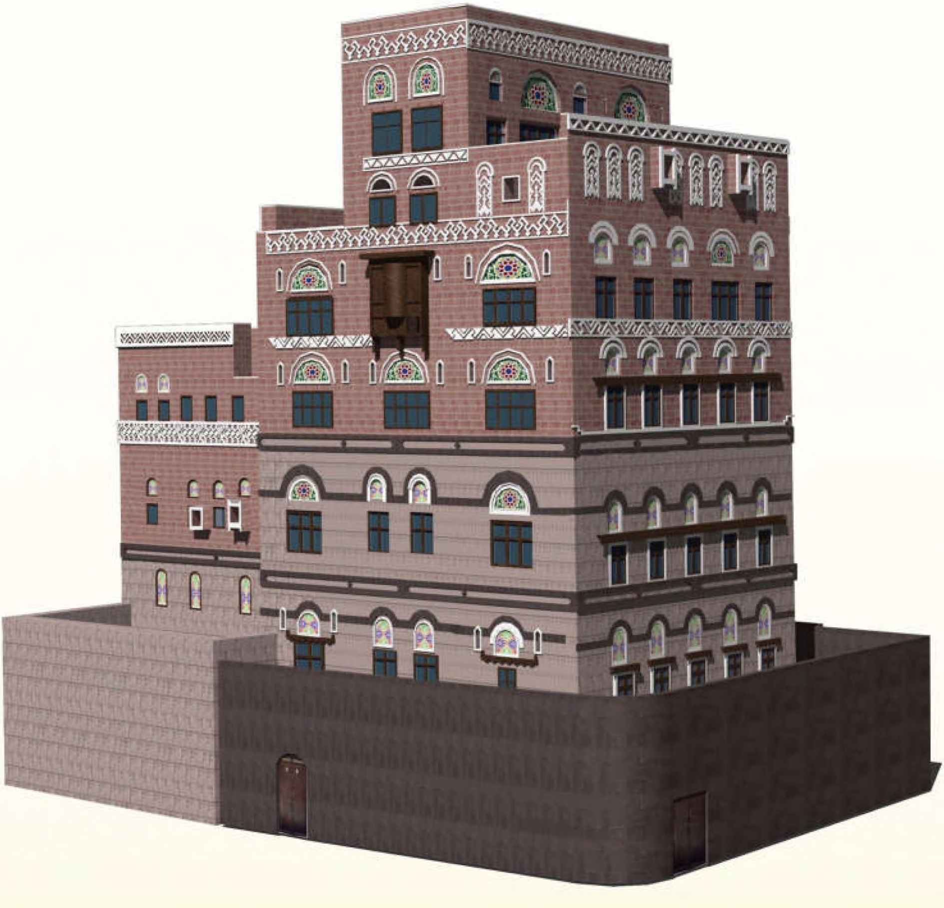


٥


٦

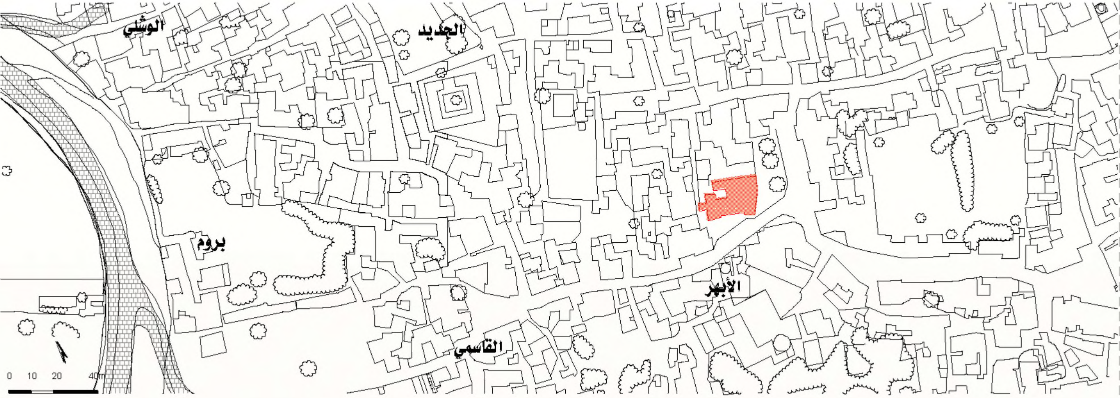

٧

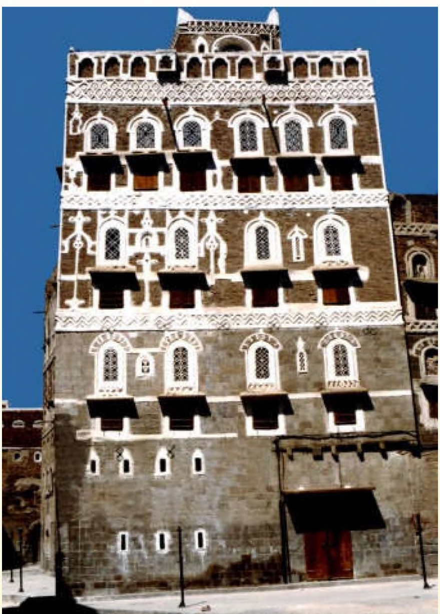
١. قطاع (A-A)
٢. قطاع (B-B)
٣. تفصيلة من الواجهة الغربية
٤. الواجهة الغربية
٥. الوجهة الجنوبية
٦، ٧. تفاصيل من الوجهة الجنوبية



منظور جنوب غربي لدار الجديد

بيت محسن معيض (سنان أبو لحوم)





يقع بيت معيض (أبو لحوم) في حي السرار الشرقي حارة الأبهر. وواجهته الرئيسية شرقية، ويطل على ساحة (صرحة) كبيرة وواجهته الجانبية جنوبية ويفصلها عن مسجد الأبهر وحمامه طريق بعرض (١٩,٤٠م). أما الجهتان الشمالية والغربية للمبنى فملاصقة لمباني الجوار. ويرجع الرواة تاريخ عمارته الأولى إلى القرن (٩هـ/١٥م) وأنه كان ملكا لأحد الأئمة، ثم انتقلت ملكيته لمحسن معيض، ومن المرجح أن عمارته الأولى قامت قبل عمارة مسجد الأبهر وحمامه سنة (٧٧٦هـ/١٣٧٤م) أو تزامنت مع عمارته. وقد مر بالعديد من عمليات إعادة البناء والتجديد والصيانة وكان آخرها ما قامت به هيئة الحفاظ على المدن التاريخية من ترميم وتجديد وصيانة للمبنى سنة (١٤٢١هـ/٢٠٠٠م). وقد انتقلت ملكيته منذ عمارته الأولى مرات عدة، وكان لمحسن معيض قبل انتقال ملكيته الأخيرة إلى عائلة أبو لحوم سنة (١٣٨٢هـ- ١٩٦٢م).

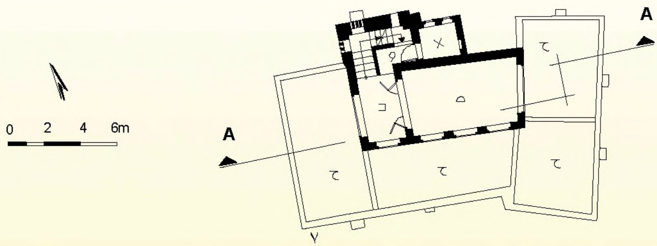
يصنف المبنى من حيث الحجم من المباني السكنية الكبيرة ويتكون من ستة طوابق بما فيها الطابق المسروق، وتكوين المبنى انتهج سلوك تشكيل الفضاءات المعمارية والزخرفية للمباني السكنية الكبيرة غير الملحق بها مرافق الخدمات التكميلية المساعدة. والمبنى من المباني السكنية الهامة في صنعاء القديمة لماله من قيم تاريخية معمارية وزخرفية. والخصائص المعمارية للمبنى توضحها المخططات والصور المرفقة كما يمكن استخلاصها من مضامين التحليل المعماري.

الطابق	المعيشة		الحركة				الخدمية الاقتصادية والاجتماعية		الهادئة (السكنى)		الجدران		مساحة الطابق	
	المساحة م٢	النسبة %	مساحة ح. الأفقية م٢	مساحة ح. الراسية م٢	المساحة الإجمالية م٢	النسبة %	المساحة م٢	النسبة %	المساحة م٢	النسبة %	المساحة م٢	النسبة %	المساحة م٢	النسبة من المساحة الإجمالية للمبنى %
الأرضي	–	–	٢٥,٩	١٧,٧	٤٣,٦	٢٤,٢	٧٠,٥	٣٩,٢	–	–	٦٥,٩	٣٦,٦	١٨٠	١٥,٧
الأول	٦٤	٢٧,٦	٤٤,٥	١٢,٣	٥٦,٨	٢٤,٥	١٣,٧	٥,٩	٢٦,١	١١,٣	٧١,١	٣٠,٧	٢٣١,٧	٢٠,٢
الثاني	٣٨,٢	١٦	٣٢,٦	١٣,١	٤٥,٧	١٩,١	٤٣,٣	١٨,١	٣٨,٩	١٦,٣	٧٢,٩	٣٠,٥	٢٣٩	٢٠,٨
المسروق	٢٥	١٢	٣٣	١٧,٥	٥٠,٥	٢٤,٢	٥٢,٨	٢٥,٣	–	–	٨٠,٤	٣٨,٥	٢٠٨,٧	١٨,٢
الثالث	٢٧,١	١١,٦	٨٣,٦	١٣,٥	٩٧,١	٤١,٥	١٢	٥,١	٣٩,٦	١٧	٥٧,٨	٢٤,٨	٢٣٣,٦	٢٠,٤
الرابع	–	–	٧,٩	٩,٤	١٧,٣	٣١,٧	٧,١١	١٣,٢	١٢,٥	٢٢,٩	١٧,٥	٣٢,٢	٥٤,٤	٤,٧
المساحة الإجمالية للمبنى :١١٤٧,٤م٢														

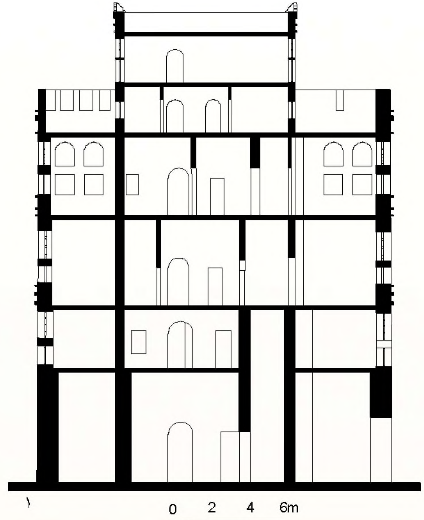
جدول تحليل مساحات الفضاءات الوظيفية للمبنى



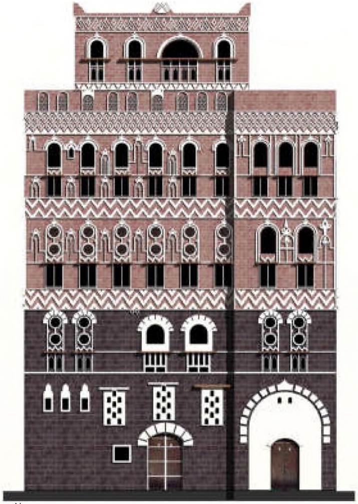




١. مسقط الطابق الأرضي
٢. مسقط الطابق الأول
٣. مسقط الطابق الثاني
٤. مسقط الطابق المسروق
٥. مسقط الطابق الثالث
٦. مسقط الطابق الرابع
٧. مسقط الطابق الخامس



١



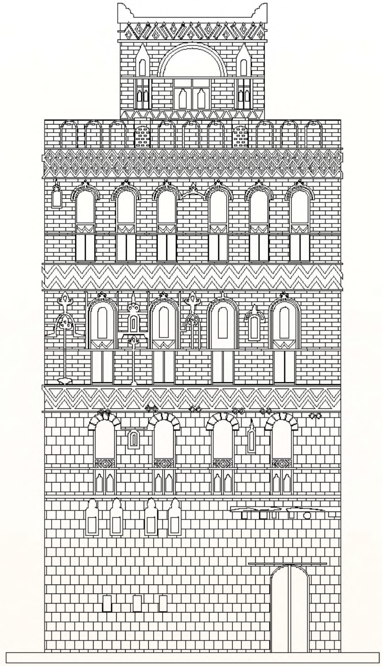
٢



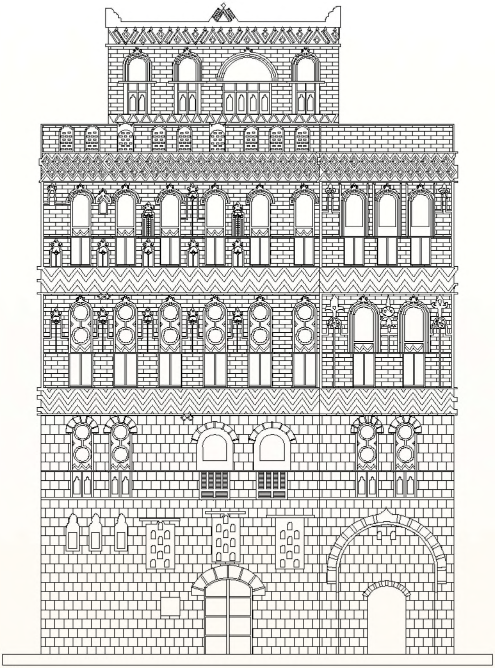
٣



٤



٥



٦

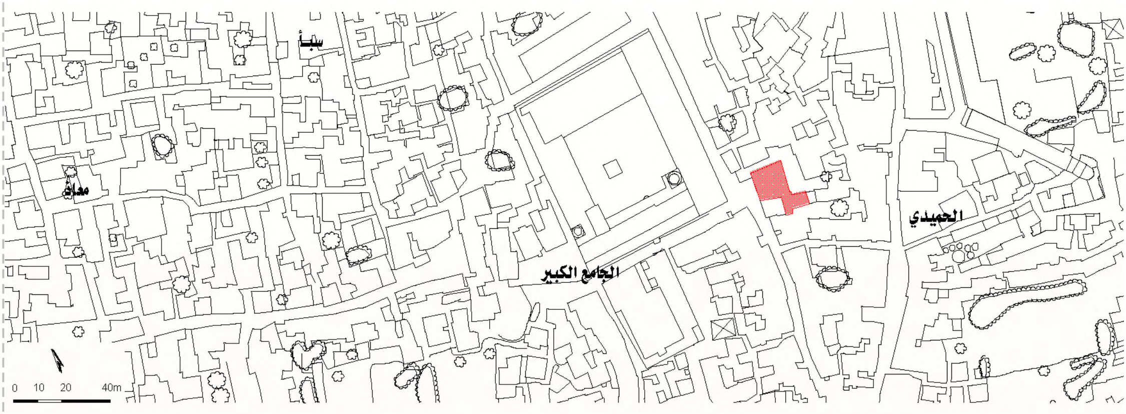




٧

١. قطاع (A-A)
٢. الواجهة الجنوبية (تحليل)
٣. بيت أبو لحوم (١٩٣٤م)، م/ م ت د م
٤. بيت أبو لحوم (٢٠٠١م)
٥. الواجهة الشرقية
٦. الواجهة الجنوبية
٧. الجزء الأعلى للمبنى من جهة الشمال الشرقي

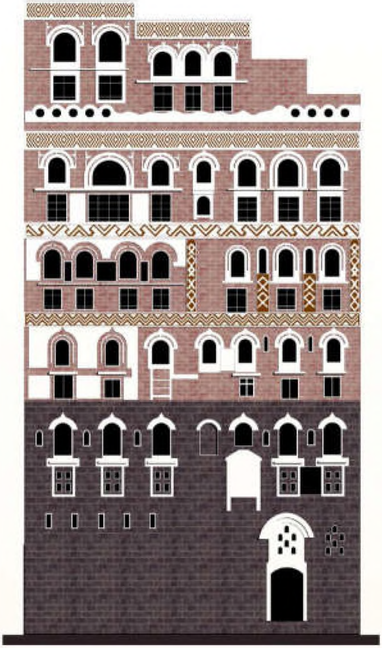
بيت عسلان





يقع بيت عسلان في حي السرار الشرقي حارة الجامع الكبير، ويجاور ركنه الجنوبي الشرقي، عند نقطة التقاء الطريقين الشرقية والجنوبية للجامع، وواجهة المبنى الرئيسية تطل على الجهة الغربية، ولطوابقها العليا إطلالة ذات امتداد بصري بعيد المدى اكتسبته من قصر ارتفاع مبنى الجامع وامتداده الكبير أفقياً والواجهة الشمالية لها إطلالة محصورة المسافة في البعد البصري، وذلك لقربها من جدار مبنى الجوار وهذه الواجهة شبه مصمتة، وقليلة الفتحات والمحكم بعضها بألواح الرخام المصقول. والجزء الخلفي النافر والمتراجع جنوباً فلواجهته الشمالية نفس الخصائص. فيما تطل الواجهة الشرقية وهي الخلفية على مساحة خضراء. أما الواجهة الجنوبية فتلتصق بجدار بيت الكبسي (أحد نماذج هذه الدراسة). وعمارة المبنى الأولى غير مؤرخة، وفيها يقول عبد الوهاب عسلان (بيت الوالد الحاج محمد بن لطف عسلان بحارة الجامع الكبير ميراث من الوالد الحاج لطف بن عبد الله عسلان). البيت أكتسبه الحاج عبد الله حسن عسلان، وتمت العمارة في بيوت أهل صنعاء بحارة الجامع الكبير منذ عصر باذان الفارسي عندما أوقف باذان بستانه لعمارة الجامع الكبير، وذلك يوافق ويطابق تاريخ إسلام أهل اليمن وهذا رأي الكثير، ولكن من المرجح أن تكون العمارة الأولى قد تمت بعد هذا بكثير، وقد مرت بعدة تحولات بين البناء على أطلال مبنى سابق، وإعادة البناء.

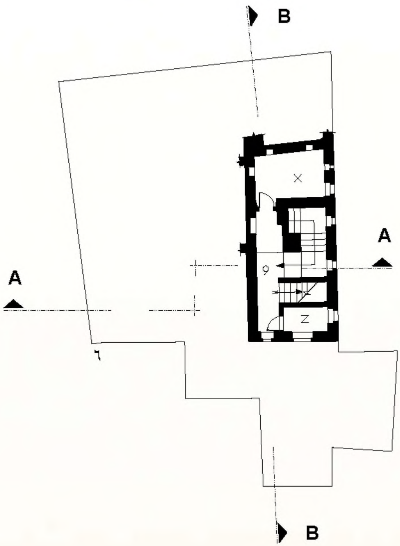
وبالمقارنة مع غيره من المباني السكنية القديمة والتي يرجع عمرها إلى نحو (٣٠٠سنة) في عمارتها الأخيرة، والتي قام بناؤها على أنقاض مبنى قديم أو ارتفع البناء على أساس وطابق قديم. وعبر هذه المدة الزمنية جدد البناء أكثر من مرة مع الزيادة والإضافات، وخاصة في الطوابق العليا. وبيت عسلان من المباني السكنية الكبيرة من حيث الحجم ومن المباني السكنية والدور الهامة في صنعاء القديمة، ويتكون من سبعة طوابق بما فيها الطابق المسروق، وعمارته ذات قيمة معمارية تاريخية عالية، ولها خصائص وقيم معمارية (وظيفية وجمالية) متعددة ومتنوعة، سواءٌ من حيث تشكيل الفضاءات وعناصرها المعمارية الداخلية والخارجية، أو في التشكيل الزخرفي الخارجي والداخلي. وبالإمكان قراءة الكثير منها من خلال المخططات المعمارية والصور المرفقة. كما يخلص التحليل المعماري بدلالة الرقم إلى إبراز بعضها.

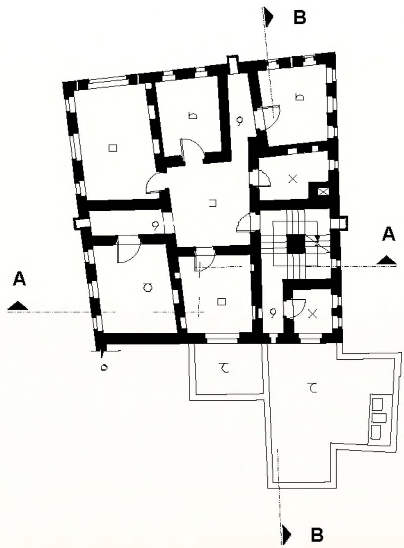


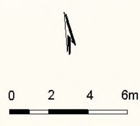
الطابق	المعيشة		الحركة				الخدمية الاقتصادية والاجتماعية		الهادئة (السكنى)		الجدران		مساحة الطابق	
	المساحة م٢	النسبة %	مساحة ح. الأفقية م٢	مساحة ح. الرأسية م٢	المساحة الإجمالية م٢	النسبة %	المساحة م٢	النسبة %	المساحة م٢	النسبة %	المساحة م٢	النسبة %	المساحة م٢	النسبة من المساحة الإجمالية للمبنى %
الأرضي	-	-	٦٩,٢	١٠,١	٧٩,٣	٣٢,٤	٨٩,٦	٣٦,٦	-	-	٧٥,٧	٣١	٢٤٤,٦	١٨,٩
الأول	٧٧,٦	٣١,٣	٤٢,٧	١١,٦	٥٤,٣	٢١,٩	٤٠	١٦,١	-	-	٧٦,١	٣٠,٧	٢٤٨	١٩,٢
الثاني	٥٧	٢٣,١	٥٤,٧	١٢,٢	٦٦,٩	٢٧,١	٣٦,٩	١٤,٩	١٤	٥,٧	٧٢,٢	٢٩,٢	٢٤٧	١٩,١
الثالث	١٩,١	٧,٨	٣٤,٩	١٤,٨	٤٩,٧	٢٠,٥	٥١,٦	٢١,٢	٥٦,٤	٢٣,٢	٦٦,٢	٢٧,٣	٢٤٣	١٨,٨
الرابع	١٧,٥	٩,٤	٣١,٦	١٢,١	٤٣,٧	٢٣,٥	٣٨,٥	٢٠,٧	٣٦,١	١٩,٤	٥٠,١	٢٧	١٨٥,٩	١٤,٣
المسروق (الزهرة)	٨,٨	١٩,٢	٧,٧	٩,٢	١٦,٩	٣٦,٩	٢,٩	٦,٣	-	-	١٧,٢	٣٧,٦	٤٥,٨	٣,٥
الخامس	٤٣,٢	٥٣,٩	١٢,٥	٢,٠	١٤,٥	١٨,١	٤,٦	٥,٨	-	-	١٧,٨	٢٢,٢	٨٠,١	٦,٢
المساحة الإجمالية للمبنى: ١٢٩٤,٤م٢														

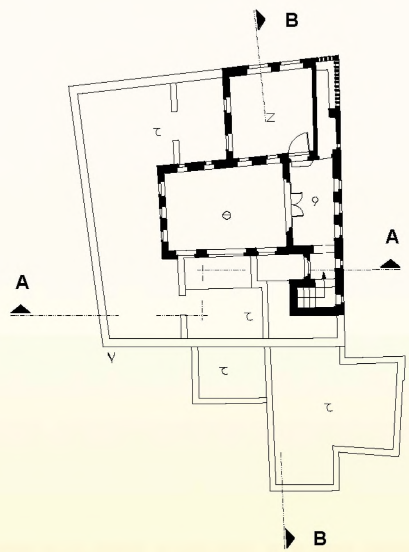
جدول تحليل مساحات الفضاءات الوظيفية للمبنى


B
A
0 2 4 6m

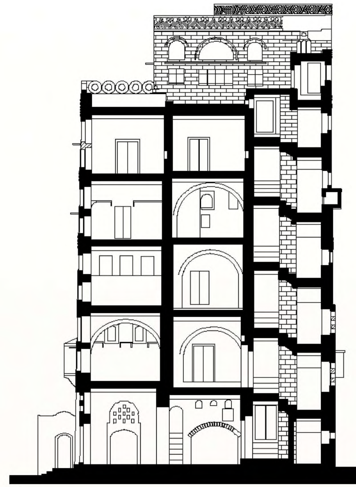








١. مسقط الطابق الأرضي
٢. مسقط الطابق الأول
٣. مسقط الطابق الثاني
٤. مسقط الطابق الثالث
٥. مسقط الطابق الرابع
٦. مسقط الطابق المسروق
٧. مسقط الطابق الخامس

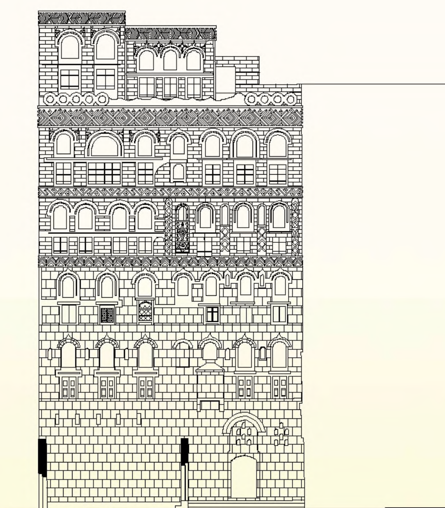


١

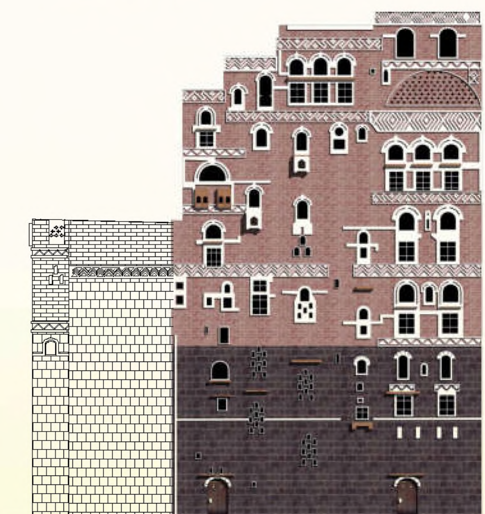


٢

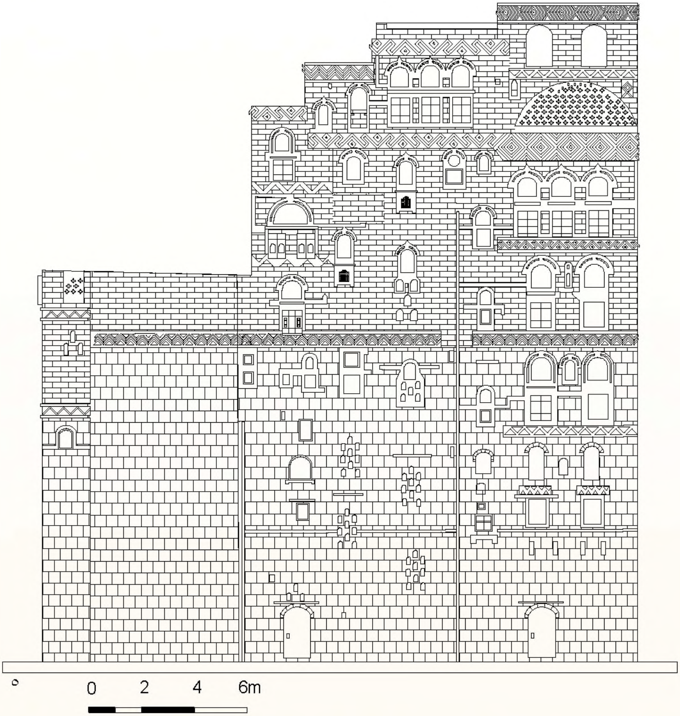
0 2 4 6m



٣



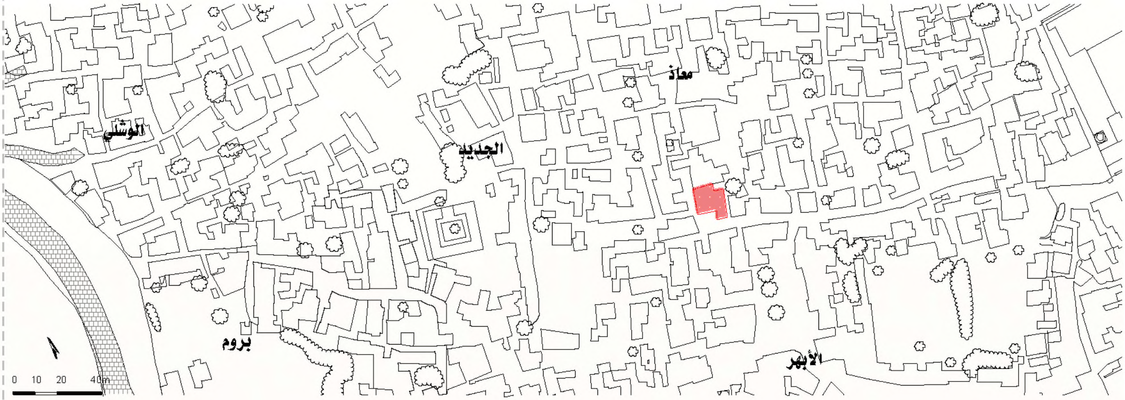
٤





١. قطاع (A-A)
٢. قطاع (B-B)
٣. الواجهة الغربية (الرئيسية)
٤. الواجهة الشرقية (تحليل)
٥. الواجهة الشرقية
٦. الجزء الأعلى للبيت من الجهة الشمالية الشرقية

بيت سريع



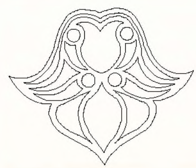
يقع بيت سريع في حي السرار الشرقي حارة الأبهر، وعمارة المبنى في هيئته المنظورة ترجع إلى ما قبل (١٢٦٧هـ/ ١٨٥٠م). ومن المرجح أن البناء أقيم على أنقاض مبنى مندثر وذلك لقدم انتشار البناء في هذه الحارة بعد بناء الجامع الكبير، وتوسع البناء وامتداده على مساحة بستان (باذان) وباتجاه الغرب والجنوب الغربي للسوق والجامع، وقد جددت عمارته في النصف الثاني من أربعينيات القرن (٢٠م) حينما انتقلت ملكيته بالبيع إلى بيت الثور، وتم ترميمه وصيانته وفق النظم الحديثة للحفاظ على المباني التاريخية، وضمن برنامج الحفاظ على مدينة صنعاء القديمة وبمساعدة من الحكومة الإيطالية سنة (١٩٩٠م). ويصنف المبنى من حيث الحجم من المباني السكنية الكبيرة، وواجهته الرئيسية ذات قيمة معمارية عالية، وتطل على الجهة الجنوبية (الأكثر حرارة ودفئاً) وعليها تشكلت الفضاءات الوظيفية الرئيسية وبالخصوص المعيشية وتليها الواجهة الجانبية الغربية. أما الشرقية فيلتصق جزء كبير منها بالجوار، في حين أتت الواجهة الخلفية في الجهة الشمالية وتوزعت عليها الفضاءات الوظيفية الخدمية. وتطل على مساحة خضراء.



وبيت سريع من المباني السكنية الهامة في صنعاء القديمة لماله من قيم معمارية تاريخية توثيقية (وظيفية وجمالية) وفي التشكيل الزخرفي نُطِّقت الواجهات بعناصر ووحدات زخرفية غنية في كثافتها ومتميزة في تقنية تشكيلها وأتت شريطية أفقية (أحزمة وتجاويب) وشريطية راسية تغطي سطح الكتل الصماء ما بين الفتحات وفي الأطراف وإطارية حول الفتحات المستوية والمعقودة. ويتكون من خمسة طوابق وطابق مسروق. والخصائص المعمارية للمبنى يمكن قراءتها من خلال ما توضحه المخططات والصور المرفقة كما يمكن استخلاصها من مضامين التحليل المعماري بدلالة الرقم.



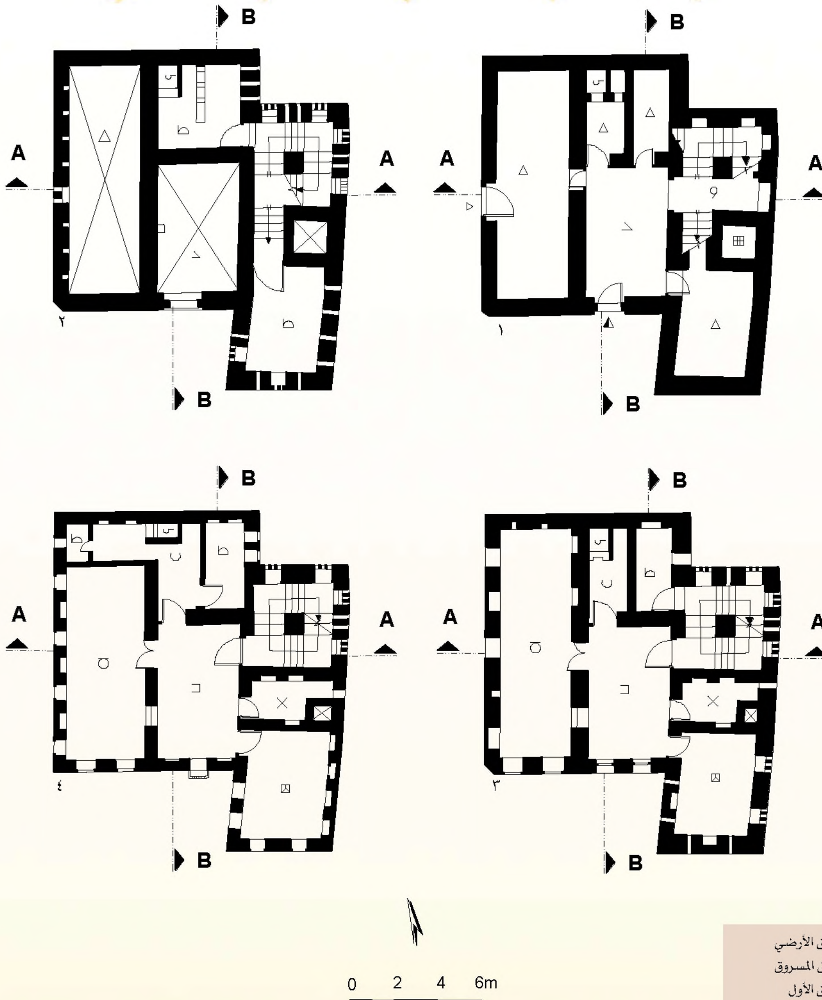
١



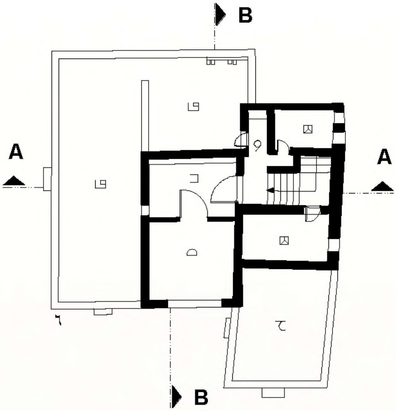
الطابق	المعيشة: المساحة م٢	المعيشة: النسبة %	الحركة: مساحة ح. الأفقية م٢	الحركة: مساحة ح. الراسية م٢	الحركة: المساحة الإجمالية م٢	الحركة: النسبة %	الخدمية الاقتصادية والاجتماعية: المساحة م٢	الخدمية الاقتصادية والاجتماعية: النسبة %	الهادئة (السكنى): المساحة م٢	الهادئة (السكنى): النسبة %	الجدران: المساحة م٢	الجدران: النسبة %	مساحة الطابق: المساحة م٢	مساحة الطابق: النسبة من المساحة الإجمالية للمبنى %
الأرضي	–	–	٢٤,٦	١٧,٢	٤١,٨	٢٥	٦٨,٧	٤١,١	–	–	٥٦,٦	٣٣,٩	١٦٧,١	٢٠,٣
المسروق	–	–	–	١٧,٤	١٧,٤	١٩,٤	٣١,٢	٣٤,٨	–	–	٤١,١	٣٦,٩	٨٩,٧	١٠,٩
الأول	–	–	٢٣,٨	١٤,٦	٣٨,٤	٢٣	٧٠,١	٤٢,١	–	–	٥٨,٢	٣٥	١٦٦,٧	٢٠,٣
الثاني	–	–	٢٣,٧	١٣,٩	٣٧,٦	٢٢,٦	٢٨,٦	١٧,٢	٥١,٤	٣٠,٩	٤٨,٩	٢٩,٤	١٦٦,٥	٢٠,٢
الثالث	–	–	٢٦,٢	١٣,٤	٣٩,٩	٢٤	٢٩,٩	١٨,١	٥٠,٢	٣٠,٤	٤٥,٤	٢٧,٥	١٦٥,٢	٢٠,١
الرابع	١٤,٢	٢١	١٦,٧	٥,٦	٢٢,٣	٣٢,٩	–	–	١٣,٥	٢٠	١٧,٨	٢٦,٣	٦٧,٨	٨,٢
المساحة الإجمالية للمبنى: ٨٢٢,٩م٢														

جدول تحليل مساحات الفضاءات الوظيفية للمبنى

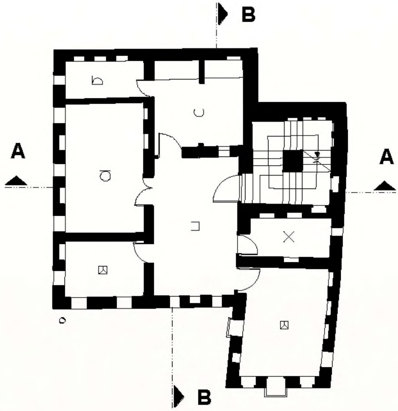
١. زخرفة قصية على الحجر (١٩٣٤م)؛ م/ م ت د م



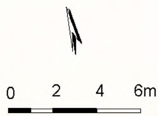
١. مسقط الطابق الأرضي
٢. مسقط الطابق المسروق
٣. مسقط الطابق الأول
٤. مسقط الطابق الثاني
٥. مسقط الطابق الثالث
٦. مسقط الطابق الرابع
٧. قطاع (A–A)
٨. قطاع (B–B)

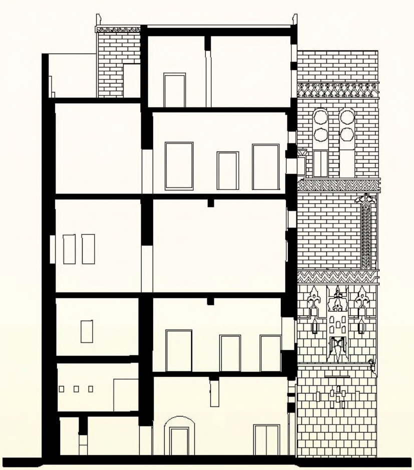


٦

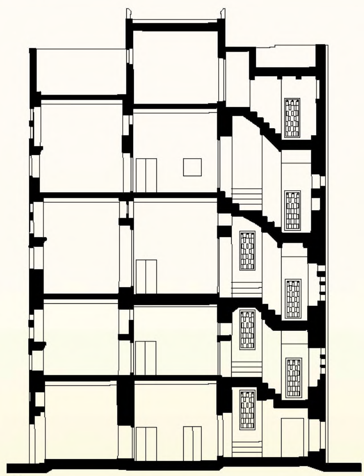


٥

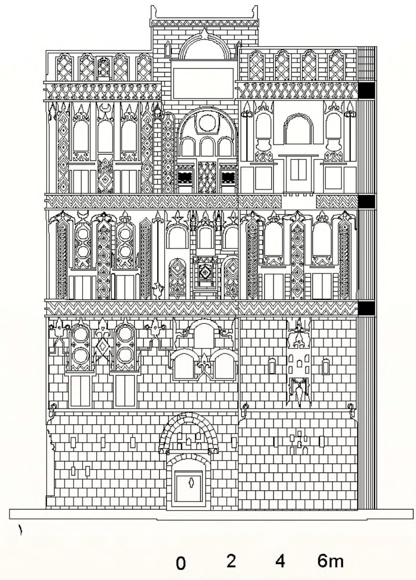




٨



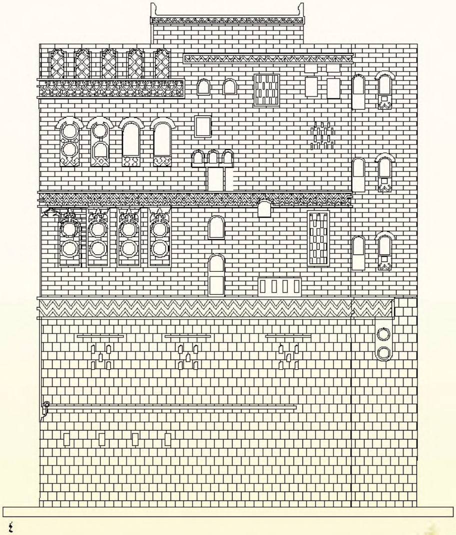
٧



١


٢


٣


٤

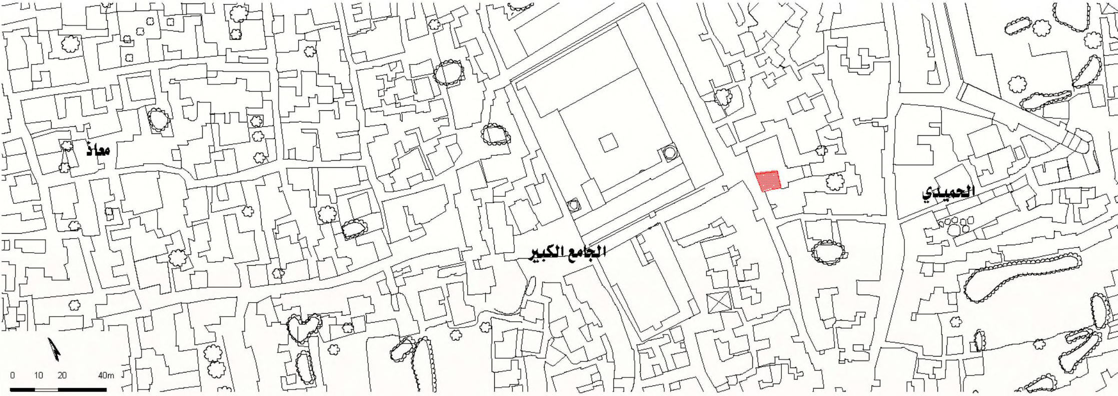
١. الواجهة الجنوبية (الرئيسية)

٢. الواجهة الجنوبية (تحليلية)

٣. فتحات الإضاءة على الجدار الخارجي للطابق الأرضي (١٩٣٤م)، م/ م ت د م

٤. الواجهة الغربية

بيت الكبسي



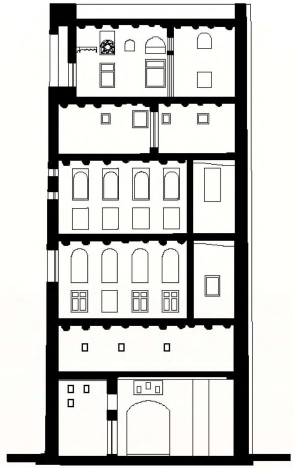


يقع بيت الكبسي في حي السرار الشرقي حارة الجامع الكبير وواجهته الرئيسية غربية وتطل واجهته على خرابة، كما يلاصق من جهتي الشمال والشرق بيت (عسلان)، ومن حيث الحجم يصنف المبنى من المباني السكنية متوسطة الحجم، عمارته الأخيرة يعيدها الرواة إلى نهاية القرن (١٩م) وهو في هذا يكون على غرار بيت عسلان وبقية المباني السكنية المحيطة بالجامع الكبير، ويتكون المبنى من ستة طوابق، والتكوين المعماري له انتهج سلوك تشكيل الفضاءات المعمارية والزخرفية للمباني السكنية متوسطة الحجم في صنعاء القديمة وهي ذات الكثافة العددية العالية مقارنة بالكبيرة والصغيرة من المباني السكنية، ورغم أن البيت يشغل مساحة محدودة من الأرض إلا أن فراغاته الوظيفية لبت جميع احتياجات السكان من المعيشية والنوم والاستقبال والخدمات (دورات مياه، مطبخ، مخازن) بالإضافة إلى الحركة. وقد ساعد تموضع البيت ملاصقاً لمبنى الجوار من جهته الشمالية والشرقية على انفتاح عناصره على الجهتين الجنوبية والغربية وبذلك تحاشى أي انفتاح للوظائف باتجاه الشمال كونه الاتجاه السيئ (اتجاه الرياح السيئة في المدينة). ويتم الدخول إلى البيت من الطريق المتفرع من الساحة أمام الجامع الكبير وبذلك أصبحت علاقته وثيقة بالساحة والجامع. وأهم خصائص هذا التشكيل يمكن استخلاص مضامينها من المخططات المعمارية والصور المرفقة وكذلك من التحليل المعماري.

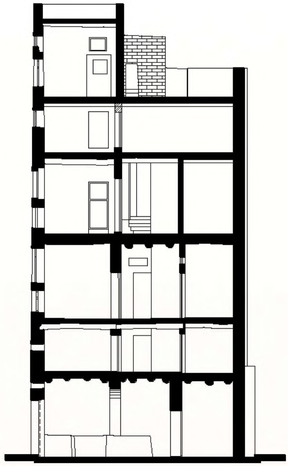
الطابق	المعيشة		الحركة				الخدمية الاقتصادية والاجتماعية		الهادئة (السكنى)		الجدران		مساحة الطابق	
	المساحة م٢	النسبة %	مساحة ح. الأفقية م٢	مساحة ح. الرأسية م٢	المساحة الإجمالية م٢	النسبة %	المساحة م٢	النسبة %	المساحة م٢	النسبة %	المساحة م٢	النسبة %	المساحة م٢	النسبة من المساحة الإجمالية للمبنى %
الأرضي	–	–	١٤,٩٠	٢,٩	١٧,٨	٢٨,٤	٢٥,٨	٤١,٤	–	–	١٨,٩	٣٠,٢	٦٢,٥	٢٠
المسروق	١٨,٢	٣٣,٣	٥,٦	٤,٢	٩,٨	١٧,٩	٢	٣,٦	٧,٩	١٤,٥	١٦,٨	٣٠,٧	٥٤,٧	١٧,٤
الأول	١٣,٦	٢٤,٨	٥,٥	٤,٢	٩,٧	١٧,٩	٦,٤	١١,٧	٧,٨	١٤,٣	١٧,٢	٣١,٣	٥٤,٧	١٧,٤
الثاني	١٣,٦	٢٤,٨	٥,٥	٤,٢	٩,٧	١٧,٩	٦,٤	١١,٧	٧,٨	١٤,٣	١٧,٢	٣١,٣	٥٤,٧	١٧,٤
الثالث	–	–	١٦,٣	٢,٥	١٨,٨	٣٤,١	٩,٢	١٦,٧	١٠,٣	١٨,٧	١٦,٧	٣٠,٥	٥٥	١٧,٥
الرابع	١٠,٦	٣٢,٨	١٠	١,٣	١١,٢	٣٤,٧	–	–	–	–	١٠,٥	٣٢,٥	٣٢,٣	١٠,٣
المساحة الإجمالية للمبنى: ٣١٣,٩م٢														

جدول تحليل مساحات الفضاءات الوظيفية للمبنى

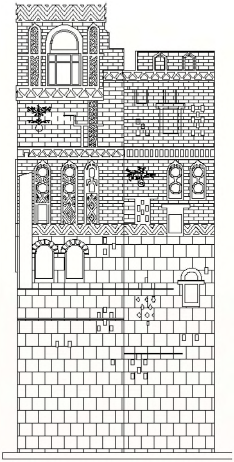




٧



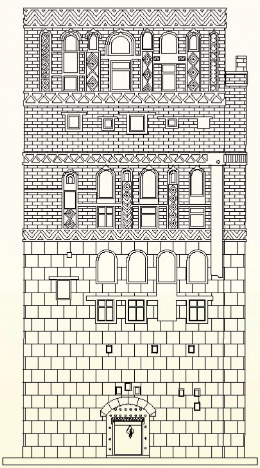
٨



٩



١. مسقط الطابق الأرضي
٢. مسقط الطابق المسروق
٣. مسقط الطابق الأول
٤. مسقط الطابق الثاني
٥. مسقط الطابق المسروق
٦. مسقط الطابق الثالث
٧. قطاع (A–A)
٨. قطاع (B–B)
٩. الواجهة الغربية (الرئيسية)
١٠. الواجهة الجنوبية
١١. فتحة الجرف في الجزء الأعلى للمبنى وفي الجهة الجنوبية



١٠

١١



بيت شرهان





يقع بيت شرهان في حي القطيع حارة ياسر وتاريخ عمارته غير معروف إلا أن المبنى يقع في أقدم أحياء مدينة صنعاء القديمة وفي وسطه تقريباً، وانتقلت ملكيته بالشراء إلى عائلة شرهان في بداية القرن (١٤هـ/ نهاية القرن ١٩م). وقد مر بالعديد من عمليات إعادة البناء والتجديد والصيانة آخرها صيانته في سنة (١٩٩٩م)، ومسقط المبنى غير منتظم الشكل ويميل في إطاره العام إلى الشكل المربع ويلتصق جزئياً بالجوار من جهة الجنوب وواجهته الرئيسية غربية وعليها مدخله في ركنها الشمالي الغربي، وتأتي بعدها من حيث الأهمية الواجهة الشرقية.

ولسيطرة الواجهة الشمالية على بقية الواجهات ولما لها من ضرر، فقد عمد المعمار إلى تجنب الانفتاح عليها وذلك باستغلال أجزاء الواجهات الأخرى للانفتاح عليها من خلال فارق المنسوب بين مستويات فضاءات المبنى وترحيل الدرج في الطوابق السفلية والعلوية، هذا بالإضافة إلى ترك فضاء مفتوح (شماسي) في الجهة الجنوبية، ولهذا نجد أن الفضاءات الخدمية توزعت في الطوابق السفلى وفي الجهة الجنوبية والشمالية الشرقية فيما جاء المطبخ في الطابق الأخير ليطل على الواجهتين الجنوبية والغربية، وتوزعت الفضاءات المعيشية الرئيسية والهادئة على الواجهة الغربية والجنوبية عند التناوب.

وللمبنى فضاء معيشي رئيسي واحد هو المنظر ويقع في الطابق الثاني ويؤدي بالإضافة إلى وظيفته وظيفة الديوان وهذا مثال يوضح أنه حينما تنحصر فضاءات المبنى السكني الصنعاني للمباني المتوسطة أو الصغيرة في حدودها الدنيا من حيث العدد أو المساحة فإنها تؤدي كل المتطلبات الوظيفية وبشكل تكاملي دون الإخلال بالخصوصية وعلى غرار ما هو متوافر وبأقصى حدوده في الدور السكنية الكبيرة.

ويتكون المبنى من ثلاثة طوابق رئيسية وطابقين مسروقين، وعلى الرغم من محدودية عدد طوابقه إلا أن الاتساع النسبي لمساحة البناء الأرضية، جعله يصنف من المباني السكنية متوسطة الحجم، ويشترك معها في خصائص التشكيل المعماري لفضاءاتها الوظيفية وعناصرها المعمارية الزخرفية الداخلية والخارجية.

ولقراءة المزيد من الخصائص المعمارية للمبنى يمكن استيضاحها من خلال المخططات والتحليل المعماري بدلالة الرقم.

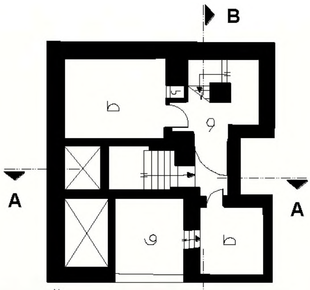


١

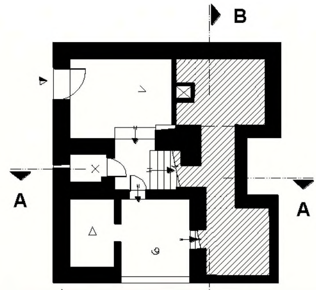
الطابق	المعيشة		الحركة				الخدمية الاقتصادية والاجتماعية		الهادئة (السكنى)		الجدران		مساحة الطابق	
	المساحة م٢	النسبة %	مساحة ح. الأفقية م٢	مساحة ح. الرأسية م٢	المساحة الإجمالية م٢	النسبة %	المساحة م٢	النسبة %	المساحة م٢	النسبة %	المساحة م٢	النسبة %	المساحة م٢	النسبة من المساحة الإجمالية للمبنى %
الأرضي	–	–	٣٢,٢	٥,٦	٣٧,٧	٤٦,٢	١٣,٥	١٦,٥	–	–	٣٠,٥	٣٧,٣	٨١,٧	٣١,٨
المسروق فوق الأرضي	–	–	٣,١	٥,٣	٨,٤	٢٤	١٢,٧	٣٦	–	–	١٤,٦	٤٠	٣٥,٧	١٣,٩
الأول	١٣,٧	٢٢	٨,٨	٦,٩	١٥,٧	٢٥	٢,٩	٥	٦,٦	١١	٢٣,١	٣٧	.٦٢	٢٤,٢
المسروق فوق الدرج	–	–	–	٣,٥	٣,٥	٢٦,٢	–	–	٤,٧	٢٥,٦	٥,١	٢٨,٢	١٣,٣	٥,٢
الثاني	٩,٤	١٤,٧	٢٨,٧	٠,٣	٢٩	٤٥,٥	٨,٧	١٣,٥	–	–	١٦,٧	٢٦,٣	٦٣,٨	٢٤,٩
المساحة الإجمالية للمبنى: ٢٥٦,٥م٢														

جدول تحليل مساحات الفضاءات الوظيفية للمبنى

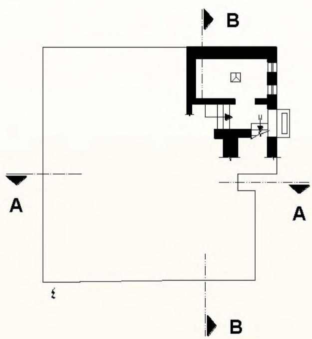
١. بيت شرهان من اتجاه الشمال



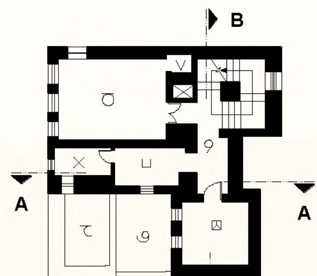
٢



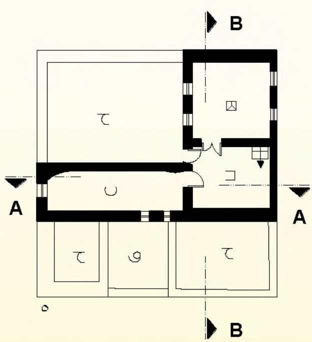
١



٤



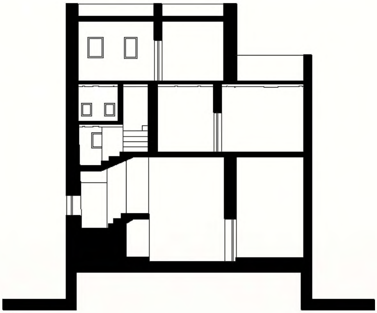
٣



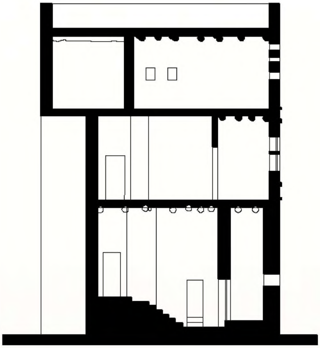
٥



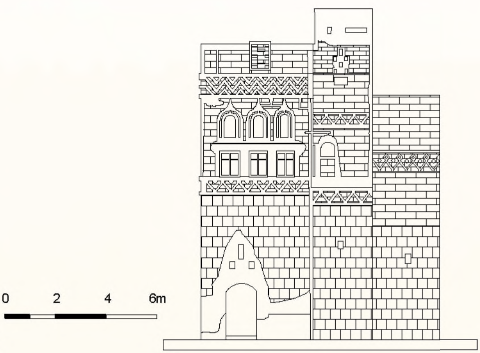
١. مسقط الطابق الأرضي
٢. مسقط الطابق المسروق فوق الارضي
٣. مسقط الطابق الأول
٤. مسقط الطابق المسروق فوق الدرج
٥. مسقط الطابق الثاني
٦. قطاع (A-A)
٧. قطاع (B-B)
٨. الواجهة الغربية (الرئيسية)
٩. الواجهة الشمالية



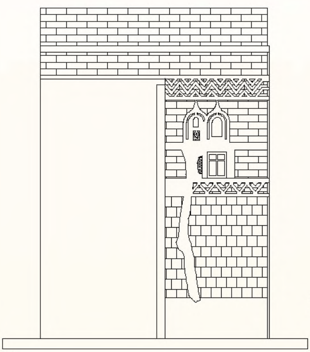
٦



٧



٨



٩

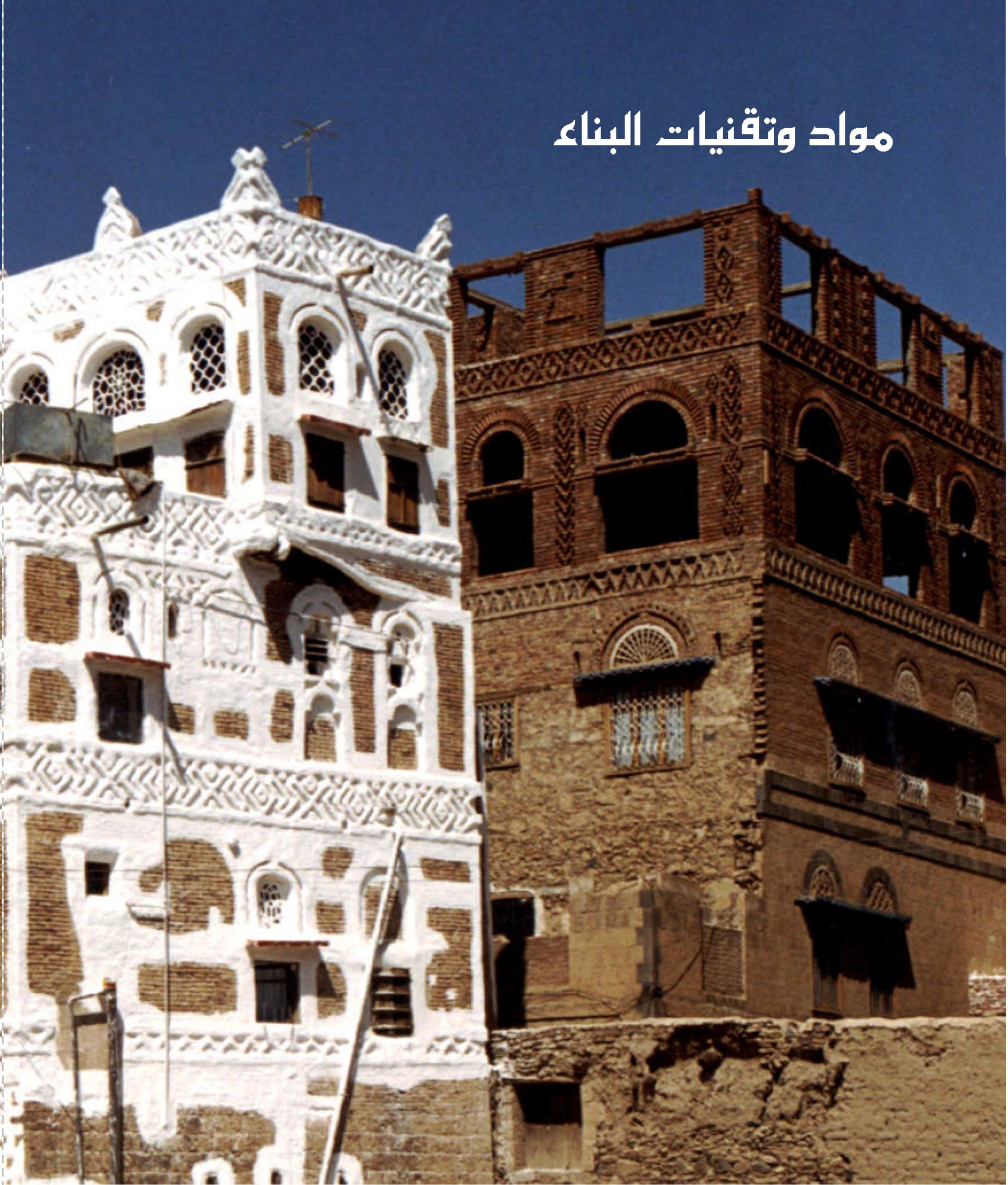
الهوامش:

١. الرازي، أحمد بن عبد الله الصنعاني؛ "تاريخ مدينة صنعاء"؛ تحقيق: حسين العمري؛ دمشق؛ ط٢؛ ١٩٨١م؛ ص (١١٢).

٢. المسودة السنانية: نسبة إلى الوالي العثماني سنان باشا الذي قام بحصر جميع أموال الوقف وتسجيلها طبقاً لأصولها واجازاتها في سجلات خاصة عرفت فيما بعد بـ(المسودة السنانية) (٩٧٦-٩٧٨هـ/١٥٦٩-١٥٧١م) وما تزال المسودة محفوظة إلى اليوم ضمن محفوظات وزارة الأوقاف؛ أبو الرجال، علي أحمد: الوثائق والتوثيق؛ الموسوعة اليمنية.

٣. الحجري، القاضي محمد بن أحمد: "مساجد صنعاء عامرها وموفيها": دار إحياء التراث العربي؛ بيروت؛ ط٢؛ ١٣٩٨هـ؛ ص (٤١).

مواد وتقنيات البناء



موقع مدينة صنعاء يجمع الكثير من المفارقات (البيئة الطبيعية) فهو وإن أتى على المرتفعات الجبلية العالية للتكوين الطبيعي لليمن، إلا أنه يأتي وسط قاع فسيح يحاذي الجبل، على العكس من مدينة ذمار التي تقع في وسط قاع جهران الفسيح وغيرها من المدن التي تتوسط قيعانها. وتختلف أيضاً عن بقية المدن اليمنية في المرتفعات الجبلية العالية وقيعانها في وقوعها على نقطة الفصل لاتجاه حركة الرياح الموسمية الممطرة (ميزاب اليمن الشرقي وميزاب اليمن الغربي بحسب قول الهمداني). ولهذا نجد في أكثر الأحيان سقوط المطر في جزء أو ضاحية منها دون غيرها، وهي في هذه الخاصية تجمع بين الخصائص المعمارية للمدن اليمنية الواقعة في المناطق الجافة وبين الخصائص المعمارية للمدن الواقعة في المناطق الرطبة السهلية والساحلية المحاذية للبحر أو الجبل. كما تجمع في هذا بين المدن الجبلية والمدن السهلية التي تقع في وسط السهول الممتدة (القيعان) للمرتفعات الوسطى والعالية للهضبة اليمنية الغربية.

ولهذه المفارقات الطبيعية وبالإضافة إلى ما تتميز به مدينة صنعاء عن غيرها من مكانة كبيرة تاريخية وسياسية وثقافية واجتماعية واقتصادية، انعكس ذلك في مجمله على عمارتها، من حيث مادة وتقنية البناء، وكذلك من حيث نمط وأسلوب تشكيل الفضاءات وعناصرها المعمارية والزخرفية. مما ميزها عن بقية أنماط عمارة المدن اليمنية الأخرى، وعلى الرغم من وجود عدد كبير من نقاط التباين في الخصائص المعمارية الوظيفية الجمالية بين عمارتها وبقية أنماط العمارة اليمنية الأخرى إلا أنها تشترك معها جميعاً ويتفاوت بينها وبين كل نمط وآخر.

ومن حيث مواد البناء وتقنياته فعمارتها تلتقي مع أنماط عمارة المناطق السهلية الساحلية الحارة والرطبة في خاصية البناء بالطين المحروق (طوب الآجر)، كما تلتقي مع أنماط عمارة المرتفعات الجبلية في خاصية البناء بالحجر، وكذلك أيضاً تلتقي مع عمارة المناطق الجافة في الهضبة الشرقية والشمالية أو سهول المرتفعات العالية (القيعان) للهضبة الغربية في خاصية البناء بالطين المجفف (اللبن) أو (الزابور).

وعليه فإن لمواد البناء وتقنياته في عمارة صنعاء تبايناً واختلافاً، ويعزى ذلك لمعطيات التوظيف ومتطلباتها البيئة الطبيعية والاستخدامية في التشكيل، إلى جانب نوعية الفضاءات الوظيفية ومتطلباتها البيئية الإنسانية الدفاعية والاجتماعية والثقافية. ولهذا نجد أن الحجر بصلابته وقوته وصلادته يأتي أولاً في البناء، وتستخدم لذلك الأحجار الأكثر صلادة وقوة والأقل مسامية في أساسات المباني والأسوار الدفاعية للمدينة.

ويستخدم الحجر الأبيض والأسود (الحبش) في بناء المباني الصغيرة والمتوسطة والكبيرة في أحجامها وبارتفاع طابق أو طابقين فقط، وأيضاً في بناء الطوابق السفلى الأرضي والمسروق، وأحياناً الأول للمباني السكنية البرجية. بما في ذلك قواعد المآذن (الصومعة، ج: الصوامع) المتوسطة والعالية والتي يصل ارتفاع قاعدتها إلى نحو (١٦م) وبنسبة (٢٥٪) من ارتفاع المآذن العالية تقريباً. وبالرغم من كثرة استخدامات الحجر كمادة بناء متعددة الأنواع والخصائص الكيميائية والفيزيائية، وكذلك الحجوم والمقاسات إلا أن الطين يفوقها كثيراً في استخداماته المعمارية البناء والزخرفة. وذلك للزيادة العددية في استخدام مادة الطين المحروق الآجر (الياجورة، ج: الياجور) في بناء الطوابق للمباني البرجية من ناحية والكثافة البنائية للمباني البرجية والعالية جداً عن غيرها من المباني المنخفضة الارتفاع طابق أو طابقين من ناحية أخرى.



هذا بالإضافة إلى المنشآت والمباني الأخرى ذات الاستخدام لمادة الطين المجفف وبتقنيتي (الزابور) في الأسوار وأبراج (نُوَب) الحراسة خارج الأسوار، وطوب الطين المجفف (اللبن)، ومع هذا فالطين مادة بناء مساعدة (مونة ولياسة) وكذا إنتاج التجهيزات الأخرى.

ويأتي الخشب بعد الطين والحجارة من حيث الكم والنوع في الاستخدام وهناك الكثير من المواد والتقنيات الأخرى المستخدمة في عمارة صنعاء، والتي ستوجز في الشرح مقارنة بالطين والحجر والخشب.

الطين

الطين من أقدم مواد البناء التي عرفها الإنسان. وقد استخدمها المعمار اليمني في إنتاج عمارته منذ عصور ما قبل التاريخ وبعدها وحتى اليوم. وعمارة صنعاء هي مزيج متجانس ومتداخل بين مادتي الطين والحجر. وتصنف ضمن حواضر (مدن) العمارة الطينية اليمنية. وذلك لكون الطين أكثر مواد البناء كثافة في الاستخدام عن غيره من مواد البناء الأخرى في عمارة صنعاء، وهو مادة أساسية في البناء الهيكلي ومادة رئيسية في مونة الربط واللياسة الخارجية والداخلية، وكذلك كمادة إنتاج وتركيب العناصر المعمارية وعناصر التجهيزات المنزلية الأخرى الفخارية.

وينتقي المعمار أفضل المواقع الزراعية السهلية وأقدمها عمراً في ترسبات طبقاتها وذات الجودة العالية، وذلك لإنتاج عجينة الطين (الصلصال)، ويخلط معها للتماسك الروث الحيواني للماشية والدواب وبكميات تختلف من حيث النسب ونوعية المصدر والطراوة، ووفقاً لنوعية الاستخدام، أكان في البناء أو في إنتاج العناصر المعمارية الطينية، وفي الكثير من استخدامات الطين في البناء يتم إضافة قصاصات التبن الصغيرة، حينما يتطلب الأمر زيادة في قوة التماسك لعناصر البناء. ومن أهم الخصائص الاستخدامية الاقتصادية للطين هي تكرار استخدامه في البناء، ونجد في هذا أن المعمار يلجأ إلى إعادة استخدام الطين في البناء مرة تلو الأخرى عند الصيانة، أو إعادة البناء والتجديد، أو في إعادة استخدام مواد بناء المباني المنهارة في المباني الجديدة... ويذكر الكثير من المعماريين التقليديين (الأسطى، ج: الأساطية) ذوي الخبرة المتقادمة أن الطين المعاد استخدامه في البناء أكثر جودة من الطين المستخرج حديثاً.

وعجينة الطين، قبل استخدامها في البناء أو إنتاج عناصر البناء والعناصر المعمارية الأخرى لا بد من أن تَتَخَمَّر لتكتسب الخصائص الكيميائية والفيزيائية الملائمة للاستخدام، ومدة التَّخَمُّر هذه تختلف من استخدام إلى آخر وهي يوم إلى ثلاثة أيام وفي الغالب يومان. وللطين في البناء طريقتان رئيسيتان هما:

التجفيف:

والبناء بالطين المجفف له تقنيتان هما:

1. **البناء بالطين المجفف موقعياً وبشكل مباشر (الزابور):** وتعرف هذه التقنية (البناء بالزابور)، والزابور في اللغة يعني الخطوط الطويلة من الفعل زبر بمعنى وضع خطاً. والبناء بالزابور يتم برص مداميك الطين فوق بعضها البعض. فبعد أن يجف نسبياً المدماك الأسفل يبدأ المعمار ببناء المدماك الآخر عليه وتباعاً ترص المداميك تدريجياً حتى الانتهاء من البناء الهيكلي كاملاً. وتفصل المداميك فيما بينها في الواجهات بخطوط غائرة (مياسم) بعرض نحو (٠,٥-٠,٧ سم) وبغور (١سم) تقريباً. وعرض كل مدماك (٦٠-٧٠سم) أما سماكة المدماك فهي كبيرة للمداميك السفلى وتقل تدريجياً كلما ارتفعت فوق بعضها، ومتوسط سماكة المدماك في البناء البرجي (٧٠سم) تقريباً، وأكبر سماكة للجدار الطيني وبتقنية البناء بالزابور بني جدار سور صنعاء (المصمت)، والذي تصل سماكة مدماكه الأول إلى نحو(٦م)، وسماكة مدماكه الأخير عند السطح يصل إلى نحو(٣م) لعرض الممر، هذا بالإضافة إلى الذروة المرتفعة عليه والتي تبلغ سماكتها نحو (١م) أيضاً، وتعتبر سماكة جدار هذا السور هي أكبر سماكة لجدار مصمت من الطين المجفف (الزابور).

والبناء بالزابور في صنعاء القديمة انحصر فقط في سورها أو أسوار بعض البساتين والمقاشم داخلها، أو في بناء المباني البرجية دائرية المسقط (النُّوَب)، ولكنه وبحكم وظيفة هذه المباني الدفاعية والسكنية معاً فإن وجودها داخل سور مدينة صنعاء القديمة منعدم تماما، وأقربها له هي النوبة الكبيرة والمجاورة للسور الغربي للمدينة وهي (نوبة قصر المتوكل).



٢. **البناء بالطين سابق التجفيف (اللِّبْن):** وتعتمد تقنية هذا البناء على إنتاج طوب الطين وتجفيفه إما في موقع البناء أو في فضاءات إنتاج مكشوفة محددة لذلك.

ويسمى طوب الطين المجفف في صنعاء وفي الكثير من المناطق اليمنية اللِّبْن، ويسمى في المناطق اليمنية الشرقية كحضرموت (المدَر). ومقاييس اللِّبْن في صنعاء هي في المتوسط (٣٦,٥ ×٣٦,٥ ×١١سم).

واستخدام طوب الطين المجفف (اللِّبن) في مدينة صنعاء القديمة ينحصر في جدران بعض الأسوار الداخلية للبساتين وأفنية المباني السكنية، وفي أجزاء بعض الواجهات الخلفية للمباني السكنية الصغيرة، (للأسر الفقيرة) ولا سيما الواجهات الشمالية والتي لا تطل على الطرقات الرئيسية والساحات (الصرحات). وكان اللِّبن وإلى وقت قريب أكثر استخداماً في بناء المباني السكنية للتجمعات السكنية والقرى الصغيرة المنتشرة في قاع صنعاء وبعض المناطق. وتقنية البناء باللبن تعتمد أسلوب الرص المترادف وبالإزاحة النصفية بين الطوبة والتي تعلوها أو تدنوها.

الحرق في الأفران

استخدامات الطين المحروق في عمارة صنعاء كثيرة، أكان ذلك في البناء أو في إنتاج العناصر المعمارية والتجهيزات بمختلف أنواعها وأهمها المنزلية. وتختلف وتتباين وبفروق من حيث الحجم وخاصة في القدرة الاستيعابية الفضائية ودرجة الحرارة المتطلبة والموقع، وتختلف أفران إنتاج الآجر (المحارق) وتتباين من حيث الحجم خاصة في القدرة الاستيعابية الفضائية، ودرجة الحرارة المتطلبة والمسافة الفاصلة بين الأفران ومواقع استخدام إنتاجها بين أفران إنتاج الآجر (الياجور) وبين أفران إنتاج العناصر المعمارية والتجهيزات الأخرى كالفخاريات، وتتباين كذلك نوعية عجينة الطين (الصلصال) والمضافات المحسنة لها بين استخدام وآخر، ومنتج وآخر أيضاً من حيث الجودة المتطلبة. وللعلاقة الموضوعية سيتم تناول مادة الياجور الطين المحروق بتفصيل أكثر عن غيره من منتجات الطين الأخرى.

تقنية البناء بالزابور (السور الشمالي)


١


٢

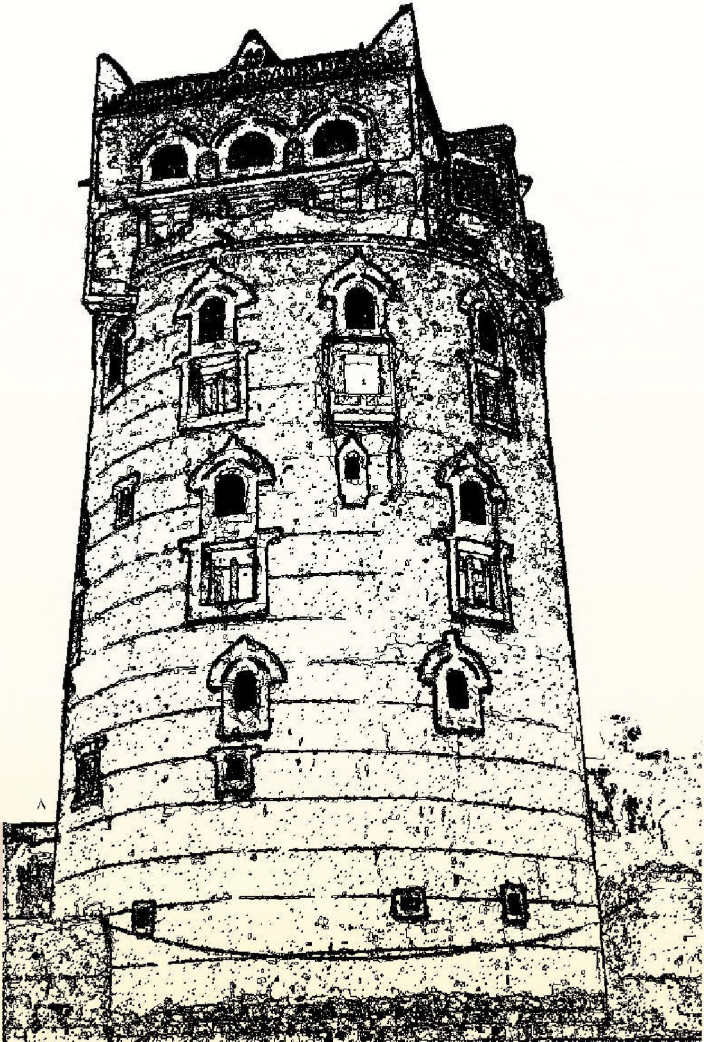

٣


٤


٥


٦


٧



٨

تقنية البناء بالزابور

١-٦. السور الجنوبي للمدينة عند إعادة البناء (٢٠٠١م)

٧. السور الجنوبي بعد إعادة البناء

٨. نوبة المتوكلية (من مباني المتحف الوطني حالياً)

طوب الطين المحروق (الآجر)

الآجر (الياجور) أكثر مواد البناء والتركيب والتشكيل الزخرفي الهيكلي كثافة استخدامية في عمارة صنعاء وبتشكيله المعماري للكتل ولتشكيله الزخرفي للمفردات والوحدات والعناصر والمواضيع الزخرفية الخارجية، أكسب عمارة صنعاء وطرازها تميزاً وتفرداً. وطوبةُ الياجور هي الأساس القياسي في نَظم بناء وتركيب المداميك ورصها فوق بعضها، وكذلك في نظم تركيب العقود للفتحات. وهي وحدة الأساس القالبي للزخرفة الخارجية بمختلف أنواعها. ومثلت طوبة الياجور في العمارة الصنعانية الوحدة القياسية الأساسية في البناء الهيكلي للتشكيل المعماري للفضاءات الوظيفية للطوابق العليا للمباني البرجية وأبدان المآذن أيضاً، وكذلك في التشكيل الزخرفي لعناصرها ووحداتها ومفرداتها الزخرفية الهيكلية. وتطور تشكيل طوبة الياجور من حيث القياس الحجمي لها وبشكل محدود ونسبي، وأبعاد ياجورة قديمة يرجع تاريخها إلى ما قبل (٣٠٠سنة تقريباً) هي (٢٢٫٧٧×١٧٫٧٧×١٧٫٥×٤سم)، بينما جاءت أبعاد الياجورة الحديثة (التقليدية) (١٧×١٧×٦سم).

ولهذه الفروق البسيطة دلالة تعبيرية في أن المعمار عمل على إعادة صياغة التشكيل القالبي لطوبة الياجور بما يحقق المعطيات المطلبية للتحولات العصرية. ولهذه الخاصية ميزة أثرية وتاريخية حيث أمكن للمعمار والآثاري معاً في التشخيص البصري لأعمار المباني بالتقريب، وبالاعتماد في ذلك على مقاسات طوب الياجور من ناحية، والنوعية الزخرفية من حيث المفردات والوحدات والعناصر والمواضيع الزخرفية من ناحية أخرى. ولا تنحصر استخدامات طوب الياجور في بناء الجدران الخارجية والداخلية والقواطع للفضاءات وعناصرها المعمارية، أو في التشكيل الزخرفي الهيكلي بل يستخدم أيضاً في التسقيف القشري للقِبَاب والأقباء، وكذلك التسقيف الجملوني للمداخن الصغيرة (السِّيَّات) والتي تعلو فضاءات المطابخ (الدَّيمة، ج: الدِّيَم).



١

١. بناء حزام بالآجر (الياجور)

٢. محرق ياجور (١٩٢٧م) م/م ت د م

وللطوب المحروق (الياجور) خصائص معمارية أهمها:

- انتظام أبعاده انعكس على انتظام شكل الواجهات.
- سهولة ومرونة تشكيله المعماري في البناء المستوي والمنتظم الأبعاد وكذلك القشري والجملوني البسيط.
- سهولة ومرونة التشكيل والتركيب للكتل والعناصر المعمارية المستوية والقشرية.
- سهولة ومرونة قولبته وتشكيله الزخرفي.
- يمتاز بقوة الترابط من خلال الإزاحة التبادلية المنتظمة التشكيل بين مداميكه وحسن التصاق الطوب ببعضه بمونة الطين أو النورة أو الجبس (القص).
- قدرة وكفاءة عالية في العزل الحراري ومقاومة الحرائق حيث إنه سبق حرقه.
- سهولة نقله وخفة وزنه.

ولون مادة طوب الياجور الصنعاني ترابية إلى حمرة خفيفة وتميل قليلاً إلى البني، وذات بقع متداخلة لهذه الألوان.

وينتج الياجور في أفران كبيرة وبدرجات حرارية عالية تصل إلى (١٠٠٠°م)، وتنتشر هذه الأفران في شمال وجنوب مدينة صنعاء. ويذكر الشهاري "أن فيها نحو (٢٠مطبخ) التي يطبخ فيها الياجور المحرَّق في المحاريق وأما اللبن الذي لا يحرق فشيء كثير. وأما محاريق (القص) والنورة التي يطبخ فيها فشيء كثير واسع ولعله يزيد على المائة والمائتين المحراق في صنعاء"[1].

الحجر

استخدم المعمار اليمني الحجر في عمارته منذ عصور ما قبل التاريخ وتنوع وتدرج استخدامه في تشكيل كتل وعناصر الفضاءات الوظيفية لمباني صنعاء بدءاً بالأساسات فالجدران والقواطع وفي إنشاء نواة المبنى البرجي (القطب)، وتركيب الدرج (النائمة منها والقائمة) ورصف أرضيات الحمامات الساخنة وميضاءات المساجد (المطاهير)، وحمامات المباني السكنية والعامة (المطْهَار والمستراح)، والطوابق الأرضية، وأفنية المساجد (الأصواح). كما استخدمها في بناء وتركيب وزخرفة الأعمدة (قواعدها وأبدانها وتيجانها)، وفي بناء وتركيب العقود الكبيرة الداخلية والخارجية وفي تكسية الجدران الداخلية وكذلك في بناء أبدان الآبار بأنواعها وغيرها.

واستخدمها أيضاً في تثبيت كتلة الحجر بكتل الحجر التي تسبقها أو تليها في مداميك البناء بواسطة حجر صغير مُدَبَّب (وضّر).


٢

وبالإضافة إلى هذا يستخدم أيضاً في تشكيل وتركيب العناصر المعمارية الرئيسية مثل المقاعد الأسطوانية والمضلعة الثابتة لحمامات البيوت (المطاهير)، وجلسات المراحيض (المستراحات) وفتحات التصريف لها (منطل، ج: مناطل) وآبارها، ورفوف وضع المسارج والصابون فيها وغير ذلك من العناصر المعمارية الداخلية للفضاءات الوظيفية. كما يستخدم بشكل محدود في الزخرفة.

ونتيجة لتعدد مواضع استخدام الحجر في البناء والتركيب وما أملته المعطيات البيئية والاستخدامية الوظيفية والجمالية عمد المعمار إلى تحقيق ذلك في اختيار أنواع مختلفة من الأحجار متباينة في خصائصها الكيميائية والفيزيائية (الصلادة والمسامية واللون ومرونة وسهولة القطع والتشذيب والتهذيب والهندمة (الوقيص)...) ولهذا تعددت مصادر مقالعها، وكانت وحتى منتصف القرن العشرين تقلع الأحجار من مقالع الأحجار في الجبال التي تحيط بقاع صنعاء.

وأهم أنواع أحجار البناء والتركيب في مدينة صنعاء القديمة هي:

- **الحجر الأبيض:** وهو من الصخور الجيرية (limestone) وهو سهل التهذيب والهندمة قليل الفراغات يحرق حتى (٩٠٠°م)، لونه أبيض ويكتسب اللون البني إذا اختلطت به شوائب. ومقالعه في الجبال المحيطة بصنعاء كنقم في شرقها وعطان وعيبان في غربها[2]. ولتعدد المقالع فإن ألوانها أتت متباينة ومتدرجة نسبياً ويغلب عليها اللون الفاتح وذو الصفرة الفاتحة أيضاً واستخدامه في البناء

كثير ومتعدد أهمه في بناء الجدران وتكسية الواجهات بعد تهذيب الأحجار بهندمتها (توقيصها).

- **الحجر الأسود (الحبش):** وهو من صخور البازلت الفقاعية وتمتاز بصلابتها ومقاومتها للتآكل، ومقالعه في الجبال الشمالية الغربية (همدان)[٣]. وتمتاز عن الأحجار البيضاء بصلادتها وقوتها رغم أنها أكثر مسامية منها. وله تدرج لوني أيضاً وفي حدود اللون الرمادي القاتم والمائل إلى السواد وحتى الانتصاف تقريباً. واستخدامه في البناء كثيرا مقارنة بغيره من الأحجار الأخرى لخصائصه الكيميائية والفيزيائية.

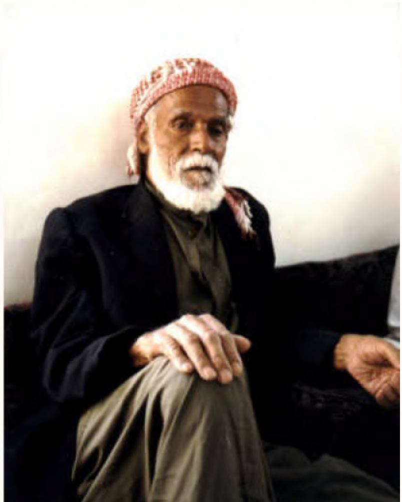
- **الحجر (الجُعْم):** وهو من صخور البازلت غير المسامية الصلدة والمقاومة للتآكل. ومقالعه في جبل نقم كما تنقل أيضاً جاهزة من مجاري السيول (السايلات)[٤]. وهي صلدة وقوية وغير مسامية وتسمى أيضاً (الصلل) وألوانها قاتمة ومتداخلة ولها بريق خافت اللمعان وأكثر استخدامها دون هندمة (وقيص) في بناء أساسات المنشآت والمباني وغالباً ما تظهر على السطح وبنحو (١- ٣ مداميك). كما تدخل أيضاً كمادة بناء مساعدة ومكملة في البناء الهيكلي.



١

١. أساطية البناء المشاركين في عمارة دار الضيافة بالقصر الجمهوري، (١٩٧٢م)، م/ المركز الوطني للوثائق
٢. الأسطى باشا: حسين بلال، (٢٠٠١م)

- **الرخــام (الالباســتر) marble**: وهـو صـخر سـهل القطـع والتشكيل والصقل مقاوم للتآكل وغير مقاوم للحريق ويمتاز بحسن مظهره نتيجـة وضـوح بلّوراتـه وألوانـه متعـددة، وأهـم ما أسـتخدم فـي عمـارة صنعاء الأصـفر. وكان يؤتى بـه مـن جبال الغراس شرق صنعاء ونـادراً مـا كـان يجلب مـن مـارب جاهزاً مقطعاً ومصقولاً وعلى هيئة ألـواح[٥]. واسـتخداماته في البناء انحصرت أساساً في تغطية فتحات القمريات.



الأسطى باشا حسين بلال من مواليد ١٩١٠م.
عمل في البناء قرابة ستين سنة وتدرج في كل درجات مهنة البناء والعمارة التقليدية (من شاقي إلى أسطى باشا)، وله الكثير من الأعمال المعمارية في صنعاء وضواحيها، وقد شارك في عمارة قبة المتوكل عند توسعتها بإضافة بيت صلاة جديدة سقفت بقبة كبيرة تحيطها قبب أصغر، هذا بالإضافة إلى إعادة رصف أرضية صوح الجامع الكبير، وعمارة دار الوصول (القصر الجمهوري حالياً)، ويعمل حالياً كخبير تقييم المباني (تثمين وتحديد نوعية المعالجات المتطلبة لأعمال الصيانة والترميم للمباني التقليدية). وكان أحد المرجعيات الرئيسية لهذه الدراسة في التعرف على تجربة العمارة (البناء والتركيب) في صنعاء.

الخشب

وهو مادة من مواد البناء الرئيسية. ويأتي بعد الطين والحجر من حيث كثافة الاستخدام والأهمية، واستخدامات الخشب في البناء والتركيب متعددة ومتنوعة وهو العنصر الرئيسي للتسقيف المستوي أو تسقيف الفضاءات المتدرجة والمائلة (فضاءات الدرج)، والتسقيف بالخشب للفضاءات يأتي بمد عضادات الخشب المتباينة في السماكة (٢٠-٤٠سم) وكذلك في الأطوال (١،٥-٤،٢م)، حيث إن المسافة بين الجدارين المتقابلين لا تزيد في الغالب عن (٤ م) طولي، وترص عضادات الخشب بالتوازي لتشكل أضلاع تسقيف متجاورة بفراغ ضوئي فيما بينها وبنحو (٥٠-٧٠سم) في المتوسط، وترص عليها وبشكل مكثف وبتلاصق بالتتالي والتعامد أغصان الأشجار (الاصابيع) الصلبة، والتي يبلغ متوسط قطر الغصن (الإصبع) (٢سم) ومتوسط طوله (١،٥م) وتربط فيما بينها بكتل عجينة الطين (الخُلَب) ومن ثم طبقة من التراب تبلل وتسوى...، كما تستخدم عضادات الخشب الكبيرة في الربط بين مداميك البناء الخارجية أو الداخلية وبكثافة، وفي الطوابق السفلى كمدادات فاصلة (فَرشات) لتقوية الربط بين مداميك البناء (الحجرية أو الطينية)، وكعوازل ومواد امتصاص للهزات، وبالأخص الهزات الأرضية الطبيعية (الزلازل).

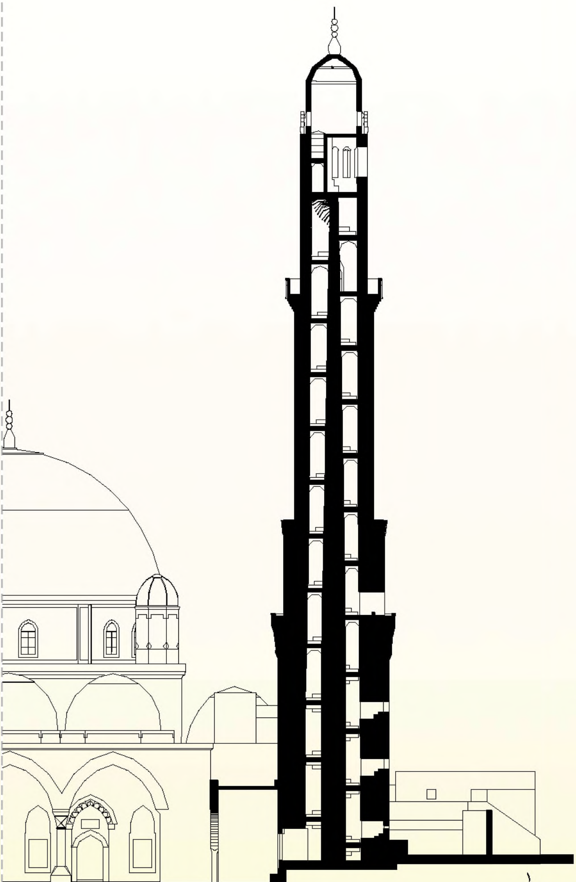
وتستخدم العضادات الخشبية وبمختلف سماكاتها والأغصان (الأصابيع) في الربط الهيكلي لمداميك الزابور في جدار سور المدينة ذات السماكة الكبيرة (٣ - ٦م).

وأهم أنواع الأخشاب المستخدمة في البناء من جذوع وفروع وأغصان مصدرها أشجار (العِلْب والقَرظ والطنب والأثل) وغيرها. ويستخدم الخشب أيضاً في بناء وتركيب العناصر المعمارية كالأبواب ومصاريع النوافذ، وظلة المطر (الكُنَّة)....ويأتي هذا بعد التجهيز له، في ورش النجارة وخاصة تلك المنتشرة داخل سوق صنعاء والمصدر الرئيسي للأخشاب المستخدمة في إنتاج هذه التجهيزات هو خام الخشب المحلي، أما الأخشاب المستوردة من خارج اليمن فكان استخدامها وإلى قبل نحو (٥٠ سنة) محصوراً على إنتاج وتشكيل عناصر معمارية هامة جداً، كمنبر الجامع الكبير أو مشربيات الدور الكبيرة (القصور) وغيرها من العناصر المعمارية الداخلية (التجهيزات والأثاث) ذات القيمة العالية للمساجد الكبيرة، وقصور الحكام (الأئمة والولاة).

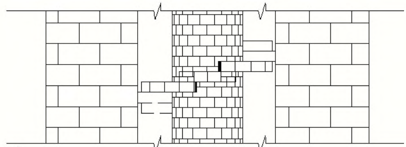
وهناك مواد بناء وتركيب وتجهيز أخرى ذات تقنيات مختلفة لكل نوع منها، وقد تأتي مفردة الاستخدام أو مدمجة ومتداخلة في تركيب وتجهيز كل عنصر. وهي أما مسبقة التجهيز خارج موقع البناء أو أنها تجهز في موقع البناء، وتدخل ضمن عملياته، والكثير منها تم الحديث عنها بالإشارة أو التفصيل عن مكوناتها واستخداماتها، بما في ذلك خصائصها وفي مواضع عدة، ومن أهمها الزخرفة الخارجية وكذلك في تفاصيل عناصر التكوين للمباني وفضاءاتها وبإيجاز لا يتعدى التعريف تأتي تباعاً على النحو الآتي:

- **الجبس (القص):** مادة لياسة وتشكيل زخرفي (داخلي وخارجي)، وكذلك مونة ربط للبناء في بعض الأحيان. وكثر الحديث عنه في هذه الدراسة في مواضع متعددة أهمها الزخرفة الخارجية والزخرفة الداخلية.
- **القضاض:** لأهميته وتميزه فقد تم تناوله بالتفصيل وبشكل منفصل يلي هذا الموضوع.
- **الجير المطفي (النورة):** مادة لياسة مساعدة، ويدخل أيضا كمادة أساسية في تكوين القضاض.
- **البلّور:** الزجاج الأبيض والملون، وكان مصدره الشام ومصر، وحديثاً أضيف إليه البلّور البلاستيكي ومن مصادر مختلفة. استخداماته في البناء متعددة وأهمها تعشيق التشكيلات الزخرفية المفرغة للقمريات الجبسية (القصية) وتغطية فراغات النوافذ وفتحات الإضاءة ...
- **المعدن:** وقد استخدم الحديد أكثر من غيره في البناء والتركيب للعناصر المعمارية كالسياجات للفتحات الكبيرة للخنادق والنوافذ الأرضية ... كما استخدم النحاس والرصاص والصفر في إنتاج التجهيزات الخاصة بتركيب العناصر المعمارية والأثاث والتجهيزات المنزلية الأخرى وعناصرها الزخرفية.
- **القطرة:** مونة ربط قوية ومادة عزل جيدة للرطوبة لقدرتها العالية في عدم النفاذية للماء. كما أنها تتميز بعمر طويل مقارنة بغيرها من مون الربط الأخرى. ومادتها الرئيسية هي رماد فضلات الإنسان (العوادم الصلبة) بعد تجفيفها وحرقها كوقود لتسخين فضاءات الحمامات الساخنة ومياه الاستخدام الحارة فيها.
- **التراب:** ويستخدم في عمليات الردم وتسوية الأسقف وغيرها.

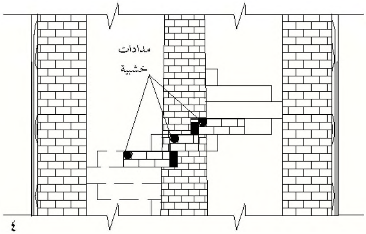
وهناك مواد أخرى تدخل ضمن تكوين المواد الرئيسية لبناء الهيكل والمونة واللياسة والزخرفة والعناصر المعمارية سابقة التجهيز وعناصر الأثاث والتجهيزات الأخرى مثل الشاش في القضاض، والروث الحيواني للماشية والدواب في عجينة الطين للبناء والمونة، والحبال (السلَّب) في جر مياه الآبار يدوياً وبالدواب، والجلد في صنع دلو نزع الماء منها ....



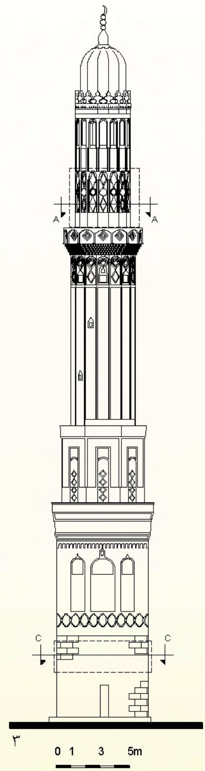
١



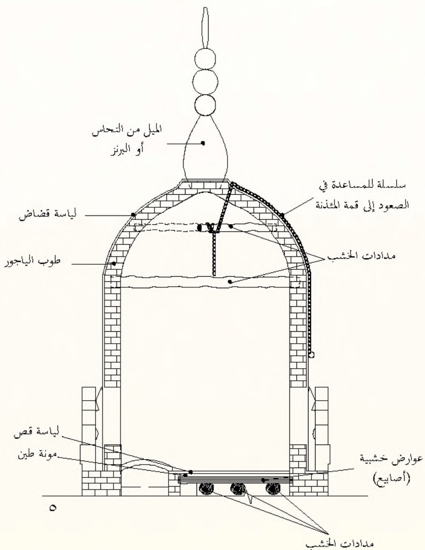
٢



٤



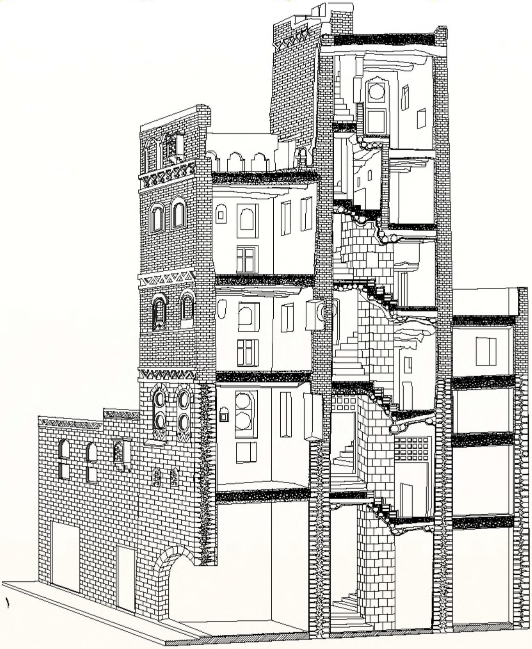
٣



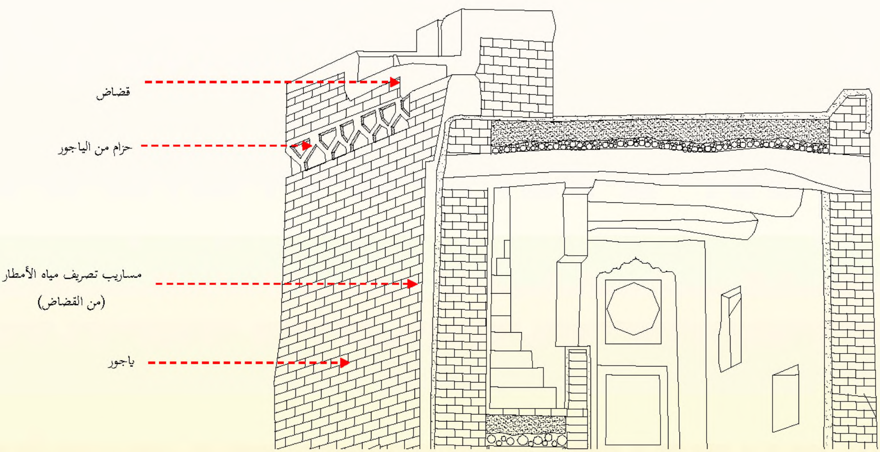
٥

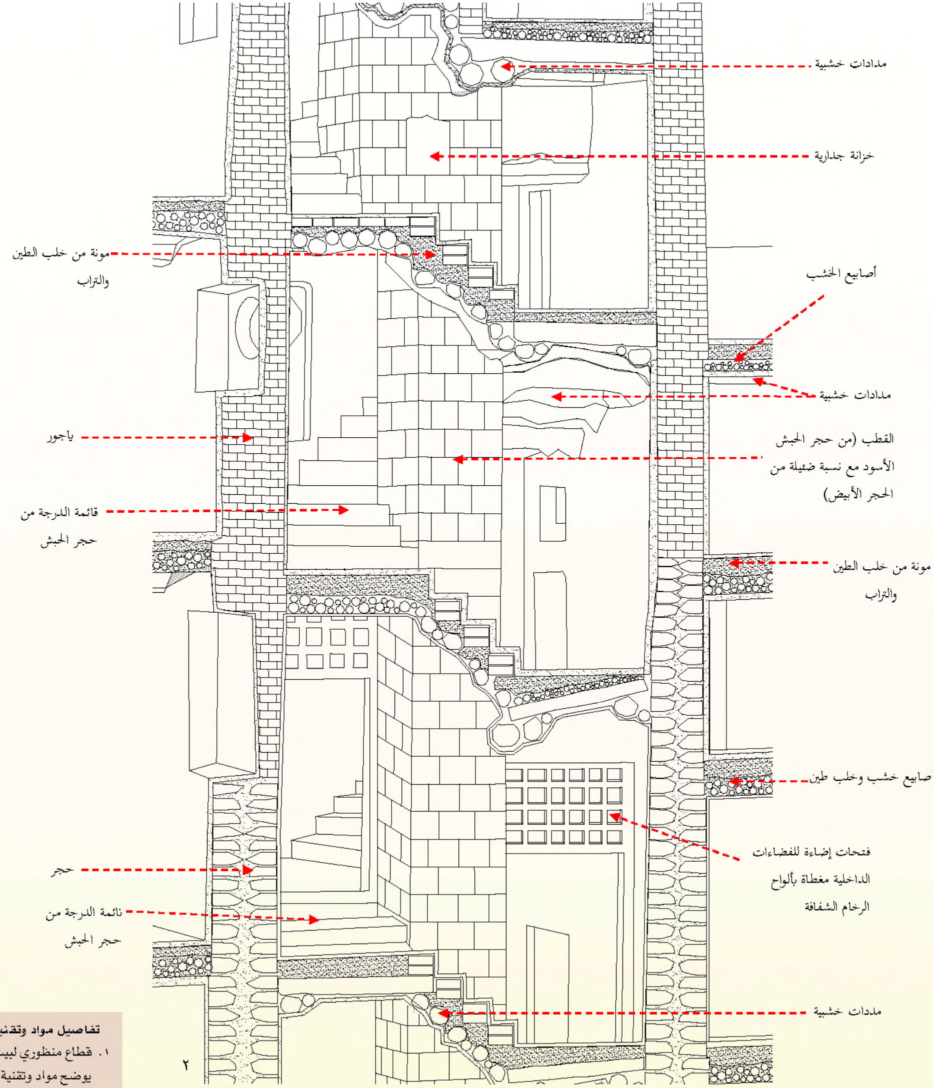
مئذنة قبة البكيرية

١. قطاع المئذنة.
٢. قطاع تفصيلي (C-C)
٣. الواجهة
٤. قطاع تفصيلي (A-A)
٥. قطاع تفصيلي لقبة المئذنة



١

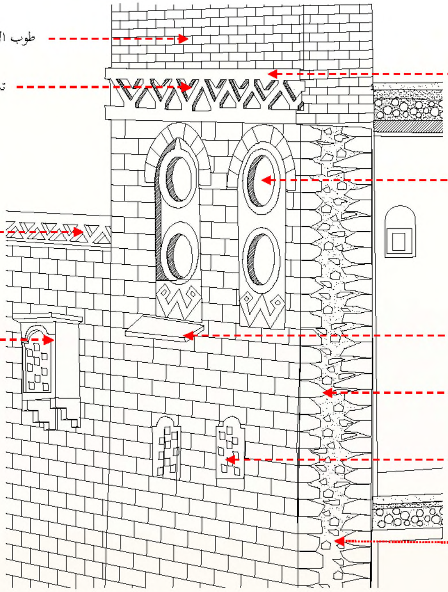

قضاض
حزام من الياجور
مساريب تصريف مياه الأمطار
(من القضاض)
ياجور



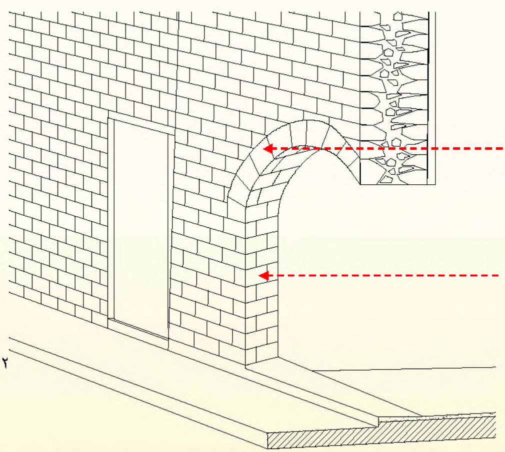
تفاصيل مواد وتقنية البناء

١. قطاع منظوري لبيت العنبسة يوضح مواد وتقنية البناء

٢. الدرج والقطب



١



٢

تفاصيل مواد وتقنية البناء

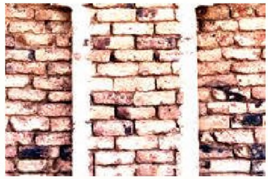
١. الجدران الحجرية

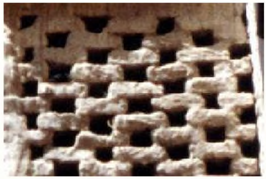
٢. مدخل


١


٢


٣


٤


٥


٦


٧


٨


٩


١٠


١١


١٢


١٣


١٤

١. حجر جعم
٢. حجر أبيض ولياسة القص
٣. حجر حبش وأبيض
٤-٦. ياجور وقص
٧. لبن
٨. مداميك الزابور
٩. لياسة قضاض
١٠. باب خشبي ومدق معدني
١١. قمرية رخام
١٢. قمرية قص معشقة بالبلور
١٣. مربط الخيل من الحديد
١٤. البغلة (جدار ساند في أسفل المبنى)



١



٢



٣



٤



٥



٦



٧

القضاض

مادة وتقنية بناء في آن واحد ولا يمكن اعتبار القضاض كمادة بناء بعد الانتهاء من تحضير عجينة القضاض. ولكنه يصبح قضاضاً بعد الانتهاء الفعلي من تقضيض أسطح الجدران والأرضيات والأسقف المعني تكسيتها بالقضاض؛ إذ لا يمكن تسمية عجينة القضاض الأولية بالقضاض دون استكمالها بعملية - تقنية - التقضيض كاملة. ولهذه المفارقة يختلف القضاض في الاصطلاح عن بقية مواد البناء المستخدمة في اللياسة - التكسية - ولا يمكن للمعمار والحرفي المُقَضِّض أن يطلب من البائع أن يبيعه كمية ذات مقدار وزني معين من مادة القضاض في حين يمكنه طلب جبس (قص) أو مرمر ورخام ودهان - طلاء مائي وزيتي - وغيرها من مواد التكسية - اللياسة - وحتى عند مقارنتها في هذا مع الملاطة الخرسانية أو الملاجة الطينية فالفارق في ذلك أنهما تقنيتان وليستا مادتي بناء - تكسية - وعدا ذلك فإنهما ذات تقنيات بسيطة وسهلة التحضير والتنفيذ مقارنة بالقضاض، كما أنهما مادتا تكسية فقط، في حين أن القضاض يمتاز عنهما بخاصية إضافية وهي العزل الجيد والمقاوم للرطوبة والمحكم في منعه لتسرب المياه. ولهذا جاء استخدامه في تكسية أسطح جدران وأرضيات وأسقف المباني والمنشآت المائية كالصهاريج (المآجل) والسدود وقنوات المياه العادية والمقنطرة والخزانات ومطاهر المساجد والمسارب والحمامات،... هذا بالإضافة إلى أسطح أسقف وجدران المباني والمنشآت الكبيرة وخاصة القشرية منها والقِبَاب والأقباء. "والقضاض عديم النفاذية للمياه بنسبة (٢:١) وتدرج حبيبي بدرجة (um380)"[٦].

وقد عرف استخدامه في اليمن منذ أكثر من (٣٠٠٠سنة) وتوارث تقنية إنتاجه جيل بعد جيل. ولهذه المادة وتقنياتها خاصية، تضاف إلى خصائصها الجزئية سالفة الذكر، وهي استدامة العمر والشواهد الدالة على ذلك البقايا السليمة نوعاً ما والظاهرة على أسطح صدفي (مصرفي) سد مارب التاريخي الشمالي والجنوبي والتي يرجع تاريخها إلى أكثر من (١٥٠٠سنة). وهناك الكثير من البقايا السليمة الجزئية أيضاً في الكثير من المباني والمنشآت التي ترجع تاريخياً إلى أكثر من (٥٠٠سنة) ويُقصد بهذا الأسطح المعرضة لعوامل التأثير الطبيعية، أما الأسطح الداخلية فإن بقاياها أكثر سلامة نسبياً عن الخارجية، وعند المقارنة فإنها تفوق في العمر الافتراضي عن الخرسانة العادية أو المحسّنة.



٨

١-٧. التيجان والأعمدة والعقود الحجرية

٨. لياسة القضاض على مسارب تصريف مياه الأمطار

ويظل الحديث عن القضاض مادة وتقنية قاصراً دون إيضاح عملية تحضيرها الأولى وطرق وأساليب تكوينها وتشكيلها النهائي، وبإيجاز يأتي الحديث لإيضاح أهم الخطوات المتسلسلة وإبراز أهم علاقات تحقيق مزايا وخصائص القضاض الكيميائية والفيزيائية.

المكونات الرئيسية للقضاض(٧)

- الجير الحي (CaO). وأقرب مصادره إلى صنعاء هي أفران مدينة صعدة وأفران منطقة الغراس بني حشيش شمال شرق صنعاء حيث يحضر بحرق الأحجار الكلسية بأفران كبيرة لمدة (٧ أيام) وبدرجة حرارة تصل إلى (٩٥٠ درجة مئوية).
- الرماد البركاني الشاش. وأقرب مصادره إلى صنعاء مناطق ذهبان وضَرَوَان وحَدَّة ويفضل المعمار رماد منطقة همدان لجودته.

تحضير ولياسة القضاض

تحضيره ولياسته يتم موقعياً وبعدة عمليات متسلسلة هي:

- تحويل الجير الحي (CaO) إلى جير مطفي $Ca(OH)_2$ بإضافة الماء المعالج عليه.
- تحضير عجينة القضاض وتتم عبر مراحل وفق طبقات التكسية حيث يخلط الجير المطفي $Ca(OH)_2$ مع الرماد البركاني بنسب موضحة في العمليات اللاحقة وتخلط العجينة المكونة بالماء تدريجياً أثناء العجن.
- تنظف أسطح الجدران والأسقف والأرضيات المراد تكسيتها بالقضاض من الأتربة والمواد العالقة (العضوية واللاعضوية) وتغسل بالماء جيداً.
- تكسى الأسطح بالطبقة الأولى، ونسبة الجير المطفي إلى الرماد البركاني (حصا بحجم ٠,٥سم) في العجينة (١:١) ويتم دكها وطرقها بحجر حاد زاويته (٦٠ درجة) تقريباً.
- تكسى الأسطح بالطبقة الثانية، ونسبة الجير المطفي إلى الرماد البركاني (حصا بحجم ٠,٢٥سم) في العجينة (١:٢) وتطرق بحجر حاد بزاوية رأسها (٣٠ درجة) تقريباً ولنفس الغرض.
- تكسى الأسطح بالطبقة الثالثة، ونسبة الجير المطفي إلى الرماد البركاني (مسحوق ناعم) والرمل (١:١:١) وتطرق بحجر حاد جداً وتسوى جيداً بلوح خشب.
- يصقل سطح طبقة القضاض بعد تماسكه الجيد يدوياً بحجر مسطح وبمساعدة رش الماء بتكرار وبحركة دائرية مستمرة حتى يصبح السطح ناعماً وجلياً.
- يدهن سطح القضاض بالشحم الحيواني وبنفس طريقة الصقل حتى يكتسب القضاض قدرة عزل جيدة للرطوبة وتسرب المياه وبالإضافة إلى هذا إضفاء اللمعان للسطح المصقول.



الهوامش

١. الشهاري، علي بن عبد الله بن القاسم بن المؤيد؛ "المنشورات الجلية مستل من (وصف صنعاء)"؛ ص (٦٠).

٢. الصبري، عامر محسن وآخرون؛ "أحجار البناء والزخرفة في اليمن"؛ إعداد: م/ عامر الصبري، م/ جميل عبد الله إسماعيل، م/ محمد محمد الحوثي، إشراف ومراجعة: د/ إسماعيل ناصر الجند، د/ محمد عبد الباري القدسي؛ وزارة النفط والثروات المعدنية؛ هيئة المساحة الجيولوجية والثروات المعدنية ٢٠٠٠م.

٣. المصدر نفسه ص (١٩).

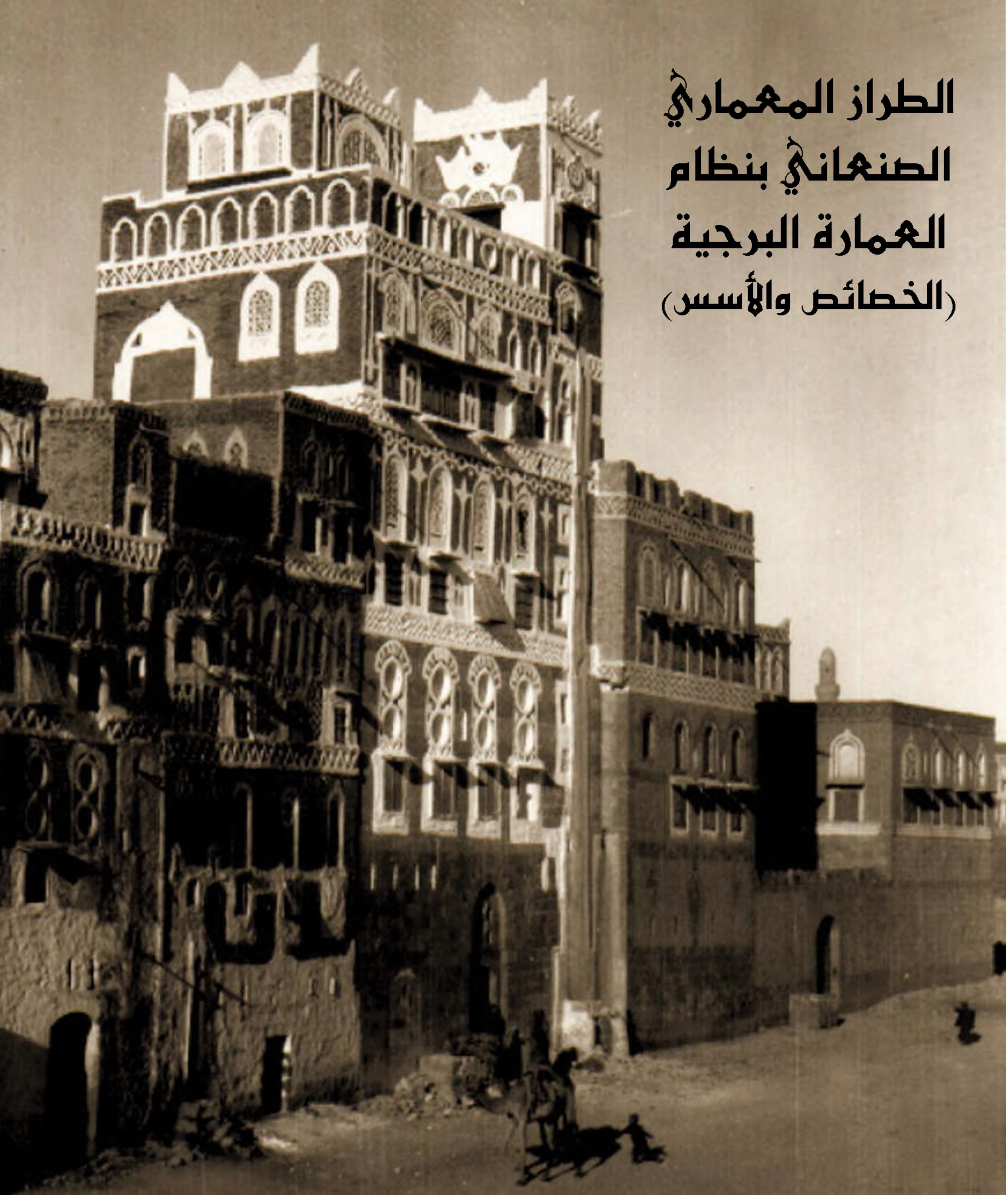
٤. المصدر نفسه ص (٢٢)

٥. المصدر نفسه ص (٥٢)

٦. سلام، ياسين شاهر؛ "استعمال خلطة الرمد البركاني مع الجير المطفاء كمادة تلييس في الجمهورية اليمنية"
The first international conference on implementing local materials in industrial application, Vol.II Jordan ing. Association and Univ. of Jordan, Amman, Sept 6-9,1993

٧. المصدر نفسه ص (٢)

الطراز المعماري الصنعاني بنظام العمارة البرجية
(الخصائص والأسس)



الطراز ناتج عن ثبات المفردات والخصائص والتغير في هذه المفردات يؤدي إلى إنتاج طرز جديدة، والطراز تجسيد للفكر السائد للمجتمع وأسلوب للتعبير عن روح العصر، والطراز يحمل القيم الدلالية للنمط وينتج من تكرار النماذج المعمارية.

وهو نتاج لتفاعل عدة مؤثرات طبيعية، جغرافية وجيولوجية ومناخية، وإنسانية، تاريخية ودينية واجتماعية وأحياناً اقتصادية. والطراز بمعناه العام فن تشكيلي يبرز فيه المعمار قدراته التوثيقية مجتمعة كشاهد إثبات، ويعمل بشكل نسبي في إذابة المؤثرات الخارجية أو الداخلية للطُرز والفنون المعمارية التي سبقته أو التي تعاصره، وفن العمارة له القدرة والإمكانية في تطويع واستيعاب أكبر كمٍّ من العناصر الفنية لبقية أنواع الفنون التشكيلية الأخرى واستخدامها في تكويناته، ولهذا فإنه استطاع أن يستوعب معظم أنواع الفنون التشكيلية في إطار مكونات فضاءاته.

لقد تداخلت التأثيرات الحضارية المعمارية في مسار التاريخ الحضاري الإنساني، ولا سيما في مناطق التحولات الحضارية السريعة لتنتج بذلك فنوناً وطرزاً معماريةً مختلفة على مر العصور، تشكلت وفقاً للاستمرارية المتواترة المتسقة بين تأثيرات العوامل الطبيعية الإنسانية. ويأتي التعامل في هذا مع البيئة الطبيعية كمتغير مكاني ثابت نسبيا، ومع الحدث الإنساني كمتغير زماني، ديناميكي، متسق، متواصل ومتواتر، يعمل على إذابة متغيراته في المؤثرات الأساسية ذات الصياغة المكانية، منتجاً بذلك نسق فن (طراز معماري) ينمو ويتطور وفق متغيرات المتطلبات العصرية والمعطيات المكانية واتساق حركة التأثير الديني والروحي، والذي يعد من أهم عوامل التأثير في إنتاج الفنون وطرزها.

ولصنعاء طراز معماري متميز ومتفرد نشأةً وتطوراً كغيره من الطرز المعمارية، إلا أنه يختلف عنها في ديمومته واستمراريته حتى يومنا هذا، فهو حي تنبض الحياة في فضاءاته المعمارية. وقد سلك المعمار في تشكيلها على أسس ومبادئ وقيم وعلى مواد وتقنيات محددة، فشكّل الطين ومَتَّنَهُ وقَوَّاهُ بالحرق ونحت الحجر وهندمها، ولَطّف وهذب الخشب، وصقل الرخام وطوَّع القص والقضاض، وألان المعدن بخبرته الفنية، وعمل على تشكيل مكوناته المعمارية وفق مقاييسه، المقياس الإنساني، فأنتج جملةً من العناصر الوظيفية، السكنية والدينية والتعليمية والتجارية والخدمية والدفاعية.... وكفنان مرهف الحس حرص على إضفاء البهجة والمرح لكتلها الجامدة باستخدامه المؤثرات المرئية والصوتية الحسية (الجمالية)، لينتج بذلك عملاً خالداً، هو لوحة تشرق ببهاء خطوطها وكتلها اللونية، ومعزوفة سمفونية ترقص أنغامها دون توقف. ولمجمل ما أنتجه المعمار اليمني على مر العصور من فنون معمارية متنوعة ومتعددة الأنماط المعمارية المتباينة في الشكل أساسا، نعُت الإنسان اليمني بأنه معمار بالفطرة. وعمارته لم تأت عفوية، بل عمل في إنتاجها على أسس وقواعد، وذلك لسلوكه مسلك المعرفة في تنمية وتطوير قدراته الإبداعية، واستطاع باقتدار إدارة حركة التفاعل مع النتاج الحضاري الإنساني المعماري بإحساس المبدع، لينتج فناً متميزاً ومتفرداً انصهر فيه ليصبح هذا الفن هو الإنسان والإنسان هو الفن بذاته.

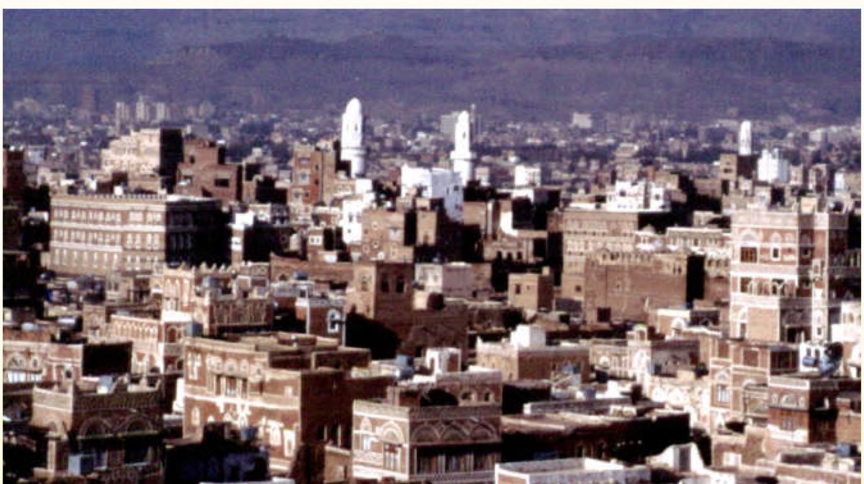
ولم تُعطِ صنعاء المعرفة الإنسانية فناً معمارياً متميزاً وفريداً فحسب، بل أبدعت نظاماً وطرازاً معمارياً يحمل اسمها، إنه الطراز الذي أعتمد النظام البرجي بإملاء الحاجة عليه وتوجيهها له، باعتماد طرق مبتكرة في الاستغلال الأمثل للأرض (الزراعة أولاً ومن ثم البناء). ولهذا لجأ إلى الأراضي البور وإلى ألسُن وحواف المرتفعات والجبال وكذلك عروضها وأعاليها ليكتسب بذلك خاصية أمنية ودفاعية ووقائية أيضاً. وشمل هذا الطراز المعماري، النظام البرجي، كلَّ حواضر وريف اليمن القديم والإسلامي والحديث في هذه الخاصية وحتى يومنا هذا وإن تباينت أنماطه.



وقديماً ارتقى هذا الطراز ليصبح أحد أهم الطرز المعمارية التي أنتجتها حضارات الشرق القديم وروافدها. ويذكر آدم متز أنه "كان في المملكة الإسلامية أربعة أنواع من المدن: مدن على الطراز اليوناني، في صورته الشرقية، والمعروف في حوض البحر الأبيض المتوسط، والمدن التي على طراز جنوب جزيرة العرب [اليمن] مثل مدينة صنعاء، ومن هذا الطراز مكة والفسطاط؛ والمدن التي كانت تشيد على الطراز البابلي؛ والمدن التي كانت على الطراز المعروف في شرق المملكة الإسلامية"[1]. وما قصر غمدان إلا مثال في ذاكرة التاريخ لمنشأ نظام العمارة البرجية، ذي وظائف إدارية سكنية بناءٌ برجه عالٍ طوابقه تعلو بعضها وهي في الأرجح عشرة ولم يكن هرماً أو زاقورة. وساهمت التجربة المتواترة المعارف في إنتاج عمارة تتجه فضاءاتها رأسياً لتصل إلى العشرة طوابق، بينما لم تبلغ الطابقين والثلاثة في بقية الطرز المعمارية القديمة، كما كان لاستخدام المقياس الإنساني كوحدة قياس مثلى في إيجاد الفضاءات الوظيفية المتطلبة للعمارة الصنعانية وفق مقتضيات الحركة والتكييف المناخي المريح حرارياً وضوئياً، ولتعزيز الثقة بمقدرة النمو الفضائي للوظائف المعمارية تصاعدياً، في الاتجاه الرأسي، كما أعطت مرونة وخفة أوزان، أثقال، مواد البناء المستخلصة من الطين المحروق الآجر والمجفف (اللبن) مجالا أوسع في إنتاج عمارة هذا الطراز بنظامه البرجي المبتكر والذي انتشر بل وساد جنوب الجزيرة العربية، وخير شاهد على هذا عمارة وادي حضرموت، ولا سيما (شبَام حَضْرمَوت) وعمارتها الموصوفة بناطحات السحاب الطينية في قلب الصحراء والتي ترتفع مبانيها حتى (٨ طوابق) ويعمر يصل إلى نحو (٥٠٠سنة) وكذلك هي الهَجْرَين وعَزَّان وغيرها.

ولم يقتصر هذا على العمارة الطينية فحسب، بل ارتقت العمارة بالحجر، ذات خاصية الثقل الأكبر، لتصل مبانيها إلى علو أكثر من (٥ طوابق) مثال الهَجَرَة في حراز والمطلة على مدينة مناخة، ومدينة جِبْلَة ومدنية ثلاء وكَوْكَبان وغيرها.

وبالنظر إلى الحجم، الكمي والنوعي، النسبي لهذا الإنجاز، فناً وعلماً وتقنيةً، نجد أن مدينة صنعاء هي التي صاغت الأسس الأولى للعمارة البرجية وأرست معارفها وقيمها المعمارية والإنشائية الأولى وأوجدت المفاهيم والأسس في التعامل مع قوة وصلابة ومتانة ومرونة مواد البناء وتقنية تقليل الأحمال والأثقال كلما ازداد اتجاه البناء تصاعدياً ودرء الأخطار والكوارث كتأثير الرياح والهزات الأرضية (الزلازل) وغيرها من العوامل المؤثرة على المباني العالية (البرجية) ذات الفضاءات الوظيفية. وحتى يكون ذلك ممكناً ابتكر نظام البناء بالنواة (القُطْب).



---

١ . متز، آدم، "الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري أو عصر النهضة في الإسلام": ترجمة: محمد عبد الهادي أبو ريدة؛ المجلد الثاني؛ دار الكتاب العربي؛ بيروت؛ ١٩٦٧؛ ص (٢٧٣).

وقصر غُمدان هو النمط الأول لنظام العمارة البرجية، والذي اعتمد القطب محور الارتكاز الإنشائي إذ يعمل في تجميع وتفريغ قوى الأثقال وتخفيفها لحدة ثقل حملها على الجدران الحاملة، الداخلية والخارجية، والقطب كتلة صمَّاء صلدة قوية من الأحجار سماكتها تقل تدريجياً في الطوابق العليا وتلتف حوله الدَّرج كونه محور الارتكاز الإنشائي للمباني العالية الارتفاع في العمارة الصنعانية خاصة وبقية أنماط العمارة اليمنية البرجية الأخرى بوجه عام، وبهذا أرسى القطب نظاماً إنشائياً يعرف حديثاً بنظام البناء بالنواة ومثل البداية لهذا النظام. والقطب نظام معماري إنشائي انحصر في عمارة صنعاء على المباني العالية، السكنية وسماسر الإيواء الكبيرة، أما المساجد وسماسر الخزن والتسويق والحمامات فلم تعتمده لأنها مكونة من طابق واحد في الغالب، ولكن أبراج المآذن هي الأخرى قد اعتمدته، ولزيادة ارتفاع المبنى وعدد طوابقه عمل المعمار في هذا على اعتماد الميل غير المنظور لعرض الجدران الخارجية وتقليل سماكة الجدران كلما اعتلى البناء بزيادة الفراغات الضوئية في اتجاه الداخل، حيث تكون السماكة الكبيرة في الطوابق السفلى وتقل تصاعدياً في الطوابق العليا لتصل إلى أقل من (٤٠ سم) في الطوابق الأخيرة.

إن الاتجاه الرأسي للعمارة السكنية البرجية وعلو مئذنة المسجد، وتزايد الاهتمام والعناية في التشكيل الخارجي لكتل المباني العالية، من مبانٍ سكنية وسماسر وأبدان مآذن، يدل على تنامي الصلة العاطفية فكلما اتجه البناء نحو الأعلى أو كلما ارتفع موضعه المكاني، تنامى بشكل تصاعدي مستوى الاهتمام بالتشكيل المعماري والزخرفي الخارجي والداخلي لكتله وعناصره، ليبلغ ذروته في الطوابق العليا والأخيرة على وجه الخصوص، وعلى عكس ذلك يقل الاهتمام والعناية في التشكيل المعماري الزخرفي الخارجي والداخلي لكتل وعناصر المباني بما في ذلك العالية في الطوابق السفلى، ذات الخاصية الاستخدامية الاقتصادية والخدمية الأكثر مادية منها روحية. ومن أهم الخصائص المعمارية خاصية توجيه المباني عموماً، فالخلفيات لا تطل على الشوارع وتفتح على الحدائق والبساتين والمقاشم ويكتسب هذا بالإضافة إلى بعده البيئي بعداً اجتماعياً في مفهوم علاقة الجوار، ووفق المبادئ والأسس والمعايير العلمية من عوامل ومؤثرات في نشأة وتطور أي طراز معماري كان، ومدينة صنعاء تميزت عن غيرها من المدن المؤسسة بطرز معمارية محددة أو التي عاشت وتعايشت مع طرز معمارية متنوعة، مثل (روما، دمشق، القاهرة، اسطنبول،



باريس، وغيرها)، في أنها أسست طرازاً معمارياً نشأ ونما وتطور عبر عصور امتدت لأكثر من (٢٠٠٠سنة)، ولا تزال تعيش هذا الطراز ذا الاستدامة والاستمرارية حتى يومنا هذا، متشبثة به كأنه وَلَدٌ ولدته ولا تزال ترعاه حتى شبَّ ونَضَجَ وأصبح أكثرَ عطاءً وحيويةً وشباباً. وكل أرجاء فضاءاتها تفوح بعبق التاريخ وتحيا حياة وروح العصر. وكما عاشت عليه في هذا على مر العصور السالفة، وبنهج التواكب وتطويع الاحتياجات والمتطلبات العصرية ورفدها بمعطيات ومتطلبات التعامل والتفاعل الإيجابي بالتهذيب للجديد، وتكييفه، وليس التكيّف معه، أي بفرض وإملاء تعامله مع الواقع وتلاؤمه معه، ولهذا كان تميزها وتفردها وتفرد طرازها عن غيره، وساهم في ذلك البعد الجغرافي عن بؤر التفاعل بين طرز العمارة الشرقية والغربية القديمة والوسيطة والحديثة والتي كانت فيها المدن الرئيسية مثل (روما، دمشق، اسطنبول، القاهرة، بغداد) محور تفاعلها مما أحدث في ذلك تحولات وتغيرات كبيرة بين كل عصر والعصر الذي يعقبه وبين كل مرحلة والمرحلة التي تعقبها. وكان نتاج ذلك التباين النسبي فروقاتها (الصغيرة أو الكبيرة) بين الطرز المعمارية المتعاقبة عليها وأنماطها النوعية المحددة. وعلى مر العصور كان متميزاً ومتفرداً ولا يزال أحاديَّ الهوية والانتماء المكاني والزماني، وبرز أكثر مكانةً وعظُم شأنه في العصور الإسلامية حين أسهم في رفد الفنون المعمارية الإسلامية بالكثير من الأبجديات المعمارية الأولى ذات الخاصية الوظيفية الإسلامية.



قطاع مبنى سكني برجي (بيت غمضان) يوضح قطب المبنيين

ومدينة صنعاء القديمة نشأت واكتسبت صبغتها الحالية بتطور طبيعي فطري في المراحل الأولى، العصور القديمة، وفيها وضعت القواعد الأولى التي تمثلت بالالتزامات والضوابط والقيود، الدينية والاجتماعية والثقافية، وأصبحت ذات كثافة عالية، في مراحل العصور الوسطى الإسلامية والحديثة عند اكتمالها. وأسس التخطيط الحضري والتصميم المعماري لمدينة صنعاء ومبانيها تستمد أصالتها من بيئتها، فالمجتمع اليمني له عاداته وتقاليده وبيئته الخاصة، لذلك فإن هذه العمارة ناتجة عن ثقافة واعية هي حصيلة تفاعل الإنسان اليمني مع البيئة المحيطة ويظهر هذا جليا في طراز عمارتها.

إن الأسس التخطيطية التي تم استخلاصها في هذا الكتاب ما هي إلا جزء بسيط من مجموعة كبيرة من المبادئ والأسس والقواعد التي تم استعراضها وبتداخل في الكثير من الموضوعات العامة والتفصيلية.

كما أن البيئة العمرانية للمدينة لم تعتمد في نشأتها على تخصص العمارة أو التخطيط فقط، ولكن على أسس وضعتها الشريعة أيضاً.

وعناصر تكوين المدينة تم تأكيد تركيزها بعناية كبيرة في المواقع التي تتناسب مع أهميتها الحضرية وعلاقتها ببعضها البعض لتصيغ بذلك منظومة متكاملة من المبادئ والنظم والقواعد والأسس التخطيطية وبها كان:

- الجامع الكبير، المركز الروحي والعلمي للمدينة وعقلها.
- المسجد، المركز الروحي والعلمي للحارة.
- الساحة (الصرحة)، مكان الالتقاء والتجمع والاحتفال، قلب الحارة ومركز توزيع الحركة فيها.
- السوق، منظومة تخصصية تكاملية، قلب المدينة ومركز توزيع الحركة فيها.
- المبنى السكني، الوحدة الأساسية في تكوين الحارة والحي والمدينة (الخلية).
- المقشامة والبستان، رئتا المدينة بيئياً وأمنها الاقتصادي.
- الطرقات والأزقة، شرايين وأوردة المدينة، الروابط التي توصل بين عناصر تكوينها المختلفة.

وفضلاً عن ذلك يمكن حصر أهم خصائص وأسس التخطيط الحضري لعمارة صنعاء في الآتي:

- التكوين العام للمدينة هو منظومة متكاملة جمعت في نسقها جملة من الوظائف لتلبية حاجات ورغبات الإنسان الروحية والمادية والفكرية، ويبدو هذا واضحاً من خلال تنوع تكويناتها المعمارية التي حوت هذه الأنشطة الحيوية في نسيج عضوي متماسك بعناصره ومفرداته المختلفة والمترابطة عضوياً وبصرياً والمتنوعة الأحجام والسطوح والارتفاعات، وهذا هو المبدأ التكويني المتسق والمنسجم مع احتياجات الإنسان ومتطلباته، وقد أثبت قدرته على الوفاء بهذه الاحتياجات مع مواكبته لمعطيات المتغيرات الزمنية المتنامية باطراد في مسار تطوره على مر العصور.

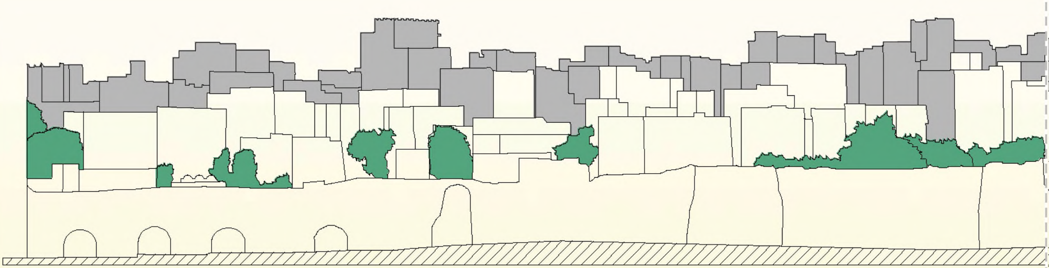


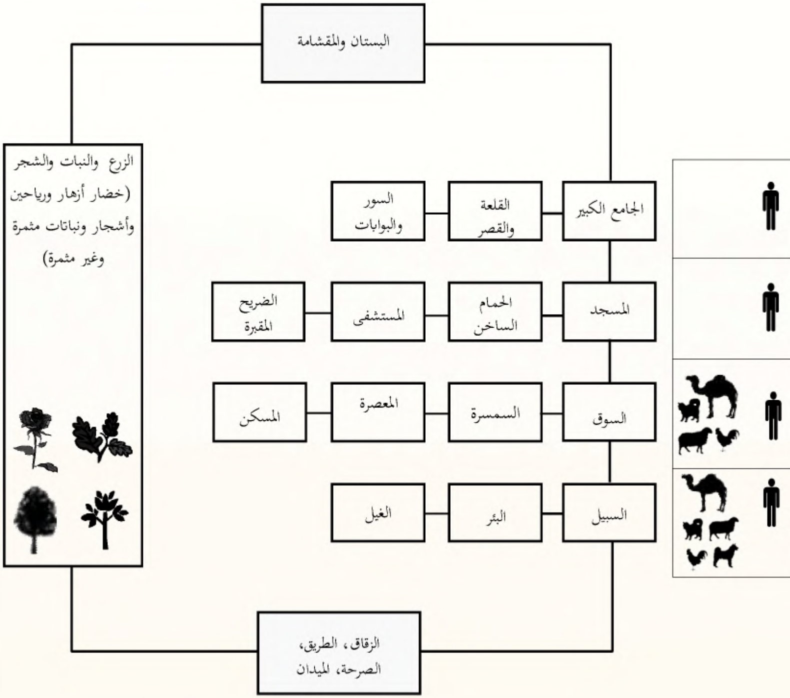
- حقق نظم النسيج المعماري للحارة خاصة والمدينة عامة التآلف السكاني وذلك بالاستفادة من أسلوب تخطيط المدينة والحارات، الذي عمل بنقاط الوصل في تشجيع الساكنين على التعارف والتآلف فيما بينهم، فتكوين المباني السكنية المتراصة والملتصقة ببعضها والملتفة حول ساحة (صرحة) مشتركة صغيرة نسبياً عملت وكأنها همزة الوصل لالتقاء السكان ببعضهم البعض وتنمية أواصر العلاقات الاجتماعية منذ نشأتهم الأولى، وذلك لكون الصرحة المكان المفضل والآمن للعب الأطفال.
- حركة المشاة هي الحركة الأساسية في المدينة، وفضاءاتها تخترق المجموعات السكنية، الحارات، مؤدية إلى الخدمات الفرعية والرئيسية، وقد روعي في التشكيل الفضائي لهذه الممرات مقياس الإنسان في الحركة راجلاً أو راكباً، ونوع الراحلة (الدابة)، ولهذا تمت معالجة أركان جدران المباني في منعطفات الحركة الضيقة للطرقات. وتنتظم الحركة بشبكة الطرق والأزقة التي تتفرع من المحاور الرئيسية والتي تربط مركز المدينة بأطرافها والمناطق البعيدة عن طريق البوابات كما تربط الأحياء السكنية ببعضها وببقية المدينة، وفضاءات الحركة متنوعة ومختلفة تماماً عن بعضها البعض وبتباين نسبي من حيث الشكل والحجم، والانتقال المفاجئ بين كل فضاء وآخر عبر مجموعة عناصر الاتصال والربط، الضيقة والواسعة، تبرز العديد من عناصر المفاجأة المثيرة للدهشة لتعمل بإنتظام وبشكل دوري على كسر الملل، وذلك من خلال الانتقال بين عناصر متباينة الشكل واللون والملمس، وبهذا تمثل المدينة في مجموعها جسما عضويا يعكس القيم الدينية والمعنوية والتنظيمية للمجتمع الإسلامي.
- المركز الرئيسي للمدينة بكل عناصر تكوينه يتوسطها تقريباً ويخدم جميع أحياء وحارات المدينة وأهم مكونات مركز المدينة هو الجامع الكبير والمساجد في حدوده والأسواق التخصصية، التجارية والإنتاجية، والسماسر والسبل والحمامات الساخنة في أطرافه.
- المبنى السكني هو الوحدة الأساسية لتكوين الحارة وهو النواة الذي بتلاصقه مع المباني الأخرى تتكون الوحدة السكنية فالحارة هي الخلية الأساسية للمدينة.

والنظام الرأسي الذي تميزت به مباني الوحدات السكنية جعلها في علاقة مباشرة بالخارج وخاصة الشمس والهواء من خلال الفتحات التي تميزت بالتنوع في تشكيلها وزخرفتها والتي تضاهي بل تفوق في قيمتها المعمارية والفنية ما نشاهده في الأحواش والأفنية الداخلية للبيوت العربية التقليدية.

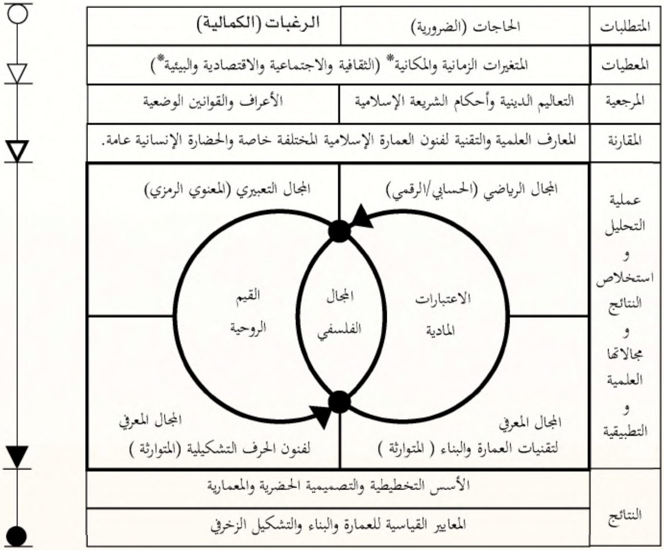


- سمة عمارة صنعاء يحكمها التكوين الحضري ذو الصبغة السكنية والذي يشكل صورة المدينة اليمنية المميزة في طراز عمارتها من حيث أسلوب التجمعات السكنية حول الحدائق (البساتين والمقاشم) كفراغ عام، ويأتي هذا على نقيض ما نراه في مدن شمال أفريقيا والشام حيث التكوينات العمرانية السكنية هناك تختص بفراغها المفتوح (الفناء) ضمن المبنى السكني (البيت)، وكلتا الحالتين تتفقان في معالجة المؤثرات البيئية، إدخال الضوء والتهوية إلى الفراغ المسكون، والخصوصية والاختلاف الجوهري بين تصميم المبنى السكني في عمارة صنعاء عن غيره في البلدان العربية الإسلامية هو الاتجاه الرأسي والانفتاح نحو الخارج.
- تميزت المدينة بتدرجاتها الفضائية وذلك بالانتقال من خاص (المبنى السكني) إلى عام نسبيا (الطريق والزقاق) ثم أعم (الصرحة) وإلى أكثر عمومية (السوق).
- الطبيعة الطبوغرافية لسطح المدينة المتدرج الذي جعل كل صف من المباني يرتفع عن الصف الآخر والذي سمح لكتل المباني بوصول الهواء وأشعة الشمس إلى اكبر عدد من منازل ومرافق المدينة، الدينية والتجارية والخدمية.
- امتازت الحارة بتراص دورها دون مفاصل مميزة في الغالب وبشكل يناسب قطعة الأرض المخصصة والمحددة في ملكيتها لكل مبنى ودار سكني، وإن جاء هذا التراص نتيجة دفاعية.
- التكوين المتماسك للحارة يعزز كفاءة الجانب الأمني، فأهل الحارة من رجال ونساء وأطفال يعرف بعضهم بعضاً، ولذا فإن الغريب الذي يدخل إلى ساحات وطرقات وأزقة الحارة يصبح محط الأنظار والمراقبة إلى حين التأكد من غرضه ويكون من السهل السيطرة عليه لتعقيد هذا النظام.
- شكل التداخل الكثيف للبساتين والمقاشم في التكوين العام للمدينة أهم السمات الرئيسية للنسيج المعماري وأسهم في تكوين خصوصيته. وهذه المناطق الواسعة تبدو بمثابة فراغات بيئية تلتف حولها المباني السكنية والمساجد وتحيط بها.
- يتسم تكوين النسيج المعماري للمدينة بالتنوع الوظيفي لمكوناته والتباين لارتفاعات كتلها المتنوعة وتناغم حركتها، مما أبرز وبوضوح سمة خط السماء المميز لملامح شخصية المدينة.





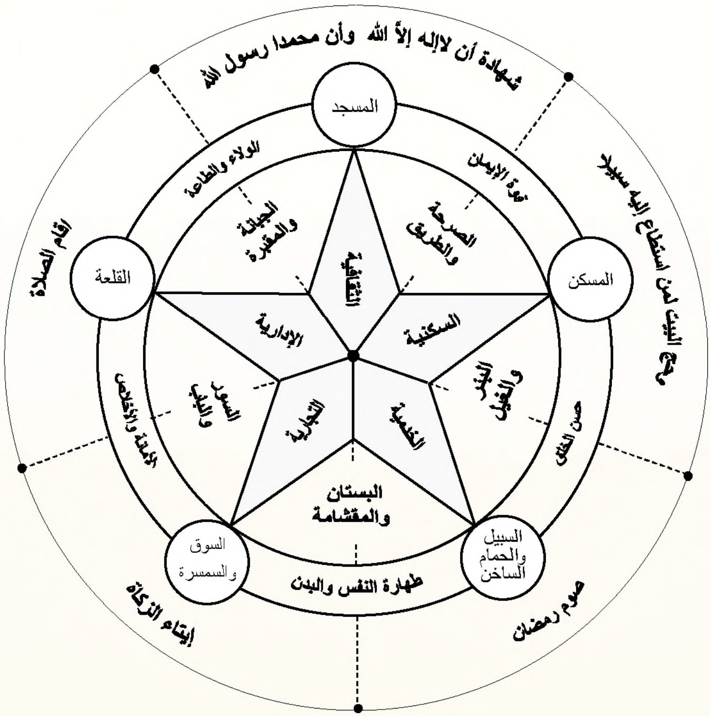
العلاقات التبادلية لعناصر التكوين العضوي (الحي) للمدينة



* المعطيات المكانية (البيئة) ثابتة في حالة المكان الواحد كمثل حال مدينة صنعاء القديمة (موضوع هذه الدراسة)

المنطلقات الأساسية للفكر المعماري ومضمونه الإسلامي في عمارة صنعاء

بناءً على ما تم استخلاصه في هذه الدراسة من خصائص وقيم معمارية صاغت الكثير من الأسس التخطيطية والتصميمية الحضرية والمعمارية لطراز عمارة صنعاء، وفي ضوء ما أوضحته الأشكال التحليلية للعلاقات (الدياجرامات) في ترجمتها لمضامين التحليل الوصفي للخصائص والقيم المعمارية، الوظيفية والجمالية، في سلوك التشكيل المعماري، لفضاءات المدينة، أو فضاءات مكوناتها النوعية وعناصرها، المعمارية والزخرفية، إلى أسس تخطيطية وتصميمية حضرية ومعمارية وبلغة الشكل البياني، ولمجمل ذلك ومن خلال التحليل المقارن أمكن تحديد ورسم علاقات هيكل آلية وضع الأسس المعمارية، التخطيطية والتصميمية، والمعايير القياسية للعمارة والبناء والتشكيل الزخرفي، وهي وإن جاءت بصيغ عرفية أكثر منها نصية إلا أن قاعدة المنطلقات الأساسية لآلية استخلاصها يعكس وبوضوح الفكر المعماري ومضمونه الإسلامي في عمارة صنعاء.



بلاغة التشبيه بين الصورة وانعكاسها في علاقات التكوين العضوي (المادي والروحي) لمدينة صنعاء القديمة

إن نظم العلاقات الرئيسية المكونة للنسيج المعماري لمدينة صنعاء القديمة يأتي منسجماً من حيث الترتيب والشكل ومضمون أركان الإسلام الخمسة. والترتيب المتسلسل للمكونات الرئيسية لهذا النسيج تعبر وفق هذا التشكيل عن معاني القيم الإسلامية الأساسية من حيث علاقة الإنسان بخالقه وحاكمه وذويه ومجتمعه، وكذلك سلوكه في علاقات التعامل والمعاملة.... والبناء الهيكلي لهذا الشكل يعبر في نسقه المتسق والمنسجم للعلاقات ودلالات معانيها عن روح التكوين العضوي (الحي) للمدينة ومضمونه الإسلامي.



علاقات الجوار (أهم مصادر أسس التخطيط والتصميم الحضري والمعماري للمدينة)

لعلاقة الجوار أهمية كبيرة في توجيه تكوين الحارة والمدينة (تخطيطياً) والمنشأة والمبنى (تصميمياً). والتكوين العام للمدينة، فضاءات ساحات، وطرقات وأزقة ومباني سكنية ودينية وأسواق ومساحات خضراء، هو انعكاس لنظم وتقويم الكثير من العلاقات الاجتماعية والثقافية للمجتمع ويرتكز هذا في مجمله على مجموعة من المفاهيم والمبادئ والأسس التي ترتقي لتشكل منظومة من القيم المتداخلة والمعتمدة في الأساس على المسئولية، الفردية، والجماعية، الشعبية والرسمية، وعلى مبدأ (لا ضرر ولا ضرار) وكذلك المبادرة، وأهم هذه العلاقات هي:

الخصوصية

وتعنى بالكثير من الاهتمام، أكان في تكوين الحارة والمدينة، أو في تكوين المباني وبالأخص السكنية وفي تشكيل فضاءاتها الوظيفية. ويولي المعمار والمالك أهمية كبيرة للخصوصية في العملية التصميمية للمبنى السكني من الداخل والخارج. ومن أهم تأثير علاقة الخصوصية بالعملية التصميمية هي:

عدم فتح النوافذ مباشرة على واجهة المبنى السكني للجار وعند الضرورة القصوى تتوجب المعالجة الآتية:

- التراجع قليلاً إلى الداخل في فتح النوافذ بما يشبه الشرفة الصغيرة، وابتكر لذلك عنصر معماري هو (الجرف) والمتراجع إلى الداخل بنحو (٠.٧-١م) في الغالب يعلوه عقد مخموس (مركن) أو نصف دائري، وتفتح فيه (١- ٣ نوافذ)، ويستخدم الفضاء المزاح في وضع أواني (جول، ج: أجوال) النباتات الزهرية والعطرية.
- عمل المشربيات التي تؤمن حجب الرؤية من الخارج والسماح لها من الداخل.
- رفع الجدران الساترة لشرفات السطح (الجبا) ذي الاستخدام الوظيفي (المعيشي والخدمي).
- تغطية فتحات الإضاءة بألواح الرخام الشفاف (القمرية)، وذلك لتأمين نفاذ الضوء، دون السماح بدخول تيار الهواء حين اشتداد البرد، وحجب الرؤية.

توجيه المبنى السكني اعتمد مبادئ وعلاقات الجوار وأهم الاستخلاصات في هذا الآتي:

- عدم توجيه الواجهة الخلفية للمبنى السكني إلى الواجهة الرئيسية أو الجانبية لأي مبنى سكني آخر في الجوار.
- التوافق المنسجم المراعي لحقوق الجار في الحصول على، إضاءة طبيعية، ونفاذ ضوء الشمس النسبي لكل الفضاءات الوظيفية للمبنى السكني للجار وكذلك تمكينه من التهوية الطبيعية وتحقيق أنسب إطلالة ممكنة على المحيط.

وأهم ما اعتُمد معمارياً في علاقات الجوار وخصوصياتها للمباني العامة هو توجيه مدخل الحمام الساخن وبإزاحة في الغالب بعيداً عن الساحات والطرق الرئيسية وبانكسار يوفر لداخله الخصوصية في حين تم اعتماد ممر منكسر بين المدخل وفضاء المخلع. ولهذا الغرض أيضاً قسم الجدول الأسبوعي بين الرجال والنساء (الدَّول) حيث حظي الرجال بنصيب كبير في وسط المدينة وخاصة في حمام سوق البقر (حمام محمود)، ولكن حمامات حارات أطراف المدينة انعكس فيها الدول لصالح النساء.



١

١. المشربية والقمرية
٢. الجرف



٢

الحركة

الحديث عن الحركة يتداخل في الأساس مع الخصوصية والانتفاع والنظافة وكذلك التوجيه لكل من الحركة الداخلية في المباني أو الخارجية في فضاءات الحارة والسوق خاصة والمدينة عامة، وفي هذا يأتي الدور العمراني، الخاص والعام، في تأمينها. وفي حدود الحارة يمثل الجوار محور المسؤولية المحدود، الخاص، وتقع المسؤولية الاجتماعية الشعبية على الفرد والأسرة، والرسمية على عاقل الحارة ومعاونيه في تأمينها.

وفي السوق تقع المسؤولية الاجتماعية، الفردية الخاصة، على المتسوق والتاجر والحرفي والبائع أما الرسمية فهي من مسئولية شيخ السوق وشيخ الليل والحراس في أبراج المراقبة. أما الحركة في محيط المدينة عامة، فإن المسؤولية في تأمينها الاجتماعي، تقع على كل من سبق ذكرهم (الحارة والسوق)، وتتعاظم في هذا المسؤولية الرسمية والتي يمثلها إدارياً في الأساس الحاكم وشيخ المدينة (أمين العاصمة حالياً) ومساعدوهم والقاضي وإمام وخطيب المسجد الجامع (الجامع الكبير) وكذلك الجند ورجال الأمن (العسس).

وتوجيه الحركة معمارياً، تخطيطياً وتصميمياً، اعتمد على مبدأين في علاقة الجوار، الأول ويعني الإدراك وأهم معطياته هي توفير القدر الكافي من المرونة في تسهيل وتبسيط عملية الإحساس والوعي بالمكان لساكن المدينة وزائرها وضيفها الصديق، والتي حددتها بوضوح المعالم المعمارية، وتأتي المئذنة أهم معالم توجيه الحركة للحارة خاصة والمدينة عامة. والثاني يهدف إلى إحداث حالة من الإرباك للمعتدي، ضمان فاعلية مقاومته والسيطرة على حركته، وذلك بجعل الحركة ما بين صرحات الحارات طرقها وأزقتها، المفتوحة والمغلقة، ضيقة ومتعرجة، والتي عمد في تخطيطها لتأتي ملبية لمعطيات الحركة بإدنى الحدود الممكنة والمريحة معاً، واعتبر الجمل المحمل بالبضائع وراكبه المعيار القياسي لتحديد أوفى مجال مساحي ممكن. وقد تمت معالجة أركان المباني التي تقع في زوايا تحول الحركة المختلفة بين الطرق والأزقة بإزاحتها إلى الداخل بتضليعها أو باستدارتها وفقا لمجال الحركة الرأسي للجمل المحمل وراكبه وعمد المعمار بعد ذلك ومن خلال المقرنصات البسيطة أو التدرج المتسلسل للعناصر الإنشائية النافرة إلى تحقيق انتظام ركن المبنى في أعلاه بعد الإزاحة المحققة للغرض من حيث الارتفاع.

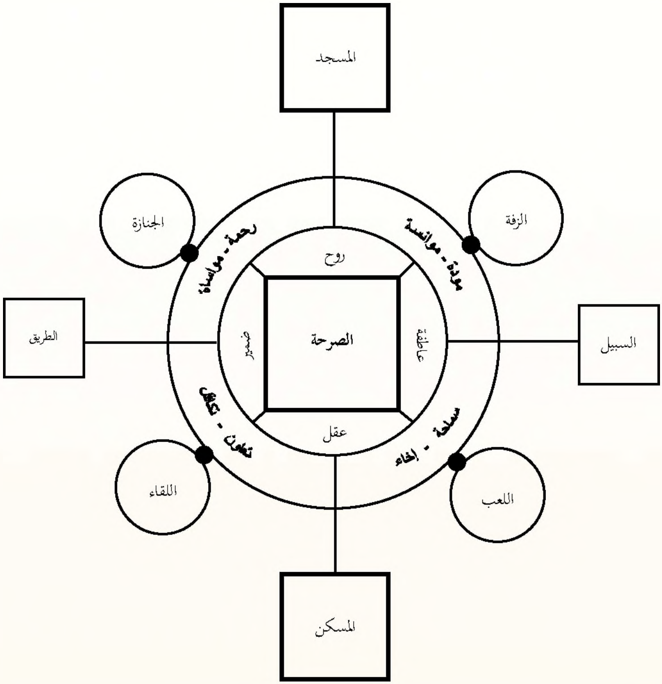
ومن أهم معاني الاستخدام الوظيفي المعماري للحركة هو الجسر الرابط بين حي السرار الشرقي وحي السرار الغربي للمدينة وكذلك الجسران المقنطران الملتصقان بسور المدينة من جهتي الشمال والجنوب وعلى طرفي السايلة، الخندق الشمالي والخندق الجنوبي.

فضلاً عن الممر المحصن في سطح جدار السور ووظيفته المراقبة والحراسة، الحماية والدفاع، رسمياً وشعبياً، كل أفراد المجتمع القادرين.

والحركة متعددة ومتنوعة وظيفياً ولها حدود جوار خاصة مشتركة في التنظيف والكنس الإلزامي، وفي هذا تتمثل الشراكة في الصرحات والطرق.... والطريق والصرحة هي فضاءات العبور والنقل واللقاء والتجمع لغرض الفرح كزفة العريس، أو الترح في الاستعداد لوداع المتوفي. وكما تمثل الصرحة أهم فضاء وظيفي في توزيع الحركة تعمل أيضاً في تأمين الفضاء المناسب للعب أطفال الحارة (الجوار)، ففيه تتم النشأة الأولى للأجيال بكل انعكاسات علاقات الجوار التربوية (الاجتماعية - الثقافية).



الصرحة منطقة جمع وتوزيع الحركة، وساحة للعب الأطفال



الصرحة (ساحة الحارة) محطة رئيسية لنسج العلاقات الإجتماعية للجوار لكونها مركز جمع وتوزيع الحركة

تلعب الصرحة دور هام في نسج أهم علاقات الجوار للحارة السكنية وهي بهذا تعتبر المركز الأساس ومحطة إلتقاء كل محاور الربط بين العناصر المعمارية ذات علاقة الشراكة في القيم (الروحية والمادية) بعلاقات الجوار. ويمثل كل من المسجد والمبنى السكني محور الأساس للبعد الثقافي والاجتماعي في علاقاتها فيما يمثل كل من السبيل والطريق محور البعد الاجتماعي الأمني لهذه العلاقات.

النظافة

وصفت مدينة صنعاء في المصادر التاريخية بأنها كانت من أنظف مدن العالم. ويتداول هذا حتى الآن لدى العامة بأنه لم يكن يخرج من البيت (المبنى السكني) سوى الرماد، وحتى الرماد كان يرد إلى مواضع خاصة به في أطراف الحارات (المرمدة) وكانت تحاط بجدران ترتفع إلى نحو (١-١.٥م) ومساحتها متباينة وفق الكثافة السكانية والمعمارية (البنائية) للحارة وهي في المتوسط (٥-٦م٢).

النظافة وإن بدت وكأنها عمل طوعي وبمبادرة ذاتية إلا أنها وبفعل تنامي روح المسئولية الفردية والجماعية المستمدة من القيم والتشريعات الإسلامية والأعراف والتقاليد الاجتماعية، نظمت بآليات تداخلت فيما بينها من حيث العمل الفردي والجماعي، الشعبي والرسمي، وارتقت بذلك لتصبح من أهم المميزات والخصائص الحضرية المعمارية للمدينة. وحددت هذه الآليات الحدود والفواصل بين الجار وجاره لمساحات التنظيف للأزقة والطرقات والساحات الفاصلة بين مبان الجوار. ونجد في هذا أنه ينظف الجار مساحة من الجوار وفي كل الاتجاهات تتجاوز الحدود الفاصلة بين مباني الجوار من الجهتين وبنحو (٢-٣م) في المتوسط.

وإذا كان الكنس وجمع المخلفات الصلبة هو أساس النظافة، لكن النظافة لا تكتمل حدودها بهذا للحد والتقليل من آثار الأتربة، وخاصة بعد أن طمرت أرضية الساحات والصرحات المبلطة بالحجارة بطبقات، طينية ورملية. يلزم بعد ذلك رشها بالماء في نطاق حدود الجوار للحد من تأثير الرياح وحركة الإنسان والدابة والماشية في إثارتها وبتصاعد غبار الأتربة منها يتلوث الجو.

ولهذا نجد أن عدداً من المؤرخين عمدوا في وصفهم لصنعاء إلى إبراز النظافة والتي أتت كقيمة حضارية ملازمة للحديث عنها.

الانتفاع

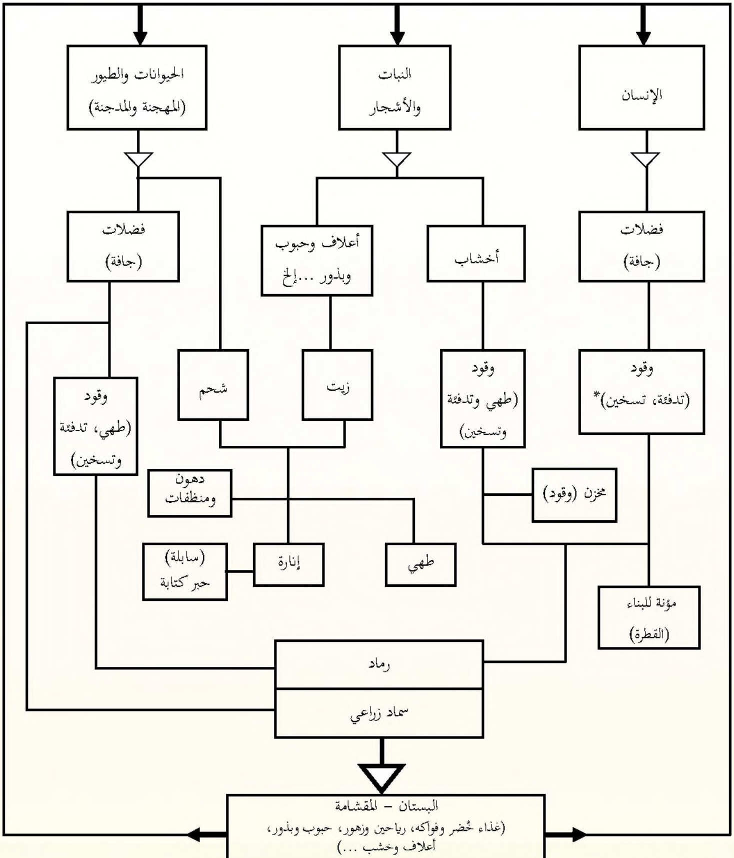
الانتفاع متعدد ومتنوع وهو نتاج لجملة من علاقات الجوار (العمرانية والمعمارية) وبإيجاز نستعرض أهمها:

- التصاق المباني حيث يتم استخدام علاقة الجوار بمجمل معانيها، كمبادئ وأسس تعني الترابط والتآلف، ويتمثل ذلك في لصق أكثر من جدار خارجي للمبنى مع مباني الجوار في اتجاه واتجاهين أو أكثر، ووفقاً لاعتبارات تبادل المنفعة في العمليتين التصميمية والتخطيطية.
- الاستخدام الأمثل للفضاءات الوظيفية المتداخلة في التكوين المعماري للوحدات السكنية، ويتضح هذا في الوحدة السكنية (فايع) والتي تتكون من (٥) مبانٍ سكنية بعضها يتداخل مع الآخر في التكوين المعماري، الوظيفي والإنشائي، وإن كان ذلك نتاجاً لأهلية وحدة التكوين حين النشأة من حيث الملكية ولكن تقسيم الإرث بين الورثة والبيع الاضطراري ومن ثم البناء الجديد جاء هذا التداخل وهو من خواص الانتفاع.
- ومن خصائص الانتفاع الوظيفي التمكين، وذلك في تمكين الجار من استخدام فضاءات مبنى الجار الآخر، الملاصق أو القريب، في إحياء المناسبات وأهمها، المواساة في العزاء في فقدان عزيز أو في إحياء حفلات أفراح الأعراس والختان وتوديع الحاج واستقباله....

ومن أهم مظاهر الانتفاع (التمكين) في علاقات الجوار هي:

- تسخير الجهد والوقت وبأقصى حدوده، لكل أفراد الأسرة المتواجدين وفق القدرة والإمكانية.
- تسخير كل الإمكانيات والقدرات المادية الممكنة، التجهيزات والفرش.





* للحمامات الساخنة (فقط)

هيكل علاقات نظم تدوير المخلفات والعوادم في صنعاء القديمة

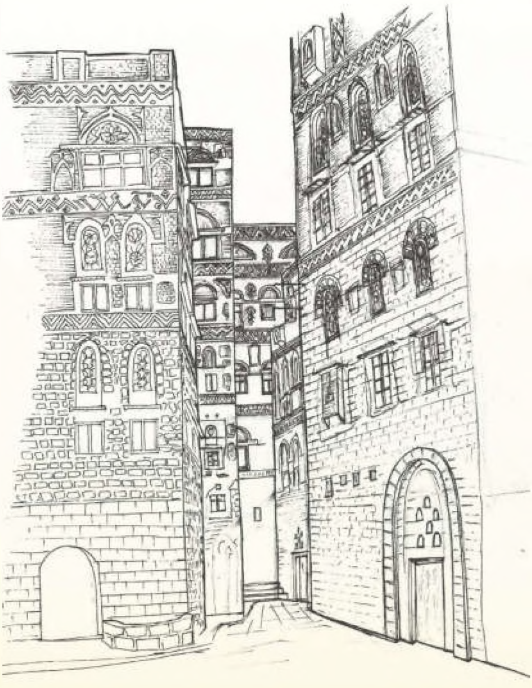
إن هذه العلاقات وإن تمثلت في تكوينها الأساسي بالنواحي الاجتماعية الاقتصادية الذاتية (الخاصة) لعناصر تكوين المدينة والحارة كالمبنى السكني وسمسرة الإيواء والخزن والحانوت والمقشامة ...، إلا أن محصلتها النهائية هي نظافة المدينة لتبرز بهذا أهميتها في المضمون العام، التكاملي والتوافقي لعلاقات الجوار.

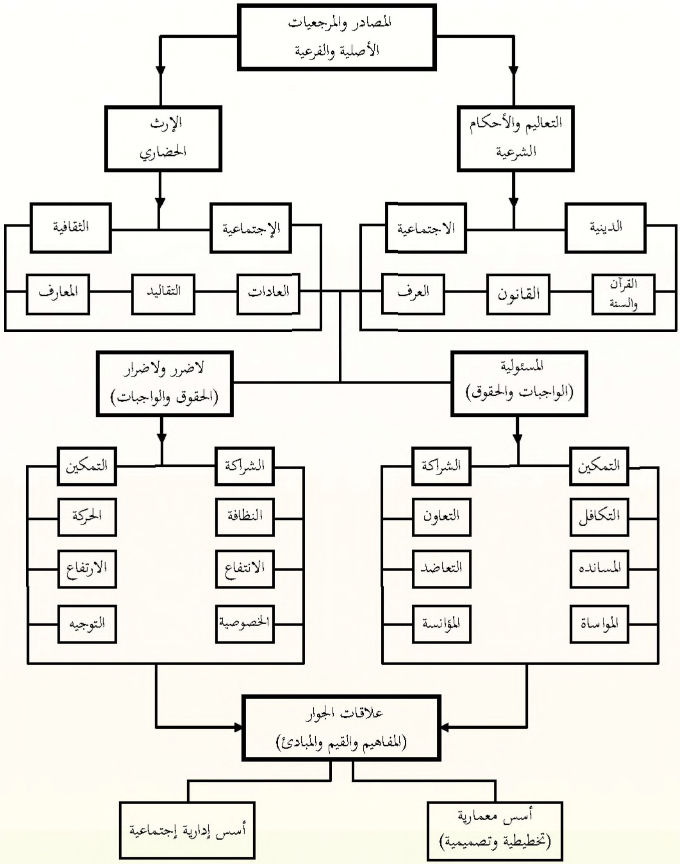
الارتفاع

أعتمد ارتفاع المباني على علاقات الجوار وفي ضوء محددات رئيسية وفرعية صيغت وفقاً للاعتبارات الثقافية والاجتماعية والأمنية، وأهم المعاني الاعتبارية في ذلك هي:

- انسجمت كل محلات السوق في ارتفاعاتها تقريباً، وعلت فوقها في المواضع الاستراتيجية أبراج الحراسة، فيما ارتفعت من حولها مآذن المساجد وان جاء ارتفاعها النسبي أقل من ارتفاعات المباني السكنية في الحارات المجاورة للسوق، ولكن بسبب العلاقة الوظيفية فإن علو الارتفاع النسبي لمآذن مساجد السوق عن المحلات (الحوانيت) وأبراج المراقبة والحراسة فيها، يؤدي غرضه على أكمل وجه. وفي هذا أيضاً أتت السماسر الكبيرة ذات الطوابق العالية الارتفاع في أطراف السوق وعلى حواف الحارات لتسجم وتتسق بارتفاعاتها والتكوين العام لهذه الحارات. في حين علت مآذن مساجد حارات الأطراف ارتفاعات مبانيها وذلك لغرض التوجيه وايصال صوت الأذان أو النداء للمحيط السكني المجاور للحارات أو جزء من الحارة المجاورة.
- أما عن الارتفاع في المباني السكنية فنجد أنها اتسقت وفق التكوين العام للحارة ونسيجها المعماري وإن تباينت المباني السكنية في الارتفاع فيما بينها، فإن التباين (وهذا نسبي) يأتي منسجماً وفق محدد التباين المتناغم لكتل المبنى السكني (وحدة الأساس)، والذي يمثل النموذج، والقدوة الذي به يقتدى في تحديد ارتفاع مباني الوحدة السكنية للحارة المعنية وجوارها من الحارات. واتساق وانسجام ارتفاع المباني السكنية وتناغمها جاء نتيجة للفرز اللاإرادي والإرادي وكنتاج طبيعي للفوارق الاجتماعية المتباينة، ويأتي التمايز الطبقي (المهني) أكثر الفوارق الاجتماعية في تركيبة المجتمع المدني لمدينة صنعاء. وفي ضوء هذا فإن ارتفاع المباني هو نتاج لذلك بصفة عامة، أما ارتفاع المباني في الحارات، ذات التجانس الاجتماعي النوعي، فإن أهم محدداته تنطلق في الأساس في القدرات الاقتصادية الذاتية للأسرة (العائلة)، ويتضاءل دور الفرد (المالك) في الترتيب التاريخي العام للعائلة، حيث يتحدد هذا الدور وفق التدرج الهرمي للإرث (الميراث)، وحين التمكين يصير الفرد المالك (صاحب القرار) بعد أن يكون المبنى قد بلغ الارتفاع الموازي لبقية ارتفاع المباني المجاورة.

وعند عدم اكتمال هذا فإن القدرة المادية للمالك الجديد (الوارث أو المشتري) تحدد الزيادة في الارتفاع رغم ذلك وان تضاءلت، وكي لا يكون الانتقاص في مكانته الاجتماعية يعمد إلى بذل كل ما يملك لزيادة ارتفاع مبناه السكني إلى تخوم ارتفاع مباني الجوار. وعند توفر الإمكانيات والقدرات المادية فإن الزيادة في الارتفاع نسبية ودون التعالي ودون بلوغ ارتفاع أقرب مئذنة اعتبارية.





هيكل التكوين البنائي لعلاقات الجوار

يوضح الهيكل علاقات الجوار إضافة إلى العلاقات التي تم تناولها علاقات أخرى تم الحديث عنها أو الإشارة لها في مواضيع عدة متقدمة وهي بمجملها تعني الأسس الإدارية أكثر منها الأسس التخطيطية والتصميمية الحضرية المعمارية

سلوك التشكيل المعماري

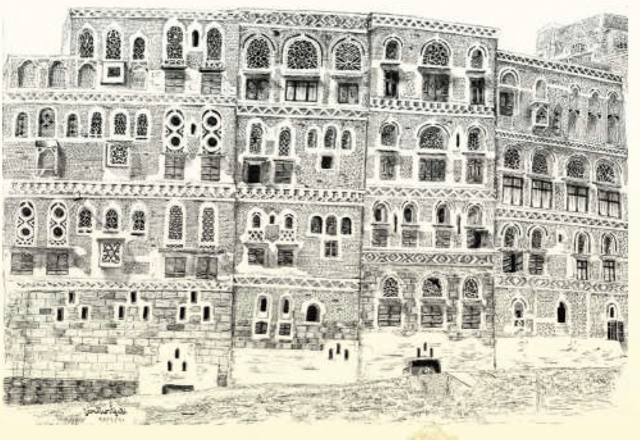


الشكل في لغة عمارة صنعاء هو نتاج لحوار ذاتي وموضوعي لجملة من العلاقات المادية والروحية، فقد جاء في وصف عمارة صنعاء بأنها مزيج بين النحت والعمارة، أو في وصفها بأنها عمارة الوشم تشبيهاً بالوشم على جسم الإنسان، أو بأنها لوحة فنان يعشق الزخرفة، فهي لوحة فسيفساء متنوعة المواضيع المتآلفة والمتوافقة والمتجانسة والمتداخلة والمتناسقة والمتناغمة والمتناسبة. وعند البحث في العلاقة المجردة للشكل في لغة عمارة صنعاء من حيث وصف الشكل بعيداً عن بقية علاقات تكوين الشكل معمارياً، نجد أنه ليس مبالغاً في التغني بوصفها بكل مفردات المديح عند كل من كَتب أو قال عنها وعلى مر العصور، وأن ذلك لم يأت إلا لتفاعل بصري وحسي بين شكل عمارة صنعاء، وعين وخلجات فكر الناظر المتأمل في شكل عمارتها، وذلك لتفرد هذا الشكل وكثافة عناصر تكوينه المعمارية والزخرفية، ولكن عند البحث في مضامين علاقات تكوين هذا الشكل وبالاعتماد على المبادئ المعمارية الأساسية العامة نجد أنه نتاج لعلاقات تخطيطية وتصميمية محكمة الترابط.

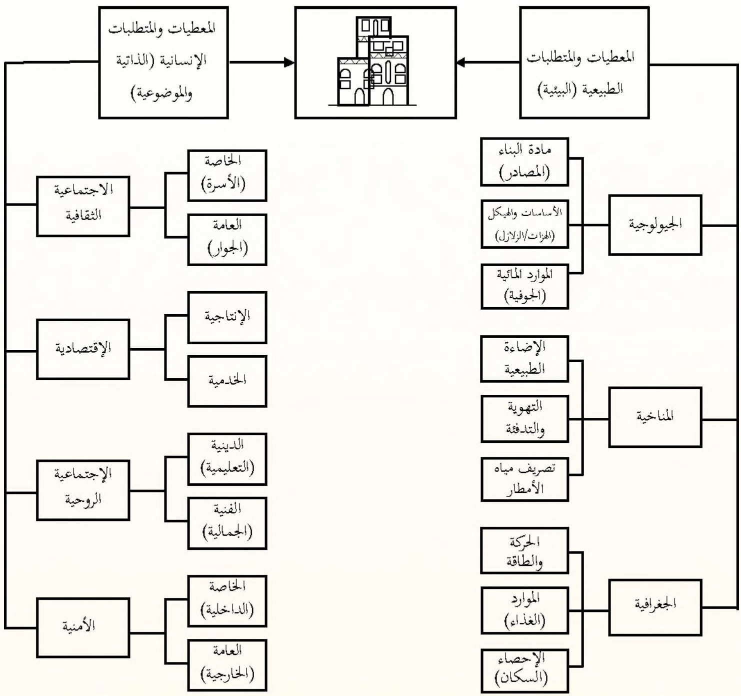
وإذا جاء الشكل نتاجاً نهائياً لتكوين معماري هدفه الأساسي وظيفي لتلبية حاجة ضرورية، فإن جمالية الشكل هي الأخرى نتاج توفيقي وهي مؤآلفة بين الحاجة والتي تمثلها الوظيفة والرغبة الممثلة بالشكل.

وإذا كانت الحاجة الوظيفية تعتمد على المعطيات المادية في مطلبياتها من توفير الحماية والأمان ومرونة الحركة...، فإنه لا بد من المتانة وهي صلابة وصلادة مواد البناء ومهارة تقنية التركيب، فإن الشكل يعتمد على المطلبيات الرغباتية، العاطفية – الروحية، في معطياته، وإذا كانت المتانة المعطى الأساس المطلبي لتحقيق الحاجة في توظيف الفضاء وعناصره، فإن المتانة ذاتها هي المطلب الأساس المعطى لتحقيق الرغبة في جمالية الشكل.

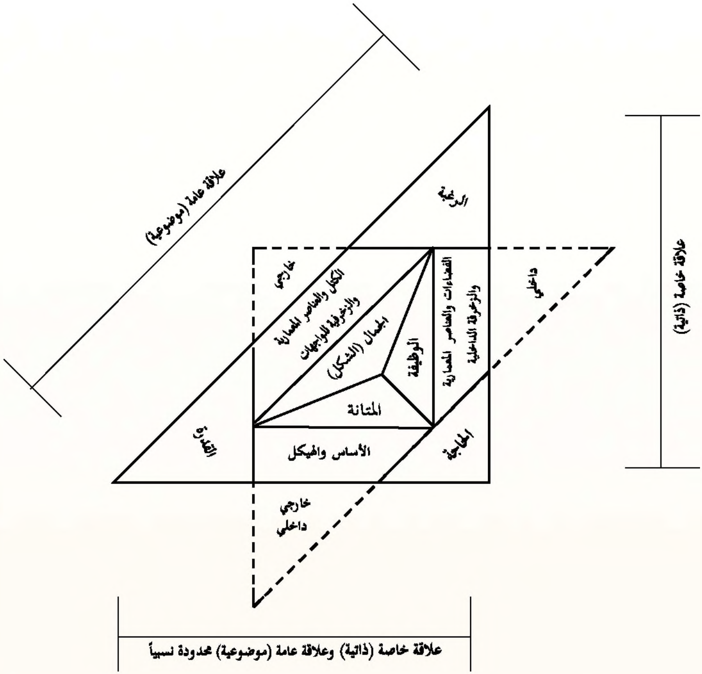
والحكم بأن التكوين المعماري قائم على القاعدة بأن الأساس والهيكل يعنيان المتانة والفضاءات تعبر عن الوظيفة والغلاف هو الشكل المجرد، فإن هذا التكوين المعماري ما هو إلا تكوين مادي فاقد الروح، والروح في هذا هو جمالية الشكل وتعني مضامين هذا التكوين ودلالته التعبيرية، وهذا في مجمله لا يتأتى إلا من خلال التكامل التوافقي بين هذه العلاقات. وما عمارة صنعاء إلا جملة من العلاقات التكاملية التوافقية.



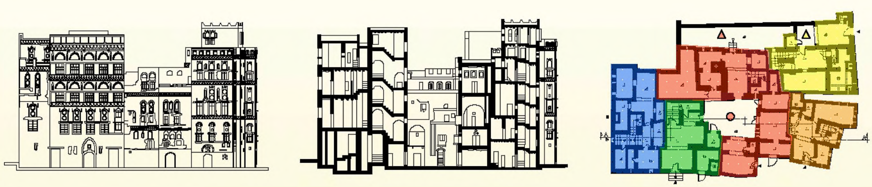




المعطيات والمتطلبات التصميمية في تلبية ومؤالفة الحاجة والرغبة كمحددات رئيسية في رسم المبادئ والأسس والقواعد التصميمية المعمارية (النموذج الرئيسي المبنى السكني)



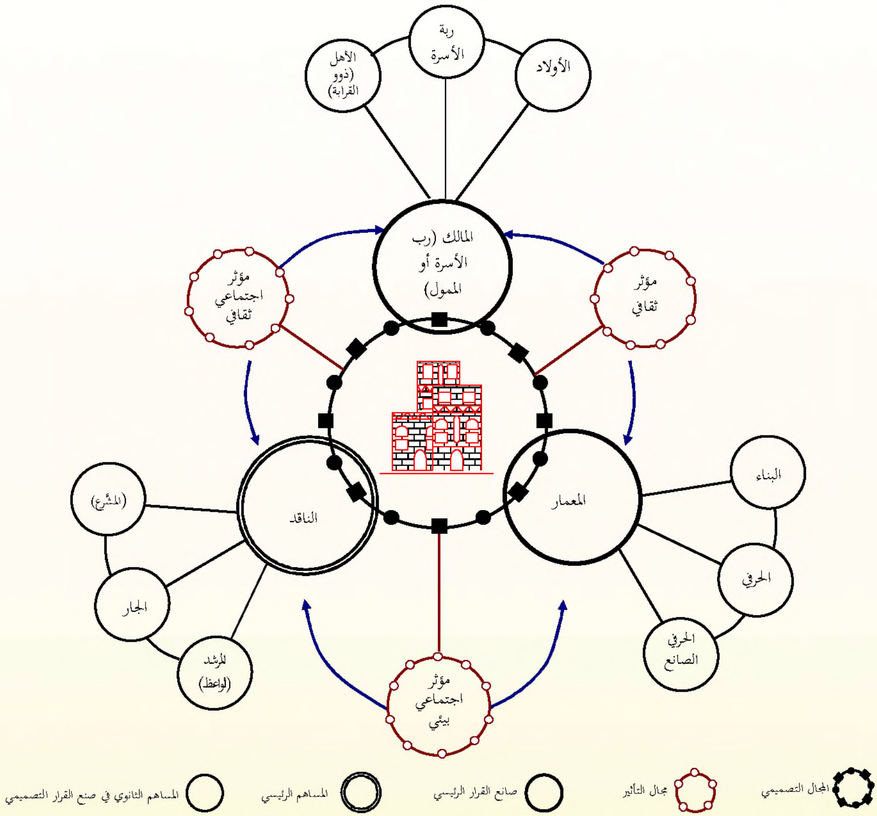
العلاقات الذاتية والموضوعية في التشكيل المعماري (المبادئ والأسس التصميمية الرئيسية)



سلوك تشكيل الفضاءات المعمارية

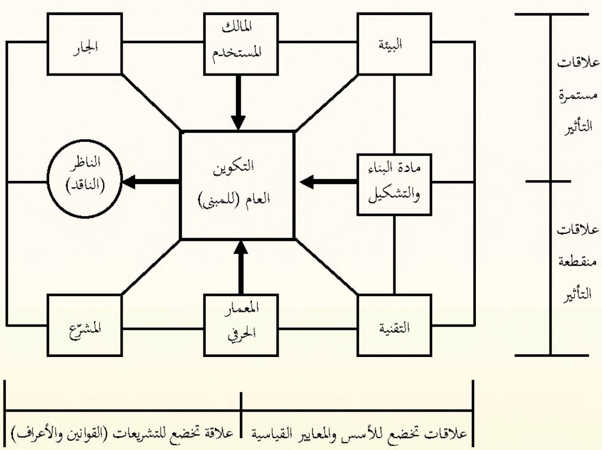
صنع القرار التصميمي للمنشآت والمباني (المبنى السكني النموذج الأمثل)

وفقاً لمحددات الثوابت من مبادئ وأسس التخطيط الحضري، أو علاقاتها التحليلية، وبناءً على ما ورد من شروح علاقات الجوار، وفي ضوء ما أوضحته في هذه الكتاب مضامين الدراسات العامة والتفصيلية ذات العلاقة بسلوك التخطيط الحضري والتصميم المعماري، نجد أن سلوك التشكيل المعماري والزخرفي يخضع لمبادئ وأسس تخطيطية وتصميمية ومعايير قياسية متعارف عليها. وبتحليل هذه العلاقات أتضح أن التصميم المعماري للمنشآت أو المباني لا يأتي عفوياً، وقراراته ليست محصورة بين المالك أو الممول والمعمار، بل تعتمد على الشراكة، والتي يسهم فيها المالك أو الممول والمعمار والمستخدم بشكل مباشر، ويشاركهم في هذا الجار وبقدرٍ أقل نسبياً. فيما يسهم كل من المشرع والناقد



هيكل علاقات صنع القرار التصميمي للمبنى السكني

والـواعظ المرشـد (رجـل الـدين) بشـكل غيـر مباشـر، وكثيـراً مـا يكـون دورهـم مرجعيـا وغيـر مرئـي ولكنـه محسـوس، وذلـك لمـا يبديـه الكـل مـن الالتـزام والانضبـاط الصـارم لمفـاهيم وقيـم ومبـادئ وأسـس العمـارة والبنـاء المتعـارف عليهـا، والتـي يعمـل الجميـع علـى تطويرهـا المسـتمر وفـق معطيـات ومتطلبـات المتغيـرات الزمانيـة دون الخـروج عـن الثوابـت الشـرعية المحـددة. والشراكة في صنع القـرارات التصـميمية تتضـح أكثـر فـي عمـارة وبناء وزخرفة المبنـى السـكني أكثـر مـن غيـره، وذلـك لأنـه يجمـع بين العلاقات الخاصـة والعامـة معاً. وتتمثـل الخاصـة منهـا فـي العلاقـات الداخليـة للمبنـى، فضـاءات، عناصـر معماريـة وزخرفيـة، وتجهيـزات وفـرش، وفيهـا يقـوى دور المالـك، رب الأسـرة، ومن ثم أفراد عائلته ويليه المعمـار. ودور بقيـة الشـركاء ضـعيف وغيـر مباشـر، ويـأتي المسـقط أكثـر تعبيـراً عـن هـذه العلاقـات، ويليـه القطـاع والـذي يقـوى فيـه دور المعمـار ومـن ثـم الحرفي ويتضاءل نسبياً دور المالك ويقـل عنهم دور المسـتخدم، فيما يقوى فيه دور الجار وخاصة في توجيه الفتحات وحقه في رسم الحلول والمعالجات لها حينما يتوجب فتحها في الجهات التـي تجـرح خصوصـية مبنـاه، وبالـذات إذا كـان قـائم البنـاء، وكـذلك فـي تحديـد ارتفاعـات كتـل المبنـى والأجـزاء المتوجـب التصاقها بجدران مبناه وما شابه ذلك. وتتمثل العامة منها في علاقـات المبنـى الخارجيـة، الجـوار ومحيطـه، وذلـك مـن حيـث توجيـه المبنـى وتحديـد جهـات واجهاتـه، الرئيسـية والجانبيـة والخلفية، أو التصاقه من جهة أو أكثر بمباني الجوار، وعلاقته بمحـاور الحركـة الخارجيـة. والواجهـة هـي الأكثـر تعبيـراً لهـذه العلاقات وفيها يقوى دور المعمار والحرفي ليتضـاءل بـذلك دور المالك والمستخدم بشكل نسبي ليتسـاوى مـع دور الجـار والـذي تعـزز هـو الآخـر بشـكل كبيـر عمـا كـان عليـه فـي العلاقـات الداخلية، وكذلك الحـال تعـزز دور الشـركاء ذوي العلاقـة غيـر المباشرة وإن كان دورهـم محسوساً غيـر مرئـي، كمـا أشـير إليـه سلفاً، إلا أن حجم هذا الدور من المنظور الزمنـي لـه أكبـر الأثـر عن غيره فـي رسـم مسـار سـلوك تشـكيل واجهـات المبنـى (مـواد وتقنيـات البنـاء والتشـكيل، ارتفاعـات الكتـل، نـوع العناصـر المعمارية والزخرفية وغيرها).



علاقات تحقيق جمالية التكوين الخارجي للمبنى السكني في سلوك التشكيل المعماري (التصميم المعماري والحضري)

الحجم

الحجم في التشكيل المعماري هو التكوين المحدد الأبعاد القياسية والمدركة بصرياً في ظاهرها وبتجرد عن أي خصائص أخرى عامة أو تفصيلية للكتل المعمارية بمختلف أنواعها التشكيلية وسطوحها، وحجوم المنشآت والمباني وكتل فضاءاتها وعناصرها المعمارية في عمارة صنعاء متباينة من حيث المساحة الفراغية أو المساحة البنائية الأرضية، ومن حيث علاقات الفصل والربط بين كتل المبنى الواحد أو مجموعة المباني المتصلة أو المنفصلة للمنشأة الواحدة، وعلاقات الاتصال والربط بين كتل مجموعة من المباني ذات النوعية الوظيفية الواحدة، كالوحدة السكنية أو الحارة أو محلات السوق التجاري المتخصص أو محلات أكثر من سوق متخصص تلتصق ببعضها وغيرها، أو من حيث علاقات التكوين لهذه الكتل بين الغور والبروز والانخفاض والعلو. وهذه التباينات في مجملها ما هي إلا نتاج لسلوك التشكيل المعماري للفضاءات الوظيفية ولاعتبارات عدة سبق تناولها. وعليه يمكن تصنيف الحجوم بين الكبيرة والمتوسطة والصغيرة، ولكل خاصية ونوعية أيضاً، وللإيضاح يأتي الحصر والإيجاز في الآتي:

- الكبيرة، مساحةً وارتفاعاً والملتصقة وظائفها ببعضها: منها مسجد البكيرية وسمسرة محمد بن الحسن وبيت غمضان وبيت فايع (الوحدة السكنية كاملة) وبيت العمري.
- الكبيرة، مساحة والملتصقة ببعضها: منها الجامع الكبير، وسمسرة الجمرك.
- الكبيرة، ارتفاعاً: منها مآذن المساجد العالية مثل (موسى، صلاح الدين، الأبهر، البكيرية، المهدي، ...) وكذلك المباني السكنية ذات المساحة البنائية الصغيرة والعالية الارتفاع والذي يزيد عن ٤ طوابق.
- المتوسطة، مساحةً وارتفاعاً: وهي الأكثر عدداً مقارنة بالكبيرة والصغيرة وتشمل بقية المكونات.
- الصغيرة، مساحةً وارتفاعاً: وهي حجوم السُّبُل بمختلف أحجامها والمحلات التجارية في السوق (الحوانيت).

الكتلة

الكتلة هي عنصر التكوين الرئيسي في تشكيل الفضاءات الوظيفية وعناصرها المعمارية والإنشائية والزخرفية. وقد تأتي مصمتةً أو فراغيةً. والفراغية هي الأخرى صماء في جهة أو عدة جهات منها أو تتخللها الفتحات الجانبية أو العلوية، وبتباين في العدد والسعة. وأشكالها متعددة وتتداخل أشكال الكثير من هذه الكتل في التكوين العام للمنشأة أو المبنى وبحسب وظيفته، وأكثر المنشآت والمباني التاريخية تعدداً وتميزاً في تشكيل كتل مكوناتها هي المنشآت والمباني الدينية والتذكارية. والكتلة في نسيج عمارة صنعاء لم تأت كعنصر جمالي في التكوين المعماري بل استمدت قيمتها الجمالية من القيمة الوظيفية، الاستخدامية، للفضاء والعنصر المعماري وهذه القيمة الجمالية ما هي إلا نتاج نهائي لسلوك تشكيل الفضاءات المعمارية وعناصرها ومعطياتها المطلبية وظيفياً وبيئياً واجتماعياً، علاقات الجوار، وثقافياً، روحياً ودينيا.

وعلى الرغم من تعدد أنواع وأشكال الكتل في عمارة صنعاء إلا أن الكتل المنتظمة الأبعاد (التكعيبية) هي أكثر أنواع وأشكال الكتل استخداماً، وبتداخلها المتجانس ببعضها البعض في التكوين المعماري للمبنى وتلاصق كتل المبنى بالمباني المجاورة له في تكوين عضوي متجانس للوحدة أو المجاورة السكنية (الحارة) أو التجارية (السوق) ومع غيرها من المباني الخدمية الأخرى أو الدينية. وعلى الرغم من أن كتل المنشآت والمباني في عمارة صنعاء محدودة في أشكالها، إلا أنها متعددة ومتباينة في أحجامها وسطوحها مما يعطيها التمايز فيما بينها، ولترابطها ولأغراض وظيفية وأخرى تعبيرية، أعطى هذا الترابط الوثيق للتكوين العضوي المتجانس والمتناغم قيماً جمالية إضافية للكتلة في إطار نسيج التكوين العام، والذي مثلت فيه الكتلة منفردةً وحدةَ الأساس، وبقيمتها الجمالية البسيطة، الأساسية، وبوحدات الربط بينها وبين بقية الكتل الأخرى تشترك معاً في إيجاد قيمٍ جماليةٍ إضافية لتبرز المعاني التعبيرية لها ولوحدة التكوين للمبنى والوحدة السكنية والحارة وللمدينة بوجه عام. وتكاملت أيضاً وبتجانس متسق مع بقية أنواع وأشكال الكتل الأخرى كالقشرية، وأهمها القِباب، والأسطوانية، والمضلعة في أبدان المآذن وغيرها. والتي أسهمت في بعث الحيوية والحركة للتكوين العام للنسيج المعماري للحارة وللمدينة بوجه عام، كما أسهمت الزخرفة الخارجية وتنوع الفتحات وتباين مساحتها في الواجهات بما في ذلك الانتقال في استخدام مادة البناء من الحجر في الطوابق السفلى إلى طوب الطين المحروق (الياجور) في الطوابق العليا للمباني البرجية في إعطاء المزيد من الحركة والبهجة معاً للكتل التكعيبية الجامدة نسبياً لتشكل جملة من القيم الجمالية، ولتعمل مع سابقاتها في إبراز طرازِ عمارةٍ متميزٍ ومتفرد.



القبة

القبـة هـي إحـدى أنـواع التشـكيل الفراغـي للفضـاءات الوظيفية وكتلتها أكثر أنواع الكتل حركةً، ولهذا نجد أن المباني التي تستخدم القبة تقل زخارفها الخارجية عن المباني الأخرى، واستخدامها في عمارة صنعاء يأتي في الأساس لغرض وظيفي معماري وإنشائي، لذا فهي متعددة ومتنوعة ويمكن تصنيف ذلك من حيث الآتي:

الحجم: كبيرة ومتوسطة وصغيرة.

الشكل: نصف كروية، وعلى هيئة حذوة فرس، أو تأتي مُحَدَّبة منخفضة وبمركزين داخليين.

المسقط: مسقطها يأتي من خلال تحوير الشكل المنتظم عادة مثل:

- تحوير المربَّع بالطريقة البسيطة (التثمين).
- تحوير المضلع (٨-١٦ضلعاً) بقاعدة دائرية وينحصر هذا في قباب المآذن.

الواجهة:

- مصمتة ملساء.
- مصمتة بزخارف.
- مصمتة بفتحات إضاءة صغيرة موزعة على بدنها بالتدريج.
- مضلعة بأضلاع منحنية ملتفة (تنحصر في القباب الصغيرة).
- مضلعة بأضلاع نصف هرمية ملتفة.

لياسة ولون السطح الخارجي:

- بلياسة القضاض (اللون الأبيض).
- بلياسة وزخارف نافرة من القضاض (اللون الأبيض).
- القص أو النورة (لون أبيض) قليل الاستخدام.

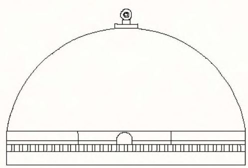
الوظيفة:

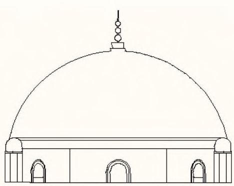
إنشائياً: تسقيف الفضاءات الكبيرة وفق المعطيات الإنشائية والبيئية المتطلبة للتسقيف.

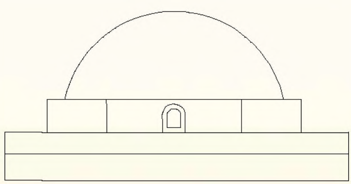
تعبيرياً (الرمزية):

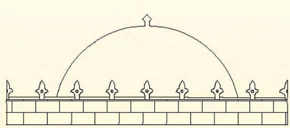
- تحديد الهوية (الرمزية) الزمانية والمكانية للمبنى.
- توجيه الإدراك بالمكان، وخلق المحورية في النسيج المعماري الحضري للحارة والحي والمدينة.
- تعريف الوظيفة المعبرة عنها الفضاءات (مسجد، حمام، سمسرة، سبيل، مدخل مبنى عام...).
- تحفيز الشعور بالرهبة والقدسية المكانية وخاصة للمساجد المسقوف بيت الصلاة فيها بقبة مركزية (علو، سمو وإحساس بالانتماء).

والقبة تشكيل فراغي جمالي يعمل على نقل حركات نغم النسيج المعماري وإيقاعه من حركة إلى أخرى. وفي هذا يتكامل إشباع المتعة البصرية بالتباين المتجانس للكتل على قاعدة اتساق تناسب التكوين في تشكيل الفضاءات كتلياً.







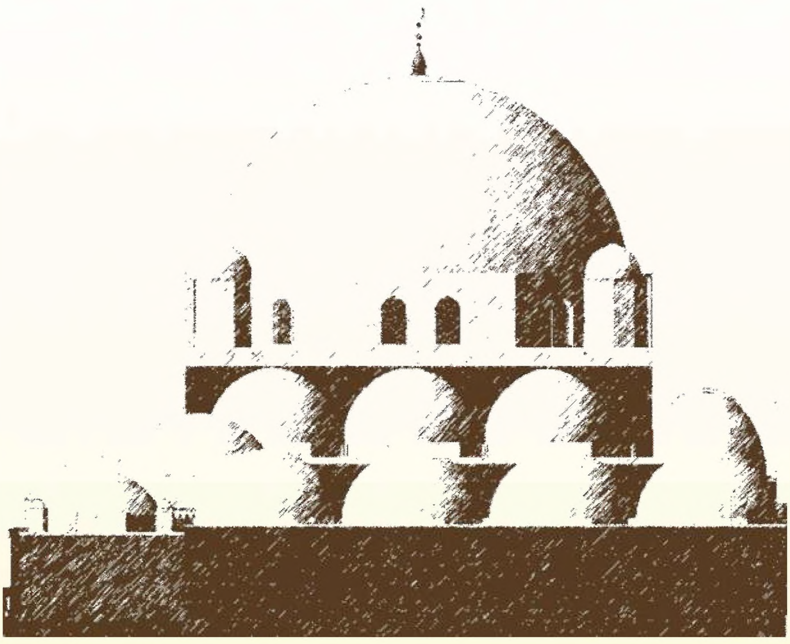


المباني والعناصر المعمارية التي تعتمد القبة في تسقيف فضاءاتها هي:

- المساجد (بعض فضاءاتها الرئيسة والثانوية، أروقة، مراحيض (مماشي)، بعض المطاهير، مآذن، أضرحة، مدخل).
- الحمامات الساخنة (المخلع، الوسط وخزانتيه، الصدر وخزانته ومغطسه...).
- السبيل (في معظمها تسقف بقبة كاملة والبعض منها بنصف قبة أو جزء منها).
- بعض فضاءات السماسر الكبيرة.

وإضافة إلى هذه الفضاءات الوظيفية فهناك قبة غريبة كبيرة نسبياً جثمت على أرض (مقشامة) مسجد الطواشي من جهة الجنوب وهي تعلو (تسقف) حفرة جمع العوادم السائلة (قوعة) لحمام الطواشي. كما نجد أن القبة في العمارة اليمنية استخدمت في تسقيف الفضاءات الوظيفية ذات العلاقة بالماء أكثر من غيرها.

وأكثر منشآت ومباني صنعاء القديمة كثافة في استخدام القبة لتسقيف فضاءاتها الوظيفية هي مدرسة (مسجد) البكيرية.





السطح

سطوح كتل المباني هي في الغالب مستوية وتتنوع وفقاً للنوع الوظيفي للمنشأة أو للمبنى وهي على النحو الآتي:

- **سور المدينة:** جدار سميك من الطين ويرتفع إلى نحو (٦م)، وسماكته في الأسفل (٤-٦م) وفي الأعلى (٣-٤م) والميل فيه بسيط ومتدرج إلى الداخل وظاهر أساساً من الخارج. وتتوزع عليه أبراج الحراسة، النُّوَب الإسطوانية شبه المخروطية الشكل، المسننة في أعلاها. والسور بمكوناته ذو كتلٍ سطوحها مستوية عدا الأبواب.
- **المباني السكنية:** كتلها منتظمة تكعيبية مستوية الأسطح (ملساء)، جدرانها تميل قليلاً إلى الداخل وتصاعدياً نحو الأعلى، والأسقف فيها مستوية تماماً ومتنوعة ومتباينة في ملمسها عدا بعض أسقُف المداخن (السيِّات) ذات الشكل الجملوني.
- **المباني الدينية:** وهي نوعان من حيث تسقيف بيت الصلاة
  - منتظمة تكعيبية ومستوية في أسطح الكتل، جدران وأسقُف.
  - منتظمة تكعيبية ومستوية في الأسفل (للجدران) وقشرية في التسقيف بقُبّة مركزية كبيرة محورة إنشائياً ومستوية الأسطح (ملساء) وقد تأتي مزدانة بزخارف القضاض النافرة.

وكما هو الحال لبيت الصلاة من حيث نوعية أسطُح الكتل، تأتي بقية العناصر، كما يمكن التمييز بين وظائفها من خلال أشكال كتلها المستوية والقشرية وأسطحها، كما أن التسقيف القشري لهذه الكتل يجمع بين القبة المركزية الكبيرة والقِباب الصغيرة (الموضعية)، كما هو حال تسقيف المراحيض (المماشي)، والمداخل ومبنى الضريح ومطاهير الوضوء، أما المئذنة فهي ذات أسطح مختلفة ومتباينة بين المستوية في جدران القاعدة، ومضلعة في جدار البدن (٨-١٦ ضلعاً) والتي تتشكل بميل قليل للداخل يتصاعد إلى الأعلى، أو أسطوانية في جدار البدن وقشرية في (قبة) المئذنة وتأتي مستوية (ملساء) أو مضلعة وشرفة الأذان تتحور في الغالب بمقرنصات بسيطة.







- **المباني التجارية:** كلها تقريباً ذات سطوح منتظمة تكعيبية مستوية، أشبه بالمباني السكنية، عدا بعض السماسر الكبيرة والمتعددة الطوابق، والتي تعلو بعض عناصرها قِباب في التسقيف ولا سيما الحمامات (المطاهير والمستراحات).
- **المباني الخدمية:** وأهمها الحمامات الساخنة والسُّبُل وأسطح كتلها هي على النحو الآتي:
  - **الحمام:** معظم وظائفه ذات خاصية بناء تحت مستوى أرضية الطريق. ولهذا فالكتل المنتظمة مستوية الأسطح، وبروزها على مستوى الأرض محدود (١-٤م)، أما القشرية (القِباب) فسقفت بها كل الفضاءات الرئيسية للحمام، وهي متباينة في الحجم والشكل وأسطحها مستوية (ملساء) غير مضلعة تتوزع عليها فتحات الإضاءة، كما تسقف بعض الفضاءات الثانوية ذات الكتل الصغيرة بأقباء أسطحُها ملساء.
  - السبيل: كتلة ذات حجوم صغيرة، ومنها المتصلة أو المنفصلة عن المباني التي تحيط بها، وأغلبها مسقوفة بقبة صغيرة مستوية (ملساء) وأشكالها نصف دائرية أو محدبةُ المقطع، أما السبل التي تنشأ ضمن تكوين المبنى التابع له وتكون في جداره أو ببروز نسبي ظاهر إلى الخارج، وفي هذه الحال تُّميز بتسقيفها بقبة أو جزء منها. وأكبر السُّبُل كان يتوسط الساحة الأمامية (الخارجية) لباب اليمن وتم نقله بعد الثورة (١٩٦٢م) إلى زاوية في أحد شوارع حارة الأبهر وهو ذو أسطح مستوية في جدرانه وجملونية في تسقيفه ومتباينة الأشكال في تفاصيل عمارة واجهاته، ويتشابه كثيراً ومدخل مدرسة جمال جميل في بير العزب (ميدان التحرير حالياً).

وخلاصة لهذا نجد أن شكل السطح سواءٌ كانت الكتلة مبنىً أو فضاءً أو عنصراً معمارياً يمثل دالةً تعبيريةً عن الوظيفة الذاتية أو الموضوعية للفراغ الذي يحويه.

توجيه المبنى

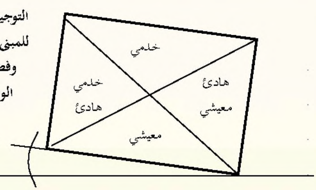
للتراكم المعرفي وتجاربه المعمارية المتوارثة ارتقى المستخدم (المالك) على وجه أخص والمعمار في الأساس إلى توجيه المبنى وبالتحديد المبنى ذي الكثافة الإستخدامية، المباني السكنية وسماسر الإيواء، وللشأن ذاته وللمعطيات البيئية المناخية جاء ترتيب الجهات وفقاً لخصائصها البيئية فأعلاها قيمة الجنوبية فالغربية ومن ثم الشرقية فالشمالية، وأتت الجهات الفرعية الجنوبية الغربية الأكثر قيمة ومن بعدها الجنوبية الشرقية وأقلها الشمالية الشرقية، ولإيجاد الارتياح الحراري في الأساس وبما يعمله مع بقية المعالجات المعمارية البيئية الأخرى في إيجاد الارتياح النفسي للمستخدمين، عمد المعمار إلى توزيع الفضاءات الوظيفية ذات الأهمية والكثافة الإستخدامية لها، وعلى الواجهات الرئيسية أو الفرعية لها وبالترتيب، المعيشية الرئيسية فالهادئة ومن ثم ذات العلاقة بالمعيشة الخدمية الاقتصادية.... وعمل على تأكيد وضع أهم هذه الفضاءات أولاً كمحور، نقطة اختيار أساسية، ليتم له بعد ذلك توزيع بقية الفضاءات الوظيفية وفقاً للإمكانيات المتاحة كعدد الواجهات، والمساحة البنائية الأساسية، أرضية المبنى، بما في ذلك علاقات الجوار للمباني والساحات (الصرحات) والطرق المحيطة ليتحدد بذلك جهة الواجهة الرئيسية والواجهة الخلفية للمبنى.

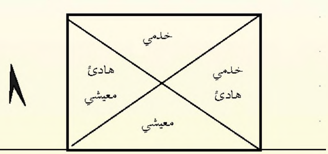
ولهذا نجد حين انحسار مجال الاختيار المناسب للفضاء الوظيفي المعين ولاسيما تلك الفضاءات والتي تأتي كنتاج لجملة إزاحات قسرية في المساحات لفضاءات وظيفية أهم منها، إلى اتباع معالجات معمارية بيئية أخرى، لغرض الرفع النسبي لكفاءة هذا الفضاء الوظيفي (سيئ الحظ) مثل غرفة النوم الصغيرة والتي تأتي في الجهة الشمالية والتي يعمد إلى تقليص عدد ومساحة فتحات التهوية وكذلك الإضاءة. والتي يطلق عليها لهذا السبب العجمي، لتصبح بذلك محور التغيير الوظيفي المتتالي وحين انتفاء الحاجة لها في النوم تتحول إلى مخزن والعكس. ولهذا نجد حين تقييم أي مبنى سكني (خاصة) فإن قيمته ترتفع أو تدنو وبشكل نسبي وفقاً لقيم توجيه فضاءاته الوظيفية والاستخدامية.

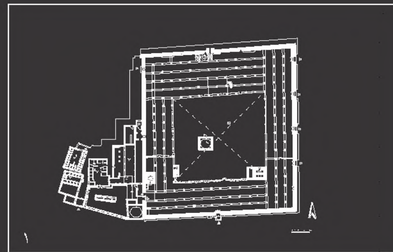
وفي هذا نجد ترجمة حرفية لقول متداول في عمارة صنعاء ويعني قيمة المبنى السكني (البيت) من حيث توجيهه (بيت كامل، ونصف بيت، وربع بيت)، حيث إن البيت الكامل ذو التوجيه لأهم فضاءاته الوظيفية نحو الجنوب، ونصف بيت في التوجيه لها نحو الغرب والشرق، وربع البيت في توجيهه، اضطرارياً، نحو الشمال. ونظم التصميم لمباني ومنشآت مدينة صنعاء القديمة واتجاه انفتاح فضاءاتها النوعية، نحو الخارج أو الداخل، يمكن إيضاحه وفق الآتي:

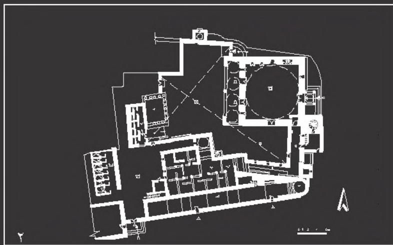
- **المبنى السكني:** الأكثر كثافة بنائية وعددية في عناصر تكوين المدينة هو ذو نظام تصميمي مغلق وينفتح إلى الخارج.
- **سمسرة الإيواء الكبيرة:** تتفتح في الأساس إلى الداخل والانفتاح نحو الخارج نسبي وأكثر هذا النوع من السماسر انفتاحا نحو الخارج سمسرة المنصورة، (٥ طوابق) حيث إن نسبة انفتاحها نحو الخارج يفوق نسبة انفتاحها نحو الداخل.
- **السمسرة المقهى:** وتنفتح إلى الداخل مع نسبة صغيرة من التوجه في الانفتاح نحو الخارج.
- **سمسرة الخزن والتسويق:** ذات نظام تصميمي حر وانفتاح كلي نحو الداخل.
- **المسجد الجامع والمسجد:** ذو نظام تصميمي حر وانفتاح كلي نحو الداخل.
- **الحمام:** هو أكثر عناصر المدينة البنائية غوراً في أعماق الأرض، وفي الغالب فإن حجم وأبعاد الأجزاء مادون سطح الأرض تفوق حجم وأبعاد الأجزاء الظاهرة وهو العنصر الوحيد المتميز والمتفرد بين عناصر تكوين المدينة في نظام تصميمه المغلق وعديم الاتصال، الانفتاح، بالخارج ويعتمد في الإضاءة على فتحات علوية في قِبابه تسمح بنفاذ الضوء دون الرؤية، والتهوية محصورة فقط من خلال بابه ذي الممر المنكسر، غير المباشر، إلى وظائفه الرئيسية.

التوجيه الأمثل للمبنى السكني وفضاءاته الوظيفية

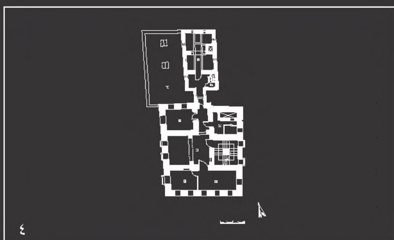


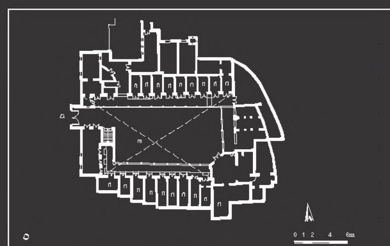




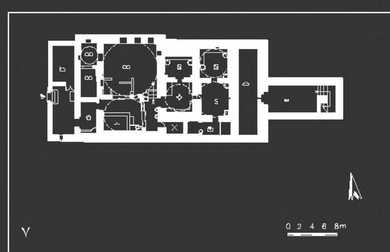












١. الجامع الكبير
٢. مسجد قبة طلحة
٣. بيت غمضان
٤. الدار الجديد
٥. سمسرة الجمرك
٦. سمسرة محمد بن القاسم
٧. حمام ياسر

الواجهة دلالة معنى الشكل

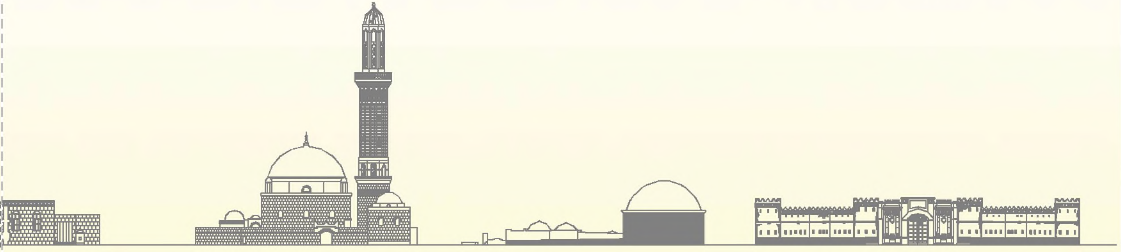
تعتبر الواجهة النتاج النهائي لشكل، مظهر، المبنى المتمثلة في العلاقات التصميمية عامة وفي التكوين المعماري خاصة، وبها ترتقي بعض الأعمال المعمارية إلى مصاف المعالم الوطنية والقومية، ومن خلال الواجهة تتضح الهوية المعمارية وتدرك الملامح الوظيفية للمبنى أو المنشأة، وعلى الرغم من إيلاء الاهتمام الأكبر بالوظيفة في تشكيل الفراغ المعماري لدى المصمم والمستخدم وفق ملاءمة العديد من عوامل التأثير الطبيعية والإنسانية في العملية التصميمية، غير أن النواحي الجمالية ينبغي أن توضع في الاعتبار في العملية التصميمية، وفي بعض المباني يكون التركيز الأكبر على الناحية الجمالية وبالأخص في المباني الدينية والتذكارية.

والواجهة في تشكيل الفراغ المعماري هي نتاج مؤالفة ومواءمة الكتل والعناصر المعمارية المكونة للفراغات الوظيفية، وتساعدها العناصر الزخرفية في الكثير من الأحيان على إبرازها وتحديد هويتها، ولهذا فهي تنضوي في طابع تتجلى فيه القدرات الإبداعية في إشباع الرغبات والوصول بالمتعة المدركة بالتذوق الجمالي للمجتمع، والذي يتطلع لإبراز موقعه الحضاري من خلال نتاج قدراته وإمكاناته، والتي يمثل فيها الفن المعماري أكثر المجالات قدرةً على تجسيد هذه الإرادة، لما تحمله من معانٍ، ولقدرتها على الخلود والبقاء أزماناً طويلة.

ويأتي في مقدمة الشواهد للحضارات المتعاقبة والتي أبقت لنا دلائلها القوية في شواهد إنتاجها المعماري الأهرامات المصرية، والأكروبولس الإغريقي، والكوليزيوم الروماني، وجامع تاج محل الإسلامي المغولي، وجامع دمشق الأموي، والجامع الأزهر الفاطمي، ومدرسة الأشرفية اليمنية الرسولية، وكاتدرائية نوتردام القوطية....

لذا فالواجهة يمكن نعتها ببصمة إثبات الهوية للمجتمعات الحضارية على مسار تطورها التاريخي، وهي الملمح التعبيري للاتجاهات الفكرية بتياراتها ومدارسها الفنية الحديثة. والمباني غالباً ما تصمم بأسلوب يتمشى مع الوظيفة، ولذلك فإن المصمم الناجح يبدأ من الداخل إلى الخارج، وهنا نجد أن عملية تصميم الواجهات تحتاج إلى علاقات متصلة بينها وبين المسقط الأفقي الذي يعبر عنه من خلال العمل المتكامل والذي غالباً ما يتمشى مع الجو المحيط، لذا نجد أن واجهات الفضاءات من كتل وعناصر، مستوية، جملونية، أو قشرية.... تتأثر بتوزيع الفتحات أكانت أبواباً أو شبابيكَ، وعلاقتها بالمسطحات الصماء في الواجهة وهنا نجد أن معظم العناصر المعمارية لها علاقة كبيرة بتحديد الشكل، لذلك فإن المظهر العام للواجهة يعتمد على علاقة مساحات أجزائها المصمتة والمفرغة كأسطح الحوائط وفتحات الشبابيك والأبواب، واتزانها يرجع إلى اتزان مكونات الواجهة والمواد المستعملة في بنائها والألوان التي تكسبها أسلوب إضاءتها وإضفاء الظلال عليها، تلك هي التأثيرات على مظهر الواجهة ودرجة جمالها.

وللتأكيد فان لمواد البناء طابعا هاما وأساسيا في تشكيل الواجهات، حيث نحصل من خلالها على تشكيلات زخرفية متنوعة بحسب اختلاف البيئة ونوع مادة البناء المتوفرة فيه، بالإضافة إلى أن الواجهات تتشكل وتظهر مسطحاتها وكتلها بحسب تقنية البناء المستخدمة في المبنى والتي تعمل بحسب تشكيل الفراغات المعمارية في المسقط الأفقي، إذ نجد أن المبنى قد يكون عبارة عن كتلة واحدة وقد يختلف توزيع الفراغات من مبنى إلى آخر بحسب المؤثرات البيئية.



باب اليمن

حمام الميدان

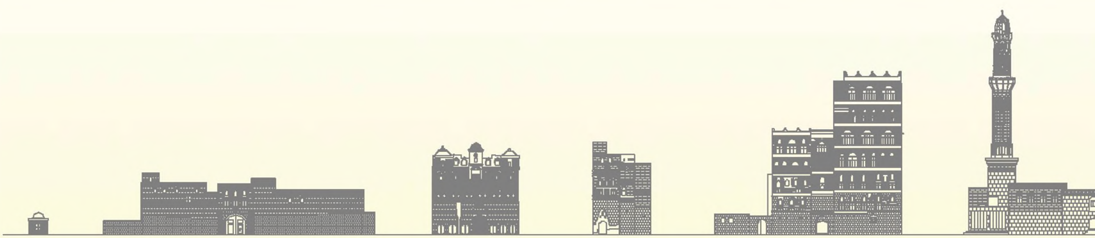
قبة المهدي

وقراءة واجهة المبنى يعني التعرف على مكوناته وعناصره، ونختار لهذه القراءة المبنى السكني لكونه المعبر الرئيسي المعماري للمدينة. ويعتبر أكثر عناصر تكوين المدينة الكتلية غنىً وتنوعاً وتعقيداً في عناصر تكوين واجهاته وإن كانت الكتل مستوية بسيطة إلا أن المعمار عمل على إغناء الواجهة بالكثير من العناصر والتشكيلات الزخرفية وإبرازها، هذا بالإضافة إلى التلاعب في الكتل الرئيسية والفرعية بين التباين الرأسي، الارتفاعات، أو الأفقي البروز والغور إلى الداخل أو الخارج.

عناصر تشكيل الواجهة للمبنى السكني

يمكن قراءة واجهة المبنى السكني من خلال عناصر تكوينها بالاستعراض الموجز، وبالتدرج من الأسفل إلى الأعلى وعلى النحو الآتي:

- **سور الحَوِي:** ويبنى من الحجر في الغالب ويمتد بارتفاع الطابق الأرضي، وفيه المدخل الرئيسي للمبنى أو الوحدة السكنية.
- **الدكّة:** مسطبة من الحجر المهندم (الوقيص) وتكون بجوار أحد جانبي المدخل الرئيسي أو بامتداد الدرج المؤدي إليه، وترتفع (٤٠–٦٠سم) ووظيفتها تسهيل الصعود إلى ظهور الدواب، الحمير، البغال والخيل، أو النزول منها، وتتميز بها غالباً المباني السكنية الكبيرة.
- **المدخل الرئيسي:** ويكون في الواجهة الرئيسية للمبنى وفتحته معقودة في الغالب ويصنع بابه من الخشب المزخرف ويطعم بأوتاد حديدية مكورة.
- **الأبواب الفرعية:** وهي الأبواب الخدمية التي تكون في الواجهات الأخرى غير الرئيسية وتحمل المميزات السابقة نفسها.
- **النافذة الصغيرة:** وتكون للتهوية في الطوابق العليا وتسمى بـ(الشاقوص) وتكون للتهوية والإنارة في الطوابق السفلي، الأرضي والمسروق وأحياناً الطابق الأول.
- **النافذة (الطاقة):** وتأتي في الغالب في الطوابق التي تعلو الطابقين المبنيين بالحجر، الأرضي والمسروق أو الأرضي والأول، وتزداد سعةً طابقاً عن طابقٍ.
- **القمرية، العقد:** فتحة دائرية أو نصف دائرية أو على هيئة حذوة فرس غطيت قديما بالألباستر، أما حديثاً فتصنع من القص المعشق بالزجاج الملون، وتحاط بعقود ولها أشكال عديدة، وظيفتها السماح بنفاذ الضوء إلى داخل الغرف.
- **النافذة الكاذبة:** تشكيل مصمت على هيئة نافذة، في الواجهات الشمالية والشمالية الشرقية، ولأسباب بيئية فوظائفها جمالية فقط وأحياناً تتخللها فتحات صغيرة للتهوية والإضاءة.
- **المشربية، الشباك، (بيت الشربه):** غالباً ما تعلو الأبواب الرئيسية وتتوسط فتحات الغرف وفضاءات التوزيع في الطوابق والشرفات في الطوابق الأخيرة. تبنى من الحجر أو الياجور وقد تكون من الخشب وتزخرف وفق إمكانية تشكيل مادتها، أما وظائفها الرئيسية فهي خصوصية الإطلالة على الخارج وكذلك النداء، كما تسمح بنفاذ الضوء وإدخال الهواء، ولهذا توضع فيها جرار الماء لتبريده.
- **عقود الشرفات في سطح الطابق قبل الأخير:** تعلو (التجاويب) وتؤطر الشرفات لتأمين الحركة والإطلالة إلى خارج الدار وتبنى من الياجور المكسي بالقص.



- **كاسرة الشمس (الكُنَّة):** وتصنع من الخشب وتبرز بامتداد أفقي أعلى النوافذ، وظيفتها كسر أشعة الشمس، وكذلك حماية النافذة عند هطول المطر.
- **الزخرفة تنقسم من حيث تقنية التشكيل إلى:**

الزخرفة الهيكلية: وتنقسم إلى، غائرة وبارزة، وتشكل بمادة البناء الرئيسية وقد نفذت بشكل أفقي وآخر رأسي.

الأفقي:

(الحزام): يلتف حول المبنى في الحدود الإنشائية الفاصلة للطوابق (أسقفها) ووظيفته تحديد المعالم الإنشائية للمبنى فضلاً عن دوره الجمالي، أما مادته التشكيلية فتكون من الياجور وتكسى مسطحات مفرداتها البارزة بالقص في الغالب، وتختلف تشكيلاتها وتزداد زخرفتها وأحجامها من الأسفل إلى الأعلى، وهناك حزام من الحجر.

(التجواب): يلتف حول الأسقف الأخيرة للمبنى وله خصائص ووظائف الحزام إلا أنه يزيد عنه غنًى زخرفياً ومساحة.

الرأسي:

هو عبارة عن أشرطة زخرفية تتوزع في مساحات محدودة بين حزامي حدود الطابق، وغالباً ما يكون في الطوابق الوسطى، وتشكل به المسطحات الصماء لبعض المباني السكنية الكبيرة أو السماسر الكبيرة ومآذن المساجد.

- **الزخرفة المضافة: وتنفذ** بالقص أو القضاض، وقد تمثلت في إطار الفتحات لتحديد معالمها مع إضافات زخرفية جانبية علوية للنوافذ الواسعة، وقد جاءت كذلك على هيئة أشكال هندسية ونباتية وحيوانية مجردة، ونادراً ما تكون خطية: لفظ الجلالة، ما شاء الله....
- **زخارف عناصر الفتحات:** في **القمرية** خرشات القص المعشق بالزجاج. أما المشربية فتنوعت زخارفها وفق مادة التشكيل والبناء غير أن المشربية الخشبية جاءت أكثر غنًى زخرفياً من غيرها.
- **(الإفريز):** هو بسيط ويحدد معالم النهايات الركنية والنصفية لكتل الطوابق الأخيرة.
- **(الميزاب):** من الخشب أو الحجر، ويبرز إلى الخارج لتصريف المياه من أسطح المباني، حالياً من الحديد المجلفن أو البلاستيك p v c.
- **قنوات تصريف المياه العادمة (المساريب):** تنفذ من المطبخ والمطاهير، وعلى امتداد واجهة المبنى وملاصقة لها، تشكل بمادة القضاض ذات الخاصية العازلة، وتزخرف بزخارف نافرة بسيطة، وتتسع بميل نحو الخارج من أعلى إلى أسفل.
- **المدخنة (السِّية):** وتقوم بتصريف الأبخرة والدخان من المطبخ إلى خارج المبنى، وتأخذ في الغالب الشكل الجملوني.



١

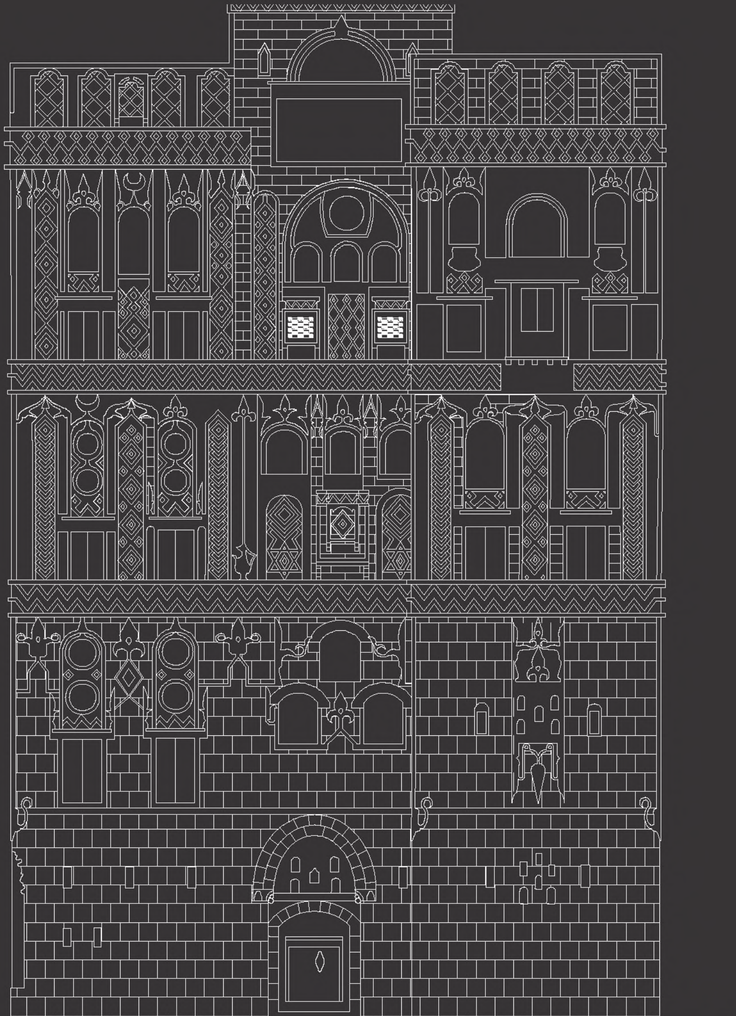
إن اعتماد المعمار اليمني على التنوع في الارتفاع الداخلي للمبنى يأتي تلبية للمتطلبات الوظيفية مما يعكس انتماء خط القطاع للمسقط من ناحية وانتماء الواجهة لكليهما معاً من ناحية أخرى.

ولهذا فواجهات المباني ما هي إلا انعكاس للعلاقات الوظيفية والإنشائية للمبنى والمعالجات البيئية لفضاءاته وعناصره المعمارية.

ومن خلال تشكيل الواجهة وعناصرها يمكن قراءة مضامين هذه العلاقات والمعالجات.

١. واجهة مبنى سكني تطل على المقشامة

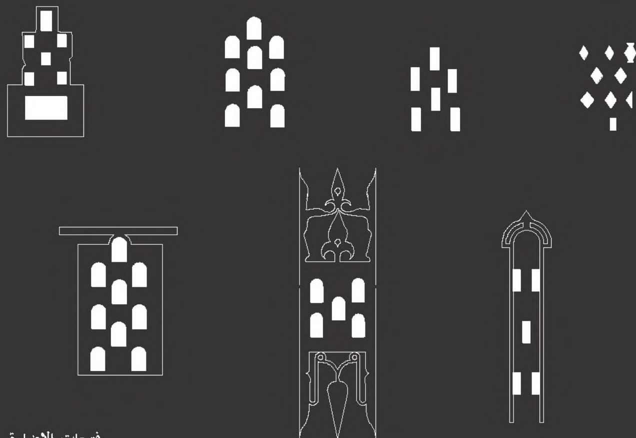
٢. الواجهة الرئيسية لبيت سريع



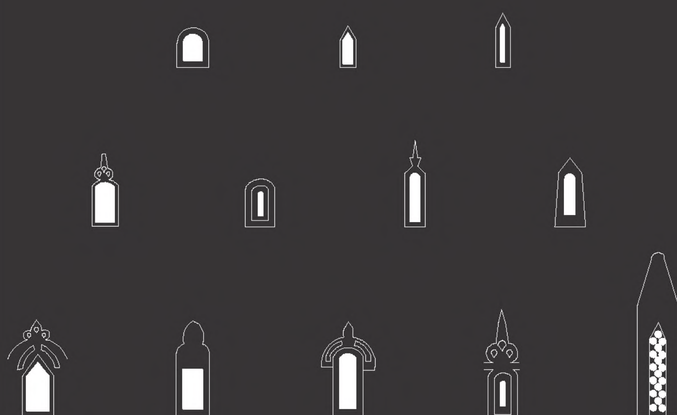
٢



المداخل والأبواب الرئيسية



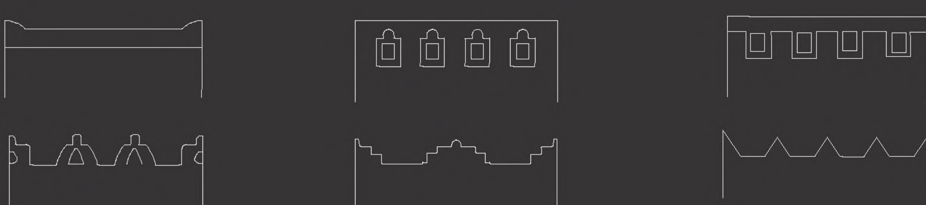
فتحات الإضاءة



فتحات التهوية (الشواقيص)

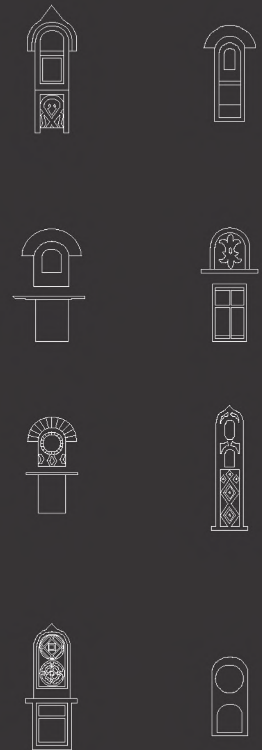


النوافذ والقمريات



نهايات المباني





تحليل واجهة المبنى السكني

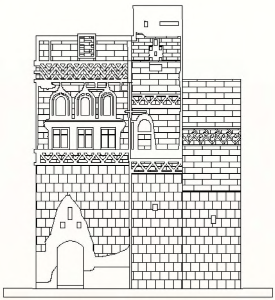
تكوين واجهة المبنى السكني الصنعاني أشبه بتكوين نص قصصي، فمكونات تشكيله تروي حكاية تكوين المبنى، وترسم ملامح هيكليته. ومن خلال عناصر الواجهة، المعمارية والزخرفية، يمكن التعرف على نوعية وظيفة كل فضاء من الفضاءات الوظيفية للمبنى، وأبعاد حدوده وموقعه من حيث الترتيب في التكوين العام للمبنى أو من حيث جهة توجيهه، هذا بالإضافة إلى أهميته في هذا التكوين. كما توضح الفتحات وسعتها، وكثافة ونوعية التشكيل الزخرفي للواجهة جهتها، وتحدد عناصر الواجهة المعمارية والزخرفية نوعية المعالجة البيئية أو الإنشائية.

ومن خلال التحليل المساحي لكتل وعناصر تشكيل واجهات ثلاثة مبانٍ سكنية متباينة في الحجم، المساحة والارتفاع، وبالاعتماد على مخططاتها يمكن قراءة مضامين النصوص القصصية لواجهات المبنى السكني الصنعاني. والتحليل المفصل لواجهات دار الذهب (بيت دلال) جاء لتسهيل قراءة المعاني البلاغية في تكوين الواجهة وكذلك المبنى، وبالإضافة إلى ما تم إيضاحه فإن هذه العملية في تحليل الواجهة تبرز أيضاً دور الزخرفة في تحريك كتلها الجامدة لإكسابها المزيد من الحيوية.

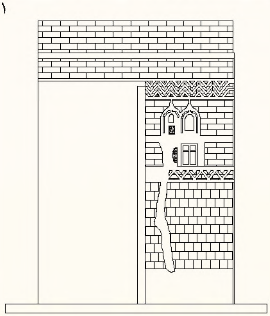
ومن الجدير ذكره أن تحليل واجهة المبنى السكني قد اقتصر فقط على عرض لجداول التحليل المساحي وللمخططات التحليلية وأهم استنتاجات هذا التحليل، ونوجز الشرح وبحدود التعريف فقط، وذلك لكثرة تناولها بالإشارة أو الشرح المفصل في الكثير من مواضيع الدراسة، وخاصة في المواضيع ذات العلاقة بالخصائص الجمالية للمبنى أو للنسيج المعماري للحارة أو للمدينة، ولكون ترتيب أغلب هذه المواضيع يتسلسل بعد هذا الموضوع لذا فإن تحليل واجهة المبنى السكني يأتي في موضع الأساس والدليل المرجعي في تفسير أو توضيح كل ما يتعلق بالخصائص والقيم المعمارية الوظيفية والجمالية لعناصر تكوين الواجهة خاصة والمبنى بشكل عام.

تحليل الواجهتين الغربية والشمالية لبيت شرهان

يتكون المبنى من أربعة طوابق بما فيها طابق مسروق فوق الطابق الأرضي وغرفة في الطابق الرابع فوق الدرج. وبالإضافة إلى ما توضحه مخططات الواجهتين يمكن تحليل واجهتي المبنى من حيث المساحة على النحو الآتي:



١



٢

الواجهة	المساحة الإجمالية م٢	مسطحات الكتل المبنية بالحجر		مسطحات الكتل المبنية بالياجور		مسطحات عناصر الفتحات		مسطحات الكتل والعناصر المعمارية الجمالية والزخرفية	
		المساحة م٢	النسبة %	المساحة م٢	النسبة %	المساحة م٢	النسبة %	المساحة م٢	النسبة %
الغربية (الرئيسية)	١٢٤,٤	٤٠,٦	٣٢,٦	٣١,١	٢٥	٨,٣	٦,٧	٤٤,٤	٣٥,٧
الشمالية	١٢٧,٧	٤٩	٣٨,٤	٥٩,١	٤٦,٣	١,١	٠,٩	١٨,٥	١٤,٤

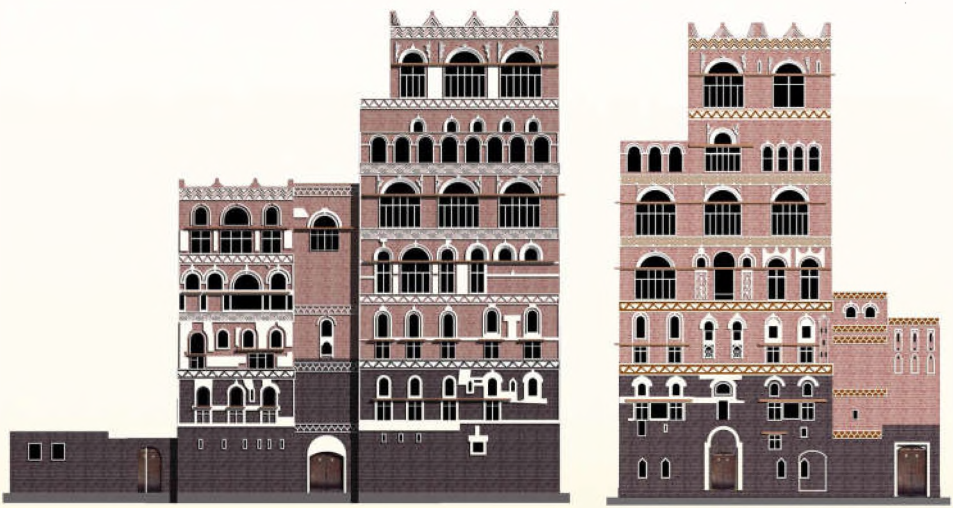
جدول تحليل الواجهتين الغربية والشمالية لبيت شرهان

تحليل الواجهة الشرقية والجنوبية لبيت غمضان

يتكون بيت غمضان من مبنيين ملتصقين ومتصلين ومتداخلين في فضاءاتهما الوظيفية، ويرتفع المبنى (أ) الشرقي إلى نحو ثمانية طوابق. وبالإضافة إلى ما توضحه مخططات الواجهتين يمكن تحليل واجهتي المبنى من حيث المساحة على النحو الآتي:

الواجهة	المساحة الإجمالية م٢	مسطحات الكتل المبنية بالحجر		مسطحات الكتل المبنية بالياجور		مسطحات عناصر الفتحات		مسطحات الكتل والعناصر المعمارية الجمالية والزخرفية	
		المساحة م٢	النسبة %	المساحة م٢	النسبة %	المساحة م٢	النسبة %	المساحة م٢	النسبة %
الشرقية (الرئيسية)	٣٤٧,٨	٧٢,٩	٢١	١٣١,٩	٣٨	٧٤,٢	٢١,٢	٦٨,٨	١٩,٨
الجنوبية	٤٩٣,٢	٩٧,١	١٩,٧	١٧٩,١	٣٦,٣	٩٤,٦	١٩,٢	١٢٢,٤	٢٤,٨

جدول تحليل الواجهتين الشرقية والجنوبية لبيت غمضان



٤ ٣

١. الواجهة الغربية لبيت شرهان
٢. الواجهة الشمالية
٣. الواجهة الشرقية لبيت غمضان
٤. الواجهة الجنوبية

تحليل واجهات دار الذهب (بيت دلال)

يتكون دار الذهب (بيت دلال) من مبنى يرتفع أربعة طوابق رئيسية وطابق مسروق لفضاء البئر. وبالإضافة إلى ما توضحه مخططات الواجهتين يمكن تحليل واجهتي المبنى من حيث المساحة على النحو الآتي:

الواجهة	المساحة الإجمالية م٢	مسطحات الكتل المبنية بالحجر		مسطحات الكتل المبنية بالياجور		مسطحات عناصر الفتحات		مسطحات الكتل والعناصر المعمارية الجمالية والزخرفية	
		المساحة م٢	النسبة %	المساحة م٢	النسبة %	المساحة م٢	النسبة %	المساحة م٢	النسبة %
الجنوبية (الرئيسية)	٢٠٥,٦	١٠٠,٣	٤٨,٨	٣٢,٩	١٦	٢١,٥	١٠,٤	٥٠,٩	٢٤,٨
الغربية	٢٢٤	٨٧	٣٨,٩	٥١,٦	٢٣	١٨	٨	٦٧,٤	٣٠,١
الشرقية	١٨٥,٦	٥٧,٥	٣١	٦٢,٨	٣٣,٨	١٦,٦	٩	٤٨,٧	٢٦,٢
الشمالية	١٥٠,٩	٤٤,٦	٢٩,٦	٦٧,٥	٤٤,٧	٧,٤	٤,٩	٣١,٤	٢٠,٨

جدول تحليل واجهات دار الذهب (بيت دلال)



١



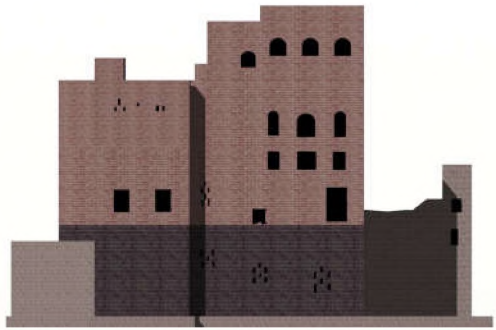
٢

تحليل العلاقات الوظيفية الجمالية لكتل وعناصر تشكيل واجهات المبنى السكني ومواد البناء والتشكيل الزخرفي وألوانها الطبيعية.

١. كتل الواجهة ومادتي البناء الرئيسيتين (الحجر والياجور) وفتحات الإضاءة والتهوية.

٢. الواجهة مكتملة ومزدانة بالعناصر الزخرفية وعليها لياسة القص المؤطرة للفتحات.

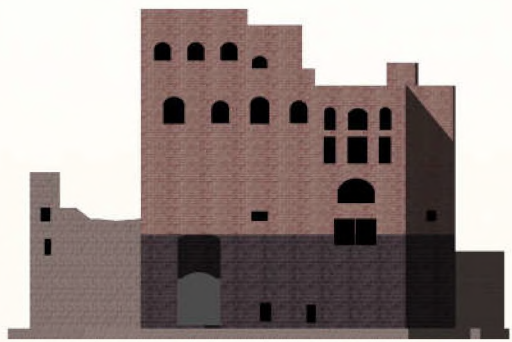
١, ٢. الواجهة الجنوبية
٣, ٤. الواجهة الغربية
٥, ٦. الواجهة الشرقية
٧, ٨. الواجهة الشمالية



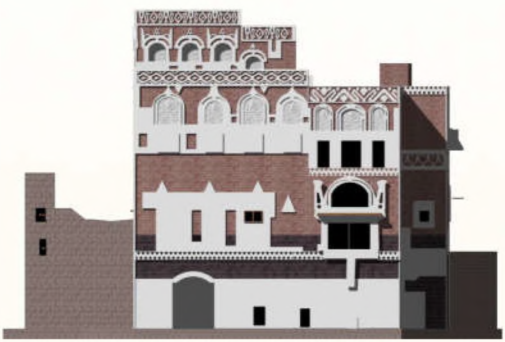
٣



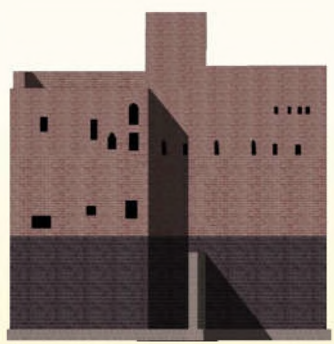
٤



٥



٦



٧



٨



ويمكننا حصر أهم استنتاجات تحليل واجهة المبنى السكني على النحو التالي:

- الواجهة الجنوبية والجنوبية الغربية أكثر الواجهات اهتماماً وعناية بالزخرفة وتوجيه الفتحات ونحوها يتم توجيه الفضاءات الأكثر أهمية إليها من حيث الاستخدام المعيشي والهادئ (النوم والراحة).
- الواجهات الجانبية الغربية والشرقية والجنوبية الشرقية والشمالية الغربية واجهات متدرجة من حيث أهمية الاستخدام، لذا يتم العناية بها (فتحات وزخارف) وفق تدرجها هذا، وعليه يتم توزيع الفضاءات الأقل أهمية من حيث الاستخدام المعيشي ومن ثم الهادئ، وبذلك فإن تداخل عمليات التوزيع (الاختيارات التصميمية) تجعلها في المرتبة الثانية بعد الواجهات الجنوبية والجنوبية الغربية، وبهذا تأخذ عمليات تشكيل الواجهات كل عوامل التأثير وترتكز في الأساس على الجانب الاجتماعي - الثقافي أكثر من غيرها، مما يحتم الخلط بين الرغبة والضرورة الملزمة من ناحية ومن ناحية أخرى وبين الدرجة النوعية للتوجيه ذي الاهتمام النوعي بعد الرئيسي نسبياً والتوجيه ذي الاهتمام الأقل نسبياً - الهامشي.
- الواجهات الخلفية في الغالب هي ذات السمة في التوجيه نحو الشمال والشمال الشرقي بما فيها أيضاً الشمالية الغربية - وبالأخص تلك الواجهات التي تميل نحو الشمال أكثر منه نحو الغرب - فهذه الواجهات أقل اهتماماً من حيث توزيع الفضاءات، وأكثر ما يميزها في عمليات التصميم (تشكيل الفضاءات المعمارية - وبالأخص السكنية) هو التكثيف الاستخدامي لها في توجيه الفضاءات الخدمية والأقل استخداماً مثل المطابخ والسلالم (الدرج) والحمامات والمخازن... ولهذا ولما أوليت به هذه الواجهات من اهتمام نسبي من حيث التشكيل المعماري والزخرفي يأتي لكي تتجاوب وترتقي نسبياً من حيث جمالية الشكل مع بقية الواجهات (الرئيسية والجانبية - الثانوية) إلا أنه وللعفوية الإيجابية والتي اعتمدت في الأساس البساطة والتلقائية فقد صار الشكل يعبر عن مضمونه دون تدخل، ليرتقي الشكل بقيمته حيث إنه حمل مضمونه الصريح.
- استعمال الأحجار بالجزء السفلي:
  - يوفر مقاومة كافية للإجهادات القادمة من الأحمال العلوية.
  - مقاومة أفضل للرطوبة بالخاصة الشعرية.
  - سهولة البناء بالآجر للطبقات العلوية (قلة الوزن النوعي لمادة البناء بالآجر عن الوزن النوعي للأحجار).

الزخرفة



الزخرفة في عمارة صنعاء تكتسب أهمية كبيرة وتحظى بعناية فائقة، فهي سمة المباني البرجية، والعنصر الأكثر سيطرة في النسيج المعماري لمدينة صنعاء القديمة وطرازها المعماري. وتتنوع عناصرها ومواضيعها بتنوع مفرداتها ووحداتها الزخرفية، وكذلك مواضعها وأماكنها في واجهات المبنى أو داخله، وتزداد كثافةً وتعقيداً في واجهات المبنى كلما ارتفع البناء تصاعدياً، أما في داخله فتزداد كثافةً وتعقيداً وفقاً للأهمية الاستخدامية للفضاء ونوعه الوظيفي. وإذا كان المبنى السكني والسمسرة ومئذنة المسجد أكثر المباني والعناصر المعمارية كثافة زخرفية خارجية عن غيرها، فإن بيت الصلاة والمحراب والمنبر للمسجد والجامع والديوان والمفرج والمنظر والقمرية القُصية المعشقة بالبلور للمبنى السكني هي أكثر الفضاءات والعناصر المعمارية الداخلية كثافة زخرفية عن غيرها أيضاً.

وتتباين الزخرفة الخارجية عن الداخلية في الكثير من المفارقات، من حيث المفردات والعناصر نوعاً وكماً، وفي مواد وتقنيات التشكيل، وفي معاني القصد التعبيري ومدلولاته، ومن حيث حرية الاختيار النوعي والكمي للعناصر والمواضيع الزخرفية وكذلك مواضعها.

وإذا كان لعامل التأثير الزمني الخارجي وبالأخص، فنون العمارة الإسلامية والعربية، الأثر الأكبر في نمو وتطور أساليب وأنماط الزخرفة اليمنية الداخلية، فإن لعامل التأثير المكاني، وبالأخص الفنون اليمنية القديمة الأثر الكبير في النمو والتطور النوعي للتشكيل الزخرفي الخارجي في العمارة الصنعانية. ولبيان معاني الاصطلاحات لمكونات التشكيل الزخرفي وحتى تتضح الرؤية لدى القارئ، لا بد من تعريفها ليتسنى بذلك إدراك معانيها سلاسة ووضوحاً وعلى النحو الآتي:

- **المفردة:** هي أساس التشكيل الزخرفي المنتظم الحركة بإيقاع متسق وتشكل في نظمها وحدات وعناصر زخرفية شريطية، أفقية رأسية، أو متعرجة، متموجة، أو حلقية، دائرية، ولبدائية المفردة فإنها في الغالب لا تحمل مدلولاً تعبيرياً واضح المعنى حين قراءتها منفردة ولا يتضح هذا إلا حين اكتمال تكوينها للوحدات والعناصر الزخرفية الهندسية والنباتية.
- **الوحدة:** هي التكوين الزخرفي والواضح في دلالة ومعنى القصد التعبيري وفي طورها الأول للتشكيل، وتشكيل الوحدة الزخرفية يأتي نتاجاً لحركة مفردة زخرفية واحدة ذات النظم الإيقاعي المستمر أو مفردتين أو أكثر وبالتناوب في انتظام إيقاع حركة التشكيل الزخرفي الشريطي أو الحلقي، وللوحدة الزخرفية البسيطة المنفردة دور في عملية الربط بين وحدات العنصر الزخرفي المتباينة الأبعاد والمساحات أو بين عناصر الموضوع الزخرفي المتباينة النوع والأبعاد والمساحات.
- **العنصر:** هو التكوين الزخرفي المتكامل نسبياً والواضح في دلالات معاني القصد ويتكون من نسق زخرفي آحادي النوع. والوحدة الزخرفية أساس تشكيل العنصر الزخرفي المنتظم الحركة والمعتمد في هذا أساساً على النوع الواحد للمفردة، هندسية ونباتية وحيوانية...، وقد يتكون العنصر الزخرفي من وحدة أو أكثر من وحدة زخرفية في نمطية تشكيله المنتظم الحركة، وقد يأتي العنصر الزخرفي على هيئة نص يعتمد نوعاً واحداً في التشكيل القواعدي للخط العربي، كوفي وديواني وثلث ونسخ...، أو قد يأتي بشكل نقش بسيط لا يعتمد المفردة أو الوحدة في تشكيله وليس له انتظام الحركة. وغالباً ما يأتي في مواضع منفصلة غير متداخلة مع عناصر ووحدات التشكيل الزخرفي المنتظم الحركة. وأكثر العناصر الزخرفية لهذا النوع تحاكي الواقع وإن أتت أكثر تجريداً. وقراءة معانيه التعبيرية سهلة وبسيطة وأكثر منها ما تعنيه العناصر الزخرفية النصية، والعنصر أحياناً قد يعمل كإطار متنوع في عقد الربط بين عناصر الموضوع الزخرفي المتنوعة.

■ **الموضوع:** هو التكوين الزخرفي المتعدد العناصر والوحدات والمفردات الزخرفية، وقد يأتي مؤطراً بإطارات زخرفية أيضاً. والموضوع وإن كثرت دلالاته ومعانيه القصدية إلا أنه يجمعها معاً في تأليف موضوع تعبيري واحد أشبه بالسمفونية في الموسيقى والقصيدة الشعرية والقصة والرواية والمقالة في الكلام. فيما يتمثل العنصر تشبيهاً مجازاً في هذا أيضاً وبلاغة التعبير والنظم القواعدي للعبارات لتعمل الوحدة في هذه المقارنة بنظمها للمفردة دور نظم ونسق وترتيب الأحرف لتشكيل الكلمات فيما تعمل العقدة عمل أحرف الجر والنصب....

كما يوجد نوع آخر من المواضيع الزخرفية ليس لها وحدات أو مفردات زخرفية متكررة شريطية أو حلقية، وهذا النوع يقتصر فقط على تأثير الحدث ورموزه، وغالباً ما يأتي في شكل وحدات زخرفية تمثل بحد ذاتها موضوعاتها الزخرفية، وتعتمد تشكيل النقش الحر، وتميل إلى محاولة المحاكاة الحرفية، وهي أشبه بالزخارف اليمنية القديمة في طور نشأتها الأولى. ولارتباطها بتأثير الحدث فإن وحداتها، مواضيعها تحاكي الزمن ومتغيراته التقنية والاجتماعية والثقافية والذي يمثل فيه الحدث المتغير الرئيسي والأساسي، والكثير منها أتت بعد قيام ثورة (٢٦سبتمبر١٩٦٢م)، ومثال لهذه الزخارف هي: شعار الجمهورية (النسر) وكذلك العلم الجمهوري ومن ثم الطائرة والصاروخ والدبابة وكلما يرمز إلى القوة والانتصار، وقد استخدمت أيضاً ويتداخل بعضها في الموضوعات المختلفة للزخرفة الداخلية ذات الأصول التقليدية أو فن الأرابسك المتعدد المفردات والوحدات الزخرفية. وأكثر ما أستخدم هذا النوع في فضاءات المباني السكنية والعامة، الإدارية والتجارية والخدمية، ونادراً ما استخدم في المباني الدينية، وذلك لكونه أتى أكثر محاكاة للواقع في التصوير من ناحية ومن ناحية أخرى فإن إمكانية استخدامه في المباني الدينية حتى وإن شُكل بأقصى درجات التجريد لم يكن ممكناً، لأسباب دينية وثقافية واجتماعية كرست مفاهيم ومبادئ أخلاقية حكمتها أحكام القوانين والتشريعات.



١

وحيث إن الكثير من هذه المباني الدينية (المساجد) تم ترميمها وتجديدها وصيانتها في العقدين الأخيرين للقرن (٢٠م). إلا أن تأثير هذا النوع يلحظ تداخل وحداته الزخرفية مع التشكيلات الزخرفية للأبواب الحديدية المستحدثة والتي حلت بديلاً عن أبواب بعض الفضاءات الداخلية للمساجد أو الأبواب الخارجية لمقصوراتها ومدارس تحفيظ القرءان فيها بما في ذلك سبلها. وكذلك هو الحال في الأبواب الحديدية للمحلات (الحوانيت) وبوابات المباني السكنية الخارجية والتي استبدل فيها الخشب بالحديد.

وهذا النوع وإن كان قد أشير إلى الحدث الكبير في التغيير (٢٦سبتمبر١٩٦٢م) وأثره في هذا، وحيث إن أحداثاً كثيرة سبقته وكان لها أثرها في هذا الشأن، إلا أن قوة أثرها غالباً ما تزول بفعل قوة التأثير العكسي لها، فتنصهر وتذوب في الإطار العام للنهج المعماري المتواتر بانتظام عجلة نموه وتطوره.

وفي عمارة صنعاء فإن أكثر المفردات والوحدات الزخرفية بساطة وأقلها تنوعاً هي مفردات التشكيل الزخرفي الخارجي، وأكثر الوحدات والعناصر الزخرفية تعقيداً وتنوعاً في التشكيل هي وحدات وعناصر الزخرفة الداخلية. وعناصر التشكيل الزخرفي الخارجي يغلب عليها التشكيل الأكثر تجريداً لمفردات ووحدات زخرفية نباتية وحيوانية، ومن ثم الهندسية. أما في العناصر الزخرفية الداخلية فيغلب عليها التشكيل الزخرفي الهندسي والنباتي النصي في المباني الدينية والتشكيل الزخرفي التجريدي لمفردات ووحدات زخرفية هندسية ونباتية وحيوانية في المباني السكنية وغيرها.

وهناك الكثير من التباينات والاختلافات بين الزخرفة الخارجية والداخلية في عمارة صنعاء وفي الكثير من النواحي، وتوضحها الدراسة تفصيلاً من خلال مضامين مواضيعها التي اعتمدت في البدء بالفصل بين موضوعيها الرئيسيين (الخارجية والداخلية)، ومن ثم الجمع بينهما لبيان أهم الفروق الرئيسية.



٢

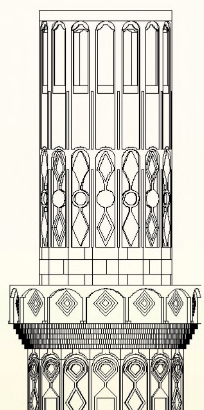


٣

١. التشكيل الزخرفي (من المفردة إلى الموضوع)
٢. النقش الزخرفي (موضوع متنوع العناصر أكثر تجريدا)
٣. النقش الزخرفي (موضوع أكثر محاكاة)

الزخرفة الخارجية

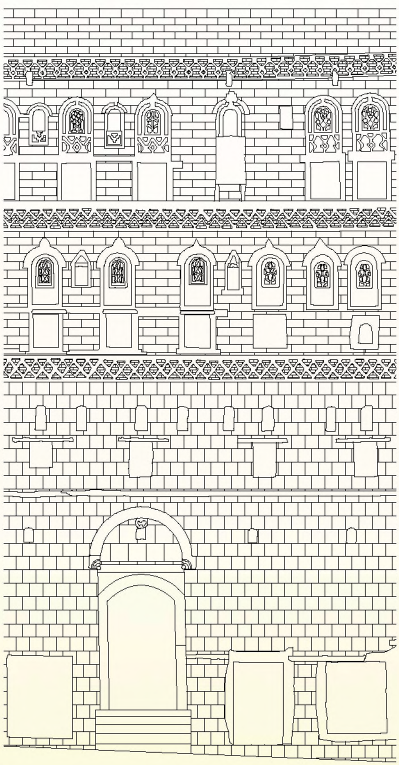
هي إحدى أهم الخصائص المعمارية في واجهة المبنى الصنعاني، وبالزخرفة الخارجية تتكامل عمليات نظم ونسق التشكيل المعماري لعناصر وكتل المبنى خاصة وللنسيج المعماري للوحدة والحارة والحي والمدينة عامة، والزخرفة عنصر وظيفي وجمالي يعد من أهم العناصر التي بها تميز وتفرد طراز العمارة الصنعانية عن غيره من الطرز المعمارية، والزخرفة الخارجية للمبنى تختلف في نوعيتها وكثافتها بين واجهات المبنى، الرئيسية والجانبية والخلفية، وكذلك بين طبقات الواجهة ذاتها، الطوابق السفلى والوسطى والعليا، كما تختلف وتتباين في النوعية والكثافة الزخرفية بين مبنى وآخر من حيث الوظيفة، ويأتي استخدامها بكثافة وبالتدريج في المبنى السكني والقصر والسمسرة الكبيرة ذات الطوابق المتعددة ومن ثم المبنى الإداري والعسكري فالمسجد والبوابة ونُوَب الحراسة السكنية، وتكاد تنعدم في واجهات الحمامات وأبراج وسور المدينة، وتتباين التشكيلات الزخرفية من حيث الكثافة الاستخدامية، والبساطة والتعقيد، ونوعية ونمطية التشكيل والسماكة والبروز والغور واللون والمساحة والموضع المكاني والرمز والمعنى في الدلالة التعبيرية....



١

ووفقاً لخصائص ومعطيات ومتطلبات مادة وتقنية التشكيل فإن التشكيل بطوب الطين المحروق (الياجور) هو أكثر مواد البناء الرئيسية والمساعدة استخداماً في التشكيل الزخرفي الخارجي، ويليه في هذا القص فهو مادة تشكيل زخرفي أساسي ومساعد (ملاطة) وعلى التوالي تباعاً، الخشب والحجر والزجاج والرخام معاً وأخيراً القضاض والمعدن.

ويوضح الجدول التالي المقارنة بين أهم خصائص مواد التشكيل الزخرفي من حيث اللون وقابلية التشكيل والقولبة والكثافة الاستخدامية في واجهات المبنى.



٢

١. واجهة جزئية لشرفة الأذان (مئذنة قبة البكيرية)

٢. واجهة جزئية لسمسرة المنصور

المادة	اللون	قابلية التشكيل والقولبة	الكثافة النسبية لاستخدامها في الواجهات
الحجر	- رمادي غامق - رمادي فاتح - أصفر قمحي - أصفر صحراوي	(متوسطة) في النحت و(منعدمة) في القولبة	الطوابق السفلى للمباني، الأرضي والمسروق ونادراً الأول، أحزمة عقود وتيجان أعمدة ومقرنصات، تحوير أركان المباني (للحركة) ومشربيات حجرية
طوب الطين المحروق (الياجور)	بني محمر فاتح	(متوسطة - عالية) في النحت و(عالية جداً) في القولبة والتشكيل المتداخل	كل الطوابق العليا وأبدان المآذن، أحزمة وتيجان وعقود وأشرطة زخرفية رأسية وأفقية ومشربيات (ياجورية)
الخشب	- بنى محمر غامق - بنى محمر فاتح - صحرواي	- عالية في النحت والتشكيل المتداخل (الرص والتعشيق) - ضعيفة في القولبة	تنحصر في الطوابق السفلى في مصاريع أبواب المداخل وفي الطوابق العليا على مصاريع الفتحات وأحزمة كاسرات الشمس (الكنات) وفي المشربيات الخشبية
القص	أبيض	- عالية جداً في النحت والتشكيل المتداخل والقولبة - ضعيفة في التشكيل الهيكلي	في كل الطوابق السفلي، ملاطة تكسية إطارات الأبواب والفتحات، وفي العليا، ملاطة تكسية الأسطح البارزة للزخارف (الياجورية) وإطارات العقود والفتحات والتشكيلات الزخرفية السطحية الملاطية وكذلك التشكيلات المفرغة، القمريات المعشقة بالرخام أو الزجاج....
القضاض	أبيض	- عالية جداً في النحت والقولبة - ضعيفة في التشكيل الهيكلي	في كل الطوابق، وهي عبارة عن مساحات شريطية رأسية تضيق في الأعلى وتتسع في الأسفل مع زخارف بسيطة هي مسارب تصريف المياه وتكسى وتزخرف بها القباب والأقباء.
الرخام	- صحراوي - أبيض إلى صفرة مغبرة عند الصقل شفاف يعطي ضوء القمر تشبيهاً	عالية في النحت والصقل والتشكيل المتداخل (التعشيق) وضعيفة جداً في القولبة	في كل الطوابق، وتزداد كثافة الاستخدام تصاعدياً في اللهوج (القمريات) وفتحات الإضاءة الجدارية وفتحات الإضاءة السقفية لقباب المساجد أو لقباب وأقباء الحمامات.
البلور (الزجاج) الشفاف والملون	- أزرق - أحمر - أصفر - أخضر	عالية جداً في القولبة والتشكيل المتداخل (التعشيق).	في كل الطوابق، وتزداد كثافة الاستخدام تصاعدياً في اللهوج (القمريات) الحديثة نسبياً، وفتحات الإضاءة الجدارية.
الحديد والمعادن الأخرى	- رمادي غامق - رصاصي	عالية جداً في القولبة والنحت والتشكيل المتداخل.	في كل الطوابق، ونسبة كثافة استخدامها إلى البقية ضعيفة جداً وتتضح شكلاً في الطوابق السفلى وبخاصة في تعشيقات تقوية أبواب المداخل ومدقاتها وأسياج فتحات النوافذ الكبيرة نسبياً، وهي نادرة جداً، في المباني السكنية والدينية والعامة، وذات كثافة نسبية في المنشآت والمباني الدفاعية (التحصينات).

يوضح الجدول السابق الكثير من خصائص مواد التشكيل الزخرفي وقياساً بمعيار إمكانية التشكيل الزخرفي من حيث المرونة وقابلية القولبة وفي سهولة تغطية مساحات كبيرة في زمن قياسي، وبجهد وكلفة منخفضة نسبياً يأتي الآجر (الياجور) ومن بعده القص أكثر مواد التشكيل الزخرفي استخداماً.

ولكون الآجر هو مادة البناء الرئيسية الأكثر كثافةً استخدامية في عمارة صنعاء، فقد بحث المعمار في إمكانية قولبته وبما يحقق المرونة والبساطة والتنميط، وبهذا استطاع أن يصيغ مفردات ووحدات زخرفية بسيطة وسهلة التشكيل.

الآليات التقنية للتشكيل الزخرفي الخارجي

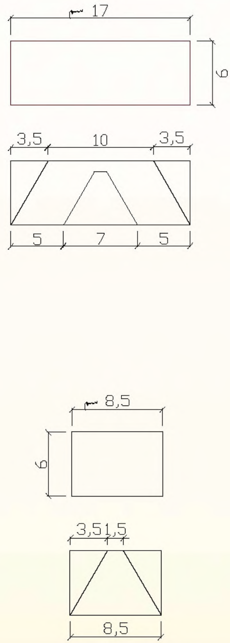
تتنوع وتتعدد الآليات التقنية في التشكيل الزخرفي الخارجي وفقاً لنوع المادة ومرونة تشكيلها القالبي أو التشكيلي كمفردة أو وحدة زخرفية جزئية أو كاملة أو نوع تشكيلها الموقعي، أما في موقع البناء فمدمجة، هيكلية، أو مضافة أو منتجة معملياً خارج الموقع، القمرية والكنة والباب والنافذة الحديدية وغيرها، وتدمج بعمليات البناء من حيث التركيب.

ولهذا التنوع (الكمي والنوعي) بين مواد التشكيل ومواضيعها تنوع كمي ونوعي آخر في الآليات التقنية للتشكيل الزخرفي لكل نوع من هذه الأنواع، ولكن نوعاً واحداً منها يعتمد على آلية وتقنية ومادة واحدة وقالب واحد أيضاً، تتفرع منه تسعة قوالب أخرى في كل عمليات ومواضيع تشكيلاته الزخرفية للواجهات، وهذا النوع الزخرفي التشكيل هو زخارف طوبة الياجور (الهيكلية)، ولهذه الخواص فإن التشكيل الزخرفي بطوب الياجور هو الأكثر كثافة ومواضيع في واجهات المباني السكنية والقصور والسماسر (ذات الطوابق المتعددة) أو واجهات بعض كتل المنشآت والمباني، وخاصة بعض أبدان مآذن المساجد.

منظومة طوبة الآجر (الياجور) القالبية، الآلية التقنية، الأساسية والرئيسية للتشكيل الزخرفي الهيكلي

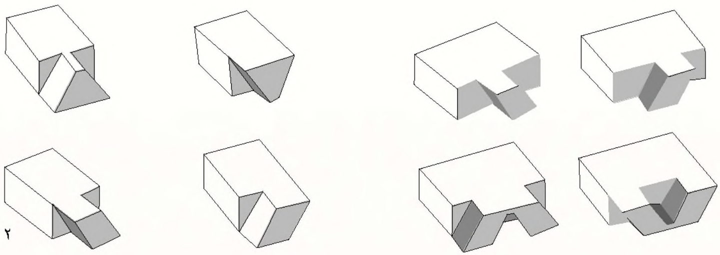
طوبة الآجر (الياجور) هي القالب الأساسي ومنها يشكل المعمار تسعة قوالب أخرى ليصبح عدد القوالب الرئيسية عشرةً، وتنقسم إلى مجموعتين الأولى مكونة من خمسة قوالب كبيرة أساسها طوبة الياجور (الكاملة) والأربعة القوالب الأخرى مشطوفة في طبقتها الأولى وبغور نحو الداخل من طرفيها أو طرفيها والوسط وكذلك هو حال المجموعة الثانية والمكونة أيضاً من خمسة قوالب صغيرة أساسها (نصف الطوبة).

وهذه العشرة القوالب، ثنائية الحجم وخماسية الشكل، هي المنظومة الواحدة الآلية والتقنية لتشكيل أنواع متعددة لا حصر لها من المواضيع الزخرفية وفي مواضع كثيرة وباتجاهات رأسية أو أفقية أو حلقية مستمرة أو متقطعة مؤطرة أو بدون تأطير....

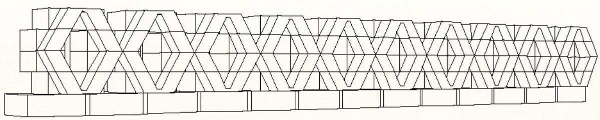


١

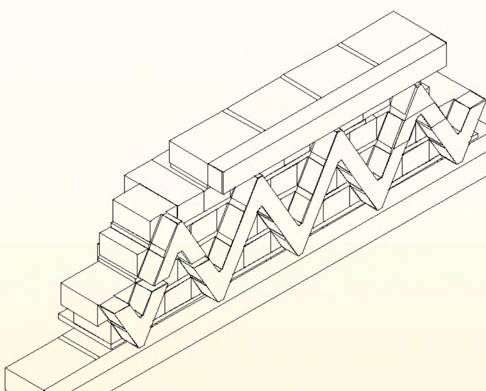




٢



٣



٤

١. قياسات طوبة الياجور
٢. القوالب الأساسية في التشكيل الزخرفي بطوب الياجور
٣. ٤. تقنية التشكيل الزخرفي بالياجور



١



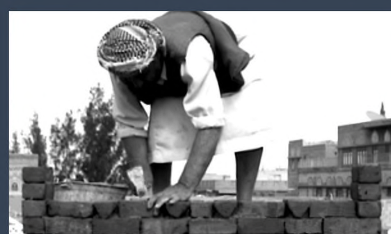
٢



٣



٤



٥



٦



٧

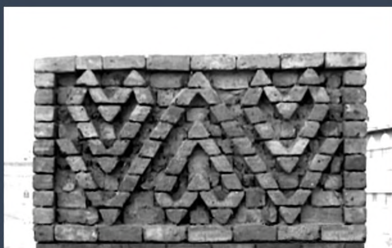


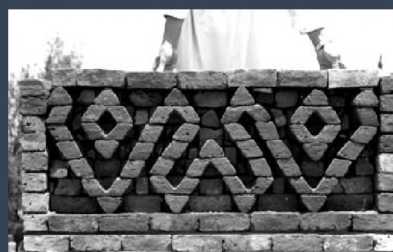
٨

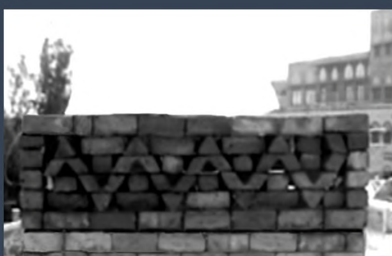

٩

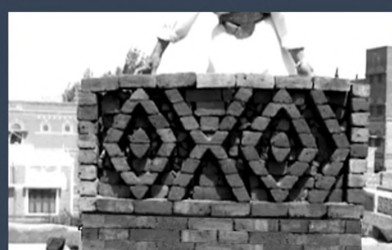

١٠


١١


١٢


١٣


١٤


١٥

١-٢. تحضير القوالب العشرة لمنظومة طوب الياجور

٣-١٢. عملية التشكيل الزخرفي لعنصر زخرفي للحزام (حنش تاج)

١٣.عنصر زخرفي للحزام (حنش تاج صغير)

١٤. عنصر زخرفي للحزام (حنش)

١٥. عنصر زخرفي للحزام (أبو نجمة)

خصائص التشكيل الزخرفي ومدلولاته التعبيرية بين المفردات وتنظيم الوحدات الزخرفية

إن الكثير من مفردات التشكيل الزخرفي الخارجي في العمارة اليمنية عامة وعمارة صنعاء خاصة ما هي إلا نتاج تراكمي لسلسلة من عمليات التجريد لمفردات زخرفية يمنية قديمة، تطورت وتعددت مواضيعها ومواضعها في واجهات المباني والمنشآت، كتل وعناصر. وبالتجريد أمكن قولبتها وتشكيلها واستخدامها في إنتاج وحدات زخرفية متنوعة المواضيع وبمساحات كبيرة. وللتحول السياسي والاجتماعي والثقافي والمعماري الحضري للمجتمع اليمني بعد اعتناق الإسلام دور مهم في إحداث تحول كبير في التشكيل الزخرفي في العمارة، ففي حين انحصرت مواضيع ومواضع الزخرفة في العمارة اليمنية القديمة، الداخلية والخارجية، إلا أنها اتسعت وتعددت وتنوعت بعد ذلك، وإذا كان للعوامل الاجتماعية والثقافية أثر في هذا فإن للتطور المتنامي لآليات وتقنيات التشكيل الأثر الأكبر وذلك للتعقيد الواضح في تشكيل المفردات والوحدات الزخرفية، وفي حين حاول المعمار اليمني القديم محاكاة الشكل الواقعي، إلا أنه بعد اعتناقه الإسلام أبتعد في تشكيله الزخرفي عن محاكاة الواقع وجرد الأشكال إلى أبسط صورها لتتحول إلى دلالات رمزية تعتمد على التشكيل الهندسي وخاصة في تشكيل المفردة ولا يكتمل المعنى لها إلا بتكرار المفردة في التكوين العام للموضوع الزخرفي، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فإن للبعد الديني، الإسلامي، في موضوع التوحيد (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ، اللَّهُ الصَّمَدُ، لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ.) الأثر الاجتماعي والثقافي في سلوك التشكيل الفضائي المعماري ولهذا سلك المعمار نهجا استعاضيّاً استبدل فيه التشكيل الزخرفي المحاكي للصور الواقعية بالتشكيل الزخرفي المجرد، وكان نتاج ذلك كميا ونوعيا في المواد والآليات كما كان نتاج ذلك تعدداً كمياً ونوعياً من مواد وآليات وتقنيات ومفردات ووحدات وعناصر ومواضيع ومواضع التشكيل الزخرفي عامة والخارجي خاصة وبالتجريد أتاح المعمار المعنى القصدي للكثير من المفردات الزخرفية القديمة لتصبح مفردات تشكل وحدات ومواضيع زخرفية ودلالات ومعاني تعبيرية سياسية واجتماعية وثقافية إسلامية.

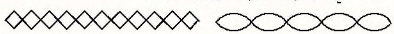
وميزة التشكيل الزخرفي الخارجي أنه لا يجمع بين نوعين من أنواع التشكيل الزخرفي الرئيسية، الهندسية والنباتية والحيوانية والتقنية، في تشكيل الوحدات والعناصر الزخرفية وإذا قارب التجريد بين مفردتين أو ثلاث من حيث الرمز فإن المعنى له أساس في إيضاح دلالته الزخرفية.

والمفردة في التكوين الزخرفي للوحدات والعناصر والمواضيع الزخرفية ذات أهمية كبيرة في الزخرفة الخارجية لعمارة صنعاء وهي أساس تكوين الوحدات ذات الخاصية المتكررة، الشريطية والحلقية. الزخرفية، والمفردة في التشكيل الزخرفي إما أن تشكل دلالة قصدية ذات معنى تعبيري خاص بها، أو أنها تشكل عنصراً جزئياً مكملاً للمعنى التعبيري عن التكوين العام للعنصر أو الموضوع الزخرفي.

- مفردة زخرفية تعني رأس الوعل.
- مفردتان زخرفيتان لا يكتمل معنى دلالتهما القصدية في التعبير إلا حين استمرارية نظمها وتعنيان معاً جسم الثعبان (الحنش)

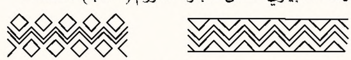


وانعكاسهما يعطي لكل منهما خاصية المفردة الزخرفية، ولا يكتمل معناهما إلا بنظمهما المستمر. وكلتاهما دلالتان عن ترابط متداخل منتظم ومتسق الحركة لجسمي ثعبانين ملتفين حول بعضهما.



وتشكيلهما المنتظم هذا له معنى آخر يرمز إلى التشبيه بحلقات سبحة والقصد في هذا الحساب الذكر والتسبيح.

- مفردتان أكثر تعقيداً وبعد النظم فمعنى دلالتهما التعبيري غصن شجرة الكروم (العنب) المقدسة.

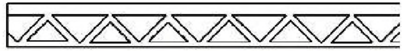


- مفرده زخرفيه دلالتها لا يكتمل معناها إلا بالنظم.

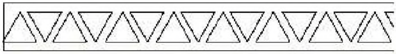
ولكثافة استخدامها في زخرفة الكنات (كاسرات الشمس) فوق النوافذ ولوظيفتها الرئيسية في منع تسرب مياه الأمطار إلى داخل الفضاءات الوظيفية (الغرف) حيث توضع الكنات في الأساس على النوافذ الكبيرة، المتسعة والممتدة عرضياً، يمكن قراءة دلالة معنى التشكيل لهذا التكوين الزخرفي في شكل تموج الماء.

- مفردة زخرفية لا يكتمل معناها إلا بالنظم ولكنه هنا يأتي مختلفاً عما سواه مما ذكر وذلك لاختلاف نهج النظم، من الأفقي إلى الرأسي، ولهذا ولكون عدم وجود رابطة، فإن تكرار المفردة لا يتم إلا بفاصل فراغي ومن أصل القاعدة، مسطح كتلة البناء. ودلالة معنى هذه المفردة في النظم (الكامل) هو سعف النخيل، الشجرة المقدسة المباركة.

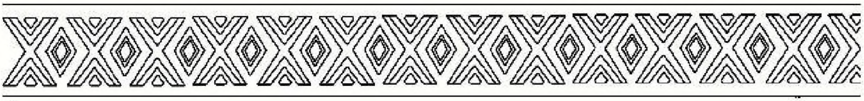




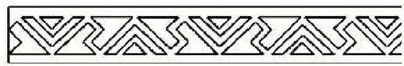
١



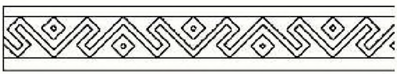
٢



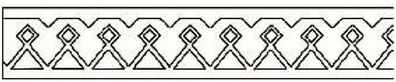
٣



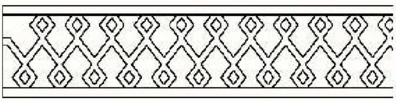
٤



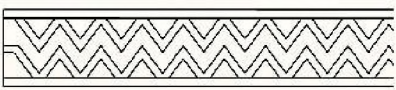
٥



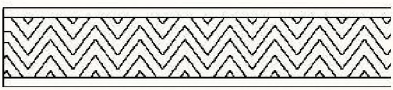
٦



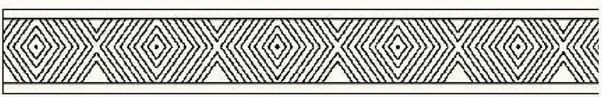
٧



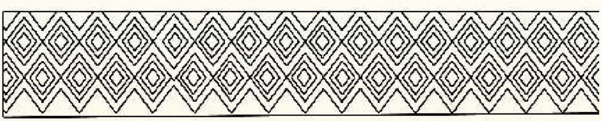
٨



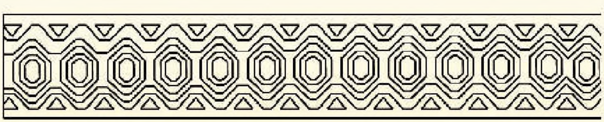
٩



١٠



١١



١٢

نماذج زخرفية لأهم الأحزمة والتجاويب وأسمائها المحلية

١، ٢. نجيمات

٣.أبو نجمة

٤-٧.حنش

٨، ٩.سلس

١٠،١١.زهرة

١٢.لؤلؤي

والمفردة في نظم، الوحدات والعناصر، الزخرفية الشريطية، الأفقية والرأسية، قالبية ذات أبعاد قياسية موحدة تعمل على نظم حركة التشكيل بإيقاع منتظم ومستمر، وهي بهذا لا تقبل أن تتداخل مع مفردة أخرى مغايرة الشكل في نظم التشكيل والمعنية في إبراز دلالة قصده التعبيري.

والمفردة الزخرفية في نظم، الوحدات، الزخرفية المتقطعة كالحلقية، الدائرية، فهي متنوعة القالبية المكونة للشكل، والتي غالباً ما تعتمد نظم التشكيل الإشعاعي وهي قليلة جداً ونادرة في التشكيل الزخرفي الخارجي الهيكلي، الياجوري، في عمارة صنعاء، ولكنها ذات كثافة في نظم التشكيل الزخرفي الخارجي للقمريات، القصية والمعشقة بالبلور، أو المشربيات. وهناك أيضاً زخارف لا تعتمد في تشكيلها على مفردات متكررة شريطية مستمرة أو إطارية متقطعة موحدة الأبعاد، ويمكن تسميتها في هذا بزخارف النقش الحرفي النصي والتصوير المجرد، الرسم، وهذه الزخارف تنتمي في الغالب إلى التشكيل الزخرفي المضاف. والزخرفة ذات الاستمرارية، التكرار للمفردة، هي الأكثر استخداماً في الزخرفة الخارجية لعمارة صنعاء، أحزمة وتجاويب وكنّات وأشرطة زخرفية رأسية.

دلالة معنى القصد التعبيري في التشكيل الزخرفي الخارجي

وظفت المواضيع الزخرفية بعناصرها ووحداتها في عمارة صنعاء لتعبر في مدلولاتها القصدية للمعنى عن مواضعها، مواقعها، وتتكامل معانيها التعبيرية وبشكل متسق التدرج من الخاص إلى العام أو بالأخص من الجزء إلى الكل والعكس في النسيج المعماري للمدينة وللحارة أو واجهة المباني، الرئيسية والخلفية أو الجانبية، أو في موضوع الكتلة والعنصر للمبنى السكني أو السمسرة الكبيرة المتعددة الطوابق أو المئذنة والقبة لبيت الصلاة بالمسجد أو الضريح أو النافذة والمشربية وغيرها، وللحصر نورد بإيجازٍ نماذج لكل منها:

النسيج المعماري للمدينة

تتركز مواضع الزخرفة بكثافة على كتل مسطحات المباني السكنية والسماسر ذات الطوابق المتوسطة والعالية، والمآذن المزخرفة. واستناداً إلى خصائص الشكل لنسيج عمارة مدينة صنعاء القديمة فإن الزخرفة تأتي من حيث ترتيب نظم تكوين البناء في المرتبة الثالثة، بعد الهيكل والكتل والفتحات، ومن حيث الخصائص المميزة والتفرد فإن الزخرفة تأتي أول القيم وهي دالة الدَّوَال في التعريف بالقصد التعبيري لهوية التراث الثقافي الحضري لمدينة صنعاء.



١



٢



٣

١. زخرفة هندسية منتظمة على واجهة مبنى سكني
٢. زخرفة هندسية ونصية على قاعدة مئذنة قبة المهدي
٣. زخرفة عفوية على واجهة مبنى سكني

النسيج المعماري للحارة

لكل حارة من حارات صنعاء نسيجها الخاص والمميز عن بقية الحارات، وهذا نتاج التباين بين حجوم الحارات، الصغيرة والمتوسطة والكبيرة، وكذلك تنوع مكوناتها ووظائف مبانيها وتعدد وتنوع كتلها وعناصرها، وللتنوع الكتلي في التكوين الرأسي لنسيج الحارات هناك معالم متميزة لكل حارة من جملة هذا الحشد الكبير من المباني المتباينة في النوع الوظيفي والارتفاع لمبانيها عامة، والنوع الوظيفي والارتفاع لكتل وعناصر كل مبنى وظيفي نوعي خاصة. ولهذا وإن كانت الزخرفة تعتمد اتساق الموضوع العام للطراز وتشكل وحدته، فإنها ذات علاقة تميز من خلال التلاعب القصدي في تباين المعنى التعريفي بالموضوع وأهم مثال لذلك انتشار نحو (١٤مئذنة) عالية ومتوسطة مزدانة بالزخارف ولكل منها أسلوب زخرفي يختلف تماماً ويتباين في تشكيلاته عن أسلوب وتشكيل زخرفة بقية المآذن، وهذا التباين والتنوع يعطي المئذنة دور الدليل التعريفي كموجه ومرشد، وبالتبادل في التوضع يتكامل الدور التعريفي والإرشادي في التوجيه بالتناوب بين المئذنة المزخرفة والمئذنة غير المزخرفة والتي يبلغ عددها حالياً (١١مئذنة) في صنعاء القديمة، ولهذا وعند مقارنة الدور الوظيفي، المادي والمعنوي، للنسيج المعماري للحارة والنسيج المعماري للمدينة، نجد الحارة وفي ميلها إلى اعتماد زخارف كتل المباني السكنية أكثر من غيرها في التعبير العام لنسيجها في هذا الشأن، إلا أنها تعتمد في الأساس على المئذنة المزخرفة للمسجد الذي يحويه تكوين نسيجها أو الذي تجاوره في التكوين العام كدلالة الانتماء أو التوجيه، الإدراك والوعي بالمكان.

واجهة المباني (كتلها وعناصرها)

تعتمد الزخرفة في سلوك تشكيل الفضاءات المعمارية للمباني عامة وتشكيل واجهاتها خاصة على مبدأين رئيسيين هما:

- التكثيف العالي للزخرفة على أسطح كتل المباني المستوية الأسطح والمتسامية في الارتفاع ويأتي تكثيف الزخرفة في هذا لتحريك الكتل الجامدة، الساكنة، المكعبة للمباني السكنية وسماسر الإيواء المتعددة الطوابق.
- عدم المبالغة في الزخرفة وإلى أدنى الحدود، كماً ونوعاً، على أسطح كتل المنشآت والمباني، المتباينة في تشكيلها الفراغي لتباين مساقطها وفي اختلاف نوعية نظم تسقيفها، وهي المباني ذات الحركة، نسبياً، لكتلها مقارنة مع كتل مباني النوع الأول المستوية الأسطح وأهمها الدينية والحمامات الساخنة والسبل وسور المدينة ونُوبه وبواباته وأبراجه. وللتباين والاختلاف فإن لحركة التشكيل في التكوين دوراً هاماً في دلالة المعنى من ناحية ومن ناحية أخرى إبراز القيم الجمالية التي يعنيها هذا التنوع، ولهذا جاء التشكيل الزخرفي بسيطاً وتكميلياً في معنى دلالة القصد التعبيري ولم يقحم بقصد ترفي واكتفى بالدور المناط به وفي مواضع محددة ومحصورة ولكنه استثناء كثف في أبدان غالبية المآذن العالية ومئذنتين متوسطتين فقط (الطواشي وطلحة) والغاية من ذلك التوجيه.

ويمكن قراءة أكثر تفصيلاً لمعانيها من خلال قراءة معاني بعض عناصر زخرفة واجهات المباني السكنية وسماسر الإيواء الكبيرة:

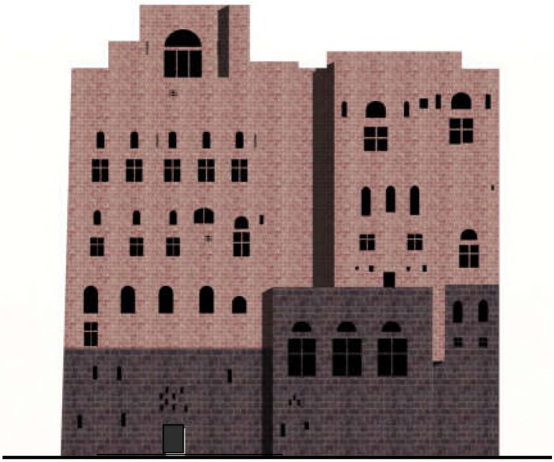
الأحزمة: وتعني الفواصل الإنشائية البنائية التركيبية للمبنى.

التجاويب: وتعني الإنهاءات للبناء.

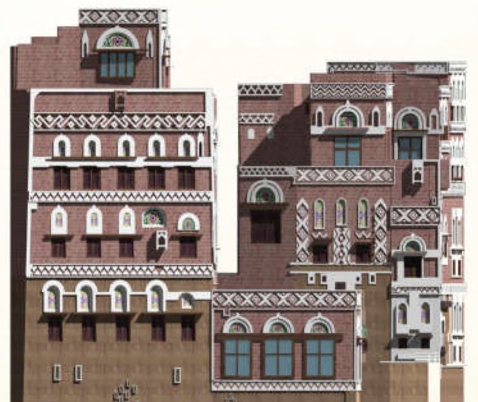
الزخارف الرأسية والإطارات الزخرفية: وتعني ملء فراغات الكتل الصماء بين عناصر التشكيل وخاصة عناصر الفتحات وبينها وبين مسطحات وأركان كتل التكوين المعماري وتأطير الفتحات والعناصر المعمارية الأخرى في الواجهات.

الزخارف المضافة: ورغم تعدد أنواعها في الواجهات إلا أنها قليلة الاستخدام نسبياً ومحصورة المواضع.





١



٢

دور الزخرفة في تحريك الكتل الجامدة (واجهة بيت العمري)

١.الواجهة دون زخرفة (مواد البناء بألوانها الطبيعية والفتحات)

٢.الواجهة بعد إغنائها بالزخرفة

الزخرفة الداخلية

الزخرفة الداخلية في عمارة صنعاء متعددة الأنواع والأنماط والوظائف الاستخدامية والجمالية ومواد وتقنيات التشكيل وقوالبه، ومفردات ووحدات التشكيل ومواضيعه ومواضعه، أماكنه، وتتباين، اختلافاتها وفروقها، في الكثافة الكمية والنوعية، والبساطة والتعقيد، وكذلك في سلوك التشكيل، ونوعية مفرداته ووحداته الزخرفية بين الاستمرارية، الشريطية، والمتقطعة، الحلقية، بما في ذلك أصولها وحجم وكثافة أثر التفاعل بين الأنماط الزخرفية اليمنية القديمة والإسلامية، أو أثر تفاعلها بالأنماط الزخرفية الداخلية لبقية فنون العمارة الإسلامية الأخرى، أو تلك التي تأثرت بها فنون العمارة الإسلامية من الفنون المعمارية العالمية الأخرى على مر العصور التاريخية للحضارة الإنسانية.

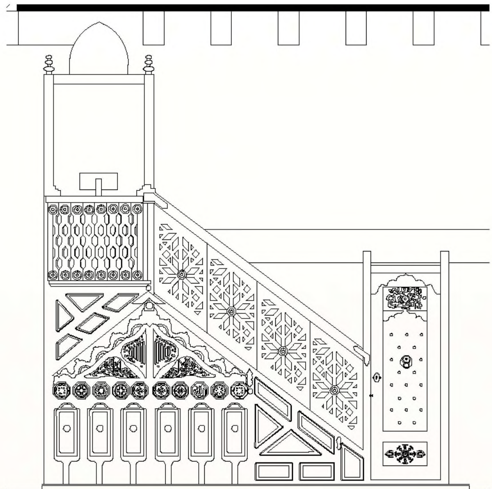
ويتحدد التعدد والتنوع أو التباين والتشابه أو التمايز في الكثافة أو البساطة والتعقيد في الزخرفة الداخلية ليس فقط من حيث النوع الوظيفي للمبنى بل أيضاً في النوع الوظيفي للفضاء داخل المبنى وعناصره المعمارية، وعناصر تجهيزاته الأخرى من أثاث وفرش.

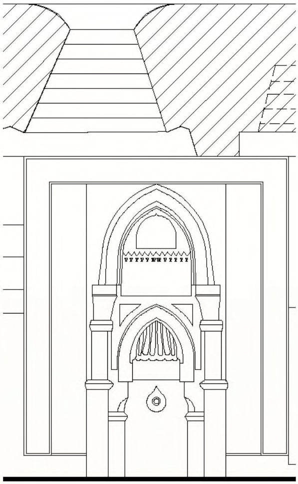
ولهذا الزخم الكمي والنوعي، وللحصر فإن تناول موضوع الزخرفة الداخلية لعمارة صنعاء القديمة سينحصر بإيجاز أيضاً في زخرفة الفضاءات الداخلية وعناصرها المعمارية ولأهم الأنواع الوظيفية للمباني وخاصة تلك التي تستخدم الزخرفة الداخلية بكثافة أكثر من غيرها وبالتحديد المباني الدينية، المساجد، والمباني السكنية وتأتي تباعاً الكبيرة (الدور والقصور) فالمتوسطة والصغيرة. أما بخصوص زخارف التجهيزات الأخرى كالأثاث والفرش فلذلك دور لا يقل أهمية في توفير الارتياح النفسي للمستخدمين عما توفره الزخارف الداخلية للفضاءات وعناصرها المعمارية إلا أن عناصر التجهيز والفرش تكتسب أهمية أخرى وذلك لما توفره من ارتياح حراري حينما تعمل على تقليص الحجم الضوئي للفضاء، أو تعمل على تنامي هذا الارتياح المادي بارتياح حراري نفسي بالاستخدام الكثيف للألوان الحارة الصريحة وبخاصة اللون الأحمر، وكذلك لخاصية الكثير منها في العزل الحراري كفرش الصوف والقطن والليف النباتي والراء. ولكن لعمرها الافتراضي القصير نسبياً ولكونها متحركة غير ثابتة من حيث تغيير أماكنها ومواضعها والتغيير لها بالاستبدال أو في معالجة الشكل بالتجديد المتسارع بين المدد الزمنية القصيرة نسبياً.

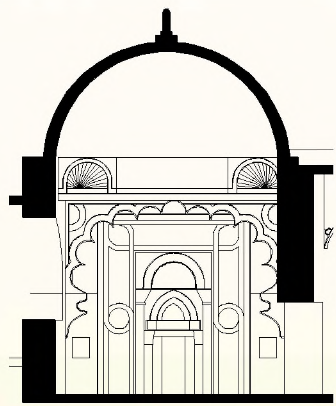
وإن كانت الإمكانيات المادية والعادات والتقاليد المتأصلة لها دور في هذا، إلا أن الذوق الجمالي وتطوره له أثره الكبير في تنامي أحداث هذه التغيرات بما تمليه عليه المتغيرات الزمانية، ومعطياتها المطلبية الحياتية للإنسان.

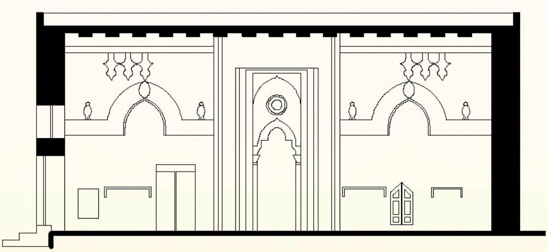
ولهذا فإن الحديث عن زخرفة التجهيزات المتحركة كالأثاث والفرش متشعب جداً وهو بحاجة إلى دراسة بحجم هذه الدراسة، ورغم ذلك لم يغفل تناوله وأقتصر فيما أوتي من إشارة ضمنية في المواضيع التفصيلية الأخرى. هذا بالإضافة إلى ما ستوضحه الصور والرسومات للفضاءات الداخلية لما تيسر منه. وعليه وحصراً للحديث في الزخرفة الداخلية للمباني الدينية والمباني السكنية وبالمقارنة الموضوعية في مواضع، أماكن، الكثافة النسبية، الكمية والنوعية، للزخارف في الفضاءات الرئيسية والثانوية بين المسجد الجامع كمبنى ديني والدار كمبنى سكني. وفي المسجد يأتي بيت الصلاة الفضاء الوظيفي الرئيسي والأهم، ويأتي في مقدمة أهم الفضاءات الأخرى الوظيفية للمسجد الجامع من بين الفضاءات الوظيفية للمباني الدينية خاصة، وأهم فضاء من بين كل فضاءات المنشآت والمباني المكونة للنسيج المعماري لمدينة صنعاء عامة. ويتميز فضاء بيت الصلاة (البنية) للجامع الكبير بزخم كثافة زخارفه الجدارية والسقفية، المصندقات الخشبية، وعناصرها الأخرى كالمحراب والمنبر والأعمدة والعقود وكذلك الخزائن الجدارية وغيرها. وإذا كان بيت الصلاة للجامع الكبير هو أكثر الفضاءات الوظيفية زخرفة داخلية في فضاءات مباني صنعاء القديمة، فإن بيوت الصلاة في المساجد الكبيرة والمتوسطة تليه في الترتيب. ويأتي بعد الجامع الكبير في هذا مباشرة بيت الصلاة لمسجد البكيرية. وفي حين تميز بيت الصلاة للجامع الكبير بالزخارف الخشبية الملونة للمصندقات، فان بيت الصلاة للبكيرية تميز بزخارف قصية ملونة على الأسطح الداخلية لقبته وقبابه الخارجية.

وبالمقارنة فإذا كان بيت الصلاة هو أهم الفضاءات الرئيسية للمسجد وأكثرها عناية واهتماماً بالزخرفة، فإن الفضاءات المعيشية الرئيسية للمبنى السكني، الديوان والمفرج والمفرج الأرضي والمنظر، هي أكثر فضاءاته الوظيفية عناية واهتماماً في زخرفة جدرانها الداخلية وعناصرها المعمارية كالرفوف (الصفّوف)، والأبواب الخشبية للخزائن ولهوج القمريات وإطاراتها وإطارات النوافذ والمشربيات وغيرها، كما تعنى أيضاً بالاهتمام بزخارف وألوان عناصر الفرش والتجهيز فيها.

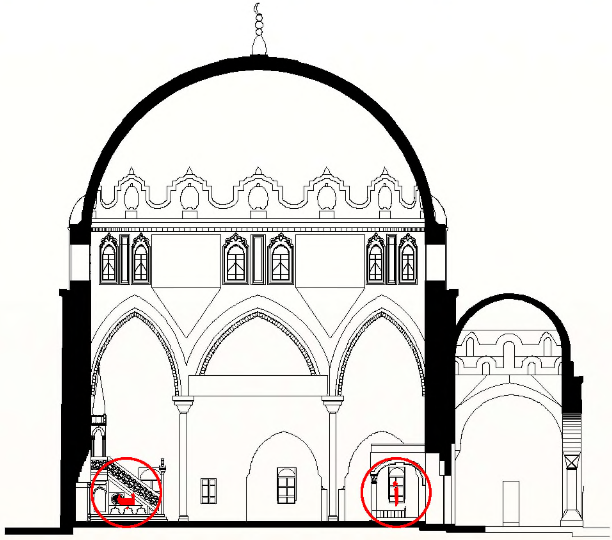

١


٢

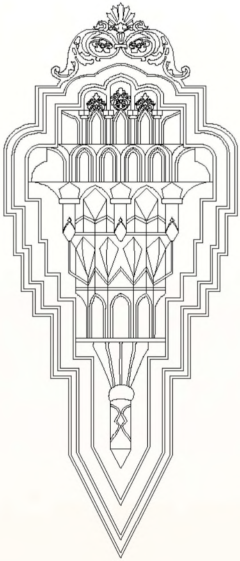

٣


٤

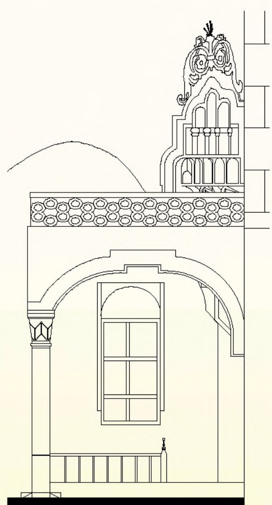
١. واجهة منبر الجامع الكبير
٢. واجهة محراب الجامع الكبير
٣. واجهة جدار القبلة في قطاع بيت الصلاة (مسجد الأبهر)
٤. واجهة جدار القبلة في قطاع ضريح (مسجد الفليحي)



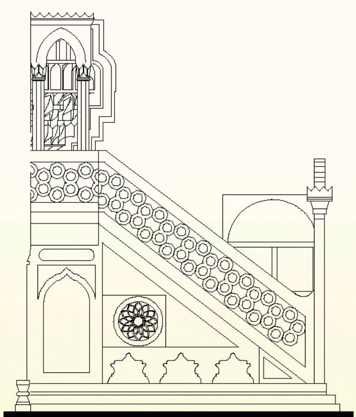
١



٢



أ



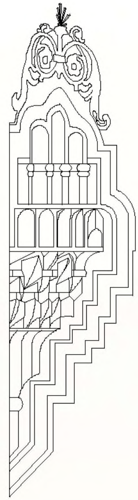
ب

١. واجهة الجدار الشرقي في قطاع بيت الصلاة في قبة البكيرية

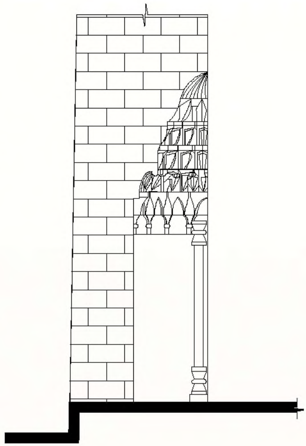
٢-٤. مقرنصات على جدار بيت الصلاة للمنبر في قبة البكيرية

٥. مقرنص في مسجد فروة بن مسيك

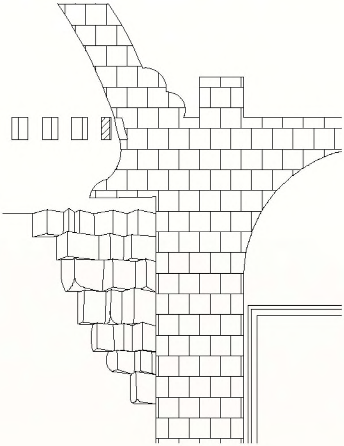
٦. زخارف على خزنة جدارية



٣



٤



٥



٦

وعند المقارنة بين المسجد والمبنى السكني من حيث الكثافة النوعية نجد أن المسجد يحظى بعناية واهتمام أكثر من المبنى السكني، وهذا يأتي نتاجاً للمكانة الروحية للمسجد، حيث يولى باهتمام وعناية الحاكم والمواطن والمعمار والحرفي، الغني والفقير، ويسهم كل منهم وفق إمكانياته المباشرة والدورية، هذا بالإضافة إلى إسهام الوقف الخاص والعام وما أوقف على المسجد المعني حين عمارته الأولى، أما المبنى السكني فإن العناية والاهتمام به يخص المالك في الأساس، ويشترك معه في الإحساس المعمار والحرفي فقط.

ومن حيث الكثافة النوعية للزخارف الداخلية للمباني السكنية ولفضاءاتها الرئيسية، فإن المباني الكبيرة (الدور) هي الأخرى أكثرها كثافة نوعية في زخرفتها الداخلية أيضاً، ولفضاءاتها الرئيسية (المعيشية والهادئة). وبالمقارنة أيضاً وبالترتيب المتسلسل تأتي بعد المباني الدينية والسكنية المباني العامة (التجارية الخدمية) كالسماسر، وبالمثل تعنى السمسرة الكبيرة باهتمام في الزخرفة الداخلية أكثر منه في السماسر الصغيرة، وتقل الزخارف الداخلية للمباني العامة الأخرى كالحمامات الساخنة والتي تكاد تنعدم في اغلبها عدا ما زينت به القاعة الكبيرة (المخلع) لحمام الميدان بزخارف القضاض على الأسطح الداخلية لجدرانه وزخارف الفسيفساء على جدران بركة الشاذروان.

ويمكن تصنيف الزخارف الداخلية للمباني وحسب مواضعها، أماكنها، في الفضاءات الوظيفية وعناصرها المعمارية وعلى النحو الآتي:



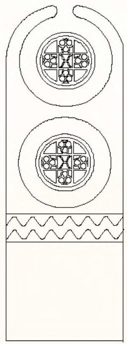
تشكيل زخرفي داخلي متعدد العناصر (المبنى السكني - المفرج)، (١٩٣٧م)، م/ م ت د م

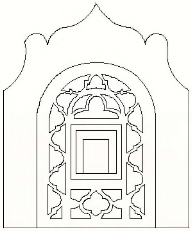
- **الزخارف الجدارية:** وهي إما أن تأتي على أسطح الجدران أو بين الجدار والجدار المتعامد عليه، الزخارف الجدارية الركنية، ونوعية هذه الزخارف إما شريطية (أحزمة) ذات مفردات ووحدات زخرفية نمطية في التشكيل أو حلقية مؤطرة أو غير مؤطرة، ويغلب في المباني السكنية الزخارف الحلقية غير المؤطرة وعلى عكس ذلك في المباني الدينية. والزخارف الجدارية للفضاءات الوظيفية الرئيسية والثانوية للمباني هي من مادة القص، والفضاءات الوظيفية ذات العلاقة بالماء زخارفها الجدارية من القضاض مادة لياستها مثل مطاهير المساجد أو المطبخ والمطهار والمستراح والطبقة في المبنى السكني والسمسرة وغيرها.
- **الزخارف السَّقْفيَّة:** وتزخرف أهم الفضاءات الوظيفية الدينية بزخارف سقفية وخاصة في الأسطح الداخلية لقباب بيت الصلاة والمقصورة والضريح أو في أسطح الأسقف المستوية من خلال أسقف مستعارة (المصندقات الخشبية). وحديثاً أدخل الدهان المائي وبألوانه في إبراز العناصر الزخرفية بمفرداتها (القصية) وكذلك الزيتي وكثر استخدامها في الزخارف الداخلية على أسطح الجدران والقباب.
- **زخارف المحراب:** المحراب من أهم عناصر المسجد والجامع ويحظى بعناية واهتمام كبيرين من حيث الزخرفة ويشترك المحراب مع جدار القبلة في التكوين الزخرفي المتداخل في وحداته وعناصره لتشكل بمجملها موضوعاً زخرفياً واحداً يجمعها معاً. وعلى غرار الأسقف انتشر مؤخراً استخدام الألوان المائية والزيتية في تنميط الزخارف القصية للمحراب.
- **زخارف المنبر:** ويعنى المنبر عناية خاصة في تشكيله الزخرفي وذلك لأهميته. ومنبر الجامع الكبير استخدم الخشب في تشكيله منذ نشأته الأولى وتعاقب تجديده على مر العصور، وحظي بالاهتمام والعناية الفائقة في زخرفة جوانبه بزخارف متنوعة، هندسية ونباتية وقصية، فيها الغور والبروز وكذلك التفريغ. وإلى وقت قريب جداً لم تكن لبقية المساجد منابر عدا منبر البكيرية. وهو على نمط المنابر العثمانية، وهو المنبر الوحيد في صنعاء واليمن من حيث مادة وتقنية التشكيل، واستخدم في تشكيله الرخام والأحجار، وتشكيله الزخرفي اعتمد الحفر والتعشيق والصقل المتقن بين الرخام والحجر الملون.
- **زخارف الفتحات:** وهي متنوعة بتنوع عناصرها المعمارية وعلى النحو الآتي:
- **النوافذ:** الزخرفة الداخلية للنوافذ بسيطة جداً وهي قصية في إطاراتها وخشبية على أبواب فتحاتها.
- **اللهوج (القمريات):** القمرية الرخامية لم تعتمد الزخرفة، فيما عنيت القمرية المعشقة بالبلور الملون بتشكيلات زخرفية متنوعة، وقد تم تناول هذا بتفصيل أكثر في موضوعي القمرية والزخرفة الخارجية.
- **المشربيات:** المشربية الخشبية أكثر زخرفة وتنوعاً زخرفياً من المشربية الياجورية أو الحجرية، وذلك لقابلية ومرونة الخشب في التشكيل الزخرفي المفرغ وتأتي بعدها المشربية الياجورية في هذه الخاصية. أما الحجرية فهي أقلها، وتعنى المشربية بالزخرفة وفقاً لنوعية وأهمية الفضاء الوظيفي والطابق الذي هي فيه وكذلك الواجهة التي تزينها.
- **الأبواب:** والزخرفة على الأبواب الرئيسية من الداخل بسيطة وأكثرها على المغالق، أما زخرفة الأبواب الداخلية فهي قليلة وبسيطة أيضاً، أما زخرفة إطارات الأبواب الداخلية فهي من القص لكل الفضاءات ما عدا الفضاءات المتعلقة بالماء فتكون من القضاض، وهذه الإطارات بسيطة في التشكيل وخطية على هيئة إطارات تنتهي في الأركان بعقد ربط نمطية وتقليدية وعلى غرار إطارات النوافذ من الخارج والداخل في الغالب.
- **الفتحات الداخلية الأخرى:** زخارف الفتحات الشبيهة بالقمرية تشكيلها الزخرفي يتم بتفريغ ألواح القص وتعشيقه بالبلور الملون.
- **الأعمدة والعقود:** الأعمدة كانت وإلى منتصف العصر الحديث مادة الحجر هي مادة تشكيل الأعمدة، الأسطوانية أو المضلعة وتيجانها، وزخارفها بسيطة أغلبها يتكثف في تاج العمود وقلما تزين قاعدته وتحاكي الزخارف اليمنية القديمة، قبل الإسلام، وحالياً على أسطح الأعمدة التي كسيت بالقص وزخرفت تيجانها، لونت بالكامل بدهان زيتي مثل أعمدة مسجد الفليحي.

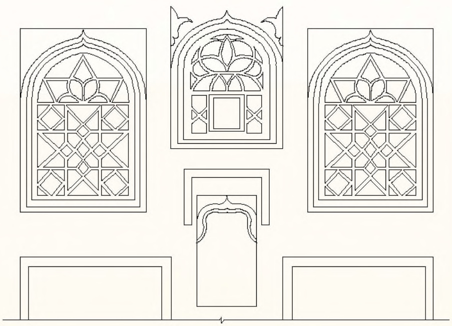
أما العقود الداخلية وبالأخص الحجرية فزخرفتها في الغالب بسيطة جداً وعلى أطراف التحوير الإنشائي الجداري أو تاج

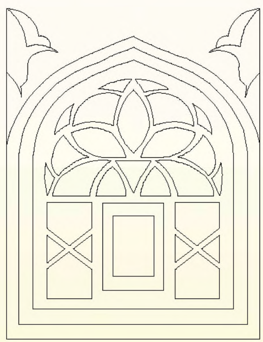
العمود الساند، أو من خلال التبادل المتناوب الإيقاعي للوني الحجر الأسود والأحمر الفاتح.

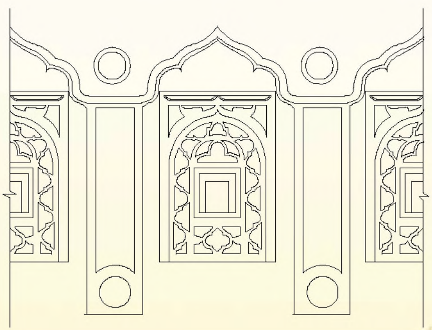
- زخرفة العناصر المعمارية (التجهيزات الثابتة):
- الرفوف (الصِّفّوف): وزخارفها تأتي في مقدمتها أو على جوانبها الساندة. وهي ذات غور وبروز أو مفرغة ومادتها القص وهو مادة تشكيل الرف ذاته، أما الرفوف الحجرية فهي صغيرة وزخرفتها بسيطة جداً ومن أصل تحويرها الإنشائي.
- الخزائن الجدارية: غالباً ما تكون الزخارف على مصاريع أبوابها الخشبية، وفي الفضاءات الوظيفية الهامة للمباني الدينية أو السكنية، وعادة ما تؤطر بزخارف قصية وتزدان مصاريعها بزخارف خشبية ذات بروز وغور وأحيانا بالتفريغ كالمشربيات، والعناية والاهتمام بزخرفة الخزائن مقرونة بأهميتها المكانية والوظيفية.











نماذج زخارف الجدران الداخلية للمباني السكنية ولهوج القمريات المعشقة بالبلور

كما يمكن التصنيف النوعي لمفردات ووحدات ومواضيع الزخارف الداخلية، الفضاءات الوظيفية وعناصرها المعمارية على النحو الآتي:

- المفردات والوحدات والمواضيع ذات الأصول الزخرفية اليمنية القديمة، ما قبل الإسلام، والمتواترة إسلامياً والمطورة بالتجريد

وهي ذات كثافة نوعية محدودة جداً مقارنة بغيرها، ولكن كثافتها الكمية تبرز كثيراً في الاستخدام الزخرفي لفضاءات وعناصر المباني السكنية ونزل الإيواء (السماسر)، وتقل إلى أدنى حدودها في زخرفة فضاءات المباني الدينية. ولزخم التأثير الخارجي من ناحية وللتوجه العام للعمارة الإسلامية نحو الزخرفة الداخلية للمبنى وفضاءاته وعناصره... أثره الكبير في التداخل المباشر أو غير المباشر بين مفردات ووحدات هذا النمط مع غيره من الأنماط، وعلى الرغم من أصوله القديمة إلا أن للتحول الكبير بعد مجيء الإسلام واعتماد التجريد أسلوباً تعبيرياً بليغاً له في المحاكاة رقي به ليكون أحد أهم الأنماط الزخرفية والتي وضعت الأسس الأولى لصياغة الفن العربي والإسلامي الشهير والمعروف باسم الأرابسك.

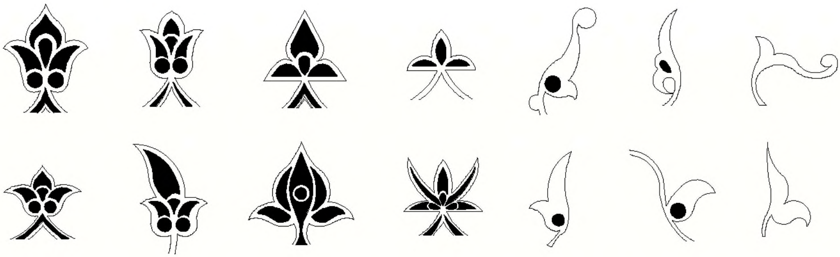
- المفردات والوحدات والمواضيع الزخرفية التي تأثرت بالأنماط الزخرفية الداخلية للعمارة العربية والإسلامية

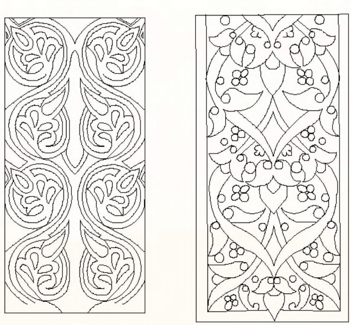
وهي ذات كثافة نوعية وكمية كبيرة مقارنة مع سابقتها، وأكثر الفضاءات الوظيفية وعناصرها المعمارية استخداماً لها وتأثراً بها هي الفضاءات الرئيسية للمباني الدينية، وأقلها استخداما وتأثرا بها هي الفضاءات الرئيسية، المعيشية أو الهادئة، للمباني السكنية أو للسماسر. وهذا الفن الزخرفي بمكونات عناصره المختلفة المنفصلة والمتداخلة يعرف بفن الأرابسك.

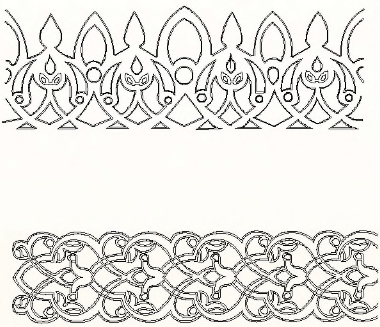
وخصائص الزخرفة الداخلية للفضاءات الوظيفية وعناصرها المعمارية في العمارة الصنعانية كثيرة ومتعددة بتعدد وتنوع الفضاءات والعناصر المعمارية والعناصر والمواضيع الزخرفية ومواد وتقنيات التشكيل، هذا بالإضافة إلى التنوع الوظيفي للمباني، الدينية والسكنية والتجارية الخدمية والدفاعية والإدارية... والتباين والاختلاف في الحجم والأهمية للنوع الوظيفي الواحد للمباني. وهذا ما أفرز الحشد الكبير من المفردات والوحدات والعناصر والمواضيع الزخرفية الداخلية.

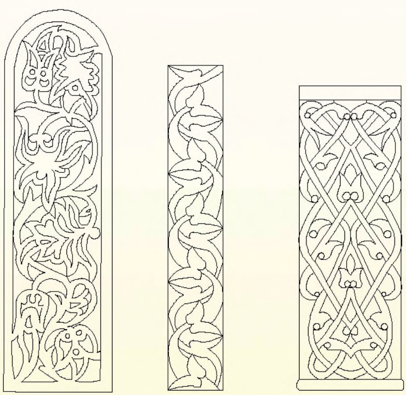
والتباينات الكبيرة وفروقها الكثيرة، بين كل عنصر زخرفي وآخر من حيث المادة والتقنية والغرض الوظيفي للتشكيل، أفرزت هي الأخرى أنماطاً تشكيلية متعددة ومتنوعة وتنامي تطورها المتسارع جاء نتاجاً لما أملته عليها المتغيرات الزمانية. ولهذا أيضاً تعددت الخصائص بما في ذلك خصائص النوعية للعنصر الزخرفي الواحد.

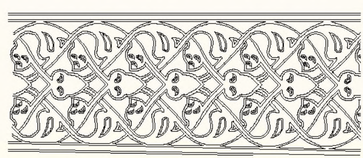
ومما ساعد في اتساع المساحة العددية والنوعية للعناصر الزخرفية الداخلية وأنماطها وتنامي تزايد خصائصها، والتي يمكن التشبيه لهذا النمو المضطرد المتسارع وكلتا العلاقتين مجتمعتين بالزيادة الحجمية المتصاعدة لقمع مخروطي، ومما ساعد في ذلك أنه أحد أهم المفاهيم والمبادئ للجوار في الإسلام، والذي يفصل علاقة الداخل بالخارج للمبنى السكني، من حيث حرية التصرف في التشكيل المعماري والزخرفي للمالك والمعماري والحرفي، لتترسخ بذلك قواعد وتقاليد سلوكية وأخلاقية عالية القيم تعطي المالك حرية التصرف التام في التشكيل المعماري والزخرفي للفضاءات الداخلية باعتباره ملكاً خاصاً، وتقيده كثيراً بل وتلزمه باعتماد الحدود المتعارف عليها، التقليدية، والنمطية في التشكيل المعماري والزخرفي الخارجي. ولكنه بالرغم من هذا فإن التجانس الكبير بين المواد والتقنيات، والحصر النوعي والعددي للمعماريين والحرفيين الذين توارثوا المهنة بالتعاقب داخل حدود العائلة الواحدة (البيت المهني) للحرفة المهنية التخصصية الواحدة، وعليه فإن لهذه العوامل مع غيرها من عوامل التأثيرات الدينية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية أثراً كبيراً في منطقة وحدة النوع والعنصر وتآلف المفردات والوحدات الزخرفية، ويتضح هذا في نوعية الفضاء أو العنصر المعماري أو المبنى، سكني أو ديني أو خدمي.... وعلى الرغم من الحرية المطلقة للمالك في المبنى السكني، ملكية خاصة، مقارنة بالمبنى الديني ذي الملكية العامة، إلا أنه ولمضامين مجمل ما ورد سلفاً أثر وعمل بشكل نسبي على كبح قوة الاندفاع الجامح للرغبات الذاتية والمطلقة الحرية في التصرف الكامل في زخرفة الفضاءات الداخلية وعناصرها المعمارية داخل المبنى السكني. وعليه انعكست المفارقة وصار المسجد كملكية عامة أكثر حرية، نسبياً، من المبنى السكني في الاختيار النوعي والكمي للزخرفة ولكن هذه الحرية نسبية وتضيق أكثر بحدود ومحاور موجهة في اختيار العناصر والمواضيع أكثر منها في انتخاب المفردات والوحدات.



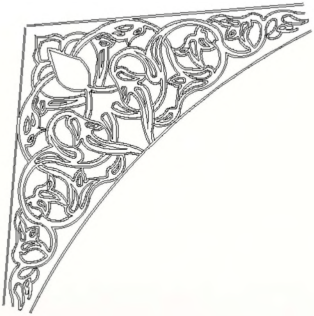


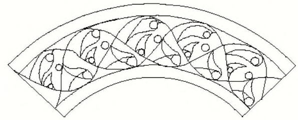


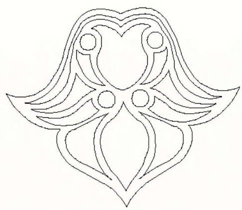


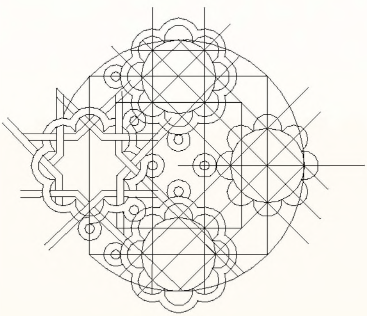


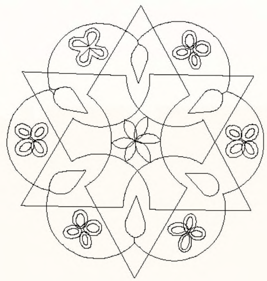
مفـردات ووحـدات التشـكيل الزخرفـي الـداخلي للعناصـر الزخرفيـة النباتية والهندسية، الشريطية الأفقية والرأسية والحلقية، لفن الزخرفة العربي المستخدم في الزخرفة الداخلية في مساجد صنعاء أكثر منه استخداماً في مبانيها السكنية والعامة الأخرى.

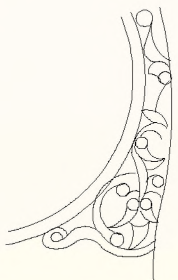


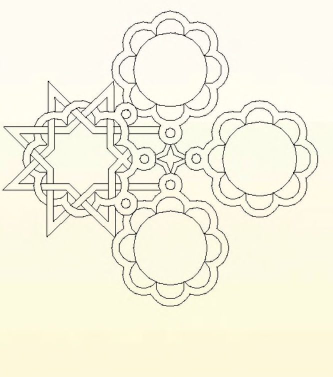


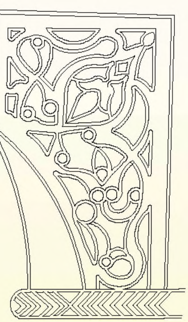












وتعطي هذه المقارنة بمفارقتها العكسية مدى العناية والاهتمام بالمسجد ورغم الإمكانيات المتطلبة في هذا الشأن وبشكل عكسي هو الآخر مع المبنى السكني والتي توفر الانتقاء النوعي للمادة وعناصر ومواضيع التشكيل والعمالة الماهرة، وإن تطلب استقدامها من أوطانها في مشرق ومغرب العالم الإسلامي، ولهذا نجد أن التأثير الخارجي في الزخرفة الداخلية للمباني الدينية أكثر منه وبكثير عن تأثيره على الزخرفة الداخلية للمباني الوظيفية الأخرى، وبخاصة السكنية.

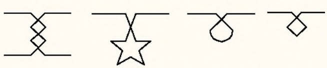
ولاستخلاص أهم الخصائص في هذا الكم الكبير من التباينات والمفارقات في التشكيل الزخرفي الداخلي فإن ذلك لن يتأتى إلا من خلال إيجاد القواسم المشتركة فيما بينها والتي تعمل على إزاحة الفواصل للتقارب وإحلالها بروابط عقد اتصال نسبي ونوعي بينها. وأهم القواسم المشتركة في هذا هي مفردة التشكيل الزخرفي الأساسية، وأكثر المفردات الزخرفية عمومية هي مفردات التشكيل الزخرفي الهندسي والتي لا تخرج مطلقاً عن (الخط) و(المسطح) المحدد الأبعاد. وينحصر الخط في تشكيلات الخطوط المستقيمة، المنكسرة والمنحنية، والمسطح في المسطحات المثلثة والمستطيلة، الدائرية، والمضلعة، وهي إما أن تتشكل بمساحات مستوية محسوسة بصرياً أو بمساحات فيها الغور والبروز، النتوء، أو التفريغ الهوائي، لتصبح محسوسة بصرياً وحسياً. وهذا في الأساس نتاج لنوعية مواد وتقنيات التشكيل لهذه المفردات. وقد تشكل المفردة الواحدة وحدة أو مجموعة وحدات زخرفية للعنصر أو الموضوع الزخرفي، وقد تتداخل مع مجموعة مفردات أخرى من هذا النوع أو العنصر الزخرفي أو مع غيرها من المفردات والوحدات للعناصر الزخرفية الأخرى، كالنباتية والنصية، حروف الكتابة، وغيرها، كما تعتمد أيضاً على عدد لا حصر له من المفردات النباتية والتي تتشابه نسبياً مع خصائص التشكيل للمفردات الهندسية وخاصة في التشكيل التجريدي لأوراق وأزهار وأغصان النباتات. وقليلاً جداً ما تستخدم مفردات تجريدية حيوانية في التشكيل الزخرفي المتكرر وبانتظام للمفردة الواحدة. أما عناصر الزخرفة النصية (الكتابة) فتشذ عن هذه القاعدة في الغالب وذلك لتباين أشكال الحروف العربية المكونة للنص، هذا بالإضافة إلى تعدد أنماط وقواعد الخط العربي وتنوعها في الأصل الواحد، وأهمها وأكثرها استخداماً في الزخرفة الداخلية وبترتيب تنازلي من حيث كثافة استخدامها الزخرفي هي الكوفي والثلث والديواني والفارسي والنسخ والرقعة. والتشكيل الزخرفي الداخلي يعتمد النظم الإيقاعي المستمر للمفردة الزخرفية أو المتناوب لها حين اشتراكها مع مفردات زخرفية أخرى. وأحيانا يأتي النظم الإيقاعي المستمر للوحدة الزخرفية الواحدة حين التكرار المنتظم لها، أو المتناوب حين تداخلها واشتراكها مع وحدات زخرفية من أصل النوع أو وحدات زخرفية من عناصر زخرفية أخرى.

ومسارات النظم الإيقاعي الزخرفي هي:

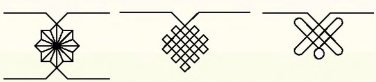
- المستقيمة (رأسية، أفقية) وهي شريطية.
- المنحنية (مقوسة ومتموجة).
- المنكسرة عمودية بزاوية (حادة، منفرجة، متعرجة).
- الملتفة كإطارات لمسطحات مزخرفة أو مفرغة (مثلثة، مربعة، مستطيلة، دائرية، مفصصة...) أو تأتي زخارفه متداخلة المفردات أو الوحدات تغطي كل مساحة المسطحات المراد زخرفتها والمحدودة أبعادها.

ولربط الوحدات الزخرفية للعنصر الواحد أو ربطها ببقية العناصر الزخرفية ووحداتها وبما يحقق الترابط العضوي للموضوع الزخرفي المتعدد العناصر والوحدات فيتم ذلك من خلال عقد ربط، هي في الغالب عقد هندسية وقليلة هي عقد الربط النباتية التشكيل. وأكثر عقد الربط الهندسية استخداماً هي:

عقد الربط البسيطة



عقد الربط المركبة



وقد تأتي عقد الربط متصلة من جهة أو من جهتين في الربط بين الوحدات والعناصر بإطارات ذات خطوط مستقيمة أو منحنية وملتفة. وأحيانا يأتي الربط وبأكثر من جهة حين يكون مركزياً (إشعاعيا). وغالباً ما تستخدم في هذا عقد الربط المعقدة والنجمية، الخماسية والسداسية والثمانية وغيرها.

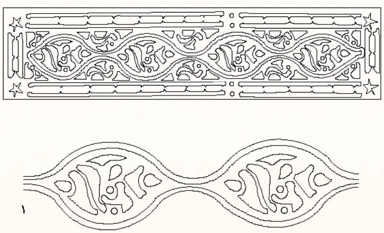
وأكثر الاستخدامات لعقد الربط الزخرفية وبخاصة المعقدة التشكيل الزخرفي في تغطية المساحات الكبيرة والفاصلة بين وحدات وعناصر تشكيل الموضوعات الزخرفية أو على أطرافها الركنية وغيرها.

وأكثر العناصر أو المواضيع الزخرفية استخداماً لعقد الربط هي الزخارف النصية والتي تعتمدها للربط أو التأطير بما في ذلك ملء الفراغات المساحية بين وحداتها، وأكثر أنماطها استخداماً لها هي أنماط الخط الكوفي وهو أكثر أنواع الخط العربي تنوعاً في أنماط تشكيل حروفه.

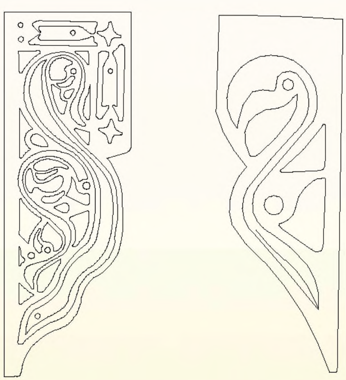
والنجمة، بكل أنواعها، وبالإضافة إلى الزهرة المنتظمة التشكيل لوريقاتها هما وحدتا التشكيل الزخرفي للقمريات، القصية، المعشقة بالبلور الملون، حيث توضع النجمة أو الزهرة في وسط القمرية ولتمثل أيضاً في هذه عقدة ربط لبقية الوحدات الزخرفية للقمرية والتي تلتف حولها. وبالمثل أيضاً تستخدمان في التشكيل الزخرفي لبعض العناصر المعمارية كالمشربيات الخشبية أو الأبواب الرئيسية وأبواب الخزائن الجدارية الهامة. هذا بالإضافة إلى التشكيل الزخرفي لسطح القباب الكبيرة والهامة، وجدار القبلة للمسجد ومحرابه، ومنبر المسجد الجامع وغيرها. وكما تدخلان وبهذه الخاصية في الكثير من الوحدات والعناصر والمواضيع الزخرفية ذات المساحات الكبيرة والكثيفة في زخارفها. والمفردات والوحدات وإطارات وعقد الربط بين وحدات العنصر الزخرفي أو الموضوع الواحد في الزخرفة الداخلية للفضاءات والعناصر المعمارية أو عناصر التجهيز كالأثاث والفرش في العمارة الصنعانية، تنتمي إلى الفن العربي والإسلامي الشهير والمعروف باسم (الأرابسك). كما توجد أنواع زخرفية أخرى بسيطة لا تعتمد المفردة الزخرفية المتكررة الاستخدام وبنظم إيقاعية، مستمرة أو متناوبة، وهي غالباً ما تأتي بشكل نقوش تجريدية لأشكال حيوانية أو نباتية أو تشكيل هندسي بسيط، كما تأتي الكثير منها كتشكيلات النقوش نصية بسيطة أغلبها عبارات دينية أو حكم. ومواد وتقنيات تشكيلها هي نفس مواد وتقنيات البناء والتشكيل للفضاء أو العنصر المعماري الذي تنقش عليه. وهذه الأنواع من الزخارف الحلقية البسيطة منفصلة عن بعضها ولا رابط أو إطار يجمعها داخل الفضاء أو بين أسطح العنصر المعماري وتبعد عن بعضها بمسافات طويلة.

وأكثر الفضاءات الداخلية وعناصرها المعمارية استخداماً لها هي أقل الفضاءات أهمية ثقافية واجتماعية مقارنة بغيرها من فضاءات المبنى، الديني أو السكني وغيرهما، كالمدخل الرئيسي والفرعي، والمطاهير للمساجد، والدهليز وبيت الدرج والحجرة والعجمي والطبقة والمطهار والمستراح والكمة والديمة للمباني السكنية، والمخلع والوسط للحمامات الساخنة، وغيرها كثير في سماسر الإيواء الكبيرة والصغيرة والتي تتشابه بعض فضاءاتها الوظيفية مع فضاءات المباني السكنية.

ومن غرائب خصائص الزخرفة الداخلية للعناصر المعمارية لفضاءات المباني السكنية في صنعاء، والتي تثير الدهشة ليس في مادة وتقنية التشكيل بل في مفردة أو وحدة وموضوع التشكيل ومصدر الإيحاء في المحاكاة، القصد التعبيري، وهذا



١



٢

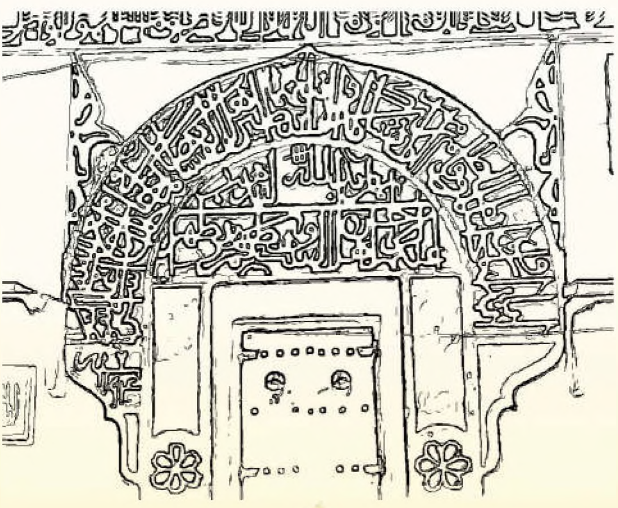
عناصر زخرفية مستوحاة من البيئة البحرية

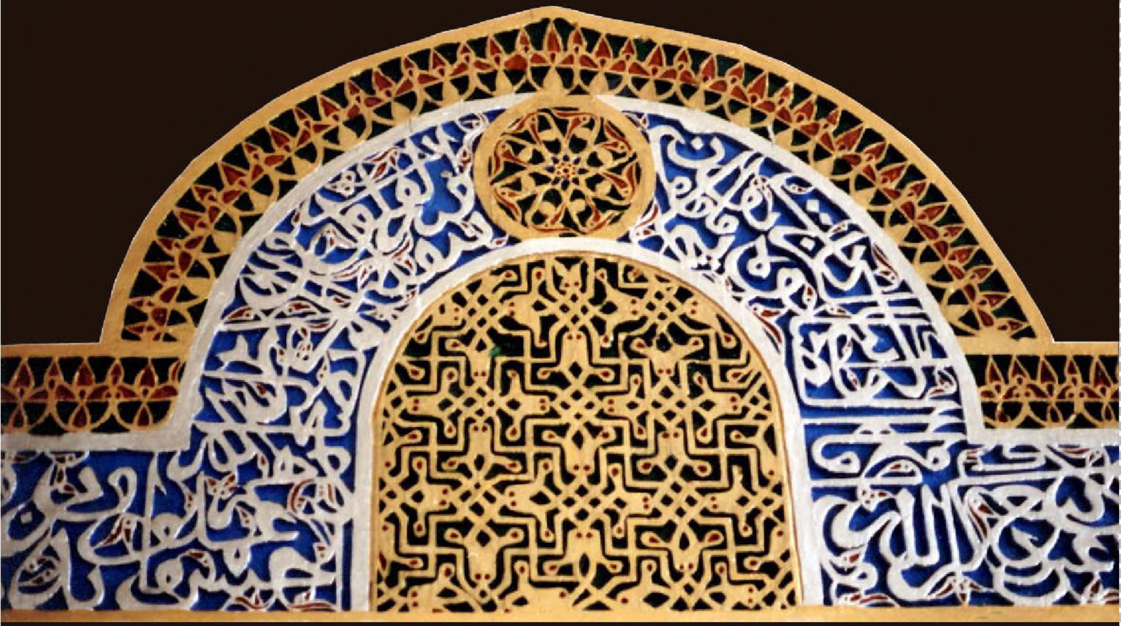
١. واجهة الرفوف مزينة بعنصر زخرفي وحدة الأساس فيه السمكة

٢. جانب تثبيت الرف شكل على هيئة رأس وصدر إوزة

على الرغم من عدم وجود أنهار جارية وبحيرات، ولبعد صنعاء عن البحر بنحو (٢٠٠ كم)، وارتفاعها عن سطحه بنحو (٢٢٥٠م)، وفي حين ظل الكثير من أهلها وحتى منتصف القرن الماضي يجهلون الكثير عنه، وعن الحياة البحرية خاصة، والمائية بوجه عام. فمن المفارقات العجيبة في هذا أن يوجد حضور مكثف للحياة البحرية في الزخارف القصية الداخلية للمباني وبشكل قالبي أو حر لمفرداتها أو وحداتها الزخرفية المحدودة. وأكثرها انتشاراً هي تشكيلات رأس ورقبة وصدر الإوز أو البجع والبط في زخرفة جوانب تثبيت الرفوف (الصُّفُوف) النافرة في الجدران.

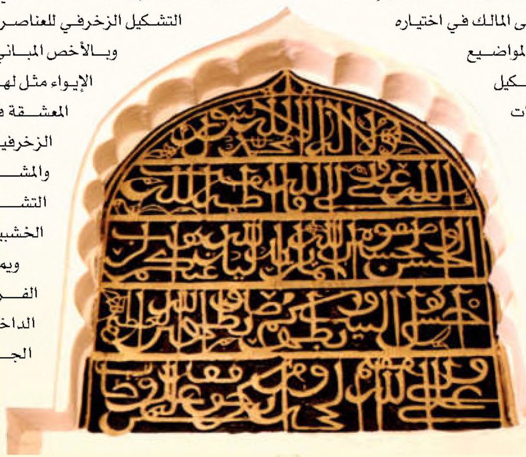
والكثافة الاستخدامية لهذه الرفوف على الجدران الداخلية لكل الغرف، وبعناية أكثر للمعيشية منها، الديوان والمفرج والمنظر. كما أن للسمكة أيضاً حضور مكثف كمفردة تشكيل زخرفي مستمر للمفردة في تكوين الوحدة المجردة الشكل أو كوحدة تشكيل مجردة في تكون العنصر الزخرفي. ولتأكيد معنى الشكل يعمد الفنان الزخرفي إلى وضع رمز عين السمكة في مكانه كدالة تعبيرية إيحائية بغرض القصد. وهناك مفردات ووحدات زخرفية أخرى ذات المصدر المائي والبحري في إيحائها ومحاكاتها التعبيرية. وقد يرجع البعض ذلك إلى أن هذا النمط الزخرفي الداخلي وحضوره الكثيف والمميز يمكن أن يكون نتاج تأثير عثماني (تركي)، على الزخرفة الداخلية لمباني صنعاء، وخاصة أن تركيا تتميز بأن لها شريطاً ساحلياً يمتد لمسافات طويلة، وفيها الكثير من الجزر والأنهار والبحيرات، وأن جندها وموظفيها الإداريين والذين سكنوا صنعاء بين (٩٤٥-١٣٣٦هـ/١٥٥٧-١٩١٨م) وفي مرحلتين متناوبتين قد نقلوا هذا النمط الزخرفي وشاع استخدامه بشكل واسع بعد ذلك. ولكن بعد دراسة مقارنة وبالتتبع لأنماط التشكيل الزخرفي للعمارة التركية العثمانية في مدن تركيا المتاخمة للبحر، وجدت تحديداً أنه وإن كانت هناك مفردات ووحدات تشكيلية مستوحاة مواضيعها من البيئة البحرية والمائية، إلا أنها محدودة ومختلفة ومتباينة المواضيع أو التشكيلات، وكذلك مادة وتقنية التشكيل الزخرفي الداخلي عنها وعن هذه التشكيلات الزخرفية والمنتشرة في المباني السكنية والسماسر وغيرها في صنعاء. ولكن واستناداً إلى مثل يمني يقول ((كل معدوم مرغوب، وكل غائب محبوب))، ودون تعليق وحين المقارنة بالتطبيق فمن المرجح أن ما لهذا النمط الزخرفي الداخلي من حضور في العمارة الصنعانية جاء لتلبية فراغ عاطفي بحت.





وفي الوقت الذي وظفت فيه الزخارف الداخلية لغرض تحقيق الارتياح النفسي للمستخدم، ولإبراز المكانة الاجتماعية والثقافية (للمالك أو الممول)، فالمجال الاختياري للمالك أو الممول في إمكانية فرض رغباته الشخصية يتسع إلى أقصى حدوده، ووفق الإمكانيات المادية المتاحة، في التشكيل الزخرفي الداخلي للفضاءات المعمارية السكنية، ويضيق بالتدريج في بقية الوظائف المعمارية الأخرى ويأتي في أضيق مجالاته في التشكيل الزخرفي الداخلي للفضاءات الوظيفية المعمارية الدينية لينحصر المجال الاختياري للممول في عمليات الترجيح عند المقارنة النوعية بين ما هو أفضل وما هو أنسب.... ويأتي هذا في الإطار المحدود لهذا المجال الاختياري الضيق فتذوب الذات في الموضوع، الخاص في العام، وفي هذا يتقاسم الممول والمستخدم والمعمار حقوق الاختيار النوعي، أما الكمي فيتحقق وفق الإمكانات المادية المتاحة للممول.

وإذا كانت الرغبات الذاتية، للمالك والممول، في المجال الاختياري متباينة من حيث الاتساع والضيق النسبي لهذا المجال بين المبنى السكني والمبنى الديني، فإنهما يتفقان جميعاً مع بقية الوظائف المعمارية الأخرى في خاصية حرية الاختيار النوعي والكمي للعناصر والمواضيع الزخرفية ونوعية التشكيل الزخرفي وكذلك في تقنية ومادة التشكيل الزخرفي، أو في كتلتها وملمسها (بارز، غائر، مستوي، خشن، ناعم). والحرية الشخصية للمالك والممول تتحدد وفقاً للقدرات والإمكانات المادية والمتاحة ولا قيود فيها على المالك في اختياره النوعي والكمي للعناصر والمواضيع والمواد والتقنيات في التشكيل الزخرفي الداخلي للفضاءات الوظيفية المعمارية، الرئيسية والثانوية، وتجهيزاتها الثابتة والمتحركة وفرشها. وتقل هذه الحرية نسبياً حين انتقاء صفة الملكية الخاصة وحصرها بصفة، الممول، وخاصة عند عملية تمويل عمارة المباني الدينية، ولهذا فإن الزخرفة الداخلية وبالرغم من تبايناتها ومفارقاتها، الشكلية والتعبيرية والتقنية، إلا أنها اعتمدت المزيد من الحرية الشخصية، الذاتية، في المجال الاختياري وتختلف هذه الخاصية جوهرياً ومفهوم التشكيل الزخرفي الخارجي للمباني السكنية والدينية والتجارية والإدارية والخدمية والدفاعية، وإذا كانت الحرية مطلقة نسبياً في مجالات التشكيل الزخرفي الداخلي فالحرية مقيدة ومحدودة جداً في المجالات الاختيارية للتشكيل الزخرفي الخارجي لهذه المباني. وإذا أتت الزخرفة الداخلية في الأساس كنتاج للحرية المطلقة والنسبية الذاتية والمقيدة بحدود الإمكانيات المادية للمالك والممول فإن الزخرفة الخارجية تتضاءل فيها الحرية الذاتية في المجالات الاختيارية ليتنامى التأثير الموضوعي، وينحسر التأثير الذاتي إلى أدنى الحدود الممكنة ويأتي هذا وفقاً لمفهوم إسلامي بما معناه داخل المبنى ملك خاص وخارجه ملك عام، وفيه قول شعبي شبيه بالمعنى ((كُلْ ما يعجبك والبس ما يعجب الناس))، وكلما تضاءل وقل تأثير المالك أو الممول، تعاظم دور وتأثير المعمار في علاقات سلوك التشكيل الزخرفي وخاصة عند إدماجه في المنظومة العامة لعمليات التشكيل الفضائي الوظيفي والجمالي للمبنى وفقاً للمبادئ والقواعد والأسس التصميمية المعمارية المكتسبة، بالتوارث المتواتر للتجربة المعمارية، وإذا كانت الزخرفة الداخلية تختلف وتتباين وبفروق كبيرة عن الزخرفة الخارجية للمباني في عمارة صنعاء، فإنها تشترك معها في وحدات وموضوعات التشكيل الزخرفي للعناصر المعمارية (الفتحات) وبالأخص المباني السكنية وسماسر الإيواء مثل لهوج القمريات القصية المعشقة فراغات تشكيلاتها الزخرفية بالبلور الملون، والمشربيات وخاصة ذات التشكيلات الزخرفية الخشبية المفرغة.



ويمكن حصر أهم الفروق بين الزخرفة الداخلية والخارجية في الجدول الآتي:

عنصر المقارنة	الزخرفة الداخلية	الزخرفة الخارجية
مادة التشكيل	أكثر تعدداً وتنوعاً وتداخلاً ويأتي الجبس (القص) أكثرها استخداماً ومن ثم الخشب فالقضاض والبلور والحديد والنحاس....	أقل نسبياً تعدداً وتنوعاً وتداخلاً، ويأتي طوب الآجر (الياجور) أكثرها استخداماً فالجبس (القص) والحجر ومن ثم البلور....
تقنية التشكيل	أكثر تعددا، ولكل نوع ونمط ومادة بناء تقنيات متعددة ومتنوعة أيضاً وتتباين وبفروق كبيرة بين الأنماط الزخرفية للمباني أو فضاءاتها الوظيفية.	محدودة جداً ولزخارف طوب (الياجور) نظام واحد أفرز عدداً كبيراً ومتنوعاً من المفردات والوحدات والمواضيع الزخرفية
قوالب التشكيل	الكثير منها لا تعتمد قوالب محدودة وذلك لتعدد مواضيعها وأنماطها وتغيرها بتغير الذوق وفق المتغيرات الزمانية، وقليلة هي التي اعتمدت قوالب محدودة ولكنها متغيرة أيضاً وفق المتغيرات الزمانية.	الزخرفة بطوب (الياجور) هي الأكثر كثافة استخدامية عن غيرها وتعتمد على قالبية واحدة مكونة من (١٠طوبات ٥نصفية و٥ كاملة)، وكل الوحدات الزخرفية ومواضيعها تعتمدها.
المفردات والوحدات والمواضيع الزخرفية	متعددة ومتنوعة، والكثير منها ذات كثافة زخرفية مساحياً. ووحداتها المتباينة متداخلة في الموضوع الواحد أحياناً.	محدودة ومحصورة في أنماط معينة وذات كثافة زخرفية مساحية أقل نسبياً، وهي شريطية (أحزمة) في أغلبها. ووحداتها متجانسة والتداخل فيها قليل ويكاد ينعدم.
المواضع (الأماكن) والكثافة الزخرفية فيها	كثيرة ومتنوعة وفق تنوع الفضاءات الوظيفية وعناصرها المعمارية، هذا بالإضافة إلى درجة أهمية المبنى والفضاء والعنصر. ويعد بيت الصلاة في المسجد والمنبر والمحراب فيه وكذلك الفضاءات المعيشية للمبنى السكني، الديوان والمفرج والمنظر، ولهوج القمريات والمشربيات الخشبية والرفوف (الصفوف) أكثر الفضاءات والعناصر المعمارية كثافة زخرفية.	كثيرة وذات كثافة كبيرة نسبياً في واجهات المباني السكنية وسماسر الإيواء (النـزل) وأبدان المآذن المزخرفة. وقليلة جداً هي المباني الأخرى ذات الكثافة الزخرفية على واجهاتها. ويعد المبنى السكني أكثرها كثافة والواجهة الرئيسية فيه هي الأكثر ومن ثم الجانبية فالخلفية والتي تأتي عادة في الجهة الشمالية وهي أقلها.
البساطة والتعقيد	أكثر تعقيداً وجدار القبلة والمحراب والمنبر هو الأكثر كثافة زخرفية ووحداتها ومواضيعها أكثر تعقيداً عن غيرها وذلك لاعتمادها فن (الأرابسك) العربي الإسلامي في كل مواضيعها.	بسيطة وقليلة التعقيد، وتشكيلات القمريات (القصية) والمعشقة بالبلور الملون والمشربيات الخشبية والأبواب الرئيسية الهامة أكثرها تعقيداً من غيرها.
التأثيرات الخارجية (مادة وتقنية ومواضيع زخرفية)	لفنون الزخرفة العربية والإسلامية الشرقية فالغربية تأثيرات قوية وواضحة وخاصة في زخارف الفضاءات الرئيسية للمساجد، ولكن تأثيرها يقل نسبياً بل ويذوب الكثير منه ضمنياً في الزخرفة اليمنية التقليدية للفضاءات الرئيسية للمبنى السكني. والتعامل مع المتغيرات الزمانية والمؤثرات الخارجية في الفضاءات الداخلية أكثر حرية للمالك والمعمار في اختيار المواضيع والمواد والتقنيات الزخرفية عنه في خارجها.	تأثير فنون الزخرفة المعمارية العربية والإسلامية الأخرى محدود جداً ويذوب باستمرار مع فن الزخرفة اليمنية الصنعانية ذي القواعد والأسس المعتمدة، والتي أصبحت عرفاً في الالتزام بها وهي أيضاً ليست جامدة بل وتتطور وبتواتر والتفاعل الإيجابي مع المؤثرات الخارجية يعمل على إذابتها تماماً في مضامينها وليس العكس. وحرية الاختيار للمواضيع والمواد والتقنيات محدود جداً ومقيد بنمطية التشكيل العام للنسيج المعماري للحارة والمدينة.
علاقة التشكيل الزخرفي بالبناء (عملياته ومواقعه)	أكثر عمليات الزخرفة تأتي بعد مراحل البناء الهيكلي وتلازم اللياسة (التكسية) وقليل منها تلازم عمليات البناء والتركيب وقد تأتي جاهزة من المعامل (الورش).	أكثر عمليات الزخرفة تلازم مراحل البناء الهيكلي وهي جزء منه (الياجور والحجر) وقليلة هي التي تلازم اللياسة (التكسية) وقليلة أيضاً التي يتم تجهيزها في المعامل (الورش) لتلازم بذلك أيضاً عمليات البناء والتركيب.

القمرية





القمرية أتت تسميتها لعلاقتها بالضوء وأطلق عليها أهل صنعاء هذا الاسم تشبيهاً بالقمر، وحقاً فإن رؤيتها من الداخل في النهار حين إحكام إغلاق بقية الفتحات تشبه القمر تماماً حين اكتماله بدراً حتى البقعة المتدرجة في قتامة ضوئها وفي لونها، وهذه الخاصية هي نتاج تباين درجات شفافية وألوان الرخام المصقول (الالباستر). وأول استخدام لها في عمارة صنعاء غير معروف ولكنه حتماً يعود إلى عمارة صنعاء في العصر القديم حيث يذكرها لسان اليمن الهمداني كعنصر من أهم عناصر تشكيل واجهة قصر غمدان التاريخي "وكان في أعلاه غرفة لها لُهُج"[1]، والقصد باللهوج هو القمريات. ووظيفة القمرية في تشكيل فضاءات المبنى السكني بيئي ويعني إدخال الضوء إلى الفضاءات ذات العلاقة المباشرة بالخارج ونقله أيضاً إلى الفضاءات الوسطية عبر فتحات تعلو الجدران والقواطع الداخلية حين لزوم إحكام إغلاق كل فتحات التهوية عند اشتداد البرد، أو عند وجوب عدم فتح أي فتحة ينفذ منها تيار الهواء البارد، في الواجهات الشمالية، أو فتح أي فتحة تجرح خصوصية علاقة الجوار للمبنى السكني المجاور. وفي أجزاء محددة في الواجهات القريبة من واجهات الجوار وبعلاقة تبادلية بين واجهة المبنى وجواره.

ولقمرية الرخام (الالباستر) خاصية تكثيف الإضاءة النهارية وقد تبين هذا بالتجربة حين إحكام إغلاق كل فتحات (نوافذ) ديوان استراحة الروضة (دار القمريات) وهذا المبنى كان أحد قصور الأئمة وكل قمرياته الخارجية والداخلية من الرخام، فبعد عملية إحكام إغلاق الفتحات فإن فارق شدة الإضاءة قبل الإغلاق تقارب نسبياً شدة الإضاءة بعد الإغلاق مع فارق بسيط. وكذلك هو الحال حين رؤيتها في حلكة ظلمة الليل من الخارج عند الإضاءة الصناعية للفضاءات الداخلية للمبنى وبخاصة القمريات الكبيرة دائرية التشكيل الفراغي في لون وهج الإضاءة بين الحالتين وتميز لون وهج الإضاءة بعد الإغلاق وهي الإضاءة النافذة عبر القمريات إلى فضاء الديوان وبلون ذي مسحة طفيفة للون الأصفر الفاتح. وبعد إغلاق باب الغرفة والذي تعلوه قمرية أخرى لنقل الضوء إلى الفضاء الوسطي (الحجرة) وكذلك القمريات والتي تعلو بقية أبواب الغرف الأخرى، تبين أن الضوء النافذ من القمريات الموضوعة على القواطع والجدران الداخلية للمبنى تعطي الضوء الكافي، ليس للحركة والتمييز في الرؤية فقط بل وللقراءة أيضاً، وساعد ذلك الضوء المنبعث للقمريات الصغيرة المتناثرة على جدار بيت الدرج (السلم) وكان هذا في منتصف النهار والسماء صافية وتكررت العملية في أوقات مختلفة، وكانت النتيجة هي الانتظام المتدرج للتباين النسبي في شدة الضوء.

---

١ . الهمداني، الحسن بن أحمد، الإكليل، حرره وعلق حواشيه نبيه أمين فارس، ج (٨)، (دار العودة)، بيروت، (دار الكلمة)، صنعاء، ص (٢٠).

وتأكد ذلك في تجارب أخرى محددة ومحدودة في فضاءات المباني السكنية المختارة في صنعاء القديمة والتي لا تزال القمرية الرخامية مستخدمة فيها.

وللقمرية أبعاد وأشكال مختلفة تتباين وفقاً لنوعية وظيفة الفضاء المعني إضاءته وتتحدد بذلك وفق مواضعها ويمكن تصنيفها على النحو الآتي:

■ **القمرية الصغيرة:** وتغطي الفتحات الصغيرة المفردة أو المتجمعة والتي تعلو المدخل الرئيسي أو الفرعي للمبنى، وعلى الامتداد الراسي لفضاءات بيت الدرج وأحيانا على الواجهة الجزئية الصغيرة للمخزن والحمام (المطهار) والمطبخ (الديمة) وغيرها. وأشكالها مربعة أو مستطيلة أو معقودة بشكل حذوة فرس. وإن كان حالياً لا يطلق أهل صنعاء على هذا النوع من الفتحات المغلقة بإحكام القمرية وذلك بسبب صغرها ومواضعها الدنيا نسبياً وكذلك لإحلال الزجاج غير الملون والأقل شفافية بدلاً من الرخام، وبشكل واسع، ولكن تظل هذه الفتحات تشترك وبكل الخصائص والصفات مع القمرية الكبيرة حين استخدام الرخام بما في ذلك الشكل أحيانا ويفارق الأبعاد المساحية أو التشكيل، وخاصة للفتحات الصغيرة المجمعة في مساحة صغيرة والمؤطرة منها أو غير المؤطرة بالقص والزخارف القصية. ولهذا وإن كان أولم يكن للتسمية صلة فإن خاصية المادة وإن لم تقترن بالتشبيه، من حيث الشكل والموضوع وصغر الحجم والكثافة العددية للفتحات مساحاتها الصغيرة، بالقمر والذي ميَّز أساساً القمرية الكبيرة الدائرية أو المعقودة فإن في هذا يمكن مجازاً تشبيهها بالنجوم والكواكب والثريات المزينة مساحة صفحة السماء مع القمر. وهي كذلك تزين مساحة صفحة واجهة المبنى مع القمرية الكبيرة ويتضح ذلك جلياً حين انبعاث الضوء عبرها من داخل المبنى وخاصة في ظلمة الليالي الحالكة. هذا إذا كانت كل الفضاءات الوظيفية للمبنى مضاءة في وقت واحد وكل الفتحات الصغيرة والكبيرة، الرخامية التغطية، ينفذ منها الضوء أو ينفذ من بعضها وبشكل عفوي نتيجة لعمليات الاستخدام فإن في هذا حركة، وإذا تتبعنا هذه الحركة فسنجدها أشبه ما تكون منتظمة وهذا نتيجة لروتين انتظام الحياة للأسرة الواحدة منفردة ولكل الأسر مجتمعة والتسلسل المتدرج لاستخدامات وظائفها وفضاءاتها ليلاً. وفي هذا أيضاً تشبيه بلاغي لحركة الكون ونظم حركة أبراجه. وإذا كانت واجهة المبنى قد أعطت بلاغة القصد في هذا التشبيه إلا أن واجهة الحارة والمدينة في الوقت ذاته تكون أكثر بلاغة مع فارق غياب القمر لترحاله عن صفحة السماء حيث يتحول الكل من قمريات صغيرة أو كبيرة إلى نجوم وكواكب وثريات ومذنبات... الخ.

■ **القمرية الكبيرة:** وهي القمرية الواسعة الفتحة والأكثر انتظاماً في الشكل، وأكثر الأشكال لها هو الشكل الدائري وحذوة الفرس. وهي في الأغلب تعلو فتحات النوافذ وقد تأتي فتحاتها منفردة أو تعلو إطار النافذة الكاذبة وتظل فتحتها هي الفتحة الوحيدة في هذا. والقمرية الدائرية منها في العادة تأتي مزدوجة وتشكل صورة قمريتين كل قمرية تعلو الأخرى وقليلة هي القمرية الدائرية المنفردة وأقل منها بل والنادر القمريات الدائرية الثلاثية والمنتظمة في شكل مثلث.

ويختلف هذا تماماً في القمرية المعقودة ذات شكل حذوة الفرس، فاستخدامها فردياً هو الأكثر نسبياً ومن ثم الثلاثي وندر وجود الثنائي الرأسي، وهذا النوع يحظى بعناية كبيرة واهتمام متزايد في تأكيده من حيث إبرازه عن بقية العناصر الأخرى، وخاصة في إحاطته بعدة أنواع من الإطارات المتباينة في الشكل من حيث البروز والغور، وزيادة في ذلك يزخرف أحياناً بزخارف طرفية مضافة تعطيه قوة في المعنى من خلال التضاد اللوني بين الأبيض الفاتح للقص والبني المحمر الداكن للياجور.

وهذا النوع هو المعني في تسمية القمرية وفقاً لاستطلاع الرأي وبالأخص للكثير من المعماريين التقليديين محترفي المهنة بالتوارث، ولكن الفصل بين القمرية الصغيرة والكبيرة جاء لتطابق الوظيفة واختلاف وتباين الشكل والموضوع، وعلل ذلك بل وفسر بلاغياً بين دلالة التمييز في التعريف المباشر بتسمية القمرية للكبيرة. وهذه هي القمرية شكلاً ومادةً ودلالة قصدية لغوية وبلاغية في تسميتها وهي الأصل. وكانت ولا تزال



العنصـــر المعماري المتميز والمتفرد للطراز المعماري الصـــنعاني، ولكن وبعد أن صار ممكناً استخدام بلور الزجاج الشفاف نسبياً والملون محل لوح الرخام المصقول والشفاف وذي اللون الأوحد ولعدة خصـــائص ومميزات تقنية واقتصـــادية في الأســـاس، وأهمها ســـهولة ومرونة القطع والتشكيل ودون عناء وجهد في الصقل، وبكلفة أقل كثيراً من حيث سعر الوحدة من مصدرها ونقلها، هذا بالإضـــافة إلى كونه عنصـــراً جديداً مادة وتقنية أقحم في عمارة صـــنعاء في البداية وجاء وكأنه اختراع جديد، ولكنه سرعان ما انتشر لجملة هذه العوامل ولسهولة الحصول عليه (توافره) وتمنطقت بعد ذلك القمرية بكل أشـــكالها وأحجامها المســـاحية، ونطقت فراغاتها به، ولكن في هذا اختلفت وتباينت المواد والتقنيات في التشـــكيل عن ســـابقتها وانتفت بذلك خاصـــية تسـمية القمرية وإن اســـتمرت عليه بل صـــارت أكثر شـهرة في التشـكيل الحديث، البلوري/الزجاجي، المتعدد التشكيلات الزخرفية والألوان في الفراغ المساحي ذاته مقارنة مع القمرية الرخامية. وافتراضـاً فإن اسـتخدامه الأول يعتقد أن يكون فيما بين القرن (١٨-١٩م) إلا أن هذا يظل من حيث الاستخدام خاضعاً للافتراض، وإن كان حصر استخدامه بتاريخ محدد فبداية القرن العشـــرين هي البداية الأولى لاستخدامه ووفقاً للمؤشرات المادية القائمة كان استخدامه في العقد الأول والثاني والثالث للقرن العشـــرين محدوداً إلا أنه توسـع وانتشـر نسـبياً في العقدين الرابع والخامس وبلغ ذروته في الانتشار داخل صنعاء القديمة في العقد السادس واستمر هذا الزخم حتى يومنا هذا.



مقارنة بين خصائص قمرية الرخام (الالبستر) وقمرية القص المعشق بالبلور

الخاصية	قمرية الرخام (الالباستر)	قمرية القص المعشق بالبلور (العقد)
مواد وتقنية التشكيل	تركيب في حيز الفراغ وبإطار مرن من القص	تشكيل زخرفي من القص ذو فراغات لتعشيق ألواح البلور الزجاجي الملون.
علاقة النسبة إلى التسمية بالقمرية	هي الأصل وذات معنى مرئي وحسي واضح (القمر)	استمرارية التسمية الأصل وفي المعنى انتفى الدال وبقي المدلول ويسميها البعض بالعقد فقط.
العمر الزمني (بدء الاستخدام)	أكثر من ١٧٠٠ سنة تقريباً	أكثر من ١٧٠ سنة تقريبا
خاصية التركيب النوعي الكمي	فردية	فردية أو مزدوجة معشقة ومفرغة للخارجية أو معشقة لكليهما .
نوعية التشكيل (كفاءة وقدرة ومرونة)	تشكيل أوحد ويعني الفراغ كله وبتشكيلات محددة ومحدودة جداً	متنوع ويعتمد في الأساس مرونة وقابلية وتقنية وموضوعية التشكيل الفراغي للقص ويأتي البلور الزجاجي أو البلاستيكي حديثاً لتغطية الفراغات الزخرفية بتعشيقها على أطراف وحواف الفراغات وفق أبعادها وأشكالها وتشكيلاتها متنوعة جداً، وإن أتت في البدء بسيطة وذات فراغات واسعة إلا أنها تعقدت وضاقت أبعاد المسافات بينها وتعددت موضوعاتها وكثرت ولا حصر لها .
الكفاءة الضوئية	عالية جداً	متوسطة إلى متدنية
الكفاءة (المقدرة في تغطية المساحات الكبيرة الواسعة)	محدودة (متدنية)	عالية جداً
الكفاءة في العزل الحراري	عالية جداً وفي هذا تم الاكتفاء بعمل القمرية مفردة	متدنية ولهذا تم اللجوء في البداية إلى عمل القمرية المزدوجة الخارجية مفرغة وبعد ذلك عمد إلى تكسيتها هي الأخرى.
الكفاءة في المتانة والصلادة والنظافة والصيانة	عالية وذات عمر أطول نسبياً ونظافتها سهلة ومرنة صيانتها منخفضة بالمقارنة.	هشة وعمرها أقل نسبياً وتتطلب المزيد من الجهد في التنظيف وصيانتها مكلفة حين تصدع أو تكسر أجزاء منها.
القيمة الجمالية والتاريخية والاستخدامية	عالية جداً لأصالتها وتفردها المطلق وسبقها النوعي. وكفاءتها الإستخدامية عالية جداً	نسبية في تأصيلها وتميزها وتفردها نسبي وعام من حيث موضوع التعشيق ونوعي وخاص من حيث التشكيل والشكل وكفاءتها الإستخدامية أقل نسبياً ولها خاصية جمالية في حركة وتنوع اللون مصدر البهجة والانتعاش والحيوية داخلياً أكثر منه خارجياً.
الغرض في المعنى التعبيري بين الوظيفية والشكل (الجمال)	بيئي والنهج العام يرجح الوظيفية على الشكل والعناية فيه جاء تكميلياً للتأكيد في المعنى التعبيري جمالياً	بالرغم من النهج الاستمراري إلا أن دلالة التعبير في هذا التشكيل ترجح المعنى التعبيري الجمالي



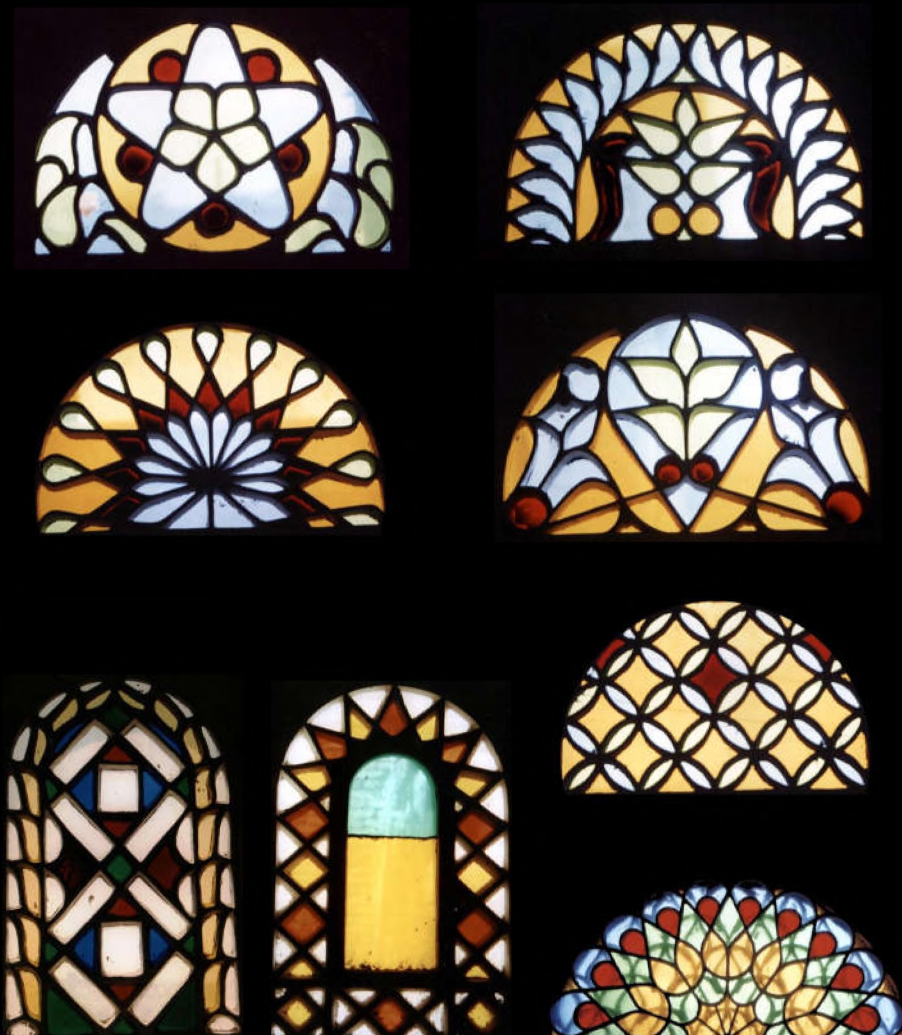
حرفي تقليدي يقوم بعمليات تشكيل القمرية القصية

























وكان لهذا التحول المعماري الكبير استجابة من قبل الطراز الصنعاني. فحين كانت استضافته الأولى خجولة إلا أنه سرعان ما صاهره ونسبه إليه وقولبه وشكله وفقاً لخصائصه التشكيلية العامة، وصار بذلك نسبة وسمة تشكيله العنصر الأساسي والذي جعل العامة من أهل المدينة وسكانها الوافدين إليها يعتقدون أن القمرية (العقد) الحديثة القصية والمعشقة ببلور الزجاج الملون هي الأصل، لإحلالها محل القمرية بكثافة وبشكل واسع. وصارت بذلك القمرية الأصل لندرتها وكأنها عنصر تكميلي إضافي.

وهذا النوع من القمريات الحديثة مر أيضاً بعدة تحولات من حيث تقنية التركيب أو التشكيل بما في ذلك نوعية المواد، ففي المراحل الأولى كان الزجاج الملون هو مادة التعشيق لفراغات التشكيل القصي ولصعوبة تقطيع وتشكيل الزجاج وفق أبعاد وأشكال المفردات والوحدات الزخرفية، عمد الفنان الحرفي إلى استخدام مفردات ووحدات زخرفية ذات فراغات كبيرة، وكان التشكيل والقطع يتم يدوياً. وفي المرحلة التالية تطور هذا النوع من القمريات، ففي بداية النصف الثاني من القرن العشرين دخل البلور البلاستيكي كمادة تعشيق إلى جانب بلور الزجاج الملون، وذلك لمرونة وسهولة تقطيعه وتشكيله وفق الفراغات وأبعاد قياساتها مهما صغرت مساحتها فتنوع التشكيل وتعددت بذلك مفرداته ووحداته ومواضيعه، وأمكن تشكيل وحدات زخرفية في إطار الموضوع العام، مثل استخدام الحرف العربي لكلمة أو لعبارة مثل (لفظ الجلالة أو ما شاء الله...) أو تشكيل مجرد مثل (النسر شعار الجمهورية ...). وتطور أسلوب التشكيل وتنوع حين أدخل الفنان الحرفي الآلة الكهربائية في تفريغ التشكيلات القصية أو في قطع تشكيلات البلور الزجاجية والبلاستيك، ومن سمات تشكيل القمرية القصية المعشقة بالبلور التناظر في توزيع مفرداتها ووحداتها الزخرفية.

استخدم المعمار القمرية القصية في تغطية الفراغات المخصصة لها بطريقتين تتحدد كل منهما وفق أهمية الفضاء الوظيفي وهما:

- **القمرية المفردة:** هي الأكثر استخداماً حيث يغطى الفراغ بتركيب لوح قصي واحد ذي الجاهزية التشكيلية الزخرفية.
- **القمرية المزدوجة:** وتتميز بها الفضاءات الوظيفية الهامة، المعيشية أو الهادئة، وأحياناً أعلى الدرج والحمام، المطهار والمستراح، وكثر استخدامها نسبياً في المباني السكنية الكبيرة، ويتم في هذا النوع تركيب لوحين مزخرفين جاهزين يفصل بينهما فراغ (١٠-١٥سم)، وكانت القمرية المزدوجة وحتى بداية عقد الستينات من القرن العشرين تتكون من لوحين قصيين مزخرفين بتشكيلات فراغية يعشق واحد منها بالبلور ويركب في فراغ الجدار نحو الداخل، أما اللوح الثاني فلا



١



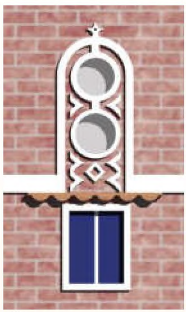
٢

يعشق بالبلور وتبقى تشكيلاته الزخرفية مفرغة، ويركب جهة الخارج، ولكنه بعد هذا التاريخ بدأ استخدام القمرية المزدوجة والمعشقة تشكيلاتها الزخرفية بالبلور في كلا لوحيها الداخلي والخارجي، وفي البداية كان يعشق لوح القمرية الخارجي بالبلور الشفاف الصافي عديم اللون، وعلى جهة اللوح الخارجية، وتم بعد ذلك وبالتدريج استخدام البلور الملون لكلا لوحي القمرية المزدوجة. والغرض من استخدام القمرية المزدوجة والمعشقة بالبلور داخلياً وخارجياً جاء لسببين هما:

- زيادة كفاءة القمرية في العزل الحراري (كسب أو فقد الحرارة).
- صعوبة نظافة الفراغات ما بين اللوحين أو فراغات تشكيلات اللوح الخارجي ذي الزخارف القصية المفرغة والغير معشقة بالبلور، وفي الوقت الذي تتجمع فيه الأتربة تتخذ العصافير من فراغاتها (فجواتها) أعشاشاً لها.

ومن أهم أسباب اعتماد المعمار القمرية القصية المعشقة بالبلور هو التوجه نحو زيادة مساحة النوافذ والقمريات في الطوابق العليا، لأن تغطيتها بألواح الرخام الشفاف المصقول صعب ومكلف وفيه صعوبة في الصقل بما في ذلك أخطار الكسر عند النقل، هذا ناهيك عن عدم تناسبه وملاءمته وانسجامه مع الزيادة الكبيرة في مساحة النوافذ ولهوج فتحات القمريات التي تعلوها من حيث الشكل جمالياً وكمية الإضاءة المتطلبة فراغياً للفضاء. ولهذا كان البدء في استخدامها للفضاءات المعيشية للطوابق العليا للمبنى.

والقمرية استخدمت كعنصر إضاءة لا يسمح بنفاذ الهواء إلى الداخل، وعلى الرغم من تعدد استخدامها منفردة لا تعلو النوافذ إلا أنها ذات علاقة قوية بالنافذة ويحسن الاهتمام والعناية بتشكيلها وزخرفتها حينما تعلو النافذة (الطاقة وكنتها) لتشكل مع العقود البارزة أو الغائرة والتي تؤطرها، والزخارف القصية المضافة على أطرافها عنصراً معمارياً واحداً ذا قيم وظيفية وجمالية تكمل بعضها البعض بترابط وحدتها العضوية.



٣



٤



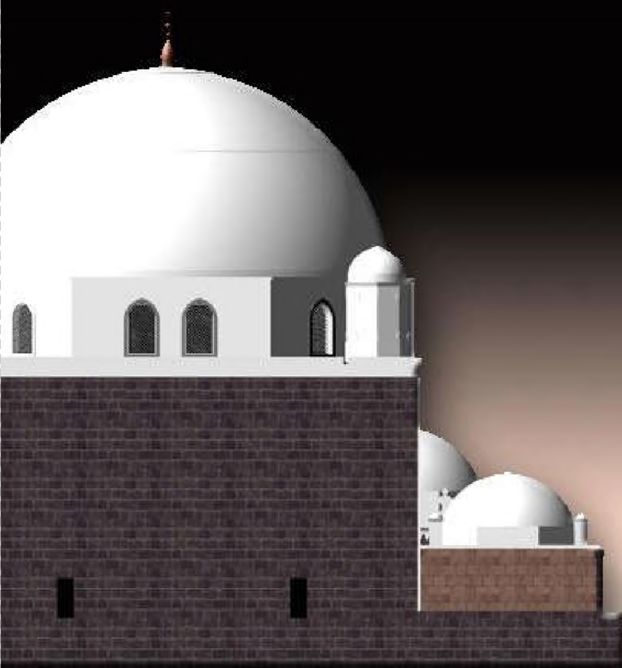
٥



٦

١. قمرية خارجية (في النهار)
٢. قمرية خارجية (في الليل)
٣. قمرية رخام
٤. قمرية ألباستر
٥. قطاع في قمرية مزدوجة
٦. قطاع في قمرية مزدوجة مفرغة

المئذنة (الصومعة)



المئذنة بلهجة أهل صنعاء هي الصومعة[1]، وكانت تعلو مساجد مدينة صنعاء القديمة (٢٦مئذنةً)[2]، يضاف إلى هذا العدد مئذنة مسجد (قبة) المتوكل والذي يقع بمحاذاة سورها الغربي من جهته الشمالية وذلك لوظيفتها التكاملية مع المآذن (الصوامع) داخل سور المدينة في نقل صوت الآذان في مجال محيطها.

وتتوزع مآذن مساجد صنعاء القديمة على النحو الآتي:

- (١٠ مآذن) تعلو (١٠ مساجد) في حي القطيع، منها (٤ مآذن) تعلو مساجد مركز سوق صنعاء، وأعلى هذه المآذن هي مئذنة مسجد موسى، وأقصرها هي مئذنة مسجد جناح. بالإضافة إلى مئذنة واحدة داخل القلعة تعلو مسجد المرادية.
- (١٢ مئذنة) تعلو (١١ مسجداً) في حي السرار الشرقي منها مئذنتان تعلوان الجامع الكبير، الشرقية والغربية، وينفرد بهما عن مساجد صنعاء، والجامع الكبير أول المساجد اليمنية التي علتها مئذنتان حتى عمارة جامع الهادي في صعدة في القرن الثالث الهجري ومدرسة الأشرفية في تعز في العهد الرسولي (٨٠٠هـ/١٣٩٨م) وظل الجامع والمدرسة المنشأتان الدينيتان اللتان علت كل منهما مئذنتان في اليمن عامة حتى منتصف القرن العشرين ميلادية. ولمآذن هاتين المنشئتين خاصية تجمعها هي خلو أبدانها من الزخارف التي تميزت بها معظم المآذن العالية لمساجد مدينة صنعاء، فقد كست أبدانها طبقات قصية بيضاء اللون. وأعلى مآذن حي السرار الشرقي هي مئذنة مسجد الزمر، وأقصرها مئذنتا مسجدي معاذ وبروم، ومئذنة مسجد بروم هدمت سنة (١٩٨٩م).
- (٤ مآذن) تعلو (٤ مساجد) في حي السرار الغربي منها مئذنة واحدة عالية الارتفاع هي مئذنة قبة المهدي، و(٣ مآذن) جميعها قصيرة.

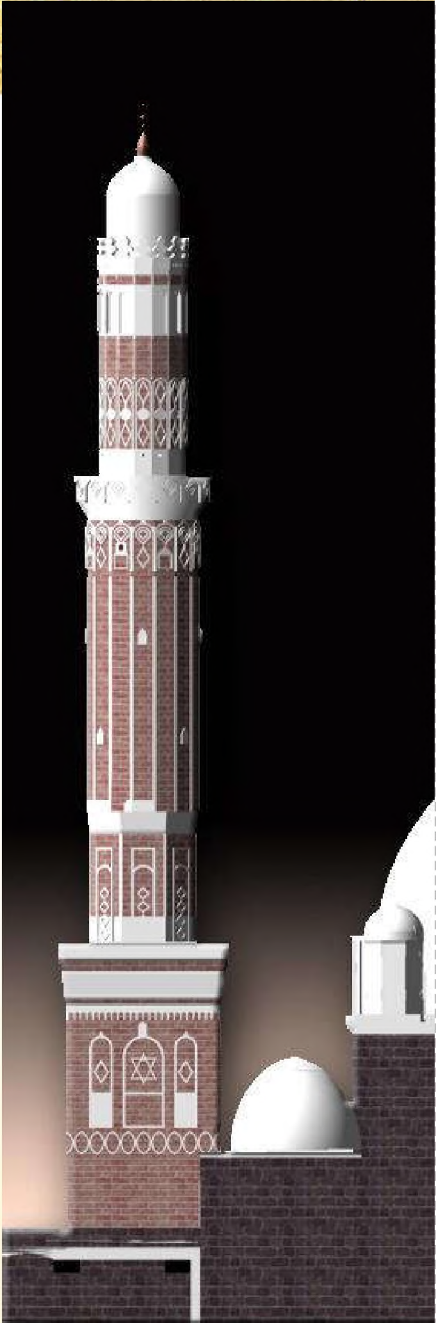
ومآذن مساجد صنعاء من حيث الارتفاع ثلاثة أنواع:

- **المئذنة القصيرة:** هي التي لا ترتفع كثيراً عن بيت الصلاة بنحو (٢-٥م)، ولا يزيد ارتفاع هذه المآذن من أرضية البناء عن (١٠م) وعددها (٥ مآذن) موزعة على (٥ مساجد) هي معاذ وبروم والنهرين والحرقان وسمرة وهذه المآذن تتشابه كثيراً، وخصائص البناء والتشكيل والنمط المعماري لمئذنة المدرسة الإسلامية في مدينة زبيد، بالإضافة إلى هذا مئذنة قبة المتوكل ذات الدور في نقل الأذان.
- **المئذنة المتوسطة:** هي التي لا ترتفع أكثر من (٢٥م) وعددها (٥ مآذن) تعلو (٥ مساجد)، عدا مئذنة مسجد الفليحي، أما المآذن الأربع الأخرى فتقع في وسط المدينة، أقصرها مئذنة مسجد جناح وأعلاها مئذنة مسجد الطواشي.

---

١. غلب تسمية الصومعة على المآذن العالية والمتوسطة ولهذا أهمل ذكر المآذن القصيرة في المصادر والدراسات الحديثة ويذكر بعض الشيوخ، كبار السن، من أهل صنعاء بأن المئذنة القصيرة لا تسمى صومعة، وإنما مؤذنة.

٢. الموجود منها حالياً (٢٥ مئذنة) بعد أن تم هدم مئذنة مسجد بروم القصيرة سنة ١٩٨٩م عند تجديد بناء المسجد ومن الجدير ذكره أن عمارة هذه المئذنة قامت بعد منتصف القرن العشرين الميلادي.



- **المئذنة العالية:** هي المآذن التي يزيد ارتفاعها عن (٢٥م) واغلبها يتجاوز ارتفاعها (٤٠م) وعددها (١٦ مئذنة) تعلو (١٥ مسجداً) من بينها الجامع الكبير.

ورغم تباين مآذن مساجد صنعاء في الارتفاع والحجم إلا أنها جميعاً تتكون من قاعدة وبدن وقبة، وتمتاز العالية منها بتكامل عناصر التكوين.

القاعدة

جميع قواعد المآذن مربعة في أبعاد مسقطها ومبنية بالحجارة وتتباين في ارتفاعها وفقاً للارتفاع النسبي للمئذنة، وهي في أكثر الأحيان ترتفع قليلاً عن ارتفاع بيت الصلاة، وتؤطَّر أعاليها في الغالب بحلقات انتقالية متباينة في البروز والغور وقد تعلو بعضها أفاريز قصية كما قد تزين المداميك العليا منها بزخارف كتابية ذات نصوص قرآنية أو البسملة كما هو الحال في قاعدة مئذنة مسجد صلاح الدين ومسجد المدرسة ومسجد قبة المهدي، ويعلو القاعدة إطار تحوير إنشائي لبدن المئذنة والذي ينتقل في جزئه السفلي من الشكل الرباعي إلى الشكل المثمن، وتتفرد قاعدة مئذنة طلحة في بنائها إذ بنيت بطريقة الأبلق وذلك بعمل مدماك من الحجارة السوداء وآخر من الحجارة الصفراء، وكتلة القاعدة ثقيلة لغرض حمل عناصر تكوين المئذنة العلوية ولتعطي الاتزان البصري، ويتوسطها قطب الدرج الملتفة حوله والمستمر إلى ما دون قبتها.

البدن

للمآذن القصيرة أبدانها وإن تقلصت أبعادها إلى الداخل فتظل مربعة الشكل حتى عنق تشكيل القبة وهي من حلقة واحدة (جزء واحد).

وأبدان المآذن المتوسطة تتكون إما من جزء واحد ثماني الأضلاع (بدن مئذنة مسجد جناح)، ودائري الشكل وشبه مخروطي (بدن مئذنة مسجد علي) أو بدن مجزأ إلى جزأين ارتفاعهما صغير نسبياً ثماني التضليع تفصلهما شرفة الأذان دائرية المسقط بتحوير إنشائي عن طريق المقرنصات البسيطة والخطية، كما هو في مسجد الطواشي ومسجد قبة طلحة ومسجد الفليحي.

أما أبدان المآذن العالية فتتكون من جزأين تفصلهما شرفة الأذان، وتتباين ارتفاعاتها بفارق نسبي بسيط من حيث المقارنة



١



٢

١. المئذنة القصيرة (مسجد الحرقان)
٢. المئذنة المتوسطة (مسجد جناح)
٣. المئذنة ومساقطها (مسجد قبة البكيرية)

بينها وبين المآذن الأخرى في فارق الارتفاع، وغالبية هذه الأبدان ثمانية التضليع عند التحوير الأول لها بعد القاعدة مع استمرارية هذا التضليع في الجزء العلوي كمئذنتي مسجدي المدرسة وصلاح الدين، وقد ينتقل التحوير إلى الستة عشر. أما المآذن المحورة أبدانها إلى الدائري بعد القاعدة أو الدائري بعد التضليع في الجزء الأول فهي قليلة جداً.

والمآذن التي يحاط بدنها بشرفة الأذان وتقسمه إلى جزأين يسمى الأسفل بالبدن والأعلى بالجوسق، ورغم أن الجوسق هو امتداد طبيعي للبدن ولكنه في الغالب يقل قطره وأبعاده عن البدن السفلي.

شرفة (دوار) الأذان

هي كتلة نافرة عن بدن المئذنة بالتحوير، وتسمى في صنعاء بالدوار، لأنها دائرة حول بدن المئذنة، والمؤذن عندما يرفع الأذان لا بد أن يدور حول الجوسق حتى يصل صوته إلى كل الجهات المحيطة بالمئذنة.

أما بالنسبة لشكلها فنجد أنه قد سار على غرار شكل البدن في البعض وشذ البعض الآخر عن ذلك كشرفة مئذنة مسجد الزمر المضلعة والذي ينتهي ببروز إلى الأعلى، وشرفة المئذنة الغربية للجامع الكبير مثمنة الشكل وكتلتها النافرة محمولة بمدادات خشبية ممتدة من جسم البدن الأسطواني.

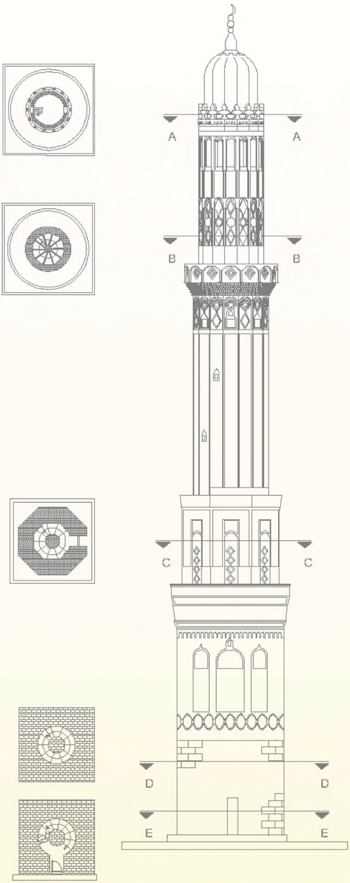
واعتمدت المئذنة في مساجد صنعاء الشرفة الواحدة، وعمد المعمار إلى تغطية سياجها بمادة القضاض التي لا تسمح بدخول الماء إلى هيكل البناء، كما عمد إلى عمل ميازيب لتصريف مياه الأمطار إلى خارج المئذنة. وتبرز شرفة الأذان عن سمت البدن بمساحة تتسع لحركة المؤذن.

قبة المئذنة

تميزت جميع مآذن مساجد صنعاء بالتسقيف بالقبة، وكانت الفروق فيها من حيث الشكل والارتفاع في المركز الإنشائي أو في التضليع المحوري ذي المركز العلوي. وفي هذا نجد أن كل المآذن القصيرة علتها قبة عبرت عن شكلها، وجاءت قباب تسقيف كل من مآذن مساجد معاذ وسمرة والحرقان والنهرين وبروم متشابهة تقريباً وهي نصف دائرية مسطحة مرتفعة عن قاعدتها برقبة قليلة الارتفاع بما يتناسب فراغياً وحجم القبة.

الميل

زينت المآذن في الغالب، لاسيما العالية والمتوسطة، في أعلاها بحلية من نحاس أو حديد، فولاذ صلب مصقول، تسمى الميل، ويتكون في الغالب من ثلاث كرات يعلوها هلال، غير أن البعض اتخذ أشكالَ طيور، فيتجه الهلال والطير مشيراً إلى الكعبة المشرَّفة.



٣


١


٢


٣


٤


٥


٦


٧


٨

المئذنة معلم (هوية، توجيه، إرشاد) للحارة والمدينة

١. مئذنة مسجد العلمي (حارة العلمي)

٢. مئذنة مسجد المدرسة (حارة المدرسة).

٣. مئذنة مسجد داود (حارة طلحة باتجاه حارة داود)

٤. مئذنة مسجد الأبهر (حارة القاسمي باتجاه حارة الأبهر)

٥. مئذنة مسجد صلاح الدين (حارة صلاح الدين)

٦. مئذنة مسجد محمد بن الحسين (حارة ابن الحسين)

٧. مئذنة مسجد قبة طلحة (حارة طلحة)

٨. مئذنة مسجد جناح (الممر المشترك بينه وبين مسجد المذهب باتجاه السوق)

التشكيل الزخرفي للمآذن

إن جُلَّ ما يميز مآذن مساجد صنعاء القديمة ويزيد من جمال تشكيلها هو نمط زخرفتها المستمد أساسا من النمط الزخرفي المميز لطراز العمارة الصنعانية. ومن (٢٦ مئذنة) تعلو مساجد المدينة زينت أبدان (١٤ مئذنة)، منها (١٢مئذنة) عالية ومئذنتان متوسطتان، ويضاف إلى هذا العدد مئذنة مسجد قبة المتوكل (خارج السور) وذلك لاعتبار دورها الوظيفي التكميلي من حيث المجال الصوتي للأذان. فيما أتت نحو (١٢مئذنة) غير مزدانة أبدانها بالزخارف منها (٥مآذن قصيرة) و(٣ مآذن متوسطة)، وعدا مئذنة مسجد الفليحي فإن بقية هذه المآذن الثلاث تتكون أبدانها من جزء واحد، ولهذا فمجال زخرفتها من أجل التمييز ذي الوظيفة المعلمية، التوجيه الإرشادي، يكاد يكون في أدنى مستواه، واعتمدت القص ذا اللون الأبيض الطبيعي مادة تكسيتها لهذا الغرض فيما اعتمدته أيضاً المآذن الأربع الأخرى العالية الارتفاع وهي (مئذنتا الجامع الكبير ومئذنة مسجد المرادية ومئذنة مسجد الأبهر).

والمرجح أن مئذنتي الجامع الكبير ومئذنة مسجد المرادية قد أنشئتا من الأساس على أنها مآذن خالية من الزخرفة ولهذا كسيت بالقص إذ تدل ملامحها على عدم وجود أي أثر لزخارف طمست نتاجَ عمليات الصيانة المستمرة منذ إنشائها. أما أبدان كل من مئذنتي مسجدي الأبهر والفليحي فقد غطيت بطبقات من القص، والنتوءات ذات الظلال الخفيفة تدل على أن هناك زخارف طفيفة كانت موجودة في أبدانها ولكنها طمست نتاجاً لتكرار عمليات الصيانة وتكسيتها بالقص والقضاض، وأن اندثارها كان نتاجاً لتغطية الفراغات الجزئية (الفراغية) بين التشكيلات الزخرفية المتقاربة مما أضاع معالمها الفراغية وساد بذلك اللون الأبيض للقص ولتنتهي الفراغات بالتعبئة مع مرور الزمن.

وعودة للناحية الوظيفية للمئذنة في نقل وإيصال صوت الأذان، دون مؤثرات صوتية، فقد جاء توزيع المآذن في أرجاء المدينة، ووسطها وأطرافها على النحو الآتي:

مآذن مركز المدينة والحارات التي تحيط به، وهي متباينة بين القصيرة والمتوسطة والعالية:

- القصيرة (معاذ).
- المتوسطة (طلحة، الطواشي، علي، جناح).
- العالية (الشهيدين، الجامع الكبير– الشرقية والغربية، عقيل، داود).

مآذن أطراف الحارات القديمة ذات الكثافة العالية للبناء، وعدا مئذنة مسجد الفليحي المتوسطة ومئذنة مسجد بروم القصيرة فبقية المآذن عالية الارتفاع، وتتوزع على النحو الآتي:

- في الشمال (خضير، الزمر، الفليحي، العلمي).
- في الغرب (ابن الحسين، المهدي، بروم).
- في الجنوب (الأبهر، موسى).
- في الشرق (المرادية، البكيرية، صلاح الدين، المدرسة).

مآذن المساجد الواقعة في الحارات الجديدة لحي السرار الغربي، وجميع هذه المآذن قصيرة تعلو مساجد كل من الحرقان وسمرة والنهرين وهذه المساجد عمرت في الجهة الغربية والشمالية الغربية من السايلة وعلى أراضي ظلت معظمها بساتين حتى منتصف القرن العشرين الميلادي، وتضاف إليها مئذنة قبة المتوكل.

وفي ضوء هذا التوزيع يتضح أن المآذن العالية قد أحاطت المدينة من جهاتها الأربع وبأبعاد متفاوتة المسافات بينها، وقد حددت ارتفاعات المباني المسافات بين هذه المآذن، فضلاً عن الكثافة البنائية والسكانية للمنطقة، وبعدها عن الضجيج والضوضاء، وذلك لضمان وصول صوت الأذان إلى آخر حد فاصل بينه وبين الصوت القادم من مئذنة أخرى، ليضمن التغطية الشاملة لانتشار الصوت وبوضوح في محيط الفضاءات المعمارية للمدينة، وبما يكمل دور المآذن التي تعلو مساجد وسط المدينة. ويتبين أن مآذن الأطراف أكثر ارتفاعاً من غيرها في وسط المدينة كما يلاحظ أيضاً أن مآذن أطراف مركز المدينة ترتفع وبفارق نسبي عن المآذن في وسطه. والمآذن العالية في الوسط (٥ مآذن) ترتفع فوق أربعة مساجد مئذنتان في وسط السوق (الشهيدين وعقيل) ومئذنتان في الطرف الجنوبي الغربي للسوق (الجامع الكبير ـ الشرقية والغربية) ومئذنة في أطراف امتداد السوق باتجاه الغرب بميل نحو الشمال (داود)، فيما توزعت المآذن المتوسطة الارتفاع، مئذنتان في السوق (جناح وعلي)، ومئذنة على امتداد محور توسع السوق باتجاه الغرب (طلحة)، ومئذنة واحدة ابتعدت عن السوق ومحوري امتداده التوسعي وتقع شمال السوق بميل نحو الشرق (الطواشي)، أما القصيرة فهي مئذنة مسجد معاذ والذي يقع بالقرب من مسجد طلحة في جهته الجنوبية.

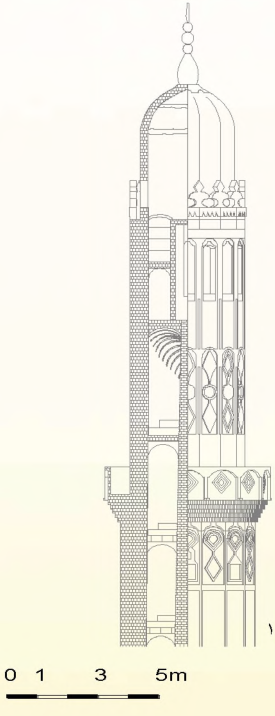
يتضح من هذا أن جميع المساجد في السوق علت كل منها المئذنة باستثناء مسجد المذهب المجاور لمسجد جناح والذي علت مدخلهما المشترك مئذنة مسجد جناح ولهذه الكثافة العددية للمآذن في محيط مساحة محدودة غايتها إيصال صوت الأذان في منطقة تعد من أكثر مناطق المدينة ضجيجاً وازدحاما (السوق)، وأكثرها كثافة سكانية في دائرة محيطه الخارجي من جميع الجهات، ولهذا كان التنوع في علو أو قصر ارتفاع المآذن.

أما مآذن الحارات الجديدة (السرار الغربي) فهي (٣ مآذن) تضاف إليها وظيفياً مئذنة قبة المتوكل غرب باب السبحة بنحو (٢٥ مترا) بميل نحو الشمال. وهذه المآذن الأربع قصيرة جداً لا ترتفع عن كتلة بيت الصلاة إلا بنحو (٢-٥م)، وذلك لأن دورها كان آنذاك تكميلياً لإيصال صوت الأذان في مجال محدود المسافات المتطلبة لسماعه في منطقة قليلة الكثافة المعمارية والسكانية وشغلتها البساتين الكبيرة حتى وقت قريب.

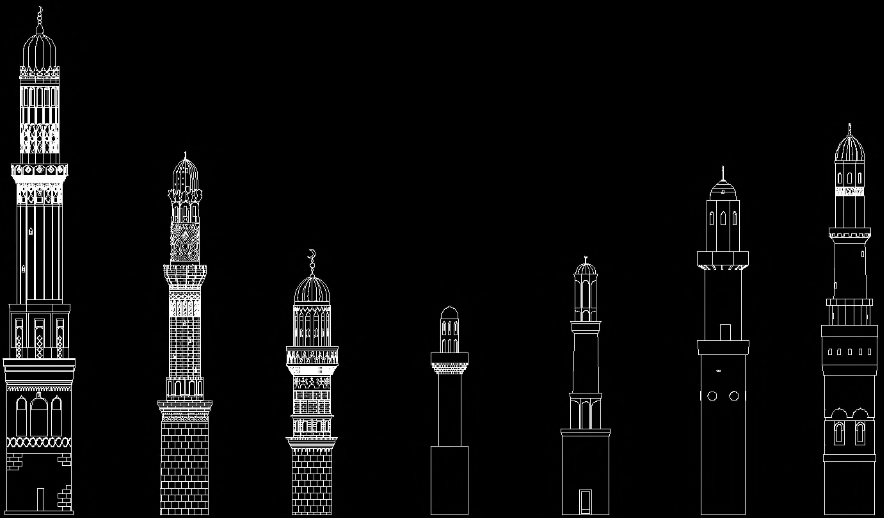
وفي مجمل هذا يتبين أن علو أو قصر ارتفاع مئذنة المسجد يتحدد أساساً لغرض وظيفي، هو نقل صوت الأذان إلى أبعد مدى ليصل آخر مكان معمور ومسكون في أطراف المدينة، فضلاً عن درجة وضوح الصوت في المركز (السوق) حيث الضجيج العالي والكثافة العمرانية حوله مما استرعى زيادة عدد المآذن مع قصر ارتفاعها نسبياً عن مآذن الأطراف الرئيسية، بينما جاءت مآذن مساجد السرار الغربي قصيرة جداً لأن كثافة البناء في أدنى معدل لها. وفي حين تحددت ارتفاعات مآذن المساجد وفق وظيفة نقل صوت الأذان إلى كل أرجاء المدينة المعمورة، انحصرت المساجد التي علتها المآذن بنحو (٢٦ مسجداً) من أصل (٤٦ مسجداً) داخل سور مدينة صنعاء القديمة وقلعتها.

وعليه وإن كان الغرض الرئيسي في ارتفاع المئذنة هو نقل صوت الأذان فإن هناك غرضين ينبغي مراعاتهما، هما التوجيه والإرشاد في الحركة، والغرض الجمالي، ولهذا لا توجد أي مئذنة من هذه المآذن مشابهة للأخرى مطلقاً أكان ذلك من حيث الحجم والارتفاع أو اللون والزخرفة، فالدور الوظيفي للمئذنة قد حدد ارتفاعها وميزها كمعلم توجيه إرشادي للحركة، ونسقها لتنسجم تناسباً وتناغماً مع النسيج المعماري للبيئة العمرانية المنتجة لها (منطقة الجوار).

وعمارة مئذنة المسجد في مدينة صنعاء القديمة لا تعبر عن ترف اجتماعي أو سياسي وثقافي في رمزية التشكيل لتعكس في معانيها القدرة والمكانة لآمر بنائها (الممول أو الحاكم)، بل جاءت لتعبر عن ذاتها وموضوعها، منسجمة ذاتياً مع تكوين المسجد الذي تعلوه وموضوعياً مع النسيج المعماري لمنطقة الجوار خاصة، والنسيج المعماري للمدينة بشكل عام، ولهذه الاعتبارات جميعاً تحدد موضع المئذنة لكل مسجد من المساجد التي علتها، وجاءت جميعها في صوح المسجد إما خلف بيت الصلاة (البنية) أو في أحد الاتجاهين الجنوبي الغربي، أو الجنوبي الشرقي للصوح، باستثناء مئذنة واحدة فقط تقدمت بيت الصلاة ومالت عنها قليلاً باتجاه الشمال الغربي وهي مئذنة مسجد الأبهر والتي تعد من المآذن العالية لمساجد صنعاء بعد مسجد موسى وصلاح الدين والبكيرية والزمر والمدرسة، وجاء ذلك لغرض تأكيد محورية التوجيه والإرشاد للحركة وللحارة وجواره من الحارات.

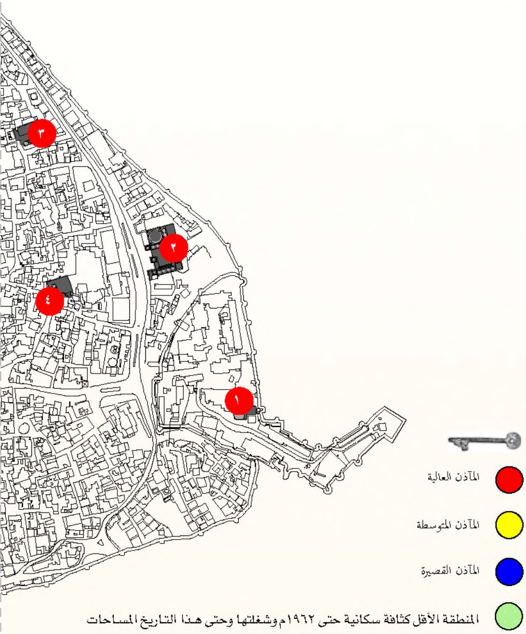


١. قطاع منظوري لمئذنة قبة البكيرية
٢. مآذن غير مزخرفة (الجامع الكبير الغربية، الأبهر، الفليحي، فروة)
مآذن مزخرفة (طلحة، الزمر، البكيرية)

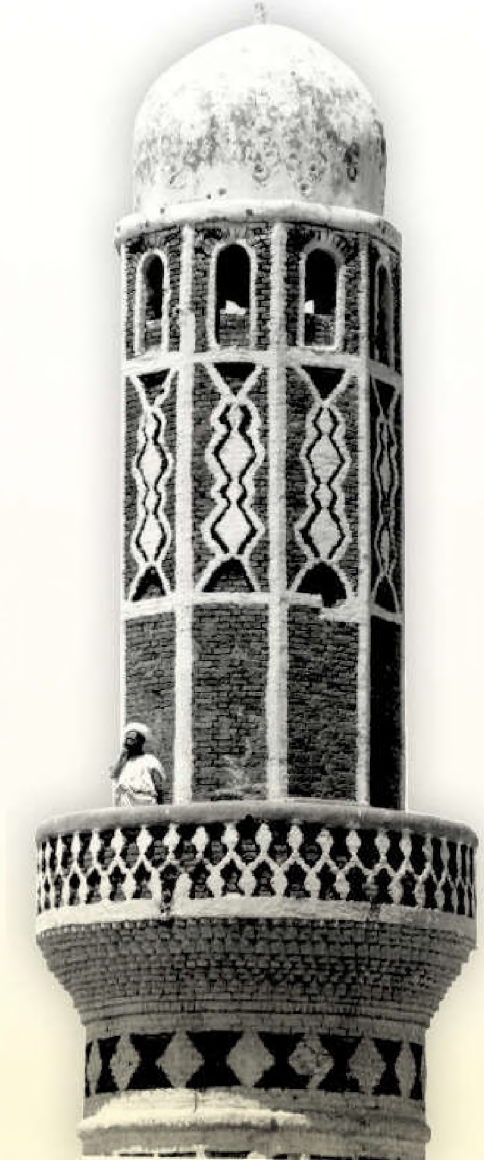


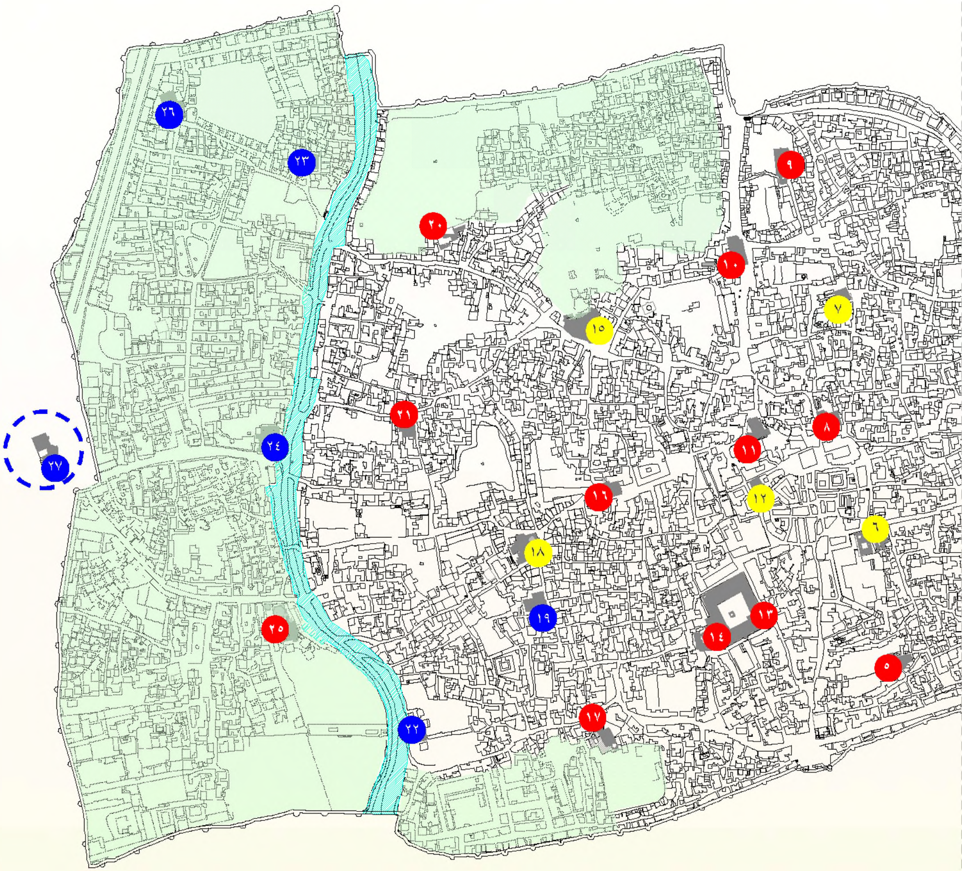
٢



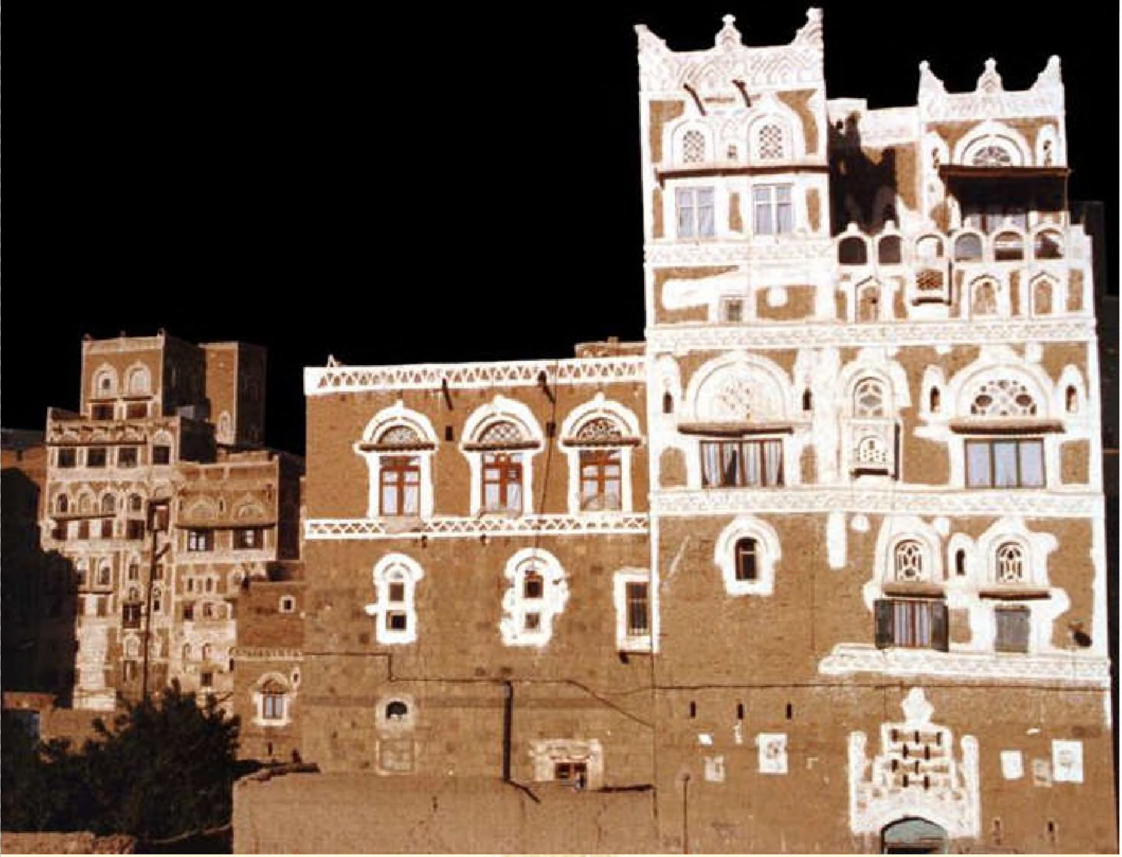


المنطقة الأقل كثافة سكانية حتى ١٩٦٢م وشغلتها وحتى هذا التاريخ المساحات الخضراء بنسبة عالية، ولهذا نجد أن المآذن فيها أو التي تحيط بها قصيرة عدا مئذنتي قبة المهدي (٢٥) ومسجد العلمي (٢٠) العاليتين ومئذنة مسجد الفليحي المتوسطة، وتوزعت ثلاث مآذن قصيرة متباعدة فيما بينها في حي السرار الغربي (٢٣، ٢٤، ٢٦) ومئذنة قصيرة أيضاً خارج السور قرب باب السبحة (٢٧) هي مئذنة قبة المتوكل، كما استحدثت بعد النصف الثامن للقرن العشرين الميلادي مئذنة قصيرة في الجنوب الغربي لحي السرار الشرقي وعلى ضفة السايلة الشرقية (٢٢) علت مسجد بروم ثم هدمت سنة (١٩٨٩م) عند ترميم المسجد. ولهذا عملت هذه المآذن القصيرة مع بقية المآذن العالية والمتوسطة في نقل صوت الآذان وبشكل واضح إلى كل أرجاء هذه المنطقة، وساعد في هذا تدني الكثافة البنائية فيها.




٢٦
٢٣
٢٠
٩
١٠
٧
١٥
٢١
٨
١١
٢٤
٢٧
١٦
١٢
٦
١٨
١٩
١٣
١٤
٢٥
٥
١٧
٢٢

الخصائص والقيم المعمارية الجمالية



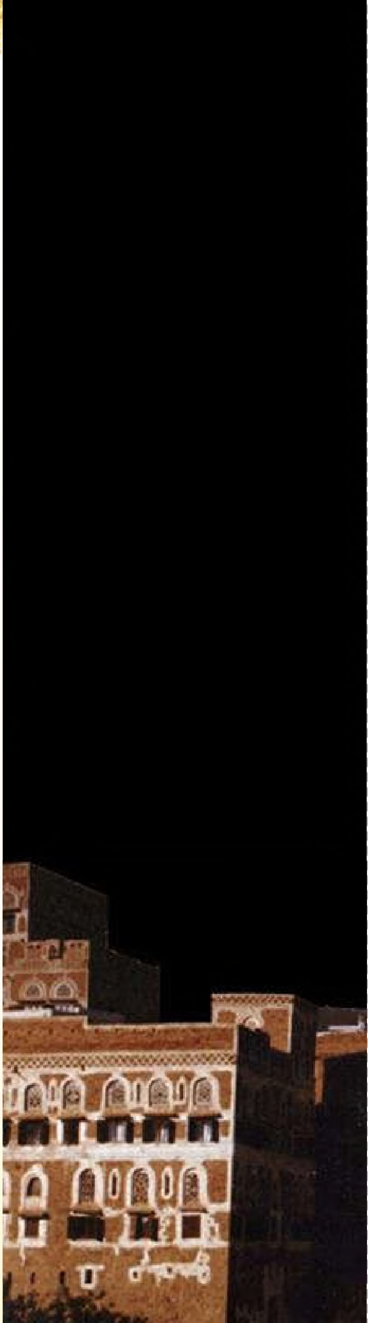
لمدينة صنعاء القديمة قيمة معمارية جمالية عالية، جسدتها علاقات التكوين ووفق منظومة تبادلية في أسس تشكيل فضاءاتها المعمارية تخطيطاً وتصميمياً، بين الخاص والعام، والجزء والكل، والداخلي والخارجي، والمسقط والواجهة، والكتلة والعناصر المعمارية والزخرفية. ومن حيث العلاقات الجمالية الخارجية، فإن مؤالفة العلاقات الجمالية في تشكيل الفضاءات المعمارية، جاءت نتاجاً لأسس تخطيطية، نظمت التكوين النسيج المعماري للمدينة وفق محددات بصرية جمالية، تشكلت في الأساس كنتاج لعلاقات معمارية وظيفية وإنشائية. ويأتي المبنى السكني والديني والتجاري والدفاعي أهم أسس التكوين الرئيسي لاتجاهه الرأسي كمحدد بصري جمالي.

تؤكد نتائج الدراسة التحليلية لجملة من القيم الجمالية على عينات من المباني، السكنية والدينية والتجارية، أن العملية التصميمية قامت على أسس دقيقة، وهي نتاج تراكم معرفي حضاري معماري.

والقيمة المعمارية الجمالية في تشكيل واجهات المبنى، كتل وعناصر معمارية وزخرفية وإنشائية، خاصة، أو الإطار البصري الرأسي للنسيج المعماري للحارة أو المدينة عامةً، جاءت نتاجاً لقيم جمالية نوعية وفق علاقة حلقية في تكامل أدائها الوظيفي المعماري الجمالي على وجه الخصوص. ففي قوله تعالى (لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيم) (سورة التين، الآية٤)، أحسن تقويم هي بمعنى أحسن وأجمل وأمثل تشكيل يعتمد على قاعدة أساسية في علم الجمال، وهي اكتمال تناسب النسب وبمعنى أدق اكتمال تقويم القيم الجمالية البصرية والحسية المرئية والسمعية في تكوين جسد الإنسان، المثل الأعلى لخلق الخالق في أعقد الصور الخلقية الجمالية، وقد أعطى سبحانه وتعالى لذلك أمثلة جزئية بسيطة ومتوسطة ومعقدة في خلقه لتكوينات جامدة وحية تكتمل فيها صور الإبداع الإلهي جمالياً وفق أعلى درجات النسب، ولكون الإنسان يمثل القيمة العالية المتكاملة والمعقدة جدا، تظل بقية الأمثلة لعدة اعتبارات بسيطة وجزئية في منهج استدراك الحس الإرادي لإدراك مفاهيمها والوعي الحسي والبصري بروح مضامينها.

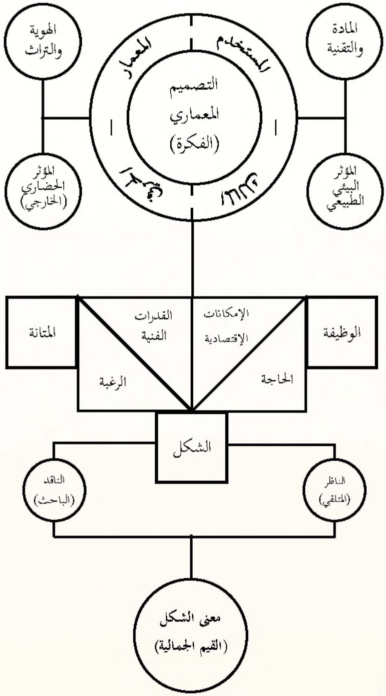
ولهذا جاءت العمارة الإسلامية في أبسط مثلها تجسيداً لقيم روحية مثلها الأعلى جسم الإنسان في صور حركاته المختلفة ببلاغة المعنى الحقيقي للقيم الإرادية في تخطيط المدينة، وفي تصميم المباني والمنشآت السكنية والدينية والتعليمية والتجارية والإنتاجية والصحية والدفاعية والإدارية....

ولقد استرشد الفنان والمعمار المسلم بما وصلت إليه المعارف الإنسانية الحضارية التي سبقته، فقومها وفق منهج قويم في التعامل مع هذه المعطيات، وعمل على تبسيط آليات التعامل مع سلوكياتها التشكيلية، وعلى قاعدة المثل الأعلى (الإنسان) ودون مبالغة في تجسيد صورة هذا المثل، واعتباره المقياس الحقيقي تخطيطياً وتصميمياً، بل وفي التعبير الإرادي بملازمة الحقيقي للتجريدي في تصوير الشكل (النموذج) كمثل وإن ابتعد عن حقيقة الشكل منظوريا، ولكنه يتخذ من المنظور اللولبي طريقة للتعبير ابتعاداً حرفياً وليس جوهرياً عن المعاني المدركة والمقروءة في شكلها الحرفي، وذلك لتحريم الإسلام التصوير، ولكن يظل الرسم بمعناه الأدق المرآة الحقيقية لنقل الابتكار الإبداعي إلى صوره الحية، ولولا هذا لما وصل الفنان، المعمار والحرفي المسلم وعلى مدى أكثر من عشرة قرون من التفوق في إنتاج الكم الهائل والنوعي لمختلف أنواع الفنون، والتي لا تزال حتى عصرنا الراهن مثال تجربة يقتدى بها، ولغناها التشكيلي



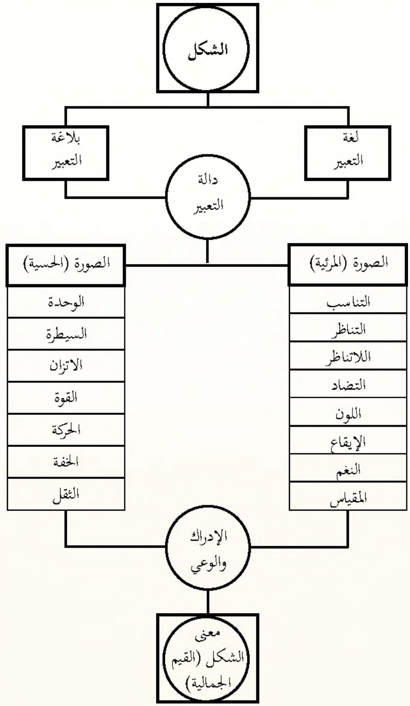
الإبداعي تسمو وترقى إلى أعلى درجات التصنيف، ومنها انتهج وينتهج في إنتاج الكثير من مفردات تشكيلاته المعمارية والزخرفية ومنمنماته على الورق والنسيج والقماش والجلد، ونقوشه على الأواني الفخارية والمعدنية وغيرها.

لا يمكن إدراك معنى الشكل دون الفهم الواعي لمضامين دلالاته القصدية. ويكتسب قدرةً أكثر في إثارة الدهشة والإعجاب كلما استكشف قيمة جديدة من قيمه الجمالية والتي تعكس هي الأخرى الكثير من القيم الوظيفية والإنشائية المعمارية، والكثير من المفاهيم والقيم والمبادئ والأسس التخطيطية والتصميمية المعمارية ومضامينها السياسية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية للمجتمع وبيئته الطبيعية. ويوضح هيكل العلاقات رقم (١) العلاقات الرئيسية والفرعية في سلوك التشكيل المعماري من الفكرة التصميمية والعوامل المؤثرة حتى التكوين النهائي للشكل وعلاقات تقييم الشكل وإظهار قيمه الجمالية، كما يوضح الهيكل رقم (٢) العلاقات الأساسية لآلية قراءة المعاني التعبيرية للشكل والتي تعمل وبشكل تكاملي مع علاقات الهيكل رقم (١) على استكشاف وإبراز القيم المعمارية الجمالية. وبهذا يكتسب الشكل إمكانات متجددة في إعطاء المتعة ونشر البهجة.



هيكل العلاقات رقم (١)





هيكل العلاقات رقم (٢)

اعتمد المعمار اليمني في تحقيق جمالية التكوين لعمارته الجمالية على البساطة معتمداً على مبدأ رئيسي هو أن الشكل نتاج للوظيفة المعمارية الاستخدامية (فضاءات) والإنشائية والبيئية (معالجات). والتميز والتفرد جاء نتاجاً لفعل غنى التجربة (الموروث) ومحدداً الهوية الثقافية (المكانية والزمانية) واعتماده الأسس والقواعد التشكيلية الجمالية، والتي ارتقت هي الأخرى بالقيمة الجمالية للتكوين المعماري لما حملته من مضامين تعبيرية بصرية وحسية ذات دلالات مدركة وواضحة المعالم، إنها النسبة والتناسب وروح الإيقاع وبما يضفيه التضاد الكامل والنسبي في إبراز الموضوع الرئيسي عن الفرعي والقاعدة الأساس عند الإطار جمالية في التكوين المعماري لبناية وكتل المباني في مدينة صنعاء.



الوحدة

أُلفت وتآلفّت وتآلفت كل عناصر ومفردات تكوين نسيج عمارة صنعاء مفردةً ومجتمعة، بدءًا بالمفردة، النافذة والقمرية والكتة والزخرفة الخارجية للمبنى والبدن والشرفة والقبة والميل للمئذنة، ومن ثم التكوين العام، مادة البناء وشكل الكتل، للمبنى السكني والجامع والمسجد والسمسرة والحمام الساخن وسور المدينة ومكوناته، وكذلك القلعة (القصر) ومكوناتها من مبان ومنشآت، وانتهاءً بالوحدة السكنية، والحارة والحي والسوق والتكوين العام لنسيج المدينة أفقياً ورأسياً.

والوحدة من أهم الخصائص التي ميزت عمارة صنعاء وتفردت بها تصميمياً وتخطيطياً من حيث مادة وتقنية البناء والتشكيل الزخرفي. وفي المجالين الذاتي والموضوعي وبوثوق ومتانة ترابطهما حبكت مكونات النسيج المعماري للمدينة بوحدة تكاملت وتآلفت بعلاقات الربط بين مكوناتها وتأصيلها المستمر وظيفة ومتانة وشكلاً جماليا ووفق علاقات تكوين، تصميم وتخطيط، بقواعد وأسس ومعايير قياسية ثابتة ومتغيرة متعارف عليها.

وتنظيم الوحدة في عمارة صنعاء بصرياً وحسياً جاء بتآلف وتجانس وتناسق كل المكونات بعناصرها ومفرداتها الجزئية أو الكلية وفي الاتجاهين المتعاكسين أو المتعامدين على السواء.

الاتزان والقوة

الاتزان يعني الثبوت، ويرتبط أيضاً بالقوة في معانيه، ويكونان معاً علاقة جمالية مدركة حسياً وبصرياً، وفي عمارة صنعاء عمد المعمار، لإكساب عمارته الوظيفية متانة أكثر، إلى استخدام الحجر والياجور بالتتالي في عمارته البرجية لتسامي علوها، ومن خلال المعالجات الإنشائية لثقل الكتل في ارتفاعاتها عالجها بالميل البسيط نحو الداخل لذا جاء الاتزان حسياً أكثر منه بصرياً.

ورغم تعدد وتنوع علاقات الربط المشتركة بين الاتزان والقوة إلا انه يمكن إدراك الاتزان كعلاقة جمالية بقوة الشكل وليس قوة المتانة، وبالرشاقة دون الضخامة وبالخفة دون الثقل أيضاً، وبالحركة دون السكون، وبالبهجة دون الوقار. ويمكن تبيان ذلك في الآتي:

- ثقل وضخامة سور المدينة مقارنة بخفة ورشاقة أسوار المباني والمنشآت داخل المدينة.
- ضخامة كتلة المبنى البرجي السكني العالية مقارنة برشاقة كتلة مئذنة المسجد العالية.
- ضخامة وثقل وسكون كتلة القبة المركزية الكبيرة (لمسجد القبة) مقارنة برشاقة وخفة وحركة مئذنته العالية (البكيرية، المهدي والمرادية).



- تعطي الكتل الحجرية للطوابق السفلى في المبنى السكني وسمسرة الإيواء الكبيرة والمئذنة الإحساس بالوقار لثقلها، لكونها عديمة الزخرفة وقليلة الفتحات الضيقة، وعكس ذلك فإن كتل الطوابق العليا الياجورية المتعددة والمتنوعة في أشكال فتحاتها ومواد تغطيتها وذات الكثافة العالية في عناصرها الزخرفية ومواضعها، تبعث البهجة والمرح لخفتها وحركتها، وهذه المفارقة تعطي اتزاناً ضمنياً آخر للمبنى خاصة ولنسيج الحارة والمدينة عامة.

علو ارتفاع جدران كتلة بيت الصلاة للمسجد وعمارتها بالحجارة الصلدة والتي يغلب عليها اللون الأسود، حجر حبش، والتي قد تسقف بعضها بقبة مركزية كبيرة (البكيرية، طلحة، المهدي، المرادية) تعطي إحساساً بالوقار والرصانة، وتعمل على تحفيز العاطفة بالشعور بالرهبة داخل الحرم، ولكن لتعدد وتنوع فضاءات المسجد وتباين ارتفاعات وعلو مئذنته وتنوع عناصرها وزخارفها، فإن مجمل هذا التكوين يعطي الإحساس والشعور بالبهجة والمرح، وفي الغالب فإن إدراك معنى هذا يتصل بالمتلقي من خارج حرم المسجد. ويتنامى هذا في مجمله بعلاقة التكوين العام للنسيج المعماري للمدينة.

والاتزان لا يعني الثبوت والسكون، فقد تكون الحركة أكثر تعبيراً له حتى في أعلى زخم لها، ولهذا يأتي دور التوازن وبالوزن يتحقق، وهذه سمة عمارة صنعاء (وزن - توازن - اتزان)، وقوتها ضمنية ذاتية وموضوعية.

السيطرة

السيطرة واضحة في تكوين النسيج المعماري للمدينة والحارة، أو في التكوين البنائي للمنشأة أو المبنى، أو في الوحدة البنائية الذاتية للمنشأة أو المبنى. وعنصر السيطرة في نسيج عمارة صنعاء هي (الزخرفة الهيكلية والمضافة) وفي سور المدينة(الأبراج) وللمبنى السكني وسمسرة الإيواء (القمرية) وللجامع الكبير (مئذنتاه) وللمسجد عامةً (مئذنته المزخرفة أو غير المزخرفة، العالية أو القصيرة) وللمسجد ذي التسقيف المركزي بالقبة (قبته ومن ثم مئذنته) وللحمام الساخن (قبته) وللمسنى (ساورتاه).

وإذا كانت القمرية عنصراً مسيطراً متميزاً ومتفرداً في واجهات المباني السكنية خاصة وسماسر الإيواء الصغيرة والكبيرة، فإن مئذنة المسجد العالية والمزخرفة تأتي وبنفس القدر من حيث الأهمية. وإذا كانت القمرية تعني في الأساس المبنى السكني الخاص والعام (سمسرة الإيواء)، فإن المئذنة تعني المسجد والحارة وكلاهما عام، هذا من حيث المقارنة. أما من حيث التوظيف واستناداً لوظيفة القمرية فإنها محصورة في



علاقاتها، وأكثر ذاتية منها موضوعية، وعلى العكس تماماً في المئذنة فإنها وبرغم انتمائها للمسجد ولكنها أكثر تعبيراً للحارة والحي، وأكثر ما اعتمد في ذلك هو زخرفة أبدانها (العليا والسفلى) وحواف شرفات الأذان والقواعد، وما إلى ذلك من رموز التميز الذاتي، وفي هذا وإن كانت المئذنة ذات العلاقة المباشرة بالمسجد فإنها في المعنى القصدي الذاتي محصورة فقط في دلالة التعبير عنه والانتماء إليه، ولكن وقياساً بالمعنى القصدي الموضوعي فإن التوظيف اتجه في الأساس من الخاص إلى العام. وتمحور عليه وكثف كل خصائص التميز والتفرد لإبراز المكانة الموضوعية بغرض التوجيه والإرشاد، والإدراك والوعي بالمكان وموقعه في المخطط العام للحارة والحي والمدينة مادياً، وانعكاس ذلك روحياً في ذاكرة الإنسان.

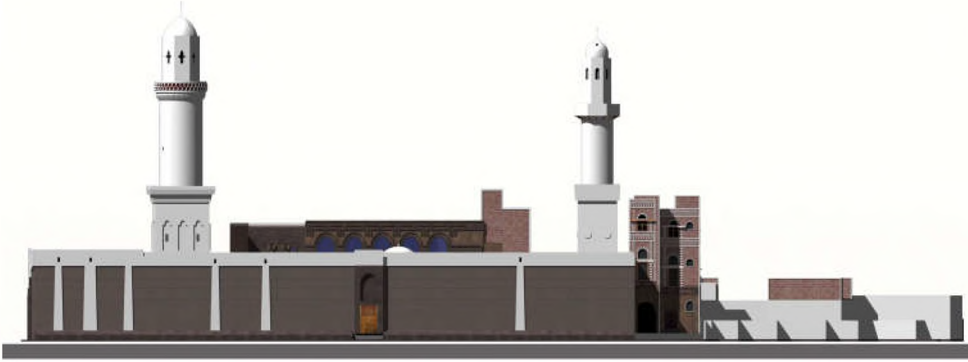
وهناك جملة من القيم ذات الموضوعات الثانوية والاشتقاقية في هذا الجانب وهي كثيرة ودون تعريف أو شروح يمكن القارئ قراءة مضامينها، إما من خلال النص الكتابي، لغة الحرف، أو النص التشكيلي، لغة الشكل/ الصورة، والتي أتت متضمنة المواضيع الرئيسية أو الفرعية لهذه الدراسة، أو تلك التي جاءت كموضوعات هامة، لها خاصيتها الاعتبارية مثل الزخرفة والكتل والحجوم والسطوح....



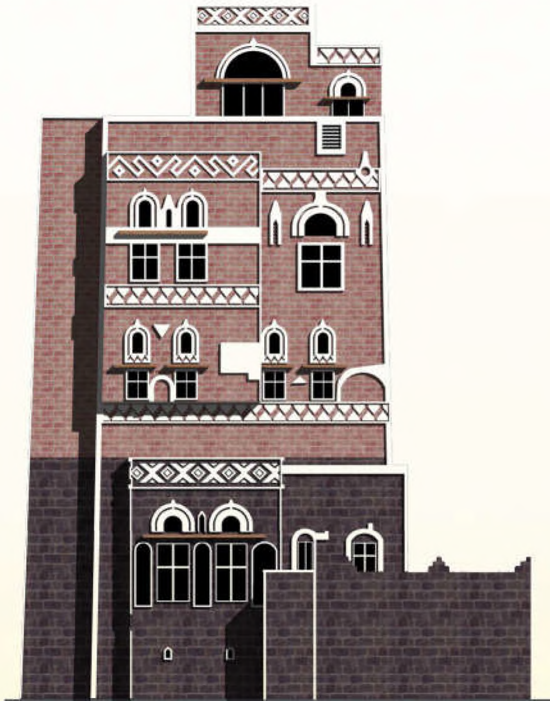
١

ومجمل عناصر السيطرة دلت على معان عديدة أهمها:

- إبراز المنطق البنائي والتعبير الجمالي.
- إنعاش العاطفة ومغازلة المجهول.
- السيطرة على طاقة العواطف، المنطلقة من بؤر كمونها، بين الإنسان وفنون العمارة، الإبداع وبراعة الإبهار، وهي سمة عمارة صنعاء.
- النداء والإبلاغ بالهاتف البصري: ويعني في الأساس التعريف والتوجيه أو القياس وفق المواضيع والمحددات الرئيسية كما يعمل على تحفيز الإثارة بالتشويق وخلق البهجة بالمتعة، والتذوق الجمالي بإدراك ووعي المعنى التعبيري وظيفةً وشكلاً. ويتضح هذا في تنوع التكوين الرأسي المعماري كتل وعناصر ومفردات (سور، مبنى سكني برجي، مسجد، قبة، مئذنة)، وفي التكوين الأفقي المعماري للحركة (أزقة، طرق، صرحات).



٢



٣

الاتزان والسيطرة

١. قبة البكيرية من جهة الشرق

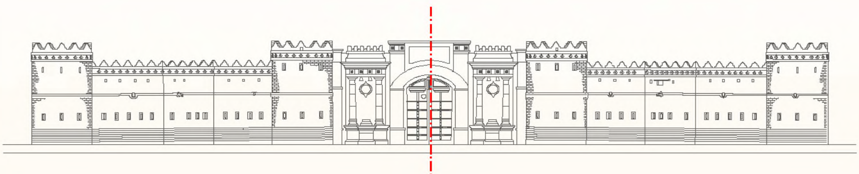
٢. الواجهة الشمالية للجامع الكبير

٣. واجهة مبنى سكني (بيت العمري)

التناظر واللّا تناظر

لم يستخدم المعمار اليمني التناظر في تشكيله المعماري. فجميع مباني صنعاء غير متناظرة في تكوينها العام ويأتي التناظر جزئياً محدوداً في علاقة التشكيل الفضائي والزخرفي للفضاءات الخارجية، وهو بكثافة، نسبية، في الزخرفة الداخلية. واللاتناظر في سلوك التشكيل المعماري هو السِّمة المميزة لكل المباني والنسيج بشكل عام، ويبرز جلياً في تدرج كتلها وتنوع عناصرها المعمارية والزخرفية بغية تحقيق البهجة والمرح.

واللاتناظر من الخصائص المعمارية الجمالية، ويأتي كنتاج للتشكيل اللامنتظم لمساقط مباني مدينة صنعاء، لهذا انحصر التناظر فقط وبشكل محدود وجزئي في بعض كتل الواجهات الرئيسية أو الجانبية الهامة. وتعتبر الواجهات الداخلية للفضاءات الوظيفية الأكثر استخداماً للتناظر، ولهذا فإن واجهات المباني عموماً اعتمدت اللاتناظر لتحقيق التوازن بكبح فعل البيئة الجافة الخشنة نسبياً على حياة الإنسان، لخاصية اللّاتناظر في التلاعب المتناغم بصرياً للكتل المعمارية في الاتجاه الرأسي للتكوين الفضائي المعماري.

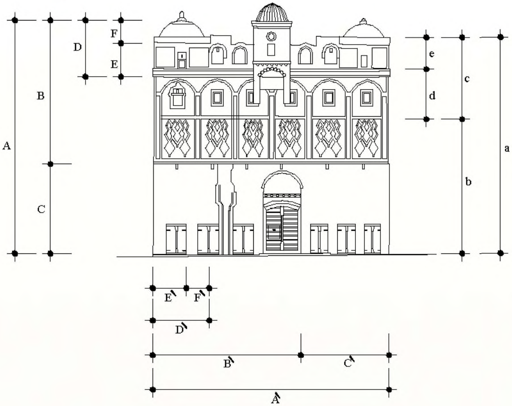


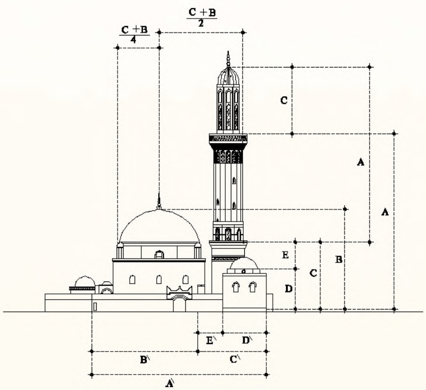


النسبة والتناسب

التكوين الإبداعي جميل عندما يحقق المعايير القياسية في التناسب، وقبيح إذا أختل التناسب بين كتل مكوناته، وتوضح لنا الأشكال أن المعمار اليمني اعتمد في عمارته على النسبة والتناسب، وحقق ذروة قيمه الجمالية، وذلك باستخدام النسبة والتناسب في تشكيله المعماري (الفضائي والزخرفي) وعند التحليل وجد أنه استخدم النسبة الرياضية (٣ : ٥ : ٨ : ١٣ : ٢١ : ٣٤ : ٥٥ ...) وكذلك النسبة الذهبية (١,٦١٨) للنسبة والتناسب، وعند المقارنة وجد أن المعمار استخدم النسبة الرياضية في تشكيل عمارته أكثر من غيرها من النسب، واتضح هذا عند تحليل عدد من واجهات المباني الدينية والخدمية (العامة) والسكنية، كما حقق النسبة الذهبية في واجهات بعض مبانيه مثال واجهة سمسرة محمد بن الحسن وواجهة مسجد المهدي وغيرها.

كما استخدم المعمار اليمني النسبة الهندسية الفراغية (الجومترية) في تشكيلاته الزخرفية الداخلية وبخاصة في الزخارف الحلقية (الدائرية) مثل زخارف المصندقات الخشبية في الجامع الكبير، والزخارف القصية للأسطح الداخلية للقبة المركزية في مساجد القبة، وكذلك الزخارف القصية السقفية للفضاءات الوظيفية المعيشية، الديوان والمفرج والمنظر، أو تلك الزخارف الجدارية في جدران الدهليز، بيت الدرج، الحجرات...

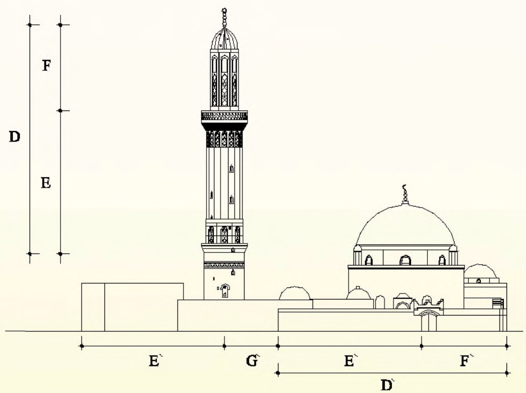




$0.618 \overset{\leftarrow}{\doteq} A : B : C : D : E : F \overset{\rightarrow}{\doteq} 1.618$

$0.618 \overset{\leftarrow}{\doteq} A` : B` : C` : D` : E` : F` \overset{\rightarrow}{\doteq} 1.618$

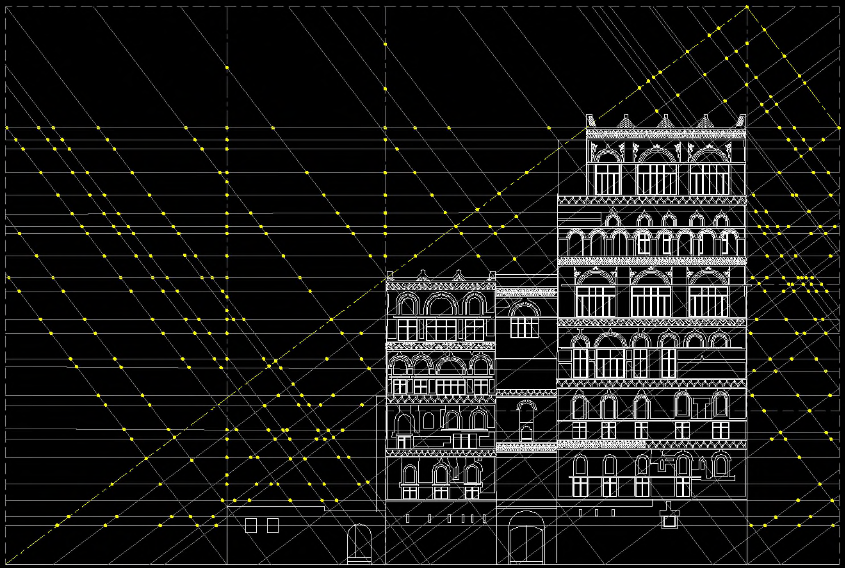
وقيم الأبعاد القياسية (رأسياً وأفقياً) متساوية حيث أن (A`=A) - (J`=J) مع تغيير اتجاه وحدة القياس (C و C`) إلى الجهة المقابلة ولتطبيق أدق وجدت النسبة أيضاً محققة عند تغيير الأبعاد وبإزاحة محددة في الجهة الأخرى للواجهة حيث أن: $0.618 \overset{\leftarrow}{\doteq} a : b : c : d : e : f \overset{\rightarrow}{\doteq} 1.618$

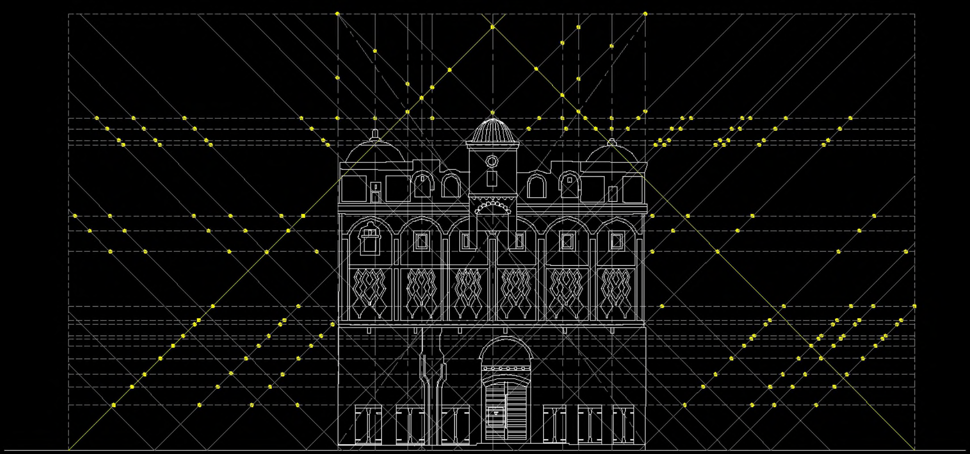




من خلال تحليل علاقات تكوين الكتل والعناصر المعمارية لواجهات عدد كبير من المباني الدينية والسكنية والتجارية وباعتماد محورين رئيسين متعامدين أمكن الوصول إلى أن المعمار اليمني اعتمد في علاقاته التصميمية على مبادئ وقواعد وأسس ومعايير قياسية وخاصة في الاتزان وعلاقات النسبة والتناسب لتحقيق جمالية التكوين المعماري، ويتضح ذلك من خلال المحددات البصرية في تلاقي نقاط الربط بين فاصلين أو اكثر للكتل والعناصر عند حركة المحاور الفرعية بنظم قياسي محدد على القاعدة البصرية المحددة (المحورين الرئيسين المتعامدين).

ولهذا تمكن المعمار من السيطرة النسبية وبدرجة عالية في التحكم القياسي الرياضي لتحقيق جملة القيم الجمالية المعمارية لعمارة مبانيه، واكتسب هذا كنتاج للتراكم المعرفي المتواتر الذي عمل على نظم علاقات التكوين المعماري جمالياً بالتنقية والتصحيح والتقويم لنتاجه المعماري في مسار تطور فكره المعماري. ويتبين هذا في نماذج التحليل المرفقة.







مـــــا مثـــــل صـــــنعا الـــــيمن
كــلاّ ولا أهلهــا

صـــــنعاء حـــــوت كـــــل فـــــن
يا سعد من حلها

تطفـــــي جميـــــع الشـــــجن
ثلاث في سفحها

المــاء وخضـرة رباهـا الفايقـة بالوسامـه
وكلّ وجـه حسن

كم يضحك الزهر فيها من دموع الغمامه
فيا سقاها وطن

أحمد بن حسين المفتي[1]
ت ١٢٩٤هـ/١٨٧٧م



النغم والإيقاع

استخدم المعمار الإيقاع الأفقي المستمر وبشكل محدود وجزئي، وغلب عليه استخدامه الإيقاع المتناوب والأفقي أيضاً في واجهات المباني. وفي التكوين العام عمل الإيقاع المحدود والمتقطع والمتدرج في الواجهات على نظم نغم بصري وحسي، وعمل هذا التنوع إضافة إلى التدرج في كتل المباني بمختلف أنواعها وكثافة عناصرها المعمارية والزخرفية، على النظم المتسق والمنسجم والمتناغم لتكوين النسيج المعماري للحارة وللمدينة بشكل عام، وقيمة هذا النظم المتناغم لنسيج عمارة صنعاء بما نظمه بجمعه للقطع الموسيقية المختلفة المتنوعة في تأليف سيمفونية جميلة تسمع بصرياً.

التضاد

جاء التضاد كقيمة معمارية جمالية هامة، وذات كثافة عالية الاستخدام في العمارة الصنعانية، وذلك نتاج لعدة مفارقات متدرجة التباين بين الاستمرارية التي يلعب اللون محددها الرئيسي، وبين اللحظية المتدرجة التباين ومحددها الرئيسي العلاقة البينية البيانية بين الظل والضوء. كما أن تباين الملمس في سطوح مواد البناء الرئيسية بين النعومة والخشونة عزز ورفع قيمة التضاد في هذا، ويمكن إيضاح ذلك بإيجاز على النحو الآتي:

اللون

ينحصر استخدام اللون في الألوان الطبيعية لمواد البناء الرئيسية والمساعدة والتكسية والعناصر المعمارية والزخرفية في الواجهات. ولمواد البناء والتركيب تضاد لوني متدرج للمادة ذاتها أو بين مادة وأخرى، مثل حجر أبيض إلى أسود، وطي ن(لبن، زابور) أصفر (صحراوي) وطين محروق (ياجور) بني فاتح إلى داكن مع حمرة، واللون الأبيض للقضاض والقص، ولون الخشب البني الغامق ذي الحمرة الطفيفة، وألوان البلور الصريحة (أحمر، أصفر، أزرق، أخضر) ويتداخل هذه الألوان في واجهات المباني، يأتي التضاد اللوني. ويبرز التضاد اللوني أكثر بين لوني الياجور أو الحجر ولياسة التشكيل الزخرفي بالقص أو تكسية القضاض، وللتنوع اللوني الطبيعي لمواد تشكيل الواجهات تناغم متسق.



١

الضوء والظل

للظل والضوء في العمارة قيمة جمالية هامة، ويأتي كنتاج للعملية التصميمية. واستخدم المعمار اليمني الضوء والظل كقيمة جمالية في سلوك تشكيل الفضاءات المعمارية، وذلك لتحديد فروق التباين بين كتل وعناصر متباينة، ولهذا عمد إلى التنوع في تشكيل الكتل والعناصر، بين الغور والبروز للكتل المعمارية الرئيسية أو لكتل العناصر المعمارية وكذلك لكتل وحدات التشكيل المعماري الزخرفي، ومفرداتها الزخرفية الهيكلية والمضافة.

وتبرز القيم المعمارية الجمالية في التلاعب بين الظل والضوء نهاراً، وذلك من خلال تكثيف فروق التباين بين الكتل الرئيسية والفرعية المحدثة لأثر الظل والضوء الطبيعي لأشعة الشمس على الكتل والعناصر المعمارية والزخرفية، أما ليلاً فينحسر هذا التأثير من حيث الكم لينحصر فقط في الضوء الصادر من القمريات الرخامية الشفافة والمشربيات والفتحات الصغيرة والنوافذ حين فتحها، وإن كان التضاد في هذا لا يبرز حدود وفواصل الكتل ولكنه يعنى ببيان فروق حيوية الفضاءات الوظيفية للمباني السكنية خاصة، وذلك من خلال كثافة المساحات النافذ منها الضوء الصناعي من الداخل إلى الخارج ونسبتها إلى المساحات الصماء، المعتمة، حيث تكون الكثافة النوعية للمساحات المضيئة عالية نسبياً في الواجهات الرئيسية للمبنى، وتقل تدريجياً في الواجهتين الجانبيتين، وتكون في أدنى حدودها النسبية في الواجهة الخلفية والتي تأتي في الغالب جهة الشمال أو الشمال الشرقي وتقل فيها الفتحات.



النغم والتضاد (اللون، الظل والضوء، الملمس)

١. مبانٍ سكنية (حارة باب اليمن)

٢. مسجد الأبهر

الملمس، النعومة والخشونة

تتضح الفروق بدرجة أساسية بين ملمس مادتي البناء الرئيسيتين:

- الحجر خشن، نسبياً.
- الياجور ناعم، نسبياً.

واعتماد الحجارة الغير مهندمة، موقصة، في بناء الأسوار الخاصة بالمباني أو في بناء السماسر والمخازن الخاصة بالبيوت الكبيرة وفي بناء جدران (مرانع) آبار المسنى، والحجارة الموقصة في بناء المباني الدينية والحمامات، وكذلك في بناء الطوابق السفلى (الأرضي والأول) للمباني السكنية والسماسر، ولهذا فإن لصلادة وخشونة ملمس الحجارة توظيفاً معمارياً (إنشائياً وبيئياً واجتماعياً) ويعني الأمن بالتحصين، أما جمالياً فإن لمسطحات كتلتها الصماء والتي قلما تنتشر عليها الفتحات الضيقة المحدودة الانتشار، فإنها تعمل مع الكتل الطينية الياجورية في نسق التكوين المعماري للمبنى خاصة وللنسيج المعماري للحارة والمدينة عامة.

ويتوافق هذا النسق من حيث إن نعومة الطين تكسر خشونة الحجر وصلادته، ووقار وهيبة الحجر يكبح الانطلاقة المرحة للتشكيلات المعمارية والزخرفية الياجورية، وبين استكانة ورهبة الوقار وانسيابية بهجة المرح تحقق الاتزان. كما أن الفروق النسبية بين مواد تشكيل العناصر المعمارية والزخرفية توضح وبدرجة ثانوية التضاد في الملمس مثل رخام القمرية الناعم وخشب النوافذ الخشن نسبيا وغيرها.

المقياس (القياس)

اعتمد المعمار اليمني المقياس الإنساني في إنتاج عمارته أكان ذلك في تشكيل الفضاءات المعمارية أو التشكيل الزخرفي أو في إنتاج مواد البناء والتجهيز والتأثيث والفرش.

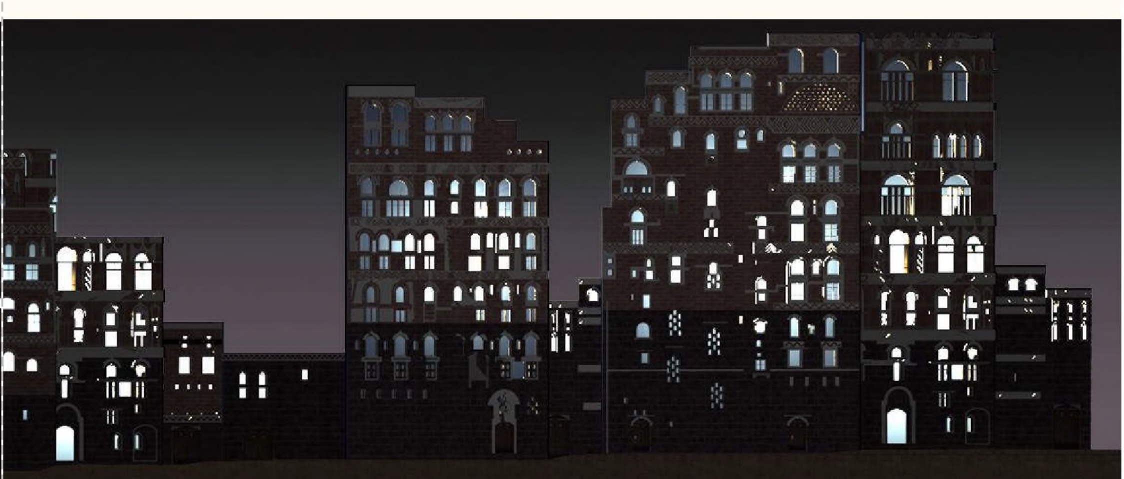
الذراع: هو وحدة القياس الأساسية في البناء. وفي عمارة صنعاء أُستخدم الذراع الحديدي (ذراع الهادي) [٢] والذي يساوي ثلثي المتر (٠,٦٦م)، وأجزاء الذراع الصغرى تستخدم في البناء والصناعات الحرفية وهي:

- الشبر: ويساوي ثلث ذراع (٠،٣٣ذراع) أي (٢٢سم).
- البنانة (الأصبع): وتساوي عشر شبر (٠،١ شبر).

أما الكبرى فتستخدم للقياس المساحي الأرضي وهي:

- اللبنة: وتساوي (١٠٠ ذراع مربع) ونحو (٤٤،٤٥ م٢).
- المعاد: ويساوي (١٠٠×١٠٠ ذراع/١٠٠ لبنة مربعة) نحو(٤٤٤٤ م٢).

ووحدة القياس الفراغي للعمارة الصنعانية في البناء والتشكيل الزخرفي هي الياجورة ومقاسات الياجورة القديمة (٨×٨×٢بنانة) وبنحو (١٧,٧٧×١٧,٧٧×٤,٤٥ سم) أما الحديثة فهي بقياس (٨×٨×٢,٥بنانة) وبنحو (١٧,٥×١٧,٥×٥,٥٦ سم) تقريباً.

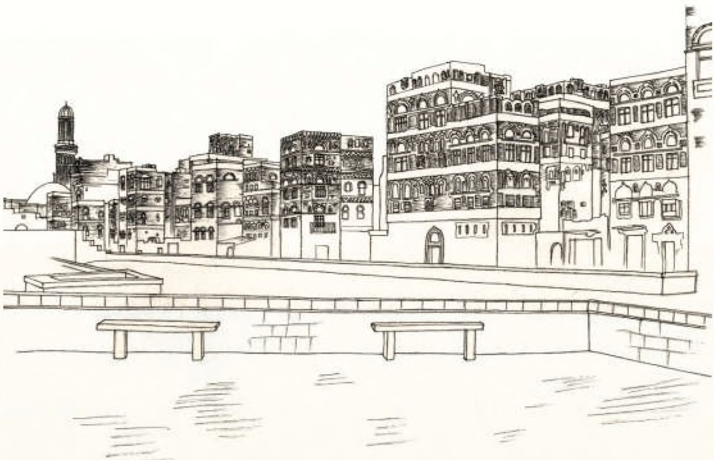


وكمثال للاستخدام النمطي للقياس نستوضحه من خلال أبعاد وحدة القياس الفراغي لطوبة الياجور والتي نظم منها المعمار الصنعاني قوالب قياسية محددة للتشكيل الزخرفي لتمثل الوحدة القياسية الزخرفية النوعية لكل التشكيلات الزخرفية الخارجية، وقد تم تناول هذا بتفصيل في موضوع الزخرفة الخارجية.

وأمثلة أخرى في نمطية القياس وهي:

- ارتفاع قائمة الدرجة = ١شبر (٢٢, ٢٢سم).
- عرض نائمة الدرجة = ٠,٥ ذراع (٣٣, ٣٣سم).
- العرض الإنشائي للفضاءات = ٥ أذرع (٣,٣٣ م).
- عرض الباب (للفضاءات الرئيسية) = ٥, ١ذراع (٩٩,٩٩سم).
- وارتفاعه يساوي ضعف عرضه= ٣ أذرع (١,٩٩٨م) أو ٢,٥ ذراع (١.٠٦٧م).

وأستخدم المعمار الذراع كمديول قياسي في التصميم المعماري لتشكيل الفضاءات المعمارية (أفقياً ورأسياً).



١

١. حارة النهرين
٢. حارة المفتون ليلاً

٢



بالإضافة إلى مجمل ما تم استعراضه من القيم المعمارية الجمالية تبرز قيم جمالية أخرى في عمارة صنعاء، وبإيجاز الشرح توضح خصائص أهمها في الآتي:

- الميل البسيط نحو الداخل لجدران المباني البرجية والمآذن العالية وإن كان الغرض الرئيسي في ذلك إنشائيا، وذلك لتخفيف الأحمال في الطوابق العليا، ولكنه معماريا أستخدم لغرض جمالي، يعني الإدراك البصري والحسي للناظر، وأهم الدلالات التعبيرية في ذلك هو تصحيح المد البصري لاستقرار الاستقامة للخطوط الرأسية.
- وظفت النوافذ الكاذبة (المصمته) والتي شكلت على هيئة النوافذ المفتوحة المعقودة في مسطحات واجهة المباني البرجية في الجهتين الشمالية والشمالية الشرقية لتكسب هذه الواجهات الفقيرة قيمة جمالية، وإغنائها بما ينسجم ويتفق نسبياً مع العناصر المعمارية والزخرفية لبقية واجهات المبنى خاصة والتكوين للنسيج المعماري للحارة والمدينة بشكل عام.
- لبعض المعالجات الإنشائية والصيانة الدورية أثرها على واجهات الجدران الخارجية للمباني من حيث الشكل، فالصيانة المتكررة والترميم الجزئي أو إزالة أي عيوب وشوائب دخيلة وما تستدعيه من تكسية أو إعادة التكسية بمادة القص ذات الخاصية المرنة والسهلة والأقل كلفة في التحضير، أو بمادة القضاض أكسبت المباني، وبخاصة الأكثر قدماً، مساحات إضافية من التكسية. وأكثر ما استخدم هذا الأسلوب وبكثافة نسبية في الواجهات الخلفية، ومن ثم الجانبية، وقلما وجد في الواجهات الأمامية. ولعضوية هذا الأسلوب أعطى لكل من الواجهات الخلفية والجانبية قيماً جمالية إضافية تقارب أو تساوي بل في بعض الأحيان تضاهي القيم الجمالية للواجهة الرئيسية، وهذا التشكيل التجريدي العضوي يبرز أشكالاً ذات معان تعبيرية رمزية، وإن كان تشكيلها في الأساس عفوياً، بدون قصد.



١

١. مئذنة مسجد العلمي

٢. تشكيل زخرفي عفوي على واجهة مبنى سكني



- للمبنى السكني البرجي في صنعاء خاصة واليمن عامة علاقة روحية بالسماء ذات قيم وظيفية وجمالية، فتسامق بنيانه العالي، المتدرج والمتباين الكتل والمتنوع العناصر، له أكثر من قصد ومعنى في لغة العمارة، وتعبيراتها تحاكي العاطفة والعقل الإنساني معاً في حوار بسيط يزداد تعقيداً بالتدريج بينها وبين المستخدم والمشاهد (الناظر) والناقد من جهة، أو بينها وبين الأمي والمثقف والمعمار الناقد (المتخصص) من جهة أخرى، وللمؤثرات البيئية أثرها على الجوار، صفاء السماء أو تلبدها بالغيوم، وعندما يكون القمر بدراً وحين اشتداد حلكة ظلام الليل، وكذلك حال مكان المتلقي قربه أو بعده من المبنى البرجي أو مجموعة المباني البرجية أو موقعه داخل فضاءات المبنى

ومن الأمثلة في هذا الآتي:

- انبعاث الضوء من فتحات القمريات وخاصة في الليل الحالك الظلام يجعلها تبدو كالنجوم المتلألئة لتجتمع معاً في صفحة السماء.
- دخول الضوء من الخارج المنكسر برقائق الرخام الشفاف المصقول للقمرية وشكلها المستدير يوحي وكأنها قمر (بدر) في ليلته.
- للمسجد أيضاً علاقة ارتباط روحي بالسماء، والمئذنة فيه أكثر كتله تجسيداً لهذه المعاني، وذلك لعلو ارتفاعها وتمايزها بعلوها أيضاً على كتل مباني الجوار بما فيها المباني السكنية البرجية.



الهوامش

١. المفتي، أحمد بن حسين: "صنعاء حوت كل فن" ديوان شعر؛ تحقيق: محمد عبد غانم؛ مركز الدراسات والبحوث اليمني؛ صنعاء؛ ١٩٨٣م؛ ص (١٠).

٢. **ذراع الهادي:** ويسمى كذلك نسبة إلى (الإمام الهادي) صاحب صعدة (الذي عاش في القرن (٣هـ) وهو يساوي (٣ أشبار) =نحو(٦٦سم) (استخدم في المناطق الشمالية من اليمن) فيما استخدم ذراع الجد (اليد) في بقية المناطق، وذراع من الجد = (٤٦سم/٤٥٧٥. ٠م)، وذراعان من الجد (اليد) =(ياردة/ ٥٤٧٥. ٠م)، والوحدة المساحية وهي اللبنة =١٢×١١٢ذراع = (٦٢م٢) استخدمت (شمال صنعاء) فيما استخدمت في صنعاء وما حولها، واللبنة =١٠×١٠ أذرع = (٤٣م٢) أما المعاد = (١٠٠×١٠٠ ذراع) = (١٠,٠٠٠ ذراع مربع). المصدر: جروهمن (اليمن منطقة اقتصادية)، ١٩٣٤م؛ ص (٩٨)؛ هذا بالإضافة إلى ما أفاد به كل أساطية العمارة في صنعاء ومن الجدير ذكره أن هذه المقاييس لا تزال مستخدمة.



في اعتبار الاستدامة

(مسك الختام)

المتغيرات الزمانية في مسار التطور الحضاري تفرز وباستمرار متغيرات حياتية، لتتسع فيها وباضطراد دائرة الاحتياجات المطلبية (الروحية والمادية) للإنسان خاصة والمجتمع عامة. والعمارة أكثر مناحي الحياة تعبيراً عن هذه المتغيرات (وظيفةً وشكلاً، ومادةً وتقنيةً).

وإذا كان السكن ومن ثم المعبد فالضريح هي أول التكوينات المعمارية، فإن التكوينات المعمارية (النوعية وظيفياً) وبعد نحو (٧٠٠٠) سنة من بداية تحضر الإنسان تجاوزت الألف تكوين معماري نوعي الوظيفة، واتسعت المدن وخرجت عن أسوارها وترامت أطرافها. وعلى الرغم من أن عدد التكوينات المعمارية النوعية الوظيفية في التكوين العام لنسيج عمارة مدينة صنعاء القديمة والتاريخية فإنها لم تتجاوز (٦٠) تكويناً معمارياً نوعيَّ الوظيفة حتى سنة (١٩٦٢م)، إلا أن عددها تنامى وباضطراد متسارع وكبير في الربع الأخير من القرن العشرين الميلادي، وتضاعف مرات عدة واتسعت المدينة (صنعاء الكبرى) وترامت أطرافها وتضاعفت مساحتها بنحو (١٥٠) مرة عن (صنعاء التاريخية) وبنحو (٣٠٠) مرة عن (صنعاء القديمة).

وفي مسار نمو وتطور عمارة مدينة صنعاء (القديمة) صيغت وطورت الكثير من المبادئ والأسس والمعايير القياسية في التخطيط والتصميم الحضري والمعماري والتشكيل الزخرفي، وفي البناء والتركيب، والتي أسهمت بدورها في الارتقاء النوعي وبشكل نسبي في العمارة الحديثة لمدينة صنعاء (الكبرى)، ويبرز تأثير هذا وبوضوح في المباني السكنية والدينية أكثر من غيرها من الأنواع الوظيفية الأخرى.

وفي الوقت الذي كان لتأثير غزو الأسلوب العالمي (تخطيطاً وتصميما ومادةً وتقنيةً بناءً وزخرفة) أثرُه السلبي على عمارة صنعاء بين (١٩٦٥-١٩٨٥م)، إلا أن الاهتمام بتسجيل مدينة صنعاء القديمة في سجل التراث الثقافي (المعماري) العالمي منذ سنة (١٩٨٠م)، وإعلان الحملة الدولية للحفاظ على مدينة صنعاء القديمة سنة (١٩٨٤م)، ثم تشكيل مجلس الأمناء للحفاظ على مدينة صنعاء برئاسة رئيس مجلس الوزراء في العام نفسه، وإنشاء مكتب تنفيذي له وهو المكتب الذي صار بعد ذلك (الهيئة العامة للحفاظ على المدن التاريخية سنة ١٩٩٠م)، كان له أثر كبير في تنامي الوعي الرسمي والشعبي بأهمية التراث الثقافي الحضري والمعماري، والحفاظ عليه وإحيائه، والاستفادة من غنى تجاربه في الارتقاء النوعي بالإنتاج المعماري الحديث لمدينة صنعاء (الكبرى) خاصةً واليمن عامةً. ولهذا التحول وما أحدثه من تفاعل متزايد وإيجابي، إلا أن ضعف قانون البناء وغياب المعايير القياسية الحديثة المعتمدة أساساً على جملة المبادئ والأسس والمعايير القياسية التي صاغها التراث الثقافي الحضري والمعماري للمدينة، كان له آثار سلبية انعكست بدورها على العمارة الحديثة والتي اعتمدت الدمج بين الموروث والجديد بشكل عشوائي وعفوي. وقد نتج عن هذا الكثير من التشوهات وكاد أن يصير القبح سمة الشكل للمبنى (كتل وعناصر معمارية وزخرفية)، ولكن التنامي المضطرد في الوعي بأهمية الاستفادة من التراث المعماري لدى بعض الناس والمثقفين والمهندسين المعماريين أنتج عمارة حديثة مستلهمة بعض القيم والأسس المعمارية لطراز عمارة صنعاء (التاريخي)، ولامس هذا التوجه بوادر أمل في تصحيح المسار بإدراك أساس قاعدتها.

وإذا كان تنامي الوعي بأهمية التراث المعماري والاستفادة من تجاربه قد انحصر في التصميم المعماري (سلوك التشكيل المعماري الزخرفي) وللمباني السكنية والدينية أكثر منها العامة، فإن هذا الوعي قد غاب في سلوك التخطيط والتصميم الحضري للمدينة، وكان وإلى وقت قريب شبه منعدم، ولكنه بعد صدور قانون التخطيط الحضري سنة (١٩٩٣م)، وعمل استراتيجية لإدارة الحفاظ على التراث الثقافي الحضري والمعماري في اليمن سنة (٢٠٠١م)، وحصول مدينة صنعاء القديمة على المركز الرابع في الجولة الأولى في اختيار عجائب الدنيا السبع (يونيو ٢٠٠١م) والتي نظمتها منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة (اليونسكو)، وتزايد الاهتمام الوطني (الحكومي) والدولي (الدول والمنظمات) بأهمية التراث الثقافي الحضري والمعماري في اليمن من خلال عدد من البرامج والمشاريع التي تعنى بدراسته والحفاظ عليه واحيائه، فإن هذا بمجمله يكون قد أسهم نسبياً في تنامي الوعي والاهتمام الرسمي والشعبي في أهمية العناية بالتراث الثقافي في مجال التخطيط والتصميم الحضري، كما ارتقى بمستواه في مجال التصميم المعماري أيضاً.

وفي ضوء مجمل هذا البيان تبرز أهمية هذه الدارسة، فمن خلال إبرازها للخصائص والقيم المعمارية (الوظيفية والجمالية)، والمبادئ والأسس التخطيطية والتصميمية لطراز معماري إسلامي متميز للإسهام في الارتقاء بمستوى الاهتمام والعناية بالتراث الثقافي الحضري والمعماري والحفاظ عليه وإحيائه وتأصيله، وبما يواكب المعطيات والمتطلبات العصرية (الجديدة) وذلك بالتطوير المستمر للأسس التخطيطية والتصميمية الحضرية والمعمارية.

الآيات القرآنية والأحاديث النبوية في البناء والعمران

المساجد

- ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ﴾. النور (الآية ٣٦).
- ﴿وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ﴾ ﴿وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ﴾. الطور (الآيتان ٤،٥).
- ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾. الفتح (الآية ٢٧).
- ﴿لا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ﴾. التوبة (١٠٨).
- ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾.التوبة (الآية ١٨).
- ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾. الجن (الآية ١٨).
- ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾. الحج (الآية ٢٦).
- ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾. البقرة (الآية ١٢٧).
- ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾. البقرة (الآية ١٤٤).
- ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾. الأعراف (الآية ٢٩).
- ﴿وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُنْيَانًا رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا﴾. الكهف (الآية ٢١).
- (حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سُلَيْمَانَ حَدَّثَنِي ابْنُ وَهْبٍ أَخْبَرَنِي عَمْرٌو أَنَّ بُكَيْرًا حَدَّثَهُ أَنَّ عَاصِمَ بْنَ عُمَرَ بْنِ قَتَادَةَ حَدَّثَهُ أَنَّهُ سَمِعَ عُبَيْدَاللَّهِ الْخَوْلانِيَّ أَنَّهُ سَمِعَ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ يَقُولُ عِنْدَ قَوْلِ النَّاسِ فِيهِ حِينَ بَنَى مَسْجِدَ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّكُمْ أَكْثَرْتُمْ وَإِنِّي سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ مَنْ بَنَى مَسْجِدًا قَالَ بُكَيْرٌ حَسِبْتُ أَنَّهُ قَالَ يَبْتَغِي بِهِ وَجْهَ اللَّهِ بَنَى اللَّهُ لَهُ مِثْلَهُ فِي الْجَنَّةِ). رواه البخاري
- (عَنْ أَبِي سَعِيدٍ قَالَ أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِبِنَاءِ الْمَسْجِدِ فَجَعَلْنَا نَنْقُلُ لَبِنَةً لَبِنَةً وَكَانَ عَمَّارٌ يَنْقُلُ لَبِنَتَيْنِ لَبِنَتَيْنِ فَتَتَرَّبَ رَأْسُهُ قَالَ فَحَدَّثَنِي أَصْحَابِي وَلَمْ أَسْمَعْهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ جَعَلَ يَنْفُضُ رَأْسَهُ وَيَقُولُ وَيْحَكَ يَا ابْنَ سُمَيَّةَ تَقْتُلُكَ الْفِئَةُ الْبَاغِيَةُ). رواه أحمد
- (عَنْ أَنَسٍ رَضِي اللَّه عَنْهم قَدِمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ وَأَمَرَ بِبِنَاءِ الْمَسْجِدِ فَقَالَ يَا بَنِي النَّجَّارِ ثَامِنُونِي فَقَالُوا لا نَطْلُبُ ثَمَنَهُ إِلا إِلَى اللَّهِ فَأَمَرَ بِقُبُورِ الْمُشْرِكِينَ فَنُبِشَتْ ثُمَّ بِالْخِرَبِ فَسُوِّيَتْ وَبِالنَّخْلِ فَقُطِعَ فَصَفُّوا النَّخْلَ قِبْلَةَ الْمَسْجِدِ). رواه البخاري
- (وَقَالَ أَبُو سَعِيدٍ كَانَ سَقْفُ الْمَسْجِدِ مِنْ جَرِيدِ النَّخْلِ وَأَمَرَ عُمَرُ بِبِنَاءِ الْمَسْجِدِ وَقَالَ أَكِنَّ النَّاسَ مِنَ الْمَطَرِ وَإِيَّاكَ أَنْ تُحَمِّرَ أَوْ تُصَفِّرَ فَتَفْتِنَ النَّاسَ وَقَالَ أَنَسٌ يَتَبَاهَوْنَ بِهَا ثُمَّ لا يَعْمُرُونَهَا إِلا قَلِيلا وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ لَتُزَخْرِفُنَّهَا كَمَا زَخْرَفَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى). رواه البخاري
- (عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِبِنَاءِ الْمَسَاجِدِ فِي الدُّورِ وَأَنْ تُنَظَّفَ وَتُطَيَّبَ). رواه أبو داوود
- (عَنْ أَنَسٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ يَتَبَاهَى النَّاسُ فِي الْمَسَاجِدِ) رواه النسائي.
- (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِي اللَّه عَنْه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أن أحب البلاد إلى الله مساجدها).

التاريخ

- ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾. سبأ (الآية ١٥).
- ﴿قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾. النمل (الآية ٤٤).

المسكن

- ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّآ لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾. يونس (الآية ٨٧).
- ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ﴾. النحل (الآية ٨٠).
- ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾. البقرة (الآية ١٨٩).
- ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا﴾. النور (الآية ٢٧).
- ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾. النور (الآية٣٠).
- ﴿وَلا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ﴾. طه (الآية ١٣١).
- (عَنْ نَافِعِ بْنِ عَبْدِ الْحَارِثِ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ سَعَادَةِ الْمَرْءِ الْجَارُ الصَّالِحُ وَالْمَرْكَبُ الْهَنِيءُ وَالْمَسْكَنُ الْوَاسِعُ). رواه أحمد

الجمال

- ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ﴾. ق (الآية ٦).
- ﴿إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ﴾. الصافات (الآية ٦).
- ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾. الأعراف (الآية ٣٢).
- ﴿يَابَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾. الأعراف (الآية ٣١).
- ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾. الكهف (الآية ٤٦).
- (عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ قَالَ رَجُلٌ إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا وَنَعْلُهُ حَسَنَةً قَالَ إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ وَغَمْطُ النَّاسِ). رواه مسلم

العلم والعمل

- ﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ﴾. هود (الآية ٦١).
- ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انْشُزُوا فَانْشُزُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾. المجادلة (الآية ١١).
- ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۞ خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۞ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ ۞ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۞ عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾. العلق (الآية ١-٥).
- (عَنِ الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ رَضِيَ اللَّهم عَنْهم عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ حَبْلَهُ فَيَأْتِيَ بِحُزْمَةِ الْحَطَبِ عَلَى ظَهْرِهِ فَيَبِيعَهَا فَيَكُفَّ اللَّهُ بِهَا وَجْهَهُ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ النَّاسَ أَعْطَوْهُ أَوْ مَنَعُوهُ). رواه البخاري
- (عَنِ الْمِقْدَامِ رَضِيَ اللَّهم عَنْهم عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ وَإِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلام كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ). رواه البخاري
- (عَنْ أَنَسِ ابْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهم عَنْهم قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَغْرِسُ غَرْسًا أَوْ يَزْرَعُ زَرْعًا فَيَأْكُلُ مِنْهُ طَيْرٌ أَوْ إِنْسَانٌ أَوْ بَهِيمَةٌ إِلاَّ كَانَ لَهُ بِهِ صَدَقَةٌ). رواه البخاري
- (عَنْ جَابِرٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ غَرَسَ غَرْسًا فَأَكَلَ مِنْهُ إِنْسَانٌ أَوْ طَيْرٌ أَوْ سَبُعٌ أَوْ دَابَّةٌ فَهُوَ لَهُ صَدَقَةٌ). رواه البخاري

البناء

- ﴿وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ﴾. الحجر (الآية ٨٢).
- ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَاهَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الأَسْبَابَ﴾. غافر (الآية ٣٦).
- ﴿وَلَوْلا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ﴾. الزخرف (الآية ٣٣).
- ﴿وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ﴾. الشعراء (الآية ١٤٩).
- ﴿وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِي﴾. الفجر (الآية ٩).
- ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾. النحل (الآية ٦٨).
- ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾. التوبة (الآية ١٠٩).
- ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آلاءَ اللهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾. الأعراف (الآية ٧٤).
- (أَبُو هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَكَرَ أَحَادِيثَ مِنْهَا وَقَالَ أَبُو الْقَاسِمِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَثَلِي وَمَثَلُ الأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي كَمَثَلِ رَجُلٍ ابْتَنَى بُيُوتًا فَأَحْسَنَهَا وَأَجْمَلَهَا وَأَكْمَلَهَا إِلا مَوْضِعَ لَبِنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ مِنْ زَوَايَاهَا فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ وَيُعْجِبُهُمُ الْبُنْيَانُ فَيَقُولُونَ أَلا وَضَعْتَ هَاهُنَا لَبِنَةً فَيَتِمَّ بُنْيَانُكَ فَقَالَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَكُنْتُ أَنَا اللَّبِنَةَ). رواه مسلم
- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ اللهُ عَنْه قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لاَ تَقُوم السَاعة حتى يتطاول الناس في البنيان). رواه البخاري
- (أَنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ عُمَرَ قَالَ حَدَّثَنِي عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ قَالَ بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعَرِ لا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ وَلا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ حَتَّى جَلَسَ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ ثُمَّ قَالَ يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الإِسْلامِ قَالَ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ وَتُقِيمَ الصَّلاةَ وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ وَتَصُومَ رَمَضَانَ وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا قَالَ صَدَقْتَ فَعَجِبْنَا إِلَيْهِ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ ثُمَّ قَالَ أَخْبِرْنِي عَنِ الإِيمَانِ قَالَ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْقَدَرِ كُلِّهِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ قَالَ صَدَقْتَ قَالَ فَأَخْبِرْنِي عَنِ الإِحْسَانِ قَالَ أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ قَالَ فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ قَالَ مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ بِهَا مِنَ السَّائِلِ قَالَ فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَاتِهَا قَالَ أَنْ تَلِدَ الأَمَةُ رَبَّتَهَا وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ قَالَ عُمَرُ فَلَبِثْتُ ثَلاثًا ثُمَّ قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَا عُمَرُ هَلْ تَدْرِي مَنِ السَّائِلُ قُلْتُ اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلام أَتَاكُمْ لِيُعَلِّمَكُمْ أَمْرَ دِينِكُمْ). رواه النسائي

الأسس الاجتماعية

- ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلا تَفَرَّقُوا﴾. آل عمران (الآية ١٠٣).
- ﴿وَاعْبُدُوا اللهَ ولا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ﴾. النساء (٣٦).
- ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾. الحجرات (الآية ١٣).
- ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلا تَعْبُدُوا إِلا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾. الإسراء (الآية ٢٣).
- (عَنْ عَائِشَةَ رَضِي اللهُ عَنْهَا عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ مَا زَالَ يُوصِينِي جِبْرِيلُ بِالْجَارِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُ). رواه البخاري
- (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ). رواه مسلم
- (قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى). رواه مسلم
- (عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِي اللَّهم عَنهم عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ). رواه البخاري

- (عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِي اللَّهم عَنْهم أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِيَّاكُمْ وَالْجُلُوسَ بِالطُّرُقَاتِ فَقَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا لَنَا مِنْ مَجَالِسِنَا بُدٌّ نَتَحَدَّثُ فِيهَا فَقَالَ إِذْ أَبَيْتُمْ إِلَّا الْمَجْلِسَ فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهُ قَالُوا وَمَا حَقُّ الطَّرِيقِ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ غَضُّ الْبَصَرِ وَكَفُّ الْأَذَى وَرَدُّ السَّلَامِ وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ). رواه البخاري
- (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ). رواه مسلم
- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ). رواه مسلم
- (حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ نَصْرٍ حَدَّثَنَا حُسَيْنٌ الْجُعْفِيُّ عَنْ زَائِدَةَ عَنْ مَيْسَرَةَ عَنْ أَبِي حَازِمٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يُؤْذِي جَارَهُ). رواه البخاري
- (عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَيْرُ الْأَصْحَابِ عِنْدَ اللَّهِ خَيْرُهُمْ لِصَاحِبِهِ وَخَيْرُ الْجِيرَانِ عِنْدَ اللَّهِ خَيْرُهُمْ لِجَارِهِ). رواه الترمذي
- (عَنْ جَابِرٍ قَالَ نَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَنَامَ الرَّجُلُ عَلَى سَطْحٍ لَيْسَ بِمَحْجُورٍ عَلَيْهِ). رواه الترمذي

الأسواق

- ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِي لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ۞ فَإِذَا قُضِيَتْ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾. الجمعة (الآيتان ١٠،٩).
- (عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ عُبَيْدِ ابْنِ رِفَاعَةَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ أَنَّهُ خَرَجَ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْمُصَلَّى فَرَأَى النَّاسَ يَتَبَايَعُونَ فَقَالَ يَا مَعْشَرَ التُّجَّارِ فَاسْتَجَابُوا لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَرَفَعُوا أَعْنَاقَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ إِلَيْهِ فَقَالَ إِنَّ التُّجَّارَ يُبْعَثُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فُجَّارًا إِلا مَنِ اتَّقَى اللَّهَ وَبَرَّ وَصَدَقَ). رواه الترمذي

النظافة

- (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ اتَّقُوا اللاعِنَيْنِ قَالُوا وَمَا اللاعِنَانِ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ الَّذِي يَتَخَلَّى فِي طَرِيقِ النَّاسِ أَوْ ظِلِّهِمْ). رواه أبو داؤود
- (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِي اللَّهم عَنْهم قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُلُّ سلامي مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ كُلَّ يَوْمٍ تَطْلُعُ فِيهِ الشَّمْسُ يَعْدِلُ بَيْنَ الاثْنَيْنِ صَدَقَةٌ وَيُعِينُ الرَّجُلَ عَلَى دَابَّتِهِ فَيَحْمِلُ عَلَيْهَا أَوْ يَرْفَعُ عَلَيْهَا مَتَاعَهُ صَدَقَةٌ وَالْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ وَكُلُّ خُطْوَةٍ يَخْطُوهَا إِلَى الصَّلَاةِ صَدَقَةٌ وَيُمِيطُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ). رواه البخاري
- (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ وَجَدَ غُصْنَ شَوْكٍ عَلَى الطَّرِيقِ فَأَخَّرَهُ فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ فَغَفَرَ لَهُ). رواه البخاري
- (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَقَدْ رَأَيْتُ رَجُلًا يَتَقَلَّبُ فِي الْجَنَّةِ فِي شَجَرَةٍ قَطَعَهَا مِنْ ظَهْرِ الطَّرِيقِ كَانَتْ تُؤْذِي النَّاسَ). رواه مسلم

الأمانة والصدق في المعاملة

- ﴿وَلا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾. البقرة (الآية ١٨٩).
- (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ يَقُولُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا تَحَاسَدُوا وَلا تَنَاجَشُوا ولا تَبَاغَضُوا ولا تَدَابَرُوا وَلا يَبِعْ أَحَدُكُمْ عَلَى بَيْعِ أَخِيهِ وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لا يَظْلِمُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ وَلا يَحْقِرُهُ التَّقْوَى هَاهُنَا وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ حَسْبُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُه). مسند أحمد
- (عَنْ أَبِي الْحَمْرَاءِ قَالَ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّ بِجَنَبَاتِ رَجُلٍ عِنْدَهُ طَعَامٌ فِي وِعَاءٍ فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِيهِ فَقَالَ لَعَلَّكَ غَشَشْتَ مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا). رواه ابن ماجه

الطاعة في تنفيذ الأحكام (المبدأ الأساسي للتخطيط والتصميم المعماري)

- ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾. النساء (الآية ٥٩).

الألفاظ المحلية في العمارة والعمران

أ

الأثل: شجرة رمادية أو فضية خضراء مشوبة باللون الأزرق يصل ارتفاعها إلى حوالي (٦-٨) أمتار وهي شجرة Tamarix aphylla خشبها متين يستخدم في البناء.

الأحْقَاق: ومفردها بالعامية (حُقّ) آنية من الخشب لها غطاء على هيئة قبة وتوضع فيه الأطياب وغيرها.

الأخْزَاق: الثُّقوب ذات الفتحة الصغيرة.

الأوْسَط: الغرفة المعتدلة السخونة في الحمام.

الأوْضَار: مفردها وظر أحجار صغيرة توضع كوسادة وحشو بين الأحجار المبنية لتؤدي وظيفة الربط بين الواجهة والمُثّنَى.

ب

البُقْعَة: مساحة أرض البناء ويطلق عليها أيضاً العرْصَة.

بِنْتُ الوِسَادَة: هي وِسَادة صغيرة (٤٥×٢٥×١٠سم) في المتوسط وتصنع من القطن وتوضع على الوَسَائد والمَدكَى.

البَنيَّة: المقدم للجامع، وبيت الصلاة للمسجد .

البِيْر: البئر.

البَغْلَة: جدار ساند للجدران العالية كجوار الجامع الكبير أو لبعض جدران المباني البرجية العالية.

البَرْزَة: المناقشة ومطارحة الآراء لتكوين رأي يجمع عليه (حتى إذا تم التداول تنادى رؤوس القوم أو طارحوا الآراء وكونوا رايا في برزة).

البَنانَةُ: وحدة قياس جزئية من الشبر وتساوي (٠,١ شبر) وبنحو (٢,٢٢سم).

البَصِيرَة: ج: البصائر: وثيقة، وثائق التمليك للأرض والعقارات.

باب المناق: فتحة التنور السفلى.

ت

التَّعْرِيجات: مصطلح يطلق على الوحدة الزخرفية المتعرجة والمنفذة على الأحزمة والتجاويب.

الترتر: زيت الخردل.

التَّصَبّن: عملية من عمليات الاستحمام في الحمام الساخن باستخدام الصابون.

التَّجْوَاب: ج: التجاويب: جاب يجوب في اللغة اليمنية القديمة تعني زخرف يزخرف والتجواب أحزمة زخرفية تلف النهايات الإنشائية لكتل المباني السكنية وسماسر الإيواء وما شابه.

التَّشْنُون: حوض محكم الإغلاق لجمع الماء من البئر وتوزيعه على الفضاءات الوظيفية للحمام الساخن للاستخدام البارد أو لتسخينها في دست الملة.

ث

الثَّابِتَة: دكة تكون بارتفاع (١٠ - ٢٠ سم) وتتصدر الديوان أو المفرج بعرض (١٠٠) سم في المتوسط، ووظيفتها في الأساس إبراز المحتفى به في المناسبات الاجتماعية (ولادة، زواج، وغيرها)، وتبنى بمادة التسقيف وتؤثث بفرش الديوان أو المفرج.

الثَّناي: مصطلح يطلق على مساعد الأسطى عندما يقوم بعمل الحائط من الداخل.

ج

الجـامع الكبير: اصطلاح شاع في اليمن بتسمية المسجد الجامع بالجامع الكبير وقلما أطلق اسم الجامع الكبير ولأي مدينة أو مركز حضري باسم آخر كاسم راعي بنائه مثل مسجد أو جامع الهادي في صعدة أو مسجد السيدة بنت أحمد الصليحي في جبلة، وجامع المحضار في تريم ولكنه وعلى الرغم من ذلك تظل هذه الأسماء منطوية ضمنياً تحت اسم الجامع الكبير لهذه

المدن وأن شهرت بأسماء من تولوا الرعاية في عمارتها الأولى. ولكنه في الأغلب شاع الاصطلاح على تسميتها بالجامع الكبير.

الجَبَّانَة: ج: جَبَّابين: مسجد غير مسقوف (مصلى العيدين). وهو ما استوى في الأرض في الارتفاع.

الـجُنْبَة: الفضاء الذي يجمع أفران الطهي (التناوير) في المطبخ.

جول: ج: اجوال إنياج: آنية وآواني فخارية لزرع النباتات الزهرية والعطرية (الرياحين).

الجُرْبَةُ: الأرض الزراعية الصغيرة المحددة المعالم.

الْجُصّ: ويسمى أيضاً القُصَّة والجِبْس وهو من مواد البناء إذ يذاب مسحوق الجص في الماء وتطلى به الأبنية من الداخل والخارج، كما يستعمل كمادة رابطة في البناء أو للزينة والزخرفة.

الجعِيْر: هي بَكرة أسطوانية طويلة توضع في فوهة البئر لتساعد الدلو على صب مائه إلى (المرجو).

الجُلْجُلان: السمسم.

الْجَمَكَان: قاطع خشبي يعمل عمل الباب الكبير، ويفصل الديوان عن المكسورة المستقطعة مساحتها من مساحة الديوان وأصل الكلمة تركية.

الْجُمْرك: مبنى أو منشأة تحصيل المكوس (الجمارك) وأصلها فارسي.

الجنبية: الخنجر اليمني.

الجْرفُ: عنصر معماري، يشبه الشرفة الصغيرة تتراجع إلى الداخل بمقدار (٠,٧-١م) ويعلوه في الغالب عقد مخموس.

الجبا: سطح المبنى.

ح

الحجر الأبيض: من الصخور الجيرية، لونه أبيض ويكتسب اللون البني إذا اختلط بالشوائب أقل صلادة ومقاومة للتآكل عن الحبش والجعم.

حجر الحبش: (الحجر الأسود): من صخور البازلت الفقاعية ويمتاز بصلابته ومقاومته للتآكل.

حجر الجعم: من صخور البازلت الغير مسامية وهو صلد ومقاوم للتآكل.

الحارة: المجاورة السكنية.

الْحَبِيْل: مصطلح جغرافي يماني قديم ويعني قاع مزروع متدرج إلى أعلى ويكون عادة امتدادا لسفح جبل.

الْحَبّ: يطلق على كافة أنواع حبوب الطعام قبل طحنها واشتقت التسمية منها.

الحِزَام: شريط زخرفي يلتف حول المبنى في الحدود الإنشائية الفاصلة للطوابق.

حنش: (ثعبان) هو نمط زخرفي للأحزمة والتجاويب في واجهات المبنى السكني أو السماسر ...

الْحَانُوْت: المحل التجاري الصغير في أسواق صنعاء (الدكان).

الحجَّام: هو الشخص الذي يعمل في الحجامة.

الْحَرُّ: وجمعها أحْرر وهي إسطبلات الدواب والماشية ومخازن الأعلاف وغيرها.

الحقُوْب او (حُقُبْ): وهو عبارة عن حوض صغير يوضع فيه الماء وقد يخصص لخزن الحبوب.

الْحَمَّامي: وهو صاحب الحمام أو قد يكون أحد العاملين فيه.

الحَوِيُّ: فناء المنزل للمبنى السكني.

خ

الخِزَانَة: خزينة جدارية تحكم بأبواب خشبية تغلق بالمغلقة وترتفع في الجدران (القواطع) لتكون بعيدة عن متناول الأطفال لوظيفتها في حفظ الوثائق الهامة (كالبصائر وفصول قسمة الورثة والنقود والحلي وغيرها) ويوجد نوعان من الخزائن إحداهما كبيرة وتقع في عرض الجدران بينما الأخرى صغيرة وتقع في زوايا الغرف ويلاحظ أن فتحات الخزائن في عرض الجدران أكبر من الخزائن الركنية إذ لا تتجاوز فتحتها ٢٥ سم.

الخَزْنَة: اسم يطلق على الغرف الجانبية في الحمام.

الخطاطيف: نوع من السقاطات الحديدية التي تثبت في الأبواب والنوافذ لزيادة إحكام إغلاقها.

الخَلَبْ: كتل عجينة الطين المستخدم في البناء.

الْخَوَاتم: أو الزّنار: وهو ما يشبه الحزام الذي يحدد الطوابق ويفصل بينها.

د

الدَّرْب: سور المدينة.
الدِّهْلِيز: صالة المدخل.
الدَّوْل: نظام توزيع أيام الاستحمام بين الذكور والإناث في الحمام الساخن.
الدَّسْت: آنية معدنية كبيرة (نحاسية في الغالب) لتسخين المياه المتطلبة للاستحمام في الحمام الساخن.
الدِّيوان: غرفة كبيرة للمعيشة (المقيل) وتستخدم عادة في المناسبات.
الدَّكَّة: مسطبة من الحجر المهندم (الوقيص) وتكون بجوار أحد جانبي المدخل.
الدَّيمة: المطبخ.
الدَّسَّة: فضاء صغير بين أفران الطهي (التناوير) لخزن الخشب.

ذ

الذِّرَاع: وحدة قياس للأبعاد المساحية وذراع الهادي (الحديدي) المستخدم في القياس للعمارة والبناء في صنعاء يوازي (٠.٦٦م).

ر

الرِّيشَة: مسطبة (دكة) يستريح فيها المستحم قبل خروجه من الحمام الساخن.

ز

الزابور: الزابور في اللغة يعني الخطوط الطويلة، والبناء بالزابور يتم برص مداميك الطين فوق بعضها البعض. تفصل بين مدماك وآخر خطوط غائرة (مياسم).
الزَّفَاير: والمقصود بها الأحجار أو الخشب البارزة عن سمك الجدار لحمل المشربية البارزة أو القناطر النافرة.
الزُّهْرَة: غرفة معيشة صغيرة جداً ونادرة الاستخدام ولها نوافذ من الجهات الثلاث عدا الشمالية.
زَهْرَة: نمط زخرفي للأحزمة الزخرفية والتجاويب.
الزَّنَّة: الجلباب.

س

ساس: أساس البناء.
السَاوِرَة: هي عبارة عن جدارين متقابلين مبنيين على فوهة البئر، يربط بينهما عوارض خشبية لتثبيت بكرة البئر المسماة عجلة المسنى.
السِّرَار: كلمة يمنية قديمة تعني مجرى السيل (السايلة)، والسِّرَّار هو الحي الذي يقع شرق وغرب سايلة صنعاء (واديها).
السَّرَاجة: سوق المدر (الفخاريات).
الساخ: خشب متين أحمر يعطي رونقة وجمالا بديعا حين النقش عليه وتشكيل مسطحاته بالزخارف المتنوعة العناصر.
الساقية: ج: السواقي: قنوات توزيع المياه.
السِّتَارَة: قطعة قماش ملونة يغلب عليها الألوان الأحمر والبني والأسود وقليل من الأبيض وتتستر بها نساء صنعاء عند خروجهن من البيوت.
سَلْس: نمط زخرفي للأحزمة والتجاويب الزخرفية.
السِّرَة: هي حبل غليظ يربط به مؤخرة الدلو ويصلها بالبكرة.
السَّمْسَرَة: نُزُل (خانات) ووكالات تجارية.
السَّمْسَري: وهو القائم بأعمال السمسرة والاهتمام بها. وسَمْسَرَ سَمْسَرَةً. صار سِمْسَاراً، السِّمْسَار جمع سَماسِرة وسَمَاسِر وسماسير، هو المتوسط بين البائع والشاري والساعي للواحد منهما في استجلاب الآخر (فارسية).
السِّنَيْدارُ: لفظة تطلق على (سادن الجامع أو المسجد) والمسؤول عن فتح المسجد في أوقات الصلاة ونظافته وحفظ المصاحف والكتب والأذان في مواعيده، وأصل الكلمة فارسية.
سَلَبَ- سَلْباً: وسَلَبَاً القصبة أو الشجرة: قشَرُها.
(السَلَبُ): الحبال المصنوعة من ليف أو لحاء الشجر.
السَلاَّب: صانع السلب/ الحبال.
السَّيَّة: المدخنة التي تعلو المطابخ (الدَّيم).

ش

الشَّاقي: وتطلق هذه التسمية على العامل الذي يتولى تجهيز مواد البناء وربما أشتقت هذه الكلمة من المعاناة والشقاء الذي يلاقيه أثناء تأدية عمله.

الشَّمَّسِي: الفِنَاء المكشوف والمرصوف أرضيته في المبنى السكني ولا يتوسطه، وغالباً ما يحيط به البناء من ثلاث جهات.

الشَّاقُوص: نافذة صغيرة عالية وتجاور لهوج القمريات في الغالب ووظيفتها طرد الهواء الساخن.

شَال: رداء من الصوف أو الحرير يوضع على الكتف أو الرأس.

الشِّبْر: وحدة الذراع ويساوي (٠,٦٦ ذراع) وبنحو (٢٢,٢٢سم).

الشَّوارع: أقباء متباينة في أحجامها تتصل ببعضها وتوزع بنظام شبكي أسفل الفضاءات المراد تسخينها في الحمام، ووفق المعطيات المتطلبة من الحرارة لكل فضاء.

ص

الصَّرْحَة: ساحة تتوسط تقريباً الحارات للعب الأطفال والتجمع في المناسبات وملتقى الطرق للحارة.

الصِّرْوَف: ومفردها (صُرْفَة) وهي ألواح الخشب الطويلة ذات السمك الصغير والتي غالباً ما تستخدم في البناء.

الصَّوْحُ: فَنَاءُ المسجد.

الصَّفِيف: رف يوضع على كل نافذة بامتداد فتحتها أو يتوزع في الجدران وأركانها، ويتحدد ارتفاعه أساسا بارتفاع النافذة ويراعي فيه الأمان وإمكانية الوصول - امتداد اليد بمقياس متوسط لطول الإنسان العادي وهو بعمق سماكة عقد القمرية للرف الذي يعلو النافذة. أما الرف الجداري فيبرز (١٠-١٥سم) وبنصف قطر دائرة (٢٥-٣٠سم) للرفوف الركنية، ويشكل من ماد (القص) ويزين بزخارف هندسية ونباتية (خرشات) في أركانه، وتوضع عليه المصابيح والمزهريات النحاسية ومرشات عطر الورد والمباخر وانية البصق (المتافل) والشمعدانات النحاسية والمغرز ج: مغارز.

الصَّلَلُ: أحجار البازلت الصلدة غير المسامية ويجلب في العادة من مدراب السيول ويستخدم في البناء بعد هندمته (وقيصه) بالنقر اليدوي لرصف (تبليط) الدرج والحجرة في المبنى السكني.

الصَّلُّ: عملية رصف الأرضيات بالحجارة.

الصُّلْبي: سوق الحطب والخشب وكل أرض غير مزروعة تسمى (صلبي).

الصَّوْمَعَةُ: المئذنة.

الصَّدْر: الغرفة الساخنة في الحمام.

الصليط: الزيت.

ط

الطارود: الممر الطويل.

الطَّنُبُ: شجرة تنمو عادة إلى ارتفاع (٦-٧) متر ولكن قد يبلغ ارتفاعها ١٦ متراً القشرة الخارجية خشنة بلون رمادي إلى بني، الأوراق عريضة غير مجزأة وهي شجرة Cordie spp خشبه متين يستخدم في البناء.

طواية: جدار من الحجر يلف حفرة البئر لحمايتها.

الطَّاقَةُ: النافذة.

الطلح: شجرة ذات أفرع كثيرة يتراوح ارتفاعها ما بين (٦-١٨) أمتار وقد يصل إلى (١٠) أمتار.

ع

عاقل الحارة: رجل يختار من بين أكبر الساكنين في الحارة وتعهد إليه مهمة العناية بشئون الحارة وحل مشاكلها. ويشبه ما يسمى (المختار) في بعض الدول العربية.

العَــــدَني، العدنية: الاتجاه الجنوبي والجهة الجنوبية، وذلك وفق محدد جهة مدينة عدن جنوب صنعاء.

العَسِيْب: ج: (العِسْوَب): جروب وجراب وحزام وأحزمة لتثبيت الجنبية (الخنجر اليمني) على الخاصرة وتعنى باهتمام وعناية في الحياكة والتطريز بالخيوط المذهبة في العادة.

العُطب: القطن.

العرَار: خشبتان أسطوانيتان لتثبيت البكرة المساعدة لحركة حبل جر دلو الماء من البئر المسنى.

العلب (السِدْر): شجرة أزهارها صغيرة صفراء شاحبة اللون، يبلغ ارتفاعها حوالي عشرة أمتار يمكنها العيش لمدة طويلة، ذات جذور عميقة، دائمة الخضرة في المناطق الرطبة. وهي شجرة Ziziphus spina christi وخشبه متين يستخدم في البناء.

العضايد: المدادات الخشبية المستخدمة في تسقيف الفضاءات الوظيفية.

العَجَمي: غرفة شبه مظلمة لكونها تقع في الجهة الشمالية الباردة وجاءت تسميتها بهذا لخلوها من الفتحات تقريباً.

العُرْضِي: أو (وردو) وأصلها أورتة أو أرطة وتطلق على كتيبة من الجند قوامها ٨٠٠ ورئيسها (بكباشي) وقد أطلقت هذه الكلمة التركية على ثكنات الجيش.

العُكْفَةُ: مصطلح يطلق على الجنود قبل الثورة.

غ

الغيل: ج: (الغيول): قناة مائية لها كظائم نظام مائي ويعرف أيضاً في بعض البلدان مثل عمان وشمال شرق الجزيرة العربية بالأفلاج. ويتم فيه جر الماء من منابعه عبر قنوات تحت سطح الأرض إلى المزارع والحقول لريها وإلى المراكز الحضرية والمدن للشرب والاستخدام اليومي بما في ذلك الري.

الغُرْمُ: فرض قبلي مادي أو عيني يتفق عليه أو يحدد من قبل الشيخ ويتقاسم به أفراد القبيلة وفق معايير متعارف عليها لمواجهة المحن أو غرامات الديات....

ف

فَرْدَةُ: وتصنع من شعر الماعز على هيئة بساط طويل يُمد فوق الفرش وتقوم بعمل المفرشة ويكون في الغالب لونها أسود.

الفَيْش: أرض بور غير مستغلة (مهملة).

الفَتْلَة: سوق للصوف.

الفرش: فرش تحيط جدران (الديوان، المفرج، المنظر) من جميع الجهات عدا الباب، وتصنع بتعبئة أكياس القماش بالقطن (العُطْب) وتثبيتها بغرز متعددة وتؤطر أطرافها الظاهرة بقماش سميك مزين بزخارف متنوعة ويرتفع الفرش (١٠ - ٢٠ سم).

ق

القبة: يطلق اسم القبة على المساجد المسقوف بيت الصلاة فيها بقبة مركزية مثل قبة المهدي وقبة البكيرية وقبة.

القُشْمي: الفجل.

القَضَاضُ: لياسة تكسية من عجينة النورة والهشاش ويمتاز بخاصية العزل للرطوبة والحرارة (عديم النفاذية). وأما التقضيض فهو عملية تكسية الأرضيات وأسطح الجدران الخارجية أو الداخلية للمباني وخاصة تلك التي لها علاقة بالماء أو المسقوفة لقباب والأقباء.

القَطْرَة: مونة ربط قوية ومادة عزل جيدة للرطوبة لقدرتها العالية في عدم النفاذية للماء..

القَصِيْب: سوق خراطيم (أنابيب) النارجيلات.

القرظ: خشب متين محلي من جذوع وفروع أشجار القرظ.

القْعادة: سرير النوم.

القَدَّة: الحبل السفلي الخاص بجر الماء من البئر المسنى ويصل الدلو بالجعير.

قميَتْ النار: نضجت واستوت في (التنور أو الموقد).

قوعة: حفرة جمع العوادم السائلة للحمامات الساخنة.

القِبْلِي /القِبْلِيَّة: الاتجاه الشمالي والجهة الشمالية، وذلك وفق محدد اتجاه القبلة (مكة) شمال مدينة صنعاء.

قُصَّ: جبس/ جص.

قلويز: حلزوني.

القاع: السهل الفسيح في المرتفعات الجبلية في اليمن وجمعه (قيعان) مثل قاع صنعاء وقاع البون في عمران وقاع جهران في ذمار وقاع الحقل (قتاب) بين سمارة ويريم وقاع صعده... الخ. والقاع حي غرب مدينة صنعاء التاريخية سكنه

اليهود قبل سنة ١٩٤٨م وانتقلت بعد ذلك أملاكهم بالبيع إلى القادرين على شرائها وبالرضا ودون إكراه بعد أن تم إيضاح الشرط السببي والمتمثل للتغير الكامل للموطن ويؤكد هذا ما تذكره المصادر التاريخية من ناحية ووفق ما يجمعه الكثير من المعاصرين لهذا الحدث وخاصة ممن كان قد بلغ سن الرشد حينها في رؤيتها لهذا من ناحية أخرى.

ك

الكرْسُ: حظيرة صغيرة مظلمة لتربية خروف الأضحية للعيد.

الكَظيمَة: مفرد الكظائم في مصطلح غيول صنعاء وهي فتحة بئر (مَنْزَعة) مثل الفلج أو القناة، وتحفر تحت الأرض.

الكُمَّة: غرفة مظلمة ارتفاعها قصير.

الكُنَّة: وتسمى الشيشة أيضاً وتطلق هذه اللفظة على اللوح الخشبي المزخرف الموضوع فوق النافذة لكسر أشعة الشمس والمطر.

الكيزَان: واحدها كوز جرة الماء المصنوعة من الفخار.

الكلمات: جمع كليم، نوع من البسط المصنوع من الخيوط المتينة.

ل

اللَّبْن: طوب الطين المجفف.

اللهوخ: المصاريع الخشبية التي تكون على النوافذ.

اللَّبْنَة: وحدة قياس مساحي وتساوي (١٠٠ ذراع مربع) وبنحو (٤٤,٤٥م٢).

لؤلؤي: نمط زخرفي للأحزمة الزخرفية والتجاويب.

م

الماجل: بركة كبيرة تجر في الصخر وتبنى بالحجارة الصلدة وتكسى بالقضاض وتستخدم لجمع مياه الأمطار وخزنها.

المخلع: مكان تغيير الملابس داخل الحمام.

المَجْزَع: ممر منكسر بين المدخل الرئيسي للحمام الساخن والمخلع.

المَخْرُجَة: غرفة بين المخلع والوسط في الحمام الساخن وهي غرفة تهيئة للإنتقال إلى المخلع بعد الاستحمام، لذا فدرجة حرارتها متوسطة بين درجتي حرارة الوسط والمخلع.

المَلَّة: الجزء الخدمي الخاص بعمليات تسخين الماء وفضاءات الحمام الساخن ويتكون من المخزن والفرن والدست وشوارع توزيع الحرارة وفق نوعية فضاءات التعرّق والاستحمام والتي تعلوها والملة غير متصلة مباشرة بجزء الاستحمام ولها مدخل خدمي خاص.

المدهَلَة: آنية من الحجر أو الخزف مدورة وتضيق في الأعلى، لطهي خبز شبيه بالكعك والكيك معاً، يسمى في صنعاء بالكبانة وفي بعض مناطق تعز بالمدهلة.

المَحْسَنَة: سبيل الماء الذي تتزود به البيوت التي لا تمتلك الآبار الخاصة بها.

المعْاَد: وحدة قياس مساحي وتساوي (١٠,٠٠٠) ذراع مربع وبنحو (٤٤٤٤م٢).

المُكَيِّس: عامل في الحمام الساخن يقوم بخدمة المستحمين، وذلك بإزالة طبقات الجلد الميتة بواسطة كف من القماش الخشن نسبياً ويسمى بالكيس.

المرْنَع: ممر منحدر وبميل (١٠-١٥٪) لنزع الماء من البئر المسنى بواسطة الجمل أو الحمار، ويحبل من الألياف النباتية (القدة والسرة) ويحيط بالممر جداران لحمايته وحسن توجيه الحركة.

المداعة: النرجيلة.

المسحط: المسلخ.

المصاون: أغطية من القماش تتغطى بها النساء.

المخارف: الحقول والمزارع التي انتشرت على امتداد قاع صنعاء وروافده من الوديان، وكانت منتجعات ومناطق استجمام أماكن التنزه والفسحة وكثر ذكرها في المصادر التاريخية وتسميتها بالمخارف نسبة إلى موسم نضوج الثمرة في الخريف.

المُصْلَح: السمسار الوسيط بين البائع والمشتري.

المخلاص: سوق الفضة.

المحْرَاق: فرن حرق طوب الياجور أو الجير الحي.

المستراح: حمام المنزل (مكان قضاء الحاجة).

المُكَبِّرَيَة: دكة المبلغ بعد الإمام أثناء الصلاة للتبليغ

بفواصل الحركة في الصلاة وبصوت عال يصل إلى كل المصلين في المساجد الكبيرة كالجامع الكبير والبكيرية.

المجابرة: المحادثة، وتطلق أيضاً على المشاركة في مؤاساة أهل الميت.

المِهَر: جمع مِهْرَة أي الحرفة.

المنطَل: بئر محكم الإغلاق لتصريف الفضلات الآدمية الصلبة ويمتد رأسياً بارتفاع المبنى.

المِيْزاب: ج: (ميازيب): كتل مجوفة من الخشب أو الحجر أو المعدن تبرز إلى الخارج لتصريف المياه من أسطح المباني.

المُسَارِيْب: قنوات رأسية تمتد من أسطح المباني أو من الحمامات فيها لتصريف مياه الأمطار والمياه العادمة.

المُغْطَس: غرفة صغيرة مظلمة في الحمام الساخن فيها بركة للماء الحار.

المُكْسُوْرَة: غرفة صغيرة تستقطع مساحتها من مساحة الديوان وتأتي في طرف من أطرافه وتحكم بقاطع خشبي.

المُوْقَد: وعاء معدني من النحاس أو الحديد أشبه بكاس الزهرة لتسخين الطعام والقهوة وتوفير جمر النارجيلة.

المِبْسَاطَة: سوق لبيع المواد والأدوات المستخدمة سلفة وأطلق على هذا النوع من الأسواق في بعض المدن اليمنية كمدينة عدن باسم سوق الحراج وجاء تسميته بالمبساطة لأن البائع لا يملك سوى بسطة أرضية صغيرة مكشوفة لا سقف لها وسمي بالحراج لأن البضائع والسلع المعروضة فيه اضطر مالكوها لتقديمها للبيع عن ضيق مادي وفي هذا حرج.

المُجَحِّف: هو العامل الذي يقوم بنقل المخلفات الآدمية الصلبة من المكان المخصص لها في المنازل (النُّقْب) إلى أماكن تجفيفها بالقرب من الحمامات العامة.

المجحفة: مجرفة خشبية لجمع المخلفات الآدمية من غرفة القوعة.

المَجْر: حبل من الجلد (حالياً من الألياف النباتية أو النايلون) لفتح باب مدخل البيت من جميع الطوابق ويمر عبر حلقات دائرية مثبتة على الجدران ويتصل بمغلقة الباب.

المجْزَرَة: مسالخ الذبح وبيع اللحوم.

المُقَصِّص: اسم عامل البناء المتخصص في إكساء المباني من الداخل والخارج بملاط من القص (الجص).

المُخْرَط: حبل لغلق الباب من الخارج ويتصل بالمغلقة (من الجلد المظفور) وحالياً من الألياف أو (النايلون).

المَدَخ: حظيرة الدجاج.

المَدْكَى: ويوضع للفصل بين الجالسين والاتكاء عليه ويكون في العادة على هيئة متوازي مستطيلات أبعاده (٢٠×٢٠×٥٠ سم) ويصنع من القماش المحشو بمادة (الراء) أو القطن.

المُدَوَّرَة: المسورة.

المُذْهَّبَة: المصفحة بالذهب أو المطلية بالألوان الذهبية.

المُرْجو: حوض صغير أمام فوهة البئر، ليصب فيه ماء الدلو بحركة ذاتية.

المُرمَدَة: فضاء صغير من فضاءات تكوين الحارة وظيفته جمع الرماد من المباني وتصريفه كسماد ولأغراض إنتاجية وغيرها من الاستخدامات.

المُرَصَّصَه: ويقصد بها الأشياء المصنوعة من الرصاص أو المصقولة والملونة بالألوان الرصاصية.

المُزَيِّن: اسم يطلق على الحلاقة، وكذلك على كل من يقوم بالأعمال الخدمية في المنازل أثناء المناسبات.

المُسَّار: وهو الشخص الذي يقوم بتنظيف الآبار عند شح المياه فيها وذلك بزيادة عمقها.

مكان الوَسَط: الحجرة الوسطية في المبنى السكني يجتمع فيه كل أفراد الأسرة الكبيرة.

المكان: الغرفة.

السَّاني: هو اسم يطلق على الشخص الذي يقوم بنزع المياه من الآبار واشتق اسمه من (المسنى) وهي كلمة تركية معناها إلى الأمام.

المَسْنَى: البئر الذي ينزع منه الماء بواسطة الحيوان وخاصة البعير ويشمل كل المباني والتركيبات والأدوات التي تستخدم في مجملها لنزع المياه من الآبار.

المَمَاشي: مراحيض المساجد.
المَطَاهِير: الميضاءآت.
المَعْشَرَة: آنية من النحاس المكفت بالفضة أو المزين بالطرق وتكون في منتصف الديوان، وتوضع عليها المدايع (النارجيلات) ومستلزمات الراحة الأخرى التي تخدم الجالسين.
المَعْصَرَة: معمل استخراج الزيت بواسطة الجمل.
المَعْقَم: عتبة باب المدخل.
المعلامَة: الكُتاب.
المَغْفَرَة: وهي عبارة عن خزينة جدارية وتغلق بمصراعين من الخشب المعشّق بالزجاج الملون وتكون قليلة الارتفاع من أرضية الغرف.
المَفْرَج: غرفة معيشة تكون أصغر من الديوان وتعلوه وأكثر منه استخداماً.
المفرَشَة: قطعه قماش سميك بألوان زاهية توضع على الفرش (حالياً يستخدم السجاد).
المِقْرَان: وهو الخيط الذي يقدر به البناء ويبنى عليه بناءه إذا مده بموضع البناء.
المِقْشَامَة: أرض زراعية (وقف للمساجد) محددة المعالم وهي دون ارتفاع مستوى أرضية الشوارع والساحات.
المُقَضِّض: اسم عامل البناء المختص في عمل الملاط المصنوع من مادة القضَاض.
المَقْهاية: نزل للإيواء والراحة ومشتق اسمها من القهوة.
المقَهْوي: هو من يقوم بعمل القهوة وكذلك خدمة النزلاء في السماسر.
المُنَاوِل: عامل البناء الذي يقوم بإيصال مواد البناء المتنوعة إلى الأسطى ومساعده.
المنْـزَعَة: اسم يطلق على البئر التابعة للمنازل.
المَنْظَر: غرفة معيشة أصغر من المفرج وتعلوه وأكثر منه استخداماً.
المَهَازِر: مقابض توضع على الأبواب والنوافذ لتسهيل عملية جرها.
المَوْضَر: الحجر الصغير المستخدم في البناء.
المَوَضِّر: هو من يقوم بعمل الأحجار الصغيرة (الأوظار) بين الأحجار المبنية (راجع كلمة الأوظار).
المُوَقِّص: اسم يطلق على الحرفي الذي يقوم بتهذيب الأحجار وتشكيلها وصقلها بواسطة مطرقة حديدية، لتتخذ الشكل المطلوب في العمارة.

ن

النافذة الكاذبة: تشكيل مصمت على هيئة نافذة في الواجهة الشمالية ووظيفتها جمالية وقد تعلوها قمرية صغيرة أو عدة فتحات صغيرة للإضاءة.
نَجْمَة: ونُجَيْمَات: نمطان زخرفيان للأحزمة والتجاويب في واجهات المباني السكنية والسماسر...
النُّقْرَة: غرفة صغيرة في أرضية بئر المرحاض (المنطل) لجمع العوادم الآدمية الصلبة. ولها فتحة صغيرة محكمة الإغلاق لنقل العوادم منها بصفة دورية.
النَّوْبَة: وجمعها (نُوَبْ وأنوب) وهي أبراج للحراسة والمراقبة دائرية المسقط على هيئة مخروط ناقص ملتصق بأسوار المدينة.
النُوْرَة: جير مطفأ.

هـ

هَشَاش: رماد بركاني يستخدم في إنتاج عجينة القضاض.

و

الوِسَادَة: مَسَانِد خلفية تسند للجدار فوق الفرش بعرض (٦٠-٨٠ سم) وارتفاع (٥٠) سم وبسماكة (١٠) سم وتصنع من القطن أو (الراء) وتغلف في ظاهرها بقماش سميك ملون بألوان زاهية.

ي

الياجور: والمقصود به (الآجر) وهو الطين المحروق.

فهرس أسماء الأماكن

المصادر والمراجع

أولاً: الكتب

١. أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل بن محمد: "تقويم البلدان"؛ دي سلان ورينو؛ باريس: ١٨٤٠م.

٢. أبو طالب، حسام الدين محسن بن الحسن بن القاسم: "تاريخ اليمن، عصر الاستقلال عن الحكم العثماني الأول"؛ تحقيق: عبد الله محمد الحبشي؛ مطابع المفضل للأوفست؛ صنعاء؛ (١٩٩٠م).

٣. ابن بطوطه، محمد بن عبدا لله الطنجي: "تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار"؛ جـ١؛ دار الشرق العربي؛ بيروت؛ (بدون تاريخ).

٤. ابن الحسين، يحيى: "غاية الأماني في أخبار القطر اليماني"؛ تحقيق: سعيد عبد الفتاح عاشور؛ القاهرة: ١٩٦٨م.

٥. ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد: "مقدمة بن خلدون"؛ دار القلم؛ بيروت؛ لبنان؛ ط٥؛ ١٩٨٤م.

٦. ابن رسته، أبو علي أحمد بن عمر: "الأعلاق النفيسة"؛ ليدن؛ نشر دي خويه؛ ١٨٩٣م.

٧. ابن سمرة، الجعدي: "طبقات فقهاء اليمن"؛ تحقيق: فؤاد سيد؛ دار الكتب العلمية؛ بيروت؛ ط٢؛ ١٩٨١م.

٨. ابن فضل الله، العمري أحمد بن يحيى: "مسالك الأبصار في ممالك الأمصار"؛ (القسم الخاص باليمن)؛ تحقيق أيمن فؤاد سيد؛ دار الاعتصام القاهرة؛ ط١؛ ١٩٧٤م.

٩. ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري: "لسان العرب"؛ جـ٤؛ الدار المصرية للتأليف والترجمة؛ مطابع كوستا تسوماس وشركاه؛ القاهرة؛ (بدون تاريخ طبع).

١٠. ابن عبيد الله، علي بن محمد العباسي: "سيرة الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين"؛ تحقيق: سهيل زكار؛ دار الفكر؛ بيروت؛ ١٩٧٢م.

١١. احمد، محمد شهاب والعزاوي، عبد الصاحب حمودي: "العمارة وأساليبها والأسس النظرية لتطور أشكاله"؛ دار مجدلاوي للنشر والتوزيع؛ ط١؛ ١٩٩٤م.

١٢. "أسس التصميم المعماري والتخطيط الحضري في العصور الإسلامية المختلفة بالعاصمة القاهرة"؛ منظمة العواصم والمدن الإسلامية؛ مركز الدراسات التخطيطية والمعمارية ومركز أحياء تراث العمارة الإسلامية؛ مطابع أنترناشيونال برس؛ القاهرة؛ ١٩٩٠م.

١٣. الاصطخري، إبراهيم بن محمد: "مسالك الممالك"؛ تحقيق: جابر عبد العال الحسيني؛ القاهرة؛ ١٩٦١م.

١٤. أكبر، جميل عبد القادر: "عمارة الأرض في الإسلام"؛ دار القبلة للثقافة الإسلامية؛ جدة؛ مؤسسة علوم القرءآن؛ بيروت؛ ط١؛ ١٩٩٢م.

١٥. الأكوع، إسماعيل بن علي: "المدارس الإسلامية في اليمن"؛ منشورات جامعة صنعاء؛ ١٩٨٠م.

١٦. الأكوع، إسماعيل بن علي: "البلدان اليمانية عند ياقوت الحموي"؛ الكويت؛ ١٩٨٥م.

١٧. الأكوع، إسماعيل بن علي: "جامع صنعاء أبرز معالم الحضارة الإسلامية في اليمن"؛ مصاحف صنعاء؛ دار الآثار الإسلامية؛ جمادى الآخرة/ شعبان ١٤٠٥هـ.

١٨. آل يحيى، سيف الدين سعيد: "تاريخ البعثة العسكرية العراقية إلى اليمن للفترة من ١٩٤٠-١٩٤٣"؛ المطابع العسكرية؛ بغداد؛ ط١؛ ١٩٨٥م.

١٩. البكري، أبو عبد الله بن عبد العزيز الأندلسي: "معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع"؛ تحقيق: مصطفى السقا؛ جـ٣؛ عالم الكتب؛ بيروت؛ ط٣؛ ١٩٨٣م.

٢٠. بروكه، بيتر فن دن وآخرون: "اليمن في أوائل القرن السابع عشر"؛ تعريب: ك. خ. براور وآ. كبلانيان؛ نشر ده فلويته راروب؛ امستردام؛ ط٢ المنقحة؛ ١٩٨٩م.

٢١. بهنسي، عفيف: "الجامع الكبير بصنعاء؛ دراسة تاريخية ومعمارية لأقدم مسجد جامع في اليمن"؛ مطابع المستقبل؛ بيروت؛ ١٩٩٦م.

٢٢. بونانفان، جيمت وبولس: "فن الزخرفة الخشبية في صنعاء"؛ المركز الفرنسي للدراسات اليمنية بصنعاء؛ دمشق؛ ١٩٩٦م.

٢٣. بيج، بيرتون: "البرج في العمارة الإسلامية الحربية"؛ ترجمة: إبراهيم خورشيد واخرون؛ دار الكتاب اللبناني؛ بيروت؛ ١٩٨١م.

٢٤. الثعالبي، عبد العزيز: "الرحلة اليمنية (١٢ أغسطس - ١٧ أكتوبر ١٩٢٤م)"؛ تحقيق: حمادي الساحلي؛ دار الغرب الإسلامي؛ بيروت؛ ط١؛ ١٩٩٧م.

٢٥. الجهاز المركزي للتخطيط: "التوزيع السكاني في محافظة صنعاء"؛ جزأين؛ صنعاء؛ ١٩٧٨م.

٢٦. الجندي، محمد بن يوسف: "السلوك في طبقات العلماء والملوك"؛ تحقيق: محمد بن علي الأكوع؛ مكتبة الإرشاد؛ صنعاء؛ ط١؛ ١٩٩٣م.

٢٧. الحجري، القاضي محمد بن أحمد: "مساجد صنعاء عامرها وموفيها"؛ دار إحياء التراث العربي؛ بيروت؛ ط٢؛ ١٣٩٨هـ.

٢٨. الحكمي، عمارة بن أبي الحسن علي بن زيدان: "المفيد في أخبار صنعاء وزبيد"؛ تحقيق: محمد بن علي الأكوع؛ مطبعة العلم؛ دمشق؛ ط٣؛ ١٩٧٩م.

٢٩. الحموي، محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس: "نزهة المشتاق في اختراق الآفاق"؛ ISMEO؛ روما (بدون تاريخ نشر).

٣٠. الحموي، ياقوت بن عبد الله: "معجم البلدان"؛ جـ٣؛ دار إحياء التراث؛ بيروت؛ ١٩٧٩م.

٣١. الحميري، محمد بن عبد المنعم: "الروض المعطار"؛ تحقيق: إحسان عباس؛ مكتبة لبنان؛ بيروت؛ ط٢؛ ١٩٨٤م.

٣٢. الحميري، نشوان بن سعيد: "شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم"؛ (كتاب الصاد) مادة صنعاء؛ تحقيق: حسين العمري ومطهر الإرياني ويوسف محمد عبد الله؛ دار الفكر؛ دمشق؛ ط١؛ ١٩٩٩م.

٣٣. الحيمي، شهاب الدين أحمد بن محمد الكوكباني: "حدائق النمام في الكلام على ما يتعلق بالحمام"؛ تحقيق: عبد الله محمد الحبشي؛ دار التنوير؛ بيروت؛ ط١؛ ١٩٨٦م.

٣٤. الخرباش، صلاح عبد الواسع والانبعاوي، محمود إبراهيم: "جيولوجية اليمن"؛ مركز عبادي للدراسات والنشر؛ صنعاء؛ ١٩٩٩م.

٣٥. الخزرجي، أبو الحسن علي بن الحسن: "العسجد المسبوك فيمن ولي اليمن من الملوك"؛ وزارة الإعلام والثقافة؛ صنعاء؛ دار الفكر؛ دمشق؛ ط١؛ ١٩٨١م.

٣٦. خليفة، ربيع حامد: "مساجد مدينة صنعاء في فترة الوجود العثماني الأول"؛ نهضة الشروق؛ القاهرة؛ ١٩٨٩م.

٣٧. خليفة، ربيع حامد: "الفنون الزخرفية اليمنية في العصر الإسلامي"؛ الدار المصرية اللبنانية؛ بيروت؛ ١٩٩٢م.

٣٨. "دراسات جغرافية ألمانية حول الشرق الأوسط"؛ تحقيق: أيوجين فيرت؛ تحرير وترجمة: فؤاد إبراهيم ومحمد الحجيري وجرنوت روتر ومانفرد شنايدر؛ المؤسسة العربية للدراسات والنشر:ط١؛ ١٩٨٣م.

٣٩. الرازي، أحمد بن عبد الله الصنعاني؛ "تاريخ مدينة صنعاء"؛ تحقيق: حسين العمري؛ دمشق؛ ط٢؛ ١٩٨١م.

٤٠. رتنز، كار وفيسان، هرمان. ف؛ صنعاء لاندسكيب عمراني لمدينة عربية جنوبية؛ "دراسات جغرافية ألمانية حول الشرق الأوسط"؛ تحقيق: أيوجين فيرت؛ المؤسسة العربية للدراسات والنشر؛ بيروت؛ لبنان؛ ١٩٨٣م.

٤١. الريحاني، أمين: "ملوك العرب؛ المجلد الثاني؛ جـ١؛ المؤسسة العربية للدراسات والنشر؛ بيروت؛ ط٢؛ ١٩٨٦م.

٤٢. الزبيدي، عبد الرحمن بن علي الديبع الشيباني؛ "قرة العيون بأخبار اليمن الميمون"؛ تحقيق: محمد بن علي الأكوع؛ بيروت؛ ط٢؛ ١٩٨٨م.

٤٣. زبارة، محمد بن محمد بن يحيى؛ "نزهة النظر في رجال القرن الرابع عشر"؛ جـ٢؛ مركز الدراسات والبحوث اليمني؛ صنعاء؛ ١٩٨١م.

٤٤. سالم، سيد مصطفى؛ "تكوين اليمن الحديث – اليمن والإمام يحيى (١٩٠٤ – ١٩٤٨م)"؛ مكتبة مدبولي؛ القاهرة؛ ط٣؛ ١٩٨٤م.

٤٥. سالم، سيد مصطفى؛ "وثائق يمنية – دراسة وثائقية تاريخية"؛ القاهرة؛ ط٢؛ ١٩٨٥م.

٤٦. سالم، عبد الرحيم؛ "دراسات في الشكل والتطور المعماري"؛ جامعة العلوم والتكنولوجيا؛ الأردن؛ ط١؛ ١٩٩٣م.

٤٧. السقاف، أحمد؛ "أنا عائد من جنوب الجزيرة العربية"؛ الكويت؛ ط٤؛ ١٩٨٥م.

٤٨. سمايلي، ديفيد؛ "مهمة في الجزيرة العربية"؛ ترجمة: حامد جامع؛ اتحاد الأدباء والكتاب اليمنيين؛ بيروت؛ ط١؛ ١٩٨٩م.

٤٩. "سنن البيهقي الكبرى"؛ مكتبة دار الباز؛ مكة المكرمة؛ ١٩٩٤م.

٥٠. السياغي، حسين بن أحمد؛ تقديم وتعليق على "قانون صنعاء في القرن الثاني عشر لهجري"؛ تحت إشراف عبد الله إسماعيل غمضان؛ صنعاء؛ ط٢؛ ١٩٨٢م.

٥١. السياغي، حسين بن احمد؛ "صفحات مجهولة من تاريخ اليمن"؛ لمؤلف مجهول؛ مركز الدراسات والبحوث اليمني؛ صنعاء؛ ١٩٧٨م.

٥٢. السياغي، حسين بن أحمد؛ "معالم الآثار اليمنية"؛ مركز الدراسات والبحوث اليمني؛ صنعاء؛ ط١؛ ١٩٨٠م.

٥٣. الشافعي، فريد محمود؛ "العمارة العربية في مصر الإسلامية عصر الولاة"؛ جـ١؛ الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر؛ ١٩٧٠م.

٥٤. الشافعي، فريد محمود؛ "العمارة العربية الإسلامية ماضيها وحاضرها ومستقبلها"؛ عمادة شئون المكتبات؛ جامعة الملك سعود؛ الرياض؛ ١٩٨٢م.

٥٥. الشجاع، عبد الرحمن عبد الواحد؛ "اليمن في صدر الإسلام"؛ دار الفكر؛ دمشق؛ ١٩٨٧م.

٥٦. الشماحي، عبد الله بن عبد الوهاب المجاهد؛ "اليمن الإنسان والحضارة"؛ منشورات المدينة؛ بيروت؛ ط٣؛ ١٩٨٥م.

٥٧. الشهاري، جمال الدين علي بن عبد الله بن القاسم بن المؤيد؛ "المنشورات الجلية مما انطوت عليه الوصية المتوكلية"؛ مخطوط في المكتبة الغربية بجامع صنعاء الكبير.

٥٨. الشهاري، جمال الدين علي بن عبد الله بن القاسم بن المؤيد؛ "وصف صنعاء مستل من كتاب المنشورات الجلية"؛ تحقيق: عبد الله محمد الحبشي؛ صنعاء؛ ط١؛ ١٩٩٣م.

٥٩. الشوكاني، محمد بن علي؛ "البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع"؛ دار الكتب العلمية؛ بيروت؛ لبنان؛ ١٩٩٨م.

٦٠. شيحة، مصطفى عبد الله؛ "مدخل إلى العمارة والفنون الإسلامية في الجمهورية اليمنية"؛ القاهرة؛ ط١؛ ١٩٨٧م.

٦١. الصبري، عامر محسن وآخرون؛ "أحجار البناء والزينة في اليمن"؛ وزارة النفط والثروات المعدنية؛ هيئة المساحة والجيولوجية والثروات المعدنية؛ صنعاء؛ ١٩٩٩م.

٦٢. "صنعاء مسار مدينة عربية"؛ معهد العالم العربي؛ باريس؛ نوفمبر؛ ١٩٨٧م.

٦٣. الطبري، إسحاق بن يحيى بن جرير؛ "تاريخ صنعاء"؛ تحقيق: عبد الله محمد الحبشي؛ مكتبة السنحاني؛ صنعاء (بدون تاريخ طبع).

٦٤. عبد الباقي، محمد فؤاد؛ "المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم"؛ دار مطابع الشعب؛ القاهرة. (بدون تاريخ طبع).

٦٥. عثمان، محمد عبد الستار؛ "المدينة الإسلامية"؛ عالم المعرفة؛ المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب؛ الكويت؛ أغسطس ١٩٨٨م.

٦٦. العشاوي، عبد الحكيم ناصر؛ "مدينة صنعاء: تركيبها الداخلي وعلاقتها الإقليمية"؛ مركز عبادي للدراسات والنشر؛ صنعاء؛ ط١؛ ١٩٩٧م.

٦٧. العظم، نزيه مؤيد؛ "رحلة في بلاد العربية السعيدة من مصر إلى صنعاء"؛ دار التنوير؛ بيروت؛ ط٢؛ ١٩٨٦م.

٦٨. العمري، حسين بن عبد الله؛ "مائة عام من تاريخ اليمن"؛ دار الفكر؛ دمشق؛ ١٩٨٤م.

٦٩. العمري، حسين بن عبد الله؛ "الأمراء العبيد والمماليك في اليمن"؛ بحث تاريخي مقارن بين الشرق والغرب حتى القرن العشرين؛ دار الفكر المعاصر؛ بيروت؛ ١٩٨٩م.

٧٠. العمري، حسين بن عبد الله؛ "الحضارة الإسلامية في اليمن"؛ منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم الثقافية؛ ايسيكو؛ ١٩٩٣م.

٧١. العمري، أحمد بن يحي بن فضل الله؛ "مسالك الأبصار في ممالك الأمصار" (القسم الخاص باليمن)؛ تحقيق: أيمن فؤاد سيد؛ دار الاعتصام؛ القاهرة؛ ط١؛ ١٩٧٤م.

٧٢. غالب، عبد الرحيم؛ "موسوعة العمارة الإسلامية"؛ بيروت؛ ط١؛ ١٩٨٨م.

٧٣. فكري، أحمد؛ "مساجد القاهرة ومدارسها"؛ دار المعارف؛ مصر؛ ١٩٦٥م.

٧٤. الفنتوري، روبرت؛ "التعقيد والتناقض في العمارة"؛ ترجمة: سعاد عبد علي مهدي؛ مراجعة إحسان فتحي؛ دار الشئون الثقافية؛ بغداد؛ ١٩٨٧م.

٧٥. فنستر، بربارة؛ "تقارير أثرية من اليمن"؛ ترجمة: عبد الفتاح البركاوي؛ صنعاء؛ ١٩٨٢م.

٧٦. "في صفة بلاد اليمن عبر العصور"؛ نصوص اختارها وحققها: حسين العمري، مطهر الإرياني، يوسف محمد عبد الله؛ دار الفكر المعاصر؛ بيروت؛ ط١؛ ١٩٩٠م.

٧٧. القلقشندي، أبي العباس احمد بن علي؛ "صبح الأعشى في صناعة الإنشاء"؛ جـ٥؛ الهيئة المصرية العامة للكتاب – مركز تحقيق التراث؛ مصر؛ ١٩٨٥م.

٧٨. القرمطي، عماد الدين إدريس بن الأنف؛ "روضة الأخبار ونزهة الأسمار في حوادث اليمن الكبار والحصون والأمصار"؛ تحقيق: محمد بن علي الأكوع؛ الهيئة العامة اليمنية للكتاب؛ ١٩٩٥م.

٧٩. القيسي، ربيع محمود سامي؛ والشكري، صباح جاسم؛ "دراسة ميدانية لمسوحات مواقع أثرية في شطري القطر اليماني"؛ وزارة الثقافة والإعلام؛ بغداد؛ ١٩٨١م.

٨٠. كوبوفيش، ب.ك.؛ والجبلي.ع.أ.؛ "مشروع حوض صنعاء المائي"؛ وزارة الزراعة والثروة السمكية؛ صنعاء؛ ١٩٨٥م.

٨١. مؤنس، حسين؛ "المساجد"؛ عالم المعرفة؛ الكويت؛ ١٩٨١م.

٨٢. كوبيشـانوف، يـوري مخـايلوفتش: "الشـمال الشرقي الأفريقي في العصور الوسيطة المبكرة وعلاقاته بالجزيرة العربية": ترجمة: صلاح الدين هاشم عثمان: منشورات الجامعة الأردنية: عمان: ١٩٨٨م.
٨٣. محمد عبد الستار، عثمان: "المدينة الإسلامية": سلسلة عالم المعرفة: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب: الكويت: ١٩٨٨م.
٨٤. المروني، محمد بن عبد الملك: "الوجيز في تاريخ بناية مساجد صنعاء القديم والجديد": صنعاء: ط١: ١٩٨٨م.
٨٥. مرميه، ف: "سوق صنعاء تنظيمه المهني والعمراني" (صنعاء مسار مدينة عربية): معهد العالم العربي: باريس: ١٩٨٧م.
٨٦. متز، آدم: "الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري أو عصر النهضة في الإسلام": ترجمة: محمد عبد الهادي أبو ريدة: دار الكتاب العربي: بيروت: ط٤: ١٩٦٧م.
٨٧. ماكرو، إريك: "اليمن والغرب (منذ ١٥٧١م)": تعريب وتعليق: حسين العمري: ط١: ١٩٧٨م.
٨٨. مصطفى، صالح لمعي: "المدينة المنورة، تطورها العمراني وتراثها الحضاري المعماري": دار النهضة العربية: بيروت: ١٩٨١م.
٨٩. مصطفى، شاكر: "المدن في الإسلام حتى العصر العثماني": ذات السلاسل: ط١: ١٩٨٨م.
٩٠. المطهر، عيسى بن لطف الله: "روح الروح..": وزارة الإعلام والثقافة صنعاء: دار الفكر: دمشق: ط١: ١٩٨١م.
٩١. المفتي، أحمد بن حسين: "ديوان صنعاء حوت كل فن": تحقيق: محمد عبد غانم: مركز الدراسات والبحوث اليمني: صنعاء: ١٩٨٣م.
٩٢. المقالح، عبد العزيز: "صنعاء": ديوان شعر: دار الريس: بيروت: ٢٠٠٠م.
٩٣. الموزعي، القاضي شمس الدين عبد الصمد بن إسماعيل بن عبد الصمد: "دخول العثمانيين الأول إلى اليمن المسمى الإحسان في دخول مملكة اليمن تحت ظل عدالة آل عثمان": تحقيق: عبد الله محمد الحبشي: دار التنوير: بيروت: ١٩٨٦م.
٩٤. "الموسوعة اليمنية": مؤسسة العفيف الثقافية: صنعاء: ط١: ١٩٩٢م.
٩٥. ناجي، سلطان: "التاريخ العسكري لليمن (١٨٣٩ – ١٩٦٧م): دراسة سياسية تبحث في ارتباط نشوء وتطور المؤسسات والأنشطة العسكرية بالأوضاع والمتغيرات السياسية": دار العودة: بيروت: المكتبة اليمنية: صنعاء: ط٢: ١٩٨٥م.
٩٦. ناجي، عبد الجبار: "دراسات في تاريخ المدن الإسلامية": مطبعة جامعة البصرة: العراق: ط١: ١٩٨٦م.
٩٧. هانسن، توركيل: "من كوبنهاجن إلى صنعاء": ترجمة: محمد أحمد الرعدي: مركز الدراسات والبحوث اليمني صنعاء: دار العودة: بيروت: ١٩٨٣م.
٩٨. الهذلول، صالح بن علي: "المدينة العربية الإسلامية: أثر التشريع في تكوين البيئة العمرانية": الرياض: ١٩٩٤م.
٩٩. الهمداني، أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب: "صفة جزيرة العرب": تحقيق: محمد بن علي الأكوع: دار اليمامة: الرياض: ط١: ١٩٧٤م.
١٠٠. الهمداني، أبو محمد الحسن بن احمد بن يعقوب: "الإكليل" جـ٨: تحقيق: نبيه أمين فارس: دار العودة: بيروت: (بدون تاريخ).
١٠١. الهمداني، حسين بن فيض الله: "الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن": منشورات المدينة: صنعاء: ط٣: ١٩٨٦م.
١٠٢. والي، طارق: "نهج الواحد في عمارة المساجد": بيت القرآن: المنامة: ١٩٩٣م.
١٠٣. دوستال، والتر: "سوق صنعاء": ترجمة وتعليق: الدكتور وفيق محمد غنيم: الرياض: جامعة الملك سعود: كلية الآداب: مركز البحوث: ط١ :١٩٩٩ م.
١٠٤. ورلين، تراوغوت: "أبواب البيوت الخشبية في اليمن": لودفيغ رايشارت – فيسبادن: ١٩٩٩م.
١٠٥. الوزير، عبد الإله بن علي: "تاريخ اليمن خلال القرن الحادي عشر الهجري – السابع عشر الميلادي" المسمى تاريخ طبق الحلوى وصحاف المن والسلوى: تحقيق: محمد عبد الرحيم جازم: مركز الدراسات والبحوث اليمني: صنعاء: ١٩٨٥م.
١٠٦. اليمني، تاج الدين عبد الباقي بن عبد المجيد: "تاريخ اليمن المسمى بهجة الزمن في تاريخ اليمن": تحقيق: مصطفى حجازي: دار الكلمة: صنعاء: ط٢: ١٩٨٥م.
١٠٧. يمن سلمامه سي (سلنامه اليمن): سجل تعداد من الأرشيف العثماني: (٧٨٩٩ – ٧٩٠٦).
١٠٨. اليمن: وزارة الزراعة والثروة السمكية: "دليل أشجار الغابات": صنعاء: ١٩٨٩م.
١٠٩. اليمن: وزارة الأوقاف والإرشاد: "الأوقاف والإرشاد في موكب الثورة:(١٩٦٢م – ١٩٨٧م)": صنعاء (بدون تاريخ نشر).
١١٠. اليمن: وزارة الزراعة والثروة السمكية: "دراسة لمشروع حوض صنعاء المائي": صنعاء: ١٩٨٥م.
١١١. اليمن: وزارة التخطيط والتنمية: الجهاز المركزي للإحصاء: "كتاب الإحصاء السنوي لعام ١٩٩٨م": صنعاء: ١٩٩٩م.
١١٢. اليمن: وزارة التخطيط والتنمية: الجهاز المركزي للإحصاء: "التعداد العام للمساكن والسكان والمنشئات لعام ١٩٩٤م": النتائج النهائية لأمانة العاصمة.
١١٣. اليمن: وزارة التخطيط والتنمية: الجهاز المركزي للإحصاء: "كتاب الإحصاء السنوي لعام ١٩٩٦م": صنعاء: ١٩٩٧م.

ثانيا : الدراسات والبحوث

١. إسماعيل، عبد القادر عساج محمد: "مناخ اليمن: دراسة في الجغرافيا المناخية": رسالة ماجستير: كلية التربية: جامعة الأنبار: ١٩٩٦م.
٢. الأشعب، خالص حسني: "البيت العربي التقليدي في صنعاء بين الأصالة والتأصيل": جـ١،٢: بحثين قدما إلى مؤتمر العمارة العربية، الحاضر والماضي والمستقبل: (٢٤ ـ ٢٧) جامعة ذمار: اليمن: مجلة المهندس الإردني: العدد ٦٥: عمان: ١٩٩٩م.
٣. انطانيوس، غيداء منيف: "التميز في العمارة": رسالة ماجستير: قسم الهندسة المعمارية: الجامعة التكنولوجية: بغداد: ١٩٩٨م.
٤. البحيري، صالح حماد سيد: "دراسة في جغرافيا العمران مدينة صنعاء": أطروحة دكتوراه (غير منشورة): كلية الآداب: جامعة الإسكندرية: ١٩٨٤م.
٥. البستاني: "محاكاة التقليد في عمارة ما بعد الحداثة – النظرية والتطبيق": رسالة دكتوراه: قسم الهندسة المعمارية: الجامعة التكنولوجية: بغداد: ١٩٩٦م.
٦. البناء، السيد محمود محمد: "دراسة ترميم وصيانة مدينة صنعاء القديمة في العصر العثماني": أطروحة دكتوراه (غير منشورة): كلية الآثار: جامعة القاهرة: ١٩٩٣م.
٧. الخياط، محمود أحمد بكر: "دراسة عن العمارة كلغة: أثر المعرفة المعمارية على العلاقة بين لغة القصد وإدراك المعنى": رسالة ماجستير: قسم الهندسة المعمارية: الجامعة التكنولوجية بغداد:١٩٩٥م.
٨. الزبيدي، حسن عبد الكاظم: "البلاغة في العمارة": رسالة ماجستير: قسم الهندسة المعمارية: الجامعة التكنولوجية: بغداد: ١٩٩٨م.

٩. سلام، سلطان محسن: "تأثير تكنولوجيا البناء الحديث على طراز العمارة التقليدية اليمنية": أطروحة دكتوراه؛ كلية الفنون الجميلة؛ جامعة حلوان؛ ١٩٩٥م.
١٠. سيف، علي سعيد: "مآذن مدينة صنعاء حتى نهاية القرن ١٢ هـ / ١٨م": رسالة ماجستير (غير منشورة)؛ كلية الآداب؛ جامعة بغداد؛ ١٩٩٤م.
١١. طاهر، عبد الرقيب: "الخصائص والقيم المعمارية لعمارة الطين في اليمن": جمعية بيروت التراث؛ المؤتمر الحضاري الدولي الرابع؛ الحضارة الإنسانية من المغارة إلى العمارة؛ ٢٠٠٠م.
١٢. طاهر، عبد الرقيب: "المدن التاريخية اليمنية وسياسيات الحفاظ عليها والارتقاء ببيئتها التاريخية": ندوة استراتيجيات إحياء التراث في المدن العربية؛ ندوة استراتيجيات أحياء التراث في المدن العربية؛ تونس؛ ٢٧مارس ١٩٩٥م.
١٣. طاهر، عبد الرقيب: "الحفاظ على المعالم التاريخية بين النظريات والتطبيقات الحديثة والخصوصيات المحلية: في البلدان العربية" مؤتمر منظمة العواصم والمدن الإسلامية؛ طهران؛ ١٩٩٧م.
١٤. طاهر، عبد الرقيب: "تقييم المعالم التاريخية": مجلة العلوم والتكنولوجيا؛ المجلد (٢)؛ صنعاء؛ العدد (١)؛ يناير ١٩٩٧م.
١٥. طاهر، عبد الرقيب: "دور القطاع الخاص في الحفاظ على التراث المعماري في اليمن": ندوة استراتيجيات أحياء التراث في المدن العربية"؛ تونس؛ ٢٧مارس ١٩٩٥م.
١٦. طاهر، عبد الرقيب؛ والمدحجي، محمد أحمد سلام: " البناء العفوي أهم الأخطار التي تهدد بنية المعالم التاريخية": مؤتمر العلوم؛ عدن؛ ١٩٩٩م.
١٧. طاهر، عبد الرقيب؛ والمدحجي، محمد أحمد سلام: "سلوك تشكيل الفضاءات المعمارية في العمارة اليمنية الطينية": بحث مقدم لمؤتمر العمارة الطينية، سيئون؛ حضرموت؛ (١٠-١٢/٢/٢٠٠٠م).
١٨. عبد الله، يوسف محمد؛ وطاهر، عبد الرقيب: "قصر غمدان الأسطورة والحقيقة التصور المعماري للقصر": المؤتمر العالمي للآثار اليمنية؛ صنعاء؛ ١٩٩٨م.
١٩. عبد الوهاب، نيران محمد: "الشعرية في العمارة العربية المعاصرة أعمال راسم بدران": رسالة ماجستير؛ قسم الهندسة المعمارية؛ الجامعة التكنولوجية؛ بغداد؛١٩٩٨م.
٢٠. عيسى، مصطفى عبد العال تمام: "دراسة جغرافية محافظة صنعاء": رسالة ماجستير؛ كلية الآداب؛ جامعة صنعاء؛١٩٨٥ م.
٢١. غيلان، غيلان حمود: "محاريب صنعاء حتى أواخر القرن ١٢هـ": أطروحة دكتوراه؛ كلية الآداب؛ جامعة بغداد؛ ٢٠٠٠م.
٢٢. فقيه، نجاة حسن: "الدور الوظيفي لشبكة النقل الحضري في مدينة صنعاء": أطروحة دكتوراه (غير منشورة)؛ كلية التربية؛ جامعة بغداد؛ ١٩٩٩م.
٢٣. قادري، عبد الناصر عبد الله: "مورفولوجيا العمارة اليمنية": دراسة مورفولوجية للمنزل البرجي التقليدي في مدينتي صنعاء وشبام حضرموت: أطروحة ماجستير (غير منشورة)؛ كلية الهندسة؛ جامعة بغداد؛ ١٩٩٤م.
٢٤. مشتت، صباح عبد اللطيف؛ والكوكباني، نادية: "طريقة إيجاد العلاقة بين التشكيل الهندسي والتوجيه للوحدة السكينة وبين أدائها الحراري"؛ صنعاء؛ ١٩٩٩م.
٢٥. مشتت، صباح؛ وطاهر، عبد الرقيب: "تأثير الخصائص الفضائية للأسواق التجارية على كفاءة التحرك الهوائي الطبيعي: سوق صنعاء القديمة وبغداد": مؤتمر الحفاظ على التراث المعماري في الأردن والوطن العربي؛ عمان؛ (٢٠-٢٥) فبراير ١٩٩٣م.
٢٦. مصطفى، صالح لمعي: "التراث في المدينة العربية وتحديات التوسع العمراني": أعمال وبحوث المؤتمر العام العاشر لمنظمة المدن العربية؛ المعهد العربي لإنماء المدن؛ جـ١؛ دبي؛ ١٩٩٢م.
٢٧. نعيم، محمد علي مسعود: "خصوصية الممارسة المعمارية اليمنية في التعامل مع الموروث": رسالة ماجستير (غير منشورة)؛ كلية الهندسة؛ الجامعة التكنولوجية؛ بغداد؛ ١٩٩٩م.

ثالثاً: الدوريات

١. إبراهيم، عبد الباقي: "المنظور الإسلامي للنظرية المعمارية": مركز الدراسات التخطيطية والمعمارية؛ مصر، ١٩٨٦م.
٢. إبراهيم، عبد الباقي؛ وإبراهيم، حازم محمد: "المنظور التاريخي للعمارة في المشرق العربي": منتدى العالم الثالث؛ مكتب الشرق الأوسط في المشرق العربي؛ مركز الدراسات التخطيطية والمعمارية؛ فبراير ١٩٨٧م.
٣. الأكوع، إسماعيل: "صنعاء المؤرخين": مجلة الإكليل العدد (٢،٣)؛ وزارة الإعلام والثقافة؛ صنعاء؛ ١٩٨٣م.
٤. حويش، عقيل نوري: "المجلة التقليدية النشوء والتطور ومعايير الحي المعاصر": الموسوعة الصغيرة؛ ط١؛ دار الشئون الثقافية العامة؛ وزارة الإعلام والثقافة؛ بغداد؛ ١٩٨٩م.
٥. خليفة، ربيع حامد: "نظرة جديدة على تاريخ وزخارف الجامع الكبير بصنعاء": مجلة الوطن؛ الاتحاد العام للمغتربين؛ صنعاء؛ العدد العاشر؛١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م
٦. الدالي، محمد طلعت: "خصائص العمارة الإسلامية وتميز المعمار اليمني": مجلة دراسات يمنية؛ مركز الدراسات والبحوث اليمني" العدد٣٥؛ صنعاء؛ ١٩٨٩م.
٧. دي بول، جان شارل: "أما إذا غيرنا كل شئ في البيت": ترجمة: علوي السقاف وفرانك ميرميه؛ مجلة دراسات يمنية؛ العدد٤٥؛ صنعاء؛ يناير-مارس ١٩٩٢م.
٨. السعدي، عباس فاضل: "مدينة صنعاء": مجلة رسائل جغرافية؛ العدد ١١٥؛ الكويت؛ ١٩٨٨م.
٩. سيف النصر، محمد: "نظرة عامة إلى المدارس اليمنية": تخطيطها وعناصرها المعمارية؛ الإكليل؛ السنة الثالثة؛ العدد الأول؛ خريف (١٤٠٦هـ / ١٩٨٥م).
١٠. الشوكاني، غمدان: "أسواق صنعاء القديمة"، صحيفة الثورة، العدد١٣٤١٦؛ مؤسسة الثورة للصحافة؛ صنعاء؛ ٥/٨/٢٠٠١م.
١١. طالب، عبد القوي: "مميزات المواد المستخدمة في العمارة السكنية بصنعاء القديمة": مجلة دراسات يمنية؛ العدد ٣٥؛ ١٩٨٨م.
١٢. طاهر، عبد الرقيب: "صنعاء منشأ الطراز المعماري الصنعاني بنظام العمارة البرجية": جريدة الثورة؛ العدد ١٣٠٠٨؛ صنعاء؛ يونيو ٢٠٠٠م.
١٣. عنان، زيد بن على: "صنعاء حاراتها وآبارها وأسواقها": الإكليل؛ العددان ٢،٣؛ ١٩٨٣م.
١٤. قائد، يوسف عبد المجيد: "الأحوال المناخية في منطقة صنعاء": مجلة كلية الآداب؛ جامعة صنعاء؛ عدد١؛ ١٩٧٩م.
١٥. كراتشكوفسكايا؛ ف.أ: "الأهمية التاريخية لآثار فن المعمار اليمني القديم": ترجمة: قائد طربوش؛ مجلة الإكليل؛ العددان ٢،٣؛ صنعاء؛ ١٩٨٨م.
١٦. كوستا، بالوم: "صنعاء": بحث مقدم إلى ندوة المدينة الإسلامية؛ مجلة الإسكان والتعمير؛ العدد ٤؛ تونس؛ ١٩٨٧م.
١٧. ليوكوك، رونالد: "كاتدرائية صنعاء": ترجمة: علي محمد زيد؛ الإكليل؛ العددان ٢،٣؛ صنعاء؛ (١٤٠٣ هـ/١٩٨٣م).

١٨. المدحجي، محمد أحمد سلام: "صنعاء عمارة وعمران متميز": المهندس العربي: دمشق: ١٩٩٥م.

١٩. المدحجي، محمد أحمد سلام: "شخصية المدينة الجبلية اليمنية والعوامل التي تهددها": مجلة كلية الهندسة: جامعة أسيوط: المجلد ٤٩: العدد ١: يناير ٢٠٠١م.

٢٠. محمد، غازي رجب: "من روائع العمارة العربية الإسلامية في اليمن القبة البكيرية في صنعاء": مجلة كلية الآداب: جامعة بغداد: العدد ٣٠: ١٩٨١م.

٢١. محمد، غازي رجب: "الجامع الكبير في صنعاء دراسة تاريخية أثرية": مجلة كلية الآداب: جامعة بغداد، العدد ٢٨: ١٩٨٠م.

٢٢. محمد، غازي رجب: "المنبر في العصر الإسلامي الأول": مجلة سومر: الجزء الأول والثاني: بغداد: ١٩٧٥م.

٢٣. محمد، غازي رجب: "الستائر الجصية في الفن العربي اليمني (العقود اليمنية)": دراسات يمنية: العدد ٢٨: ١٩٨٧م.

٢٤. محمد، غازي رجب: " أهمية المسجد المركزية في المدينة العربية": بحث في كتاب أنظمة المدينة العربية: مركز إحياء التراث العلمي العربي: جامعة بغداد: ١٩٩١م.

٢٥. المقالح، عبد العزيز: "صنعاء في أوراق البرتوموارفيا": مجلة دراسات يمنية: مركز الدراسات والبحوث اليمني: العدد ٤٥: صنعاء: ١٩٩٢م.

٢٦. منصور، عبد الملك: "الدور التاريخي لمساجد بلادنا": اليمن الجديد: العدد الأول: السنة (١٦): يناير ١٩٨٧م.

٢٧. منصور، عبد الملك: "الدور السياسي لمساجدنا": اليمن الجديد: العدد الثاني: السنة (١٦): فبراير ١٩٨٧م.

٢٨. منصور، عبد الملك: "المساجد والأوقاف في بلادنا": اليمن الجديد: العدد١٢: السنة (١٦): ديسمبر ١٩٨٦م.

٢٩. منصور، عبد الملك: "المساجد والأوقاف": الحلقة الخامسة: اليمن الجديد: العدد٣: السنة (١٦): مارس ١٩٨٧م.

٣٠. مورافيا، اليرتو: "صنعاء......مغمورة في الرمال": مجلة دراسات يمنية: مركز الدراسات والبحوث اليمني: العدد ٤٥: صنعاء: ١٩٩٢م.

٣١. موسى، عبد الله كامل: "الجامع الكبير بصنعاء: رؤية تاريخية أثرية فيما أثير حول عمارة الرواق الشرقي": الإكليل: العدد الأول: شتاء (١٤١٣هـ /١٩٩٢م).

٣٢. الوكيل، عبد الواحد: "التصميم المعماري للمساجد": مجلة البناء: العدد٣٤: الرياض: ١٩٨٧م.

رابعاً: المراجع الاجنبية

1. AL – Kabab, Abulaziz, Implementing Physical Plans in Yemen A case study of Sana'a, Ph. D, 1991.
2. Al- Radi, Selma, The Amiriya in Rada,the history and restoration of a sixteenth-century madrasa in the Yemen,Oxford university,1997.

٣. الشميري، نبيل: "المدن التاريخية: الحفاظ والتطور": رسالة ماجستير (باللغة الصينية): جامعة تونجي: شنغهاي: الصين: ١٩٩٧م.

٤. العبسي، عبده ثابت: "الإسكان في المدن اليمنية": رسالة ماجستير (باللغة الصينية): كلية الهندسة: جامعة تونجي: شنغهاي: الصين: ١٩٨٨م.

٥. العبسي، عبدة ثابت: "التطور والتحديث في المدن": أطروحة دكتوراه (باللغة الصينية): كلية الهندسة: جامعة تونجي: شنغهاي: الصين: ١٩٩٤م.

٦. المدحجي، محمد أحمد سلام: "النماذج النظرية للتطور العمراني لمدينة صنعاء" (باللغة البلغارية): رسالة دكتوراه مقدمة إلى جامعة العمارة والتخطيط: كلية العمارة: صوفيا: ١٩٩٦م.

٧. المدحجي، محمد أحمد سلام: "تطور مدينة صنعاء والمدن والعواصم الأخرى الناتج عن التغيرات الحضرية والاقتصادية والاجتماعية" (باللغة البلغارية): مجلة (السنوية): جامعة العمارة: صوفيا: العدد٣٨: ٩٤-١٩٩٥م.

٨. المدحجي، محمد أحمد سلام: "الحياة الاجتماعية والحضرية لمدينة صنعاء" (باللغة البلغارية): مجلة السلالات: الكتاب الرابع: السنة الواحد والعشرين: المركز العلمي للبحوث: صوفيا: ١٩٩٥م.

9. ARCHAOLOGISCHE BERICHTE AUS DEM YEMEN, 3band, Philipp von zabern, Mainz am Rhein, ISBN,1982.
10. Architecture Education in the Islamic World,The Akhan Award for Architecture, Seminar ten in the Series, Spain, April,,1986.
11. Bel, jose-Marie, Architecture Et Peuple du Yemen, conseil international de langue Francaise,1988.
12. Costa, paulo & vicario, ennio" Yemen Land of Builders(I-II)" rizzoli international publications, inc, new york,usa,1977.
13. crhak, f. : Prostor a Perspektiva, praha 1975.
14. crhak, f., Kostka, z.: Vytvarna Gemetrie, praha 1967.
15. Daum,Werner, Jemen,pinguin-Verlag, Innsbruck Umchau-Vverlag, Frankfurt/Main (29 April bis 31. Dezember 1987).
16. Dequin, H, Arabische Republik Jemen,Wirtschaftsgeographie eines Entwichluigslandes, riyadh, okt, 1976.
17. Drapal, j . : Geometricka Analyza Mechanickych Struktur, brno1971.
18. Drapal, j . Drapalova, o : Architektonicka Kompozice II, edicni stredisko vut bron, 1984.
19. Drapalova, o , Kompozicni Prostrdky, a vytvarna priprava sups, brno 1982.
20. Grohmann, Adolf, "KULTURGESCHICHTE DES ALTEN ORIENTS: DRITTER ABSCHNITT VIERTER UNTERABSCHNITT: ARABIEN", C. H. BECK'SCHE VERLAGSBUCHHANDLUNG MUNCHEN MCMLXIII,1963.
21. Grohmann, Adolf, "SUDARABIEN: ALS: WIRTSCHAFTSGEBIET", ZWEITER TEIL, VERLAG RUDOLF M. ROHRER BRUNN,PRAG,LEIPZIG,WIEN,1933.
22. Hirschi, Suzanne et max, Larchitecture au Yemen du Nord, Berger Levrault, Germain, 1983.
23. Jose' pIjoan, Dejiny Umeni (1-10), odeon,praha,1977.
24. kurial, a.: Teorie architektury, Bron 1971.
25. Lane, Michael, Barry, Sana'a:Piolt Restoration Projects, Unesco, 1978.
26. Lewcock,Ronald, The Old Walled City of San'a, unesco, Paris, pub1, 1986.
27. Lewcock,Ronald, Wadi Hadramawt and the Walled City of Shibam, Unesco,1986.
28. MARESOVA, ZDENKA, Vzeml Kralovny Ze Saby, ORBIS, PRAHA, 1973.
29. Muller. W. Walter, Arabla Felix, Harrassowitz Verlag. Wiesbaden,1994.
30. Pascal, Marechaux, Marechaux, Impressions of Yemen, Flammarion, Paris, New York, 1997.
31. Pascal, Marechaux, Marechaux, Yemen, Editions phebus, Paris,1998.
32. Piotrovsky, Mikhaail,Earthy Beauty, Heavenly art: Art of Islam,De Nieuwe Kerk Amsterdam, Lund Humphries Publishers, 1972.
33. prette, m., capaldo, a. : Tvorivost, tvar, farba, bratislava 1982.
34. Serjeant,RB, and Ronald Lewcock, San'a an Arabian Islamic City, the world of Islam festival trust, London,pub1, 1983.
35. studio Quaroni S.r.l,Safeguarding of Sana'a Historical Centre, in relation to the urban development of the city reconnaissance phase , section III, sana'a al- qadima: approach to the building texture,with operational support by Bonifica s.p.a, rome, december,1983.
36. Suzanne, L' Archtecture Au Yemen Du Nord, Paris,1983.
37. Taher, Rakeeb, Historicky Vyvoj Kulturne – Spolecenskych Staveb V Jemenu, fakulta architektury brno, listopad 1988.
38. Varanda,Fernando, Art of Bullding IN Yemen, The MIT press, cambaridge,Massachusetts,London,England, 1982.

فريق العمل

أولاً: هيئة الأشراف والتنسيق:

الرئيس:

الأستاذ/ أحمد محمد الكحلاني	أمين العاصمة صنعاء

الأعضاء:

المهندس/ عمر عبد الله قاضي	أمين عام منظمة العواصم والمدن الإسلامية
الأستاذ/ محمد بن محمد عبدالله العمري	وكيل أمانة العاصمة صنعاء
الأستاذ/ عبد القوي طالب	مدير عام التخطيط بأمانة العاصمة صنعاء

مدير المشروع:

الأستاذ الدكتور/ عبدالرقيب طاهر عبدالله	رئيس مركز الطاهر للاستشارات الهندسية

ثانياً: اللجنة العلمية المشكلة من قبل منظمة العواصم والمدن الإسلامية لمراجعة واستلام مراحل الدراسة:

الرئيس:

المهندس/ عمر عبد الله قاضي	أمين عام منظمة العواصم والمدن الإسلامية

الأعضاء:

الأستاذ الدكتور/ صالح لمعي مصطفى	مستشار المنظمة لشؤون العمارة الإسلامية
الأستاذ الدكتور/ عبد الباقي إبراهيم	رئيس مركز الدراسات التخطيطية والمعمارية
المهندس/ فؤاد سليمان أبو السعود	مساعد الأمين العام للشؤون الفنية بالمنظمة
المهندس/ عمرو علي الصبان	مدير الإدارة الفنية بالمنظمة

ثالثاً: فريق العمل المشكل من قبل مركز الطاهر للاستشارات الهندسية بالإشراف على الدراسة وإعدادها:

المشرف العام ورئيس الفريق:

الأستاذ الدكتور/ عبد الرقيب طاهر عبد الله

اللجنة العلمية:

الرئيس:

الأستاذ الدكتور/ يوسف محمد عبدالله

الأعضاء:

الأستاذ الدكتور/ حسين عبدالله العمري

الأستاذ الدكتور/ عبد الرقيب طاهر عبد الله

فريق إعداد الدراسات والتوثيق:

المجموعة الهندسية (التخطيطية والمعمارية):

الأستاذ الدكتور/ عبد الرقيب طاهر عبدالله

الدكتور/ محمـد أحمـد سـلام المدحجـي

الدكتور/ عبـده ثـابـت العبسـي

المهندس/ محمـد علـي مسعـود نعيـم

المهندسة/ نادية يحـي حسين الكوكبانـي

المجموعة التاريخية والأثرية:

الأستاذ الدكتور/ يوسـف محمـد عبـدالله

الأستاذ الدكتور/ حسـين عبد الله العمـري

الدكتور/ غيـلان حمـود غيـلان

الأستاذ/ قيـس يوسـف محمـد عبـدالله

المستشارون في النواحي الدينية والإجتماعية والمراجعة اللغوية:

القاضي/ علـي أبـو الرجـال

الأستاذ/ محمـد لطف غالـب

الأستاذ/ محمد مهـدي العلفـي

فريق المسح والرفع المعماري وإعداد المخططات والرسومات والتنسيق والإخراج والمنتجة للدراسة:

م. محمـد علـي مسعود نعيم (رئيسـاً)

م. نصـر علـي محمد أحمـد

محمـد سعـد سعد العاصمي

عمـار أحمـد محمـد الصنوي

م. علـي صالـح الغزالـي

م. علـي عبد الرزاق العامـري

د. غاليـة أحمـد المحنـي

م. هشـام شوعـي أبكـر

م. عبـدالرشيـد هاشـم

م. وليد طاهر عبد الله طاهر

عبدالعزيز محمد عبدالصمد الزبيري

م. ندى عبد الوهاب يوسـف

م. عبـدالملـك الوليـدي

معـاذ عبـده عقـلان

فـواز هيـلان

م. غسـان حسين الإريانـي

صـلاح عشـره



نسخة الكترونية مهداة إلى روح الشهيد

د. محمـد نعيـم

عضو فريق إعداد الدراسات ورئيس فريـق البحث الميـدانـي والفريق الفني الذي قام باعداد الدراسة التحليلية التي تضمنها هذا الكتاب.

هذه النسخة الالكترونية مصححة من كافة الاخطاء المطبعية الموجودة في النسخة الورقية